سيرة الأميرة ذات الهمة

رواها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

تأليف
على بن موسى المقاتلي وابن بكر المازني وصالح الجعفري وجويد بن
عمار المزني وعبد الله بن وهب اليماني وعوف بن فهد
الفزاري وسعد بن مالك التميمي وأحمد النشاطي
وصابر المرعشي ومحمد بن هشام العامري

المجلد الثالث

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف
على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التيمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الحادى والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده يا كرام وان القناصة خلت بولدها وشاورته فى السير معأبيه فأبى ذلك وقال أنا ما أريد أما ولا أبا ولا أرحل من هذا الحصن إلى مكان أبدا فأعادت ذلك على الامير عبد الوهاب فعظم عليه وصعب لديه فقالت له القناصة أيها الامير أنا أكشف لك مافى ضميره وهو الذى يرغبه فى المقام هذه الديار فقال لها الامير وماذاك أيتها الاميره والسيده الخطيره فقالت له اعلم ان ظالم عاشق هائم لانه يهوى ذى صباح ابنة المهلب صاحب قلعة الثريا وبيننا وبينها ثلاثة أيام لان القلعة فى هذا المكان الذى هو الجبل وقد كان بينى وبين أم صباح صحبة وصداقة من عهد الصبا وكنت أمضى اليها وتأتى إلى فلما رزقت هذا الامير ظالم كان يمضى معى وهو صغير السن الى هناك وكنت أمضى إلى زيارتها وفى صحبتى ألف فارس من قومى وكانت أمها تأتى الى فى العام القابل فى مثل ذلك وانها رزقت من المهلب هذه الجارية التى اسمها صباح ولها وجه مثل المصباح ودام الامر حتى صار للامير ظالم من العمر عشر سنين ولها كذلك فنظر اليها نظرة الفحول إلى صاحبات الساق المفتول فعلق قلبه بها وانقرح خاطره وحام الشعر خاطره وسرائره فأنشأ يقول

رأيت صباحا كالصباح اذا بدا بوجه مضى مهند قد سبانيا
لها وجه بدر ثم عين رضية ولفظ رخيم شافيا لسقاميا

وجعلت تقول أيضا هي هذه الابيات

حلفت ببيت الله أن جماله أحب الى قلبي اذا من جماليا

فياظالما لا تظلمني محبة ترى فيك رأى الواثق المباديا

(قال الراوى) فلما سمع ذلك صار يلزمني على المسير اليهم فى كل عام حتى صار الكل واحد منهما خمسة عشر سنة وان أباها كان ذات يوم جالس اذ دخلت عليه جارية من جوار صباح وأعلمته أن صباح تحب ظالم وظالم يحبها ورأيتها تقبله ويقبلها فى خدها الايمن فعظم ذلك على المهلب أبو الصبية ودخل على زوجته أم صباح وضربها بالسيف فأطاح رأسها وحجب صباح ثم قال الذنب للام التى أخرجتها إلى هذا وانقطع مسير اليهم أيها الامير وان ظالم لما أشرف على العطب من حبها له أخذ معه مقدمين العرب وسار اليها وخطبها من أبيها المهلب فأبى ان يزوجها به وقال بعد ان شاع انه محبا لها ما أزوجها به أبدا فقال بعض جماعته لو أعطيتها له كان ذلك أحسن لانها تحبه وهو يحبها فقال والله لو بقيت بقى إلى الممات ما أزوجه بها مطلقا فعظم ذلك على ظالم وركب فى جنوده وغلمانه وعبيده وكانت الحلل نازلة حول القلعة المعروفة بقلعة الثريا فجعل يشن عليهم الغارات ويقتل الرجال وبلغت غاراته فى سائر اليمن وأخذ الاموال والرجال وأسر العبيد والموالى وخافته العرب من كل جانب ومكان وخرب أعمال المهلب حتى لم يبق معه سوى ألفين فارس وتفرقت عنه الخلق فأصبح فى قلعته ولم يرجع يظهر منها أبدا وإذا أرادوا قومه ان يمضون إلى بعض الاشغال لا يجسرون أن يسيروا على قلعة الثريا وهى قلعة لا ترام وما لها نظير فى سائر الانام لان القلعة التى لنا وهى تنظر الى مسيرة عشرة أيام لان الارض حولها واطية وقد طالت الايام ومضت الاعوام وظالم بها هائم مسكين وفى أسر المحبة رهين (باساده) وقد ملك رقاب العرب شرقا وغربا وبعدا وقربا وحط على نواصى الفرسان وهابته الاقران الان المهلب امتنع منه بهذه القلعة وكيف يقدر على المضى معك وقلبه هائم بما ذكرته الك من الهوى والغرام والبلوى والسقام على تواتر الايام والشهور والاعوام فان كنت تقدر على هذا الامر ان تتوصل الى تزويجه بهذه الجارية الموصوفة بالحسن والجمال فهو المراد مسرة الفؤاد وتسلم هذه الديار الى المهلب ويكون فيها من قبلك ونحن نسير معك قال الامير عبد الوهاب هذا الامر قريب وما أقول انه ان عرفني يمتنع ساعة واحدة وأنا أكلف الرشيد أن يدخل معنا الى ذلك المكان ويتولى هذا الأمر بنفسه فهو لا يخالف أبدا ولكن حتى أسمع لفظ ظالم

(قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب أحضر ولده ظالم وقال له اعلم انني شيخ كبير ولم يبق لى صبر على فراقك ولا جلاده على وداعك ولو كنت أعلم أن لى فى مده

البلاد ولدلما كان صبر قلبي عليك ساعة واحدة فما تقول فى المضى معى إلى أرض العراق فهى بلاد طيبة وأماكن لذيذة المقام كثيرة الانهار مورقة الاشجار غزيرة الثمار وتجاهد معنا فى طاعة الملك القهار وتضرب بسيفك فى وجوه الكفار وأنا ضعفت قوتى عما كنت أعهده منى وتكون أنت المقدم على بنى كلاب من بعدى والمؤمر على اخوتك ابراهيم وضيغم وقشعم وسيف الحنيفية الذى هو وجوه الاولاد وثمرة الفؤاد

(قال الراوى) فلما ان سمع ظالم ذلك الحديث من أبيه رفع رأسه اليه وقال له اعلم ياأبتى اننى أمارغب فى بعدى عن هذه الديار التى قد ربيت فيها والاوطان لها فى قلبى مكانه وأما قولك أكون مؤمر على العرب من بنى كلاب فأنا ههنا سائر القبائل من جميع الاماكن تحت طاعتى ويسارعون إلى خدمتى وأنا لاأخلى حصنى ولا قلعتى وأما قولك لاأريدوما أريد الا الشيح والقيصوم والجلوس فى الصحرا والعرب أحب إلى من معاشرة الحضر فتذهب قوتى ونخوتى وتنكر عزيمتى وهمتى فقال له يابنى لاتفعل فان الله تعالى قدأوصى بحفظ الوالدين فقال تعالى وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا اياه وبالوالدين احسانا وأن تكون معهما فى مكان واحد ولا تخالفهما فى قول ولو كان فى تلك المشقة والهوان وأنا أعلم ياولدى انك مشغول القلب وتحب صباح والهوى فضاح وأنا أعاونك على خلاصها وأعمل فى أخذها ان شاء الله تعالى ونمضى كلنا الى الثغور وسوف آخذ لك من بنات البطارقة مالو وقفت بين يديها صباح لم تصلح لها مصباح فلما سمع ظالم كلام أبيه قال له وقد تكلم وتكلل جبينه من العرق حياء من أبيه والله لو أردت أيها الامير ان أسير معكم لما قدرت من هذا الذى ذكرت فقال الامير سوف تنال ماتحبه ولو كنت تعطينى بذلك عهدا انى إذا خلصت لك الجارية تسير معى قال سمعا وطاعة (ياساده) ووجد الفضل بن الربيع ذلك الوقت إلى الكلام سبيل فقال والله مايطيب قلب الانسان ان يفارق وطنه وان كانت طاعتك بقول الله فرض وأنا أعلم مقامه ههنا أحب اليه وقال الامير عمرو مثل ذلك فقالت الاميره ذات الهمه خلوا عنكم هذا والله ان جلسته فى تلك الديار أطيب من كل ماعلى وجه الارض وماسمى الحجاز إلا لانه فى قفر خراب ثم ان الاميره قالت الرشيد يامولانا ان أردت المقام ههنا فافعل وان أردت ان ترحل معنا فافعل فقال بل أرحل معكم ثم رحل الرشيد والاميره والامير عبدالوهاب والامير ظالم ومامعه وهم خمسين ألف ممن يأكل الذريرة عنده وهم أصحاب القوى الذين فى ذلك الجبل الذى يختص بالامير ظالم والثمانية آلاف عبد وعسكر الرشيد كله وجدوا فى السير ثلاثة أيام وكان المهلب فى قلعته فنظر إلى عسكر الرشيد فقال لاصحابه لاشك ان ظالم جرد وجهز الينا هذه العساكر وقصده أرضنا وما يعودوا إلا خائبين مما أتونا اليه وكان

للمهلب عيون على ظالم يعطوهم الاخبار فسبقوا عسكر الرشيد وأعلموه بما جرى وأخبروه فقال المهلب وقد فرح وذمة العرب لو قعد الرشيد طول زمانه على هذه القلعة ماوصل اليها وماقدر عليها ولا غاب ولا وصل ظالم إلى ابنتي أبدا وإذا ضاقت بي البيد أسقيت ابنتي كاس الردامع انهم لاسبيل لهم اليها من الهوى أو ينزلون من السما لان هذه القلعة مامثلها فى الدنيا ثم أقام على ذلك حتى وصل عسكر الرشيد وأرسل الى المهلب كتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله أمرنا بالنكاح ونهانا عن السفاح والنبى صلى الله عليه وسلم قال تناكحوا تناسلوا فانى أباهى بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوله وماأنت أجل قدرا من شعيب النبى عليه الصلاة والسلام اذ يقول لموسى انى أريد ان أنكحك احدى ابنتى هاتين ولا يسعك ان تخالف الامام ومع هذا فان ظالم أشرف نسبا وحسبا وأوفاهم أدبا وأشجعهم قلبا وان أبيه سيد بنى كلاب وهو الامير عبد الوهاب الذى تجب طاعته على سائر العرب وعلينا كلما تطلب من المال والنعمة الجمة (قال) فلما سمع المهلب ذلك وثب من ساعته إلى ابنته وأخذ بذوابتها وكانت مثل الشمس الصاحية وأخرج خنجرا أمضى من القضا وأحد من البلا وأراد ان يضربها به على حلقها ولم يبق الا قتلها وقال أكون قد قتلتها ولا يركبنى العار أبدا وتصير ابنتى مثل الجوار وآخذ ثمنها من هذا الشيطان ظالم ولو أعطانى جميع الضياع والقلاع غنما ونعما وعبيدا وخدما

(قال الراوى) وتواثبوا اليه أبطاله وأقياله وكان فيهم رجل يقال له الخطاب محبا للجارية وقد عول على انه يتزوج بها وكان لهذا الرجل نعمة عظيمة وأموال جسيمة الا أنه لايتجاسر ان يخطب هذه الجارية فزعا لايعلم ظالم هذا الأمر فيكون سببا لقتله فوثب عند ذلك الى أبيها وقال له أيها الامير ماهذا الفعل الشنيع الذى مافعله أحد من العرب وما هذا الأمر الفزع الذى قد دخل اليك وأنت فى هذا المكان الذى طيور الجو ماتقدر عليه ولا تصل اليه وماحملك على هذه القضية وما ذنب هذه الصبيه أرسل اليه وقل له لاسبيل لك اليها ولا له وصول عليها (قال الراوى) فلما سمع ذلك من كلامهم قال نعم مارأيتم فقالوا له أصحابه هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب فعند ذلك حلها من يده وأرسل إلى الرشيد يقول له أما أنا فانى سامع مطيع ولكن مالى بنت تصلح للزواج وان أنتم زدتم على رميتها فى هذه الساعة من سطح القلعة الى الارض ومالكم إلى الصعود من سبيل ولولا هيبة الخلافة نزلت وضربتكم بالسيوف وأسقيتكم كاس الحتوف (قال) وكان هذا المهلب من أشجع العرب وأكثرهم نخوه وحميه فارسا لايطاق وعلقما لايذاق ومعه ألفى

فارس كل واحد يريد لرأسه ألف فارس فلما ان وصل الكتاب إلى ظالم والرشيد عظم عليه وأرسل اليه رسولا ثانيا فاخرق به المهاب وأنزله على أقبح صورة (ياساده) وأقام الامير عبد الوهاب على ذالك المكان ولم يحرض ان يدبر عليه حيلة أو يعمل مكيده أو يقدر ان يتوصل الى القلعة بوجه من الوجوه فبقى هنالك مقيم ثلاثة أشهر والمكان لا يقاتل ولا فيه سهم ولا نقب (قال الراوى) وجاءت الاخبار إلى الرشيد يخبرون بوصول الحاج إلى مكة وان الامير أبو محمد البطال فى جملة القوم والسبب فى ذلك انه لما أبطأ عليه ذلك قال لا يكون قد جرى على الامراء أمر وكان الأمير أبو محمد قد بدا يصحو من سكرة الهوى ولوعة الجوى ثم اتصلت الاخبار على أجنحة الطيور تخبر بانهزام عساكر الخارجى وكان الأمير أبو محمد لم يزل يقرأ القرآن بين يدى الملكة نورى حتى حنت عليه ومال قلبها اليه وأقبلت بكليتها عليه وزاد الأمر بها فارتاحت إلى دين الإسلام وأسلمت باخلاص نية وطاب قلبها وفرح الامير أبو محمد وتصدق بالفى دينار وشكر الله تعالى فقالت له يا أبو محمد لقد اشتهيت الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه أفضل الصلاة والسلام عسى يكفر الله عنى ماقد كان منى على طول السنين والاعوام من الغفلة وشرب المدام الذى هو على كل مسلم حرام ففرح أبو محمد وكان له فى ذلك أكبر الغرض لانه كان قد اشتاق إلى الاميره والامير وقد اشتاق ان يلحق بهم والثانى حتى تحج إلى بيت الله الحرام والثالث حتى تنقطع اخبار نورى عن بلاد الروم ويكون آمن عليها إذا سافر وهى معه

(ياساده) وسار أبو محمد البطال إلى بغداد وقد بلغ المراد وفرح به أهل بغداد ومشوا بين يديه أرباب الدولة ونزل إلى أوفى مكان وحملت اليه الست زبيده من كل هدية حسنة وسألته عن عقبة فانكر حاله وقال ماعندى منه خبر ولم يبق أحد إلا وحمل اليه مايستعين به على الطريق والامير أبو محمد يقول لنورى أنظرى قدرى عند جميع الناس وانى أعلا قدرا من عبد الوهاب بزمان صحيح أم لا فقالت يا أبو محمد الآن مضى مامضى وقد أخذناك بالقبول والرضى وسار أبو محمد إلى الكوفه وسار مع الحاج إلى مكة شرفها الله ونورى قد نظرت إلى البيت العتيق والركن الوثيق فوقع عليها البكاء والشهيق وحلا الإسلام فى قلبها بالتحقيق وفى تلك الايام وصل الكندفرون والبطليموس فى أصحابهم الذين أسلموا على يد الامير وجماعة من العرب مع مالك ابن بشر وقد جاؤا يحضروا الوقفة ويقضون الحج الذى هو عليهم فرض وان القوم التقوا بالامير أبو محمد وفرحوا به الفرح العظيم وسألوه عن حاله فاخبرهم بماقد جرى من نورى فشكروا الله على ذلك وكان بجيئهم من قلعة الثريا وذكروا للامير أبو محمد أمرها فقال والله إنى عارف بها ومافى الأرض مثلها

ولكن ما كان الأمر يحتاج إلى ذلك كله ثم انه أودع الملكة نورى بعد حجها فى مكة عند الشيخ الإمام أباحازم الواعظ رضى الله عنه وسار بعد الحج وهو مقدم على عسكر السكندفرون والبطليموس وسبق البشير إلى الرشيد وإلى عبد الوهاب ففرحوا به وقالوا والله لقد أتانا أبو محمد البطال فى وقت الحاجة اليه وما مضى على ذلك أيام قلائل حتى وصل الامير أبو محمد البطال والعسكر والتقاه الامير عبد الوهاب والاميره وسائر العرب ودخل على الرشيد وباس الأرض بين يديه فقام له الرشيد قائما وترحب به وأجلسه إلى جانبه لانه كان قد اشتاق اليه فهناه بأخذ الجاريه نورى وسأل عن سبب مجيئه فذكر لهم القصة فتعجبوا من ذلك وقالوا سبحان من يهدى من يشاء فقال الأمير أبو محمد ماسبب مقامكم ههنا فقال الرشيد ان كل ساعة تمضى على أطول من سنة وقد حرت فى هذا الموضع وما يمكن أن أغصب الأمير عبد الوهاب على الانتقال والارتحال وما بلغ غرضه فقال أبو محمد لاتحمل على قلبك فانا الليلة أسلم اليك القلعه فضحك الأمير عبدالوهاب والرشيد من فعاله وقالوا بارك الله فيك فقال لا كلام حتى يختلط الظلام وتبلغون ان شاء الله تعالى المراد (قال الراوى) ونظر ظالم إلى أبو محمد وسأل الأمير عبد الوهاب عنه فقال يا بنى هذا عمك أبو محمد البطال فضحك ظالم وقال وذمة العرب لقد كنت أسمع عن هذا الرجل أشياء كثيرة من أعمال الحيل فى سائر البلاد وما أراه الا أن صورته صورة دنية الخلقه لطيفه فقال أبو محمد جزاك الله خيرا لو لم يعلمك أبوك انى عمك لما كنت وقرتنى هذا التوقير كله فضحك الرشيد وقال عندنا من هذا طرف يا أبا محمد اعلم ان الرجل تربية البرية فاحتمله فقال سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين فلما ان أمسى المساء أقبل أبو محمد على غلمانه اقاو وسبك ويانس وبديع وجوهر لانهم كانوا قد وصلوا صحبته وقال أريد الذى أوصيتكم بالنهار فقالوا سمعا وطاعة ثم عمد الأمير أبو محمد إلى خمسة نوق وحملها تمر وزبيب وحنطه وشعير ودقيق وعزم بهم إلى ناحية الشرق وسار فى الليل أجمع إلى أن صار بينه وبين العسكر خمس فراسخ وأكمن هناك برجاله فقالوا له غلمانه ايش هذا العمل لانك لا فى العسكر خليتنا ولا على الطريق الذى للقلعة أخذت بنا فقال دعوا عنكم هذا الكلام وأقام كذلك إلى وقت الظهر وقد عمد إلى غلمانه واشتد عليهم الحر وهجم البرد وضاق الصدر وإذا براكب تحته نجيب وهو سائر مجد فلم يشعر بنفسه إلى وهو فى أوساطهم فقال لهم أنتم من تكونوا فقالوا قوم مسافرون ومعنا حنطة وشعير ودقيق ونحن فى أرض من زاوية اليمن وركبنا فى البحر وقصدنا هذه الأرض حتى نتوصل إلى هذه القلعة نأخذ به مانعود به على أولادنا فقال لهم ماالذى يمنعكم عن المسير فقالوا الفزع من هذا العسكر الذى محاصرها

فقالوا لهم كونوا فى أماكنكم فأنا قدأر سلنى المهلب فى طلب شىء من التمر وقد قضيت الحاجة والساعة أعود اليه وأخبره بأنكم ههنا حتى يرسل اليكم وتعودون تدخلون القلعة لئلا تنزلون وما تعودون الا بما تطلبون ويطيب نفوسكم والعسكر مايصل اليكم لانكم ماتدخلون القلعة الا بالليل ثم عاد على النجيب وقد فرح بعودته من قريب فعندها أقبل الامير أبو محمد على لؤلؤ فقال له ان الله قد نظر الينا والساعة أريدك تسير الى العسكر بالعجل وتقول لعبد الوهاب يسير الينا هو والأمير قراقد وأبو الهواهز وضيغم ولا يمضى من الليل ساعة الا وقد وصلوا الى فقال سمعا وطاعة وسار لؤلؤ الى الأمير عبد الوهاب وأخبره بقول الأمير أبو محمد فساروا اليه كما ذكرنا بعد ما قطعوا الطريق على الفرس والنجيب حتى وصلوا اليه فألبسهم أبو محمد الثياب التى كانت على غلمانه وردغلمانه الى العسكر وأقام بهم الى نصف الليل حتى وصل البدوى وقال لهم ارفعوا الاحمال على الجمال واعزموا على الارتحال (ياساده) فرفعوا وللارض قطعوا وجردوا الجمال وهى تهمز همزا حتى وصلوا الى القلعة عند السحر والغلس العظيم وطلعت الى باب القلعة وهى تهيم وفرح غلام المهلب بوصولهم فى آخر الليل ثم أخبر المهلب بوصولهم ففرح وفتح لهم الباب فلما أن صار الأمير عبد الوهاب فى وسط القلعة صاح فتح الله ونصر وهز حسامه ثم شهر وفعلوا أصحابه كذلك ونظر المهلب اليهم وطمع فيهم لقلتهم وصاح بقومه فحملوا عليهم واختلف الطعن والضرب وأضرمت نار الحرب وعمل الصارم العضب وصاح المهلب بالرجال فحمل منهم من دنى أجله الى الارتحال هذا والأمير عبد الوهاب يقول ياقوم اعلموا اننا مادخلنا هذا الحصن الاوقد علمنا ان قتالكم أهون علينا من شرب الماء وأنا عبد الوهاب وهؤلاء الابطال المجاهدين الابرار وهذا كتاب أمير المؤمنين اليكم الواجب عليكم طاعة الخليفة وان خالفتموه حلت دماكم وأموالكم فلما سمعوا ذلك من كلامه أقبلوا أهل القلعة الى المهلب وقالوا له وذمة العرب ان الذى قالوه صحيح فلما سمع ذلك من كلامهم حمل على الأميره ذات الهمه واذا بها قد صاحت صيحة أهبلته وبلبلته ثم ضربته بالسيف صفحا أقلبته فوقع على الأرض مغشيا عليه فلما نظرت العرب الى هؤلاء الابطال كانهم السباع رموا السلاح من أيديهم وقالوا مانعصى أمير المؤمنين وعبد الوهاب ثم نادوا الأمان الأمان . فقال الأمير عبد الوهاب لاأمان لكم عندى الا باحضار الجارية صباح فأحضرت فى الحال وفتح باب الحصن وطلع الرشيد وأرباب الدولة وزوجت الجارية بالأمير ظالم بعد ما أطلقوا المهلب وندم على فعله وتولى عقد النكاح الشيخ الإمام صاحب الاحكام أبو محمد البطال ودخل ظالم بالجارية من ليلته وقال له

الأمير يابنى أوفى بما عليك فقال له سمعا وطاعة ثم قال المهلب تسلم قلعتك وحصنى المعروف بالمنيع وأنت من قبلى فى الجميع وأنا راحل أنا وأمى وزوجتى ووالدى وقومى إلى دياره وما ندرى نجتمع أم لا وأعرض عليه الأمير ظالم العرب الذين كانوا معه فى الحصون فقالوا أيها الأمير اعلم أن هذه الأرض هى ديارنا وأوطاننا وفيها أهلنا وقومنا ولا نقدر نسير إلى أرض العراق على أنا نكون ههنا من قبل الأمير المهلب على ما كنا معك فيه فاذا عرضت لك الحاجة بنا إليك نسير فى خمسين ألف عنان ضاربه بالسيوف الحداد فقال لهم الأمير ظالم نعم ما رأيتم والصواب الذى قلتم وأنا والله ما أدرى هل يطيب قلبى المقام هناك أم لا وسوف اطلعكم على جلية الأمر ثم ان الرشـــيد نادى فى الناس بالرحيل فارتحلوا والمهلب معهم إلى حصن القناصة فسلمه ظالم إلى المهلب وحمل إليه مائة ناقة من الأموال ثم خرجت القناصة وأخرجت ذخائرها التى لها على طول الزمان تخبيها لظالم لأنه كان أشجع الناس وأكرمهم نفسا وأنداهم يدا وأشدهم عزما وأوفاهم همة ورحلوا الناس إلى أن وصلوا إلى محروسة مكة وخرجوا أهل مكة إلى الرشيد وهنوه بالسلامة وهنوا الأمير عبد الوهاب بولده ظالم وقالوا سعد والله من هذا ولده يشد الله به ظهره وعضده ثم أطلقت الطيور إلى العراق تخبر بأن الرشيد قد برز طالب بغداد ووقت له الساعات والأوقات وشاع الحديث فى بغداد ان هذا الخارجى كان ولد الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب وعظم ذلك على الذين يشدون من بنى سليم ومن عُصبة عقبة وقالوا كل يوم يأتينا من عبد الوهاب فتنة بعد فتنة وقد سلم الرشيد أن يهلك فى هذه النوبه ويكون هذا كله من عبد الوهاب وكلما مضى عليه يوم يعظم أمره ويقوى شره وربما خرج على الرشيد فى آخر زمانه خارجى (قال الراوى) وجد الرشيد فى سيره والعساكر كلها تطالبه فى طلب بغداد وقد بلغوا غاية المراد فهذا ما كان منهم وأما الأمير عبد الوهاب فانه أقبل على الأمير أبو محمد وهو لا يفارق الهودج الذى فيه الملكة نورى وهو يحادثها طول الطريق والرشيد يرسل إليه ويقول له الطريق ما تنقطع بالمحادثة فاذكر لى من عجائب ما رأيت وهو يقول ما هذا وقته لأنى تشوش خاطرى وقد نسيت أخبار الملوك وكل شىء رأيت ولا أنا كما تعهد وأنت تعلم أن الكبر عبر وكل ما أتى على الإنسان طول الزمان عادت زيادته إلى النقصان فضحك الرشيد من ذلك وعبد الوهاب يقول يا مولانا أعذره فانه ماله صبر عن الملكة نورى فيقول الرشيد يحق له أن لا يجىء إلى عندنا لأنه شغل عن صاحبه بحبيبة قلبه (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب أقبل على الأمير أبو محمد وقال له أسألك عن سيف الحنيفية هل هو مقيم فى ملطيه أو وصل إلى آمد فقال له الأمير

أبو محمـــد يامولاى أنا فارقته فى الموضع الذى أرسلناه ومعه المأمون عقبة إلى حصن الكوكب وما سمعت له خبر وقضى من الأمر المقدر إنى اشتغلت بنورى وقلبى طيب من أجله وأقول ان الأمير نافع مسكه عنده وقد أقام خوفا على الأمين عقبة أن يهرب فليسرع فى خلاصه فيكون عنده فقال الأمير عبد الوهاب يجوز ذلك وسار الرشيد والأمير عمرو بن عبيد الله فى موكب بنى سليم والأمير عبد الوهاب فى موكب بنى كلاب وسودانه وأصحابه والأمير هياج الكردى وبناته كأنهن السباع وضيغم وقشعم ومالك بن بشر الكلابى وسائر أمراء بنى كلاب والأمير ظالم فى ثمانية آلاف فارس من عبيده كأنهن الجمال وفى أوائلهم الأمير مدلاح العبد الذى تقدم ذكره وفى أيديهم السيوف الصقالة والعمد الثقال والحراب والنبال وفى ركاب ظالم عشرة يمشون كل واحد طول النخلة السحوق وأسود من ظلام الليل الفسوق يريد كل واحد منهم قبيلة اسم الواحد أبو ديجوج والثانى راموس والثالث القادح والرابع أبو البطون والخامس أبو ناب والسادس الأسد والسابع شملوخ والثامن المختصر والتاسع مناقل الجن والعاشر شيطان الفلاه

(قال الراوى) وكان كل واحد من هؤلاء العشرة فى طبقة أبو المزاحم وساروا الناس من بغداد إلى لقائه ودخل الخليفة إلى بغداد وكان يوم عظيم ما نظر الناس أعظم منه ونثرت النثائر على رؤس الأبطال والاقيال والأمير أبو محمـــد إلى جانب الأمير ظالم يحادثه وإذا قد وقع على رأس الأمير ظالم شىء على هيئة الدراهم يسمونه سكرفى فأخذ ظالم منها ورفعها إلى فمه وإذا به حلو فصار يتلقاه بين يديه ثم يرميه بين شفتيه ويأكله فقال له الامير أبو محمد لا تفعل هذه الفعال أيها الامير فانه فضيحة عند الحضر فقال ظالم أما القوم فانهم يشقطونا بهذا ايش فيه من الفضيحة ولكن يا أبا محمد ايش هذا من الفواكه فضحك من كلامه وأنزل الرشيد بنو سليم فى الموضع المعروف بهم وأنزل بنى كلاب فى الموضع الذى جرت لهم به العادة واستراح الناس ثلاثة أيام وركب الامير إلى عند الرشيد فخلع عليهم خلع الرضا وخلع على الامير ظالم ولقبه بصمصام المجاهدين وعمدة المؤمنين وخلع على باقى السودان الذى مع ظالم وحمـــل إليهم الضيافات والاقامات والاشربه والحلاوات والفواكه كلما نظروا إلى ذلك أكلوا منه فقال لهم الامير عبد الوهاب كيف ترون المقام فى هذه الديار قالوا يامولانا ما نموت إلا تحت ركابك ان أقام الامير ظالم أو رحل ففرح الامير بقولهم وقال اصبروا حتى تأخذون أموال الروم وبناتهم وتجاهدون فى الله ودخل الرشيد على السيدة زبيده فقامت له وباست الارض ورفعت رأسها وكان الرشيد يحب لها لانها بنت عمه وهو ابن عمها وان الرشيد جعل يضمها إلى صدره ويقبلها

فبكت زبيدة وانتحبت فقال لها مابالك يازبيده تبكى لا أبكى الله لك عينا والأرض كلها من الشرق إلى الغرب تحت حكمك فمن ايش هذا البكاء فقالت يامولاى اعلم أنى قتلنى الشوق الى معلم أولادى الذين قرؤا عليه القرآن وهو الذى علمنى حقيقة الايمان القاضى الأجل عقبة وقد انقطعت عنا الأخبار وعميت علينا الآثار فقال لها الرشيد يابنت عمى لا تذكريه لعنه الله فهو كافر لامحالة على مايقول فيه الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمه ولا بد لى ما أطلبه فى أى موضع كان وأسلمه اليهم يفعلون به مايريدون لأنه قد شهد عليه الملك الكندفرون والبطليموس وسائر من معهم وكان شهادتهم عند البيت الحرام وزمزم والمقام (قال الراوى) فلما سمعت زبيده ذلك بكت وخرقت ثيابها ولطمت وجهها وجعل الرشيد يملك يديها ودخل الخدام الخاص اليها وقالوا أيها السيده ما هذه الفعال بين يدى مولانا فلما نظر الرشيد الى مانزل بها قال لها اقصرى عن هذا فما تعرفى الرجل فقالت يامولانا كل هذا محال من الأمير عبد الوهاب ولاتسمع فيه خطاب لأنك تعلم مابينهم من العداوة والبغضاء ولا يقدر يجحد ذلك وكم لهم مع القاضى عقبة وكم ضربوه حتى أشرف على الموت وهو مع ذلك يدعو لهم لأنه رجل قد رفض الدنيا ووراء ظهره وأقبل على الآخرة بوجهه ومع ذلك لو حضر لحدثته وأقام لك الحجة عليهم وكنت تعلم أن القوم قد تعاملوا عليه فلما سمع الرشيد ذلك من كلامها وما لفظت به من خطابها قال لها وحق آبائى الطاهرين وأجدادى المنتخبين لاوصلن الساعة الطيور الى سائر الآفاق وأطلبه فى أى مكان فان أقام الحجة عليهم وأبطل ماشهدوا به هؤلاء عليه قابلتهم بما يستحقون وجازيتهم على ما فعلوه ويكون عنــــدى أو فى ماتريدين وأعظم ماتحبين فقالت زبيده اعلم ياأمير المؤمنين انى أنا ناصحة لك وأنت تعلم نصح القاضى عقبة لهذه الدولة ولا تنظر لعبدالوهاب ودخوله الى بلد الحجاز لولاعلمه ان هذا الشيطان ولده ومن نسله ماقدران يفعل مثل فعله ولئن تم لهم مايفعلوه لتنقطعن هذه الدولة وسوف تذكر ما أقول وما يكون آخر كلامى ولو كان عقبة ههنا لاوضح لك الطريق من وجوه عده وأنا أعلم ياأمير المؤمنين فى أى موضع هو فان أذنت الساعة عملت على مجيئه اليك ليقص عليك هذه القصة فقال لها افعلى ماتريدين فقالت له أريد خاتم الامان من كل من فى الأرض فخلع الرشيد الخاتم وسلمه اليها

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أخذته من يد الرشيد قامت فقال لها إلى أين ففتحت باب المخدع وقالت له أخرج ياقاضى أخرج يامظلوم أخرج يامتهوم (قال الراوى) وإذا بالباب قد فتح وخرج الملعون عقبة وهو على عصا يتوكأ عليها وقد انحنى ظهره وانحل

جسمه ورق عظمه وابيضت حواجبه وطال شعره وارتعشت قوائمه وقطعت أصابعه وآثار السياط على ظهره فلما قرب من الرشيد رمانفسه على قدميه بين يديه وجريت دموعه مثل المطر على خديه وجعل يبكي ويتشهق فبكا الرشيد وبكت زبيده وقال الرشيد لاحول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم لو كان الأمر صحيح كما زعموا أنه عند ملك الروم وأن له منزلة عظيمة عنده لما كانت هذه الحالة حالته ولقد جرت عليه أحوال واهوال وما هو إلا كما أبصرني وقع على الأرض وسوف يفارق الدنيا لامحالة وأنا أكون مطالبا بما قال لك وكل ماقالوه زور وباطل عليه فليته عاش ساعة واحدة حتى أتحالل منه وتبرا ذمتي من اثمه ثم حط الرشيد رأسه ووضعها على فخذه وجلس يبكي ثلاث ساعات من الليل حتى أفاق المأمون فأجلسه الرشيد وجعل يقول له ياقاضى عقبة طيب قلبك فما يسمع فيك كلام وسوف أقابلهم على مافعلوه فى حقك فاخبرني بخبرك فقالت زبيده وما هذا سؤال ياأمير المؤمنين أحضر الفضل بن الربيع إلى عقبة لعله يكون اطلع على حاله فتفاشى وقال يكفيك مني نظرى اعلم انني كنت مقيم فى بيت المقدس فسرقني قوم من قبل أبو محمد البطال وأتوابي إلى الأمير عبد الوهاب وأصحابه وأجمعوا أن يفعلوا ذلك من عامة الناس الذين يعرفوني انني إمام الدين وقاضى المسلمين فتجرد عبد الوهاب وذات الهمة وأبو الهزاهز وتمام العشرة وحملوني على أنهم يقتلوني فى حصن الكوكب فعلم الله سبحانه وتعالى فساد نياتهم وماقد اجتمعوا عليه من قبلي وانني رجل مسلم سليم القلب منفرد بخدمة الرب فسلط الله عليهم هذا الملك الكندفرون فلقيهم فى أربعة آلاف فلقيهم وسار بهم إلى بلد أفرنجه وكتب أسمائهم ولحقهم أبو محمد البطال ولعب بعقولهم مما حادثهم وكان سبب هدايتهم إلى دين المصطفى وأنام البطليموس وقد أضمر لهم الشر والبؤس ومن معه من الرجال ويمن عليهن بعودتهن إلى الأهل والعيال وأنهم خرجوا إلى ملاقاة الأبطال وتضرعت بالدعاء إلى الله الملك المتعال حتى ينصرهم على الاعداء ويبلغهم الآمال وسهل الله الخلاص من القيود والأغلال وحلا الإسلام فى قلوب هؤلاء الرجال ولم يزال الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمة يبغضوني اليهم حتى استحلوا دمي وقتلي وقالوا لهم ان علينا أيمان لابدلنا من صلبه على باب القسطنطينيه هذا كله ليشتفوا مني وأن يشيعوا عني اني كنت نصراني وطرحوني فى مطموره عند يانس المتغرب بعدان غاضوني وساروا اليك إلى الحجاز على انهم ان رجعوا وانقطعت عنك أخبارى قتلوني وأهلكوني وان أربعة من أصحاب يانس نظروا إلى صلاتي فى هدو الليل ومابي من الضر والوبل فهربوني وقصدت إلى هذا المكان أموت فيه فان شئت ان تقتلني فانت فى حل من دمى فمابقي لى فى الدنيا من

حاجة فقال الرشيد للفضل ايش ترى فى هذه الفعال ماأقول أن هؤلاء مسلمين فقال الفضل يامولانا ان قتلهم كان حلال ولا آمن عليك من هذا الشيطان الذى مالك عنده اسم إلا أبا راشد فلو قدرت عليه وضربت رقبته لكنت خلصت من عاقبته لانه ينظر اليك بعين النقص انك كنت أسيره فقالت زبيده نعم وتقتل عبد الوهاب معه وأبو محمد البطال وقد صفت الدنيا لك ولا تبالى بعد ذلك ماجرى فى الأرض فقال الرشيد أما ظالم فلا بد من قتله وأما عبد الوهاب فلا بد ماأتركه فى السجن مدة زمانيه ولا أقتله لاجل خدمته الذى سبقت (قال) فهو فى هذا الكلام وإذا بجوهر قد دخل عليه ووجهه أصفر فقال يامولاى ان أهل بغداد على باب القصر وقد وقع الحصر والحرب والقهر بين بنى سليم والسبب فى ذلك أن الأمير ظالم نزلت عليه فى المكان الذى هو فيه نائم خمسين رجلا منهم عيارين بغداد وعشر من بنى سليم ولم يكن عندد سوى غلام واحد على باب الدار وباقى عبيده فى المضارب وانه فطن بهم حتى صاروا فى المضاربه وجذبوا السيوف وتواثبوا عليه فوثب عليهم وصاح بهم ولم تكن الاساعة حتى قتل خمسة وأربعين منهم وسمع الأمير عبد الوهاب الصوت فقصد اليه وإذا بالأمير عمرو بينهم وسائر العرب وإن الأمير عبدالوهاب أخذ الخمسة الذين من بنى سليم وقال ونعمة الخليفة لئن لم تخبرونى من أين لكم هذا الأمر لاضربن أعناقكم فقالوا مالنا نحن فى هذا الأمر حبة واحده ولكن الكل من عند الأمير عمرو بن عبيدالله والفضل بن الربيع وقوم منهم فلما سمع الأمير عبدالوهاب ذلك أقبل على الأمير عمرو وقال له لقد حرت فى أمرك ياعمر وهب لى أرعالك ما بيننا وهذا ولدى ظالم مايحملك على مثل هذا والله ما آمن عليكم بعدها منه فلما ان سمع كلامه جعل يحلف له إن ماعنده خبر من هذا وان ظالم قبض على الأمير عمرو وقد سأله الأمير عبدالوهاب فيه فلم يفعل وقد حبسه عنده فى الدار وقد عول على قتله فى غداة غد والناس قد رجعوا إلى القصر ايستغيثون إليك قبل أن يفرط فيه الفرط فلما سمع الرشيد كلامه وثب قائما ووثب الفضل بن الربيع معه وقد صار وجهه مثل الزعفران وقال يامولانا ماأبرح من القصر هاهنا وان وقعت عينه على مايبقى على وكان الفضل علم أن له فى هذا نشب لأن هذا الأمر كان معمول من الأمير عمرو ومن الفضل بن الربيع ومن زبيدة برأى عقبة لأنه قال لهم ذلك وحسنه اليهم وقال لهم هذا فيه خير يؤمن عاقبته وإنى قد خلصتكم من سيف الحنيفية وما ترجعون تروه إلا عند الصراط فتقتلون أنتم ظالم وقد ضعفت قوة عبد الوهاب وأنا أدبر لكم على هلاكه من ألف باب فاوزنوا المال للعيارين وسيروا معهم العشرة من بنى سليم الذين ليس لهم دين ولا مروءة وجرى ما جرى فعندها قال الرشيد لغلمان الدار والمماليك وكانوا أربعة آلاف غلام اخرجوا إلى

الأمير عبدالوهاب وقولوا له إن الرشيد قد سمع إلى تلك الضجة وقد عظمت عليه وكبرت لديه وهو يحمد الله على سلامته ويشكره إذا لم تمكن عدوه منه وهو نائم وهو يقول الك أدخل أنت والأميرة ذات الهمة وسائر أمراء بنى كلاب وأمراء بنى سليم حتى تنفصل هذه النوبة بينكم ويجازى كل من أراد الأمير ظالم بسوء على فعله فخرجت الغلمان كما أمرهم الرشيد فهو ذا جرى هنا (ياساده) وكان السبب فى خلاص عقبة أمر عجيب وحال غريب وذلك أنه لما سلم الأمير عبد الوهاب الملعون عقبة إلى سيف الحنيفية ووجه معه خمسين فارس كما ذكرنا وقال له ياولدى خذ هذا الشيطان عقبة وأوصله إلى الأمير نافع الى حصن الكوكب وقل له يزيد فى هوانه إلى أن أمضى وانظر مايكون من الرشيد فى أرض الحجاز فما هؤلاء إلا فى أمر عظيم وحال جسيم فقال سمعا وطاعة وقال يابنى كن على حذر من هذا الشيطان ولا تستصغر شره فهو الذى قد جعل فى قلب أبيك وفى قلب كل مسلم حرارات لاتوصف فقال له طب نفسا وقر عينا فسوف أضربه ليلا ونهارا ولو لقينى الرشيد فى عساكره ودساكره لما قدروا ان يخلصوه منى ولا من يدى فدعا له الأمير عبدالوهاب وانصرف سيف الحنيفية وعقبة معه ورحل الأمير عبدالوهاب وانصرف سيف الحنيفية إلى ماذكرناه (ياساده) وكان بين ملطيه وبين الموضع الذى قصده ثلاثة وعشرون يوما وفى اليوم الحادى عشر جعل روحه ضعيف أيام لا يأكل ولا يشرب حتى تيقن أنه هلك ونتن فمه وكان قد أخذ من ورق يعرفه ورقة فأكلها فانسهل جوفه حتى بقى لا يستطيع القيام وأيس سيف الحنيفية وقال مايصل معنا هذا الملعون وان فى قلب أبى حسرة إذا لم يبلغ منه مراده من صلبه على باب المذهب كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يتلطف به ويدور حواليه وإن عقبة الملعون لما علم مابقى بينه وبين حصن الكوكب غير يومين قال فى نفسه ان أنا حصلت عند نافع فمالى من خلاص أبدا ولا أنجو من الهلاك والردى (قال الراوى) ونزلوا فى وادى وأوقدوا النار وكان الأمير سيف الحنيفية قد اصطاد فى طريقه من الوحش شىء كثير وجعلت السودان يشووا على النار ويأكلوا وقد عجنوا لهم عجين وخبزوه على طريق مكة فكان عقبة فى ذلك اليوم والوقت فتح عينه الصحيحه وجعل ينظر اليهم فقال لهم اسقونى قليلا من الماء ففرحوا بسلامته وأتوا بالقربة يشرب فشرب منها شىء يسير ثم طرح فيها من سم الأفاعى مضافا اليه الذى تسميه أهل الهند بحر الهلاك والعوام يسموه سم ساعة (قال الراوى) وقد وجدنا فى كتاب الأحجار وخصائصها هذا الحجر تعمل منه الملوك فصوص لخواتمها فاذا جرى لأحدهم أمر من شدة وأراد قتل نفسه مص ذلك الفص فيموت لوقته وساعته وان القوم أخذوا من ذلك الماء وعجنوا منه الدقيق

ولم يعلموا أن الأجل قريب وأن الأيام تتقلب ثم انهم خبزوه وكان معهم السمن والعسل من بلاد الروم فصبوا عليه وعرب جياع فاكلوا منه فما استقر الطعام فى أمعائهم حتى نظر بعضهم لبعض نظر مودع وجعلوا ينظرون إلى عقبة وقد فات فيهم الأمر وبعد ذلك فما قدر أحد منهم أن يرفع يده حتى تقع من كتفه فهم ينظرون إلى بعضهم بعضا ودموع الحسرات على الوجنات وقد تحسروا على أهاليهم والقرابات والبنين والبنات فهلكوا الخمسين إلى رحمة الله تعالى أما سيف الحنيفية فانه وقع على وجهه والسبب فى ذلك أنه كان قد شبع من لحم الوحش وهو على كفاية منه فاقتنع من أكل الطعام وهم يحلفون عليه فأكل لقمة صغيرة فما استقرت فى أمعاه حتى نزلت حواجبه وأجفان عينيه ولحم خديه وطلب أن ينهض فلم يقدر أن يقوم على قدميه من الرعدة والارتعاش فوقع على وجهه لا يدرى فى أى أرض هو أو فى سماء فلما رأى الملعون ذلك وثب كانه ثعلب ودنى من لحم الوحش فاكل منه حتى اكتفى وجعل يقلب الرجال الموتى ويضحك ويقول يا بردها على كبدى وليت كان الأسود عبد الوهاب فى الجملة ولكن أنا وحق المسيح لو كان يدعبد الوهاب فى يد محمد بن عبد الله لا بدلى من هلاكه ولا بجدله سبيل إلى فكاكه ثم أنه دنى من سيف الحنيفية ونظر اليه وهو فى آخر نفس والروح فيه تتردد فقال وحق المسيح ان كنت أشتهى على المسيح أن يهب هذا وأذيقه القتل بسيفى وهو يرانى ثم سل سيف الحنيفية على الجمل الذى كان عليه راكب وركب هو على الخيل الجياد وساربه وخلا الرجال والسلاح وسار يقطع الأرض وقصد إلى دير مريحنا المعمدان فخرج اليه الراهب وكان اسمه جرجيس فكاد يطير عقله فرحا بقدوم عقبة لعنه الله وقال يا مولاى لقد من المسيح على حيث بعثك الى عندى وأنت رحمة فى أرضه على عباده فقال دعنى الساعة من المدح فلقد سلمت من الهلاك فى هذه النوبه وأعاد عليه ما جرى له مع القوم فتعجب من ذلك وقال الحمد للمسيح على سلامتك ولو مت كانت الأرض لم تخضر بعدك بالنبات من الاحزان فمن اليوم تصير خضرا من الفرح وشدته وما هذا الذى معك فقال هذا فرخ الأسود وهو أشد منه فخذه واطعمه فى كل ثلاثة أيام قرصة من الطعام وان هلك فارميه للكلاب فما يمكننى المقام معه عندك فانى أريد أن امضى إلى العراق وأدخل على السيدة زبيده وأغتنم غيبة الرشيد وعساكره وأصلح أمرى معها حتى تصلحه مع الرشيد ويتم لى ما أريد من تدبيرى على هلاك المجاهدين قال له الراهب المسيح يأخذ بيدك ويبلغك كلما تريد ويجعل حكايتك كل يوم تزيد (قال الراوى) وان عقبة رحل من عند الراهب بجد السير إلى أن وصل إلى حلب وأخفى أمره فيها فزعا من أبو محمد البطال فبقى فيها شهرا كاملا ثم سار إلى الرقة فى زى جمال كبير السن وأقام فى فندق الرقة يظهر أنه مريض شهر ومعه غلام اسمه العقاب

وكان مقيم فى حلب لوقت الحاجه اليه وكان ماأحدا يعرفه أنه غلامه فلما أتى إلى حلب فى هذه النوبة أخذه معه إلى الرقة وقال له امضى إلى ملطيه وخذلى أخبار الأسود وذات الهمه وأخبار أبو محمد البطال وخبر ولدى معقب هل هو فى ملطيه أم فى بغدادواحترز ان يراك البطال يقضى عليك فقال أنا أسير فى هذه الساعة فقال عقبة فانى فى انتظارك وانى على عجل من أمرى فسار الغلام من يومه وقطع الأرض إلى ملطيه وسأل عن الأمير عبد الوهاب فقيل له فى أرض الحجاز وما هو إلا قد هلك فى مقابلة هذا الخارجى وسأل عن أبى محمد فقيل له هو فى ملطيه وهو مشتغل بالملكه نورى وهو فى هذه الأيام معول على الحاج وهى معه فانها أسلمت وحسن إسلامها وسأل عن معقب فقيل له هو فى بغداد فعاد الغلام اليه وأعاد عليه ذلك فضحك وقال هذا من تمام السعادة ثم أقام إلى أن وصل خبر أبو محمد أنه قد وصل إلى بغداد وهو طالب الحجاز فرحل عقبة إلى نصيبين ثم إلى الموصل ثم إلى بغداد بعد رحيل أبو محمد البطال إلى الحجاز فدخلها وأرسل إلى زبيده وشرح لها حاله وما أصابه وأكثر فى مكانه حتى بكت رحمة له ووعدته أنها تصلح له قلب الرشيدوقالت له لابد مايقلبون قلبه عليك وربما يشهدون الملوك عليك كما شهدوا عندى وأنه إذا علم صدق باطنك يدفع عنك الأسواء وأقام عقبة فى أحسن مقام إلى أن وصل الامام وعساكر الإسلام وشكاله كما تقدم ذكره ولما خرج عمرو بن عبيد الله من مجلس أمير المؤمنين (وعدنا إلى سياقة الحديث) وإن عمرو دعا اليه بخمسين عيار من عيارين العراق وقال لهم قد جعلت لكم خمسة آلاف دينار ذهب فقالوا له وما نصنع فقال تنزلون الليلة على دار ظالم فانه قد نزل بزوجته منفردا عن عسكره وليس معه فى الدار أحد وعبيده كلها ظاهر الخيام فى البلد فان نزلتم اليه فقطعوه بالسيوف واصعدوا من موضع جئتم وتعالوا إلى دارى ولا يعلم بكم أحد فانى أعطيكم الخمسة آلاف دينار ثم نزل بالمال بين أيديهم فلعب المال بعقولهم وأنهم صبروا إلى الليل وطلعوا الى دار ظالم وطلع واحد منهم ينظر ان كان ظالم نائم أو يقظان فرفع رأسه فرآه فقال هذا لص يريد يسرقنى ومالى ويتطلع على عيالى وكان نائما على ظهره فغمض عينه الواحده وفتح الاخرى والسيف إلى جانبه وعند رجليه وعند رأسه شمعة توقد فرموا بحجر بعد حجر ثلاثة أحجار فلم يتحرك فأيقنوا أنه نائم فلما حصلوا فى الدار تقدم واحد منهم إلى الشمعة طفاها فوثب ظالم وأخذ بيده الصارم وجعل ينثر منهم الجماجم حتى قتل منهم خمسة وأربعين رجل وانهزم خمسة وفتح الباب ودخلوا غلمانه فوجدوا الرجال صرعى وفيهم رجل فيه جرح غير قاتل إلا أنه قد أوهنه عن القتال فنظر فى وجهه وإذا به الامير عمرو بن عبيد الله

(قال الراوى) وكان هذا التدبير برأى عقبة اللعين وذلك أنهم لما تحدثوا عند الخليفة بالحديث الذى ذكرنا قال له عقبة إذا أنت قتلته أو أخذته كانت لك اليد البيضاء عند الخليفة لأنه قتل عساكره وتكلم فى حقه بالكلام الشين ولولا عبد الوهاب لكان الأمر بخلاف هذا ولا يأمن الخليفة هذا ولا يشتهى أن يراه فبيض وجهك بما ذكرت لك (قال الراوى) ولما رتب الرجال وزن المال فدخل عليه عقبة وقال على ماذا عوالت فقال على ارسالهم فقال عقبة يبقى كل واحد منهم يقول أنا الذى أخذته فما هو صواب ولكن كن معهم فاذا قتلوه فانك تقول ياأمير المؤمنين أنا الذى قتلته ويكون رأسه معك وأكون واقف فأنا الذى آخذه منك وأدرى ما أقول بعد ذلك قال فخرج عمرو معهم وما خرج قط فى اللصوصية إلا فى تلك الليلة فما ربح فيها إلا ذلك الجرح الوثيق وفضيحته عند الناس برأى ابن عمه الشيخ الصالح عقبة أبلاه الله بنكبة فلما نظر ظالم إلى عمرو عرفه فقال له والله انه كان ينظر إلى نظرة عدو ولكن لو كنت لما أسرته فى الحجاز كنت ضربته وأرميت عنقه كان صواب (قال الراوى) وإن ظالم ادعى ببعض عبيده وقال أخرج الساعة إلى عبيدى وغلمانى الذين فى الحجاز وتقول لهم يضعوا السيف فى بنى سليم وينهبوا خيامهم فمر العبد كما أمره إلى سودان الأمير ظالم وأعلمهم بما قال فما كانت إلا ساعة حتى نهب خيام بنى سليم وقتل منهم جماعة وكان أكثرهم فى البلد فى الضيافات فارتفعت الضجات وركب الأمير عبد الوهاب فى بنى كلاب وأتى إلى الأمير ظالم فوجد عنده عمرو أسير وهو مجروح ووجد القتلى مطروحين فسأل عن ذلك فأقبل الأمير عبد الوهاب على عمرو وقال له أيها الأمير ما كان هذا خيرا ونأمنك قال فسكت ولم يرد جواب وبلغ الرشيد الخبر وكان عقبة حاضر فقال يامولانا هذا وهم فى بغداد وقد بان لك ما فى أنفسهما من العداوة وقد أخذ عمرو من داره مسروقا بحيلة البطال وقتلوا جماعة من الأقوام وقالوا هؤلاء عيارين وقتلوا عمرو وهم يقولوا إنه ظالم لظالم ونهبوا الخيام وقتلوا خلقا كثيرا من بنى سليم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لقد هانت عندى مصيبتى بعد ماجرى لسيدى عمرو هذه المجرى فلما سمع الرشيد هذا من عقبة عظم عليه وكبر لديه ثم بعث الحجاب إلى ظالم وعبد الوهاب وقال ان الخليفة قد أقسم بالله إن لم تخلوا عمرو من أيديكم وإلا فما يجرى لكم خير هذا وأنتم فى بغداد تحكمون بأيديكم وتعلمون المقاليب على الناس وقد ثبت عندنا وعند قضاة المسلمين انكم سرقتم عمرو من داره وقد قتلتم هؤلاء من عوام الناس وقلتم انهم عيارين ولو أراد أن

يقدر بكم لكان له من بنى عمه وعيرته ما ان يكبسكم بهم ويقتلكم فى الطريق فلما أتوا الحجاب إلى ظالم زعق عليهم وقال لهم ياويلكم ارجعوا للخليفة وقولوا له من يخلص عمرو من يدى ومن هذا الذى ينقذه من العذاب فرجعوا الحجاب وقد طارت عقولهم من خوفهم من ظالم وقالوا له إن الله قد دفع عنك شرهم فاجعل شكر ما أنعم الله عليك من السلامة أن تطلق الأمير عمرو من يدك إكراما للسلالة النبوية واجعله على سبيل الشفاعة وقصدنا تخمد هذه الفتنة فقال لهم ظالم مالى من يفصل بيننا إلا هذا السيف الذى فى يدى وها أنا الساعة أضرب رقبته وبعد ذلك آمر سودانى يحملوا على بنى سليم فلا يبقوا منهم أحد وانى لا أترك من يحكم على غيرى ثم صاح بأعلا صوته يامدلاج فأجابه لبيك فقال له نادى سائر العرب والعبيد (قال) فلما سمع مدلاج كلام مولاه قال يامولاى الكل قيام يسمعون كلامك (قال الراوى) ثم قال مدلاج ما الذى تريد قال خذهم وسائر العبيد واخرج إلى مضارب بنى سليم وقد أبحتكم دماءهم وأموالهم فقالوا يامولانا يجرد الخليفة علينا فقال ماعلى من الخليفة فامضوا ولا تكثروا الكلام فأنا آخذ الخليفة وأربطه فى وتد من أوتاد الخيام وأما عبدالوهاب فلا أسمع له كلاما أبدا ولا أبالى بأحد من الانام فقال عمرو لما سمع هذا الكلام ياقاضى عقبة لا كفاك الله رزيه كما أوقعتنى فى هذه القضية (قال الراوى) وزجرت السودان ثم برزت الحبشان وقصدوا مضارب بنى سليم كأنهم الغيلان فهربت منهم الرجال وأخذوا ما كان فى المضارب من المال وبلغ الخبر إلى الرشيد فلم يقدر أن يركب فقال للفضل بن الربيع اركب إلى هذا الشيطان فلم يقدر أن يخالفه فلما نهض قال له الرشيد الساعة أخمد هذه الفتنة وانظر كيف تتلافاه وتعمل هذه القضية فقال يامولاى السمع والطاعة فركب الفضل وسار هذا والأمير عبد الوهاب وسائر بنى كلاب فى قلوبهم النار لأجل ظالم لا يأخذه الرشيد فى هذه القضية فيقتله لأن قلبه عليه ملآن وأرسلت القناصة إلى عبد الوهاب تقول هكذا فعل الآباء مع الأولاد يسلموهم إلى الأعداء ويتخلوا عنهم فأجابها الأمير يقول إن مخالفة من أمرنا الله بطاعته معصية وما كنت لأجل الولد أعصى الفرد الصمد وقد أشرت عليه أن يسلم هذا الرجل الى الرشيد فاسمع منى وأنه أيضا ماثبتت عليه بينة أنه هو الذى دبر هذا التدبير وربما ان الذى دبر هذا القول وفعل هذه الفعال أرادوا أن يلقوا الفتنة بينكم وبين بنى سليم ويكون ذلك سببا لاثارة الفتنة وانقطاع المجاورة وبعد ذلك فان الرشيد لا بد له من أن يكشف هذا الحال ويوصل كل واحد حقه فلما وصلت الرسالة اليها والفضل قدهجم الدار على ظالم ومعه غلمان الدار والرشيد قد أمر أن يدبروا الدروب حتى لايكون له سبب الى الهرب وانتخب احداث

العراق ممن يدعى الشطاره وقالوا لاتتركوا هذه الشلوح يغلبونا وطلعوا على أعلى الاسطحا وصاروا يضربوهم بالحجارة ولا سبيل الى مجاز ولا فسحه كانهم فى قفص وزحف الى دار ظالم مقدار مائة ألف مدرع وراجل والأمير ظالم فى عبيده فقط هذا وعقبة قدستروجهه وهو معهم قاعد فى المنظره مع الرشيد ينظر مايجرى ويقول والله يامولاى مالى قلب أن أذبح عصفور ولقد كنت أشتهى أن أذبح هذا الملعون وأستحل قتله وأشرب دمه والعشرة آلاف عبد الذين معه أصلب الكل على شاطىء الدجله من الجانبين فلما سمع الرشيد كلامه قال ياقاضى لقد فعل هذا فى حق مالا أقدران أصفه من الاخراق والاسر والهوان وأرانى فى نفسى العبر فلا ستر الله عليه وكان يخرق بى وعبد الوهاب يسمع ولا ينكر عليه حد الانكار فقال عقبة ياسبحان الله كانك فى شك من نفاق عبد الوهاب وفعاله وقعوده فى هذه النوبة وأنه لايمكنه المشاقفة فى كل الاوقات لانه يعلم أن هذه اولدلة منصورة ولايقدر أن يكشف حجاب العار والفضيحة والشنار وأنه يلقى بكل لسان ويقول فى حق كل قبيح وأنا لاأواخذه ولا أدعو عليه وكلما أراه بعض الأوقات أدعى له بنصح من قلبى لانه ينصح فى حق مولانا ولا يفعل هذا الا رياء

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وان ظالم لما رأى العساكر قدأحدقت بعبيده صاح مدلاج ويلكم ماهذا التربص ثم نزل من الدار كانه شعلة نارهذا وقد نظرت القناصة الى انفرد ظالم وقد تخلف عنه بنى كلاب مع الأمير عبد الوهاب فلم تجد الصبر عن ولدها ثم حملت بعدان تحزمت وتلثمت واشتملت بآلة الحرب وهمت رقحمت وطحنت الرجال وجندلت الأبطال وكسرت الافيال ونادت يا بنى حام يالون الظلام اسقوهم كؤس الحمام وأذيقوهم الموته الزؤام فاهم الا أوباش العوام فلما سمعوا السودان ذلك من كلامها صاحوا صيحة الاسود الضوارى وصدموا الناس صدام مامثله صدام وطلع الغبار من تحت الاقدام حتى عاد النهار مثل الظلام فغلقو الهام وهشموا العظام وبرئت المعاصم والأبدان وترجلت الاتراك فى عشرة آلاف بالنبال فعطبت من السودان رجال فلما نظر ظالم إلا ذلك صاح ورما بنفسه فى وسط الاتراك وسقاهم شراب الهلاك وهجمت القناصة معه وكذلك مدلاج والبجوج وعبيده الحبشان ولم يبق غير الصدام والضرب بالحسام هذا والأمير عبد الوهاب على غاية من القلق والبطال يقول له والله ماهذا صواب بأن تكون القناصة زوجتك وقد حملت وكذلك ولدك ظالم وتقعد عنه وتسلمه للاعداء وهوان سلم لايرجع يسلم عليك أبدا وهو موضع الغضب وتكون أنت فى ذلك السبب فقال الأمير عبد الوهاب دعنى ياأبو محمد أصبر على نوائب الدهر لعل الرشيد يستحى من فعاله فقال أبو محمد هذا

مايعمل معه الجميل ولا يرعا لا كثير ولا قليل ولو أراد أن يفصل ذلك لماتركته الاعداء والحساد وأهل البغي والفساد ووقع العالم بعضهم على بعض وتواقعوا على وجه الأرض وتفرقت العوام منهزمة وهي متحطمة حتى وصلت غلمان الدار إلى القصر وقد أثخنوهم بالجراح وشطبوهم بالصفاح وجعلوا صباحهم أيشم صباح وقال ظالم لاصحابه دونكم وهذه الدار الواسعة الفناء العالية البناء حتى نأخذ أباراشد منها وأحرمه يشم نسيم الهواء فلما سمعوا العبيد ذلك قصدوا إلى القصر من كل جانب وضاقت على الرشيد المذاهب وقال للقاضى عقبة ياقاضى ماهو كثير يهجموا على وأقع مع هؤلاء الاباليس فما كنت أرجع أبصر العافية أبدا وقال عقبة فى نفسه ما كان بجيئى إلى بغداد الاعدم اسعاد لان الانسان يساق إلى أجله كما يساق إلى رزقه ثم ان عقبة قال الرشيد يامولاى الحرب خدعة وما لهذا الملعون غير الخديعه أرسل الساعة إلى عبد الوهاب خاتم الامان والامير ظالم وتقول له قدجاءت أمر الأمير عمرو بن عبد الله اليه فليصنع به مايريد وما لهذا الأمر غيرك قبل أن يخترق ناموس الخلافة فى العراق وتسمع سائر الآفاق وتنسب أنت إلى البغى والنفاق وماأعرف هذا الأمر إلا منك والسلام (قال الراوى) ففعل الرشيد ذلك وأرسل إلى عبدالوهاب ذلك الخطاب فقالت الأمير ذات الهمة ماالذى ترى من الرأى فقال ماأعلم وقد حرت فيما أعمل فقالت الاميره أنا أمضى إلى الأمير ظالم وأكلمه بما يعود فيه الصلاح ان شاء الله تعالى فقال أبو محمد البطال والله لوان فى رؤسكم عقل ما كنتم تدخلون فى هذه القضية بحرف واحد حتى يملك ظالم القصر ويفعل مايريد ويأخذ الرشيد وتفعل أنت بعد ذلك ماتريد فقال عبد الوهاب ماهذا صواب من ثلاثة وجوه أحدها اخراق هيبة الخلافة فى العراق وخراسان والثانى أن يتولد بغضة ولدى ظالم فى قلب الرشيد والثالث خوفا من الله تعالى أن نعادى خليفة الله بالعصيان وهذه شورة ماأريدها فقال البطال أنت جبته لى حديث البغضا فقد صارت فى قلب الرشيد من وقت كان يصبح به ظالم ياأبا راشد

(قال الراوى) وان الاميره ركبت والأمير عبد الوهاب معها وسائر بنى كلاب حتى وصلوا إلى باب القصر الذى فيه الخليفة فوجدوا ظالم حول القصر ومعه أبطاله وعبيده وقد غلقوا باب القصر فى وجه الأمير ظالم وهو كانه الاسد الهاجم فأقبل الأمير عبد الوهاب اليه وسلم عليه فلم يرد عليه السلام وقال له اذهب والا وذمة العرب مكنته منك هذا السيف فقال الأمير عبد الوهاب يابنى لاتعتب على وأقبلت الاميره ذات الهمة وكان يرى لها ويوقرها فتقدمت اليه وضمته إلى صدرها ولم تزل تمسح أعطافه وتكلمه باللين من الكلام حتى مضى مابه من الغضب ثم قالت له أيها الأمير ارجع إلى دارك فقد بان

لى هذا العمل ممن هو وسوف نأخذ حقنا بأيدينا ثم ألوت عنان فرسه وسارت طالبة الدار واجتمع الرجال حولها فعندها قالت اعلم يابنى أنه ماخلا جسد من حسد فالكريم يخفيه واللئيم يبديه وكل من يحسد الأمير عبدالوهاب مايحسده الا عليك وماهذه أول فعلة فعلوها مع أبيك ولاسيما عمرو بن عبيد الله وانه لابيه علينا حقوق ليس تنهض ان تقوم بها ونحن نرعى له الوداد القديم وأيضا فان الله تعالى قدفرض علينا طاعه هذا الخليفه ولا نعصيه ولكن نسير كلنا إلى الخليفة فاما أن يوفيك حقك واما أن يسلبك من هذا الذنب ولا تعود إلى مثلها والرشيد قد أرسل اليك خاتم الامان وهذه العلامة أمان على نفوسنا فلما سمع كلامها قال لها ياستاه لا أعصى لك قولا ولو أمرتينى أن أقتل نفسى لفعلت ذلك ثم نظر إلى غلالة الرشيد وهى من عمل انطاكية غزلها كل مثقالين ذهب والغلالة كلها ثلاث مثاقيل فقال ظالم وما كان عنده ثوب جديد نضيف صحيح حتى أرسل الينا هذا الخلق المهلهل فضحك الامير وأرسلوا إلى الرشيد يخبروه بأن الامير ظالم قد انصلح وانهم غدا يكلفونه إلى أن يطأ البساط وأن يتوب مما فعل ففرح الرشيد فقال عقبة يامولانا ان أردت القبض عليهم فنكون الرجال من الليل مستعدين لذلك فان قبضت عليهم وتلك المرأة نلت المراد ومسرة الفؤاد فقال الخليفة ياقاضى أنا متفكر إذا قبضت عليهم كيف يكون حالنا مع السودان الذين مع ظالم وبنى كلاب فاقول أنهم يصبرون عنا ساعة على ذلك ويخربوا البلد فقال عقبة يامولانا إذا قبضت عليهم ورجعت السودان فى طلبهم فأمر من ينادى فيهم يقول وحق الأئمة الراشدين لئن لم تخرجوا من العراق لاضربن منكم الاعناق وإن أنتم رحلتم فما نؤاخذكم بما فعلتم فان حلوا عن بغداد فقد نلت المراد من هؤلاء الاضداد الذين بارزوك بالبغى والفساد (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمة عولوا على أنهم اذا أصبح الصباح يدخلوا على الرشيد فلما تنصف الليل وإذا بالباب يدق فخرج الغلام وعاد يخبر بأن البطال على الباب فى هذه الساعة فقال الامير والله ما أتى البطال فى هذه الساعة الا لامر عظيم ثم فتحوا الباب ودخل البطال ووجهه مثل الزعفران فقال له الامير عبد الوهاب ماالذى أتى بك فى هذا الوقت ياأبو محمد فقال انى أحببت أن أسألك كيف شوقك الى عقبة فقال عبدالوهاب لاذكره الله بخير وكيف جاء ذكره على خاطرك فقال البطال دع البغى واعلم بأنك تريد تقيم العزاء على ولدك سيف الحنيفية وان كان لك نخوة فأنت تأخذ الثار من خصمك فافعل واحفظ نفسك فهو أصل الفتن فقال الامير وقد طار عقله لما ذكر سيف الحنيفية اكشف لى باطن هذا الامر على جليته فقال البطال اعلم انى دخلت إلى سوق الثلاثاء فرأيت رجلا يقال له العقاب وأنا أعرف أنه غلام عقبة وهو مقيم فى حلب وما دخل

قط الى بغداد الا وعقبة معه وماحرض الرشـيد علينا الا عقبة وماتم على الامير ظالم هذا الامر الا من تحت رأسه وما دخل عقبة الى هذه الديار الا وسيف الحنيفة قد هلك فقال عبد الوهاب ماأظنك بعد كلامك هذا عاقل جئت تتكلم على الظن هيهات أن ينجو عقبة من هذا القشعم الشديد (قال الراوى) وبات الامير الى الصباح فلما أصبح الصباح قال له أبو محمد على ماذا عولت ياعبد الوهاب قال أدخل على الرشيد وأصالح الامير ظالم معه فقال البطال ماأنت عمال الاعلى الصلاح والرأى عندى أن ترحل الى ملطية وظالم معك وترسل الى الرشيد وتقول له قد أجبنا قولك وأطلقنا عمرو لاجلك ونحن نمضى الى ملطيه لنكون فى وجه الاعداء فان كان لك حاجة أو خدمة بادرنا اليها ويكون ظالم قد تعلم الادب ومايدخل عليك الا وقد تعلم جميع الآداب وعلم مخاطبة الحضرة النبوية فقال الامير عبد الوهاب لعمرى ان هـذا نعم الرأى ولـكن قلبى يحدثنى ان الرشيـد مايريدنى بسـوء بعد ماتقربت من بلاد الروم من أجله وتبعته إلى أرض الحجاز وعملت معه ماأنت تعلمه ولا بدلى من الدخول عليه وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد ثم ركب الأمير عبد الوهاب والأمير ظالم والأميرة ذات الهمة والعبد مدلاج والعبيد تحجبه يعنى الأمير ظالم وقد أرسل لهم الرشيد البغلات بالمراكب الذهب والغلمان دائرة حولهم ونظر الأمير عبد الوهاب إلى اكرام عظيم وما زال سائر حتى وصل إلى باب القصر ودخل ودخلت معه الأميرة فلما دخلوا إلى الباب الأقصى وثب الخادم وأخذ العدة من أيديهم وهى عادة من يدخل على الرشيد

(قال الراوى) وكان الأمير أبو محمد البطال لم يدخل معهم لأنه حسب الحساب وكان صحيحا فلما حصلوا بين يدى الرشـيد خرج عليهم أربعة آلاف غلام ترك بالسيوف الصقال والعمد الثقال وهؤلاء بلا عدة وصاح الخادم إلى الأمير عبد الوهاب إن كنت سامعا مطيعا فاستسلم فإن الخلافة لها حقوق وأنت أخبر الناس بها فعند ذلك قال الأمير عبد الوهاب السمع والطاعة وأخرجت القيود ووضعت فى أرجل الامراء والامير بعد هذا كله مستحى من الرشيد ويقول مايعمل هـذا إلا إقامة ناموس ولم يبق أحد إلا ووضع الخادم فى رجله القيود وأنه دنا من الامير ظالم يريدأن يقيده فعند ذلك وثب ظالم وثبة الاسد ولـكنه طاير مخه وصاح الرشيد بخادم آخر اسمه نجاح ويلك قيد هذا الشيطان فقال يامولاى هذا بغل شموص ما يقبل شكال ولـكن أبصر له غيرى فصاح الرشيد لغلمانه ياويلكم خذوه وبالسيوف قطعوه فقال ظالم صدقت يا أبا راشد لما كنت مربوط فى الخيمة ليس ما افتكرت هذا ولـكن هـذا كله من فعال الشيخ العادم عقله عبد الوهاب وهو يستحق أكثر من هذا إلا أنه اذا كان فى رأس الاحمق خاط مايهدأ

الا باللطم الكثير فدعه يذوق وبال رأيه المعكوس (قال الراوى) وتكاثرت عليه الرجال وكل من تقدم اليه طرده وضربته الرجال حتى سال دمه وانه هجم على بعض الناس وكان ديلميا ومعه طبر وترس فلكمه فى رقبته طرحه على الارض يضرب بيد ورجل وأخذ الترس والطبر منه وقد جرح فى ذلك الوقت أكثر من سبعة جروح ونظر الرشيد الى ظالم وقد أخذ الطبر والترس فوثب من على السرير منهزما ودخل بيت الحريم فأطبقت عليه الرجال وأمر الرشيد أن يغلقوا الباب الذى للقصر وسدوا عليه الطرقات من كل جانب وعملت القواضب وتثلمت المضارب وعاد النهار مثل الغياهب وصعدوا الناس فوق السطح بتاع القصر وجعلوا يرموه بالحجارة وهو مثل الاسد الضارى فأخذته السهام من كل مكان وان ظالم ضرب بعض الاكراد بالطبر فأخذها فى الطارقة فاشتبك الطبر فى الطارقة فجذبه الامير ظالم بقوته فطلع معه الخشب بغير حديد هنالك طمعوا فيه ورموا نفوسهم عليه فأخذوه قبضا باليد فخرج الرشيد وقد كتفوا الامير فجعل يضربه بالسوط الذى معه والامير عبد الوهاب ينظر الى فعاله والاميره ذات الهمه ومدلاج العبد وهارون العلوى ومالك بن بشر وراشد بن ضمرة وهياج الكردى ومالك بن طوق ومدركه وسعيد بن الفرج وقرقود وقراقد وضيغم وقشعم أولاد الامير وابراهيم وخيثم ابن دارم وصعصعة ابن المسيب والامير عطاف وتمام المائة أمير من وجوه بنى كلاب أبطال أقيال الذين ليس لهم مثال فى سائر الآفاق المجاهدين فى الاعداء إذا ضاقت الاسباب الناصرين لدين الملك الوهاب (قال الراوى) ياساده يا كرام هذا وقد وقع الصوت فى عسكر بنى كلاب وعسكر الامير ظالم وبلغ الخبر الى القناصة فانقلبت عيناها فى أم رأسها وعظم عليها وكبر لديها وركبت وقد صحبت العبيد وزجرت الصناديد من كل جانب ومكان وقالت القناصة قد حذرنا من هذا الامير أبو محمد البطال ولكن سوف ينظرون على من يرجع الوبال (قال الراوى) ياساده يا كرام وقد طير الطيور الى سائر الآفاق بأمر العساكر ان لايتخلف عن العراق أحد (قال) وكان قد فتحت خراسان وذهبت الثلوج فسارت العساكر اليه من كل جانب ومكان وأما القناصة فانها قالت لعبيدها امسكوا أيديكم حتى آخذ رأى أبو محمد البطال لقد قال لهم عن هذه الاشياء وخرجت من بغداد والعبيد كلهم من حولها فوجدت بنى كلاب كانهم غنم بلاراعى والملك الكندفرون والملك البطليموس وأصحابهم قد تعجبوا من الامر وقالوا كيف يفعل فى حق الامير عبد الوهاب هذه الفعال وأنه والله له من الاقطاع مايكفيه فوالله ان تخلص من هذه النوبة وأراد السير الى ديارنا ارجعنا وطيبنا هذه الديار أبدا ونفتح الارض بقوائم سيوفنا ونكون فيهامقيمين إلى أن يفرق

بيننا الموت المفرق بين الاحباب وقالت القناصة لبنى كلاب لاتحملوا على قلوبكم إذ عدمتم الاميره فأنا عوضها وسوف ترون مايسركم وأنتم أصبتم فى أميركم وأنا أصبت فى ولدى ولا بد لى ماأزحف الى القصر وأرمى حجارته الى الدجله (قال الراوى) فهى معهم فى الكلام وإذا بالامير أبو محمد قد أقبل اليها وسلم عليها وقال لها قد حسبت هذا الحساب وقرأت عليهم عنوان هذا الكتاب غير أنهم ماقبلوا منى فقالت القناصة دعنا من هذا الكلام ياأبو محمد وقل لنا ماالذى يكون عندك من الرأى ان كنا نزحف الى القصر الذى لهذا الظالم الغاشم أملا فقال لها أبو محمد اعلمى ان أهل بغدادهم رعية ومالهم فى هذا الأمر لاقليل ولا كثير وهم يحبون الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب ومع هذافاننى أعلم إننى أنا وأنتم كنا نصل إلى القصر إذا رجعتم إلى القتال ولكن لابد لهم يرفعون الامير إلى رأس القصر ويهولون عليكم بضرب رقابهم وما تقدرون بعد ذلك ترمون بسهم واحد ومع هذا فلا بد لنا من القتال ارجعوا حتى ننظر ما يكون ثم أمر غلمانه لؤلؤ وسبك وبديع وجوهر ويانس وقال لهم ياأولادى أريدان تأخذوا الملكه نورى وتسيرون فى خمسين فارس وتسلموها إلى ميمون الجماس ينزلها فى دارى التى فى آمدفقالوا له على ماذا عولت فقال أبو محمد أنا أدرى ان مقامنا يطول وان لم تفسد القناصة فى السواد والرستاق فما يخلص الامـــير أبدا وبالله ان عقبة ههنا بلا محال (قال الراوى) فسافروا بالملكة نورى وزحف البطال ومعه العساكر الى القصر وعبيد الامير ظالم فوجدوا أهل العراق وعساكر الرشيد قد اجتمعت وأحدقت بالقصر من كل جانب وهم الترك الذين يرمون بالحدق وقد لمعت الصناجق والدرق (ياساده) وان عقبة قال ياأمير المؤمنين ابذل فى الناس المال وقد بلغت ماتريدونادى بنفسك من أعلى القصر من قتل واحدا من هؤلاء المنافقين فله مائةدينار ولا يهمك ذلك فأنت إذاقتلت عبدالوهاب وظالم أخذت من الأموال مالايقوم بوزنه فلما أشرفت العساكر حمل الرشيد والتقت الأبطال بالأبطال وعملت السيوف الصقال وكان يوما كثير الأهوال وتطايرت قمم الرجال وتلفت الفرسان من الفزع وبرق الموت ولمع وذل الجبان وخضع وما كانت إلا ساعة حتى ولت عساكر الرشيد منهزمه وأحدقت السودان بالقصر من كل جانب (قال الراوى) وإن عقبة قال للرشيد يامولاى الآن احضر الأمير والأمراء واضرب منهم عشرة رقاب وقد عادوا الكل خائبين (قال) فعندها أمر الرشيد بهم فأحضروا فى القيود والأغلال وأشرف الرشيد من أعلى القصر وقال أنا أقسم بالله وبآبائى الطاهرين لئن لم ترجعوا وتخرجوا من العراق وإلاضربت رقاب هؤلاء كلهم فلما سمع أبو محمد كلامه قال أنا الذى حسبته جاء سواء

ثم نادى برفيع صوته يا أمير المؤمنين ما هذه الفعال أنت تعلم ما فعل معك الأمير عبد الوهاب من الجميل في الحجاز وكم له عليك خدمة في المواقف العظام والفعل الذى فعلته إنما هو من فعال الأعداء فلا تسمع كلامهم ومع ذلك فأنا أسلم اليك الأمير عمرو بن عبيد الله فهو في الكلام وإذا بعمرو يكلمه من فوق الصور الذى للقصر وقال يا بطال انى خاصمت بلا جميلتك وسوف ترى عاقبة النفاق (وكان) خلاص الأمير عمرو له سبب وذلك أن القناصة لما اشتغلت بانهزام العبيد وأخذ ظالم وعبد الوهاب ومن معه من الأمراء الذين لبنى كلاب وخرج موهوجه هرب عمرو بن عبد الله في تلك الساعة في الوهجه وتوصل حتى دخل على الرشيد ففرح به وقال أبشر فقد نلت ما تريد (قال الراوى) واطلع عقبة على أبو محمد وقال يا أبو محمد أنت تعرف نصحى لك ولسائر المسلمين والرأى انكم تمضون إلى الثغور وإذا رأيتكم رحلتم أنا أطيب قلب الخليفة وأصلح شأن الأمير عبد الوهاب وإن كان ما سلف الى جميل وقد فعلتم في بلد الروم ما فعلتم وكنت معكم في ذلك الأمر الشديد والعذاب الذى لا عليه من مزيد فلما سمع أبو محمد البطال كلام عقبة تنفس صعدا وأبدا كمدا وقال والله لقد هلك سيف الحنيفية وهذه نوبة قد ضاقت على الامير عبد الوهاب من كل جانب ثم أقبل على القناصة وقال لها هذا الشيخ السوء هو سبب الفتن لعنه الله وأبعده ومع ذلك فان عزمنا على القتال فانه يحرض الرشيد على قتل الأمراء كلهم بلا محاله وهذا الشيطان قد أباد الأمراء وما قلنا إلا أنه في حصن الكوكب أسير لما أرسلناه مع سيف الحنيفية وما علمنا أنه سبق إلى هذا المكان فاخرجوا بنا فعسى أن نتوصل إلى خلاص الأمراء بغير هذا الأمر إن شاء الله تعالى فلما سمعت القناصة كلام البطال وما سمعت من الرشيد من التهديد والوعد والوعيد خرجت من البلد وهى طائرة الفؤاد خوفا على ولدها الأمير ظالم وخرج البطال وهو يقول ما في الامر إلا أننا نقصد البصرة ونملكها ونقطع مادة العسكر فاذا فعلنا ذلك أرسل الرشيد يطلب منا الصلح ويكون هذا سبب خلاص الأمراء ولا نرجع إلى خدمة الرشيد أبدا بل ندخل إلى بلاد الروم فما بقى لنا ها هنا مقام وخرج البطال والقناصة ورحل لوقته طالب بلد البصرة (قال الراوى) فهذا جرى ها هنا وأما القاضى عقبة لعنه الله فانه لما تحقق رحيل الأمير أبو محمد قال للرشيد كيف رأيت هذا التدبير الذى لا يعرفه صغير ولا كبير وسوف يكون ما تحب وأنا أعلم أن البطال قد أشار على القناصة أن يمضون إلى البصرة ويملكها وما يعلم أن العساكر قد وصلت من خراسان (قال الراوى) ثم انهم طرحوا الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وتمام العشرة

بالاحكام ثم انها التفتت وقد صفت عساكرها وعبت دساكرها وكذلك فعلت العجم وقد قال مرداس المقدم عليهم مايحتاج أن ترتبوا عساكر دعونى أنا أخرج إلى هؤلاء الشلوح وحدى وأبلغ منهم غاية مطابى وتصدى لأن الرشيد قد حمل منهم هم عظيم ثم حمل وحملت معه العساكر وأيضا حملت القناصة وقد حملت بعدها العبيد الانجاب وحملت بعدها بنى كلاب وقد اشتدت الأمور وصارت صعاب وجزت الرقاب وطاب لهم شرب كاس العذاب وتعفرت الوجوه بالتراب وتعلقت الرجال بالركاب وقدسالت الدماء وأرملت النساء وزمجرت العبيد وتزاحمت الصناديد واستوت الموالى بالعبيد ووقعت عسكر العجم على وجوهها فوق الصعيد وثقل على الفرسان باس الحديد ونظروا الأعاجم الى قوم كانهم السباع الجياع إذا خرجت نافره من لهوات البقاع فقصرت منهم الباع وأشلت اليد والذراع ولم يزل السيف يعمل والدم يبزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه وقد عاد مرداس إلى خيامه وكان قد قتل من أصحابه عالم عظيم وقد قويت قلوب العبيد وبنى كلاب من كثرة ماغنموا من تلك الخيل المسومه والثياب مالا يقع عليه احصا بعدد الرمل والحصا وقد عملت القناصة فى ذلك اليوم مالا تعمله ذات الهمة ولا غيرها الا أنها مثل الحبة على المقلا وقد أضرمت النيران وتحارس الفريقان وطير الطيور إلى أرض العراق تخبر بأن عساكر القناصة قد التقت مع عساكر الرشيد فبقى الرشيد من ذلك على غاية من القلق ثم انه قال لعسكر العراق تجردوا للمسير اليهم وسوف يصل عسكر الشام الينا فى هذه الأيام قال فتجردوا العساكر كما أمرهم وبعد ثلاثة أيام قد وصلت عساكر الجزيرة والخابور والشام فسيرهم الرشيد من وقته وقد وصل اليه من الاكراد خمسين ألف فارس فأرسلهم وقال لهم كانكم بعسكر مصر قد وصل وأرسله أيضا ثم ان العساكر سارت تتبع بعضها بعض وقد ارتجت بهم الأرض قال وأما القناصة فانها قد نزلت قتال العـــدو بنفسها وقد أقامت سبعة أيام تبارز فاسرت فى تلك المدة ثلثمائة فارس وفى اليوم الثامن برز إليها مرداس وكان فارسا لا يطاق وعلقما مر المذاق وأنه يعد بألف فارس (قال) وأنه قد سمع من بعض أصحابه يقال إن هذا الفارس الذى قد نكل بأبطالنا إنما هى امرأة يقال لها القناصة زوجة عبد الوهاب فلما أن سمع ذلك مرداس طمع فى أخذها وقال والله لا بدلى من ذلك ولقدسعد من تكون هذه وراء ظهره ثم أنه خرج على جواد مثل البرق اللامع وبيده سيف قاطع وله قلب غير جازع وما زال إلى أن صار بين الصفين واشتهر بين الفريقين وجال فى الميدان وإذا بالقناصة قد حملت وبرزت إليه

وقد التقيا و تضاربا وقد تعاركا و تماحكا ثم أنها ضايقته وصرخت فى وجهه أزعجته وجذبته فاقتلعته من سرجه فعندها القت العجم أنفسها على القناصة يطلبون خلاص مرداس من يدها هذا وقد صاحت القناصة برجالها وقالت لهم دونكم والقوم ادفعوا عنى من أرادنى هنالك حملت العرب على العجم والعجم على العرب وقد شربوا شراب العطب ولم يبق فى الأرض طريق لمن يريد الهرب وبان الفارس المنتخب من الجبان المذبذب وكادت الأرض بهم أن تنقلب وتقرت الظبا وامتلأت الأرض بالقتلا والأودية بالدماء وعملت الصوارم والنقا وتعلقوا الرجال باللحا وكان يوم يشيب لهوله الطفل الوليد وتعلق فيه العبد بلحية السيد وحارت لباب ذوى الفطن واشتدت المحن ومالت الأنفس إلى الراحة والوسن وأصبح الانسان فى حومة الوغا مرتهن ولم يلحق النجاة ولو تغالا فى الثمن وأصبح الدم على الدم على الأرض طراز وذل الجبان بعد الاعزاز ولم يجد لنفسه من ذباب السيف احتراز ولم يلق مهربا ورجعت القناصة ومعها مرداس وهو كأنه البعير وهو فى قبضتها كالطفل الصغير وقد غنموا من الخيل والسلاح مالا عين رأت ولا أذن سمعت وقد قاتلت القناصة فى ذلك اليوم قتال حير العقول والأبصار إلا أنها لم تجب اصطبار لفقد ولدها غالم ومن معه من العبيد والأحرار ثم ان القناصة قالت لعبيدها ورجالها أريد أن تهجموا على الأمراء فى المضارب وهم على ماهم عليه من التعب والكلال فلما ان سمعوا منها ذلك قالوا لها وما الفايدة فى هذا قالت لهم من وجوه عده أولها إن هذه العساكر تتقلقل والثانى إنكم تملكون الخيام ومافيها فقالوا كانا إلى ذلك مبادرين وإلى أمرك مطيعين ثم انها أخذت رجالها وعبيدها وقالت لبنى كلاب احفظوا أنتم ظهورنا ثم إنها هجمت على الناس بالليل فما كانت الا ساعة حتى انهزمت المواكب والكتائب وقد خرج بعضهم مشاة وهم من غير عدد وقد انهزموا كما قيل عن غزوة الأحزاب فى واقعة الخندق ويقول أبو سفيان الليل داجى والكباش تنطح والضرب خطا والرجال تبطح ولم يزالوا فى نهب أموال إلى الفجر وفى تلك الساعة وصل عسكر الاكراد والعراق والشام وديار بكر وكانت القناصة صارت فى السرادق الذى كان فيه مرداس وقد جلست على سريره والعبيد حولها يحجبوها وقد نظروا بنى كلاب منها مالا نظروه من الأميرة ذات الهمة لأنها كانت تحارب أهل الكفر والعناد فى طاعة رب العباد وانها لما ان نظرت إلى تلك العساكر والدساكر قيدت مرداس وجعلته فى جانب الخيمة وقالت الآن حقت الحقائق ولم يبق إلا ضرب السيف الماحق فدونكم وهذا العسكر الذى قد جاء إليكم حتى إنكم تغنموهم مثل ماغنمتم غيرهم وانى قد ندمت كيف تركت العراق وجئت الى هاهنا ولما ان قال الرشيد ترحلون والا أرمى

بروس هؤلاء اليكم كنت أنا أقول له والله لان سال من أحد منهم نقطة دم لاصلبنك على باب القصر وكنت أنا بقيت هناك ولكن أبو محمد قد غلب على رأبي وما بقى الاالضرب بالنصال والطعن بالعوال فقد قلت حيلتي وضعف بصري على فقد ولدي ظالم لأن مالي سواه ولا أطلب الا لقاه وأتمنى على الله رؤياه ومع ذلك فانني أسير الهم وأترك الدنيا كلها ويا سبحان الله لما ان تاب ولدي عن الحرام ورجع الى الملك العلام وطلب الجهاد عن ملة الاسلام قد خطفته المنيه من يدي قوام وأوقد في كبدي نار لها ضرام ثم انها أنشدت تقول ونحن وأنتم نصلي على النبي الرسول .

الى الله أشكو ما لقيت لفقده ... لقد كان ضرغام الوغا وهمامها
همام هزبر حضرمي غضنفر ... ضروب لأجساد الرجال وهامها
وفي اذا أعطى الذمام يفي به ... اذا غدرت أعرابها في ذمامها
صبيح المحيا صارم ومهند ... بشوس اذا ما الضيف يبغي طعامها
أيا ظالما انا بلينا بظالم ... يعود عليه ظلمه ومرامها

(قال الراوي) وبعد ساعة انكشف الغبار وبانت الفوارس للابصار وقد التأم بعضهم الى بعض فكانوا ثلثمائة ألف يقدمهم شمخ ابن دعقل السلمي وهو سيد قومه وبطل عشيرته وكان الرشيد قد قدمه على سائر العساكر لما يعرف من شجاعته وبراعته لأنه فارس لايطاق وعلقم مر المذاق وقد قال له ان أنت أتيتني بأبو محمد البطال والجارية نوري والقناصة فأنا أعطيك من الأقطاع كل ماتريد ومن البلاد مهما شئت ثم ان شمخ ابن دعقل سار وهو لايصدق أن يصل الى هؤلاء القوم لأنه مدل بنفسه لأنه ما نشأ في بني سليم مثله وكان دائما غضبان على الأمير عمرو بن عبيدالله وكان لايأوى الى الثغور بل كان مقامه في البراري والقفار والأودية والاوعار فلما أن بلغه كثرة الوصف في ظالم أتى الى الرشيد في ثلاثة آلاف فارس من بني سليم حتى أنه يبارز ظالم بين يدي الرشيد ويصغر شأنه عنده فوجده ظالم مقبوض ثم انه لما وصل الى الرشيد سأله عن سبب قدومه بعد طول انفراده في البراري الخوال فأخبره شمخ بجلية الحال فقال له قد كفينا أمر ظالم بل اننا نريد ملك القناصة والبطال فقال سمعا وطاعة قال وكان في قلبه للأمير عبد الوهاب بغضة عظيمة لأجل شجاعته فسار يقطع الأرض الى أن وصل الى أرض البصرة ولم يتعرض ذلك اليوم ولا تلك الليلة لقتال فلما أن كان في اليوم الثاني فعل شمخ مثل فعال الملوك فأرسل الى القناصة رسول ومعه كتاب وكان ذلك الرسول من بني سليم وكان رجل قليل الدين يأكل الحرام لأنه كان تربية القاضي عقبة لعنه الله فلما

إن وصل اليها ودفع لها الكتاب قرات مكتوب فيه الكريم من ستر الحريم وما يتمكن الا لئيم وان كان الرشيد قد غضب على الأمير عبدالوهاب وظالم وذات الهمة اليوم فهو يرضى غدا وما يجب أنكم تضربوا فى وجهه أبدا بالسيف والرأى عندى أنكم تسلموا نفوسكم الينا حتى اننى أحملكم اليه وأتوسط فى نوبتكم حتى يرق قلبه عليكم ويعتق الأمراء واعلمى أن ماجول القتال للنساء وانما جول طعام الابطال والاقران وأنا عليكى مشفق فعليكى بالخدور والقعاد من وراء الستور فهو أوجب لكى من هذا الحال ومعاركة الرجال وعليكى بالهراش فى الفراش فهو أليق بكى من مناطحة الكباش فان أتى أبيتى فعلى نفسك قد تعديتى وستذكرين ماأقول لكى ان كان لكى معقول وتندمين عند منازلة الفحول فلما ان سمعت القناصة ذلك الكلام وعرفت مافيه من المرام وثبت فى الحال وضربت رقبة الرسول وركبت لوقتها وقد صفت عساكرها فالتفت شمخ الى رجاله وقال لهم انظروا الساعة لما أهتكها وأكشف سترها على رغم عبدالوهاب ويكون ذلك عليه العار العظيم ثم انه صف عساكره وقد عباد ساكره واذا بفارس قد خرج الى بين الصفين ونظرته أعين الطائفتين واذا بها القناصة (قال الراوى) والله لقد رأيتها والدم ينقط مناخيرها لأجل نفسها العربية وحميتها العلية وما فيها من الشجاعة والبراعة ثم انها نادت برقيع من صوتها ياشمخ هذا وقت المحاربة والمجال وقد خيرتك بين ثلاث خصال اما أن أقف لك وتطعننى وأما أن تقف أنت وأنا أطعنك وان شئت القتال بالمجال قاتل فإن أخذتنى فوحق النبى المفتخر سيد العجم والعرب مايضرب بعدى أحدا فى وجهك بسيف فعند ذلك خرج اليها شمخ وقد قامت عيناه فى أم رأسه وصار معها فى حومة الميدان وقد أطلق العنان وقوم السنان وحمل عليها وهو يقول :

لعمرى انتى اليوم ذات جلالة ... ولم تقبلى نصحى ولم تعلمى عقلى
ولم تعلمى إنى همام صميدع ... أصول على كل البرية بالنصل
وما جئت إلا أبتغى قتل ظالم ... لآخذ منه الرأس بالصارم المجلى
وأتركه فى القاع شلوا بجندلا ... لأجل أبيه ثم أرميك بالشكل
ولو رمت قتل الندل قد كان هينا ... ولكن قتل الندل حاشاه من مثلى
ستبقين فى وسط الفلاة طريحة ... ومن ذا بعد العاهرات مع الفحل

(قال الراوى) ثم إن القناصة لما أن سمعت شعره أجابته تقول :

ستعلم يامغرور بالقول والفعل ... بأنك من أهل الحماقة والجهل
ولفظك شين يغضب الحرد قوله ... ولكن قول الزور أشبه بالندل

ذكرت كراما سادة مثل ظالم ومثل أبيه ذو المكارم والفضل
ستعلم من يبقى جديلا معفراً تجول عليه الخيل فى السهل والجبل

(قال الراوى) وقد حمل كل واحد منهما على خصمه واحترز من ضربه ولطمه وارتفع الغبار وغابا عن الابصار وأرما كل منهم روحه على صاحبه وقداختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة شمخ فوقعت على ترس القناصة قطعته نصفين ولولا أنها هوت من تحت الضربة لكان السيف عمل فى رأسها ثم انها قد ضربته ضربة جوابها فوقع السيف على رأسه فلقها إلى الحلقوم فوقع إلى الارض صريع وقد تعجبت الفرسان من تلك الضربة وقالوا والله هذه ضربات الفرسان ولقد افتخر عبدالوهاب على جميع العربان بزوجته والاولاد الذين كانهم أساد قال وتمنعوا من القتال باقى يومهم ولما أصبح الصباح حملت القناصة على العسكر وتبعتها بنى كلاب والسودان الأنجاب ولم يزل السيف يعمل إلى الصباح وعادوا إلى ما كانوا عليه فأقاموا على ذلك ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع كبستهم القناصة فى ظلام الليل فانهزموا منها وغنمت جميع أصحابها المال والرحال وقعدت بعدهم ثلاثة أيام وقالت لاصحابها وبنى كلاب والعبيد الأنجاب اعلموا ان فى قلبى النار وقد قالت العرب فقد الولد يصدع الكبد ومالى إلا أن أسير فى غداة غد فخذوا الاهبة للرحيل فقالوا سمعا وطاعة وباتوا على ذلك إلى الصباح وإذا قد وصل اليهم كتاب من أبو محمد البطال وهو يقول اخربوا الأرض فى الطول والعرض واقصدوا العراق فان ظالم ومدلاج وثلاثة أخر لم أعلم لهم خبر وقد قيل انهم قتلوا فى المطمورة التى فى القصر ولا أعلم ان كان عبدالوهاب فى الجملة أم لا واعلمى انى إن كنت أنا أبو محمد البطال فأنا أعرف بمن آخذ الثار ولا انى أول من أصيب فى الزمان ورمى بسهام الأحزان فلما ان وقفت القناصة على ذلك الكتاب خرقت ما عليها من الثياب وقد أكثرت من البكاء والانتحاب (قال) وكان السبب فى ذلك أن عقبة جعل يحرض الخليفة على قتل ظالم ويقول يامولانا انت قدجرى عليك من ظالم ماجرى وما فعلت هذه الفعال إلى على أنك تقتله وهذا الذى عندى من الرأى الصواب ثم انك تخلع على الأمير عبد الوهاب وتقول له أنا مافعلت ذلك الا لاجل اقامة الناموس وأنت ما أنت أكرم من النبى نوح لما انكان ولده من أهل العناد وأوحى إلى أبيه أنه ليس من أهلك وكذلك ظالم فانه مفسد وأنت مصلح وتخلص من عاقبة أمره لأنه خارجى وقتله حلال وأنت برىء من دمه وأنا المطالب به ثم ان الرشيد أمر بقتله وقتل مدلاج العبد برأى الشيخ عقبة لعنه الله وقد قال إن الخليفة قد هدم ركن

السلطنة وكان عقبة جالس مع زبيدة ومسرور فقال أقسمت بالله ياأمير المؤمنين انه لم يكن عندي في الدنيا اعز من الأمير عبد الوهاب وإن كان هولي باغضا وأنا معه كل يوم في عذاب شديد وأنا أحبه كونه يذب عن دين الإسلام وان كان له في قلبي بغض فيكون عقبة بريء من دين الإسلام ويكون مطرود عن باب الرحمن ولكن انني أقول انني أختاره لهذه الدولة ناصر وما فيه عيب الانفاقه وما يحمله على هذه المصائب كلها إلا أبو محمد البطال لأنه رأس كل بلية فقالت زبيده انظر يامولاى ذكره لهم في غيابهم وذكرهم له في غيبته حتى تعلم أنه من أهل الخير والصلاح ثم ان عقبة بعد ذلك قال يامولانا مضى مامضى وعبد الوهاب قريب المرجوع وما رأينا منه إلا الخير والمعروف بل هذا ظالم هو الذى عشرته وبقاه يورث ضيق الصدر وألم القلب وتعب السر ولا يخاف من أمر الا أنه مجنون على ماقيل عنه انه مافى رأسه من العقل لا كثير ولا قليل فلما ان سمع الرشيد ذلك قال والله لقد صدقت فما الذى عندك من الرأى فقال عقبة تقتله وتقتل من معه والعبد مدلاج وتحضر بعد ذلك عبد الوهاب وتقول له هذا خارجى خرج عن دولتى فان أنكرت على فمالى فالأرض بين يديك واسعة واخلعه يامولانا من امارة بنى كلاب وقد بقى بعد ذلك أحقر من عبد وتتمهد لك الأرض بعد ذلك ولا يبقى لك معاند ولا مضاضد (قال) ولما ان سمع الرشيد ذلك من كلام عقبة عول عليه وقال هذا رأى سديد وقد صبر حتى اندفع النهار وأتى الليل بالاعتكار وقد هجمت النوام وعقبة لا يصدق بذلك لأنه أيقن ان الملك إذا قتل ظالم لايبقى بينه وبين عبد الوهاب مصالحة أبدا وان الرشيد لما ان هدى الليل ادعا بمسرور وهو الشفوق على عبد الوهاب فلما ان حضر قال له امضى الساعة واتينى برأس ظالم ورأس العبد مدلاج ومن معهم في المطمورة فقال له يامولانا ان معه أربعة من غلمانه وانه عبدك وابن عبدك فقال الخليفة وقد غضب أينا أحب اليك أنا أم عبد الوهاب فقبل مسرور الأرض وقال يامولانا أعوذ بالله من هذه الكلمة وانما أحب عبد الوهاب لما أرى فيه من المروءة والعصبية لهذه الدولة فقال عقبة لا والله يامسرور لوكان لعبد الوهاب في هذه الدوله أرب ما كان قبض عليه أمير المؤمنين فقال الرشيد يامسرور انى ما أمرتك بقتل ظالم الا وهو مستحق القتل هو وأبوه ثم انه مد يده تحت الطراحة أخرج من تحتها كتب مكتوبة الكتاب الأول بخط الأمير عبد الوهاب وانه يحلف بالله أربعين يمين أنه يجلس ظالم موضع الخليفة وهو يكون حامية له وكل من أنكر ذلك سقاه كأس العطب والمهالك فقال عقبة لما ان نظر الى ذلك الحمد لله الذى أظهر الحق وكان الكتاب الثانى بخط الاميره ذات الهمة تحلف أربعين يمين أنها تعاون

ولدها ومكتوب من تحت خطها خطوط العرب من أمراء بنى كلاب حتى أن فيه خط مالك بن بشر الاقطع ومالك بن طوق وقشمم وضيغم وبرد ابن الازهر وسعد بن الفرج وهارون العلوى وهياج الكردى وطارق الحجازى وأبو الهزاهز وقواقد وغيرهم من بنى كلاب ومقدمين السودان الأنجاب يحلفون كلهم على يمين الاميره ذات الهمة أنهم يكونوا عونا على ما يعمل الأمير عبد الوهاب وأنهم يجلسوا ظالم مكان الرشيد ويفرقون الاموال التى فى خزائن الرشيد على الاعراب ويطلبون الابطال من كل جانب والكتاب الثالث بخط الامير عبد الوهاب إلى ابراهيم بن الخصيب صاحب مصر يطلب منه المبايعة على ذلك ويتركها له حرث وخراج وكذلك الصعيد وبعد ذلك أزوج بنتك بولدى ظالم ويكون لك فى ذلك الحظ الأوفر (قال) فلما أن نظر مسرور إلى ذلك تغير لونه ودخل الشك فى قلبه وأقبل على جوهر وقال أما كان فى رأس عبد الوهاب من العقل مايرده عن هذا الأمر (قال) وكان هذا كله من تدبير عقبة لعنه الله وذلك أنه كان قد زور الكتب على قدر خطوط الأمراء حتى لو أن الرجل نظر إلى ذلك لم يشك أنه خطه وقد سلم الكتب إلى بعض العرب المجهولة وضمن له من المال مايريد ثم قال له أريد أن تدخل على الرشيد وتقول له يامولانا أنا من بعض غلمان الأمير ظالم وقد علمت أن نصحك واجب على كل مسلم كان فى الأرض وإنى كنت يا أمير المؤمنين خائف عليك من هذا الشيطان ظالم لأنه ما طلب المجىء من الحجاز إلا بشرط أن يستبيح دمك ومالك وأهلك وقد أجمعوا الأمراء على ذلك وقالوا إن فى خلافة ظالم وبين يديك ولولا سيوفنا لما انقامت شوكة بنى العباس إلى هذا الزمان وكانوا يبقوا كل يوم فى هوان وقد علم عقبة للاعرابى أن يقول للخليفة وإنى يامولاى لما أن رأيتهم قد اتفقوا على ذلك رصدت الكتب التى قد كتبوها وسرقتها وحملتها اليك حتى انك تحذر على نفسك وتوعى على روحك (قال) فلما أن وصل الأعرابى إلى الرشيد بهذه الكتب كان قبض على الأمراء فزاده ذلك تحريضا على قتلهم وقد صدق فيهم كلام عقبة ولما أن عرض الكتب على عقبة جعل يدق يد على يد ويقول ياويلهم من ديان يوم الدين إذا قامت الناس لرب العالمين وأصبحوا على مافعلوا نادمين ثم أنه قال يامولانا أما الأمير عبد الوهاب لاتقتله لأن ماله من الخدم وأما ظالم فانك اذا قتلته أمنت من مكره وغدره لانك تعلم ما لقيت منه وما طلب عبد الوهاب أن يفعل هذه الفعال الا لما ان قويت عزيمته بهذا الشيطان الذى هو فى صورة انسان (قال) فقوى عزم الرشيد على ذلك فقال لعد

زبيدة يا أمير المؤمنين من أراد قتلك وهتك حريمك ما بقي عليك فى قتله اثم ولا خطية وكان عقبة له ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب إلا يقول أنا أريد أن أصوم سبعة أيام شكرا لله الذى لم يحصل لمولانا الخليفة ضرر إلا أن مسرور لما أن صح عنده ذلك قال يامولانا ها أنا أمضى الساعه وأضرب رقبة عالم ومدلاج ولو أمرتنى اقطعت من أبيه الاوداج لأن من يتجارى على هذا المقام يحق لك أن تقطع منه الهام ولا نبقى من ذريته لاشيخ ولا غلام وماهم عندى أعز من جعفر ابن خالد بن يحيي البرمكى وقومه البرامكة قد ضربت رقابهم لما أن صح عندى نفاقهم على دولة بنى العباس فحل بهم الويل والبأس ثم ان مسرور مضى وهو طالب إلى المطمورة فلحقه جوهر وهو يبكى فقال له مسرور مابالك ياجوهر فقال له يا أخى ودخل هذا فى عقلك إن الأمير عبد الوهاب يكتب هذه الكتب وإنما هذا كله باطل وزور عليه حتى تم بذلك المقادير والامور فقال مسرور ياأخى إن الذى تقوله صحيح ولكن كيف السبيل إلى خلاصهم ولو رجعت أشاور الخليفة فى أمرهم اضرب رقبتى وهذه النوبة مثل نوبة البرامكه ومافى الأمر إلا أنى إذا سكن الرشيد من غضبه أقول له يامولانا انى قد سمعت أن القناصة فى هذين اليومين تنزل على المراق وقد كسرت العساكر التى مضت إليها وهذا الأمر الذى هممت به لاتدرى عاقبته (قال) ثم أنه رجع إلى الرشيد وقال له يامولانا قد قتلت ظالم ومدلاج ومن كان معهم فسر قلب عقبة بذلك وجعل يحدث الرشيد ويشغله على حزنه حتى لا تقع به الندامة ولم يزل حتى غلبه النوم وقد مضى عقبة إلى مقصورته قال وإن الخبر قد شاع فى القصر بقتلهم وأن البطال لما ان دخل فى هذه النوبة إلى بغداد وترك القناصة فى أعمال البصرة أرسل إلى غلام له فى القصر يقال له صندل وكان قد أهداه قديما إلى الرشيد وهو يكاتبه بالأخبار فأرسل البطال يقول له مهما جرى فى القصر اعلمنى به من جهة الامير عبد الوهاب وغيره وقد أصبح الصباح وشاع الخبر بما ذكرنا من قتل ظالم ومن معه فارسل صندل الى البطال يعلمه بذلك فعندها كتب أبو محمد الى القناصة يحرضها على المجيء الى بغداد وقال ان الخليفة مافعل ذلك الا وقد كذبوا الاعداء على القوم حتى أخذ الرشيد دماهم وأرسل الى القناصة كما قد ذكرنا (قال) ثم أن الرشيد ادعى بمسرور وقال له يامسرور قال لبيك يا أمير المؤمنين قال له أليس أن عبد الوهاب وأمه قد استحقوا هذه الفعال قال نعم ياسيدى قال وأين ضربت رقبة ظالم فقال فى المطمورة يامولانا وان كان فعل بهم شيء فقد استحقوه فقال الرشيد وهل بقى شيء بعد خطوطهم وتربة المهدى ان فعلت بهم الا كما فعلت بالبرامكة ولا وقعن بهم البوار ولا أترك على وجه الارض منهم ديار فخاف مسرور أن يقول له امضى واقتل

عبد الوهاب فقال له يا مولانا دعنا الساعة من هذا وخذ فيما هو أهم واعلم أن القناصة وبنى كلاب والعبيد قد كسروا عساكر خراسان وأخذوا مرداس وسائر الجيوش التى مضت إليها وقد سارت طالبة أرض بغداد معولة على أخذ البلد وخراب القصر فانظر بين يديك فلما ان سمع الرشيد ذلك قال ومن أين لك هذا الخبر فقال يا مولاى الخبر صحيح وأنت قاعد وما بقى لك عسكر أبدا تكتفى به ولا تزال تسمع من عقبة حتى تؤخذ كلنا من هذا المكان بالحبال فعندها انتفض الرشيد وقال ويلك يا كلب السودان ولما سمعت أنت ذلك كنت توقيت بقتل ظالم حتى إنما ماننظر آخر هذا الأمر كيف يكون فقال وحق رأسك يا مولانا مافعلت ذلك فزعا عليك وعلى رأسى لانهم أول ما كانوا يضربوا رقبة السياف وإن كفاك الله شرهم فلا زلت بخير فقال الرشيد نعم مافعلت قال وإن عقبة لما سمع ان ظالم قتل قال فى نفسه قد بلغت المنا وشفيت الفؤاد من العدا لأننى قد قتلت سيف الحنيفية ولا ظهر له خبر أبدا والثانى ظالم الذى قد فزعت منه جن سليمان والتفت إلى الرشيد وجعل يحرضه على قتل عبد الوهاب وذات الهمة ويحكى له حكايات ملوك الهند ومن قتلوا من أمرائهم ووزرائهم ويقوى قلب الرشيد على ذلك والرشيد يقول له اعلم ياقاضى عقبة انى حملت هم عظيم من أجل أبو محمد البطال والقناصة وقد سمعت أنهم قد كسروا عسكر خراسان وقد زحفوا إلينا وما ندرى مايكون منا ومنهم وأخاف أن تبطىء العساكر عن بغداد فتخرب جميع البلاد وعقبة يقول له وأين أنت من العرضيات يا أمير المؤمنين وسوف يأتيك منها مالم يكن فى الحساب (قال الراوى) ياسادة يا كرام وقام عقبة ومراده يعمل حيلة يقتل بها القناصة حتى ينال بذلك عند الخليفة الدرجة المنيفة وان مسرور قعد هو وجوهر الى نصف الليل يتحدثوا وهو يقول له كيف تعمل فى حق عبد الوهاب حتى ترمى له الطعام والشراب فانه فى أعظم مايكون من الجوع والعطش وجوهر يقول والله ماندرى كيف نعمل فبينما هم كذلك وإذا بالباب يدق خفيف فقام مسرور وفتح الباب وإذا بامرأة ضاربة لثام مضيقة النقاب وهى مليحة الشباب فقال لها مسرور ويلك من أنتى فقالت له الويل الك هكذا تكون الاصدقاء يبقوا أجناسهم فى المطامير والحبوس وهم على وجه الراحة جلوس فان كنت تعرف موضع عقبة دلنى عليه فقال لها ومن أنتى حتى ان قلبى يطمئن اليكى فكشفت النقاب وإذا به البطال فقال له مسرور كيف دخلت يا أبو محمد ووالله من يوم جرت هذه القضية ما بقى أحدا يدخل القصر لا كبير ولا صغير (قال) وكان الأمير أبو محمد قعد ينتظر الدخول الى القصر فلم يقدر على ذلك من شدة الحرس الذين بالسيوف المجذبة فلم يقدر على الدخول ولا وجد الى ذلك وصول فبينما هو يطوف فى بغداد إذ سمع

ان جوق من الجوار قد وصل من أرض حمص وكان للرشيد فى كل سنة عشر جوار ويرسل غيرهم وانهم قد وصلوا فى ذلك اليوم وسمع أبو محمد بذلك فرجع الى الموضع الذى كان فيه وأخذ معه كل مايحتاج اليه وقد لبس لبس الجوار وكان أسرع الناس حركة النساء لم يحصلوا معه شىء فى الملبس والانعطاف ثم أنه مكث على باب الدجلة حتى وصلت الجوار الى القصر وقد التقوهم جوار القصر فاختلط بهم البطال وهم فى دهشة السلام وقد سار أبو محمد الى القصر وقد أدهش البوابين بخطراته وخطواته وما فيهم الا من يشير اليها ويقول مافيهم أحسن من هذه الجارية وبقى كل منهم يتمناها ويقول تمنيت أن تبات فى حضنى ولو ليلة واحدة وما زالوا الى أن صاروا فى القصر وكان من وقت المساء فامروا بهم الى دار الحريم لأن الرشيد قلبه مشغول الآن بما هو فيه من الملاهى والآلات فدخلوا الجوار القصر فبقوا جوار القصر يظنوا أن أبو محمد من جوار حمص وجوار حمص يظنوا أنه من جوار القصر وهو قاعد يتثاوب ويتناوم حتى لحقهم النوم وقد أظلم الليل فقام وخرج وما فى الناس الا من نام ولم يزل ماشى الى أن أتى الى باب مسرور كما ذكرنا وطرق الباب وخرج اليه كما وصفنا فقال له يامسرور وكيف طاب قلبك على قتل الأمير ظالم كنت هلكت دونه ولا قتلتوش فقال مسرور طيب نفسا وقر عينا فهو سالم يا أبو محمد فى المطمورة التى هو فيها وأنها أسهل علينا من المطمورة التى فيها الأمير عبد الوهاب والأمراء لأنهم فى مطمورة يقال لها مطمورة الرادى وهى فى دار زبيدة وظالم هنا هو ومدلاج ودمادم والموت الاحمر وأبو مرجل فقال البطال هذا الذى أريد فان هؤلاء اذا خلصوا مايقدر الرشيد يتعرض لأحد غيرهم واذا صار ظالم من خارج بغداد فإنه يخلص الكل ولعلنا أن نأخذ عقبة الملعون فى هذه الليلة فقال لهم جرهم لاتعرف هذا الأمر الامنى ثم أنه سار به الى المطمورة وقد فتحوا بابها وقد عاجل الامير أبو محمد بالنزول فقال له مسرور خليك على بعد منهم ولا تقرب اليهم فقال أبو محمد ولم ذلك فقال ان ظالم لم يعرف قط جبل لان الرشيد قد أمر أن يرمى ماله كل يوم خمسة أقراص من الخبز ولم يزل كذلك الى أن قال لى الرشيد أقتله فمن عهدها قبلت يدى شكرا لله على عـــدم قتله باشتغال قلب الرشيد من جهة القناصة فقلت أنا أداومهم بالطعام لاجل ما تصلح همته وتزيد قوته ففتحت المطمورة وقد أنزلت غلامى سالم فلما ان رآه كانه ظن أنه يريد قتلهم أو عذابهم فلم يسأله عن حاله ولا ماجاء فيه بل ضربه على رأسه طير فكه وأضراسه فنزلت وسحبته من رجله وتأملته فوجدته قضى نحبه ولحق بربه فانقطعت أناعنه ولم أرجع أفتح عليه هذا المكان وهذا الحديث من أول أمس (قال) فضحك البطال وقال له بارك الله فيك

فوالله مابى قتلى مثل مابى من شماتة الأعداء ثم إن أبو محمد نزل مقدار أربع درجات وقال ياظالم أناعمك البطال اياك ياجنون أن تفعل بى مثل مافعلت بالذى قد نزل اليك من قبلى وها أنا قد أتيت الى خلاصك وخلاص من معك فلما أن سمع ظالم كلام البطال قال له أهلا وسهلا والله ياعم لو لم تتكلم قبل النزول لكان وقتك وقت مخذول ثم إن أبو محمد تقدم اليه وفك قيده وقيود الذين كانوا معه وأخرجهم من المطمورة وأتى بهم إلى بيت مسرور ثم انه قال له يامسرور أريد منك عدد لهؤلاء وتتركهم عندك الى الصباح يحملون على من فى الباب ويخرجون وان لم يتسهل خروجهم يكونوا مقيمين عندك الى أن تسمع ان القناصة قدوصلت إلى بغداد وتعمل بعد ذلك ماترى فيه الصواب فقال مسرور اعلم انى ماأتركك بل تمضى الى الدار التى فيها عقبة فلعلك أن تقدر على أخذه ولعلى أن أحصل لك على عدة وتفعل أنت بعد ذلك ماتراه برأيك وإن أقاموا عندى فى البيت ربما يفتقدهم الرشيد ويفتش عليهم فيجدهم عندى فيكون ذلك سبب ضرب رقبتى ورقابهم معى وضرب الرقبة يا أبو محمد يوجع القلب ويطلع المصارين فضحك أبو محمد من قوله وترك ظالم هناك وسار إلى الدار التى فيها عقبة وكان الملعون من مكره وخبثه قد قال للرشيد قلبى يحدثنى أن أبو محمد ما يقعد عنا بعد أن سمع أنى عندك فى القصر وأنا أريد أن أحتفظ منه فقال الرشيد أيها القاضى لقد وقع الخوف فى قلبك فقال له يامولانا وكيف لاأنزعج وقد قال القائل من لا يخاف من الله خاف أنت منه وهذا أبو محمد لايخاف من الله وقد سلطه الله على أذية الصالحين من عباده المؤمنين وهو يعلم ان ما على وجه الأرض أكثر خوف من الله منى وانى لا أستحل قتل عصفور بيدى وهو يقول إن على كثرة ضعفى وكبرى أقتل النفس التى حرم الله قتلها وإنه هو الذى قد حرض عبد الوهاب على هذا كله ويجعل ان الخلافة ليست لبنى العباس وانما هى لبنى هاشم ويقول لهم مهما عملتم مع هؤلاء ليس عليكم فيه اثم فقال الرشيد وقد غضب على أبو محمد البطال ياقاضى كيف يقدر عليك وأنت فى هذا القصر فقال له يامولانا استعذ بالله من شره ولا تقول هذا الكلام فهو ان أراد يجىء من الهوى أو يطلع من تحت الثرى فقال الرشيد فعلى هذا الحساب ابقى احفظ أنا الآخر روحى ولا آمن على نفسى منه ثم ان الرشيد أقام الحرس الشديد وكذلك عقبة حفر حول البيت الذى كان فيه خندقا قدر قامه ونصف وقد نصب له فى وسطه سرير وصعد عليه وهو منفرد كأنه من أهل العبادات (ورجعنا الى ما كنا عليه) قال وإن البطال لما أن نظر إلى دار عقبة وقف على بابها وأسنط واذا به يقرأ سورة يس ويبكى ويقول اللهم اصلح قلب مولانا أمير المؤمنين على الأمير عبد الوهاب حتى لا تكثر الفتن على

الأمير ويتولد الحرب بين أهل الاسلام وان عبد الوهاب نسبني الى الكفر والبهتان وما أقول ان هذا كله الامن الشيطان البطال (قال) وكان قصد الملعون بهذا الكلام ان ربما خرج له الرشيد ينظر الى حاله ويسمع منه أقواله وقد كان قبل ذلك بليالى خرجت زبيدة فسمعت فى الليل قراءته وطيب صوته ونغمته وكان بيقول مثل هـذا الكلام فرجعت الى الرشيد وقالت له هلم الى هذا الشيخ عقبة واسمع كلامه فى حق الذين يفعلوا فيه هذه الفعال ويجعلوه من أهل الكفر والضلال (قال) فأتى معها وسمع بكائه وخشوعه فقال الرشيد والله ما أظن أن أحدا أعطى فى الآخرة مثل ما أعطى هذا الشيخ المجاهد بنفسه لأنه قد قتلها بالعبادة (قال الراوى) ولما أن سمع أبو محمد ذلك من دعاء عقبة وقراءته قال لعنك الله ياشيطان ياشيخ السوء والله ما قصدك بذلك ألا يسمع الرشيد وزبيدة أو من يقوم مقامهما حتى أنك يالعين تنفى عنك الظنون ويقال فيك مالا يكون ولم يزل البطال واقفا حتى علم أن عقبة نام ففتح الباب وقد دخل على عجل وقد فرح فرح شديد بأخذ عقبة وصار يقول ان أعيانى الأمر فأنا أفادى به الأمير من قبضة الرشيد وأخلصه من الذل لم يعلم أبو محمد أن المقادير تجرى فما أحس بروحه الا وقد وقع فى الحفيرة فوثب عقبة وهو يقول قد وقع العيار المحتال وجعل يصيح فأتوه غلمان الرشيد ومعهم الشمع والمشاعل فقال لهم خذوا هذا القرنان فقد وقع فى شبكتى على أنى رجل من أهل الدين والصلاح وان الحيل ما هى صنعتى وقصدى بذلك ألا انى أدفع شره عن الخليفة لأنه رأس كل بلية ومعدن كل رزية (قال) وقد أتى الرشيد وسمع الخبر فقال له عقبة يا مولانا وما أتى البطال حتى أنه عمل فى القصر عمل أكثر من هذا ففتشوا المواضع (قال) ففتشوا فلم يجدوا أحد فقال عقبة يامولانا فتشوا المطامير والمقاصير ولا تدعوا مقصوره من مقاصير الجوار حتى إنكم تفتشوها (قال) وكان ظالم لما أن سمع الصرخة دخل هو ومدلاج والثلاثة الذين كانوا معه إلى دار مسرور وقد قالوا له لاشك أن أبو محمد قد وقع ووالله ما أخذه إلا عقبة لأنه شيطان مارد ولا يغفل عنه ولا يترك الحذر منه (قال) وقد وقع التفتيش فى القصر حتى انهم وصلوا إلى بيت مسرور قال فأعرض الرشيد عنه فقال له عقبة إلى أين يامولانا فقال الرشيد مابقى إلا مقصورة مسرور الخادم صاحب سرى ومدبر أمرى وكيف نقول إن مسرور يكتم هذا الأمر حتى إننى أهجم عليه مقصورته وأحرم حرمته فقال عقبة دع عنك هذا الكلام يامولانا فقد قال الحكيم ارسطاليس إذا كان الغدر طباع فالثقة بكل أحد عجز وأنا أعلم أن مسرور مربى هذه الدولة وهو جمالها إلا أنه يتعصب لعبدالوهاب قبل أن يعرف فيه هذا النفاق والآن

إن تمكن منهم اضرب منهم الأعناق فقال مسرور وقد علم أن ظالم ومن معه فى بيته وإن علم بهم الرشيد كان سبب هلاكه وهلاكهم فقال ياقاضى دع عنك هذا المزاح فانه يلعب بالأرواح فما مثلى من يفعل فى حق الرشيد هذه الفعال وكيف أخونه وأفعل مالا يكون ومابى التفتيش مثل مابى من نقص حرمتى بين الخدم والحشم فقال عقبة يامسرور دع عنك هذا الكلام فان أول مافتش الرشيد فتش بيته وما تكون أنت عنده بأكرم من نفسه وأنت ماعليك فى هذا مضره بل يجلب لك الفرح والمسره فقال مسرور وتربة المهدى ماأحد يفتش دارى لأنى عند الرشيد فى الميزان الراجح وما قط سمع عنى خنا ولا يسمع قولك أنت فى هذا المعنى وظهر من مسرور الحرد والحزن وكان الرشيد يرى فى مسرور يرى الرأى الحسن لأجل الخدمة والتربية والألفة فقال يامسرور دارك لاتفتش أبدا ثم إنه التفت إلى عقبة وقال له ياقاضى دع مسرور ودع التفتيش عليه ثم إنه التفت والتفتت وراءه الأتراك والغلمان فصاح عقبة صيحة كادت مرارته أن تنشق وكادت روحه أن تخرج من بين جنبيه وقال يامولانا لاتفعل فوحق من فلق الحبة وبرأ النسمة وتردى بالكبرياء والعظمة إن المصيبة ماهى إلا فى بيته وإن غفلت الليلة عن هذا الأمر أخذت من وسط قصرك ويبلغوا فيك الأعداء مايأملوه وينالون مايريدوه فلما أن سمع الرشيد كلام عقبة التفت الى مسرور وقال له أنت يامسرور ماعليك فى هذا اثم ثم أنه أشار الى الغلمان بالصيحة على دار مسرور (قال) فدخلوا واذا هم بالأمير ظالم ومدلاج والثلاث عبيد الآخر فوقعت الضجة وأخبر الرشيد بذلك وكان ظالم يسمع كلام عقبة لمسرور فهاج فى الغلمان ساعة وتكاثروا عليهم أخذوهم لأنهم لم يكن معهم عدة (قال) ولما أن أخذوهم أمر الرشيد أن يسحبوا مسرور على وجهه فسحبوه الغلمان فقال له الرشيد ويلك يامسرور كم تضرب أنت من رقاب الناس بسيفك فالليلة تضرب رقبتك بالسيف الذى تضرب به رقاب الناس ثم أنه أمر الغلمان أن يضربوه الضرب الوجيع فضربوه ثم قال له الخليفة ياملعون أنت ماحملك على مثل هذا فقال له يامولاى ماعندى أنا من هذا خبر وأنا الساعة قد خرجت وما عندى من هذا خبر أبدا وأنا لما أن سمعت العيطة فمن دهشتى طلعت وتركت الباب مفتوح فاهل هؤلاء يكونوا اختفوا وبقوا قيام ولما أن سمعوا العيطة دخلوا الى البيت وقالوا ربما أن يكون فيه عدة يدفعوا بها عن أنفسهم ولو كنت أنا قد خامرت على مولانا والعياذ بالله من هذا الامر لكنت أعطيهم العدة والسلاح وأتركهم يملكون القصر فلا تتهمنى يامولاى بشىء ماعندى منه علم ولا خبر (قال) فلما أن سمع الرشيد ذلك من مسرور ظنه حقا وكان الرشيد سليم الباطن ما يظن فى الناس الا

بالخير (قال) ثم أنه أمر أن يضعوا القيد فى رجليه فوضعوه وأنزلوه موضع ظالم فعندها قال عقبة يامولانا أليس أنك قد ذكرت أنك قتلت ظالم فقال ظالم ماقتل ولم يقتله مسرور وهذا يدل على المخامرة فقال عقبة الآن علمت ياأمير المؤمنين أنى خبير بالامور وعواقبها لكثرة التجارب والرأى عندى أن تقتل ظالم فى هذه النوبة ويبقى عبدالوهاب عندنا فى السجن الى أن يقضى الله ماهو قاضى ولا تشغل قلبك بالقناصة ولابن معها فقد وصلت العرب الى الرحبة وكأنك بهم وقد وصلوا وهم فى عالم عظيم ولاتعود تبالى بأهل الارض جميعا فقال الرشيد ياقاضى أنا ما أخالف لك قول قال فلما أن سمع عقبة ذلك دنى منه وقد قال له سرا اعلم يامولانا أنه لايطيب على قلبك أن تقتله لاجل خدمة أبيه لك وكذلك أبو محمد البطال والرأى عندى أن ترسلهم الى مصر ومن مصر الى برقة ومن برقة الى القيروان ومن القيروان الى الغرب ومن الغرب الى جزيرة عرق الذهب فيجعلان فيها وأنت تكتب الى أهلها أن لايخرجوه منها لان البلاد كلها بحكمك ومن تحت طاعتك وفى يدك فقال الرشيد أريد أن يكون هذا الامر فى هذه الليلة ثم ان الرشيد رد العبد مدلاج والثلاثة الذين كانوا معه الى المطمورة التى عند مسرور وقد قيد ظالم بقيد ثقيل فصار يعض على أنامله حتى بدر الدم من مناخيره ندامة على تركه للحجاز ودار عزه ومحل ملكه وقال أنا قلت أن طاعة الوالد تؤدى الى الصلاح وما علمت أنها تعقب الافتضاح ثم انهم طرحوه فى صندوق وأبو محمد فى صندوق آخر وأرسل الخليفة إلى الفضل بن الربيع لحضر لوقته وساعته فقال له الرشيد أريد أن لايصبح الصباح إلا وهؤلاء قد استقاموا على الطريق التى تمضى إلى الانبار ويكون معهم خمسين فارس توصلهم إلى أرض دمشق فسوف يسبقهم كتاب الطير إلى صاحب دمشق بما يفعل بهم فقال الفضل سمعا وطاعه فما فى هذه الصناديق فقال له الرشيد مالك عنهم سؤال فسكت الفضل بن الربيع ثم رفعت الصناديق على البغال وأحاطت بها الرجال وهم خمسين فارس أجلاد أنجاد بسواعد شداد ورماح مداد وخيول جياد وجمال لحمل الزاد وما يحتاج اليه الأمر وقد وقت لهم الرشيد للشام ميقات وهو خمسة وعشرين يوما وقد كتب من ليلته إلى صاحب دمشق كتاب يقول فيه أما بعد فاننا ماولیناك دمشق وهى أجل البلاد وأفوجها إلا أنك تكون دائما مبادر إلى مانريد كما تبادر فى حوائج مواليها العبيد فاذا قرأت كتابى فانه يصل اليك بعد خمسة وعشرين يوم مع الأمير وهب بن حسان صندوقان فساعة يصلوا اليك تجهزهما الى أرض مصر وتجتهد فى ذلك ثم انه أمر أن يعلق الكتاب على جناح الطير وكان الطير من حمام دمشق فما تضاحا عليه النهار الا وهو ببرجها وكتب أيضا كتاب الى صاحب مصر واسكندرية وكانوا الذين

أرسلهم بالصناديق قد أوصاهم أنهم مايفتحوها الا وقت الطعام والشراب ولايكلموهم ولا يحدثوهم وقد أكد على الذين أرسل لهم الكتب أن يستحلفوا الذين يرسلوهم مع الصناديق بالمصاحف وبالطلاق أن لايخرجوهم الا لمادة الآكل والشرب والبول (قال) ثم انهم أخذوهم وساروا الى أن وصلوا الى تل عقرون وإذا هم بثلثمائة عبد جاءتهم فى الطريق وفى أيديهم الدرق والسيوف وقدضربوا على الطريق صفوف وإذا بقائل يقول ياقوم والله إن مالهم طريق بهذه الصناديق الا عليكم وأن آجالهم تسوقهم اليكم فهم فى هذا الكلام وإذا بهؤلاء قد أشرفوا عليهم فنادى مناديهم خذوهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك عزقلة ابن عقيل الخزاعى لأن دهمان الأشرف ابن معقل قد زوج ابنته بالأمير سعيد ابن الدراد وهو صاحب الانبار ويريد أن يسير جهازها بالليل فزعا من هذه الوقائع الثايره بين الرشيد وبين بنى كلاب وأرض العراق وأرض الحجاز فى تعب من هذا السبب فأرسل معها مائة فارس وكان لعزقلة هذا عيون فى بغداد يأتوه بالأخبار ساعة بساعة وقد أكمن له فى الطريق ثلثمائة عبد أكالة الحرام فكانوا أصحاب الرشيد الذين معهم الصناديق أسبق الى هذا المكان فلما ان هجمت الرجال عليهم ناداهم وهب ابن حسان ياقوم ماهذه الفعال ونحن مامعنا شىء من المال ولا من النوال وانما نحن عابرين طريق ونحن من جهة بغداد من عسكر الخليفة سائرين الى دمشق نستنجد بالعساكر على القناصة وأصحابها وما معنا مال تأخذوه فلما ان علم عزقلة ذلك صاح بقومه فانعزلوا عن الطريق وقد ساروا هؤلاء الى أن قاربوا الانبار وقد دخلوا الى البرية من هناك وقد جدوا فى المسير ليلا ونهار قال فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملعون عقبة بلاه الله بحرقان التقبة فانه أقبل على الرشيد وقال له الآن قد تفرغ قلبى من هذا الجانب وأعلمك أن الملكة نورى هى بغية الطالب وسوف انك تأخذها (قال) وكان الرشيد مشغوفا بها لانه كان كثير المحبة للنساء فقال له ياقاضى وكيف أنها تحل لى وهى زوجة الرجل وعلى ذمته وما طلقها فقال له يامولاى وأنا الآخر لمثلى يقال هذا المقال وأنا بحر العلوم سوف أفتيك بما يكون من الامر طلاقها منه لانه ما هو كفؤ لها ولا هو لها عديل وليس كان زواجه بها عن ارادتها وهذا لايجوز أبدا وبعد هذا كلما جرى عليك من الحرمة والاثم دعه فى عنقى فقال له الرشيد دعنا فى هذا الوقت من نورى حتى اننا نخلص من أمر القناصة فإنها قد أخربت البلاد لا محالة فقال له عقبة وحق رأسك يا أمير المؤمنين ان قربت من هذه الديار فأنا أكفيك أمرها فى ليلة واحدة ولو إنى ما أحب الحيل ولكن قد قال القائل :

تلجى الضرورات فى الأمور إلى سلوك مالا يليق بالأدب
ما حاملا نفسه على سبب الا لامر يليق بالسبب

(قال الراوى) ياساده ياكرام فطاب قلب الرشيد وقد قال له ياقاضى ما رأيتك الا سعيد ثم انهم أقاموا من بعد ذلك ثلاثة أيام وإذا باسودان قد جفلت من حول البلد وقد أخبروا أن القناصة قد وصلت وأكثرت الفساد فى البلاد وهى لا تمر على شىء إلا ونهبته ولا تظفر بأحد إلا وتقتله وان الخليفة لما أن سمع ذلك الخبر أمر بأخذ الأهبة للمحاصره وان يدركوا الأبواب وقد جمع من أهل السودان أكثر من الذى فى البلد (قال) وأما القناصة فانها سارت إلى أن وصلت إلى بغداد عند المساء وقد أخذت الاهبة لهجوم عليها عند الصباح وإن الرشيد أقبل على القاضى عقبة وقد شكا اليه هذا الأمر فقال له يامولاى طيب قلبك فأنا أدبر لك تدبير يكون فيه رحيل عسكرها ثم ان الرشيد بات تلك الليلة وهو ضيق الصدر من أمرها وما يدرى ما يكون من مكرها وشرها لانه يعرفها ولا ينكرها ويعلم ماهى عليه من الشجاعة والقوة والبراعة وعبيدها الذين معها وإقدامها على الأهوال والفتك بالرجال وكيف كسرت عسكر العراق والعجم فى عدد كثير ومالقى منهم هو بنفسه فى الحجاز إلا أنه طمع نفسه فيما وعده به عقبة من انهزام عسكرها وكيف قال انه هو الذى يكفيه مؤنتها (قال) ولما أن أصبح الله بالصباح تأمل الرشيد فلم يرى لعسكرها حركة فأنكر ذلك وقد أرسل يكشف أخبار العسكر وما سبب إعاقتها عن الهجوم إلى البلد وماموجب ذلك فقالوا له يامولانا لم نعلم لذلك سبب إلا أنهم ماجوا كما يموج البحر العجاج وقد ركبت بنى كلاب على بكرة أبيها وكذلك سودانهم ولم يبق منهم باقية فقال الرشيد وقد طار قلبه من الفرح والله هذا ما كان لنا فى حساب ثم انه ادعى القاضى عقبة يحضر اليه من مقصورته حتى انه يتحدث معه قليل فقالوا له يامولانا إنه عند المغرب خرج من القصر ومارجع فقال الرشيد اطلبوه فما نعلم خبر هذه النوبة إلا منه لانى أريد أن أفهم القصة على جليتها وكيف كان حالها وعن سبب ذلك العسكر ولم كان ارتحالها فمضوا إلى عند الملعون عقبة فوجدوه فى داره فدعوه إلى الرشيد فركب على بغلة زرزورية بسرج ذهب سبك وقد جنح الطيلسان ولبس حلة خضراء فلما ان حضر بين يدى الرشيد قرب مكانه ورفع قدره وشأنه وقال له ياقاضى هل لك علم بما جرى من رحيل عسكر القناصة قال فضحك عقبة وقال ياأمير المؤمنين لقد عملت عليها وعلى عسكرها حيلة كنت تعلمتها من مشدودى أبو محمد البطال ثم انه ابتدأ يحدثه قال وكان الملعون عقبة قد أرسل إلى القناصة امرأتين واحدة منهم صبية مثل البدر التمام والأخرى عجوز من الملاعين الكبار وطلبوا

إلى عسكر القناصة فلما وصلوا سألوا عنها فأرشدوا اليها فلما ان وصلوا استأذنوا ودخلوا فلما ان نظرت القناصة اليهن علمت أنهن من أشراف بغداد فقالت لهن ما شأنكن فقالت العجوز ياموﻻتى اعلمى أنى لى بعل يقال له ظاهر ابن الحسين وانه قدخلف تلك البنت وولد يقال له الحسن وكان أبوه قدخلف له مالا كثيرا فلما ان نشأ وصار له ذكر غارت منه الحساد لما ان رأوه يعطى القصاد ويجود على الفقراء وكثرت محبته فى قلوب كثير من الناس وقد مدحته الشعراء وجالس الكبراء فدخلت عليه العين وتحملت منه الأعداء لحد ماراحوا فيه للخليفة الرشيد وصاروا يتكلمون بكلام الزور والبهتان ومن جملة ماذكروا أنه يريد أن ينزع الخلافة من الرشيد ويدعى انه شريف علوى وصار يرغب الناس بالمال حتى أطاعه كثير من الرجال فخشى من جانبه وقبض عليه من مدة عشرة سنين وهو عنده فى بعض مطاميره من هذا القصر فلا ندرى هل هو حى أوميت فتجسسنا أخباره فقيل لنا هو حى ولا يقدر أحد على خلاصه وإن الخليفة مصمم على قتله فى هذه الأيام هو والأمير عبدالوهاب وولده ظالم ومن معه من الأصحاب وإنما اشتغل باله بالعسكر الذى نزل على بغداد مع الأميره القناصة أم ظالم زوجة الأمير عبد الوهاب فعزمنا على المسير اليك لنتوسل اليك فى خلاصه مع الأمراء فقلنا له وكيف التوصل الى تلك الأميرة فال لنا بعض الخدم إن أردتم التوصل اليها فأنا أعلمكم بمايكون لكم اليد البيضاء عندها فقلنا له وما ذلك فقال تسيروا اليها وتعلموها ان القاضى عقبة أمر الغلمان باخراج الأمير عبد الوهاب ومن معهم من السجن وأن يأتوا بهم الى داره ليلا حتى يعذبهم ويشتفى منهم قبل هلاكهم وذلك لأجل مابينه وبينهم من العدواة وهانحن قد أتيناكى وبذلك أعلمناكى فلما سمعت القناصة كلامهم طار عقلها وعيل صبرها وقالت لهم وهل تدرون مكان عقبة قالوا نعم فان عزمتى تسيرى معنا ونحن نوصلك اليه من سطح الدار وتهجمى عليه وتخلصيهم من يديه وتشتفى منه ومن عقابه فقالت لهم أما أنا بعد سماعى هذا الكلام لم يمكننى القعود ولا بد من مسيرى فى هــــذا الوقت ولا أتوانا فقالوا لها أسرعى أيتها الأميرة فعند ذلك أدعت القناصة بعبد من عبيدها يقال له ميمون وقالت له الق بالك من العسكر فأنا سائرة فى أمر يكون إن شاء الله تعالى فيه خلاص الأمير عبد الوهاب وولده ومدلاج ومن معهم من الرفاق فاكتم الأمر ولا تعلم أحد حتى لايشيع خبرنا فيبطل ما قد دبرنا فقال لها الســـمع والطاعة ثم انها خرجت مع العجوز والصبية وقد عملت عليها ايزار وشدت الثياب مثلهما حتى ظنت الناس ان النساء كانوا ثلاث وسارت معهم حتى صاروا فى دار عقبة فدخلوا ودخلت معهن الى الدار فلم تشعر إلا وعشرة رجال

مرتبين لها بالعدد فانكبوا عليها وأخذوها قبضا باليد وكتفوها وأقبل الملعون عقبة عليها وقال لها كيف حالك ياعاهرة ولا بد من قتل ولدك وزوجك وأنتى معهم فقالت له وأين أنت ياملعون من العرضيات ومن رب الأرض والسموات ولا بد ماتلقى عاقبة مكرك وغدرك فاغتاظ ولم يجبها بجواب ثم أنه أمر بوضعها فى سرداب فى داره وأقام الملعون بقية ليلته ولما كان عند الصباح ادعى به الرشيد فركب وسار إليه وأعلمه بما فعل ودبر من الحيلة على القناصة ففرح الرشيد وتعجب من هذا الأمر واستحسن من رأى عقبة ومن هذا التدبير وقال ياقاضى أريد هذه الشيطانة ان تأتينى بها حتى تكون عند الأمير عبدالوهاب فى الحبس حتى يعلم أنى ماعجزت عن أخذها وتزيد فى ذلك حسرته فقال له عقبة سمعا وطاعة فلقد قلت الصواب والأمر الذى لايعاب ثم انه أمر بعض الغلمان أن يمضوا مع غلام عقبة إلى داره ويأتوا بها فساروا وما كانت إلا ساعة حتى مثلت القناصة بين يدى الخليفة فقال لها ويلك كيف ترى فقالت له وماعسى أن أرى وما هذا إلا بالقضى وما للعبد على المولى تعدى وما هذا فعالك إلا فعل ظالم غاشم لأنك لاتوفى بالزمام ولا ترعى خدمة أحد وما هذا أفعال الخلفاء أن يأمنوا ويخونوا ويعدوا وينذروا ولم يوفوا فلما أن سمع الخليفة منها ذلك الكلام فلم يرد عليها جواب بل أنه قال اسحبوها من بين يدى وامضوا بها إلى عند عبد الوهاب واتركوها عنده فى المكان الذى هو فيه ليعلم عاقبة أمره فقالت له وأين أنت من مالك يوم الدين وسوف تظهر لك البراهين إن شاء الله تعالى رب العالمين ثم انها سارت مع الغلمان إلى الحبس الذى فيه الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب والأحباب وكان فى تلك الساعة يقول مادامت القناصة نزلت هنا بالعسكر فلا بد لنا من الخلاص من هذا الأمر المنكر (قال الراوى) ياسادة ياكرام فما تم الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام وإذا بباب السجن قد انفتح ودخلت الغلمان ومعهم القناصة وهى بحبال الذل الخبال ثم أنهم سلموها للسجان ورجعوا وأما الأمير عبد الوهاب لما نظر إلى القناصة وقد حصلت عنده فعظم عليه وكبر لديه وكبر هذا المصاب عليه وقال لها ويحك كيف قدروا عليكى ووصلوا اليكى وأنتى فى ذلك العسكر العظيم فقالت له إن قضاء الله ليس له من راد ثم انها أعادت عليه الحيلة التى دبرها عليها عقبة لعنه الله فقال لها والله لقد وصل الينا شره وكيده فنسأل الله تعالى أن يكفينا شره ومكره هذا والقناصة أدارت عينا ها فى الاسارى يمينا وشمال فلم تر ولدها ظالم معهم فى الجملة فالتفتت إلى الامير عبد الوهاب وقالت دعنى من عقبة وفعاله واعلم أننى قد اطمأن قلبى بقدومى إلى هذا المكان حتى أنظر إلى ولدى ظالم أحب إلى من إقامتى فى العسكر فاعلمنى أين هو فانى لم اره معكم فقال لها والله ماعندى

منه خبر ولا وقعت له على جلية أثر لانى من منذ ما حصلت ههنا ما أعلم ما كان منه فاعلميني انتى عن أبى محمد البطال أين كان حتى تمت عليكى هذه الفعال فقالت له ان أبو محمد البطال قد فارقنا من البصرة وسار على أنه يأتى إليكم ويدبر فى خلاصك انت ومن معك من الاصحاب ومارجعت سمعت له خبر فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله ماقعد البطال عنا إلا وقد أعاقته العوائق وهذا أمر كان لا بد منه

(قال الراوى) ولما فقدت القناصة تفرقت العساكر وقالوا بنى كلاب والله مافقدت القناصة إلا وقد أخذت بحيلة وركب كل واحد منهم هواه وأما العبيد فانهم أقاموا ثلاثة أيام فلما أيسوا قالت لهم صباح زوجة ظالم دعونا والمقام ههنا فانى قد عوات على المسير إلى أهلى ووطنى لأن زوجى ما أعلم منه خبر ومقامنا ماله فائدة فارحلوا بنا واطلبوا الكوفة حتى نقيم هناك شهر من الزمان فإن سهل الله لنا بالفرج وجعل لنا مما نحن فيه مخرج فهو الذى تريد وإلا رحلت بكم إلى عند أبى إلى الحجاز ونقول له يأخذ بثارهم ويقطع الطريق ويخون السبيل ويمنع الحاج حتى يخلص بعلى ويجتمع به شملى فقالوا لها العبيد نحن نفعل هذا الذى ذكرتيه ولا نترك أحدا يحج إلى البيت الحرام حتى يخلص مولانا ظالم الهمام

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأما ما كان من الأمير أبو محمد البطال والأمير ظالم فإنهما وصلا إلى دمشق وحملا إلى مصر ورفعا الى اسكندرية وأرسلا الى الغرب وكانت كتب الطير قد سبقتهم الى كل مكان لأن الرشيد كان قد ملك مالا لا يملكه أحد من الخلق لأن بلاد الإسلام كانت كلها تطيعه شرقا وغربا ووصلوا بالاميرين الى مدينة افريقية وقد سبقهم كتاب الطير وفيه خط الرشـــيد فحملوا وساروا بهما الى بلاد الاندلس الادنى وسبقهما كتاب الطير الى ملوك الغرب بالقبض عليهما وأن لا يمكنا بعدها من الخروج وحملا الى الاندلس الاقصى وسيرهم صاحب الاندلس الى جزيرة فى وسط البحر وهى جزيرة عروق الذهب (قال الراوى) وساروا فى ذلك الوقت فى قافلة كبيرة لان التجار كانوا يقصدون تلك الجزيرة ويشتروا منهـــا الذهب واللؤلؤ وغير ذلك واذا وصل الى الساحل ركبوا فى البحر ثلاثة أيام حتى يصلوا اليها فلما بقى بينهم وبين ساحل البحر يوم واحد خرجت عليهم حرامية من البربر والملثمة وأخذوا كل مافيه وقتلوا الرجال وأخذت كل مامعهم من المال والصناديق وقسمت الرجال ذلك فأخذت البربر نصف ما كان مع القافلة والصندوق الواحد معهم وهم يظنون أن فيه مال وأخذت الملثمة الصندوق الثانى ونصف مامعهم من المال وعادت كل طائفة طالبة بلادها (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الامير عبد الوهاب والقناصة فإنهم قد طالت عليهم الايام والاوقات وطالت شعورهم ومضت العبيد الى الحجاز وقالوا أهل بغداد ما الرشيد الا

قتلهم عن بكرة أبيهم وأما بنى كلاب فانهم مضوا الى آمد وأقاموا عند ميمون الجماس (ياسادة) وان الامير عبد الوهاب ليلة الجمعة فى حبسه قد قام صلى صلاة العشاء ودموعه تنسكب وهو يقول ياليت شعرى ما كان الامير سيف الحنيفية والله ماقعد عنا الا وقد نكب كما نكبنا وقد صدق الأمير أبو محمد فى قوله ولكن ماقبلت بحسن ظنى وكان الامر لله من قبل ومن بعد (قال الراوى) فبينما هو يقول ذلك الكلام واذا بالباب قد فتح وقد نزل شخص شاهر سيفه كأنه النار المحرقة فلما ان نظر الامير الى ذلك الشخص قال أى أمر الله ماهو الا أن أرسل لنا هذا الشخص ليضرب رقابنا فلما أن سمع الشخص كلام الأمير عبد الوهاب فقال له لا والله يا أمير أبشر بالآمنية فانا ولدك سيف الحنيفية فقال له الأمير عبد الوهاب ياولدى وخلاص أبيك فقال له حبا وكرامة (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص سيف الحنيفيه انه أقام عند الراهب كما ذكرنا حتى برىء مما كان فيه وقوى لما يريده الله تعالى وان الراهب كان ينزل اليه كل يوم بقرصه وان سيف الحنيفية قبض عليه بعض الأيام وعصر على حلقه حتى برزت عينيه ومات وصعد إلى الدير فوجد فيه من الذهب والفضة فأخذ منه ماطاق حمله وسار من الدير وهو مخفيا وكان أول ماقد بدت حواجبه تنبت وعوارضه من تلك السقية التى دبرها عقبة وقد تقدم ذكرها وانه دخل الى انطاكية ولم يعرفه أحد من الناس واشترى له جوادا سابقا ورمحا خارقا وسيفا ماحقا وعدة كاملة ثم سار يقطع الأرض فى فى طولها والعرض حتى وصل الى الدقة فلم ير أحدا يعرفه فسأل عن أخبار ملطيه والعراق وعن عبد الوهاب هل هو مقيم فى ملطيه أو فى العراق أو فى البلاد وسأل عن عقبة وكان سيف الحنيفية قد عاهد الله لئن رأى عقبة ليعلون رأسه بسيفه ولو كان فى حجر الخليفة (ياسادة يا كرام) وانه لما استخبر عن أبيه قالوا له أنت مجنون وأين عبد الوهاب قال وما الذى كان منه فقالوا كان قد ظهر فى الحجاز خارجى يقال له ظالم بن الفريب وله حديث عجيب فقال سيف الحنيفية هل قتل الخارجى قالوا لا ولكن ظهر أنه ولد الأمير عبد الوهاب من امرأة يقال لها القناصة مقيمة فى أرض الحجاز فقال هذه والله مثل نوبتى ثم ماذا فقالوا وان الرشيد سمع أن عبد الوهاب قد أضمر أن يترك ظالم موضع الخليفة ويحمى هذه البلاد بين يديه وقد قبض الرشيد على الجميع من مدة عشرة أشهر وما نعلم هل هم فى الحياة أم لا وبنى سليم قد تسلموا ملطية والدنيا آمنة لأن ملك الروم مريض قد أشرف على الموت وهو مشتغل بنفسه (قال الراوى) وان سيف الحنيفية لما سمع بذلك بكى وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماهذا كله إلا من عقبة اللعين وبقى لا يدرى كيف يعمل هل يمضى الى بغداد متنكر ويكشف عن

خبر الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وإخوته أو يمضى إلى عند ميمون الجماس فيأخذ منه العساكر ويطلب العراق وقد احمرت أحداقه وعصفت فى رأسه نخوة العرب وكان فيه من الشجاعة والشدة ماقد تقدم ذكره ثم غلبه الشوق فلم يكن له إلا المضى إلى العراق وقال إذا صح عندى خبرهم عملت إلى ذلك فإنى ما آخذ الخبر صحيح إلا من هنالك (ياسادة) وسار إلى أن وصل إلى العراق ودخل بغداد فضاع فى كثرة الخلائق وأنه نزل فى بعض الخانات وسأل عن الأمير فأخبر أنه فى المطمورة وقال قوم بل قتلوا عن آخرهم حنقا من الخليفة عليهم فبقى لايدرى كيف يعمل الى حقيقة الأمر فأقام على هذا الأمر عشرة أيام وهو على دجلة بغداد يسمع من كل جماعة مايقولون لعله يطلع على حقيقة الأمر واذا بجوهر خادم الخليفة الخاص كان قد عبر الى الجانب الشرقى فى حاجة الخليفة فتقدم سيف الحنيفية اليه وكان يتعصب للأمير عبد الوهاب فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ولم يقبل عليه والسبب فى ذلك أن جوهر ماعرفه فى تلك الصورة لأنه قد فصلت حواجبه فعلم سيف الحنيفية أنه ماعرفه فرجع اليه ثانية وقال له قف يامولاى فإنى لك صديق فقال من أنت فقال له بعد مادنا منه أناسيف الحنيفية فسلم عليه جوهر ثم ان سيف الحنيفية سأله عن أبوه الأمير عبدالوهاب وجدته ذات الهمة وأخواته فقال هم محبوسين فقال له ماأعرف وصول لهم الا منك فقال له جوهر سمعا وطاعة ولو يكون فيها تلاف روحى ثم أخذ ثياب بعض غلمانه ألبسه اياها وسلم اليه كيس الكتب وأقام الى العشاء ودخل الى دار الخليفة فلما حصل سيف الحنيفية فى الدار قال له جوهر ان أردت المطمورة فان مفاتيحها عند أرجوش الخادم فدخل إلى بيت الخادم وصبر عليه حتى نام وأخذ المفاتيح وأراد يخرج فانتبه الخادم فمسكه سيف الحنيفية وعصر على رقبته وقال له وأين الأمراء فقال فى هذه المطمورة وهادى بقية المطامير فعصر عليه فمات لوقته وأخذ المفاتيح وقصد المطامير فأول مانزل المطمورة التى فيها عبدالوهاب وذات الهمة والأمير يقول ماذكرناه وإن سيف الحنيفية قال لهم ابشروا بالفرج من عند صاحب الفرج ثم عالج قيودهم حتى فتحها وأخرج الأمير عبدالوهاب وكل من فى المطمورة فلما خرجوا داروا على عده فلم يقعوا بشىء فقال لهم جوهر اقصدوا إلى خزانة السلاح فقصدوا اليها وفتحوها وأخذوا العدة ثم أقبل عبدالوهاب على جوهر وقال له ياأخى كيف غفل عنا مسرور فى هذه النوبة وما كان إلا مبادر فى قضاء حاجتنا فقال له اعلم أن مسرور وقع فى أشد حال من أجلكم ثم أعاد عليه حديث مسرور وكيف أمره الرشيد بقتل ظالم ولم يفعل وكيف أراد أن يعمل على خلاصه فلم يتم له الدست وكيف وقع أبو محمد وأنزل الرشيد مسرور إلى الموضع الذى كان فيه ظالم فقال

الأمير وقد رجف قلبه فزعا على ولده لايكون قد هلك فقال ياجوهر وأين تلك المطمورة فارشدهم اليها والى الموضع الذى فيه باقى الأمراء من بنى كلاب خلص الجميع من المطامير ونزل الى المطمورة التى فيها مسرور فوجدوه ومدلاج وصحبه ولم يجد ظالم ولا أبو محمد فقال والله لقد هلكا جميعا ثم انقلبت عيناه فى أم رأسه وساروا الى دار عقبة التى فى القصر فلم يجده فقال دونكم والرشيد والله لايزال معتقل فى قبضتى حتى يخلص ولدى فساروا الى دار الرشيد يطلبوها فوقعت بهم الصيحة وتبادرت اليهم الغلمان من كل جانب ومكان وسارت الاقران والشجعان حتى وصلوا الى الأمير عبد الوهاب فلما علموا انه الأمير وقد خلص هو وسائر بنى كلاب عادوا منهزمين وصاح بعضهم ببعض ارجعوا يابنى اللئام والا أفتوكم بالحسام فهؤلاء أبطال الارض فى طولها والعرض فهنا لك ولوا بين أيديهم وبلغ الخبر الى الرشيد فصاح من فراشه لوعاوجر عار قال للغلمان ياويلكم ماهذا الصياح فقالوا من قباض الارواح فقال ويلكم ومن ذلك فقالوا عبد الوهاب وسائر بنى كلاب كانهم أسد الغاب وفى يد كل واحد منهم حسام كانه شهاب فلما سمع الرشيد ذلك بقى باهت ساكت لا يدرى ما يعمل (قال الراوى) وقصدوا الامراء الى باب الدار فلم يجدوا سبيلا الى الرشيد لان هذه الدار يقال لها دار الزمام ولها باب من الحديد ولو أقاموا عليها سنه لماقدروا عليها وكانت السيدة زبيدة فى تلك الدار والرشيد عندها فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك قال لأصحابه توقفوا وما عسى أن نفعل بالخليفة وهو فى هذه الدار ونخاف أن يكثر علينا الجمع من أهل بغداد لأنهم الساعة يقصدونا فى خمسمائة ألف وما لنا طاقة بهذا العالم الكبير ولكن اطلبوا بنا باب القصر وافتحوا واطلبوا بنا مكان الخيل واركبوها فاذا صرنا على ظهورها ونجونا إلى ظاهر بغداد بلغنا المراد وطلبتنا بنى كلاب من كل جانب فقالوا صدقت والله أيها الأمير وإلا مانجوا من هذا العالم فقال وأنا أسير بعد ذلك بالكتايب والمواكب وأطالبه بولدى وحشاشة كبدى فإن كان هو والأمير أبو محمد فى الحياة أخذتهما منه على أننى لاأقيم بعدها فى دياره بل أسير الى ديار الكندفرون وأفتح بسيفى وأقيم هناك فقالت الأميرة ذات الهمة نعم مارأيت أيها الأمير ثم أنهم ساروا إلى باب القصر وكسروا الأقفال وقتلوا البوابين وفتحوا الباب ودخلوا إلى اصطبل الخيل فانتخبوا مائة فرس والرشيد قد صاح فى غلمان الدار فطلعوا فوق سطح القصر وصاحوا النفير النفير أدركوا أمير المؤمنين فتبادرت العالم من كل جانب فما استكمل الناس إلا والأمير قد خرج هو وسائر الأمراء والابطال والاقيال وان أهل بغداد والعوام طلبوا الأمير وأصحابه وكان مافيه الامن قدغمه حالهم فلم يعرض

لهم أحد حتى وصلوا الأمراء إلى الدجلة ورموا الخيل فى الماء وهم على ظهورها وعبروا الى الجانب الآخر وقالوا اطلبوا ابنا آمد وساروا يقطعون الأرض فى طولها والعرض ليلا ونهارا هذا وان الرشيد لما أصبح عليه الصباح جمع العساكر وقال سيروا خلفهم فلما أتانى بهم أعطيته ولاية البصرة فسارت العساكر ليلا ونهارا حتى لحقت الأمـــير فى طريق نصيبين فقال الأمير هذا والله عسكر قد أقبل علينا من قبل الرشيد فقال الأمير سيف الحنيفية مرحبا بهم وقال العبد مدلاج والله لاخرجن كلما جرى على من رؤس هؤلاء القادمين

(قال الراوى) وكان قد انضاف مع الأمير عبد الوهاب ألف فارس من الطالبين الكسب وانكشف الغبار ولاح العسكر للابصار وهم فى خمسة وعشرون ألف وقد طبقوا الأرض بكثرة الركض فلما وقعت العين على العين رفعوا أصواتهم بالصياح وكان المقدم على عسكر الرشيد رجل تركى يقال له السلار وكان يرمى بالنشاب فينشق الشعر فانفذ لبنى كلاب يقول لهم انى عبد مأمور وما أشتهى ان أسفك دماؤكم والرأى عندى ان تسلموا نفوسكم إلى حتى أصلح نوبتكم وأتوسط فى أموركم وإلا حملت عليكم حمله واحدة أنزلكم كامس مضى لاعودة له أبدا وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر فلما وصل الرسول الى الأمير عبد الوهاب وسمع منه هـذا الخطاب قال له ارجع لاأم لك قبل أن تشرب كاس الحمام وتبقا مطروحا بين الآكام فلما سمع ذلك رجع وهو لايصدق بالنجاة فقال له السلار إيش عملت فقال يامولاى قالوا لى ارجع وأنت سالم وإلا رجعت وأنت نادم فقال له ويلك ارجع اليهم وحذرهم فقال والله إن رجعت اليهم هلكت لامحالة فعندها زحف التركى وأمر الاتراك أن يفرقوا السهام ويطلبون بها الخيل التى للعرب فحلت عليهم الاتراك ورشقوهم بالسهام فكانوا كالجراد المنتشر أم الثلج المنحدر فعندها حمل الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحـاب وقالت له ذات الهمة يابنى ان نحن رجعنا وقعنا فى أيديهم فبعيد خلاصنا هذا وقد خرج أكثر خيلهم ومات منها اثنى عشر حصان واختلطت الاقران بالاقران وطاب لهم الجولان وعملت الصوارم فى الأبدان وكان عسيرا على كل انسان وأن القناصة من حرقتها حملت على مقدم الترك وضربته بحسامها على رأسه واذا به قد طار وخرج الأمير وقد أخذ فارس وكان فى مقدمة العسكر أسير وأما العبد مدلاج وأصحابه الثلاثة فانهم قتلوا فى جملتهم خمسة وعشرين فارس لانهم لايعرفون ان كانوا مسلمين أوكافرين والكل عندهم سواء وان عساكر العراق لما نظروا ماحل بالمقدم عليهم ومن قتل منهم قال بعضهم لبعض ياقوم مافينا الامن يعرف الأمير عبد الوهاب والأميرة

ذات الهمة وأبو الهزاهز وسيف الحنيفية ولو كانوا وحدهم ماطقناهم ولو كنا أضعافنا وقد فرحنا بخلاصهم والمقدم الذى كان لنا طمع أن يأخذ البصرة فكانت سفرته ايشم سفره فعودوا بنا سالمين بأكبر الغنائم فعند ذلك عادوا على أعقابهم راجعين والى بلادهم طالبين وغنم الامير وأصحابه أكثر ثقلهم وسار يطلب آمد وقد فتح الله على يديه وقد سبق أبو الهزاهز بخبر بقدوم الامير عبد الوهاب ففرح ميمون الجاس لأنه قد وقع به من الامير الاياس وركبت بنى كلاب والتقوا بالامير وكان دخولهم الى آمد يوم عظيم لا يرى مثله فى الآفاق وهم فرحانين بخلاصهم من العراق وقالت القناصة أيها الامير أنت الك مثل هذه البلدة ويكون عليك طاعة لاحد فقال الامير عبدالوهاب والله ما كنت مطيعا له الا خوفا من الله تعالى وبعد ذلك فوالله لارجعت بعدها الى طاعته أبدا حتى أرى ولدى ظالم وهو بين يدى سالم وسوف ترى ما أصنع ثم كتب الى الاقطار يطلب العرب وبعثت القناصة الى عبيدها الذين فى الحجاز وسيروا النجابه وأقاموا ينتظرون قدوم العساكر وعلم الرشيد أن عبدالوهاب لا يقعد عنه فجمع أرباب دولته وقال لهم ماتروا من الرأى فقالوا والله يامولانا كان القبض على عبدالوهاب صواب ومثله يكون وليا ولا يكون عدوا لانه مابقى الا أن تجمع العساكر من سائر الآفاق وان كنت قتلت ظالم والبطال فاعلم أن عبدالوهاب لا يرجع الى طاعتك أبدا ويكون خارجيا على دولتك وان كنت أرسلتهم الى بعض البلاد فكن حافظا لهم حتى ان رأيت الامر صعب كانوا حاضرين فقال الرشيد هذا هو الصواب ثم كتب الكتب الى سائر الآفاق بأن يحفظ الرجلين ولا يفرط فى المأسورين وعلقت الكتب على أجنحة الطيور وسارت من وقتها ثم ادعى بعقبة وقال له كيف ترى هذه النوبة الصعبة فقال عقبة هذا كله يامولانا كان تدبيرك والا من قبض على أولئك السباع كان اما قتلهم واما أقام عليهم الهيبة وصالحهم وان من جعل الاسد معه فى داره لا يأمن من مخاليبه وأظفاره فقال الرشيد مضى مامضى فانظر الآن ماترى فقال عقبة يامولاى الى حين ماتقدم العساكر من الآفاق يكون قد خرب عبدالوهاب العراق والرأى عندى أن تكتب الى ملك الروم كتاب تقول فيه ان الهدنة بينى وبينك وان عبدالوهاب قد نافق على وهو فى آمد العرب وقد تفرقت عنه وما أعرفه الامنك فيرحل ملك الروم اليه ويقصده ويسمع عبدالوهاب ذلك فيشتغل عنا فقال الرشيد هذا هو الصواب ثم كتب كتابا الى ملك الروم بما ذكرنا وعلقه على جناح طائر وكتب عقبة كتابا آخر يقول فيه أما بعد أعلمك أيها الملك قد جرت أمور لو تمنيتها لقصرت أمنيتك عنها لانه كان قد خرج فى بلدة الحجاز خارجيا وطلع ولد الامير عبد الوهاب واسمه ظالم وأقسم بالمسيح

مشرف على الهلاك وهو عند الراهب يضربه الليل والنهار وإن كان قد خلص فما هو إلا قد قتل الراهب وان اوّاوّ قالوا له باقى الغلمان بما تبشرنا فقال أبشركم بعقبة فقالوا نهجم عليه فقال ماهذا صواب وما كنا والله نقدر عليه لأنه كان يصرخ ويجمع الناس علينا ويصعد إلى صاحب الرحبة ويعمل على هلاكنا وأنتم تعرفون عقبة وحيله وأنه فى كل مكان له معارف وأصدقاء وأموال يبلغ بها ما يريد ولكن أرقبوه ولا فيكم من يخرج إلى قضاء حاجة إلا بالليل فانه كما يراكم يعرفكم والله يخرج من الرحبة ونلحقه ونأخذه فى الطريق وأقاموا هنالك عشرة أيام إلى أن تجهز عقبة وخرج معه قافلة إلى الرقة وخرج فى أثره غلمان أبو محمد البطال وتبعوه على طول النهار فلما أن أظلم الليل وانسدل الظلام على الأقطار ساروا حتى أدركوا الناس وعقبة قال لغلامه ابعد بنا عن الطريق والناس حذار من الترك حرامية تكبسهم أو طامع يطمع فيهم فنكون نحن بمعزل عنهم ، وهو لايعلم أن طالبه يراقبه ، (قال الراوى) فانعزل عن الناس وانهم أمهلوه حتى رقدت العيون ونام المستيقظون ورجعوا اليه فأما اوّاوّ وياسر وسبك فوقعوا على صدره وقبضوا على فمه وأما بديع وجوهر فانهم وقعوا على غلامه العقاب وقبضوا على فمه وبوقوا فى وجهه الخناجر فلم يتكلم وان اوّاوّ أخذ عقبة وكان معه حملين من دق العراق هدية لملك الروم وفيها خمسة آلاف دينار نشالوه وشدوهم على البغال وعقبة لايدرى من قد ملكه وهو فى هذه الأرض لاظن أنهم غلمان أبو محمد البطال فلما أن نظر اليهم أيس من الحياة وقال هذا آخر مابينى وبين الدنيا وأقبل على اوّاوّ وقال له لاتفعل الى أين تريد بى فقال الى عند سيف الحنيفية الذى قد أنذر نذرا ولا بد له من وفاه فقال عقبة لقد كانت أيشم الطرقات عليه ثم اقبل على اوّاوّ وقال اوّاوّ معلوم ان ماهادنا أبو محمد فظهر عليه صنعة فى أخذى وان حملتنى الى عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فما تجد من واحد منهم منفعة وأنا أشترى روحى منك بخمسين ألف دينار وأقيم فى هذه القرية الخربة التى بين أيديكم وأرسل غلامى العقاب وما يغيب عنكم أكثر من عشرة أيام ويأتيكم بالمال ولكن ما أرسله حتى تحلفون لى أربعين يمينا انكم ماتغدرون بى فقال اوّاوّ حتى أشاور أصحابى ثم خلاهم ومضى الى أصحابه قال لهم ايش تقولكم فى أخذ المال من شيخ الضلال وبعد ذلك نقوده نود البعير الى المنحر فقالوا وكيف تقول له قد بعناك نفسك وتقيم بعد ذلك حتى يصل غلامه بالمال ثم تأخذه وتأخذ عقبة وتسير فاعلم أنه مايفعل هذا حتى يستحلفك فقال أحلف له اذا قبضت المال أطلقك فاذا أطلقته أنا اقبضوه أنتم وهذا كله فى عشرة أيام ونحن فى بلاد الإسلام وما نحن فى بلد الروم فنفزع يعمل علينا حيله وأجمعوا على هذا الرأى ثم أن

لؤلؤ أقبل على عقبة وقال أرسل الآن غلامك وقل له يستعمل العجل فقال عقبة أريد منكم اليمين فقال لؤلؤ ماعليك أنت من أصحابي وأنت تعلم أني أنا المقدم عليهم وأمرى نافذ فيهم وما فيهم من يقدر يخالفنى وأنا أحلف لك ثم أنه حلف بالايمان المعظمة أنه إذا وصل اليهم المال لا يعرض له بعدها فعند ذلك كتب عقبة كتاب إلى عامل له أننى وقعت فى نكبة يضيق لها ذرعى وأريد أن تسلم إلى العقاب خمسين ألف دينار يحملها على بغالين بعد أن تفرغها فى برانى حتى لا يرى لها أحد لعلها تصل إلى بسرعة هذا وان لؤلؤ لما رأى ذلك التحفظ والتدبير من عقبة زاد طمعه فى أخذ المال وقال ما بقى بعد هذه النوبة محال وابن آدم شره فى الدنيا وسار غلام عقبة بالكتاب وأقاموا هؤلاء ها هنا (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير ظالم والبطال فانهما كانا سائرين مع الرجال وكانوا يفتحون عليهما الصناديق ويطعمون الطعام ويسقون الماء ويحدث ظالم لأبو محمد ويقول ما أقول انهم يسيرون بنا إلى الآخرة فيقول أبو محمد اعلم أننا قد قطعنا البلاد وما كاننا الا قد ضيقنا عليهم الأرض حتى يدفعونا من بلد الى بلد وهذا أعظم ما جرى لى ولأبيك فى بلاد الدمدرس وما فرقنا قط وأرجو ان لانفرق أنا وأنت وإن كانت الأخرى فلنا أخوة ببعضنا بعض ونحن كما قال مجنون بنى عامر حيث يقول

أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

(قال الراوى) وهم مع ذلك فى القيود الثقال والكتاف الشديد ولهم أحد عشر شهر سائرين ليلا ونهارا حتى خيل لهم أنهم خرجوا من الدنيا (ياسادة) وفى الأخير أخذوا كما ذكرنا وقتل من كان معهما من الموكلين واقتسمت قطاع الطريق الأموال والرجال بعد قتل الرجال وأخذت كل طائفة صندوق فأما البطال فانه وقع فى قسم قوم بربر ومسكنهم فى آخر جبل الصلت وهى أطراف أول الغرب وأما الأمير ظالم فانه وقع مع الطائفة الملثمة من أرض عبد الودود ابن اسمعيل (قال الراوى) وإن كل طائفة سارت بصاحبها بجماعتها حتى أمنت من الطالب ثم فتح ذلك الصندوق فوجد فيه رجل على تلك الحالة فأما الملثمة فانهم لما نظروا إلى ظالم وهو كالأسد الجاثم غير ان القيود فى رجليه والكتاف قطع يديه وكلموه فلم يعرف بلغتهم وهو قد حار من القوم لما نظر إلى الزى زى النساء والصفة صفة الرجال والأبطال والشجعان والاقيال وهم لا يدرون ما يقول وكذلك ظالم لأنه قد وصل من البرية وقد تمت عليه هذه الرزية ولو كان مع حضور ما أحسن يتحدث فلما رأوه قال بعضهم لبعض معلوم ان هذا مافعل به هذه الفعال إلا وهو يستحق هذا وأكثر والصواب أنكم تقتلوه فقال بعضهم والله ماهذا من ديار العرب لأنه غريب

الشكل وما هو إلا من ديار بعيدة فاحملوه إلى الملك عبد الودود حتى يكشف عن حاله فان كان يستوجب القتل قتله وإن لم يستوجب ذلك أمهله فعند ذلك أطعموه وسقوه وحملوه على الصفة التى كان فيها فساروا به شهراً كاملا وظالم متحير من هؤلاء القوم وهو يقول نعرف الانسان يقطع الطريق على مسيرة يوم أو يومين من بلده وأما على مسيرة شهر فما رأيت مثل هذا فلما كان بعد ذلك نزلوا به عند مفرق الطريق وأظهروا عددهم وأراحوا خيامهم وافتقدوا سلاحهم وأخرجوا ظالم وفكوا القيد من رجليه وأركبوه على بعض الخيل وسلموا إليه عدة كاملة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن هؤلاء القوم كانوا من مدينة عبد الودود وكان ملكها مهابا كثير الجيوش تضرب خيله إلى أقصى الغرب من جانب الكفار والافرنج وكانت حرامية بلاده يخرجون ويكسبون لكن لا يأخذون إلا من وجدوه معولا على المسير إلى جزيرة عروق الذهب لأن هذه الجزيرة فى وسط البحر وفيها عالم عظيم وليس لهم دين بل عليهم اسم الاسلام ولا يصلون ولا يزكون ولا يجتنبون المحارم والناس يسافرون اليهم لأجل الفوائد من اللؤلؤ والجوهر وعروق الذهب وغير ذلك وكان الملك عبد الودود قد أباح لأصحابه كل تاجر يقصد إلى جزيرة عروق الذهب ويقول هؤلاء قد حل قتلهم لأن أبا بكر الصديق قاتل بنى حنيفة لما منعوا الزكاة حتى أنعموا له بحملها (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان لما يريد الله تعالى على مسيرة سبعة أيام من بلد عبد الودود قلعة فى آخر مرج تعرف بعرف الديك وفيها سبعمائة فارس ولهم أمير يقال له أبو الموت ابن ساق المنبر وكان جبار من الجبابرة قد أخذ الجزية من بلاد عبد الودود كلها ومعه أبطال كانهم أسود ويقصد إلى تلك القلعة فلا يقدر عليه أحد فيرجع عنه عبد الودود وتعب من هذا وعلى قلبه الغموم وكان ينذر النذور وأوعد إلى من قدر على قتله يقاسمه فى نعمته ويزوجه ابنته وكان عبد الودود يحمل اليه الأموال خوفا أن يخرب بلاده وكان عسكره يمضى إلى بلاد عبد الودود ويقطع عليهم الطريق ويأخذ نصف ما معهم ويضرب منهم الرقاب غصبا وانتهابا وما كان لهم طريق الأمن عليه لأنه فى محل المضيق بين جبلين وقلعته فى ذلك الجبل وإذا وصلوا خرج أبو الموت اليهم ولو كانوا بعدد التراب ويأخذ مامعهم من الإموال والرحاب اغتصاب وكانوا القوم الذين أخذوا المال مائة فارس وقد غنموا فى تلك السفرة غنيمة كبيرة التى كانت مع التجار يشترون بها جواهر من تلك الجزيرة فلما وصلوا بالقرب من القلعة عولوا أن يعبروا بها فى الليل سرقة حتى لا يعلم بهم أحد ففعلوا ذلك بالأمير ظالم وأطلقوه حتى لا يرى أبو الموت الصندوق معهم

ويظنوا انه مال ثم جعلوه فى أوسطهم وظالم ينظر إلى ذلك الفعل وعلم أنهم خائفين وكانوا معوابن على أنهم يقولون لأصحاب القلعة أننا ماصح لنا فى هذه السفر شىء هذا وظالم قال فى نفسه والله كان الخوف زاد بهم من الذين قدامهم ومالى لسان أسألهم عن حالهم وأطمنهم وأقول لهم لاتخشون من عدوكم وأنا معكم فما يفهمون منى ولو فهموا أعادونى فى الصندوق ومافى الأمر إلا أن أجذب السيف وأطعن بالرمح حتى آخذ ما معهم وأسوقهم بين يدى وهم مشدودين وأحمل المال فى هذا الصندوق الذى كنت فيه وإذا وصلت الى الموضع الذى يفزعون منه أوريهم العجب هذا وظالم فى تلك البريه وما فى عينه من أحد شىء فصاح بالجواد فخرج من تحته كانه البرق وملك عليهم الطريق وأظهر الغضب وصاح يا بنى العواهر خلوا عن الغنائم قبل أن أفلق منكم الهام وأهشم العظام والجماجم فأنا الأمير ظالم هذا والملثمة لايدرون بما يقول الا أنهم عرفوا أنه يريد قتالهم فقال بعضهم لبعض ماهو إلا مجنون ولو كان له عقل مافعل هذا ولو كان أبو الموت ماقدر يقهرنا والمثل يضرب بمثله بشجاعتهم فلما رأوه وهو مصمم على قتالهم حملوا عليه وصاحوا أبطالهم عليه فتلقاهم وطعن الأول قتله وآخر جندله وتكاثرت عليه الرماح من وراه وأمامه فضرب بيده الى حسامه وجعل يبرى الرماح من ورائه وقدامه بصناعة إلى أن يرى الذين فى أيديهم فلما رأوا ذلك علموا أنهم رأوا شىء ماعرفوه فجردوا الصفاح وأقلبوا الدنيا بالصياح وحملوا عليه حملة رجل واحد فأسر منهم اثنى عشر فلما عاينوا ذلك علموا انهم هالكون فسلموا العدد وسلموا أنفسهم اليه وجعلوا يقبلون الأرض بين يديه فأشار عليهم أن يكتفوا بعضهم ببعض ففعلوا ما أمرهم به ثم نزل عن جواده وأخذ المال الذى هو معهم وجعله فى الصندوق الذى كان فيه وحمله على بغل وساقهم قدامه فقال بعضهم لبعض الرجل يرى أنه ايش يعمل وما يسافر الا بصندوقه وخلى منهم عشرة على ظهور الخيل بغير كتاف وسار بهم على الجرة التى كانوا سائرين عليها فقال بعضهم إلى بعض مالنا من يده خلاص الا عند قلعة أبو الموت فهو الذى يخلصنا من قبضته وكانوا يخافون من أبو الموت (قال) ولم يزل ظالم سائر ذلك اليوم وتلك الليلة إلى أن أصبح الله الصباح وقد أشرفوا على القلعة وباب المرج مفتوح فوجد عنده عشرة رجال يطلعون لقبض المال من العابرين فلما نظروا أولئك الرجال وهم بين يدى ظالم فقالوا له من أنت ومن أين أتيت فلم يفهم مايقولون فقال واحد منهم هذا الا رجل عربى ثم كلمه بلغات العرب وقال له من أنت فقال أنا ظالم ابن عبد الوهاب وأما قولك من أين أتيت وإلى أين تمضى فلا أعلم فاكشولى عن الطريق ولا تسألوا عما لايعنيكم فقالوا إيش معك فى هذا الصندوق فقال ظالم أنا فى صندوقى

ذهب يأخذ بالبصر فقالوا ياهذا اعلم أن صاحب القلعة له على كل مايعبر من هنا نصف ما معه فاقسم هذا وانج بنفسك وإلا أن علم ان هذا كله ذهبا أخذه منك جميعه وربما كان ذلك سببا لقتلك فقال ظالم دونكم والمال فاقسموه فعندها وثب واحدمنهم يطلب للمال الذى فى الصندوق فوثب عليه ظالم وثبة الأسد وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وعطف على ثانى فقتله وثالث خندله ورابع أواه وخامس أرواه والبقية تعلو بى الجبل منهزمين وأما ظالم فانه نزل مكانه وسرح الجواد والخيل فى البر ترعى وأركز الرمح والسيف عند رأسه ونام (قال الراوى) وأما ماكان من المنهزمين لما طلعوا إلى الجبل فقال لهم أبو الموت ياويلكم ما بالكم قالوا وراءنا الموت الأحمر الذى لايبقى ولا يذر فقال هو أنا فقالوا لا أنت الموت الصغير وأما هذا هو الموت الأكبر فقال ويلكم أخبرونى بجلية الخبر فوثب من وقته وركب فى سبعمائة فارس وسار حتى أشرف على الأمير ظالم فرآه وحده وهو نائم فطمعوا فيه (قال) وان ظالما أحس بالقوم فشال رأسه رآهم فلم يكترث بهم ونام قال فتعجبوا القوم من ذلك وقصدوه حتى أقبلوا إلى نحوه فلما علم أن القوم تقربوا منه قام وركب جواده وحمل على القوم قتل منهم نحو خمسين فارس فانهزموا قدامه وكان المأسورين فيهم واحد اسمه أبايخلف فتعجب من فعاله ولما نظر أبو الموت الى مافعل صاح صيحة عظيمة وركب وقال لاصحابه اهجموا عليه هجمة واحدة وهجم هو ومن معه فقال له أبايخلف دونك واياه أنا مالى طمع فى المال الذى معه عسى أن يكون من نصيبك ثم ان أبو الموت حمل على ظالم وناداه دونك والحرب والقتال ياقرنان فلما إن رآه ظالم ركب جواده وتقلد بسيفه وأنشد يقول

سلام على الدنيا إذا غاب والدى ... وأهلى وأصحابى ودار حماتيا
بعدت عن الأوطان وأهلى والحما ... وصرت غريبا لا أجيب المناديا
وحيد بهذا القفر فى أرض غربة ... وقد أحدقت حولى حماة الأعاديا
فان وطئت خيل العراق فاننى ... سأتركها تبكى عليها البواكيا
وأضرب فى وجه الرشيد بصارمى ... وأتركه فى الذل عند فعاليا
نفانى وأقصانى إلى أرض غربة ... أرى قوما عجما لفهم كلاميا
ولولا أبى ماكان هذا أصابنى ... ولا كنت إلا صافى البال خاليا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام لهذا الكلام العجيب بعدالصلاة والسلام على النبى الحبيب صاحب البردة والقضيب فعند ذلك حمل أبوالموت على ظالم وهو بشجاعته عالم واعتمدوا على ضرب الصوارم إلى أن طلع الغبار وصار ضياء النهار مثل ظلام الليل بالاعتكار

ونظر أبو الموت من الأمير ظالم أمر عظيم لم رآه من أحد خلافه وكان يقول فى نفسه أن ماله فى الأرض من ثانى ولا أحدا يناظره فى شجاعته فلما علم أنه عاطب التفت إلى قومه وقال لهم احملوا عليه وصاح بهم دونكم هذوا الشيطان قطعوه بالصفائح والسنان قبل تنوح على أميركم النوائح فحملوا عليه فى ستمائة فارس والأمير ظالم صبر صبر الكرام ووقف وقفة أبيه الأمير عبد الوهاب فى مقام الالتحام يوم الحرب والصدام فيالها من ساعة بعد فيها كل شجاع باعه وبانت شجاعة الجبان على حسب الاستطاعة وقد عجبوا الأبطال من قوة ظالم وأبو يخلف يقول لأصحابه ألم أقل لكم إن هذا من جن سليمان من الذى حبسه فى الصناديق وكان محبوس فى هذا الصندوق وأطلقناه فقالت الشيوخ منهم هذا على كل حال مابقى يسلم من هؤلاء الرجال فقال أبا يخلف أنا أقسم بالصندوق وبالصديق العتيق وعمر بن الخطاب بالتحقيق وعثمان بن عفان مجهز جيش العسرة يوم الضيق وعلى ابن أبى طالب صاحب الكرامات المعروف بالسعادة والتوفيق لا بد لهذا القرنان مما يرمى رؤس الكل على قارعة الطريق أما ترون مضاربته كأنها نار الحريق وأهوالها مثل حجارة المنجنيق وهو يهدر مثل الفتيق فما كان أيشمه من صندوق من بين الصناديق (قال الراوى) فهم فى الكلام وإذاهم بحصان أبو الموت قد خرج غاير فقال أبو يخلف مضى والله أبو الموت ووقع به الفوت فقالوا والله لقد أراح الله هذه البلد من شره وغدره فقال أبا يخلف لا كلام حتى نبصر إيش يعمل بنا نحن (قال الراوى) وكان الأمير ظالم لما أحدقت به الأبطال قد رمى روحه على أبو الموت وضايقه ولاصقه وضربه على عاتقه أطلع السيف من علائقه وأطبقت عليه الرجال أجمع وعيونهم من القديح تدمع وهو لرؤسهم بالحسام يقطع والمهند فى كفه يلمع وهو يهدر كأنه السبع وسطح الرجال على البلقع ولم يزل كذلك حتى طرح من القوم سبعين فارس وعلم الباقون أنهم إذا وقفوا قد هلكوا أجمع فولوا من بين يديه منهزمين وإلى قلعتهم طالبين ولم يتبعهم الأمير ظالم بل جمع الخيل والغنائم والعدد المبددة والسلاح والأموال ورجع إلى مكانه باقى النهار وليلته فلما أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح جمع الرجال ورفع المال ودخل بهم المرج فقال أبى يخلف ما رأيته إلا يقصد معنا يريد أن يوصلنا إلى بيوتنا هكذا وسار بهم ظالم إلى أن وصل إلى بلد عبد الودود بعد سبعة أيام فأشرف على مدينة كثيرة الأشجار غزيرة الثمار جارية الأنهار واسعة الأمطار والبلد كأنها الحمامة البيضاء وفيها عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى فلما أشرف الأمير ظالم على البلد نزل عن جواده وأطلق الرجال من الوثاق وسلم اليهم الأسلاب والخيل والرجال والمال بصندوقه وأشار اليهم بأن يأخذوا

الكل ويذهبوا إلى بلدهم فأخذوهم وهم لايصدقون بالنجاة وقد حاروا من فعله معهم والمعروف ونزل الأمير ظالم فى موضعه فى مرج أفيح والماء من حوله يمرح وطول للجواد يرعى ويمرح وانبطح على وجهه وساروا القوم إلى أن دخلوا البلد وعلم بهم كل أحد ونظروا إلى ما معهم من المال والزرد والخيل والأسلاب والعدد ونظروا الى رأس أبو الموت فارتفع الصياح وانقلبت المدينة بأهلها وحملوا هؤلاء الى الملك عبد الودود وهو قد سمع الخبر ولم يصدق حتى وصلوا اليه وأشرفوا عليه فقال لهم وهو قد عاين رأس أبو الموت ورأى الى الاشياء التى معهم من الاموال و لرجال نقال لهم مالكم عندي جزاء فلقد فرجتم عن الإسلام بقتل هذا الملعون كنت أحب أن هذا يكون ثم جعل يعتق واحد بعد واحد منهم ويخلع عليه حتى يطمنه بالخلع حتى أعتق أبى يخلاف وقال له لقد كانت سفرتك سفرة مباركة وكيف كان على هذا الشيطان أبو الموت الذى فى صورة انسان فقال له أبى يخلاف اعلم أيها الملك أن الصدق مليح والكذب قبيح فإن كنت نايم فاستيقظ واعلم أنه قد نزل بساحتك رجل لا كل الرجال وبطل لا كل الابطال وهو للدماء هروق أسد قيم شدوق للقمم بالصارم حقوق يقال له أبو صندوق الجن تفزع من شجاعته وبراعته والانس لايقدرون على ساعة من محاربته ثم إن أبي يخلاف جعل يحدث الملك عبد الودود بحديث ظالم من أوله إلى آخره وكيف وجدوه فى الصندوق وكيف فزعوا منه ولما ساروا بقرب قلعة أبو الموت كيف فزعوا من القلعة وسلموا اليه الجواد والعدة وقاسوا منه تلك الشدة ثم أيها الملك ولو كنا سلمنا له أنفسنا من الأول كان لنا أجل ولم يكن أحد منا يقتل ولكن لما رأينا الهوان صرنا له خدما وغلمان وقد نزل فى مرج الآس وهو كالأسد الغضبان وأعطانا المال والرجال ومن علينا بأنفسنا وهو عربى اللسان ولم يكن فى أصحابنا من يعرف كلامه غيرى ولكن لم أقدر أن أكلمه من الهيبة التى وقعت له فى قلبي فانظر الآن بين يديك واعرف قدر من نزل عليك واركب اليه فى أهل البلد فقد فعل معك فعال مافعلها أحد وان أراد البلد فلاتقاتله ولاتناضله ولا تغتر أنك فى مائة ألف فارس فهذا مايقع على الوصف والرزية عندقبضته والرعود عند صيحته فلما سمع الملك عبدالودود ذلك الكلام من أبي يخلاف قال والله ان طلب هذا الرجل بلدى بعد قتل هذا الظالم الغاشم فهو له ولا أمانع عنه وأكون معه من بعض أعوانه ولقد زرع والله فى قلبي له محبة عظيمة فقال أرنى اياه وأنا خارج إلى خدمته لعلى أحظى بمشاهدته وتكون هذه البلد ممنوعة الجناب بهيبته لأنه قد طمعت فينا البربر لأجل أنى صاحب زاويه ومحراب وهذا الملك لايصلح إلا لرجل يستحل المحارم ويكون

فى مملكة جائر ظالم حتى يهابوه العوام ويخافوه الاعدى اللئام على طول المدى والأيام وهذا الرجل الذى وصفتوه لعل الله يكون قد نظر إلى كبر سنى لأنى لم يرزقنى الله بولد عمرى وقد سهل الله هذا ليقوم بنصرتى ثم ركب الملك عبدالودود فى خواص دولته ومن حوله ألف أمير وكان بالعربى فصيح اللسان وأكثر أهل البلد كذلك إلا الذين من السواد وأهل الحلل لا يعرفون إلا بكلام الملثمة وسار الملك فى ألف فارس وقد نشرت الرايات ونعرت البوقات وقادوا الجنايب وهم على السروج المذهبة ومن حولها العبيد من كل جانب والرجال والنساء والعالم يرقصون فرحا ويتلاعبون مرحا حتى وصلوا إلى الموضع الذى فيه الأمير ظالم (قال الراوى) وان الامير ظالم كان فى تلك الساعة قد هجم عليه السكرى فلما نظر جواده إلى عسكر عبدالودود ضرب الارض بحوافره وصهل فوثب الامير ظالم فى الوقت وطرح السرج عليه وشد الحزام حتى لعبت قوائم الجواد على وجه الارض وأبى يخاف والملك عبدالودود ينظروا وفى ذلك الوقت قد أشرفوا عليه وأقبلوا اليه ونظروا إلى أربعة قوائم الجواد وهى تلعب على وجه الارض فقال أبى يخلف هذا والله ياملك الذى حدثتك عنه فترجل اليه وجميع عسكرك يكون معك وانظر الساعة وإن كان لك نية فى مصالحة الرجل فافعل وإلا ان صبرت فهو يحمل علينا فما يرجع يسمع منا كلام فان له طعنات ماتقع فى أحد الا ومات وما تنفع هذه العساكر وأنا إلى وراء أتأخر فلما سمع الملك عبدالودود ذلك ترجل وترجلت الرجال من حوله وضربت البوقات ونشرت الرايات وظهرت الخلع لان الملك عبدالودود ماقصر فيما فعل

(قال الراوى) وحدوا عظمة من لا ينام وصلوا على محمد بدر التمام ونظر الامير ظالم الى الاعلام وسمع هدير البوقات وحس الكوسات فجعل الجواد يشب به ويجفل من تحته فلما رأى ذلك غضب وقفز من السرج الى الارض وسل سيفه وضرب به الجواد على سرجه قطع السرج والحصان نصفين كانه قد نشرهم بمنشار قطعتين فصاح أبى يخاف أحسنت صح الله بدنك هذا والله رجل عاقل فلما نظر الملك عبدالودود ومن معه تلك الضربة لم يبق واحد منهم الا ولاح الصفار على وجهه وقالوا والله مايضرب واحد منا مثل هذه الضربة ويصيبه بعدها خير أبدا وان كان ذلك أبو الموت فهذا هو الموت كله بعينه فعند ذلك قال الملك عبدالودود من يخرج اليه ويعلمه أننى قد خرجت اليه بروحى وقصدت اليه حتى أنى أكافئه على فعاله بكل خير واننا مانحن خرجنا اليه نطلب قتاله ولا قصدنا حربه ولا طعانه وانه يكون عندى بمنزلة الولد فلم يكن أحد يجسر على ذلك بل قالوا مالهذا الا أبا يخاف فقال أبى يخاف والله ان مقصودكم أن لا يجمعنا الله عليكم

بعدها أبدا ومن أين هذه المعرفة بيني وبين الرجال وأنا ماأعرف بالمربى جيد فانظروا واحد غيرى والا من يخرج معى فإني والله ماأخرج اليه وحدى فقال عبدالودود وأنا أسير معك مع انك لا تعلم أنى أمير هذا العسكر وصاحب البلد حتى أقول لك فقال سمعا وطاعة ثم خرج الملك عبد الودود وأبو يخلف طالبين له وسائرين اليه حتى قربوا منه فعلم الأمير ظالم أن الملك عبدالودود قد طلع من أجله فوثب الامير ظالم له قائما وأكرمه ورفع قدره وعظمه (قال الراوى) وهذا أعجب من أن يكون الامير ظالم يفعل مثل هـــذا من اجابته وهو ما هاب الرشيد ولا هو أعظم سلطانه ومملكته ولكن الغربة والفرقة تزل ولا يبقى معها عزة نفس لاجل ذلك ولو كان ملك الارض فى طولها والعرض إلا أن عبد الودود جلس بين يديه وقال له بالمربى اعلم يا بنى ان ملك هذه المدينة قد أرسلني إليك حتى ينعدم عليك لأجل ماقد فعلته مع هذا الظالم الغاشم أبو الموت الذى كان خرب البلاد وأخذ أموال العباد وأظهر فى أقطار الأرض الفساد فمن أنت ومن أين أتيت فقال ظالم حديثى طويل وأماقولك أن صاحب هذه المدينة ينعم على فما قصدى فى مال ولا رجال ولكن أنا سميع مطيع لهذا الملك وأنا ضيفه ولى قصة عجيبة فان سهل لى رب الكعبة فى الخلاص فأنا أودعه وأعود إلى أصلى ويجمع بهم إن شاء الله تعالى شملى على أننى ماأمضى من هذه الديار وأترك فيها من المفسدين ديار فعند ذلك ضمـــه الملك عبد الودود إلى صدره وقال له يا بنى فأنا ملك القوم وأنا عبد الودود وقد مشيت اليك بروحى وما رزقنى الله فى عمرى ولد ذكر ولعلى أن يكون لى فى هذه الأرض سندو يملك من بعدى البلد ثم أشار إلى قومه فاقبلوا على الأمير ظالم وسلموا عليه وارموا الخلع عليه وبين يديه فقال ظالم عندذلك حدثنى يا ملك ماهذا التلثم الذى على وجوهكم كبراقع النساء فقال يا بنى هذا زى القوم وصفتهم وبه جرت عادتهم ثم ركب ظالم وركب الملك عبدالودود وسارت الرجال بين يديه وقد ضربت البوقات وخفقت الرايات والصناجق وقد سبق أبى يخلف يأمر الناس بالنزول وتزيين البلد ففعلوا ذلك وكان يوم دخوله يوم عظيم فنظر ظالم إلى المواكب والعالم فتذكر والدته القناصة وعبيدها وبلادها وما جرى عليه من شماتة الأعداء وتذكر صباح زوجته وهواه القديم فأنشد وجعل يقول .

ولو اننى أعطيت من دهرى المنا ولا كل من يعطى المنــــا بمسدد
لقلت لأيام مضين ألا ارجعى وقلت لأيام أتين الا ابعدى

(قال الراوى) وسار الأمير ظالم إلى دار الملك عبد الودود فنظر إلى بلد أحسن من بغداد وكثيرة العباد فقال له الملك عبد الودود ياولدى البلد مسلمة اليك ومعولى على الله

وعليك ولى بنت مارزقت سواها تكون جارية بين يديك ومالى فى هذه الأرض عدو غير ملك البربر ولو لم يكن بلدى حصين لم أكون فيه من سنين وهو رجل جبار فاسق حمار فقال له الأمير ظالم قد كفاك الله شره ومؤنته وسوف أعجل لك منيته فقال له يا بنى اعلم أنى مايطمئن قلبى بك الا وأنت تكون عندى بالكلية وأريد أن أزوجك ابنتى فهى أجمل من النساء التى فى أرضنا و بلادنا وأنول أنها أحسن بنتا فى الأرض فى طولها والعرض وقد بان لى أنك من أرباب الاحوال فقال له الامير ظالم أيها الملك اعلم أنه مايمكننى ذلك لانى مالى نية الى الإقامة ولا بد لى من الرجوع الى بلادى ثانى فإنى أنا ياملك مرجوعى إلى أرضى فقال له يا بنى أنت فى آخر بلاد الملثمة إلى أطراف بلاد البربر وبينك و بين أرض مصر مسيرة ثمانية أشهر فمن الك فى تلك الديار لتطالبه فقال يامولاى حديثى عجيب وأمرى غريب ثم أنه ابتدأ وحدثه بالقصة من أولها إلى آخرها وكيف تزوج عبد الوهاب بأمه من أحجاز وكيف رزقت منه به وحديثه مع الخليفة ورميه بالكذب وكيف ذلك ونفيه إلى تلك الارض فبكى عبد الودود وقال له ياولدى أنت من آثار ديار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الوجه تربية مكة وعليه آثارها وجعل يضمه إلى صدره ويقبله بين عينيه ويقول يابنى أريد أودع ابنتى منك وأنا من تحت يدك وان مت فأنت صاحب البلاد وان أردت المسير الى أهلك فيكون من بعد خمسة أعوام اذا سرت سارت الجويرية معك ويكون قلبى معك طيب لانك من أهل الدين والقوة والشجاعة والسطوة على الاعداء فقال الامير ظالم مالى الى هذا من سبيل فى هذا الوقت ولكن أنا أقيم عندك الى أن يأتينى خبر صاحبى فقال أبى يخلف كان الصندوق الآخر كان لك فيه رفيق قال نعم فقال أبى يخلف ليت كان معك أربع خمس صناديق من هذا المتاع حتى كنتم تفتحوا بلاد الغرب كله وما ألوم الرشيد الذى فعل بكم هذه الفعال لانه خاف أن تملكوا منه بلاد الشرق فنفاكم الى الغرب وبقى الامير ظالم متفكر فى حال أبى محمد البطال لايدرى هو سالم أم عاطب (قال الراوى) هذا ما كان من ظالم (وأما ما كان) من أمر الامير أبى محمد البطال فان القوم البربر لما أخذوه كانوا من خمسه أجناس من البربر وانهم أخذوا الصندوق وهم يظنون ان فيه مال وكانوا من مدينة أزور ملك البربر وكان رجلا شجاعا مناعا وكان أبو الموت قد أكل المال من بلاد الاندلس الا من هذا أزور بن أزورر ملك البربر فإنه كان يخشى ان جانبه ولا يقربه ولا يقرب بلاده الاآن البربر ساروا بالبطال ذلك اليوم والثانى فجاع وعطش فصاح من وسط الصندوق بأعلى صوته ويلكم ماأنتم مسلمين اطعمونا والا نحن هالكون وكان البطال يظن ان القوم

الذين أخذوه هو وظالم معه فلما سمعوا الصوت هالهم ذلك ثم أنهم أنكروه وما فيهم إلا من خاف وفزع فزعة ثانية ففتحوا الصندوق وقد وقع فى قلوبهم هيبة عظيمة وفزعة وخرج منه البطال ورأوه وهو ذميم الخلقة فقالوا له بالبربرى ويلك من تكون ومن وضعك فى هذا الصندوق وتركك بهذا القيد موثوق فلما سمع أبي محمد كلام الذين خاطبوه علم أنه بلسان البربر يحدثوه وكان تعلم لسان البربر عارفا به أكثر منهم وأفصح لأن إبراهيم بن الخصيب كان قد أعطاه جارية بربرية فى بعض الأعوام وكانت ذات حسن وحبها أبي محمد وأقامت عنده مدة أعوام وماتت فلما كلموه علم اللغة وقال لهم أنا رجل حكيم وان العلوم زادت على حتى انى عدمت عقلى والبنان وبقيت على ذلك برهة من الزمان وعوفيت وبرئت وأبرى المجنون وأداوى المريض وأعمل على كسر العسكر وهزيمة الجيوش والعساكر وإن ملك اسكندرية وديار مصر خشى منى أن أعمل على كسر عساكره وهو كثير الاعداء والأضداد فجعلنى فى هذا الصندوق ونفانى من هذه البلاد وجعلنى فى هذا الأمر الذى تروه وسوف يندم على فعاله اذا كثرت بلاده الطاعون ويطلبون رجوعى اليهم فلا يقدرون فلما سمعوا كلامه قال له ياهذا أبشر ما عليك إلا الخير ولا ينالك شر ولا ضير ونحن نحملك الى الملك أزور ملك البربر فانه يقع له فى كل شهر جنون وهو أشجع أهل زمانه ودهره فقال لهم أبي محمد لا تعرفوا عافيته إلا منى وأعمل له ذلك بغير انى أعرف منكم شىء من الزاد أمسك به رمق الفؤاد فقدموا له الطعام ولم يذكر ظالم حتى اكتفى وشبع عندذلك قال لهم أين الصندوق الآخر الذى كان معى ما فعل الدهر به وما صنع قالوا انه فى قسم الملثمة وقع فقال أبو محمد ماجرى على أحد مثل ما جرى علينا وساروا به القوم الى أن وصلوا الى ملك البربر بعد أربعين يوم ودخل بعضهم إلى ملك البربر يخبره بالرجال الذين قد خرجوا إلى المكسب انهم قد غنموا غنيمة عظيمة وقد رجعوا سالمين ومعهم رجل حكيم صاحب حكمة يزعم انه يبرى المريض ويشفى السقيم ويذهب الصرع من المصروع ويفتح القلاع والحصون فلما سمع الملك ذلك قال ارجعوا إليه وأفيضوا الخلع عليه ولاتدخلوه البلد إلا معززا مكرما معظما ثم أمر أن يخرج الى لقائه أهل المدينة وأن يزين البلد بأنواع الزينة ففعلوا الناس ذلك وساروا اليه وجعلوا الخلع الوافرة عليه وأركبوه على جواد عال من الخيل شديد القوى والحيل وضربت بين يديه البوقات وخفقت الرايات ففرح بذلك أبي محمد وحسب عاقبة الأمور وقال فى نفسه ياليتنى لم أقول لهم انى أبرى المجانين ولم كنت أدرى أن ملكهم مجنون وانى أخشى أن يثور عليه الجنان فى رأسه فيخنقنى حتى أشرب شراب المنون وأكون قد سلمت من

بلاد الملاعين أقع فى أيدى المجانين ولكن أنا أتوكل على رب العالمين ودخل أبو محمد على أزور ملك البربر فقربه وأدناه وأقعده إلى جانبه وتحدث معه ونظر أبو محمد اليه وإذا به كالجمل الهائج وله ثلاث شعرات تحت حلقه وله عيون مثل عيون العصافير وهم مثل أجاجيج الدم وله جسم كجسم الجاموس وكان معروفا بالشجاعة فقال له اعلم ياحكيم ان هذا المرض يعترضنى فى كل شهر مرة ولم أدرى هل هو جلط أم جن فقال أبو محمد اعلم ان شاء الله أداويك بقدرة الله أشفيك فقال له ياحكيم ان كنت ماسمعت بى فأنا الملك أزور ابن أزرور انت أبرئت دائى أعطيتك عشرين بدره من المال وتكون عندى معظما وأجعل كل طيب فى هذه البلاد وجميع أراضى تحت حكمك وإن شئت اردك إلى بلادك وإن لم تقدر على شفائى فأنا وحق عمر بن الخطاب أعذبك بأنواع العذاب واعود الطمك بالنطاع وجميع العذاب وأعود بعد ذلك أرميك إلى السباع الذين عندى فتكون لهم طعام فقال أبو محمد ماهذه الا نوبة صعبة ثم أقبل على الملك وقال له اعلم أنى ماقلت ذلك إلا وأنا مقيم على قولى ولكن أيها الملك ذلك ماأقدر عليه حتى أرى مرضك وقت يثور عليك قال هذا جرى على منذ ثلاثة أيام فأقم عندى إلى تمام الشهر فى غاية الاكرام فقال سمعا وطاعة وكان قصده ان تطاول الأمر لعله يجد إلى الهرب سبيل أو أن يكشف خبر ظالم (قال الراوى) وسأل أبو محمد كم بينه وبين ديار مصر وهذه الأرض فقالوا له ثلاثة أشهر ليل ونهار فقال أبو محمد واغربتاه نجعل يتذكر نورى ويبكى بدموع غزار وأقام عنده على ذلك الإكرام حتى مضى خمسة وعشرين يوما فضرب الآجل فوكل به رجال يحفظونه من البربر فلما كان اليوم السابع والعشرين وأبو محمد على غاية الهم اذ دخل على الملك رجال وهم صارخين فقال لهم الملك ماوراكم وما الذى دهاكم فقالوا أيها الملك انا سرنا فى هذه النوبة التى هى نوبتنا فى كل سنة ان نغار على ديار عبد الودود وأخذنا كل ماكان على ظاهر البلد فلما ملكنا ذلك على ماجرت به العادة فما تنصف النهار حتى طلع الغبار عن خمسين فارس فى أوائلهم أبو يخلف وهو يقول لنا اصبروا فقد أتاكم أبو صندوق يأخذ منكم الحقوق فرجعنا وقد هان علينا هؤلاء حتى أن قربوا منا وفى أوائلهم فارس ملثم كانه طرد من الأطراد أو بقية من بقايا قوم عاد لحمل علينا وصاح بنا صيحة أرعبت منا القلوب ورأينا منه مالا رأيناه من أحد وقتل القائد مخلوف وثنى بعبد الرؤف وقتل الأمير غانم وفلق راس عبد الحق وشوش العمائم وجعل يجمعنا بالرمح ويفرقنا الحسام كما يجمع الراعى الأغنام واسترجع منا الغنيمة وانهزمنا فقال لهم الملك وقد أزورت عيناه غاية الأزورار لقد لبستم العار وافتضحتم فى سائر الأقطار ولا بد من المسير إلى عبد الودود

واتركه مقيد بالقيود فقال له لا تتعب فهو غداة أن يكون عندك وعبد الودود زوجه ابنته وملكه البلد وهو طالب به الغزو إلى بلدك يريد يقتلك ويقتل كل من عندك لما يعلم منك من الغدر ومن شرب الخمر واعراضك عن الصلاة وقلة عظاتك فى بناء المساجد وأخذ أموال الناس بالظلم والغصب وصاروا أهل بلدك كلهم فى هذا المذهب وقد منعوا الزكاة وأعرضوا عن الصلاة وعبد الودود زاهد وإلى عبادة ربه ملازم وسمعنا أن هذا الرجل سائر إليك فانظر لروحك والا تخرج من يدك البلد فعندها انقلبت عين الملك فى أم رأسه عند ذلك المقال الذى تكلم به ذلك الرجل ثم أمر بضرب رقبته وجعل يأخذ من دمه ويشرب وهذه كانت عادته إذا غضب لا يهدى عنه غضبه حتى يشرب دم إنسان ثم نادى فى الناس بالركوب فما كانت إلا ساعة حتى صاروا على ظاهر المدينة مقدار أربعين ألف وأزيد وأقاموا طول الليل خارجين ولا يقدرون أن يتخلفوا خوفا من الملك وقالوا هذه النوبة يترك بلاد عبد الودود دكا وكأن ماعبر بها عابر هذا وأبو محمد قد فرح لأنهم اشتغلوا بما أتاهم فعندها تقدم أبو محمد وقال أيها الملك طب نفسا فإذا وصل هذا العسكر فسوف ما أفعل وما أدبر فقال له الملك مانحن محتاجون اليك وسوف يكبر عليك ماترى بعينك وأصبحوا ثانى يوم على ظاهر البلد ستين ألف وهم الملك بالمسير ففزع وتخيل فأتوا إلى الأمير أبو محمد وقالوا انهض إلى مداولة الملك فقال سمعا وطاعة ثم دخل اليه فوجدىدان مطبوقتان وهو يلاطم الحيطان وكلما وقعت يده فى حائط خرجته مثل وتد الحديد فقال أبو محمد والله مايقع يده فى رأسى إلا وتخرج الحكمة منها ثم خرج وتركه فقالوا له ايش عملت فقال لهم عرفت مرضه فقالوا له ايش هو فقال لهم هذه العلة تدل على ان تحت الأرض صاحبه وما يحب أن يدخل عليه أحد من الإنس فى مثل هذا الوقت (قال الراوى) وباتوا تلك الليلة فلما أصبحوا فى اليوم الثانى أفاق الملك حتى كان لم يكن به شىء وقال حكيم كيف رأيت قال يامولاى أنا أخلصك من هذا الذى أنت فيه ليلة الأحد فهو معه فى الكلام وإذا بالصياح قد ارتفع فسأل عن الحال فقالوا وصل الملك عبد الودود فى عشرين ألف فى أوائلهم الفارس المقدم ذكره كأنه الأسد الأدرع فوثب كأنه ثعبان وركب وهو عريان ولا فى وسطه ثياب لأنه كان إذا أفاق يجد فى جسمه حريق النار واعتقل برمح طويل لم يكن فى بلاد البربر من يقدر يحمله وكان عليه سنان كأنه شعلة نار واحدقت به الخيل من كل مكان فلما صار فى ظاهر البلد وجدعسا كر ضربت صفوف وهم فى سبعين ألف وأكثرهم بالحراب الرشاق والتراس الصفاق وإذا بالغبار قد علا والقتار قد نما فلم يكن له اصطبار بل سعى اليه وهو وهو بهذا يكذب لأنه يعرف ان عبد الودود لا يقدر يخرج إلى حربه بل كان يداويه وقت

اتخاذ القتال ووقعت العين على العين فهدر وزمجر وأشار إلى قومه بالحملة على ذلك العسكر وكان السبب فى ذلك أن أصحاب الملك أزور لما غاروا على ديار عبد الودود وخرج اليهم ظالم وفعل بهم مافعل قال ظالم لعبد الودود سر بنا إلى ديار هذا الرجل فقال يا بنى إن هذا الرجل جبار وأهل بلده كلهم أشرار ولا يحتاج أن نسير اليهم لأن المنهزمين عادوا وقصوا عليه القصة ولا بد أن يأتى فى كتائب تملأ الآفاق هذا وعبد الودود على فعله من خوفه على بلده ولم يعجبه تعرض ظالم برجال ذلك الجبار لاجل ما يهدمنه فقال له الأمير ظالم وقد عرف خوفه من ذلك الجبار اعلم أيها الملك الرفيع العماد ان القعود فى انتظار الأعداء من علامات الفساد وإن لم يكن لك نهضة فى الحرب فأنا أكون الفدا فقال عبد الودود لنا أسوة بك ثم انتخب من عسكره عشرين ألف فارس وساروا حتى وصلوا الى بلاد البربر ثم ان ظالم حمل وحملت أقياله وحمل أزور برجاله والتقت الشجعان بالشجعان فكم من رأس طائر وفرس غائر وجبان حائر وكف باتر وطرف فاتر حتى أظلم الظلام هذا وقد فتك أزور بالناس فتكا وسفك سفكا ونكل الأبطال ونكس الأقيال فكان ظالم أحسن تنقب بالنقاب لأن عبد الودود ألبسه زى الملثمة وتنكر بالثياب وكانت عيونه من تحت النقاب كأنها عيون المها والغزلان هذا وأبو عجاف يقول باليتنا جبنا معنا ذلك الصندوق الآخر وظالم يضحك عليه ومافيهم إلى من ينكر الأمير ظالم ويشكو مالتى من أزور وكيف هبر الناس هبرا وجزرهم جزرا وقال لهم ظالم طيبوا انفوسكم فسوف ترون إن شاء الله تعالى ما يطيب إلى قلوبكم فطابت قلوب الناس بوعد الأمير ظالم وبات الناس منتظرين الصباح وأما أزور قال لأصحابه لقد طلبت اليوم الفارس الذى ذكرتوه فلم أقدر عليه فقالوا أيها الملك حملت الناس فى سبعين ألف من العسكر وخاض كل جيش فى الذى بين يديه فما كان الأخ يعرف أخاه ولا الابن يعرف أباه فقال لهم فى غداة غد أمرت الناس بالمبارزة فاذا خرج نظرت إلى شمائله فان كان يصلح للمبارزة بارزته فهذا جرى لهؤلاء وأما أبو محمد فانه كان عليه التوكيل فى الدار التى كان فيها فى البلد حتى يقوم الملك بمداواته وبلغه العسكر الذى ورد فقال قد وقع فى نفسى ان هذا الفارس الذى يذكروه انه الأمير ظالم هذا وقد اشتغل قلبه بذلك الشان ولم ينم تلك الليلة وحمل هما عظيما وتجددت عليه الاحزان فلما أصبح الصباح واشتهر كل هزبر وقاح وركبوا الجرد القداح وإذا بفارس قد برز بين الصفين واشتهر بين الفريقين وحمل على ميمنة أزور فشوشها وأقبل على الميسره فزعزعها فتصايحت عليه الابطال وهو كالاسد الديال وقد صال وجال وأنشد وقال هذه الابيات

أيا نفس صبرا للتغرب دائما ... فان كريم القوم من كان صابرا
ولي وجلال الله أشرف موطن ... فأصبحت في واد من الغرب حاضرا
ولي صارم نعم الرفيق وأسمر ... تعوذ مني أن يخوض الحناجرا
وان كان أنفاني الرشيد بظلمه ... ولم يدع لي ودا وأهل المفاخرا
وأفقدني أهلي وأم حنونة ... وأوطان صدق طيبات عوامرا
وسرت الى عبد الودود لانه ... حليف التقا والدين مازال طاهرا
وسرنا الى هذا الذي شاع ذكره ... ظلوم غشوم في الاقاليم كافرا
ويعرف بين الناس بازور وقد ... أصبحت كماه تدهى البرابرا
فدونكم إلى همام غضنفر ... أجول على الابطال في الحرب قادرا
وأقسم اني ان رأيت مقامه ... سأمنحه مني صقيلا وباترا
وأترك هذا الجمع من بعد فقده ... وقوف حيارى لاينالون وافرا
وأملك أرض البربر بين عنوه ... ويصبح من عاداني اليوم خاسرا
إلى أن يعود الجو خال وينطوى ... بساط امامات المظالم دائرا
ومن بعد هذا أطاب الاهل راجما ... إلى أرض مصر ليس أخشى الدوائرا
ويصحبني عبد الودود وخيله ... وأصحابه نحو الملوك الغوادرا
وأنزع من أيدي الخصيب بلاده ... وأتركه من ذلة الاسر حائرا
وأضرب أقطار السواحل ماجد ... لتبلغ أفعالي الرشيد المغادرا
وأربط أبطالي على باب غزة ... وأترك من فيها من الذل قاهرا
وتركض خيلي في الشآم جميعه ... وصير صغار القوم فيهم أكابرا
ترى نلتقي يوما ونرجع رفقة ... ويرجع بيت الفخر في الارض ظاهرا

(قال الراوى) وان أبو يخلف لما سمع شعر الامير ظالم علم أنه بطل عظيم وان له نفس شريفه وهمة عالية خفيفة فقال له يامولاي مايحتاج أن تقسم وتحلف واذا أنت مضيت جاء معك غلامك أبو يخلف ولي من من الاهل والعشرة والاولاد أكثر من ألف فارس مثل الليوث والعوابس كلها تقاتل بين يديك فعند ذلك شخصت عساكر البربر واضطربت ورفعت أصواتها بالبربريه فارتعدت وترجلت أبطالها بعد ما ركبت وزحفت طالبة الامير ظالم وفي أوائلهم فارس على جواد أصفر اللون مليح الكون كانه عاشق أوله خل مفارق يسبق البرق البارق مثل الفلك الدائر والراكب مثل الجبل على ذلك الجواد الغاثر وعليه زرديه من عمل البربر لايعمل فيها الصارم الذكر ولا تنفك

من ضربة عمود ولا حجر صاحبها فى أمان من القبر تقصر عن صفاتها البشر وفى يده صارم مشتهر
(قال الراوى) فلما رآه أبو يخلف علم أنه الملك أزور ملك البربر فأقبل على ظالم وقال
يامولاى هذا ملك البربر قد خرج اليك فانظر لنفسك فان فى رأسه خباط يتور عليه وأنا يا ملك
متوعك البدن فى هذه الساعة مرادى أرجع إلى خلف العسكر وأعقل على روحى ولولا ذلك
لكنت وقفت معك ونفديك بنفسى فعلم ظالم أنه أخذه الفزع عند نظره إلى الملك أزور
فسكت عنه (قال الراوى) هذا وقد قرب أزور من ظالم وهو كالأسد الغاشم وكان مجنون
لا ينظر فى عواقبه والا لو كان ينظر فى العواقب ما كان قدم إلى النوائب وكان يفهم بالعربى
فصيح اللسان يعمل الشعر ويرمى النثر والنظم قلقسوة البربر وكان أفضا به ذلك إلى التغيير
والتعطيل والتكذيب بالبعث والنشور وذلك كما يريد من شقاوته يوم القيامة ثم انه حمل على
الأمير ظالم وكان سمع شعره ونظمه ونثره فحمل عليه وقوم السنان وحمل ظالم عليه عليه فكانا كمثل
جبلين تصادما أو بحرين تلاطما وفتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وسمع صوت
المضارب على الطرق كصوت الرعد اذا خفق وهدير الفارسين وجرى اللعاب وقد تقسطل
عليهم الغبار حتى غابا عن الأبصار وأظلم النهار وقام الحرب على ساق وعملت الصوارم والرقاق
وأخذوا فى اللقا والافتراق وارتفع الزعاق وتطاولت الاعناق اليهم (قال الراوى) وما من
طائفة الا أيست من صاحبها بما رأت من الأفعال وان أبو يخلف تقدم إلى الملك عبد الودود
وقال له ما كان صواب مجيئنا إلى هاهنا وحق الصديق العتيق ما يحرم صاحبنا السعادة
له إلا وقد حرم التوفيق وما بقى منا من يهتدى إلى طريق لأن أزور جبار كأنه
عقيق ولو كان معنا رأى ما كنا سلكنا هذا الطريق لأن هذا الملك أزور كان لابد
من المجىء إلى عندنا وكنا نحن فى بلدنا إذا وجدنا ضيقة أو غلبة دخلنا إلى خلف الاصوار
وما بيننا وبين الحياة إلا هلاك ظالم وما ترى أحدا منا يروح سالم فعند ذلك قال له عبد الودود
لا بشرك الله بخير وأنت دائما ما تقرأ علينا إلا كتب الآفات فقال أبو يخلف ياهذا إنى
ما أقول إلا الصواب لأن صاحبنا هذا مجنون وقد وجدناه فى الصندوق كما علمت والقيود
فى رجليه والملك أزور مجنون أيضا وقد وقع المجنون على المجنون فايش فضولى أنا بين
المجانين عسى يخرج الجن منهم علينا وما ينفلت منا دقن فضحك عبد الودود من وسط الغيظ
وقال اقبضوا على هذا الشيطان وإلا انهزم فى المعمعة وكسر العسكر لأن بنى يشد بعضهم
بعضا فقال أبو يخلف لا بحق عائشة الصديقة وفاطمة الشفيعة ومريم الوثيقة فقد أقسمت
عليك بحق الصادق والصديق لا تقبض على فإنى أعلم أنه لابد لكم أن تهربوا وأكون أنا
معتقل فتقع الحرارة كلها فى رأسى فقال قد أقسمت على عظيم فلا ترجع تشاهد ضرب

ولاضراب وكن عند الخيام فقال كذا أعمل يامولاى بغير وصية (قال) وجعل عبدالودود يبكى ويدعو الله أن ينصر ظالم وينذر النذور وتم بينهما الطعان إلى أن تقصفت الاشطان ولم يبق بينهما غير الكعاب وتثلمت السيوف من كثرة المضاربة وكان فى أيديهما تلك الدرق التى لا تعمل فيها السيوف ولا تنفذ فيها الحتوف ولم يزالوا طول النهار وأمسى المساء وصاحت كل طائفة إلى صاحبها فلم يرجع وقال أزور لانرجع من هذا البلقع إلا ورأس كل واحد منا مع صاحبه فقال ظالم وذمة العرب وحرمة النبي المنتخب لو أردت أن تمضى لاخلينك فكن من هذا يقين ولكن نحن بلا عدة فإذا أردت أن نصبح بأصحابنا فيأتوا كل واحد منا بجواد وعدة جلاد فعند ذلك صاح الأوزر إلى قومه وطلب ما ذكرناه وصاح ظالم بأبا يخلف آتينى بعدة فقال الملك عبدالودود هاتو أبو يخلف فأحضر بين يديه فقال ياأبا يخلف إن الامير قدعول على المبارزة وقد طلب عدة وجواد من أصايل الخيل وربما عزما على القتال فى ظلام الليل فخذ هذا الحصان والسيف والسنان والزاد والماء فانى أعلم أنه قد اتى اليوم الجهد من شدة الظمأ فلما سمع أبو يخلف ذلك تغيرت أحواله وقال يامولاى ارسل هذا مع غيرى فانى قد عزمت على الرحيل من قبل القتال لان معى خاطر قد أعاقنى عن صحبته فعند ذلك غضب عبد الودود وأقسم لاسار اليه غيره فعند ذلك خرج أبو يخلف وهو يقول أعوذ بالله من شر هذه الليلة ووصل إلى عند ظالم فوجده مثل الاسد الجاسم ووجد جواده قد وقع إلى الارض بجانبه مما قد جرى عليه فلم يكن لابو يخلف صبر ان يثبت فسلم ذلك إلى ظالم وكان قد وصل إلى أزور كذلك هذا وأزور نظر الى أبو يخلف نعرفه نصاح صوت كاد أن يسلب عقله وقال يا أبا يخلف قل لعبد الودود ان الملك أزور أقسم بتربة أبيه أزوران لابد له أن يترك ديارك بلقع يعوى فيها الديب والسمعمع ولارحمت شيخ كبير ولاطفل صغير فقال أبو يخلف لاتؤاخذنى فليس لى فى هذه السيرة لا كثير ولا قليل ومن ساعة كنت معه فى هذا وقات قم بنا إلى بلادنا فما لنا نحن مع هذا الرجل مقام ولا نضرب فى وجهه بحسام ولا قبل منى وبعد ذلك رجع أبو يخلف وقد طار فؤاده (قال الراوى) وان أزور كان له ولد وكانت البربر يسموه عقرون وكان فى مكان عظيم لانه كان فى طبقة أبيه فلما رأى ذلك الغلام الى الامير ظالم قال هذا لايجب أن يهمل أمره فربما يصل الينا شره وما لى الا ان أمضى الى ذلك الحكيم الذى عندنا وآخذه ثم أمران يحضر البطال فأحضروه فقال ياحكيم اعلم ان مامن طامة الاوفوقها طامة واعلم أن أبى قد أجمع أهل الارض أنهم ماراوامثله فى فروسيته وشجاعته وقد خرج له فى هذا اليوم هذا الفارس الملثم ابن الملك عبد الودود وقد جرى

منهما مايشيب الطفل المولود وأنت قد وعدتنا أنك تبرى كل مرض وتدفع كل عرض وما نريد منك إلا معاونتك لنا على هذا العدو مع انى أعلم أن أبى غير مقصر عنه وأنت لك علينا ماتحب وتختار فقال البطال فى نفسه مابقى يخلصنى من بين أيديهم الا الخروج الى عدوهم وأعمل عليه حيلة أنجى بها وأكسر هذا الجيش وما يضيع بعد ذلك تعبى معهم ثم قال أرسل معى واحد يوصلنى الى عند أبيك وقد كشفت عنكم هذا العدو فى هذه الليلة فلما سمع أزور ذلك من كلام البطال قال هانحن كلنا بين يديك وأموالنا وعددنا عندك فعند ذلك أخذ البطال من العدة ما اشتهى وما أراد وقد عمل شىء له على هيئة الوهق الذى تقاتل به الروم وقال هذا مالا يعرفوه هؤلاء القوم ولا يدفعون عن أنفسهم وما أصل الى هذا الفارس إلا بهذا الذى قد دبرت عليه من هذه الامور (قال) ثم ان البطال قد خرج وأخذ معه غلام بين يديه ليعلم الملك أنه ماجاء الا ليهلك عدوه وكان الامير ظالم والملك أزور كل منهما ينظر اصاحبه حذرا ويرمقه شذرا وقد اضرموا بين أيديهم النيران بالحطب السنط (قال الراوى) فعند ذلك وصل البطال الى قرب الملك أزور وقال له أيها الملك قد وصل لك الحكيم أرسله ولدك من شفقته عليك لما حصل لك من هذا الخصم الذى بين يديك فقال له الملك أزور وقد ضحك ضحكة قهقهة مثل الرعد القاصف وقال ويلك لقد كان هذا من غاية الذل والشنار وما أحتاج الى معاون وسوف ترى ماأصنع ولولا إنى أريد أن آخذه الا والعيون له أرمقة حتى تعتبر به الابطال وتتحدث عنى بذلك الاقيال ولكن هات الحكيم يكون لى فى هذه الليلة نديم يساهرنى فى هذا الظلام لايغلبنى المنام على هذا الحضرى لابد منه فمضى العبد وادعا بالبطال وقال له ياحكيم لاتقول له بعد ذلك أنا أعاونك على عدوك لايضربك ضربة يقتلك بها لان مافى عينه من أحد من أهل الدنيا لاقليل ولا كثير فقال البطال ومن القرنان الذى يشتهى أن يجالسه أو يعاونه لايضرب الفلك وسار حتى وصل اليه وسلم عليه بالبربرية فلم يرد على البطال السلام من شدة تكبره وتجبره وقرب اليه الأمير ظالم بالقرب منهما بحيث أنه يسمع كلامهما وكان فى تلك الساعة قد وصل عبد الودود إلى عند الأمير ظالم وقال له يابنى إذا كنت رأيت من خصمك التقصير وإلا أنا يابنى أفديك بروحى فقال له الأمير ظالم طب نفسا وقر عينا فانى والله الساعة أشد نشاطا مما كنت فى النهار ولولا إنى أخاف أن لاترانى الناس وقتالى معه حملت عليه الساعة فى هذه الليلة وما فارقته إلا بانفصال النهار (قال الراوى) هذا والبطال قد أقبل على الملك أوزر يحادثه بالعربى ويذكر له عجائب الأقطار والأخبار فى ديار الشام والشرق والعراق وذكر فى جملة ذلك الأمير عبدالوهاب

وتنفس صعدا وجعل يصف شجاعته وقوته وبراعته وكيف يفتح بلاد الروم

(قال الراوى) فسمع الأمير ظالم ذلك الكلام فكاد قلبه أن ينقطع من موضعه عند ذكر سماع أبيه وأهله ثم جعل يتصنت إلى كلام البطال وقال والله إن كان فى الدنيا أبو محمد البطال فهو هذا لا محالة وما يعرفنى لأنى فى زى الملثمة ولا بد ما أتصل إليه بشىء من الشعر فلا بد إن كان أبو محمد فهو يجاوبنى فعند ذلك ترنم بالشعر وأنشد وقال :

سقى الله اطلال العراق سحائبا … يجبر بها أهلى ودار صحابى
ديار بها أمى وأهلى وعترتى … نعم وخيامى عندهم وقبابى
نفانى وأقصانى الرشيد بظلمه … ويطلب اقصائى لهم وعقابى
ترى سلم البطال من بعد أسره … وهل حضر البطال يوم حرابى

(قال الراوى) فلما سمع البطال هذه الأبيات عرف النغمة وقال فى نفسه ان كان فى الدنيا ظالم فهو هذا المتكلم لا محالة ثم وثب البطال على قدميه وقال الملك أزور يامولاى وقد رأيت هذا الفارس الذى أنا معك فى حديثه وهو يحمل على الكفار وأنشد هذه الأبيات :

سلام على أرض الحما والمعاليا … واطلال نجد بالتحية دائما
ألا إننى البطال حقا بعينه … فقل مثل قولى ويك ان كنت ظالما
سأضرب فى وجه العدو بصارم … يفلق هامات العدا والجماجما

(قال الراوى) فلما سمع ظالم ذلك قال وذمة العرب هو البطال ثم قال يا أبا محمد فلم يجبه البطال بل قال الملك أزور أيها السيد وكنت أنا فى خدمة الأمير الذى وصفته لك ولى عنده موضع عظيم رفيع وهو لقولى سميع مطيع حتى أنى وصرت عنده بالعبيد والغلمان والأموال والرجال وأن الرشيد غضب على وسمع فى كلام الأعداء فنفانى أنا وعلوك لى يسمى ظالم فى صندوقين حتى صرنا فى الغرب وكان قد فزع من غلامى أن يكون خارجا عليه وما كان يفعل ذلك وإنما كان يسمع مقالتى فوقعت أنا فى الصندوق الذى أخذونى أصحابك فيه ووقع الصندوق الآخر فى قسم الملثمة وفيه غلامى وما على وجه الأرض أفرس منه ولا أشجع الا أن يكون الأمير الذى وصفت لك صفته واسمه عبد الوهاب ولوكان ظالم سالم لكان يقصد إليك ويكون بين يديك ويقتل من عاداك لاسيما اذا رآنى عندك مقربا واليك محبا فقال له الملك أزور ياحكيم لعله أن يكون هذا الفارس الذى لقيته اليوم فى عسكر عبد الودود يكون هو عبدك وإن كان اياه أعطيك ثمنه عشرة آلاف دينار فقال يامولاى انه عندى عزيز قوى ولا ينبغى أن يقوم عليه ثمن ولكن

إن كان هو عبدى ظالم فهو يكون بين يديك لادرهم ولا دينار وأنا أكون عندك إلى الممات وها أنا أنادى ذلك الفارس فى هذه الساعة باسمه فان أجابنى فقد بلغت المراد والمنا وأتركه يعود على القوم الذين معه يسقيهم كؤس الفنا ثم ان البطال وثب قائما ونادى ياظالم فقال له الأمير ظالم لبيك يامولاى فقال له ياعبد السوء وبلغ من قدرك أن تقاتل مولاك ارمى العدة من يدك وتأدب والزم الأدب فأنا مولاك أبو محمد البطال وقد رجعت سالم بحمد الله وقد أنعم لى هذا الملك بمالا أقدر أن أصفه فعلم ظالم أن البطال يقول هذا المقال لسبب خديعه يريدان يعملها أو حيلة يريدان يفعلها فقال ظالم يامولاى الحمد لله على سلامتك وها أنا مسارع لخدمتك ولكن خذلى من الملك الأمان مما جرى بينى وبينه فقال البطال أيها الملك اعطيه الأمان فانه خائف منك فقلع الملك الخاتم وهولا يصدق بذلك لانه كان حامل هما عظيما من لقاه فى غداة غد وصدق قول أبو محمد البطال لما رأى المعرفه فأخذ البطال الخاتم وقال ياظالم هذا خاتم قلعه من يده وسيفه أيضا ثم انه قبل الارض وأخذ سيف الملك بيده فعند ذلك وثب ظالم كأنه السبع اذا هدر فلما وصل اليه وصار بالقرب منه نادى أبو محمد ياظالم اضرب رقبة هذا القرنان بالصارم من قبل ان يقوم قائم فانه رجل مجنون ومنذ وصلت الى عنده مابرحت فى الحبس مسجون فقال ظالم لعمرى أنها خديعة وتمت عليه ولكن ماينبغى انى أقتله هذا ويبقى يقال عنى أنى ماأخذته إلا بالخداع فامضى يا أبو محمد إلى عبد الودود لما آخذه وأعود ثم قال ظالم أيها الملك قم أنا وأنت إلى حومة الميدان وخذ سيفك فى يدك وسيفى فى يدى أو انك ترمى سيفك وأنا أرمى سيفى ونصارع أنا وانت فقال له وقد تغير لونه لما ملك سيفه البطال ووثب قائما لظالم وقال ياظالم ارمى سيفك من يدك ونتصارع أنا وانت كما ذكرت قال وأما البطال لما رأى إلى ذلك ولى هاربا منهزما إلى عبد الودود وقد خاف على نفسه من ذلك وأما ظالم فانه رمى السيف من يده وقد قام ازور قائما واعتنقا والتصقا وتقاربا وتماحكا وتشابكا وتعاركا ولم يزالا إلى أن طلع كوكب الصباح وهم على ذلك الرواح وبرق ضياء الفجر ورقت الشمس فلما وقعت العين على العين ونظرتها عيون الفريقين هنالك صاح به الأمير ظالم صيحة أدهشه ثم هزه اقتلعه من الأرض ورفعه على يده فجعل أزور يتخاص برجليه فلطمه الأمير ظالم بكفه خلع أحد فكيه ثم انه سار طالب عبد الودود وهو فى يده مثل الطفل المولود فلما نظر إلى ذلك عقرور بن الملك الأزور وقد وصفنا مافيه من الشجاعة والقوة والبراعة ونظر والده أسير أشار إلى عسكره بالحلة فحملوا طالبين الأمير ظالم وكان البطال لما رأى ذلك ومضى إلى عسكر عبد الودود قال للملك أنا رفيق ظالم فاكرمه غاية

الاكرام وقال عبد الودود للبطال لقد كان ظالم حامل همك وكان يبكى عليك إذا جرى ذكرك على لسانه لجاء اليه أبو يخلف وقال له يامولاى أنت الذى كنت فى الصندوق الآخر فقال البطال نعم فقال أبو يخلف وحق الصديق لقد صار قلبى يحب الصناديق كرامة لكم فلما أصبحوا وجرى من أمر الأمير ظالم ماجرى ونظر البطال إلى الخيل وقد أطلقت أعنتها وقدمت أسنتها فصاح لعبد الودود بالحملة لحمل وحملت الكتايب والمواكب وعملت النصال والنبال وجالت خيل المنية وانقطعت حبال الأمنية وعملت المرهفات المندية ولم يزالا على ذلك حتى ولى النهار وأقبل الليل وقد خلصت الكرام وقوت اللئام وغنمت الملثمة خيامهما وسلاحهما وفرح عبد الودود بخلاص الأمير ظالم وقد أخذ الملك أزور وهو معول على قتله فصاح أبو يخلف يامولاى اضرب رقبة هذا الخرف المجنون فقال ظالم وحق ذمة العرب لأضرب رقبتك معه يا أبا يخلف فلما سمع أبا يخلاف انتقض وضوءه وقال ولم ذلك يامولاى وأنا أدعو لك فى الليل والنهار فقال له ويلك ماتفكر البارحة وأنت تقول لهذا الملك قد قلت للملك عبد الودود أن يرحل ويخليك أنت فى خصمك فما فعل فقال أبو يخلف وحياتك يامولاى أنا ما كنت أقول له ذلك المقال إلا اتلاها به وأتلاعب على دقنه وهو يعرف ذلك فقال ظالم الساعة قد أقسمت بذمة العرب ولا أقدر أحنث فى يمينى إلا أن تهرب وأضربك عوض يمينى مائة ضربة فقال يامولاى أما أنا فهذا يهون على ولو أردت ثلاثمائة بعد أن تعفينى من سيفك وكان قصده بذلك أن يضحك عليه لأنه عارف أنه ناقص عقل فهو معه فى الكلام وإذا بفارس قد ظهر على جواد أصفر فى يده سيف ذكر ورمح أسمر ودرع يبرق بالذهب الأحمر فلم تفرق الناس بينه وبين الملك الأزور وكان ذلك الفارس ولده عقرون ابن الملك المجنون فلما نظر إلى عبد الودود قال هذا الذى يمسك هذا العسكر ولو كفينا شره ما اجتمع بعده من العسكر اثنان فعند ذلك حمل الفارس على الميمنة قتل منها فارس وحمل على الميسرة قتل منها آخر وطلب البراز وسأل الانجاز وقال هل من مبارز هل من مناجز فقال ظالم هذا ماانقطع طمعه فى أبيه إلا بعد قتله ثم بعد ذلك تقدم ظالم الملك أزور وقال له ويلك لك أيام وأنت تفكر بالملك العلام وكيف تجحد المدبر وتكفر بالمصور المقدر الذى بسط الأرض ورفع السماء وأجرى الماء وعلم آدم الأسماء خالق النبات ومميت الأحياء ومحيى الأموات ومقدر الأقوات العالم بما مضى وما هو آت .

﴿ تم الجزء الحادى والعشرون ويليه الجزء الثانى والعشرون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التيمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثانى والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فقال أزور دعنا من هذا الكلام الذى لايفيد ولا يبدى ولا يعيد فأنا عن دينى لا أحيد وإن كنت تزعم أننا نموت و بعد الموت نبعث فما نحن بمبعوثون فعندها صاح الأمير ظالم ياأبا يخاف قال لبيك يامولاى قال تقدم واقتل هذا الكافر الذى لايؤمن برب العالمين فقال أبو يخاف اقتله أنت يامولاى فليس لى إلى البلد من سبيل ولا يغرك أنه بلا عدة فوالله مايلطمنى لطمة واحدة وترجعوا تنظرونى ومن بينكم تفقدونى (قال) فعندها قام الأمير ظالم وضربه بقوة يده أطاح رأسه عن بدنه ثم إن الأمير ظالم خرج فى موقف الحرب ومقام الطعن والضرب وحمل على عقرون وحمل عقرون عليه فنظر ظالم إلى فارس لايطاق علقم مر المذاق فقال له ويلك أنت على مذهب أبيك فقال له نعم وهو المذهب الصحيح فعندها حمل عليه الأمير ظالم بحمية أبيه عبدالوهاب فى دين رب الأرباب وضربه على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه وحمل عسكر عبدالودود اندقت البربر بين أيديهم ودخلوا بالبلد وغلقت الأبواب ونزل الأمير ظالم على باب البلد وقال قد أقسمت لا أبرح عنهم حتى أفتح البلد فقال الأمير أبو محمد والله إن فتح هذا الباب عند الله أجل من فتح القسطنطونية مع ان فيه أكثر من عشرة آلاف من عسكر الملك فقال عبدالودود وكيف تقدر على فتحه وأنتم ترون هذا السور من الصخور ولا يقدر عليه أحد ولو أقاموا عليه إلى أبد الآبد فقال البطال أما أنتم فقد

فعلتم مايجب عليكم وما بقى إلا مايجب على أنا وعلى أن أفتحه لكم فى هذه الليلة إن شاء الله تعالى وأسلمه اليكم وتصير أيها الأمير صاحب هذه الديار والأمصار ولكن لنا عليك شرط انك تسيرنا إلى بلادنا وديارنا فقال عبدالودود والله يعز على ذلك ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا فاذا فتحتم هذا البلد ورجعت إلى ملكى أزف على ظالم ابنتى فلا أجد لها مثله وأترك فى مدينتى من أثق به اليه وأسير معكما بعشرة آلاف من الملثمة وأقتل من يريد لكما القتال وأجازيكما على هذه الفعال مع إن قلبى مايصدق إنكم تقدرون على فتح هذا البلد وفيها من داخله أعجوبة ماسمع قط بمثلها وإن كنت تقدر ياأبو محمد على ذلك فأوجز حتى أخبرك بذلك فتماق قلب الأمير أبو محمد بذلك وكذلك الأمير ظالم وقال ياأبو محمد دبر لنا ماوعدتنا به من فتح البلد فقال سمعا وطاعة ولكن مافى الامر إلا أنكم إذا اختلط الظلام ترحلون عن البلد وتضربون طبل الرحيل حتى يسمعوا أهل المدينة ذلك وأكون أنا وأنت ياظالم ومعنا خمسين فارس من أبطال الملثمة نكمن بهم متفرقين وإذا أصبح الصباح وتيقنوا ان العسكر رحل هنالك افتح أبواب البلد ويخرجون منه ويقتفون آثار القتلا ونقيم نحن إلى المساء وندخل فى جملة الناس رجاله وقد رفعنا اللثام ونلبس هذه الثياب التى غنمناها ونختلط بالقوم ونمتزج معهم فاذا صرنا فى البلد صبرنا حتى يدخل الظلام ويكون بيننا وبين عبدالودود ميعاد انه يكون عند المساء راجعا ونحن نفتح الابواب ونضرب الناس بالصارم القرضاب فقال عبدالودود والله إن هذه حيلة عجيبة مانهتدى نحن إلى مثلها إلا أن قلبى خائف عليكم لان فيه عالم عظيم لايحصى بعدد الرمل والحصى فقال أبو مخلف لاتخافوا ان شاء الله تعالى وأنتم تفتحون البلد فقال ظالم وأنت تكون من جملة المخرجين فقال ظالم يامولاى انت ماتريد الا خمسين من خيار الملثمة وأنا مافى الكل أدبر منى فضحكوا من كلامه وقال يامولاى بل أنا أكون مع عبدالودود وأن تحسه على العودة على عجل فقال ظالم نعم مارأيت فأقاموا كذلك الى نصف الليل ولبس أبو محمد البطال زى أهل البلد وكذلك ظالم والخمسين بطل وأخذوا معهم السيوف تحت أطمارهم وأكمنوا فى مواضع متفرقة من النقوب والمغاير (قال) ودق عبدالودود طبل الرحيل ورحل من وقته وساعته وسمع بذلك أهل البلد ففرحوا وقد علموا أنهم لو أقاموا على هذا البلد مهما أقاموا ماقدروا عليها ولا وصلوا اليها ولكن مانصدق حتى يصبح الصباح فوجدوا الدنيا من عسكر عبدالودود بلقع وأرسلوا من يكشف الخبر من الرستاق فقيل البارحة عبروا علينا عند السحر فعند ذلك أمنوا على أرواحهم وخرجوا الى ظاهر البلد ووصلوا الى آثار المعمعة وحملوا قتلاهم فما فرغوا

من ذلك حتى أمسى المساء وجعلوا أصحاب البطال يقصدون البلد واحدا بعد واحد منهم من يدخل ومنهم من يقف حتى دخل الأمير ظالم وجميع الرجال وأقاموا الناس كذلك متفرقين فى كل مكان حتى اختلط الظلام وقعدوا كلهم على باب البلد وضربوا الاقفال بالسيوف كسروها وصاحوا صيحة واحدة الله أكبر الله أكبر عبدالودود يامنصور فثاروا النيام وتحيروا القيام وتبادروا أهل البلد إلى الباب فوجدوا عنده سباع الغاب ولم يزل الحرب يعمل إلى أن مضى من الليل ثلثه ووصلت عساكر عبدالودود فوجدوا الباب مفتوح فدخلوا وزاد الأمر وقل الصبر وهجموا وعمل السيف الضاوى فى الظلام الهادى فصاحوا أهل البلد كلهم الأمان الأمان عبدالودود يامنصور وصعد الامير ظالم وعبدالودود إلى القصر وأعطى الناس الامان على نفوسهم على انهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وقتل من القوم من أقام على التعطيل وأخذوا من الاموال مالاعين رأت ولاأذن سمعت ثم أقبل ظالم على عبدالودود وقال له ماهى الاعجوبة التى ذكرتها أرنى إياها فأقبل عبدالودود على أكابر البلد وقال لهم إنى سمعت شيئا فهل هو صحيح فقالوا وماهو فقال كان الملك أزور قد أخذ مركب من قلعة ابن حماد وكان فيها امرأة علوية هاشمية من أولاد الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام وهى موصوفة بالحسن والكمال وقد حملها إلى قصره وأراد أن يتزوج بها فامتنعت منه وقالت هذا شىء لاأفعله أبدا لحالتين أولها إنك تبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم والوجه الثانى انك تبغض على بن أبى طالب وكان يضربها الضرب الوجيع وكلما يقرب اليها يصرع لوقته وساعته فهذا القول له صحة فقالوا نعم فقال عبد الودود على بها ففى عاجل الحال أحضرت بين يديه قال لها الملك عبدالودود ابشرى الآن بما يسرك من الثواب الجزيل وسوف أحملك إلى أهلك وقومك (قال الراوى) وكانت هذه الجارية الشريفة لما وقعت فى يد ذلك الرجل طلب منها ماتطلب الرجال من النساء فأبت ذلك لانها كانت من النساء العابدات الخيرات وكانت تخوفه من الله تعالى وهو لايزداد الاعتوا ونفورا ونفاقا وكفرا فلما عجز أمرها عنه رفعت قصتها لمن يعلم سرها ونجواها وقالت إلهى وسيدى ومولاى أنت القادر أن تدفع عنى الرجس والفحشاء انى أمة ضعيفة أسألك بحرمة النبى صلى الله عليه وسلم أن ترد عنى شر ذلك الرجل الجبار فأنا صابرة على قضائك وبلائك وأنت على كل شىء قدير فكان أزور كلما دنا منها يتخيل ويصرخ ولما طال به الأمر كان ذلك سبب جنونه وتلك المرأة صابرة ولربها شاكرة وهى مشغولة بصلاتها (قال الراوى) وان الأمير أبو محمد البطال لما تحقق ذلك تعجب وقال لاإله الا الله محمد رسول الله والله لولم يكن وصولنا إلى تلك الأرض إلا

لاجل خلاصنا لهذه الشريفه لكانت سفر تنار ابحة ثم انهم خلصوها من القيود واعطوها من اموال ازور شيئا كثيرا وسيروها إلى قومها وأرضها وغنموا من الاموال مالاعين رات ولا أذن سمعت وقسموا على الرجال وقدموا على البلد رجل فاضل وملكوه أمر البلد ومايليها من البلاد والقرى وجعلوه من تحت يد الملك عبد الودود وكان ذلك الرجل يقال له عبد الرحمن لان الملك كان لأبيه قديما وأزور تغلب عليه وأخذ الملك منه وقتله فرجع الحق إلى أهله وبعد ثلاثة أيام رجع عبد الودود إلى أرضه وبلاده مؤيدا منصورا وظالم بين يديه وهو فرحان بظالم وقد شغف بمحبته والملثمة أيضا وقد سماه أمير المسلمين وناصر الدين ولما استقاموا على الطريق تذكر الأمير ظالم أمه القناصة وأبيه عبد الوهاب وجدته الاميره ذات الهمة وجنوده وغلمانه واشتاق إلى أهله وخلانه ففاضت عبرته وزادت حسرته فجاء الشعر فى خاطره ورجع إلى طبع عربيته وأنشد

يا عين جودى بدمع منك هتان ... عسا كى تطفى لهيب المدنف العانى
فقد الاحبة أفنانى وأسقمنى ... حقا ولا عجبا ان كان أبرانى
وانما عجبا ان عشت بعدهم ... يوما وقد عدمت عينى لاوطانى
ولا خيالا لهم فى الليل يطرقنى ... لعله يطفا به نيران أحزانى
وددت لو اننى قدمت بعدهم ... وصرت من بعدهم فى طى أكفانى
لو كنت أملك حسامى فى بلادهم ... صارت رؤسهم من غير أبدان
غراب طير النيا لا كنت طائره ... ولا رأيتك بين الناس باعيانى
وإنما عقبة كان العقاب لنا ... فمن يجد ملجأ من صيد عقبانى
قالوا سلوت لبعد الدار قلت لهم ... هيهات أسلو أحبابى وجيرانى
لو ان ملك سليمان النبى عند ... ملكى لما اخترته من بعد أوطانى
ولست أصغا لمن قد قال معتذرا ... دار بدار وجيران بجيران

(قال الراوى) فقال أبو محمد ان كنت تريد الموده انت لاجل أمك وابوك فكيف حالى أنا وقد فارقت نورى فتبسم ظالم من مقاله وجدوا فى سيرهم الى أن وصلوا إلى البلد وكان يومهم يوم عظيم وأقام ظالم عند عبد الودود وقد فرح به الفرح الزائد وكان فى أكثر الايام يكثر الجلوس على كرسى الملك ولا يخاطبوه إلا بالملك (قال الراوى) ولما ان كان فى يوم من بعض الأيام قام عبد الودود قائما على الاقدام والمجلس محتفل بالعالم من الأمراء والمشايخ والفقهاء والعدول فوقفوا لوقوفه فقال الحمد لله مقدر الأوقات وسامع الاصوات ومميت الأحياء ومحيى الأموات ومقبل العثرات ومعطى النعم السابغات وكاشف

الفمم المزعجات الذى حلل الحلال وحرم السفاح على المسلمين والمسلمات وبعد فالصلاة والسلام على محمد سيد السادات وأطيب الطيبات الذى رقى المعراج إلى أعلا السموات أما بعد فانى قد خطبت ناصر الدين وجمال الموحدين إلى ابنتى قرة العين الزاهدة العابده الزائدة العفاف وهى على الحق اليقين وأنا أسأله أنه لا يخيب قصدى ولا يرد طلبتى وبكرم شيبتى (قال) وان الامير ظالم تهلل وجهه بالعرق من الحيا ووثب قائما وقال يامولاى لو كانت جارية من جوارك قبلتها حتى أتجمل بها فكيف وهى أكرم البنات وست الستات غير أنى رجل غريب فى تلك الأرض البلاد ولى أهل ورجال وخدم وغلمان فان كان يطيب على خاطرك اذا طلبت أهلى تعطينى زوجتى فافعل على اسم الله الواحد المنان فقال عبد الودود قبلت ذلك المقال وقبضت منك المهر والصداق والذى عندى من المال هو هبة منى اليك فما أنا طالب منك دينا أبدا وإنما قصدى الآخرة وأكون من جملة المجاهدين فأجاب ظالم إلى ذلك وعقد عقد النكاح ونثر عبد الودود على رأس ظالم النثار وكان من اللؤلؤ والياقوت والجوهر ودخل الأمير ظالم على زوجته بعد أن عمل الولائم والدعوات ثلاثة أيام دعا فيها الخاص والعام فرأى صبيحة كأنها الشمس الصاحية فى السماء الصاحية ورأى منها عقل زائد وقراءة قرآن وفصاحة لسان وأقام ظالم فى أرغد عيش وأهناه مدة أيام فدخل عليه أبو محمد البطال بعد أيام مضت وقال ياولدى حب الوطن من الايمان وإن عبد الوهاب أحب إلى من كل من على وجه الأرض ولا تعلم ياولدى ماجرى بعدنا لأننا فارقنا بغداد وهو فى السجن والأميرة والأمراء ولما غاب عن الثغور سنة ونصف ولا بد ان الأحوال تغيرت وما فى الأمر إلا الرجوع إلى الوطن أصوب ولما أن سمع ظالم من البطال ذلك الكلام كان كأنه نائم وانتبه وقال ياعم انك أيقظتنى من رقدتى وغدا أشرع فى ذلك الأمر وفى ليلته اجتمع بزوجته وشكا إليها شوقه إلى الديار فقالت يامولاى أنا بين يديك ولو أردت فى ذلك اليوم لا أخالف لك أمرا ولا أعصى لك قولا ولكن تكلم مع أبى حتى يجهزك بما تريد فعند ذلك اجتمع الأمير ظالم بالملك عبد الودود وأعلمه بالقصة فقال ياولدى ما أنا بالذى أمنعك عما تريد ولكن أقم شهر من الزمن حتى أجهز لك الرايات والاعلام وما تحتاج إليه وإن كان قد انصلح حالهم وملكوا أملاكهم ورضى عنهم الخليفة ورأيتهم فى أمان فالحمد لله رب العالمين وان كان الامر بخلاف ذلك نأت بهم ومن عندهم من الاجناد وأقم عندنا أنت واياهم وان كانوا هالكين خذ من عندى رجال تضرب بين يديك بالسيف حتى تأخذ تارهم وتكون تلك الارض والبلاد عوض عن أهلك وأرضك وبلادك وأنا

أكون تحت نظرك فشكره وأثنى عليه وشرع عبد الودود فى مصالح السفر فبينما هم كذلك وإذا بهم سمعوا حس طبول وزمور ومراكب قد ملئت البحر مثل أجنحة النسور والبحر قد امتلا فسأل عن ذلك الملك عبد الودود فقيل قد أقبل أبو الاشبال (قال) وكان ذلك الملعون أبو الاشبال دائما يقصد بلاد عبدالودود ويضرب على الملثمة وبينهم مرار عديدة وكان أبو الاشبال يقول ان الروح تنتقل الى خمسة أجساد مختلفة الاجناس ثم بعد ذلك تصير روحانية وكان له من الاولاد ثلاث بنات وهم موصوفات بالجمال والقد والاعتدال وكان تزوج بواحدة منهم وزوج الاخرى الى ملك من ملوك الافرنج يقال له ترقياس وكان قد طلب بنت عبد الودود التى أخذها ظالم الذى اسمها أم الحياة وكان الخطبة قبل وصول ظالم الى تلك الارض فأبى عبد الودود عن ذلك وقال لاأفعل ذلك أبدا الا أن يسلم على يدى ويتبرأ من كل دين يخالف دين الاسلام وأيضا ان كان يريد أن يتزوج ابنتى يخرج بنته من تحت الافرنجى لان دين الاسلام لايقبل ذلك ولا يجوز أن يعلو كافر على مسلم فان فعل ذلك زوجته ابنتى ولما بلغه ذلك الكلام عظم عليه وكبر لديه وصار يقصد ديار عبد الودود وقومه ويخرب أطلاله وتقاوى عليه بملك الافرنج صهره ملك الاندلس ورتب عليه الجزية فى كل عام وفى تلك السنة التى وصل فيها ظالم اشتغل بظالم والملك أزور ولم يرسل له مال فسأل أبو الاشبال عن مال عبدالودود الذى يأتى من عنده فى كل عام فأخبروه ان عنده رجل من العرب شديد شجيع وقرم منيع فقامت عليه القيامة وأرسل إلى ملك الافرنج يستنجد على قتال عبد الودود ويكون الملتقى على بلاده وأنت تكون فى البر وأنا أكون فى البحر ووصلت المراكب الساحل ونعرت البوقات وزادت الضجات كما ذكرنا ولو طلعت الخيل من المراكب إلى البر وركبت عليها الرجال وتبادرت الأقيال ونصبوا الخيام وأقاموا الأعلام وما أتى وقت الظهر حتى وصلت أهل الأندلس والمعامدة فى عشرين ألف فالتقاه صهره وسلم عليه ونزلوا فى الخيام وأركزوا الأعلام

(قال الراوى) فهذا كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عبد الودود فانه من أول ماسمع الضجة وحس البوقات سأل عن الخبر فقيل له هذا ملك الافرنج قد وصل فى ثلثمائة مركب وأتت عساكر المعامدة من البر مع أبو الأشبال عند ذلك أمر عبد الودود إلى الرجال أن تخرج إلى ظاهر البلد وفى أوائلهم الأمير ظالم والبطال قد سأل عن تلك العساكر وسبب مجيئهم إلى تلك الأرض والبلاد فحدثه عبد الودود عن أبو الأشبال وعن دينه ومذهبه فصعب على البطال وقال والله طاب الجهاد فى هذه الكلاب الأنذال ثم أنهم عبوا عساكرهم ميمنة وميسرة فلم تمهل أهل الأندلس دون أن حملوا وعلى القتال عولوا وحملت أيضا

المعامدة فالتقاهم ظالم والبطال إلى جانبه والملثمه وكان فيهم فرسان وقاح لا تمل ولا تضجر من الكفاح وفى دون ساعة جرى الدم بين العسكرين وساح وزعق على رؤسهم غراب البين وصاح وعملت السيوف والرماح وسمحوا بالأنفس بعد أن كانوا بها شحاح ولم يزالوا على ذلك الرواح حتى بقوا أشباح بلا أرواح ودام بينهما الحرب والكفاح إلى أن أمسى المساء وأخذ بعضهم بعض وشكت الافرنج والمعامدة من ظالم وكم أهلك منهم وأيضا شكت الملثمة مالقيوا من أبو الأشبال وقالوا لظالم لقينا اليوم فارس شديد وبطل صنديد فصعب على ظالم ماقالوه وقالوا لابد من برازه وأبدل بالذل اعزازه وبات ظالم وهو ضيق الصدر وما صدق بالصباح أنه يصبح وخرج على جواد من الخيل الجياد كأنه من خيول شداد ابن عاد وفى يده صارم يروا من دم الجماجم ورمح يتلو كأنه الراقم ولما أن صار بين الصفين طلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس من المعامدة وفى يده ثلاث مزاريق فصار كأنهم شعل نار وحمل على ظالم بلا مطال وضربه بحربه من الذى فى شماله خرجت كأنها شهاب ثاقب أو كوكب صائب فاعتدل إليها ظالم إلى أن وصلت فانحرف عنها قليل وخطفها من الهوى أسرع من البرق صارت فى يده وهزها حتى رن حلقها وردها إلى صاحبها صادفت صدره مرقت تلمع من ظهره وثانى وثالث ورابع وخامس فخرج اليه ابن أخو كرفناس وكان يعد بفرسان فأراده وآخر من الافرنج أهواه ولم يزل ظالم كذلك إلى أن أهلك خمسة وأربعين وأمسى المساء وملك الأندلس انشقت مرارته وزادت حسرته على من هلك من رجاله (قال) وعند الصباح خرج كرفناس إلى الميدان وحل الضرب والطعان فتحدر إليه ظالم وهو كانه الجمل الهائم وتلقاه وصبر على جوره وبلاه وكانت المعامدة الملثمة أكثر قتالهم بالمزاريق القصار وأما ظالم فإنه تلقا ملك الاندلس وتطاعنا وتحاربا وتراشقا بالمزاريق والحراب فكانوا كشعل النار ولما رأى ظالم إلى ثباته قدامه وجودة حربه وصدامه نبه غريمه وهجم عليه كانه الاسد الادرع وتعاق بدرعه وأطواقه وانشله صار فى يده مثل العصفور فى يد الباشق المكسور ورجع به إلى الملثمة فسلمه اليهم ورجع إلى الميدان فما لحق أن يصل إلى الميدان حتى حمات المعامدة والافرنج فأشار عبدالودود إلى الملثمة فحمات والاعنة قد أرسلت فكان قتال شديد وعمل الصارم الحديد وثبت الفارس الجيد وفر الجبان البليد وما أقاموا المعامدة والافرنج إلا قدر ساعتين من النهار وعمل فيهم البتار فانهزموا وطلبوا الفرار وكان آخر النهار اجتمعوا الافرنج على بعضهم البعض وقدموا عليهم ملك لئيم كانه شيطان رجيم وأرسل لهم أبو الاشبال من عنده خيل يركبوها لانهم كان أكثرهم رجاله وعند الصباح ركبوا على الخيول الجرد والقداح وتقلدوا

بالصفاح وتقدم أبو الاشبال وقوى قلوبهم وبرز إلى الميدان فارس من المتقدمين وكان فارس شديد وبطل صنديد ومعه قنطارية كأنها صارى مركب وحمل على الميمنة شوشها وأراد أن يعطف على الميسرة فعارضه ظالم كأنه الاسد الهاجم وضرب قنطاريته أبراها بالحسام كما يبرى البارى القلم ثم انه هاجمه وضايقه وضربه أطاح رأسه عن بدنه ولما رأت الافرنج إلى ذلك تأخرت الى وراءها وأشار عبد الودود الى الملثمة فحملت وعن خيلها أرسلت والرماح شرعت والنصول قطعت وعمل الصارم المنتضا وعند المساء رجعت الإسلام منصورين مؤيدين بما قتلوا وأسروا ولما جن الليل وحاب سهيل ركب ظالم ومعه ألف فارس يطوفون من حول الابرار ومعه الملك عبد الودود ولما أن هدأ الليل واذا بشخص أقبل من ناحية الكفار وهو يلهث فدنا منه ظالم وحققه واذا به البطال فقال مايكون هذا ياعماه قال هذا ياولدى ملك الافرنج وقد جبته بعدما هلكت من قومه ومنه فعاد به وهو متعجب بما فعل وهو يسأله عما جرى له (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الامير أبو محمد البطال أخذ ثياب بعض القتلى ولبسهم ولما عادوا من الحرب اختلط بهم وجلس الملك فى سرادقه ومن حوله ألف انسان والكل بالسيوف المجذبة وما لهم حديث الا فى ظالم وما فعل فى الحرب ولما أطنبوا فى الحديث قال البطال بلسان الافرنجية لقد عظمتم حقير وكبرتم صغير ولكن الذى قتل اليوم كان قد فعل ذنب فسلط عليه المسيح ذلك المسلم لان ذلك المسلم لا كان من رجاله ولا من بعض أشكاله ولا بد أن أخرج وأقرع فيه حتى تشهد لى بذلك جميع الطوائف (ياسادة) ثم انه جلس وجعل يحدث الملك بما فعل بالابطال من الاعمال وما يحتاج من الثياب والسيف القرضاب والملك يسمع منه ذلك المقال ويتعجب وهو باهت اليه وشاخص بالنظر اليه وبعد ذلك قال له ياعبد المسيح كل ما تقوله مليح ان كان كلامك صحيح وان قهرت ذلك المسلم أو أسرته أو قتلته أعطيتك كلما تريد فقال البطال ياملك ما أريد منك إلا تعطينى زوجة نكاه الذى قتله ذلك المسلم فقال الملك وأعطيك كلما تملكه يده من نوال ثم ان الملك ادعا بالطعام والافرنج فيهم دأب ما يأكلون الا والشراب عندهم حاضر فأخذ الملك قدحا وملا وشربه وملا ثانيا وأعطاه للامير أبو محمد البطال فامتنع البطال من أخذه وقام ووقف على الاقدام وقال ياملك وحق الانجيل وما فيه من التحليل والتحريم والا أماتنى المسيح على دين العرب وبدل حج تهامة بالبيت الذى يقولون عليه الحرام ان هذا الكاس على محرم حتى آتيك بهذا الفارس الذى عجزتم عن لقاه وأجله مربوط فى بعض الخيم ويكون الذكر لك ياملك فى

جميع الامم ويقال ان بعض عبيدك والخدام قهروا ذلك الفارس الضرغام هنالك أخذ الكاس وقال ما عليك من الباس فقال الملك الك ذلك وأزيدك أوفا مزيد فصقع البطال الملك وأخذ الكاس وعمل الساقى الى أن مضى من الليل ربعه عند ذلك اشغل الباطيه بالسم القاتل ووضعه فى القدح قدر قيراط وناوله الملك وكان الذى حطه الملك بنج اقريطش فما لحق الملك أن يشرب حتى انطرح على الوسادة كانه قتيل وفاضل القدح تبدد على صدره وجعل يسقى الحاضرين بعجله ونشاط ويقول هذا قدح الوداع حتى أسقى أربعمائة انسان وكل من شرب مايلحق يشرب حتى ينعقد لسانه وينظر الى صاحبه ولم يتحرك من مكانه وماتوا الكل عن بكرة أبيهم فوقف البطال وشد الملك كتاف وحمله على أكتافه وقصد الى ناحيه المشمة فلقيه ظالم كما ذكرنا وفرح عبد الودود وقال هذا الملعون يقوم بالعسكر جميعا وقد أمكن الله منه فقال البطال أنا عملت ماندرت ووفيت بالضمان وأتيت بملك الافرنج وقتلت اربعمائة وأتيت بالمراكب (قال الراوى) ياساده ياكرام واذا بالصياح قد وقع فى عساكر الافرنجيه وزاد الضجيج وانقام العويل فسأل ملك المعامدة عن ذلك فقيل ان الملك قد سرق وهلك أربعمائة والأفرنج قتلوا أرواحهم وطلبوا الى مراكبهم بعد ملكهم وعظمت مصائبهم وطلبوا مراكبهم فما وجدوا منها شيأ واذا بالمراكب كلها فى البر الثانى من ناحية المشمة وكل مركب فيه من الاسلام جملة بالسيوف مشهورة فعضوا الافرنج ورجعوا بالخيبة وأيقنوا بالهلاك والمصيبة ولما ان رأى ملك المعامدة وسمع بذلك الحال الذى غير مستقيم جمع المقدمين وقال ياقوم أنا آخذلكم بالثار وأخلص ملككم من هذه القوم الاشرار ولا بدلى ما أخرج الى ذلك الفارس وأجعله فى الأرض ناكث وبعد ذلك خرج ملك المعامدة الى وسط الميدان وهو راكب على جواد ظريف المعانى من أخفر خيول العرب قوى العصب ديال الذنب كريم الحسب يدرك اذا طلب كانه سلهب وفى يده رمح أربعة وعشرين كعب له سنان كانه ذباب عقرب وسيف سقى بماء العطب وسير ذلك الجواد فى جنبات الميدان حتى هدأشعته (قال الراوى) ونادى فى حومة الميدان لايخرج الاظالم الموصوف والبطل المعروف فما تم كلامه حتى قفز ظالم قدامه فقال البطال لعبد الودود أنا قدوفيت أربعمائة وأتيتكم بالملك وأتيت بالمراكب الى ناحيتكم وهى ملآنه بالزاد والعدد الاموال لان البطال لما سلم ملك الافرنج الى ظالم أخذ معه مائتين راجل وأوقفهم عند الساحل وصعد الى مركب لطيف من مراكبهم وشك بالمقاديف حتى وصل الى مراكب الافرنج وجعل يحمل بعد مركب لان المراكب خالية من الرجال وفى كل مركب واحد واثنين حتى جملوا جميع المراكب فى البر الثانى وصعدوا

فيها الرجال وأشهروا السلاح فهذا كان السبب فى أخذ المراكب وأما ظالم لما دعاه ملك المعامدة للقتال وخرج اليه كما ذكرنا وتقابلا وتقاتلا وتناصلا وتفاصلا وتجاولا واعتركا واشتبكا والتزما والتحما وكانوا الاثنين كانهما فرسي رهان وظنوا أنهما مقتولان وبعد ذلك دنا العنان من العنان بعدما كانوا متباعدان وحامت على رؤسهما عقبان المنيه وأيقنوا بالرزيه فاغتاظ ظالم من طول مقامه مع ذلك القرنان فصاح على جواده فربه كأنه شيطان وتمطأ فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره وكان عليه ثلاث دروع نخرقهم ونور من ظهره وصاح الله أكبر فتح الله ونصر وجاد باللطف لحاويته الاسلام بالنهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وصاحوا من كل جانب وندبت عند المشركين النوداب وكان أمر الله لاذب وشابت الذوائب فما كنت ترى الارأس طائر وجواد غائر وتفطرت من المشركين المرائر والملثمة زعقوا زعقة تفتت الاكباد وطعنوا بالرماح المداد وضربوا بالسيوف الحداد واشتد الأمر وزاد وسالت الدمامن الاجساد وشمتت بهم الاعدا والحساد وضاق البر على الجبان بعد الاتساع وزادت الآلام والاوجاع وفر الجبان من الشجاع هذا والأمير ظالم قد سطا عليهم بسطوته ومال عليهم بسيف نقمته وكثر القتل فى المعامده والافرنج ولما ان زاد الأمر على أهل الاندلس صاحوا الامان الامان نحن نشهد أن لا اله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله وأما الافرنج فانه راح على السيف والرمح أكثرهم وغرق أيسرهم وأخذوا ماتبقى من المراكب وأقاموا الشراعات إلى ناحية بلادهم وغنموا الإسلام غنيمة عظيمة لها قدر وقيمة من عدد وزرد وملبوس وخيل وخيام وأنعام وشيأ كثيرا (قال الراوى) وقام ظالم عند عبد الودود حتى دانت له البلاد وأطاعوه الرعية والاجناد وأتت اليه الهدايا من سائر البلاد واستقر ملكه على البربر والمعامده والاندلس وحمل اليه المال من سائر الجهات لان الدنيا دول فسبحان من لا يحول ولا يزول الباقى على الدوام لا اله إلا هو الحى القيوم (قال الراوى) انه كان فى بلاد الغرب خليفة من بنى أمية وهو مقيم فى الاندلس الاقصى يقال له هشام المؤيد وهو من الائمة المهديين وكان وصل الى ذلك الديار لما ظهرت دولة بنى العباس فى أيام مروان لما انهزم من قدام عبد الله بن على لما أرسله السفاح فى حال ظهوره من الكوفة من عند أبا مسلم الخلال ودخل إلى الغرب وتوصل إلى الاندلس وتوفى أبيه وتخلف من بعده هشام وكان إماما عادلا كثير الاشفاق على المسلمين فبلغ الخبر إلى هشام المؤيد بما جرى للملك عبد الودود ونصرته على الافرنج والمعامدة وما فعل ظالم والبطال بما يحتاجون اليه ويرسلهم إلى ديارهم فهم فى همة الرحيل واذا قد وصل من البحر مركب كبير كأنه قلعة وفيه رجل يقال له خشخاشة قائد جيوش البحر من قبل الخليفة هشام

وان خشخاشة هذا له غزوات كثيرة فى الافرنج والروم الى بلاد المجوس وله مماليك مشتري ماله أكثر من عشرة آلاف وخشخاشة هذا الذى نحن فى حديثه له فى بلاد الغرب مقام ومرتبه مثل أحمد ابن حنبل رضى الله تعالى عنه وله زيارة الى يومنا هذا ولما بلغ هشام الاخبار عن ظالم والبطال وعبدالودود وأرسل خشخاشة ولما ان وصل الى الساحل وصعد الى البر التقاه عبدالودود وأتى به الى محله وكان معه الذين مملوك فقال خشخاشة الى عبدالودود أنا أريد الخلوة معك لان معى رسالة من الإمام فأخلاله المكان ولم يبق عنده غير ظالم والبطال وعبدالودود فعندها خلا المكان من الرجال فامر خشخاشة بالقبض على عبدالودود وظالم والبطال على غفلة منهم وقال بهذا أمرنى الامام وأنزلهم فى المركب الذى أتى فيها فقال البطال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم تساط علينا الخلفاء فى سائر البلاد وسارت تلك المركب الى مدينة قنابس (قال) وكان فى تلك المدينة صنم من النحاس كلما دارت الشمس يدور معها وفى يده اليسرى مفتاح يرمى به الى الشمس واذا أتتهم الافرنج فيلتوى الصنم فى الدولاب فيسيروا اليهم المسلمين ولما يقربوا المسلمين من الافرنج يدور بهم الصنم فيثبتوا امكانهم وتبطل حركاتهم فيهجموا عليهم المسلمين ويقتلوهم وينهبوهم وكان ذلك الطلسم وقع منه فبطل الطلسم فطلبت اليهم الافرنج وكاتب بعضهم بعض تقصد الى هشام المؤيد وكان عسكره قليل لان بلده فى فم العدو وكان ذلك الطلسم من عمل الاسكندر ابن دارب الرومى وكان بحر ذلك المدينة نصفه مالح ونصفة حلو فمن باكر النهار الى الظهر يجرى مالح ومن الظهر الى العشاء يجرى حلو وذلك من قدرة الله تعالى لا بطلسم ولا بقلم وتلك المدينه ما فى بلاد الغرب أكبر منها ولا أكثر أشجار ولا أنهار ويقال عنها الحص الكبرى وساروا منها الى مدينه الزاهد ولها اثنى عشر قرية واتصلوا الى هشام المؤيد وملك الافرنج مثال الرشيد ومنويل وكان هشام يركب فى اثنى عشر ألف مملوك شراء ماله وجريدة عسكر الاثمانة ألف فارس ومدينته تسمى الروابض لحسنها وكثرة زيارتها لاولياء الذين فيها ولها باب يسمى باب الرياض وعلى باب الرياض منظرة عالية على عواميد عدة من الرخام ولها باب يسمى باب الغضب وعليه حجاب يقال لهم بنو ليلة لانهم كلهم ولدوا فى ليلة واحدة وهم اثنى عشر ولدا فأخذهم هشام وراهم وسماهم بنو ليلة وكان يتباهى بهم على سائر الملوك (قال الراوى) وان البطال لما نظر الى تلك المملكة وهذا الملك العظيم هان عنده ملك بنى العباس وملك الروم لما رأى الى ذلك الملك العظيم (قال الراوى) وكانت تلك المنظرة لها سبع طبقات كل طبقة لها باب وكل باب واحد عليه ألف غلام بالقرا والمناطق وبأيديهم العمد المذهبة والملبوس الفاخر وكل

طبقة فيها لون والغلمان الذين عليها تشابه كلها فى اللون وكان الخليفة اذا جلس فى تلك المنظرة يلبس لون المنظرة وكل الغلمان تلبس مثله فيبقى المكان وكل من فيه لون واحد من الغلمان والحجاب وان الامام لما وصل اليه من الجواسيس أرسل خشخاشة كما ذكرنا ولما حضروا قدام الامام نظر الى عبدالودود وصاح فيه يا كلب المشئمة وليتك الملك على أن تفعل ماشئت وتسير الى أزون وتقتله وتأخذ ماله ما كفاك ذلك حتى يأتوك من عند بنى العباس جواسيس ينظرون الى ملكنا وبلادنا وتبقيهم عندك ثم صاح بالسياف خذوا رؤس هؤلاء المفسدين قال فعند ذلك تقدم السياف الى عبدالودود وقطع من ذيله قطعة وعصب عينيه وجرد الحسام ووقف على رأسه وأراد أن يأخذ اذن الامام ويضرب ولما نظر ظالم الى ذلك الحال قام قائما على الاقدام وقال السلام عليك يا امام وابن الامام يامن طاب عنصره وزين منظره اعلم اننا قوم من الحجاز مجاورين عند بيت سيد الانام ومصباح الظلام محمدا صلى الله عليه وسلم وقبضوا علينا بنوا العباس ونفونا الى تلك الارض والبلاد وقد وصلنا الى بين يديك يامن أنفق ماله باليدين وحاز الشرفين يامن أظهر الاسلام وجهز الاعلام وبحق الشهيدين المقتولين ظلما وعدوانا ارحم غربتنا ولما ان سمــــع هشام المؤيد ذاك رق قلبه وقال من تكون أنت ياهذا ومن أين أتيت قال يامولاى أنا وعمى هذا من أرض الحجاز ولى والد يقال له عبدالوهاب عند ذلك تقدم أبو محمد البطال وقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته ياخليفة الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه يامن هو أجل الخلفاء نسبا وحسبا وابن السادات الشرفا علا مجدك وسعد جدك وأهلك الله من يحسدك وحشرك الله مع جدك المقتول ظلما الذى كان دمه ميشوم على العرب والعجم ارحم قوم أتاح بهم الزمان ورماهم بالذل والحرمان وفرق بينهم وبين الأهل والجيران وأخرجونا من بين أولادنا ولا رعونا ولا حفظوا لناود ورمونا بالذل وبعد خدمتنا لبنى العباس شهور وأعوام نفونا الى تلك الارض والبلاد وأنت يامولانا أحق بالخلافة من الرشيد لان من حولك خدم وعبيد والان قد عادت الخلافة إلى أربابها فاعزم وتسلم مفاتيح بابها (قال) فلما سمع هشام المؤيد كلامه أعجبه فصاحته وإقدامه قال له أنت البطال بن الحصين السلمى قال نعم ياأمير المؤمنين قال هشام ياأبو محمد قد كان أبوك له على أبى حقوق زائده وكان أبى يقول لما كان فى دمشق وهو صبى كان يقول عندنا رجل يسمى الحصين صاحب حيل ومكر وعمل وكان يقول كم أخذ لنا قلاع وحصون وبلاد وضياع فى بلاد الروم وكان أبى يحدثنى عنه بكل عجيبه ولما ان مات الحصين خلف ولد يقال له عبدالله ويلقب بأبى محمد البطال وقد طلع أحيل وأمكر

من أبيه بطبقات وأخبروا أنه أباد الروم وكنت غاب أيامى أدعو إلى الله أن يجمع بينى وبينه وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعائى فبكا البطال وقال يامولانا هاخادمك عبد الودود قد عمل معنا جميل وغزا من كان معطل على الدين وحكى له البطال على القصة من أولها إلى آخرها عندذلك أمر باطلاقه الامام فتجارت اليه الغلمان وأطلقوا عبدالودود من الهوان وخلع عليه الامام خلعة سنيه ثم قال الامام يا أبى محمـــد أقم عندنا فى أرغد عيش ولو سنة واحدة حتى ننظر إلى أفعالك وأعمالك فقال يامولانا ان أردت أن تنظر إلى شيء من أعمالى لا يكون إلى مع الروم والافرنج فقال الامام يا أبا محمد لو كان عندكم ملل مثل الذى عندنا أو أفرنج مثل الذى عندنا لاهلكوكم فى مرة واحدة وانما ما يخرج اليكم الضعفاء فتقولون خرج الينا أفرنج وأما نحن فكل قليل نغزوهم فى بلادهم ويغزونا فى بلادنا فقال البطال يامولانا إذاكان كذلك أرسل اليهم عسكر وانظر من خادمك البطال ما يحير الفكر وترى من ظالم مايذهل البصر من قوته وشجاعته وشدته وثبته فأمر الخليفة أن يكاتب الأقاليم والبلاد أن تأتى منها الاجناد فهم قد عولوا على ذلك الامر وإذا بالجاسوس قد وصل ولا قدام الخليفة قد حصل وباس الارض وقال أن ملك الافرنج قد جمع الجيوش وعزم على لقاك وغزوك فخذ حذرك ومعه عالم لايحصى ولا يعد وهم عدد التراب وقطر السحاب فقال الامام ياأبا محمد تدانا الأمر على ماتريد وهذا الملعون معه علم عظيم وعسكر جسيم وكلهم شاكين فى السلاح وكل واحد منهم الفارس والفرس والعدة قطعة واحده واذا حصل فى الواحد منهم ألف ضربة من الاسلام بالسيف والرمح فلا يبالى بهم والسبب فى ذلك العده التى عليه وعلى جواده

(قال الراوى) ولقدقيل لى عن ذلك الملك عنده عجل من الذهب اذا صاح تكون قد انقرضت دولة ذلك الملك المتولى وانه فى هذه الايام صاح العجل فلما سمعه الملك أدعى براهب كان عنده وقال له ياجونان مرادى منك ان تفسر لى صياح ذلك العجل فتقدم الراهب وقرأ ذلك الطلسم الذى فى جبهة العجل وكان الطلسم بالعبرانى ومتى ماصاح ذلك العجل انقرضت دولة ذلك المتولى فخاف الراهب أن يقول الملك ذلك المقال يقتله والقتل لايرضى به إلا كل ندل فقال فى نفسه الخديعة تنفع فى بعض الأوقات فخرج الراهب من البيت الذى فيه العجل وأتى إلى الملك وقال له يامك فى صياح ذلك العجل إشارة وهو يقول لكم اخرجوا الى غزو بلاد الاسلام ونصرة المسيح ولما ان سمع الملك ذلك جمع العسكر فكان أربع مائة ألف وعزم على قتال المؤيد فكان لهشام جواسيس فى بلاد الافرنج وقد كانت حاضرة ورأت ماجرى من الملك من الامر أتت وأخبرت الامام

بذلك وكان البطال عنده فى ذلك الوقت وهم فى ذكر ملك الافرنج وقد كاتب البلاد فقال له الامام يا أبو محمد أرنى بقى همتك وصناعتك فقال يا مولاى جهز العسكر وسوف ترى العجب اذا سرت معنا فقال يا أبو محمد أنا ما أقدر على المسير معك ولكن سيروا أنتم على بركة الله فقال ظالم يا مولانا نحن نسير ولله المشيئة والتدبير ثم جهز هشام فى جميع العساكر له كلام ☆ وأما سكندرون ملك الافرنج فكانت الملوك الذين من قبله يجمعون المال ويحطوه فى بيت وبابه مسدود ولا يفتح أبدا لانه مسدود بالرصاص وفى سقف البيت طاقه من عالى يصبوا منها المال ولما عزم الملك سكندرون على الغزا وأنفق جميع ماله إلى أن نزع كلما عنده لجمع وجوه قومه والبترك الكبير وقال لهم ياقوم إن المال الذى عندى فرغ وأعتاز مال أنفقه على العساكر والجنود وأريد أن أفتح ذلك البيت وآخذ منه شى أنفقه فقالوا ياملك لا تفعل لانه من قديم مغلوق من عهد الآباء والاجـــداد فقال الملك أنا أنزلت فيه مائة خزنة من المال ولا بد لى من فتحه فقالوا ياملك لا تفعل لان له أكثر من ستمائة سنة وهو مغلوق فقال الملك لا بد من فتحه فقالوا افعل مابدا لك ففتحه الملك قهراعنهم ولما ان فتحه ودخل فلم يجد شيأ فيه من المال فاندهل وتحير مما رأى فبينما هو كذلك هو والراهب إذا رأى فى جانب البيت صورتين الاولى صورة غلام أسمر اللون وعليه ثوب أحمر وعلى رأسه عمامة خضراء وعلى كتفه مزراق قصير والصورة الثانية صفة رجل أشقر اللون أزرق العيون قصير القامه وعلى جباههم مكتوب ان هذان الفارسان يملكان المدينة ويقتلوا أكثر أهلها ولما ان رأى الراهب وبان له ذلك الشخصان وقرأ الكتابة التى على جباههم توهم ولم يظهر ذلك الأمر فقال الملك ياراهب ماهذه الكتابة فقال ياملك إن هذه الكتابة أول مايدخل الملك الى ذلك المكان يتوجه إلى نصرة الدين وقتال المسلمين فخرج الملك وغلق الباب ورحل من يومه وكانت هذين الصورتان صورة ظالم والبطال فاراد الله تمام القضيه وأرسلهم إلى تلك الديار حتى تنقل ذلك الطلاسم والهندسه وتكون لهم تلك الاموال التى فى ذلك البيت ولا ينظرها احد غيرهم ورحل الملك ثانى يوم طالب بلاد الاسلام وقتال الخليفة هشام فوصل الخبر كما ذكرناه وعدنا إلى سياق الحديث والخبر بعد الصلاة على سيد البشر لجهز أربعمائة ألف فارس وقدم عليهم خادم يسمى منصور المؤيد وخلع عليه وقال يامنصور هذا الأمير ظالم يكون مقدم عليكم فلا يخرج أحد منكم عن أمره ونهيه فأجابوه بالسمع والطاعه ورحلوا وفى قليل من الايام وقعت العين على العين وحملت على بعضها بعض الطائفتين فنظروا المسلمين من الافرنج شيء عجيب لانهم كانوا الفارس والفرس كل واحد وإن الأمير ظالم حمل على فارس مقدم

وكبر وطعنه فانكسر من الأمير الرمح وولى الرومى قدامه فاستقبل ظالم صاحب العلم وأطبق عليه وضربه بالحسام على وارديه سقط رأسه تحت قدميه ووقع العلم فولت الافرنج منهزمين وللنجاة طالبين وغنموا المسلمين خيامهم وأموالهم وأثقالهم ورحالهم وتبعوهم إلى آخر النهار ونزلوا للراحه فقال منصور يا أبو محمد أنا ما رأيت شيء من صناعتك ولا حيله من حيلك فقال يا مولانا أنا ماصناعتى لا حرب ولا طعن ولا ضرب وإنما صناعتى فى الحيل والخداع فى حصن أو قلعة لما تصل اليها العساكر أدبر عليها وآخذ فقال ظالم أيها السيد أنا أسير خلف الروم ولكن ما آخذ شىء معى من هذا الجيش كله إلا عشرين ألف وأريك العجب العجاب فقال منصور يا أخى لا تغتر بروحك فقال ظالم وحياة رأسك ما آخذ غير الذى قلت عليه فعندها أمر منصور لباقى العسكر انها ترجع وأرسل معهم النهب الذى أخذوه من عسكر الافرنج يخبروا الامام بما فتح الله عليهم وأخذوا أهبتهم ورحلوا قاصدين إلى خليفتهم إلى أن وصلوا اليه فسألهم كيف صار فاخبروه بما جرى من الكسره وان ظالم والبطال ومنصور ومن معهم مازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى طبطاله ومنها الى صلمان ومنها الى قندورفرأوا الافرنج المنهزمين وانهم مازالوا منهزمين الى البلد وأرادوا الدخول فلم يمكنهم المقيمين قالوا انهم مالقوا من المسلمين ومانالهم بالاتمام وقالوا لهم خائفين ان يتبعونا ولم يمضى ذلك النهار الا وقد وصلت المسلمين الاخبار ومازالوا إلى آخر النهار واشتد بهم القرار وطلب ظالم للامير أبو محمد البطال فلم يجد له أثر ولا جلية خبر فخشى عليه أن يصيبه أمر من الأمور وبقا متعلق عليه وأرسل الخادم منصور يفتش فى القتلا لأنهم كانوا ضربوا مصاف عند قبالهم لكن الافرنج لم تصبر قدامهم دون أن ولوا الادبار وعبروا إلى بلدهم وغلقوا أبوابهم

(قال الراوى) وكان السبب فى غياب أبو محمد البطال أنه لما رأى عسكر الروم ولوا الادبار ولم يثبتوا لقتال المسلمين الابرار واخذ من ثياب القتلا ووضعهم فى جراب ودخل على المنهزمين إلى البلد وتوارى إلى مكان خالى وخلع ثيابه ولبس ثياب الرهبان ودفن ثيابه فى مكان يعرفه ولبس ثوب اسود رشد وسطه بزنار أديم وجعل على صدره صليب من الذهب مقمع بالجواهر وجعل له لحية بيضا كانها قضيب اللجين وتوصل الى الكنيسه واذا براهب يقرأ للناس والعالم والملك جالس فى جملتهم ولما دخل رفع صوته بقراءة الانجيل وبين مافيه من الحرام والتحليل ولماسمعوه انكروه وقعدوا من حواليه وقالوا يا أبونا من أين أتيت وأعدانا محاصرين وقد دخلنا البلد ونحن منهزمين فقال يا مولاى أتيت من مدينة خرشنه من يومى هذا ثم انه تنحنح وقرأ فصل من الانجيل بنغمه وحنه ألذ من العافية على بدن السقيم فسلب عقولهم وفسر الذى قرأه لهم بالافرنجيه والروميه

واليونانيه فخار الملك بما سمع وقال ما اسمك يابونا قال البطال اسمى الراهب جرتقوت قال له من أين اتيت قال من دطلشبون أخذ بيدى المسيح ووضعنى هاهنا وأنا سايح فى بلاد المسيح اهذدم الأرض واصب فيها البركه صب فلما سمع الملك من البطال ذلك المقال ارما وجهه على اقدامه يقبلها وقال لولا المسيح نظر الينا بعين الرحمة ما كان خصنا بهذا الراهب الجليل المقدار ثم ان الملك أخذ يقص على البطال ما جرى لهم من الكسره وقال يابونا كيف حالكم مع المسلمين فى بلادكم فقال ياملك لا تسأل عن حالنا وما نقاسى منهم وفيهم واحد اسود كانه حجر جلمد اسمه عبد الوهاب وله أم عجوز لا كتب المسيح لها سلامه فكم من رومى قتلته وكم من راهب اسرته وكم من ملوك لهم قهرت ومع هذا فيهم ياملك واحد مكار محتال صاحب حيل واحتيال يقال له أبو محمد البطال لا يصطلى له بنار ياما سرق من بنات ويا مافرق من اخوات فلما سمع الملك بذكر البطال قال يابونا بحق المسيح لا بقيت تذكر لنا لا كتب المسيح عليه سلامه هذا بلغنى انه إذا ذكر حضر فضحك البطال من قلة عقولهم ثم قال الملك يابونا ان المسلمين غلبونا وكسرونا وحاصرونا فهل ننتصر عليهم أم لا فقال البطال ياملك أنا ما أتيت اليكم إلا عن اذن السيد المسيح لانه أرسلنى اليكم وأنا لا اتبع أحدا من هؤلاء القوم الذى تذكرهم بقى ينصر عليكم فقبل الملك يديه واندق على قدميه وقال طول المسيح عمرك وذلك يابونا يكون ببركتك ثم ان الملك سير البطال إلى راهب فى البيعه وذلك الراهب يقال له منحطون وقال له الملك يابونا الصالحون فى ضمانه الصالحون وانصرف الملك ومضا البطال مع الراهب إلى البيعه إلى أن وصلوا إلى بيت المذبح فجلسوا وقد أتاهم الطعام والشراب من عند الملك فقدموه بين يدى البطال وإذا فيه دجاج وخلوص مشوى ودهنه ينقط فقدموا الرهبان والبترك ثم ان البطال امتنع من الاكل فقال الرسول الذى أتى بالاكل والطعام ما تأكل يابونا فقال ياولدى هذا الذى أتيت به حرام على وعلى جميع العباد والزهاد لانى ياولدى سمعت عن شمعون الصفا عن مريحنا المعمدان عن بولص الراهب من قولهم الفصيح يرون عن السيد المسيح انه قال أوصيكم ياعبادى الخاصين لا تأكلوا طيب المصنوعات من الطعام فانها تزيد القلوب قسوه وتميل القلب الى الطبائع البشرية لان اذا أكل منكم شىء تطلب شىء لا يحل له واذا طاوع أحدا منكم نفسه وأكل من الطعام الطيب دخل النار واذا ترك المأكول الخاص وهى لحوم الدجاج والخبابيص أعطيه الوادى الاحمر مسيرة مائة سنة طولا وعرضا فلهذا زهدت فى هذا المأكول الخاص وحرمته ورغبت فى الدقة والقراقيش

(قال الراوى) فانصرف الرسول وأعلم الملك بما سمع من الراهب جرتقولا فقال

الملك ولعل المسيح رضى علينا وأرسل لنا ذلك الراهب الزاهد الفاضل حتى تنفعنا بركاته ولما أقبل البطال الى العبادة طول الليل وهو قائم على أقدامه والرهبان يتعجبون منه ومن كثرة عبادته وحسن صبره وان الملك ماصدق بالصباح ان يصبح حتى أتى الى زيارة الراهب جرنقولا لأنه لما امتنع من الطعام رغب فيه وأخذه الغرام ولما وصل إلى البيعة أتى الى البطال وقبل اقدامه ويقبلها وجلسوا يتحدثان فاندفع البطال يقرأ فى الانجيل والرهبان من حوله سامعين وكلهم منصتين ثم بعد ساعة قال الملك يابونا أنا مهموم مغموم من هؤلاء الذين يقال لهم المسلمين لأنهم من أول يوم كسرونا وما عدنا خرجنا لهم وأريد منك أن تسأل السيدالمسيح يكفينا شرهم وينصرناعليهم ويخسف بهم الأرض فقال البطال ياملك لاتهتم فانا الليلة أسأل السيد المسيح إنه يهلك الجميع ولا يبقى منهم لارفيع ولا وضيع فقال الملك للراهب سخطون قوم الآن افتح لنا الصليب الذى فيه الصور حتى يزورها الراهب جر نقولا فعند ذلك نهضوا وأتوا إلى بيعة لطيفة وفتحوها وإذا فى وسطها مجلس مفروش بأنواع الفرش وفيه صوره لم ير الرائى أحسن منها وقدام ذلك الصورة كرسى لطيف من الذهب الأحمر فجلس الراهب ولما جلس الراهب على الكرسى قدام الصورة وفتح صورته وقرأ فصل من الإنجيل فكان كلما قرأ تمايل الصورة وينزل من تلك الصورة دموع تتحادر فيمسحوها الحاضرين فى مناديل ويمسحوا وجوههم ولحاهم فقال الملك للبطال يابونا خذ من تلك الدموع لأن ماعندنا أعظم منها إلا أنت وهى مباركة (قال الراوى) فتبسم البطال وتعجب من تلك الحال وقال والله ماهذه إلا صناعة غريبه وهندسة عجيبة يفعلها ذلك الراهب وإذا ما كشفت ستره ما أكون صاحب الاحتيال أبى محمد البطال (قال الراوى) ثم تقدم البطال إلى الملك وقال أيها الملك اعلم انى عاهدت السيد المسيح انى لا أكذب ولا أقول إلا الصحيح فى بيعة مامع ودير الانوار كان العهد وإنى لا أنافق فى دولة الأخيار وأنا ياملك فقد ظهر لى كذب هذا الراهب لأنه يلعب بعقولكم ويأخذ أموالكم وينكح أخواتكم وبناتكم لأن هذه الدموع نازلة من هذه الصورة مصنوعة فقال الملك أعازك المسيح ياراهب عن ذلك الظن القبيح وإنما تلك الصورة لها فى ذلك المكان مائتين عام وهى مايزل تبكى والناس تتبرك بدموعها جيل بعد جيل من قبل أن يخلق جدى وجدى وجدى فقال البطال ياملك هذه هندسة وصناعة يتوارثونها من بعضهم البعض ويجعلوها وسيلة لأجل أخذ أموالكم ونكاح بناتكم ونسائكم فقال الملك ياراهب اكشف لنا عن هذه المكيده فأنت تكون أوحد أهل زمانك وفريد عصرك وأوانك فقال البطال عن إذن الملك أزيلها وأكشف لكم عينها فقال

عن إذن المسيح لأنه لا يرضى بالقبيح فتقدم البطال إلى الراهب وجذبه من طوقه قلعه من موضعه وكشف من تحت رجليه فرأى رخامه من تحت ذلك الترس مدوره من تحتها قربة ملآنة بالماء ولها رقبة طويلة فى محراب داخل من جوف الصورة وكلما يتمايل الراهب يصعد الماء إلى فوق وينزل حكم الدموع وإذا خف عنها ينقص الماء ولما أظهر البطال ذلك الأمر رفع صوته وقرأ فصل من الانجيل وفسر مافيه من التحليل والتحريم وقال يامالك أنا قد سمعت عن يوشع وسمعان انهم قالوا قال بواص عن السيد المسيح من أظهر نفاقا واحتال على العوام والمساكين الذين لهم حسن الظن واليقين وأخذ أموالهم ويفسد دينهم قال المسيح انتفوا سباله واصفعوا بأرجلكم قتاله حتى يموت ويشرب كأسا مرا (قال الراوى) عند ذلك أمر الملك لهم كلهم أن ينتفوا منه السبال ويصفعونه بالنعال وأما الملك فانه فرح بالبطال فرحا شديدا ماعليه من مزيد وقال له يا أبونا أنا عندى أسيرين فهل تأخذهم عندك وتنظر فيهم بناظرك فقال يامالك من يكونوا هؤلاء الاسيرين فقال الملك ياأبونا هؤلاء وصلوا الينا من ناحية الشرق من مدة أيام فقال البطال على بهم حتى أنظرهم فأمر الملك بإحضارهم فحضروا وفى أرجلهم القيود والأغلال فتأملهم البطال وإذا أحدهم رافع بن عقبة والآخر صبى شريف يقال له جعفر العلوى فقال الملك ياأبونا إن الواحد منهم يزعم أنه ابن الشيخ النجيح وحجة المسيح وقد سمعنا به أنه فى بلاد الإسلام يسمى عقبة بن مصعب وإنه قوام دين النصرانية وأهل ماء المعمودية وما ترك دينه وتبع دين المسيح إلا وهو أوحد أهل زمانه ثم قال الملك ياأبونا هو أزهد منك وأعلم فقال البطال نعم يامالك وانه أرفع منى قدرا عند المسيح وأعلى رتبة لأن الكذب يشين ولا يزين وإذا كان غائب يجب علينا نعطيه حقه فطأطأ الملك على يدى البطال وقبلها وقال ياأبونا وحق المسيح إن اعترافك مليح وهو قوى من عبادتك ثم إن البطال ميز الأسيرين قليل ورجع عنهم بالنظر خوف من ولد الملعون عقبة أن يعرفه إذا طال بالنظر اليه وقال للملك ماأغفلك يامالك عن هذا الرأى يزعم أنه ابن الشيخ النجيح فانه كاذب فى قوله ونقله ومعقوله وماهو يامالك إلا ابن العيار المحتال أبو محمد البطال ولو غفلت يامالك عنه مارأيته وربما كان ذلك الشيطان أخذ بلدك وسار بها من دون البلاد أى بلاد الإيمان فقال الملك ياأبونا وما تأمرنا أن نفعل به قال يامالك اقتلوه بسيوفكم فأمر الملك بضرب رقبته فضربت فى الوقت ثم قال البطال يامالك انعم على بهذا الأسير الآخر يخدم عندى فى البيعة فقال الملك خذه اليك افعل به ماتريد فأخذه البطال ومضى به الى البيعة وقد أعطاه الملك البيعة التى كانت فيها الصورة ومال الراهب بكل مافيها من مال ونوال وجواهر ولآل

غوال وانصرف الملك إلى قصره ومحل أمره وعزه وانصرفت الناس من بعده إلى منازلهم وما لهم حديث إلا فى البطال صاحب الأقوال الذى أزال تلك البدعة التى كانت عندهم وأما البطال لما وصل إلى منزله وجعفر معه وكان جعفر آيس من الحياة وأيقن بالوفاة وقال فى نفسه بعد أن أخذنى ذلك الراهب فهو سبب قتلى لأنه مافى قلبه رحمة لأحد أبدا ويقتلنى كما قتل رافع بن عقبة وأما البطال لما حصل فى البيعة غلق بابها والتفت الى جعفر وقال له بلسان عربى فصيح ماسبب وصولك ياسيدى إلى تلك الديار وقد نظر جعفر الى البطال طويلا وتأمله قليلا وقال ياسيدى كأنى أعرف هذه النغمة فقال البطال عمن تعنى قال ياسيدى عن رجل مؤنس مجاهد فى سبيل الله الملك الواحد وهو من الذين أسعدهم الله تعالى فقال له وما إسم ذلك الرجل فقال له الأمير المفضال سيدى عبدالله غازى أبا محمد البطال وهو من الأسماء الأضداد ماهو بطال بل هو عمال صاحب أقوال وأفعال فقال البطال لبيك لبيك ها أنا خادم بنى النبوة ومحبهم ولما حقق جعفر ذلك غشى عليه ساعة وأفاق وحدث الأمير بسبب وصوله إلى تلك البلاد وسأل الأمير عن ظالم فقال هاهو حاضر وإن شاء الله تعالى أعمل على خلاصك وآخذ لك البلد بإذن الواحد الصمد فقال وفقك الله إلى الصواب وجدد لك الخير والمرسات ثم قال من أتى بك إلى هنا فقال له اعلم أيها الأمير ان الرشيد لما قبض على الأمراء فقبضنى معهم بقيت مدة طويلة وبعد ذلك أتى الينا سيف الحنيفية وعمل حيلة خلص الأمير ومن معه وتخلت أنا الآخر فى الجملة وسرنا إلى آمد فقلت مضى إلى أرض الحجاز أبل شوقى من أمى وأخوتى ولم أزل سائر حتى وصلت إلى الكوفة ودخلتها ومضيت الى المقابر وجلست عند قبر أبى وأنا أبكى وإذا بعشر رجال أتوا إلى عندى وجلسوا معى أتحـــدث أنا وإياهم فرأيت معهم زاد وقد وضعوه بين يدى وقالوا كل معنا على حسب الكفاية فلما أكلت منه لقمة واستقرت فى جوفى نمت فى الوقت والساعة فلما أفقت وجدت روحى مكتوف اليدين والرجلين وقد وضعونى فى صندوق وساروا بى الى البصره ونزلونى فى مركب وساروا فى البحر مدة عشرة أيام فهاجت علينا الرياح كما شاء الملك الفتاح فبقينا مائة يوم ونحن بحكم الارياح ولم يعرفوا أهل المركب هم فى أى الاماكن فوصلنا الى قريب من ذلك البلد فأخذونا وقدمونا الى ذلك البلد الى عند الملك وكان الذى دبر ذلك التدبير وقبضنى وأوقعنى فى التعتير رافع بن عقبة الخنزير وكان أراد يمضى بى الى القسطنطينيه فقام البحر لاجل سبب سلامتى وارسلك الله هنا لسبب خلاصى منهم وقتل ذلك الملعون ابن الكافر المفتون

(قال الراوى) ولم يزل جعفر عند الامير أبو محمد أول يوم والثانى مع الثالث وهو

فى أرغد عيش الى ان ردت اليه قوته وصحته فوصل الخبر الى البطال ان عسكر الاسلام نهبوا الرستاق وأخربوا الآفاق ودخل الملك على الامير أبو محمد وهو مهموم مغموم وباس يده وقال له ياأبونا كيف العمل مع هؤلاء القوم وما الذى عندك من الرأى المعلوم فقال ياملك غدا أخرج اليهم ولا تخف منهم فأنت مؤيد منصور ببركة دعائى ولا تخشى من بأس فعند الصباح خرج الملك ومعه جنوده وأقياله ولم يترك فى البلد الا النسوان وقليل من الصبيان وتصففت الجيوش أهل الايمان قدام أهل الكفر والطغيان وانتظروا من يفتح باب الحرب وإذا بفارس برز بين الصفين واشتهر بين الفريقين وفى يده قنطاريه مايحملها ولا رجلين وصاح بلسان عربى فصيح هل من مبارز هل من مناجز من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا قاطع الرقاب أنا خائض الامور الصعاب أنا ظالم ولد الامير عبد الوهاب سيد بنى عامر وبنى كلاب فما خرج اليه أحد وان الامير للطال به المطال هجم على الميمنة قلبها على الميسره والميسره قلبها على الميمنة فأمر ملك الافرنج الحمله وحملت أيضا عساكر هشام وفى دون ساعه كثر الزحام وفلق الهام وصارت الرؤس تحت الاقدام فياله من يوم ذهبت فيه النفوس وتطامت الرؤس وكان يوما عبوس على الكافرين ودقت الرهبان الناقوس والشجاع انحنى على القربوص وهذا وافته المنيا وهذا داسته الخيل العربيه ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل والسؤال لايقبل حتى مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعادوا المسلمين وهم رابحين والافرنج خاسرين فجلس ملك الافرنج فى سرادقه وقد كاد الغيظ ان يخنقه فقال على بالراهب جرنقولا فأتت الغلمان الى البطال وقبلوا يده وقالوا أجب الملك فقام وهو يتبختر الى ان وصل فقام له الملك وقبل يده وأجلسه بجانبه وقال ياأبونا ماأقدر أصف لك ماجرى لنا فى هذا اليوم وماعملت معنا هؤلاء القوم فقال ياملك لايهمك ذلك الامر واستعمل الصبر أنا الليله ادعو عليهم دعوه وأدع المسيح يتركهم أشباحا بلا أرواح ويضعف الويهم وقوتهم حتى لايقدروا ان يدفعوا عن أنفسهم ضرا ولا نفعا فقال الملك ياأبونا هذا هو الرجا فيك ثم انصرف الامير من عند الملك الى داره واجتمع بجعفر وحدثه بما جرى وقال له كن مكانك حتى أمضى الى عسكر الاسلام واجعل فى الليلة منهم مائتين أو ثلاثمائة وأريك ماأصنع وان أتى أحدا وسأل عنى فقل له ذاك مع المسيح يسأله ان ينصر الملك على أعدائه فقال سمعا وطاعه ثم خرج البطال من عنده فى الزى الذى هو فيه ولم يغيره وقصد الى عسكر الاسلام فوجد ظالم على الحرس فخاف على نفسه لاتروح بلاده فجعل يتسلل كانه القطا فى نظر الحطا ووصل الى ظالم فلما رآه ظالم قاصد اليه فحرك نحوه جواده وصاح الله أكبر هذا

من أعداء الله ورسوله وأراد ان يضربه فصاح البطال لا تفعل تندم فأنا عمك البطال فحقق ظالم فى ثيابه وملبوسه رآه ملبوس غريب أنكر أمره وقال له تكذب يا ملعون ما أنت الا راهب مفتون فقال له يا ولدى لا تنظر الى وجهى فان أنكرتنى امتلى فتقرب منه ظالم وحققه فعرفه حق المعرفة قال وكان ظالم لم ينظر أبى محمد فى حيلة قبل ذلك أبدا فلما عرفه صاح الله أكبر ما حملك على تلك الفعال يا أبو محمد وحق المصطفى لقد كنت أسمع عنك تلك الفعال وأقول كيف يغير الانسان صورته ويبدل رؤيته ولكن أخبرنى ياعم لاجل ايش عملت ذلك العمل ولبست ذلك الملبوس فقال يا ولدى حتى انى تممت حيلتى وبلغت أمنيتى وسوف أنزل على أعدائك الهم العظيم والخطب الجسيم ثم حدثه بحديث جعفر العلوى وابن عقبة رافع وانه قتله فقال يا أبى محمد لاى شىء ما أتيت بجعفر صحبتك حتى كنت أسأله عن أبى وما جرى له فى غيبتى فقال يا ولدى ان أباك فى حالة الصحة والسلامة وفرج الله عنه ما كان فيه وقعد جعفر مكانه وخلاص أبيك على يد أخيك سيف الحنيفية (قال الراوى) وبينماهم كذلك واذا بالخادم منصور قد أتى الى نحوهم وقال يا أمير من هذا الذى تحدثه فقال هذا عمى البطال وقد كان فى عسكر الافرنج يعمل على أخذ البلد من أيديهم ويبذل الجهد فهم فأتى اليه وهناه بالسلامة ثم ان البطال قال أريد منكم أربعمائة رجل تسير معى الى زى الفلاحين ويكون معكم أحمال دقيق وعلوفات وتسير بهم الى المحل الفلانى واذا خرجوا عليكم الافرنج لا تقاتلوهم بل سلموا اليهم أنفسكم فقال خادم الامام يا أبى محمد لا تغر المسلمين فقال لا تخاف ولا تفزع ولا يهولك ذلك ولا تجزع فقال ظالم أما أنا هذا شىء لا أفعله ولا أسلم روحى الى الردى فربما يجرى على أمر من الأمور أبقى أطالب به من الجانبين الأول بين يدى الله تعالى والثانى عن هشام المؤيد فقال البطال يا ولدى لا تخالفنى تفسد الذى دبرته لأنى عملت مثل هذه الأعمال وأخذت معى أمراء الاسلام وكم من مرة أدخل عليهم ومعى خليفة الزمان فطاب قلب ظالم لما سمع منه ذلك الكلام وقال أنا أكون أول من يسير معك فقال له أبو محمد يا ظالم أليس أنتم بعتم نفوسكم فى سبيل الله ان عطبوا أو سلموا فهم سعداء فقال الخادم لأصحابه لكم أسوة بظالم فانتخب أبو محمد منهم أربعمائة رجل من أهل القوة والشجاعة تزيد لرؤسهم عشرة آلاف أبطال صناديد قلوبهم كأنها صم الجلاميد لا يخافون الموت ولا يخشون الفوت وأخذوا معهم شىء من العلوفات فقال لهم يكون الملتقى غداة غد عند تل الرمل وتركهم البطال وسار الى عند الملك ودخل عليه فلما رآه قام له قائما على الأقدام وقبل يده وسأله عن الخبر فقال البطال يا ملك ألا أخبرك بعجب فقال الملك ما هو العجب فقال يا ملك القوم قل من عندهم

الزاد والعلف لأنى وصلت اليهم وجدتهم على غاية من القلق من ذلك الأمر وأرسلوا إلى مدينة شاوه يأتوا منها بالزاد والعلف وأخبرنى بعضهم أنه وصل لهم العلف مع أربعمائة ألف فارس ولما سمعت أنا بذلك لم يسعنى المقام وقد أتيت اليك حتى ترسل لهم رجال يرصدوهم فى الوادى حتى يأتوا بقبضوا عليهم وتوصى أصحابك اذا قبضوهم لا يؤذوا أحد منهم بأذيه لانك يا ملك لا تدرى ما يكون بينك وبينهم لأن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فربما يأسروا واحد منكم يكون عندكم عوضه وإن كانت النوبة لكم ونصركم السيد المسيح أنت قادر عليهم بعد ذلك فقال الملك جزاك المسيح عنا كل خير فما أنت إلا رحمة وبركة نازلة أو سلك الينا السيد المسيح فلا عدمنا همتك فأرسل الملك من عنده جماعة إلى الموضع الذى ذكره له الأمير أبو محمد البطال الى ان كان فى الليلة الثانية وهم مكمنين وإذا بعسكر الامير ظالم أقبل وهو قدامهم وقد نزل لاخذ الراحة فخرجت عليهم عسكر الافرنج من الكمين قبضوهم قبضا بالكف لان البطال أوصاهم أن لا أحد منهم يقاتل ولا يناصل ثم انهم أداروهم كتاف وساروا بهم الى قدام الملك ولما ان حضروا قدام الملك فرح بذلك وأخذوهم وأتوا بهم الى الكنيسة الى قدام الامير أبو محمد البطال ودخل عليه وقبل يديه وقال يا أبونا لا عدمنا هذه الطلعة فخذ هؤلاء الاسارى عندك لانك زهرة الزمان وفريد ذلك الأوان لأنك جئت الينا رحمة وزحت عنا غمه عند ذلك أخذهم أبو محمد عنده وقد صار الآمر والناهى ثم أنه تسبب فى أخذ المفاتيح التى للبلد وكتب فى ليلته كتاب وجعله فى سهم نشاب ورماه إلى عسكر الاسلام فلقيه بعض الفرسان وأتى به إلى عند الملك عبد الودود ففضه وقرأه وإذا فيه يقول بعد السلام ساعة وقوفك يا أمير على ذلك الكتاب تركب بالجيش تجد الباب مفتوح وتنادون باسم الملك الرؤوف ولما عرف الملك عبد الودود بذلك الأمر فرح فرحا شديدا وأعلم بذلك الخادم منصور الذى من قبل هشام المؤيد وأخذ عبد الودود عشرة آلاف فارس فى الحديد غراطس وسار بهم إلى نحو باب البلد فوجد الباب مفتوح فأول ما دخلوا صاحوا الله أكبر فتح الله ونصر يا لدين محمد القمر فانتبهوا الناس من مواضعهم وهم حيارى وانزعج القاعد واستيقظ الراقد وكانوا الاربعمائة على أهبة من أمرهم وقد أعطاهم البطال السلاح وآلة الحرب والكفاح ووصلوا إلى أصحابهم وحملوا من ورائهم وزاد الصياح وكثر القتل والجراح ولم تزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل والسؤال لا يقبل بطول الليل إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ووقعت العين على العين ورأوا بعضهم على بعض الطائفتين ورأوا الافرنج إلى المسلمين وقد ساروا فى البلد وبذلوا فيهم السيف فنادوا الأمان الأمان وأما الخادم

منصور فانه لما سمع الصوت من داخل البلد صاح فيمن عنده من العساكر عند ذلك ركبت الأبطال وتناخت الرجال فهو كذلك وإذا برجل يكد جواده كد حتى وصل اليه وقال ياسيدى ادرك الباب الذى للبلد لأن ظالم من داخل البلد وكل من طلب منه الأمان آمنه ومن أبى قتله حتى ملك البلد وأحل بأهلها النكد قال وأما سكندرون والعسكر الذين معه فانهم تاروا من أماكنهم حيارى ما لحقوا أن يتوروا حتى لاقوهم المسلمين فى جنح الظلام ووقع القتال والحرب والنزال وان الأمير ظالم لما ملك البلد التقا بخادم هشام وهو يقاتل ويناصل فى عسكر الملك سكندرون لحمل ظالم وطعن صاحب العلم قتله ومال إلى ناحية سكندرون فأراد الهرب ثم انه قاربه وطعنه فى صدره قتله ولما أن رأت العساكر ذلك الأمر المهول والملك مقتول ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فتبعوهم أهل الايمان وبذلوا فيهم السيف والحسام وملكوا منهم الخام والخيام والا ثقال الرجال ولما ان هدأت الاصوات دخلت المسلمون إلى البلد وقد زال عنهم الهم والنكد ودخل ظالم وعبد الودود والخادم منصور الى قصر الملك فوجدوا من الأموال شيأ لا يعد ولا يحصى ووصلوا إلى بيت المال الذى من قديم الزمان الذى كان سكندرون يضع فيه الأموال ولا وجد فيه شىء فوجدوا فيه الصورتين كما ذكرنا ووجدوه ملآن من الذهب والمال والنوال لان الطلسم كان مرصود لظالم والبطال ويحموه لهم فسبحان من يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ويشفى من يشاء وهو على كل شىء قدير (قال الراوى) ولما ان دخلوا إلى ذلك البيت وجدوا فيه غير المال خمسمائة تاج وخمسمائة بدلة من الجوهر واليوافيت تزهو وشىء كثير فأخذ ظالم كل ما كان فى ذلك البيت وأخذوا من الجواهر واليواقيت ومن الجوار الحسام وأخذوا الصبيان وخرجوا من البلد وأطلقوا فيه النار (قال الراوى) وبعد ذلك ساروا يطلبون هشام المؤيد إلى أن أتوا الى المضيق وجدوه مسدود عليهم بالحجارة ومكنوا عليهم الطرقات فقال البطال أنا أعرف ما عولوا عليه لانهم يقولون إن ذاك المكان لا يصلح ونحن نسد عليهم الدرب حتى يعطوا أولادنا ونساؤنا وبناتنا وأنا أعير منهم بطبقات ولكن اذا سألكم أحدا منكم تعطوهم أولادهم ونساؤهم قولوا لهم نحن نريد الاقامة هنا لأنهم يظنون أن الجبال من قدامنا والبحر من ورائنا ويقولون ان البطال يعمل أعمال ما تهتدى اليها عقول الرجال هذا وقد نزلت المسلمين وتركوا خيولهم ترعا الوادى والا كام ولما نظرت الأعداء اللئام الى عسكر الاسلام صاحوا الى المسلمين ادفعوا لنا نساؤنا وأولادنا وبناتنا ونحن نفتح لكم طريق تمضون الى بلادكم (قال الراوى) فكان المجاوب أبو محمد البطال وهو يقول لهم نحن ما جئنا الى هنـــا الا نجعل مقامنا فى هذه الديار ونغتنم الأجر من الملك القهار

لأن لنا سنين ندور على مثل هذا المكان لانه أحسن من أرضنا بزمان فلما سمع الافرنج ذلك الكلام زال من رؤسهم المكر والمحال وقالوا نحن نريد فداءهم بالمال فقال البطال يا لئام ان أتت الدنانير انحلت العقد السياسية وطاب الوقت والعمل ولا يبقى فى القلب حقد ولا زعل فأتوهم بالمال والمال يصلح الأحوال وفتحوا لهم الباب وحملوا مالهم على الدواب وساروا حتى قربوا الأندلس فلبس أبو محمد الرجال السلاح وآلة الحرب والكفاح ومن آلة الافرنج التى قد غنموها من الافرنج وأقاموا الرايات والاعلام وأحضروا أربعمائة مملوك حسان الوجوه كانهم الاقمار وألبسهم البطال البدلات والتيجان الجوهر التى كلها نور تزهوا ودخل الامام هشام المؤيد فى ترتيب زائد وموكب متزائد لم يرى قط مثله ولا لأحد من الملوك قال ولما رأى الخليفه الى ذلك فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقابلهم وأكرمهم وقال لله دركم ما أقوى جنانكم وما أشد سلطانكم وخلع على ظالم الخلع السنيه وأنعم على البطال بجزيل العطيه وأعطى ظالم والبطال كل واحد تاج وبدله ومن الجوهر شىء كثير غير ما أخذوا من الزنانير الافرنجية التى لاتوجد فى البلاد الاسلاميه لأن الخادم لما أقبل على الامام أخبره بما عمل ظالم من الشجاعة وما عمل البطال من الاحتيال وما فعل ظالم فى القتال فقال الامام والله لقد كنت أسمع بفعالهم ولم أصدق لكن الآن صار القول محقق حتى رأيته عيان وحقيقته بيان ثم ان الخليفة لما رأى جعفر العلوى سألهم عنه فقال البطال يا أمير المؤمنين هذا من السلالة الهاشمية والجرثومة النبوية فوثب إليه هشام المؤيد وأخذ بيده وأجلسه إلى جانبه وأخلع الخلع السنية وبالغ له فى العطية وأقاموا عند هشام المؤيد مدة أيام وهم فى اكرام زائد وبعد ثلاثة أيام قال البطال لظالم ياظالم خذ لنا دستور حتى نمضى مع الملك عبد الودود فقال ظالم أنت أولى بالكلام لأنك أنت البطال الهمام والله اننا قد اشتقنا إلى أهلنا وبلادنا فتقدم البطال إلى قدام الامام وباس الأرض وتكلم وأحسن فيما به ترجم وقال أيا أمير المؤمنين قد اشتقنا للوطن ونريد من فضلك وإحسانك وجودك وامتنانك أن تأذن لنا بالمسير فلقد طال شوقنا وغيبتنا لأن ظالم يا أمير المؤمنين خلفه عجوز كبيرة ومن بيت كبير ووالده الامير السيد الخطير الفارس عبد الوهاب فقال هشام والله ياأبى محمد يعز على فراقكم وكنت أشتهى أن تكونوا عندى فى ألذ عيش وأهناه وتستريحوا من خدمة بنى العباس لانكم كل حين معهم فى الجيوش وأنتم متشتتين فى أقصى البلاد فى الذل والا تكاد ثم ان هشام بعد ذلك الكلام أطلق سبيلهم وسبيل عبد الودود معهم وقدم لهم مماليك

وجوار حسان وخيل وخيام وشيء لا يعد ولا يحصى وخرج بنفسه من قصره لوداعهم نصف يوم وودعهم ورجع عنهم وساروا ولو كانوا لهم أجنحة لطاروا إلى أن وصلوا إلى أرض المعاهدة ومدينة طنجة فخرجوا عسكر عبدالودود إلى لقاهم وأبو يخلف فى أوائل القوم وعليه ثوب أحمر واسع الاكمام والذيل وعلى رأسه عمامة كبيرة صفراء ولما رأى البطال قال له مالى أراك على قود الحياة أنا ظننت أن هشام المؤيد صلبك أو قتلك فصاح فى وجهه البطال سور عن وجهك أخرب الله بيتك ولا بشرك الله بخير ماأنحس طلعتك فقال لاتكون أحمق أنا أفرح معك والله فرحت بسلامتكم وأنا وحق الصديق لابد لى أن أوفى بنذرى لأنى نذرت إن رجعتم سالمين وهبت زوجتى نذر الحلال عشرة أيام للغرباء المسلمين فتضاحكوا عليه الحضار (قال الراوى) واستقر بهم المقام مدة أيام وهم فى أرغد عيش وأهناه ولما كان فى بعض الأيام دخل البطال على الملك عبدالودود وسلم وخدم فتلقاه الملك وأكرمه وأجلسه الى جانبه وقال ياأمير هل من حاجة فتقضى أو ملمة فتمضى فقال البطال ياملك أنت تعلم أن حب الوطن من الإيمان وتعرف ما فى قلوبنا من فرقة الأهل والخلان خصوصا هذا الأمير ظالم له أم كبيرة وهى كثيرة الأشواق اليه وقلبها أيضا خائف عليه وأكثر من ذلك الغيبة لايجوز يامولاى ومرادنا تعطينا دستور لعلى أن تتم لنا الأمور فقال عبدالودود والله يعز على فراقكم ولكن أوصيكم بالجارية أم الخير لأنها ربيت فى الملك والدلال ولاتهينوها بحال من الأحوال فقال البطال والله ياملك ماتكون عندنا الا مكرمة مجملة فعند ذلك اهتم فى تجهيزهم وجهز ابنته فى أحسن جهاز وقال لظالم بالله عليك أيها الأمير اذا أرادت أن تزورنى فى كل سنة مرة فلا تمنعها من ذلك فقال ظالم سمعا وطاعة ولو أرادت كل شهر ماأمنعها بل انى أحضر معها وأكون فى صحبتها فقال عبدالودود جزاكم الله كل خير وأبعدكم عن كل ضير فلا بد ياأمير ماتأخذ معك أبطال ورجال فقال ظالم لابد من ذلك لأنى معول على أمر لابد أن أفعله وهو حرب بنى العباس فقال ياأميركم تأخذ معك فطلب الأمير أبى محمد عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس وكانت من الملثمة والبربر وانتخبهم عبدالودود وأمرهم بالمسير معهم ورتب لهم عنده ديوان وجرايه وعلوفات الى أن يعودوا فقال أبى يخلف يامولاى أراك كتبت الى الفرسان ديوان وأبو يخلف ما كان عندك انسان فاجعل لى أنا الآخر جمكيه وديوان فسوف يظهر منى فارس همام وبطل ضرغام وكلما توجهت الى قتال أكون بين أيديك فما تجد مثلى ولا يزين المجالس الا شكلى (قال الراوى) فتبسم ظالم من مقاله وأمر الملك أن يكتب له ديوان فكتب له كما قال وأخذه ظالم معه وودع عبد الودود وقد

أعطاهم هدايا وتحف ومن كل شيء ظريف وسار الأمير ظالم بذلك الجيش العرمرم يقطعون الأرض فى طولها والعرض وأبو يخلف قدامهم وهو ينشد :

أقسم برب البيت والصديق ۞ نعم الفتى والسيد الشفيق
لاملت انا عن صاحب الصندوق ۞ ابن أخى وهو اذا رفيقى
وعدتى فى شدتى وضيقى ۞ وقاتل الكفار والزنديق
والسيد البطال والحقوق ۞ صندوقه قد جمع الصندوق

(قال الراوى) ولم يزلوا سائرين وفى سيرهم مجدين الى أن وصلوا ديار مصر وقد آمنوا من كل قهر وشر وقد وصلت الاخبار الى ديار مصر ان الملثمة والبربر قد خرجوا من ديارهم فانزعجت مصر انزعاج وأى انزعاج وكان المتولى عليهم فى الزمان هذا فارس كرار وبطل مغوار يقال له أبو الفوارس ولما ان صحت عنده الاخبار جمع عنده من ديوانه من العرب والسودان فكان أربعين ألف وسكوا على البربر رأس المضيق ومنعوهم من العبور فى الطريق هذا وقد نزل الامير ظالم وضرب الخيام واستقر به المقام وأرسل اليهم الامير ظالم رسول الامير أبو محمد البطال وقال ياعم ما يحتاج أعلمك على ما تقول فأنت صاحب الرأى المعقول فسار الامير أبو محمد حتى وصل اليه ووقف بين يديه فعرفه أبو الفوارس وسلم عليه وأكرمه وحياه بالسلام باداه فاطلق أبو محمد لسانه وقوى جنانه وقال اعلم أيها السيدان هذا ظالم بن الأمير عبد الوهاب وسيد سادات بنى عامر وبنى كلاب وهو قاصد الى ناحية الشام ولا لنا ههنا غرض ولا مقام ولا يمكن يشهر فى وجوهكم حسام ولا نطلب منكم لاحرب ولا صدام لان هذه مصر كنانة الله فى أرضه وأن الله سبحانه وتعالى ذكرها فى القرآن فى مواضع كثيرة وأيضا قالوا العلماء من أرادها بسوء أهلكه الله تعالى فلما سمع أبو الفوارس ذلك الخطاب أسرع فى رد الجواب وقال سمعا وطاعه لكن اعلم أيها الامير ان آخر القول اصدقه ويجب على الذى يسمع كلام غيره يحققه واعلم أنك وغيرك تعرف ان الخليفة بالامس قد نفاك أنت وظالم وأبعدكم من تلك الأرض والديار فما لكم علينا على العبور من سبيل ولا تقدر على الرحيل كيف أنك تقول نحن نمضى الى الشام هذا لا يكون الا بأمر الامام ولا بد أن تأمر الملثمه يرجعون عن هذه الديار وتكون أنت وظالم عندى حتى أرسل كتاب إلى أرض العراق بسببكم اما ان الخليفة يطلبكم أو يردكم ويبعدكم إلى أى جهة أو مكان كما يأمر الخليفة يكون لانه امام الوقت والاوان (قال الراوى) فقال البطال كلما تأمرنا به فهو المفعول لأن الذى قلته كلام معقول ولعل اصلاح حالنا مع الخليفة يكون على يديك

ونحن معنا هدايا وتحف اليك واعلم ان المولى لا ما يرضى على الغلام بعد الغضب والمرام (قال الراوى) وماقال ذلك المقال الا حتى يتخلص من بين يديه ويعمل المكر والخداع عليه فقال أبو الفوارس أما أنت فلا تحولى ولا تزول من عندى بل ارسل واحد ممن معك يمضى الى ظالم يأمره انه يرد الملثمة والبربر ويأتى الى عندى وتكون انت وإياه عندى فى مصر حتى أرسل الى الامام ويأتينى من عنده رد جواب لانى لا آمن من الملثمة أن يفسدوا فى الرعية لان أخى عصام متولى عسقلان وسمعت عنه أنه جمع فرسان وأجناد وهو طالب حربى وقتالى وطعنى ونزالى ولهذا كله من كثرة الفتن التى قائمة فى تلك الأيام لأن العراق مختبطة وسائر الآفاق وملك الروم قد خرج على بلاد الاسلام وبنى عامر وكلاب تجمعوا كلهم مع عبد الوهاب وأخاف ان أخى يسمع بهؤلاء الملثمة وربما يميل عقولهم بالمال لان المال ميال ويتقاوى بهم على أخذ البلاد

(قال الراوى) فقال البطال وقد عرف انه جاهل بالامور والا ما كان يطمع بالقبض عليه وأراد أن يخدعه فما انخدع فقال البطال لابو يخلف وقد كان معه ارجع يا هذا الى الامير ظالم واخبره بما سمعت من المقال وقل له يقبل من هذا الامير ماقال ويرد الملثمة الى ديارهم ويحمل المال والنوال الى هذا السيد الامير وأنا رهينا هنا الى أن يأتينا الجواب من عند الامام اما بالعفو أو بالقبض علينا فرجع أبو يخلف من ساعته وقد انقلبت فى رأسه عيناه الى ان وصل الى ظالم خرق ثيابه وعلى بكاه وانتحابه وصار يقول يامولاى هل الصندوق الواحد وهو فى خيمة هذا الجيش المتزايد وقد قال اصاحى كذا وكذا فعلم ظالم ان البطال مقبوض عليه وندم الذى أرسله الى ذلك الرجل السفيه وتفريطه فيه وقال لاشك ان صاحب تلك الديار عديم المعقول وما كان ارسال البطال فى مثل هذه الاحوال الا من عدم الرأى والتدبير لانه هو المطلوب ثم ان ظالم صاح فى الرجال فتبادرت الاقيال وتراسات وسار حتى بقى بينه وبين مصر يوم واحد ونظر الى العسكر ونزل قبالهم وطاب قتالهم كان أبو الفوارس قد عرف الامير ظالم لا بد له من طلب البطال فعبا عساكره ودساكره (قال الراوى) ولما وقعت العين على العين حملت على بعضها البعض الطائفتين وركبت الملثمة والمعامدة فى عاجل الحام وطابوا القتال وكذلك عسكر أبو الفوارس الا ان ظالم لم يدع أبو الفوارس أن يصف رجاله ولا يعبى أبطاله دون أن حمل فى أوائل قومه وصاح البدر من بدر وأشار بيده وقال دونكم وهؤلاء الانذال حتى يعرفون قدرنا عند الحرب والمجال فحملوا واعنة خيلهم أرسلوا ثم ان ظالم خرق جوانب العسكر وسار فى أواسطها ووضع الحسام فى جوانبها والملثمة رفعت

أصواتهم بالصياح وهان على البربر بذل الأرواح لما رأوا الى ذلك المال المباح وصدمت الفرسان الى الفرسان وعظم الامر وقل الصبر وضجت الارض والسكان من شدة ركض الفرسان وصياح الشجعان فلله در البربر فى حملتها فانها لاعداها صدمت وقد ضربت فيهم وطعنت وصاح ظالم فى الفرسان ففرقها وأرجف الابدان وأقلقها وسفك الدماء على وجه الارض فاهرقها فعندها الوحوش تفرقت والارض تزلزلت والقلوب الساكنة رجفت والصدور انخسفت ولما رأى أبو الفوارس ذلك الحال خاف على عقد عزه من الانتقال وقد رأى جيشه فى الاذلال فعند ذلك حمل أبو الفوارس بمن معه من الرجال والابطال وذعس فى الرجال وصاح فى رجاله صياح الهيبة والاذلال وطلع الغبار من عرصة المجال واختلاف بينهم سهام الآجال وكان الامير ظالم جعل باله من أبو الفوارس وهو على رابيه عاليه ينظر مايجرى من العسكر فلما رأى قومه ولوا انحدر من على الرابيه وظالم باله معه لما أتى يرد قومة الى الحرب والقتال فقصده ظالم وجعل يشق المواكب والكتائب تحت سرادق الغبار وهو كانه الاسد الهدار الى أن حاذاه وقد جد فى طلبه وفتح ظالم باعه وناداه فرآه أبو الفوارس فولى من بين يديه منهزما والى النجاة متقدما فتبعوه قومه وهم فى الذل والهوان وجدوا فى الهرب وظالم لهم فى الطلب ولم يزل وراهم مقدار فرسخين وعادوا عنهم وهم راجعين وجمعوا الاثقال والرجال والخام والخيام والجمال وكان شيء كثير ما تأكله نيران وأما أبو الفوارس لما حصل فى مقامه أحضر البطال الى عنده واعتذر اليه فى المقال قال البطال أنا قد أشرت عليك فى الاول ماسمعت منى مقال لكن ما بقى فى الامر الا انك تبذل لهم الاموال وتداريهم بحسن الفعال والا يفعلوا معكم الاهوال ويوقعوك فى النكال فاخبره أبو الفوارس بما بينه وبين أخيه صاحب عقسلان من الحرب والطعان فأوعده أبو محمد بالمحال ثم انه أطلق البطال وخلع عليه خلعة سنية تسوى عشرة آلاف ذهب مصريه وأرسل الى ظالم الهدايا والتحف وسار البطال الى أن وصل الى ظالم فهناه بالسلامة وقال له ماعندك يا عم من الرأى الصواب فقال الرأى عندى أن تقيم اليوم وغدا وترحل ثالث يوم وتنزل على أبواب مصر ولا تؤذى أحدا من أهلها وتأخذ من أبو الفوارس الاقامات والعلوفات وتوعده انك تكن له عونا على أخيه وارحل عنه فقبل ظالم كلام البطال وأقام أول يوم وثانى وفى اليوم الثالث رحلت عسكر الملثمة وأبو محمد فى أوئلهم الى أن نزلوا على أبواب مصر بعدان عدوا فى البحر وقد آمنوا من النويب ونزلوا وهم فى فرح واستبشار فارسل اليهم أبو الفوارس من الاقامات والضيافات وأنفق عليهم مائة ألف دينار وخرج اليهم وجلس معهم يشاورهم فى أمر أخيه الذى فى عسقلان فقال البطال طب نفسا وقر عينا نحن

تمضى قدامك ونأخذلك البلد ونسلمها الى نوابك ففرح أبو الفارس بذلك فرحا شديدا ماعليه من مزيد ولما انتصف الليل وحل ظالم وأبو محمد ومعهم من الرجال وجدوا فى سيرهم الى أن وصل الى عند عسقلان ونزل عليها فسار البطال ودخل على متوليها وسلم عليه وبعد السلام قال له ايش فى قعادك فائده انهض وقابل ظالم وأدلاعينه بالعطاء حتى يملكك مصر وأعمالها ويكون من خلف ظهرك لانه فارس العصر ونتيجة الدهر فلما ان سمع عصام ذلك الكلام غره من البطال الطمع والطمع المرجال فحمل الى ظالم من الهدايا والاموال قدر أخيه مرتين وأنفق على العساكر وقبل يد ظالم وقال ياسيدى حتى أملك مصر يكون لك عندى أكثر من هذا والبطال يعده ويمنيه الى أن كان نصف الليل وقد دخل عصام البلد يوصى رجاله وأبطاله ثم ان البطال رحل ومن معه من الرجال وقد قال لظالم ارحل بنا الى صوب دمشق الشام ولا علينا منه ولا من غيره وقال الملثمه دونكم ونهب هؤلاء الانذال نستعين بنهبهم على الزمان ولكن لاتؤذوا أحدا من النيام ولا من القيام فأخذوا منهم مقدار ألف حصان وخمسمائة جنيبه وتركوهم نيام ومضوا إلى صوب الشام وخلوهم على الارض البيضا وساروا ولوكان لهم أجنحة لطاروا وما زالوا فى سيرهم مجدين حتى وصلوا الى دمشق الشام يتوقع لهم معنا كلام (وأما ما كان) من صاحب عسقلان عند الصباح دخلت عليه قومه عراه حفاه وأخبروه بماجرى عليهم وماوصل من الاذيه اليهم وخرج معهم الى ظاهر البلد واقتفى الاثر فرأى الخيل سارت الى ناحية الشام فقال دهينا ورب الكعبه ومكر بنا ظالم البطال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من حديث القاضى عقبة لما خدع غلمان البطال فى القرية الخراب وبذل لهم الاموال أقاموا ينتظرون قدوم المال فما أحسوا الا والرجال كبسوهم وقبضوهم وكتفوهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك هوان عقبة لما أوصل الى العامل بتاعه يطلب منه المال فلما وصل الرسول الى العامل عرف ان عقبة فى ضيق الحال فجمع عشرين نصرانى وأعلمهم بذلك وأرسلهم مع غلامه فساروا عليهم وأقبلوا على غفله منهم ومسكوهم ووضعوهم فى الصناديق وقصدوا بهم الى القسطنطونيه ودخلوا بهم على ملك الروم ففرح بهم فرحا شديدا ووضعهم فى الحبوس بعدما ثقلوهم بالقيود والاغلال وصل القاضى عقبة معهم وقال للملك منويل اعلم أيها الملك انى اسلمت من أنياب السباع ووصلت اليك وقدمت اليك بعدما أهلكت ناس كثيره من المسلمين وهتكت البنات والبنين وأخبرك ان عبد الوهاب محصور ومقهور والا كان أهلك النصرانيه وقد لعبت بعقل الرشيد حتى كتبت لك الكتاب الذى وصل اليك فانهض وأضعف الاسلام بقتل عبد الوهاب ومن

معه من الأصحاب لأنه بعد ظالم والبطال مابقا يسوى ملو ودنه نخال فقال الملك أيها الشيخ الصالح الساعى فى المصالح انى ما تأخرت فى هذه الأيام الا حتى تجتمع العساكر اليوم أو غدا أرحل ان شاء المسيح (قال الراوى) وما مضى إلا أيام قلائل حتى اجتمع على باب القسطنطونية مائة ألف عنان من عباد الأصنام والصلبان عندها قال عقبة أيها الملك الآن ارحل حتى تملك البلاد عند ذلك رحل الملك منويل يقطع الأرض فى طولها والعرض بلا تطويل حتى وصل إلى ملطيه فأخرج له الأمير عمرو الاقامات والعلوفات وخرجوا اسادات بنى سليم إلى لقاء ملك الروم وأكرموه مدة ثلاثة أيام بالانعام وبعد ذلك رحل طالب آمد وتجرد عمرو فى ستين ألف عنان من بنى سليم كاشفين كل شدة وضيم وقد كتب عمرو الكتب وأرسلها على أجنحة الطير إلى بغداد يعلم خليفة العباد بذلك الشأن ويطلب من الرشيد رد جواب فأرسل له الخليفة بالرحيل مع ملك الروم إلى تلك الرسوم وأرسل يقول انى لاحق بكم عن قريب غير بعيد وأما الأمير عبد الوهاب وزوجته القناصة أم ظالم كانوا فى عشرين ألف من بنى عامر وغنى كلاب وعشرة آلاف سودان أنجاب أصحاب ابو الهزاهز ومن الاكراد عشرة آلاف وسودان قراقد وميمون الجماس عشرة آلاف فكانوا الجملة خمسين ألف إلا أنهم شجعان الفلا تفزع منهم الجن السفلى مامنهم إلا كل فارس شديد وبطل صنديد والقناصة من حرقتها على ولدها لم تنشف لها دمعة ولا تبرد لها لوعة ولا تقر ولا تهدى وهى تبكى فى الليـــل والنهار ولا يأخذها قرار وقد أرسلت النجابة إلى الجبل الشامخ تطلق أبطالها ورجالها وتأمر المهاب ابن وهب صهر ظالم أن يرسل لها العرب وتشكى ماهى فيه من شدة الكرب وفى آخر الكتاب تقول العجل العجل قبل فوات الأجل العجل لعلى أبلغ من العدو الأمل وكذلك الأميرة ذات الهمة أرسلت النجابة إلى معاوية وماء النظير ديار بنى عامر وكلاب تطلب الاعراب وبعد قليل من الأيام سمع الأمير بقدوم الروم لجمع الأميرة والمقدمين وأعلمهم بذلك فقالت الأميرة نستعين عليهم بالحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وأقاموا يأخذوا أهبتهم إلى أن وصل الملك منويل وأتت أيضا الأخبار ان الرشيد قد خرج من بلاده وهو فى عالم بعـــدد الجراد لا تسعهم أرض ولا بلاد وعددهم سبعمائة الف أجناد وترك وتنجق وديلم وأوصل من وراهم جيش آخر كأنه الرمال والسبب فى ذلك أن الرشيد كتب الكتب وأنفدها إلى خراسان يطلب منها العساكر وأرسل لهم فى الكتب يقول ان عبد الوهاب ارتد عن دين الإسلام وطاب يقاتل من الخلافة الامام ويعطى الخلافة لواحد من العوام وانه قطع الطريق على حجاج بغداد ولا ترك أحدا يزور قبر زين العباد ﷺ (قال الراوى) فلما

ان وصلت الكتب بذلك المقال أخذت الأتراك الحمية لدين خير البرية وسارت من سائر الجهات تطلب الجهاد وهى طوائف ماخرجت من تلك البلاد وكان المقدم على الاتراك رجل جبار بطل مغوار يقال له فقطوش فسار بهم وهو مدهوش فى عساكر وأمم ومازال يجد المسير ويسرع الشهير إلى أن وصل إلى الرشيد وقبل الارض وخدم ودعى بدوام العز والنعم فأخلع عليه وعلى المقدمين من الرجال وفاض عليهم بالعطا والنوال واستمال قلوب الابطال وخرجوا من قدام الرشيد بالخلع الثنية والتفاصيل السلطانية حتى بان محبين عبد الوهاب صعب عليهم ذلك الامر والشان وقالوا الله تعالى يأخذ بيد الامير عبد الوهاب وينصره على ذلك العسكر العياب والذين يتعصبوا لعقبة يقولون ان عبد الوهاب يهلك فى هذه النوبة لاجل عداوته للقاضى عقبة شيخ الدين وإمام المسلمين وانه بعد ذلك صار خارجى على الخليفة لأنه يؤذى زوار النبى المصطفى (قال الراوى) ووصلت النجابة إلى المهلب بن وهب من عند القناصة فتجرد من الجبل فى أربعة آلاف من عربان الحجاز الذى من حول حصن القناصة بنت مزاحم وأيضا السودان الذين كانوا لظالم وانقادت العرب إلى المهلب حتى بقى معه جيش كأنه البحر إذا انسكب فوصلت إلى الرشيد الاخبار بما جمع ابن وهب من العربان من سائر الأقطار فأحضر فقطوش مقدم الأتراك إلى بين يديه وقال له اعلم انى قد عولت أسير بكم إلى عبد الوهاب وأمحى آثار بنى كلاب وإذا فرغنا من جانبه توجهنا إلى بلاد الروم حتى نفنى هؤلاء القوم وتستغنى أصحابنا من الأموال والجواهر الغوال لأن عبد الوهاب أخذ من بلاد الروم أموال لاتحصيها أقلام ولا ديوان ومعه جماعة من العربان ولكن الآن قد عاقنا عائق وقد تحققت الحقائق فقال فقطوش يا أمير المؤمنين وما هو العائق الذى يعوقك وأمر الله سعدك وأهلك حاسدك فقال الإمام اعلم انى قد جاءنى الخبر بأن المهلب قادم علينا من أرض الحجاز إلى نصرة عبد الوهاب ومعه مائة ألف أعراب وهم سائرين إلى آمد لأن ظالم ولد عبد الوهاب صهره ويشتد به فقال فقطوش يا أمير المؤمنين هـــذا أمر سهل وسوف ترى مايسرك ويهلك حسادك ويزيل ضرك ثم ان فقطوش ادعى بمقدم من مقدمين الأتراك يقال له طومان وضم إليه ألف من الأتراك الذين لايخافون من الهلاك وقال له امضى من هنا إلى الكوفة وكن مقيما هناك فاذا وصلت عربان الحجاز أوقع بهم التلاف وأتينا بهم بالشد والكتاف بعد أن توردهم موارد التلاف فسار طومان بمن معه من الفرسان حتى وصل إلى الكوفة يتوقع له كلام (قال الراوى) ولما تفرغ قلب الرشيد من ذلك الجانب برز بالعساكر من بغداد وقد حملهم بالرايات والأعلام والبيارق والخدام هذا ومحبين عبد الوهاب

يقولون هذا آخر عهد عبد الوهاب من الدنيا لأنه أصيب فى ولده وتلك العساكر تقصده من عرب وعجم وترك وديلم وأروام فالله تعالى ينصره على هؤلاء الأقوام (قال الراوى) وان الرشيد توجه بتلك العساكر التى كأنها البحار والزواخر ووصل الخبر إلى ملك الروم ان الرشيد واصل اليك وقادم عليك قال عقبة ياملك الآن ارسل إلى سائر البلاد وتأتى إليك القسوس والرهبان والمطران لأن سائر البلاد تحت حكمك وطاعتك فلا يبقى أحد ممن يشد الزنار إلا ويأتى إليك وأيضا انك لاتأمن من غدر المسلمين والرشيد لأنه أتانى الخبر أن الرشيد أتى إليه عسكر من خراسان وترك وعربان فربما انه يصالح عبد الوهاب ومن معه من الاعراب وإن غدر ينافى تلك النوبة يدع بلاد النصرانية قفراخراب فقال صدقت ياحجة المسيح ومن فزع ملك الروم أحضر الملوك بين يديه وقص عليهم ذلك الخبر فما منهم إلا من اندعر وداخله الفزع والخوف والجزع وهم كذلك وإذا قد وصلت اليهم الجواسيس ان الرشيد واصل اليكم بأقوام صغار العيون بعدد الكواكب والنجوم فقال منويل وحق المسيح أناخائف على البلاد الرومية من الخراب لأن الترك أشد حرب من الأعراب ومن السودان الأنجاب لأنهم أرمى خلق الله تعالى بالنشاب وأخاف إذا انفصلوا من عبدالوهاب ربما يأخذهم الطمع فينا فما كانوا يدعوا أحدا منا يرجع ويمضوا إلى سائر الأقاليم لايدع فيها رضيع ولافطيم ويشدوا فى تلك السنة من دين محمد ﷺ النبى الكريم فصلبت الملوك على وجوهها وما منهم إلا من بات وهوفزعان جذعان وما أمسى المساء حتى أرسلوا الكتب إلى سائر بلادهم يحثوا من فيها على القدوم عليهم والوصول اليهم فنادى المنادى عند وصول المكاتيب فى بلاد البرغل والمغلبيط وفى بلاد البغادقة واليونان فجاءت البتاركة والمطران يلتقوها بخط البترك الكبير وانزعجت سائر بلاد الروم وتزلزلت الأرض والنجوم هذا جرى ههنا وأما ماكان من الرشيد فانه وصل إلى نصيبين فى أقل من شهرين لأنه كان يسير على مهل لأجل كثرة الثقل وكان فى صحبته خلق لايعلم لهم آخر من أول الا الملك القديم الأول الذى لايحول ولا يزول وكل مايجوز على قرية أو بلد يقيم فيها اليوم واليومين والثلاثة ويخرجوا اليه بالضيافات والعلوفات والاقامات فما وصل إلى آمد حتى وصلت عساكر الروم وكان الرشيد ماوصل حتى تكامل جيشه ألفين ألف ومائتين ألف فكانوا إذا ركبوا الخيول ترتج الأرض والطلول من مسيرة ثلاثة أيام ومن شدة وقع حوافر الصافنات صار النهار كأنه ظلمات وتكدرت منهم الامياه والمناهل وضاقت بهم الأرض والمنازل وأخربوا ذلك الرستاق وملكوا كل الآفاق ولما رأى كاب الروم

إلى ذلك الأمر المذموم فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال لعقبة ياحجة المسيح سوف تصل الينا عساكر الجزائر البحرية وتملا الدنيا بفرسان النصرانية فقال عقبة يا ملك الآن طاب قلبي وزال كربي وان طول المسيح فى عمرى ملكتك البلاد ومن فيها من العباد لكن ياعلك أنا لا أنال ما أريد الا بعد هلاك ذلك الأسود العنيد ولا بد ما أشتفى منه كما اشتفيت من ولده البطال اللص المحتال وسوف أدبرك حتى تملك عسكر الرشيد وبغده تملك من خراسان إلى قاع الصعيد لكن حتى تملك عبدالوهاب ومن معه من بنى كلاب وأنا لا أبالى بعد ذلك بما كان منى ولا بأى موتة أموت حتى لا يبقى على وجه الأرض مسلم ولا مسلمة لا قريب ولا بعيد فقال منويل ما أنت إلا رحمة على أهل دين النصرانية وكاشف الكرب عن أهل ماء المعمودية إلا فى بعض الأوقات تشير علينا بالشورة الردية فقال الشيخ النجيح وهذا ياملك برأى المسيح لأنه يفعل ما يريد (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء وأما ما كان من العساكر الاسلامية والأمة المحمدية لما وصل الرشيد على رأسه الرايات والاعلام والازدهارات ركب كلب الروم إلى لقائه فى عساكر الرومية فملات الأرض بما رحبت وكان فى ذلك الوقت القيامة قد قامت من صهيل الخيل الصافنات ولمعان البيض والقواضب وحر الزرد ودق الكؤسات وهفيف الأعلام والرايات وكثرة الضجات والزعقات وتقدم ملك الروم إلى عند الرشيد وقبل الأرض قريب وبعيد وأما الأمير والسيد الخطير المحامى عن قبر البشير النذير فانه من قبل أن يأتى الرشيد بيوم أتوه الجواسيس وأخبروه أن الرشيد واصل اليه عساكر كأنهم البحر العباب بعدد قطر السحاب فقال الأمير يا أم المجاهدين ماترين إلى ما نزل بنا فاننا ما رأينا عساكر قط مثل هذه النوبة لأن منويل نزل عن يميننا بذلك العسكر الكبير والرشيد قادم من على شمالنا كما أخبرنا بذلك الجاسوس وما لنا إلا نلزم الحصار ونحفظ الأصوار إلى أن تأتينا عساكر من عند المهلب من أرض الحجاز أو يقضى الله ماهو قاض فقالت الأميرة ياولدى لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك لأن ياولدى الأجل لا يزيد ولا ينقص ولا يصيب العبد إلا ما كتب عليه كما قال الله تعالى وهو أصدق القائلين لكل أجل كتاب ولعلهم ياولدى يتهاونوا فى القتال حتى ندبر على سرقة ملوك الاسلامية والرومانية وقد انطفت عنا تلك النار فقال الأمير وكيف يا أماه نقدر على ذلك وقد عدمنا صاحب الأحوال أبو محمد البطال وغلمانه الأبطال فقالت الاميرة ياولدى أما أبى محمد لا تعدت تذكره لاهو ولا غلمانه فقد هلكوا مع تمام المقادير وأنا لا بد لى أن أخاطر بروحى وأنزل من البلد وأختلط بعساكر الروم أو عساكر الرشيد لعلى أظفر بأحد منهم

إما بهلاك الروم أو الخليفة أو عقبة الكلب المذموم وأعمل على ضرب رقبته بإذن الحي القيوم (قال) وقالت ياولدي والله اترى من هذه العجوز شيء عمرك مارأيته لامن أبوك محمد البطال ولا من غيره من الابطال وكانت ابواب آمد مغلقه والابراج مزينة بالسلاح وآلة الحرب والكفاح وقد تولى أمرها أمراء السودان الا ان آمد بقت مثل فص الخاتم إذا وقع فى وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج من كثرة العساكر الذين من حولها من اليمين ومن الشمال ليس لها أول ولا آخر مثل البحار الزواخر ولوكان فيها غير بنى كلاب ماحملوا يوما من هذا البحر العباب هذا وقد أرسل ملك الروم للرشيد يقول دع القتال يوم لنا ويوم لك أرسل يقول نحن سامعين ما تقولون واتفقوا على هذا الحال يوم للروم الكلاب ويوم للخليفة المهاب فقال فقطوش مقدم الاتراك للخليفة يامولانا دعنا نزحف بالاتراك الى الاصوار ونرمى بالنبال وقد أخذناها فى أقل من عشره أيام ولو كانت أبوابها من حديد أوصنم الجلاميد لان معى خمسمائه رامى يرمون من قوس واحد ولاأترك واحد يطل من فوق الاصوار لابالليل ولا بالنهار بعدنصب السلالم وتطلع عليها الرجال وتبصر مايجرى فى الحال (قال الراوى) وكان فقطوش صادق فى ذلك المقال اذا كان فيها غير عبدالوهاب وعساكر بنى كلاب والسودان الانجاب ثم ان الأميرة ذات الهمة رضى الله عنها خاطرت بنفسها بين تلك الجموع وقد نزلت من الصور ومعها سيف الحنيفية وصدره يغلى على عقبة وكذلك القناصة على الرشيد لعلها تشتفى منه وتقتله عوض عن ولدها ان رأته وقد سارت مع الاميره وقدكانت فى صفة عجميه لانها لبست قبة مذهبة وطربوش على رأسها فصارت كانها من أمراء الاتراك وكذلك الاميره تزيت بزى الاتراك وسيف الحنيفية فى زى الغلمان وقد أخذت الاميره معها ملابس روم والسلاح لاجل اذ لم تجد فرصه من هنا تجد فرصه من هنا ولما ان صارت الاميره ومن معها من برا الاصوار بقيت الاميره متفكره فى أى الجهات تمضى الى عسكر الروم أو الى عسكر الاسلام ثم انها قوت عزمها الى الرواح الى عسكر الرشيد وهى بذلك الوصف الذى ذكرنا ولم ينكر عليها أحد لانها فى زى الاتراك فعدلت بين الروم حتى انها صارت بين الجهتين اذ لاح لها شخص راكب على حمار أسود وبين يديه غلام يقود الحمار فقالت الاميره لسيف الحنيفية اقصد ياولدى الى ذلك الشخص

(قال الراوى) وكان لما يريد الله تعالى ان عقبة أقبل على ملك الروم وقال ياملك اعلم ان اقامتى عندك ليست بصواب قال له على ماذا عولت أن تفعل قال ياملك أكون مقيم فى عسكر الاسلام أدبر عليهم الحيل وأرمى فيهم بالفتن لعلى أعمل على هلاك

عبد الوهاب وإذا ذكر لهم أحد حسنة أذكر لهم مائة سيئة والثانى كل ما يجرى عندهم أمر من الأمور أطالعك به أول بأول قال الملك افعل ما بدالك أنجح المسيح أعمالك لانك لم تزل مشفق فركب عقبة الحمار وأخذ معه غلامه الغدار وساروا الى قريب من عسكر الرشيد وهو يقول لغلامه قل أنا من عند الرشيد خوفا يقول هذا كله منك وكان من فعلك لكن الضرورة لها أحكام ولا مايفت العمل على سيف الحنيفيه ذلك الامن النصرانيه وفى ذلك الوقت نظرته الاميره وقالت لسيف الحنيفية انظر لنا ياولدى ذلك الشخص وعد على عجل ثم انه مضى سيف الحنيفية الى ان قرب اليه فسمعه يقول لغلامه سوف تنظر ياولدى ماأفعل فى هذه النوبه ولا بد لى ماأعمل على هلاك عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب وكنت سابقا عملت على سيف الحنيفية وعاد رجع وكنت حبسته عند الراهب ولم أعرف كيف سلم بعدها وان لم أتقن العمل ما أكون عقبة صاحب الحيل فلما سمعه سيف الحنفية عرف أنه عقبة انقض عليه كانه العقاب وضرب غلامه بالسيف طير رأسه قدامه واستقبل عقبة وضربه فالتقى بيده وقال أنا القاضى عقبة وقد وقع إلى الارض مغشيا عليه وكانت الضربة أثارت فيه وجرحته جرح بالغ لكن عمر الشق بطى وقد صرخ ملو رأسه سمعت الاميره الصوت فقصدت اليه وقالت من هذا ياولدى فقال ياأميره هذا شيخ الضلال صاحب المكر والمحال القاضى عقبة فقالت الاميره هلك ورب الكعبة ليتك كنت صبرت عليه حتى كنا نبصر مايجرى بيننا وبين هؤلاء القوم من الحرب الزائد فقال سيف الحنيفيه أما رأيتى ما فعل بى من الفعال وهو قد تركنى فى مطمورة وشعر وجهى قدارتخى وماافتكر ولا كانى عنده من البشر وكذلك أنا الآخر لا أفتكر فى أمره أبدا ودعه يذوق أنواع الردى فعند ذلك وضعت الاميره يدها على فؤاده فوجدت النفس يتردد فيه فأمرته بحمله وقالت ان قلبى وقلب أبيك فيه أمر عظيم وظفرنا به مرار ولو أردنا قتله كنا فعلنا لكن نلعن بسببه إلى يوم القيامة ولا تعلم الناس انه يستحق القتل ونحن نطلب من الله ان يهتك ستره على رؤس الاشهاد حتى يصح عند الناس غدره ومكره وغير ذلك ان أبيك أخبر الناس أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول انه يصلب على باب الذهب بالقسطنطونيه والشجرة التى قال لابيك انه يصلب عليها موجودة عند نافع فى حصن الكوكب وان هومات على هذا الوجه يبقوا الناس يكذبوا أبوك ونحن نريد نصحح قول النبى صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فحمله سيف الحنيفيه وهو كاره لذلك لكن لم يمكنه المخالفة وجعل يعدو به الى باب البلد ونادى فنهضوا لما عرفوه وفتحوا له الباب فدخلت الاميره وسيف الحنيفية والقناصة لم تلتفت

إلى عقبة بل تقول أنا ماغريمى فى ولدى الا الرشيد ولابد لى من قتله (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب لما راى الى تلك الضربة التى فى رأس عقبة صعب عليه وقال والله ما كنت أشتهى ان يموت على هذه الصفة فقال سيف الحنيفيه الى لعنة الله قال الاميره وإذا مات وقضى الامر وفات صلبناه وهو ميت على باب الذهب ونصحح قول سيد العجم والعرب لانه الصادق الامين وهو سيد المرسلين ثم قالت الاميره كنا نشتهى البطال يراه ويشاهده وينظر موقفه ويشفى قلبه منه هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من نورى زوجة البطال فانها كانت فى غيبته رزقت ولدا ذكرا كانه القمر فى ليلة أربعة عشر وهى تبكى على أبيه وعلى يتمه وما هو فيه فسمته مظلوم لكن أبوه مضى ظلما وعدوان وأما الأمير عبد الوهاب تقدم إلى عقبة الكذاب وسقاه قليل من الشراب حتى أفاق فلمـــا أفاق صعب على سيف الحنيفيه حياته الى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح زحف الرشيد بنفسه الى القتال وزحفت الاتراك من سائر الجهات ومعهم السلالم والفرادات وتقدموا ورموا النبال فكانت كانها الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر وما كانت الاساعة حتى قتل من أصحاب الامير قدر مائة رجل الذين كانوا فوق الاصوار وزاد الامر وكثر الشر وأمسى المسا على الناس وهم فى كرب زائد وقد أقبل الامير على أمه وقال ياأماه ماترى الى هذه الامور وما وقعنا فيه من المحذور فقالت ياولدى اعلم ان هذا البلد لم يقدر عليه أحد ولو اننا لم نقاتل لما يصل الينا منهم واصل ولابدانى أخرج الى هذه العساكر وأتوكل على العزيز القادر لان الله سبحانه وتعالى يعلم الظالم من المظلوم وأنت ياولدى يكون لك أسوة بغيرك قالت السودان لابد لنا من الخروج ونموت كرام ولا نعيش لئام كاننا نسوة محجوبين بين الجدران وباتوا معولين على ذلك الامر والشان (وأما الرشيد) فلما رجع من القتال أتاه رسول عند رجوعه ملك الروم وهو يقول دعنى أقاتل فى غداة غد وسوف ترى ماأصنع فأجابه الى ذلك وأما عبد الوهاب بات معول على الخروج عند الصباح فتح الباب وخرج ومعه الأبطال وصناديد الرجال فلما رأى الخليفة ذلك قال مايكون مثل هذا الرجل على وجه الأرض ولا أقوى قلب منه والامن يكون فى هذا الحصن الحصين وتنزل عليه عساكر الروم والمسلمين ويخرج لهم وهو فى ذلك الجيش اليسير ان هذا قوة قلب زائده عن الحد يظن أنه يقاتلنا ويعيش بعد الذى جرى منه فقال الفضل ابن الربيع ياأمير المؤمنين هذا ماهو منه شجاعه وماهو الا انزعاو جزعاو الما هو يريد ان يظهر بغضه لهذه الدوله العباسيه والسلاله القرشية وان الله سبحانه وتعالى يظهر الحق على النفاق وفى دون ساعة أقبلت الكتائب والمواكب من كل مكان وجانب وأشرفت القسى للهلاك وأيقنوا الناس بالارتباك وبربرت السودان وتقدمت الجيشان وركب الخليفه فى

ذلك اليوم المهول وبان الرجل البهلول وكل منهم صف عسا كره وعبى دسا كره وتقدم مقدم الترك فقطوش وقدم بين يديه مائة ألف وأمرهم بالحمله كلهم فحملوا وعلى هلاك الرجال عولوا عند ذلك حمل الأمير والسيد الخطير ولقى المائة ألف بصدره وكذلك الأميره حملت ولربها شكرت وقد كشفت الأمير رأسه وخفق لباسه وأخرج يده من خلال درعه كانه الاسد الذي عدم شمله وصاح فى أصحابه دونكم والطعن بالطوال والضرب بالسيوف الصقال فحملوها لما رأوه وقد حمل وعمل الصارم فى أعالى القلل وجار السيف فى حكمه وما عدل ورموا الترك بسهام الأجل الاأن السودان ماتركوهم يرموا غير ندب واحد دون ان صدموهم فصاروا فى صدورهم وضربوهم بالسيوف فى نحورهم فما بطل منهم رمى النشاب اعتمدوا على السيف القرضاب وعمل فى الشيوخ والشباب وفى دون ساعة وقعت الرجال من السروج وصاروا كانهم قوم يأجوج ومأجوج واختلطت الفيوج بالفيوج فاندفقت الاتراك منهزمة والى النجاة طالبه وقد فرشوهم السودان على التراب وكذلك الاعراب وداسوهم بسنابك الدواب وجرت الدما مثل جرى السحاب وحارت فى ذلك اليوم عقول أولو الالباب عند ذلك اشار ملك الروم الى مائة ألف غيرهم وصاح على مائة ألف ثالثه وحمل قدامهم حتى قوى قلوبهم عند ذلك انطبقوا على عبد الوهاب الثلاثمائة ألف ضراب فصار الأمير كانه عادم عقــله وصاح بالثارات ظالم وحمل كانه فى حملته قضاء نزل من السماء الى ان تكحلت الخيل بمراود العما وكذلك دامغ النصرانيه ولده سيف الحنيفيه وأما الأميره ذات الهمه فانها كانت تقاتل مدافعه ومانعه لأجل أنهم مؤمنين وصارت تتجنب سفك الدما وأما القناصة فانها كشفت رأسها وقد بان شملها وخففت لباسها وكان معها حسام عديم المثال وهى تنادى أنا الوالهة الثكلا الوحيدة الفريدة المظلومة فى ولدها وقد خرجت من مسكنى وانهدم ركنى ثم انها من حرقة قلبها جعلت تلوح القحوف وتنزع الأنوف وهى قاصدة الخليفة وقد هابتها جمع الأبطال وخافت من سطوتها الرجال وكانوا يظنوها ذات الهمة وأما فقطوش مقدم الأتراك لما رأى إلى الأميرة ومعه مائه قام يقاتل الثلاثمائة ألف عرف أن أمرهم مايهمل وإن كان كل واحد منهم مقوم بألف بطل كان فقطوش رجل شجاع وقرم مناع معتاد على الأهوال خبير بالحرب وأنواع القتال فأشار إلى تمام الستمائة ألف وتقدم قدامها ورمى إلى ناحية الأمير عبد الوهاب سهم نشاب مذهب وهذه عادة الأتراك إذا رمى المقدم إلى عدوه يرموا أرواحهم بين يديه إلى الموت والعدم ولو كانوا قدامهم بحر من نار خاضوه عند ذلك حملوا عن بكرة أبيهم كأنهم سد من الحديد أو بلاء شديد ولما رأى الأمير إلى ذلك الأمر قال لوالدته يا أم المجاهدين الساعة يبطحوا خيولنا لا محالة ولو كان عليها الدروع السابورية وإذا

وقعت الخيل من تحتنا عطبنا وهذه ساعة ما رأينا قط مثلها قالت ياولدى وما المعول عليه قال نترجل من على خيولنا ونلقاهم بصدورنا ويكون ذلك أهيب لنا وإن كان فرغ الأجل فما ينفع العمل فصاح الأمير والأميرة بالفرسان ترجلوا من على الخيول فرجلوا والأمير والأميرة فى أوائلهم وقد ارتجت الأرض فى طولها والعرض ونظر الرشيد إلى تلك الفعال فأخذه العجب والاندهاش وصاح فى العسكرين دونكم وهؤلاء المنافقين والقوم الخائنين وعند صيحة الامام زاد الزحام وانعجم اللسان وصبرت الكرام وفرت اللئام والطير على القتلى حام وتزلزلت الاقدام وتقدم ملك الترك إلى قدام ورمى سهم إلى ناحية القوم ومما جرى ويقال ان القناصة رأت الرشيد وحققته ولما نظرته وسمعته وهو ينخى الأبطال وصاح فى الناس وهو يقول خذوا هؤلاء المنافقين شاقته وعاينته ومالت إلى نحوه وخاضت بين تلك المواكب والكتائب وهى كأنها الشهاب الثاقب وفترت الفرسان بحسامها وغابت تحت عجاجها وغتامها ولا حسبت حساب من خلفها ولا من قدامها ولما أن ترجوا الأمراء عن الخيول انطبقت عليهم العساكر وثارت عليهم الغبائر وتفطرت المرائر ولما رأت الأميرة إلى تلك الامور صاحت على ولدها وعلى مقدمين قومها وقالت لهم ياقوم قاتلوا أو تأخروا إلى وراكم إلى تحت أصوار البلد وإلا فهذه آخر أيامنا من الدنيا وما بنا موتنا مثل ما بنا من شماتة الاعداء لان الذين على الاصوار ترمى عليهم حتى انهم يمنعون عنا وإذا منعوا دخلنا البلد هذا وقد انطبقوا عليهم كاضم الغمام وفرقرانحوهم وصل الحمام وزلت الاقدام وانفلق الهام وهشمت العظام وزاد الزحام وقل الكلام فما كان غير قليل حتى انهزمت الاكراد من عسكر عبد الوهاب بعد أن قتل منهم خلق كثير انكشف جانب العسكر فقال الامير للاميرة وقد شاهد الموت والعدم وفاض عليه بحر ذلك العسكر والتطم يا أماه اندفعوا بنا إلى الاصوار فقالت الاميرة افعل مابدا لك فاندفعوا إلى الاصوار وطمعت فيهم الاتراك وأيقن الامير والأميرة بسوء الارتباك وانهزم البعض ودخل إلى البلد لما رأوا البلاء والنكد ووقع الزحام عند دخولهم فى الابواب وعمل السيف القرضاب ولولا الاميروالاميرة رسيف الحنيفية ومقدمين السودان وإلا ما كان سلم منهم ولا إنسان (قال الراوى) ياسادة يا كرام بعد الصلاة والسلام على خير الانام أنه قتل فى رحبة الباب من عسكر عبدالوهاب خلق مالهم حساب وتلجلج من الفصيح اللسان وكانت ساعة من ساعات الفنا انعاقت فيها الامراء عن بلوغ المنا فبينماهم فى أشر ما يكون وإذا بالصياح فى عسكر الرشيد قد علا والقائل يقول الرشيد قد قتل فعادت الترك راجعة صارخة وشاب فى ذلك اليوم الطفل الوليد وذل الشجاع

الصنديد وانكشفت الغمة عن الأمير وزال عنه كل أمر عسير فصعب على الامير قولهم ان الرشيد قتل وصاح على قومه الرجعة الرجعة فلم يقدر أحد على ذلك وقالوا أيها الامير ربما يكون هذا خداع ومكر حتى انهم يخرجونا من تحت الاصوار ولا يبقوا منا ديار ولا نافخ نار وكانت أكثر القوم جرحا من رمى النشاب وركز الحراب (قال الراوى) وكان السبب فى اختباط العسكر سبب عجيب وأمر غريب وهو أننا لما ذكرنا سابقا أن القناصة رأت الرشيد لما صاح وحرض الناس على الحرب والكفاح قصدت القناصة إليه من حرقتها على ولدها وجذبت الانوف ولوحت القحوف وطلبت الرشيد من دون العالم وضربت بحسامها الجماجم حتى أيقن عسكر الخليفة أنه عادم ونظروها الابطال قاصده إلى نحوه فطلبوها وحاموا عنه وفرقوا نحوها السنان ومدوا لها الرماح الطوال وتدفقوا عليها كل سيد وغلام وكل بطل همام فأصابها أكثر من مائة سهم مع المشيئة والقدرة كانت لابسة صدرية زرد مضيقة العـــدد كانها عيون الجرد ومن عمل الهند ماتعمل فيها رؤس الابر عوضا عن الحسام الذكر إلا أن وصل إلى بدنها اثنى عشر سهم لكن غير قاتله ووصلت إلى الخليفة بعد أن أشبعت الرجال طعنا بالسمر الطوال وقاتلت قتال فتعجب منه الواصفون وكل عن نعته الناعتون إلى أن وصلت إلى الرشيد زعقت عليها الخدام والغلمان فلم تلوى على إنسان وقد طعنت عبد كان بجانب الرشيد وهو يمانع عنه فحصلت الطعنة فى جانبه الأيمن نفذت من الجانب الأيسر انقلب ومن على سرجه تكركر وثانى طعنه على توانى وثالث صار على الأرض ناكس إلى أن تفرقت الخدام من حواليها وطعنت الرشيد طعنة واصله حصلت فى قربوس السرج وكان من الحديد الصينى وصلت منه وأصابت فى فخذه وكان منحرف ولو كان معتدل لها كانت الطعنة حصلت فى سرته لكن العمر المديد لم يعمل فيه الحديد ولما ان أصابته تلك الطعنة صاح ووقع إلى الأرض فأحدقت به غلمان الدار وكانوا عشرة آلاف غلام وترجلت أرباب الدولة اليه فانطبقت تلك العساكر والأمم على القناصة إلى أن صار القدم على القدم وتزاحموا من حواليها فمانعت عن نفسها حتى ملت وكانت من قوتها وهى تنتظر ان أحدا يأتى اليها حتى يفرج عنهـا ماهى فيه من ذلك الجمع العظيم وكان الأمير عبدالوهاب ووالدته ماعندهما خبر من ذلك ولا جلية أثر وكل منهم مشغول بما هو أهم من ذلك والا لو علم بها الأمير عبدالوهاب لكان أتى اليها ولو كانت فى بحر من نار وكان يقاسى الأخطار واما القناصة لما أيست من الحياة وأيقنت بالوفاة والعدم والهلاك وسوء الارتباك لأنها فى وسط ذلك العسكر فرجعت إلى طبع العرب أهل لحسب والنسب وأنشدت تقول :

ألا أيها النفس العزيزة إنما يكون لذيذ الموت تحت الصوارم
وموتى سرورى بعد فقدى لظالم ولا خـــير فى الدنيا لفقدك ظالم

(قال الراوى) وقاتلت وناصلت إلى أن أتى جوادها طعنة فوقع وهى عليه فأرادت أن تخلص نخذها من تحت الجواد فاندقوا عليها ووقعت الصيحة من حولها وفى ذلك الوقت وصل الخبر إلى الأمير عبدالوهاب أنها قتلت والسبب ان الحزن عمل معها شيء رمت نفسها إلى الهلاك فصاح الأمير صوتا هائل نفرت من صوته الخيل على أعقابها ورمت من على ظهرها ركابها وقال الامير دخول النار ولا العار ودخول الجحيم ولاهتك الحريم والله إن هذا الامر عظيم فتراجعت من صرخته الابطال وردت عليه الفرسان والاعيان وخاض فى ذلك العالم بريد خلاصها من يد قناصها هيهات هيهات لان العساكر ألفين ألف ماهى قليل وكان الوقت آخر النهار فرجع الامير إلى ورائه وقامت فى رأسه مقل عينيه وصار يأكل كفيه ندامة من أجل انه لم يدركها (قال) وأما القناصة لما أخذوها كانوا يحسبوها ذات الهمة وإلا كانوا هلكوها وأما الرشيد فان الدولة داروا به وعصبوا جرحه وأركبوه خوفا على العسكر وخوفا من ملك الروم ربما يغدر بهم ورجعت العسكرين إلى الخيام واستقر بهم المقام وأما الامير فانه رجع الى البلد وقد قتل من أصحابه جماعة كثيرة وكانوا غير رابحين وأما القناصة فإنهم لما أسروها ما بقى فيها عين تطرف وورد على الامير مالم يرد على قلب بشر من أجلها وأما الرشيد لما علم أن القناصة هى التى فعلت تلك الفعال أمر أن يثقلوها فى الحديد وقال أنا ماأقتلها إلا هى وعبد الوهاب معها وأما الامير عبدالوهاب تحسر وكاد قلبه ينفطر وصعب عليه فقال سيف الحنيفية لوالده أيها الامير اقصر ماعندك لان الحرب سجال لك وعليك وما كل وقت ينجح الطالب واعلم أنك بليت بالشرك كله والاسلام كله وهذه العساكر مالها قياس ولو كان أحد غيرنا لكان كامس مضى ماله عوض وفى غداة غد أنا أبرز إلى الميدان وآخذ مانفادى به القناصة وكان كلام سيف الحنيفية لوالده لاجل التخفيف عن قلب أبيه فقال الامير والله لو أخذ بعض أولادى ماورد على قلبى مثل ماورد على من أسرها لانى غبت عنهم مدة سنين ولما أتيت اليهم ونقلتهم من أرض الحجاز تفرقت عبيدهم وتمزقت عساكرهم وفى الاخير نفى الرشيد والبطال وولدها قوالله إن البطال عندى أعز من ولدى وأخبرت ان الرشيد سألهم عنهم فقيل له إنهم هلكوا ومن تمام المقادير أسرها وهى مسبيه والله إن هذه مصيبة عظيمة وأمور غير مستقيمة (قال الراوى) وبات الامير مشغول القلب

زائد الفكر ضيق الصدر من تلك الأمور التي لا نذكر وعلى الحقيقة إن هذا الأمر عظيم وعند الصباح زحف ملك الروم طالب الحرب والقتال وحاصر البلد ثلاثة أيام فلم ينال مقصود ودامت الاسلام والروم من حول آمد يحاصروها شهراً كاملا إلى أن كان فى اليوم الحادى والثلاثين وإذا بغبار من نحو العراق قد علا وثار إلى أن سد الاقطار وأظلم منه ضوء النهار وكان القتال فى ذلك النهار للروم مع الأمير عبد الوهاب فأرسل الأمير النجابه تأتيه بالأخبار فرجعوا النجابين وقد رفعوا عمائمهم على الرماح وهم يومون بالأفراح فانزعج العسكر لذلك الأمر فوصلوا نجب الخليفه اليه فسألهم عن ذلك فقالوا يا أمير المؤمنين نخبرك بكل خير وهو ان طومان التركى مضى الى ناحية أرض الحجاز والتقى مع عسكر المهلب صهر ظالم الذى أرسلته اليه وكان الملتقى بينه وبينهم دون عقبة الشيطان وجرى بينهما الحرب أيام متواليات وبعد ذلك كسرت العرب وأسر المهلب والعبيد وقد أتى بهم طومان أسارى وهم فى قيد المذلة حيارى وهرب أقلهم وها هم محمولين على الجمال موثوقين بالحبال (قال الراوى) وكان السبب فى هذه الأمور ان العرب والسودان الذين كانوا مع المهلب نافقوا عليه وانهزموا من بين يديه ولم يبق معه غير العبيد وقد أحدقت بهم مائة رامى يرمون عن قوس واحد فقتلوا خيلهم عن بكرة أبيهم وبات المهلب فى حالة العدم وقال لمن معه ياقوم سلموا نفوسكم والاهلكتم عن آخركم من هذه السهام والقتال مع الغلبه من سوء التدبير وان قاتلتموهم فمالكم بهم طاقه ولا لكم على حربهم استطاقه عند ذلك سلموا نفوسهم وأخذهم طومان وأسر المهلب وساروا الى العراق فسجن المهلب هناك ومعه جماعة من المقدمين (قال الراوى) ولما جرت تلك الأمور الصعاب اغتموا لذلك متعصبين عبد الوهاب وقالوا نحن كنا نؤمل ان هؤلاء يعينون الأمير عبد الوهاب على هذا العسكر الكثير وسار طومان ببقية الاسارى الى ان أشرف على المصاف كما ذكرنا وقد أشهر الرجال لأجل مايقع الرعب فى قلب الأمير عبد الوهاب ومن الاعراب لأن طومان كان رجل لئيم ولما علم الرشيد بحالهم على ذلك المعنى قال هؤلاء الذين أرسل لهم عبد الوهاب حتى يعينوه على النفاق الذى هو فيه لكن الله جازاهم وعلى فعالهم كافاهم وقد صاروا فى أضيق الخنادق وهكذا تلقى أهل النفاق وأمسى المساء ونزل طومان بعيد من العسكر الذى للرشيد والرجال مشهورين على الجمال ولما نظرهم الأمير عبد الوهاب وهو من فوق الاسوار تعجب غاية العجب ولم يعلم باطن القصه الى أن أتاهم الجاسوس وأعلمهم بالقصه على جليتها فضاقت عليه الأرض بما رحبت وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقالت له الأميره يا ولدى لاتغتم ولاتهتم لأن الدنيا دول وكل من توفى

أمره سوف يعزل والدنيا لا تبقى على أحد إلا وأهلكته وما أعطت شيء إلا واستردته وقد جرت الاقدار بالأحكام فخذ ما أتى بالقبول والرضا واتبع قول القائل كل الامر إلى الله فان الله قادر أن يفرج الامر سريعا ويعجل بالسرائر فقال لامه يا أم المجاهدين ما في الامر إلا أنني عند الصباح أرمي بروحي على هذه العساكر التي ما لها أول من آخر

(قال الراوي) وبات الامير على ذلك وعند الصباح تقدم طومان الى بين يدي الرشيد وقال يا أمير المؤمنين لقد طال مقامك على هذه المدينة وما فيها إلا أوباش الرجال ولا قدر لهم ولا شان وإن أنت أذنت لي ملكته في أقل من ثلاثة أيام فقال الرشيد يا طومان إن فعلت ذلك جعلتك مقدم على جميع العساكر وتكون ذلك البلد مسلمة اليك وسائر الرجال من تحت أمرك ونهيك وتكون عوض عبد الوهاب وعلى الترك وعلى بني سليم لان عمرو طول عمره مطيع لنا (قال الراوي) فأذن الخليفة إلى طومان بذلك وان طومان بعد الاذن زحف إلى البلد وكان الجاسوس الذي للامير عبد الوهاب عندهم فرجع إلى الامير على عجل وأخبره بما ضمن طومان على نفسه قدام الخليفة بفتح البلد والقبض عليك فقال الامير ساء حال طومان بين الفرسان وأخذله الملك الديان وساء حاله وصفع قذاله فوالله إن من دون ما ضمن ضرب يقد وطعن يهد وفي الحال فتح الامير الباب وخرج قدام سادات الامراء الاعراب وأيضا السودان الانجاب وأما ملك الروم فانه هاله ما رأى فقال للبترك يا أبونا وحق المسيح ان الترك محنة من المحن ومصيبة من مصائب الزمن وفي دون ساعة تكامل جيش الامير قدام الاقران وأوترت قسي الهلاك أمر طومان الرجال أن لا يخرج أحد غيره يطلب الحرب والقتال وكان غرضه في ذلك اليوم يخرج الامير عبد الوهاب سيد الاعراب حتى يبارزه قدام الرشيد ويبلغ منه ما يريد فقشر الكلب المفيد عند ذلك برز الى الميدان فارس من الفرسان على جواد عالي من الخيل أظلم من سواد الليل شديد القوى والحيل واسع الخطوة كثير النخوة سائل الغرة يسوى من المال بدرة بصاص الشعرة وجال ذلك الفارس في الميدان وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس قتله والثاني جندله والثالث صار على الارض ناكس والرابع لرفقته تابع وخامس وسادس وسابع وثامن وكان قتاله بالنبال وكان كل من خرج اليه لا يتركه يصول ولا يجول دون أن يضربه بقلبه ويعجل مرتحله فوقفت عنه الفرسان وسائر العربان وهم الامير أن يبرز اليه وإذا بعبد من عبيد الامير ظالم يقال له مدلاج برز اليه وقد ذكرنا ما في ذلك العبد من الشجاعة والبراعة في غير ذلك الديوان فلما حمل على خصمه ما تركه يصول ولا يجول إلا أقل من ساعة ضربه مدلاج قتله وعلى وجهه

الأرض جندله فخرج الى مدلاج ثانى وثالث ورابع وخامس وهو يهلكهم فما أتى على العرب آخر النهار حتى قتل ثلاثين من الاتراك فلما رأى مقدم الترك طومان ذلك الحال وشاهد تلك الفعال برزاليه وقال لاشك ان هذا عبد الوهاب الذى نافق على الرشيد ولا بدلى ان آخذه أسير وأتركه على الأرض جديل وكان راكب على جواد شهرى قرطاسى فى بياض الصباح يطوى به كثبة البطاح وفى يده سيف قاض الأرواح ثم انه حمل على مدلاج وحمل مدلاج عليه وثار بينهما القتال وزاد الحرب والنزال واشتدت الاهوال وان طومان لما رأى خصمه ثقيل العيار فرجح عنه الدرهم دينار فأرادان يورى الرشيد طرفا من شجاعته وصناعته فضرب بيده على قوس مايقدر على حمله ولا ثلاث رجال وأخذ ثلاثة أسهم كل واحد منهم نصله شبر كامل وصاح على العبد بالعربيه وقال ويلك انظر إلى فعالى وبعد ذلك اسمع مقالى فبهت العبد إلى طومان وإذا به عاين طائر فى السماء فى الافق الاعلى وقال يامدلاج ان هذا السهم يصيب هذا الطير فى وسط رأسه ثم ان طومان رشق الطير فأتى السهم كما قال ولم يخطى وأقبل بعد ذلك على العبد وقال اعلم ياهذا ان كنت أنت عبد الوهاب المقدم على الاعراب فقد أخذتنى عليك الشفقة وأنا عمرى مارحمت أحدا سواك وأنت تعلم ان قلوب الاتراك قاسيه فاستسلم تسلم والاسوف تندم حين لا ينفعك الندم فصاح فيه مدلاج ويلك ياابن الجاريه الروميه دع عنك هذا الهزيان أين عبد الوهاب ياقرنان يا ابن ألف قرنان بل أنا من بعض غلمان عبد الوهاب دونك والحرب والقتال ان كنت تعد من الابطال (قال الراوى) فما تم العبد كلامه حتى ضرب طومان جواده بسهم قتله ولو أراد قتل الفارس افعل ولكن ماأراد إلا ان يورى فروسيته للناس فوثب العبد عن الجواد بعدان وقع على الارض وهو يقول والله ان ضربنى بسهم مثل هذا للقضى على ثم ان مدلاج هجم عليه كأنه الجواد العربى وضرب قوائم فرسه بالحسام قصها تمام فغضب طومان من ذلك غضبا شديدا ماعليه من مزيد ثم انه وضع السهم الثالث الذى بقى معه فى كبد القوس وفرق السهم إلى مدلاج فالتقاه مدلاج بدرقته وكانت من الحديد الصينى فخرقها السهم ووصل إلى صدر مدلاج خرج يلمع من ظهره وكان عليه درع مانع فوقع إلى الارض وكان العود النهاب نفذ منه ونزل فى الارض غاص نحو شبر فتعجب جميع من حضر من العسكرين وقالوا ان هذا ماهو فعل انسان وما هو إلا شيطان ثم ان طومان طلب جواد فقدمت له رجاله من الخيل الجياد كانه خيول شداد فطلب البراز وطلب الانجاز فلم يخرج اليه أحد فلم يزل يضرب بالنبال يمينا وشمال ولم يخطى فهم الامير أن يخرج اليه فتعلقت به الاميره وقالت تمهل ياولدى واعلم ان قتاله قتال الغبينه ولم ينصف

خصمه لانه يقتل وهو بعيد عنه وأنت ترى سهامه لاتمنعها الدروع السابوريه واخبرنى ياولدى الجاسوس أنه سمع من عسكر الرشيد عن ذلك الشيطان أنه ينصب ثلاثة أتراس ويضربها بسهم يخرقها وقد رأيت ياولدى مافعل بالعبد مدلاج ومن يفعل ياولدى هذه الفعال ماهو إلا أوحد زمانه فقال الامير ياأميره ان الاجل إذا حصل يبطل العمل ومن كان عمره مديد ماتعمل فى جسده الصوارم والحديد (قال الراوى) فهذا ما كان من الامير ووالدته (وأما ما كان) من مدلاج فانه سحبه طومان من رجله إلى ناحية عسكر الرشيد وقال هذا عبد الوهاب فقالوا له قومه ماهذا عبد الوهاب هذا عبد أسود فقال إذا كان هذا فعال العبد كيف فعال المولى ثم انه طلب البراز وسأل الانجاز بعد ماهلك بالنشاب جماعة من عرب الحجاز فخرج اليه سيف الحنيفية من غير علم أبيه وقد لبس على جسده ثلاث دروع ومن فوقهم كبرفو لاذ مدفون يمنع سهام المنون فبقى كانه جل من حديد على ظهر جواد فريد فلما عاينه طومان عرف ان هذا كله احتراز من سهامه فضحك إلى ان استلقى على قفاه وحملا وعلى هلاك النفوس عولا هذا وسيف الحنيفية جعل يراوغه مراوغة الثعلب حتى بطل حكم السهام وهجم عليه كانه الاسد الضرغام وتقاتلا وتناصلا وتضاربا وتقاربا وتهاجما كانهما الاسدين واصطدما كانهما بحرين وحان الحين وزعق على رؤسهم غراب البين إلى أن خرج من الاثنين ضربتين صايبتين كان السابق بالضربه سيف الحنيفية فوقعت الضربه على ترس طومان وكان من الحديد الصينى فغاص الحسام فى الترس وجذبه فطلع فى يده القائم وبقى السلاح وانطبق عليه طومان وضربه خرج من تحتها سيف الحنيفية سالم وولى إلى ناحية قومه ومن خوفه على نفسه من سهام طومان قلب الترس على ظهره فضرب طومان بعود نشاب طوله شبر وعرضه فتر لجاء فى الترس الذى مستتر به نفد منه ولفد من الكبر البولاد ونفد من الثلاثة دروع ووصل إلى جسده ولولا أنه كان بعيد والا كان قضى عليه ونادى المنادى فى عسكر الرشيد أين الاسود الحجام الذى يقاوم الامام دعوه يخرج إلى حتى أجرعه كؤس الحمام لانه كان يزعم أن يجعل ولده خليفة الزمان وسلطان العصر والاوان

(قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب إلى ذلك المقال رقصت بشرات شارباه ولا بقى ينظر ماقدامه ولا ماوراه فنبه عزيمته وقوى همته وأراد ان يخرج اليه وقال لوالدته الامير ذات الهمه ياأم المجاهدين دونك ورعاية كسر المسلمين ان أنامت عليكى بقتال هؤلاء الانذال واحفظى نفسك إلى ان يفعل الله مايريد فقالت الاميره ياولدى لاتفعل وأنا فى هذا الامر أفديك بروحى من الردا ولا أدعك تقاتل هذا الجبار أبدا فقال الامير ياأم المجاهدين وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وحق محمد خير الانام والملك

الغلام لا بد لى من الخروج إلى ذلك الغلام وأضرب معه بالحسام فان أنا قتلت فاحفظى نفسك من شماتة الأعداء وادخلى إلى ذلك البلد الحصين ولا عليكى من أحد من العالمين وإن كنت تطلبى أرض الحجاز فافعلى لأنها مقام الآباء والاجداد واعلمى أيتها الأميرة إن هذا الغلام ماهو من رجالى ولا يعد من أشكالى ولا أفتخر بقولى وسوف ترين وتنظرين رأى العين وما يجرى بينى وبين هذا اللعين وخرج الأمير فى الميدان ومحل الطعان متوكل على الملك الديان راكب على جواد أحمر فى لون العقيق كأنه شعلة من نار الحريق وهز الأمير جواده وضرب بكعبيه إلى جنبيه فضرب الجواد برجليه ويديه بعد ماشم الأرض بمنخريه وتمطا كانه عاق حتى قيل فى حقه قل أعوذ برب الفلق وخرج به كالبرق الخاطف وهز الأمير رمحه بلا توانى ورجع إلى طبع العرب وأنشد يقول :

لقد خاننى صبرى ومالى صبر ... على فقد نجلى ظالم الطيب الذكر
أيا ليت شعرى هل يعود بسالم ... ويذهب مانلقاه من جرح الصدر
وهل يرجع البطال وهل يرى ... إلى ابنه مظلوم يزهو كما البدر
وهل يعلمن أن الرشيد وجيشه ... وكل كفور جاء من بلد الكفر
أحاطوا بنا يرجوا قتالى تعمدا ... سأتركـ و صرعى على مهمة القفر
سيعلم هذا رامى السهم اننى ... سأرميه بالافاق من غير الدهر
أطومان لا تغتر ويحك بأسهم ... فان سهام الموت أنفذ فى النحر
وحق المصطفى الهاشمى وأهل بيته ... وزمزم والبطحاء والركن والحجر
ولا بد لى انى لرأسك آخذ ... بحد حسام شاتر الرأس والصدر

قال الراوى) وما فرغ الأمير من شعره ونظمه ونثره حتى أخذه الصياح خذ حذرك أيها الامير تحقق النظر وإذا بطومان قد وتر القوس وعمل فيه سهم باسل نصله شبر كامل وكان تحت الامير ذلك الجواد الذى تقدم ذكره فلم يمهله الامير من سرعة الجواد ان يمكن السهم فى كبد القوس دون أن صاح فيه وطعنه بالرمح فى صدره طلع يلمع من ظهره فوقع طومان من على الجواد والقوس فى يده لم يرميه وهو يختبط فى دمه ويضطرب فى عندمه عند ذلك صاحت الترك من كل مكان وجانب وحملت حملة رجل واحد فتلقا الامير من الخيل بواردها وطعن جوانبها وخواصرها فأشارت الاميرة إلى الفرسان بالحملة فحملوا وأعنة خيلهم أرسلوا وفى دون ساعة أدركوا الامير سادات الاعراب وقدامهم عالية الركاب وأيضا فى ركابها السودان الانجاب أصحاب الطعن والضراب فأمر الرشيد إلى العساكر الحلة فحملت الترك والعجم والعرب والديلم وعسكر العراق وبجمعة الآفاق وطلبوا الامير

ونواله على اللحاق فتسابقت إلى الامير فرسانه وشجعانه وأيضا هو مانع عن نفسه فلله دره ماأنجبه وما أشجعه وقد حفظ روحه قدام ذلك الجمع فكان ذلك مالا يوصف باسان ولا يقدر أحد أن يصف ماجرى بين الفرسان من الحرب والطعان ولم تزل الاميرة رضى الله تعالى عنها تخوض العجاج وتنثر الفرسان أفراد وأزواج إلى أن أدركت الامير ومن خلفها سيف الحنيفيه وأبو الهزاهز وسعيد بن الفرج ومالك بن طوق ومالك بن اشر الاقطع وهارون العلوى وفى دون ساعة أدركوا الامير وخلصوه من أنياب النوائب وعمل الحسام وفاق الهام وهشمت العظام وصار الرأس تحت الاقدام وقد قتلت تلك الخلائق والامم وصار على القدم ألف قدم ثم شابت اللمم وحكم الصارم وأظلم واسود الجو واغتم والشجاع دمدم والجبان انهزم والنجيب تقدم ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل والسؤال لا يقبل إلى أن أمسا المسا ورجعت كل طائفة إلى مكانها ورجع الامير إلى آمد وقد كان جرى لهم شيء ما جرى لمن تقدم قبلهم من الامم لانه قتل خلق بعدد التراب وقطر السحاب وكان الاكثر من عسكر الرشيد ومن عسكر الامير ناس قليـــل ونزل الرشيد فى سرادقه والغيظ كاد أن يخنقه الذى ما ظفر من الامير بطائل وأيضا على طومان لانه كان يعد بفرسان وما استقر به الجلوس حتى أرسل اليه ملك الروم رسول يقول ياأمير المؤمنين الملك يقول لك قاتل من جانب وأنا من جانب وما لنا حاجه فى الإطالة فما بقى لنا على ذلك من صبر فمن غيظ الخليفة من عبد لوهاب أجاب إلى ذلك الأمر وعند الصباح زحف ملك الروم فى مائتين ألف وألف من العرب المتنصره وزحف الرشيد فى ثمانمائة ألف فارتجت بهم الأرض من التخوم وخيـــل للناظرين أن القيامه تقوم وتراكم الغبار بهم وعدم صبرهم ونصبوا المنجنيقات والفرادات وأيضا الأتراك أوترت سهم الهلاك ونصبوا حول الصور وزادت على البلد ومن فيه الأمور وأما الأمير لما رأى ذلك الحال صاح فيمن عنده من الأبطال وأمرهم أن يصعدوا من فوق الأصوار والابراج وقال للاميره ياأماه خذى نصف العسكر واختارى أى جهة من الجهات إما أن تكونى للروم وأنا للاسلام أو أنتى الاسلام وأنا للروم فقالت يا ولدى أنا من جانب الرشيد وأقبـــلك سهام الاتراك ثم إن الأميرة صاحت يال حام يال حام يلوز الظلام ياعبيد الملك العلام فأجابوها الكل لبيك لبيك هانحن بين يديك فأخذتهم وانحدرت إلى ناحيه الرشيد وكذلك الأمير أخذ العربان ومضى إلى ناحية الروم فكان نهار يؤرخ ويكتب بماء الذهب لما ظهر فيه من العجب ورموا على الصور بالمنجنيقات والفراديات فنصبت الرجال السلالم ورموا الآخرين لهم مجاوبين فقتل من رميهم خلق كثير وحرقوا منجنيقات الكفار لما رموا

عليها بالنار لانها أخشاب و نظر فقطوش ملك الترك إلى ذلك فرما شربوشه من على رأسه وترجل من على جواده فترجلت لنزوله الترك جميعا مائة ألف و تقدمت الخراسانيه أربعة آلاف نقاب وتقدمت الرماة من وراهم ورمت كانهم الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر فاحرموا الرجال أن يطلعوا من فوق الاصوار وان الامير عبدالوهاب لما عاين الامر وقل منه الصبر قفل البلد وركب الاصوار هو ومن معه وصاروا يرجمون بالاحجار ويرمون بالنبال وقد عملوا المنجنيقات والعسكر يرمى بقوارير النفط حتى كلت منهم السواعد وقتل عالم عظيم وقد نظر ملك الترك إلى ذلك فأرما شربوشه عن رأسه وترجل ولما نظره الامير عبدالوهاب فتح البلد وخرج ماشى على الاقدام فما كانت إلا ساعة وأى ساعة فما ترى منهم إلا من هو فى دمه عفير ومنهم من يضرب بالجنزير ومن هو يخوض فى دمه على الارض قتيل فصاحوا وحملوا على الامير عبد الوهاب وحملت بنى كلاب واشتد القتال وعملت السيوف الصقال ولم يزالوا فى قطع الجماجم وجز الغلاصم إلى أن أمسا المسا ودخل الامير وأمه الى البلد ورجع الرشيد الى مقامه الى أن أصبح الصباح فاشرف عليهم غبار حتى ملأ الاقطار فسأل الرشيد عن ذلك فقيل له قد أتتك ألف فارس من دمشق وخياله من بيت المقدس وفى أوائلهم سرار صاحب دمشق وهو مشقق الاثواب يخبر بقتل العباد وأخذ البلاد وأخذت أموال مصر وعسقلان من غير قتال ولا جلاد والذين فعلوا هذا خوارج من الملثمة والبربر وما كانت الا ساعه حتى وصل سواد ووقف بين يدى الرشيد وتشرق بالدموع وبكا من فؤاد موجوع وقال يامولانا خرج علينا من أرض المغرب ملثمة وبربر ومعهم فارس يقال له حمدون ماراى أحد مثله فى الحيل والشوم وملك مصر وبلاد الساحل وأتى الى دمشق وصار فى عالم بعد القطر فخرجت أنا فى عساكرى فكسرنا وقتل منا الاكثر وعدنا نطلب البلد فوجدنا فيها البربر والرجل الاشقر وقد ملكها ولا نعرف من أين عبر وهذا جملة ماعندى من الخبر قال فلما سمع الرشيد ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال أصبروا علينا اليوم حتى نملك البلد هذا ونملك عبد الوهاب وبعد ذلك ندبر فى هلاك هؤلاء القوم (قال الراوى) ووصل الجاسوس أيضا الى عسكر الروم بذلك الخبر ففرح منوبل وعلم بالرشيد أنه قد اشتغل قلبه بجمع الملوك وقال لهم اعلموا أن الرشيد مهموم وقد أقبلت الملثمة والبربر بالفارس والراجل وملكوا سائر السواحل وقد انقطع عن الرشيد المدد وعبدالوهاب وقد وقعت العداوة بينه وبين الرشيد ومابقى فى الامر الا أننا نكبسهم فى ظلام الليل وبعد ذلك نمضى ونملك البلاد ونهلك العباد وقد بلغنا المراد (قال) فلما سمعوا الملوك ذلك قالوا هذا هو

الصواب ثم صبروا الى أن أمسا المسا وأرسلوا النقبا الى سائر العساكر وأعلموهم بأن يكونوا على أهبة حتى يكبسوا عسكر الرشيد فى تلك الليلة (ياسادة) وأما الرشيد فانه جمع قومه وقال وتربة المهدى لاعدت أستخدم منكم غلام ولا بد ماأقطع خبركم أجمعين فقالوا يا مولانا فى غداة غد نسلم اليكم البلد فبات الرشيد طيب القلب بذلك الوعد ولم يعلم ماخبى له فى الغيب (قال الراوى) فلما كان نصف الليل لم يشعر الا وعساكر الروم قد أطبقت وهم فى ألف مقاتل ويتبعها مثلها غلمان ورجاله هذا وقد ارتفع الصياح من سائر النواح فانتبه الرشيد ورأى ذلك نخيل له أن الارض قد انقلبت من التخوم وقال غدر كلب الروم فثار القاعد وقام الراقد وعمل الصارم فى الليل الداج وسالت الدما من الأوداج ومالت الاعلاج هذا وقد بربرت الأتراك وعمل السيف والسهام فى الظلام فوقعت فى مقاتل الكرام وعمل الحسام وفلق الهام وهشمت العظام وانقطع الكلام وصبر الكرام وفروا وذاقوا طعم الحمام وانخسفت الأرض من وقع الحوافر فى الليل وقد حبك حوافر الصافنات بالشر وهمهم البطل وزمجر ودار عليهم القضا والقدر وحمى الشجاع واشتهر وجرت سواقى النجيع وتضاربوا الضرب الوجيع وهجمت الروم إلى خيام الرشيد وقتلوا السادات والعبيد وطرحوا القوم على الصعيد وكانت ليلة مدلهمة مرعده مرصده (قال الراوى) وان العبيد كانو الظالم الذى أتى بهم طامان أسارى تاروا فى جملة من نار فى هذه الليلة العظيمة الاهوال الكثيرة الزلزال وجعل كل واحد منهم إذا خلص قطع كتاف الآخر وفك قيده وخلصه حتى خلصوا الجميع وجعل كل واحد يركب من تلك الخيل الغابرة ويطلب آمد (ياساده) وعلم الأمير عبد الوهاب بذلك فقالت له أمه والله يا ابنى لقد غدر كلب الروم بالناس فقال والله لا كنت لهم ولا عليهم فى هذه الليلة ولكن أخرج أطلب القناصه لا تقتل بسيف الكفار ثم خرج الأمير عبد الوهاب فوجد العبيد قيام فصاح بهم من أنتم قالوا غلمان الأمير ظالم ففرح بهم وفتح لهم الباب ودخل معه خمسة آلاف فارس سودان وسألهم عن القناصه فقالوا قد خلصت وأخذت سيف قاطع وجواد سابق وقد خرجت من المعمعة تطلب الرشيد وقالت لابد لى ما آخذ تار ولدى فلما سمع ذلك منهم قلق غاية القلق واذا بغبار قد أقبل فى ظلام الليل فنظر اليه الأمير عبد الوهاب واذا بها القناصه ففرح بخلاصها وسألها عن أمرها فقالت طلبت الرشيد فلم أرى له موضعا والأرض قد انقلبت من التخوم وقطرات الغيوم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى نصف الليل فانهزمت عساكر الرشيد وأخذت الأموال والأثقال والمضارب والخيام والرجال وأرسل الملك منويل الى الامير عبد الوهاب وهو يقول له أنت تعلم ماعملت مع هذا وقد ضاع كل ماعملت معه من الجميل

فالرأى عندى انك لاتدخل بينى وبينه وأنا وحق المسيح أحمل اليك جميع ما كنت أحمله للرشيد وأزوجك ابنتى فان عندكم يجوز للمسلم أن يتزوج اليهودية والنصرانيه ومع ذلك تالك الاقطاع والضياع والبلاد وان الأمير عبد الوهاب لما وصلت اليه الرسالة وقراها أرسل اليه يقول ياملعون أناما أدخل بينكم والصلح بينى وبينك لا يكون أبدا وأنت وأصحابك افعل ماشئت (قال الراوى) فانهزم الرشيد طالب ميافارقين ونزل ملك الروم وراه بعسكره وأراد الرشيد فلم يقدر يثبت بين يديه فدخل الى ميافارقين ونزل ملك الروم عليه يحاصره

(قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب لما سافر ملك الروم خاف الرشيد خرج ومالك الثقل الذى لملك الروم وملك أكثر خيامه ورحاله وذخائره واستغنت الناس من ذلك وفرق العدد على العبيد والرجال فقوى بأسهم وتبع الرشيد كلب الروم وعساكره الى ميافارقين ومضت المنهزمين إلى أردن والمعدن وامتدت عساكر الروم إلى بدليس واخلاط وموش وارجيش وقد قتل من عسكر الرشيد أكثره وتفرق الباقون ووصلت الأخبار الى البلاد بأن الرشيد محصور فى ميافارقين فى وجوه دولته الله ووجوه (ياساده) وكان الوزير عيسى والفتح بن خاقان وعمرو بن عبيد الاسارى وقد دخل الأمير عمرو فى خمسة آلاف من بنى سليم والباقون قد ركب كل منهم هواه وان الرشيد قد أقبل عليهم وقال لهم كيف ترون هذه النكبة المدبرة هلك العالم وتفرقوا وقتلوا الاصحاب وخذلوا وعساكر الكفار علينا قد نزلوا وان اشتدعلينا أخـــذنا من ههنا بالحبال وبالله أقسم ماسعادة دولتى الا بعبد الوهاب وهو كل يوم معنا فى عذاب (قال الراوى) وأقام ملك الروم بميافارقين شهرا كاملا وقد أكلوا المسلمون خيولهم ولم يمكن شيئا من الغلة فأشرفوا على العطب وضربت خيل الروم الى الموصل وخربت نصيبين وأرض الغصه وتلك البلاد وقلوا الملوك لمنويل أيها الملك انما مقدار مايقتل هذا الذى يقال له الرشيد وقد ملكت البلاد هذا وقد ضاقت على الرشيد الأرض بما رحبت وأيقن بالاخذ ولم يبق فى البلد طعام يقوم بأودهم شهر فقال الرشيد لعن الله من أوقع بينى وبين عبد الوهاب حتى جرت علينا هذه الاسباب هذا وقد غلقت فى البلاد الأسواق وقد أيقن الرشيد بالهلاك ووصلت كتب الطيور من السواحل بأن الملاثمة قد ملكت الى أبواب بيت المقدس وطبريه وملكت البلاد وهم طالبين الى الشام وطيرت الطيور من العراق الى ميافارقين يخبروا بهذه النوبة فقال الرشيد دع يملكوا بغداد وسائر البلاد فهم أحق من الروم وأنا بقيت من الهالكين لامن المالكين وكل هذا من يدى فلو قدرت على من يرد عبد الوهاب إلى طاعتى لكنت شاركته فى نعمتى فهو جمال دولتى فقال رجـــل من بنى سليم يا أمير المؤمنين وما عسى

عبد الوهاب أن فى هذه العساكر التى قد سدت الفضاء فصاح به الرشيد ويلك يا كاتب العرب هذا كلامك وكلام مثلك الذى فعل فى هذه الفعال وأمر بضرب عنقه فقال جوهر والله يا مولاى ان عبد الوهاب محبا لدولتك وما يكرهه إلا كل من هو باغض لنعمتك (قال الراوى) وأقام الرشيد كذلك فى الحصار عشرين يوم أخرى وقل الزاد وماتت جماعة من المسلمين ووصلت كتب الطيور من العراق بأن الملثمة قد ملكت إلى أبواب حلب فقال الرشيد أنا مشغول بنفسى عن غيرى ثم قال لو كاتبت عبد الوهاب لكان يخلصنى من هذه الشدة فقالوا له أرباب دولته لاتحدث نفسك بهذا فقد قتلت ولده وحرقت كبده وأشمت حاسده فقال جوهر يا مولانا كاتبه على كل حال فانه يرجع إلى دينه وكرم نفسه وطيب أصله وإن لم يفعل فهو معذور (قال الراوى) فعند ذلك كتب الرشيد بيده كتاب يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الحلم من شيم الكرام ولم يزل السيد يطغى على الغلام وإن لم تراعينى لما سمعت فى حقك من اللئام فارعى قرابتى من محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وحرمته لدين الإسلام وقد عفى الله عما سلف واعلم أن الملثمة قد خرجت من بلادها وملكت البلاد وأنا قد حصرونى الكفار وملكوا إلى ديار الموصل وأرض العجم وأنت لم تزل معروفا بالجميل لأنك من عنصر طيب الأصل فان لك قدرة على قتال فتويل وإلا فامضى إلى العراق بجميع المسلمين والله تعالى بعد ذلك معين فان نحن سهل الله لنا بالنجاة من الكفار فهو المراد وإن كانت الأخرى فقد انقضى ما يريد وأنا أقسم بالله قسما صادقا لاسمعت بعدها فيك كلام من يتكلم إلا بخير وأنت تعلم الصاحب والأمير ثم ختم الكتاب بهذه الأبيات :

ألا أيها الليث الذى طاب أصله ... وما زال جوالا على كل كافر
يردك نحوى حرمة الدين عاجلا ... وطيب أصول مع شريف العناصر
وأنت الذى ترجى لكل كريهة ... إذا قتلت أبطالها بالبواتر
وحق النبى المصطفى سيد الورى ... سأصفيك ودا خالصا من ضمائرى
ولا أستمع من بعدها فيك كلمة ... ردية لفظ بين كل المحاضر
فبادر إلى الإسلام من قبل هلكة ... فأنت الذى ترجى لكل الكبائر

(قال الراوى) وكتب إليه جوهر كتاب يقول فيه اعلم أن الله تعالى يعوضك الثواب عن ولدك وفى هذه التوبة يعلم الرشيد انك أدين الناس ويكذب الأعداء. ولا يسمع بعدها فيك كلام أحد وعلقت الكتب على أجنحة الطير إلى آمد فلما وقف عليها الأمير عبد الوهاب وقرأها بكى فقالت له الأميرة ذات الهمة ما يبكيك أيها الأمير فقال والله إن عندى أخبار

الملثمة وكيف قد قتلت العباد وملكت البلاد واكثروا فى الأرض الفساد وقد قيل ان مقدمهم بطل من الأبطال يقال له مكتوم المفضال ووزيره يقال له حمدون المحتال يفتح الحصون والقلاع ويملك بتدبيره الرساتيق والضياع وقد كتب إلى أمير المؤمنين يتوسل إلى بسيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين وما بقى لى صبر عن نصرة الإسلام فقالت الأميرة يابنى انى أريد أخاطبك فى ذلك ثم سكت لأجل قلبك وهؤلاء المسلمين أيضا أنهم قد وصلوا إلى الرقة وقد ملكوا إلى ههنا وما أدرى إلى أين يقصدون وقد طمعوا أن يملكوا بغداد والعراق كما ملكوا مصر والشام ومن نحن حتى نقاوم الخليفة ان لم ترعى له لقرابته من رسول الله ﷺ الشفيع يوم القيامة يوم انقطاع الظهور وقراءة الكتاب المسطور فقال لها الأمير فما الذى تريدين من الرأى قالت مافى الأمر إلا أننا نكتب إليه بأننا بعد ثلاثة أيام نكون عندك حتى يقوى قلبه ويحفظ الموضع الذى هو فيه إلى أن نصل إليه ثم أنه كتب إلى الرشيد كتاباً يقول فيه بعد فضل بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله تعالى قد فرض علينا طاعتك وإن كان قد سبقت الإساءه منك الينا وأعدمت ولدى وأشمت بى حاسدى ومع ذلك فانى أفديك بالأهل والقرايب فى رب المشارق والمغارب وسيكون بعد هذا الكتاب مايسرك وأنا بعد ثلاثة أيام اليك واصل ولعدوك مقاتل وعلق الكتاب على جناح الطائر فلما وصل الكتاب إلى الرشيد بكى وبقى طول ليلته يصلى هذا وبقت الأصوار محصنة (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ما كان من هؤلاء { وأما ما كان } من حديث ظالم والبطال فانه ملك مصر وفتح عسقلان وملك دمشق وهو فى أوائل الناس ملثم والبطال إلى جانبه ملثم وهم لايتكلمون إلا بلغة الملثمة وأبو محمد يتكلم بالبربرية تارة وبلغة الملثمة تارة وهو فى أوائلهم كأنه خلق منهم وأن أبو محمد لما سمع أن الامير عبد الوهاب فى مدينة آمد وان الرشيد محصور فى ميافارقين قال لظالم ان أبوك مايقعد عن ارشيد والرأى عندى أننا نسير اليه ولا نطلع أحدا على مكتوم سرنا حتى نملك الرشيد أينما كان ونأخذ عمرو بن عبيد الله وننفيه إلى بعض البـــلاد حتى يذوق طعم الغربة فقال ظالم هذا هو الصواب وساروا حتى وصلوا الى الرقة وقطعوا الارض الى تنيس وطلبوا أخبار الرشيد فقيل لهم انه قد أحدقت به الروم فى ميافارقين والقتال فى جوانبها من كل مكان فساروا حتى وصلوا اليها وبلغ منويل ذلك فارسل اليهم يقول لهم ما الذى تريدون ان كان قصدكم قتالى فانا أعدو عليكم بهذه العساكر فاجعلكم طعاما للطير وان كان قصدكم ملك المسلمين فالارض بين أيديكم فارسل اليه البطال يقول له نحن طالبين الارض جميعا ونطلبك أنت ونطلب

هذا الخليفة لانه قد ظهر عندنا رجل من بنى أميه وكانت الدولة لهم وانما نقلت لبنى العباس ونحن نريد أن نعيد الحق الى صاحبه والحكم الى أهله وقد خرجنا من بلادنا لاجل الله تعالى حتى ناخذ رأس الرشيد ونحمله الى الغرب حتى يخطبوا لنا فى الشرق والغرب وتكون انت تحمل المال الى ديارنا كما كنت تحمله الى بنى العباس ولا بد أن نفتح بلاد العجم ونفلق القمم وفى غداة غد نزحف اليك الا أن تحمل الينا المال وتهادينا ونتخلى عن هذه البلاد حتى نأخذ الذى جئنا من أجله (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع ملك الروم ذلك صلب على وجهه وقال هؤلاء ماهم فى كثرة حتى يتم لهم ذلك ولكن ماملكوا الارض وملكوا مصر والشام وهذه الاماكن على عجل الا أن القوم فرسان وهم أمضى من الاجل (ياسادة) ودخلوا الجواسيس الى ميافارقين وأخبروا الرشيد بهذه القصة التى جرت وبما قال كلب الروم وما كان الجواب من الملثمة فانتقض وضوء الرشيد واصفر لونه وقال قد حسبت هذا الحساب ولكن هذا كله بخطية ظالم وأبو محمد البطال وما خرجوا هؤلاء من الغرب الا ويريدون قتلى بلا محالة ثم أقبل على الفضل بن الربيع وقال ويلك اكتب الى عبدالوهاب كتاب ثانى وعرفه بهذه القصة وان هؤلاء القوم ماجاؤا الا يريدون قتلى وقلع دولتى وانهم يريدون بذلك القربى الى الله عز وجل (قال) فكتب الفضل الى عبد الوهاب وعرفه بذلك ويقول له معلوم انك ماتقدر تدفع هذه العساكر كلها ولوانك تلقا الروم بعساكر الشرق والغرب ولكن ان قدرت ترسل من يسرق الرشيد وتجعله فى آمد والا فهو هالك بلا محالة من أحد الطائفتين وان كان فيك لخلاصنا وان الله لايضيع أجر المحسنين (ياسادة) وكان الامير عبدالوهاب قد أوعدهم أن يكون عندهم بعد ثلاثة أيام والذى عاقهم أن خيولهم كانت الاتراك طحنتهم فارسل الامير الى سائر المواضع يشترون الخيل ووصلت الخيل فى ملطية فلما وصلت اليه الخيول عول على الرحيل فقالت الاميرة لا بد لنا من المسير بعد كتاب الرشيد وكتاب جوهر وقد ورد الكتاب الثانى يذكر فيه أن هؤلاء القوم الملثمة والبربر ماجاؤا الا وقد جعلوا لهم خليفة من بنى أمية وهو الذى أخرجهم من ديارهم فى طلب الرشيد وانتزاع الخلافة من بنى العباس ويذكرون أن وراءهم عسكر يملا الفضا ويضيق المستوى واذا كانوا هؤلاء فى عشرة آلاف قد فتحوا من مصر الى ههنا فكيف اذا لحقهم أضعافهم فقال الامير عبدالوهاب أيتها الاميرة قد سمعت أن لهم أمير يقال له مكتوم وهو من أبطال الجاهلية لايخاف الرجال ولا يرهب الأبطال وهو حامية العسكر ومعهم من البربر جماعة وعليهم أمير مقدم موصوف بالعقل والرأى يقال له حمدون المحتال وقد بلى

الرشيد بأمر عظيم وأنا ماضى لأجله وإنمـــا أمضى لأجل الله تعالى وألقا ملوك الروم لأنهم فى عالم عظيم فان رزقنا الله تعالى النصر عليهم فهو الذى نريد وبعد ذلك ألقا هؤلاء الملثمة وأكشف هذه الغمة عن الرشيد ولا تقع عينه فى عينى يوم من الأيام بعد أن قتل ولدى وأبو محمد البطال وفعل معى هذه الفعال فقالت الأميرة رأيك أعلا وقولك أوفا

(قال الراوى) وان الأمير أخذ الاهبة للرحيل وامر الناس بالمسير واستخلف ميمون الحماس على البلد وأوصاه بالقاضى عقبة وكان الملعون عقبة قد برأ من جراحه وعادت اليه قوته فلما سمع بهذه الأخبار التى خرجت ومجىء الملثمة ومسير الأمير عبدالوهاب الى نحوهم فباس عقبة الأرض وقال اهل المسيح بكون قد نظر الى ضعفى فهلك هذا الشيطان على يد هؤلاء الملثمة أو على يد ملك الروم فى هذه النوبه وقد ملكوا هؤلاء الأرض فى الطول والعرض لأنهم أبطال أقيال وما من طامة إلا وفوقها طامة أعظم منها وماخرجوا هؤلاء من بلادهم إلا ويطلبون نقل الخلافة من بنى العباس إلا وهم أشد قوة وبأس وجعل عقبة لعنه الله يدعو على الخليفة وعلى الأمير عبدالوهاب معه فهذا ما كان من الملعون عقبة (وأما ما كان) من الأمير عبدالوهاب فانه سار حتى بقى بينه وبين ميافارقين مرحلة لطيفة وكان ملك الروم قد أرسل فى ذلك اليوم إلى ملك الملثمة يقول له اعلم أنى قد نصبت فى صدر هذه البلد وأنا اليوم أزحف اليها فان أخذتها وأخذت الرشيد فهى لى والتقى أنا وانت ومن قهر صاحبه كان الرشيد له يفعل به مايشاء ويريد وتكون أنت تقاتله ثلاثة أيام ويعطى المسيح النصر لمن يشاء ويريد فأجابوه إلى ذلك (قال الراوى) وان ملك الروم سار الى البلد بذلك الخلق الكثير الذى لا يحصى بعدد الرمل والحصى وحاصروا البلد وثقل القتال عليهم وان الامير عبد الوهاب سار طالب ميافارقين وليس عنده خبر بما وقع وأما الخليفة فانه قال لاهل دولته لولا عرض للامير عبدالوهاب أمر من الأمور لكان قد وصل الينا وماكان يسمع فى دينه انه يقعد عنا وعن المسلمين فقال جوهر والله ياأمير المؤمنين قد كتبت اليه كتابين (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب كان قد أرسل جاسوس يكشف له الخبر فأتى اليه وقال له اركب أيها الأمير قبل أن تفنى المسلمين فانهم على نية أخذ البلد فى هذه الساعة فعند ذلك رحل الأمير عبدالوهاب وجعل يجد المسير ومعه سائر الأمراء وأبطال بنى كلاب وسار على عجل وباقى الناس سائرين خلفهم وكان الامير عبد الوهاب قد سار فى عشرين ألف وباقى العسكر سائرين خلفه فى ثمانين

(يا سادة) وكذلك مكتوم وحمدون قد خرجوا من الغرب فى عشرة آلاف فلما فتحوا مصر والشام انضافت اليهم العساكر وقطاع الطريق والحراميه والكسابة وقد صاروا فى

مائة ألف خارجا عن الملثمة والبربر ولم يزل الامير عبدالوهاب سائر حتى أشرف على البلد فوجد البلد قد فتح وأخذوا الروم كل من فيه وأخذوا الرشيد وكل من معه مثل الفتح بن خاقان وعيسى وابنه على وأبو يوسف وأرباب الدولة والجند وقتلوا الباقين بسيف ملك الروم فى ميافارقين وأرسل ملك الروم يقول لملك الملثمة ارحل عنا وأى موضع شئت من بلاد الرشيد فأنا أعارضك وأنا أحلف لك بالصليب والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل والا أعتقد ما تعتقدوه أنتم ان الرب واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد والا كسرت الصليب وأوقدته تحت لحم الجمل وان لم ترحل لأخرجن اليك ولأرمين روحى بهذه العساكر عليك ثم رحل الى ان وصل اليه فعند ذلك اصطفت الصفوف وامتدت الألوف وفى تلك الساعة وصل الامير عبدالوهاب فوجد الأمر قد فرط فيه والرشيد والبلد قد اخذوا فصعب عليه وكبر لديه فقالت الاميره ذات الهمه أيها الامير لا يعظم عليك هذا الأمر واتركه حتى يذوق ذل الاسر وقلة النصر ويعلمان ماخلصه الانحن ولاترمى روحك للقتال فان استعجلت طمع فيك ودع ملك الروم يلتقى مع هؤلاء الملثمة فان ظفر بهم كفينا مؤنتهم وانفردنا نحن الى ملك الروم وان هم ظفروا بالروم فيكون قد لقينا احدى الطائفتين فلما سمع الامير عبد الوهاب كلامها قال لها نعم مارأيتى أيتها الأميرة (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من ملك الروم فانه جمع الملوك اليه وقال لهم من يخرج منكم لهؤلاء الاوباش ويكفينى مؤنتهم وأبقى أنا فى مقابلة المسلمين فقال له ملك الدوقس وكان اسمه أسطاروس أنا أيها الملك وكان فى مائة ألف وكان هذه النوبة قد ضمن للملك انه متى خرج عبدالوهاب خرج اليه وحمل عليه ولم يكن فى ملوك الروم أعظم منه فى القتال والحرب والنزال فقال أيها الملك أنا لهم ولمن يأتيك من عسكر عبد الوهاب فعندها خلع عليه الملك وشرفه وقال هذا عسكر عبد الوهاب قد وصل ولاشك لان أصحابه ماعاقهم عند المجىء الا قلة الخيل وهم به لاحقون ونحن نتجرد لهم فى هذه العساكر على ماهم عليه من التعب

(قال الراوى) وهذا كان جميعه برأى أبو الشر شومدرس (باساده) وكان شومدرس فى بلاد الروم مريض وشومه عنده قاعد فلما برىء شومدرس ساروا الى العسكر وهو الذى دبر على ميافارقين حتى أخذوها الروم وقتلوا وأسروا ولما أشرف الأمير عبدالوهاب أشار ملك الروم يقول مادام هو تعبان فى هذه القلة وكان سأل عن عقبة فقيل له ذهب الى الرشيد ونحن على آمد حتى يكون لنا عين عليه فانقطعت أخباره عنى وعلى قلبى من هذا أمر عظيم فقال شومدرس وحق الصليب ان كان الا فى آمد لا محالة ولا يخلو ان لقيه

فى الطريق وأخذوه وقد اشتقت إليه فقالت شوما كونوا أنتم على ماأنتم عليه وأنا رحق المسيح أمضى إلى آمد وأخلصه ثم انها خلعت ثياب الرهبان ولبست ثياب النسوان وسارت من ميافارقين بعد أن خضبت وجهها وكفيها وثيابها بالدما ولم تزل سائرة إلى أن وصلت إلى عسكر الامير عبد الوهاب فرمت وجهها عليه وهى تنادى واسلاماه واقلة ناصراه وجعلت تخبره بما جرى فى ميافارقين وقالت له وقد انهزمت أيها الامير بعد ماقتلوا أهلى وأولادى وأنا طالبة آمد لان لى فيها بنت وأنتصر بك ياسيف المجاهدين لانك ترحم البنات والبنين فبكى الامير من قولها وقال لها ها أنا قد وصلت وسوف أعمل ما أقدر عليه فقالت يا أمير أريد من يوصلنى إلى آمد فما وصلت إلا بعد جهد عظيم وأنا امرأة ضعيفة كبيرة وقد بليت على كبر سنى كاترى فلما سمع الامير ذلك أرسلها مع بعض غلمانه على بغل الى آمد وجاوزها الناس من سائر البلدان لان ما فيها إلا من له فى ميافارقين قريب أو نسيب وجعلوا يسألوها عن حالها وهى تحدثهم بشىء يفتت الاكباد وتوقع الهيبة فى قلوب العباد حتى صعدت إلى عند ميمون الجماس وأخبرته بالحال فبكى إلى ماحل بالمسلمين وقالت والله يعز على ما جرى فلعن الله من كان السبب فى هذه الأمور كلها فصاحت شوما والله يامولاى إن هذا الأمر كان سبب أسر الرشيد وأصحابه وذلك أن ملك الروم لما أخذنا جعل يقدم واحد بعد واحد ويقتله ويقول هذا عن الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح ولا قتان عوضه عشرة آلاف مسلم يامولاى وقد قتل من الناس ألف رجل وامرأة وعول على قتل الخليفة من أجل هذا الشيطان فقال ميمون لاشك انه ظن أن عقبة قد قتل وما يدرى أنه عندنا فى تلك المقصورة مقيد حتى نبصر مايكون من هذه العساكر التى أحدقت بميافارقين فوالله لاشفين فؤادى منه فى هذه الساعه بالضرب الوجيع ثم أمر باحضاره وضربه مائة شوط قدام شوما وهى تنظر اليه وتظهر الشماتة به فقال لها ميمون ألك فى آمد حاجة فقالت لا يامولاى فقال لها اقيمى أنتى عندنا فى الدار الى أن يخلص الله بلدك من أيدى الكفار على يد المجاهدين الأبرار إلى أن تودى الى بلدك فأقامت عند ميمون وهى تدعو له فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ملك الدوقس فإنه التقى بملك الملثمة الأمير مكتوم وأمير البربر حمدون فى مائة ألف وتجرد ملك السقاب فى مائة ألف إلى عسكر الأمير عبدالوهاب والتقوا هؤلاء بهؤلاء وعمل القتال بين الجميع وخضبت الارض بالنجيع وان الأمير مكتوم التقى بملك الدوقس وقد تعلقت الرجال بالرجال وامتلأت الأرض بالقتال وتجاولا فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وتشابكا وتماحكا حتى حمى الحرب والحديد وضعف الساعد الشديد والملثمة والبربر قد فتكت

بالدوقس وفرقتهم فى المعمعة شرقا وغربا وأشبعوهم طعنا وضربا عندها صاح الأمير مكتوم بملك الدوقس فأدهشه وزعق فيه فارعبه وخبله وضربه على عاتقه أطلع السنان يلمع من علائقه فوقع على الأرض قطعتين وانهزمت الدوقس وقتل منهم خلق كثير ودام القتال مع الامير عبدالوهاب وملوك الافرنج والصقالبة الى أن أمسى المساء وحندست الظلماء وعادت كل طائفة إلى مكانها وعاد الأمير مكتوم الى مقامه واضرمت النار أمامه وان الأمير عبدالوهاب نزل موضعه وطلب القناصة فلم يجدها وفتش عليها بين القتلا فما وجدها فعظم ذلك عليه (قال الراوى) وكان من أمر القناصة أمر عظيم وذلك انها أضرمت فى قلبها نار الأحزان فلم تجد على تلك النار سلوان وقالت مالى إلا أن أمضى إلى عسكر هؤلاء البربر فإن ولدى الى تلك الديار نفى وهلاكه فلا يخفى على هؤلاء فلو سمعت كيف كان قتله على الشهادة لعل كانت هذه النار التى بى تهدى عنى ثم انها سارت وقت غروب الشمس وعبرت العساكر حتى وصلت الى عساكر مكتوم فوجدت النار بين يديه وهو جالس وحمدون إلى جانبه وهما مصطفين ومن حولها العبيد والغلمان ورأت تلك الشموع وهيبته عظيمة وما أحـــدا يجسر أن يتكلم من هيبته فقالت أنعم الله لكما المسا وفوزتم بالسعادة ولقيتما ما تأملان من الارادة وزادكم من التوفيق والذى تؤملون وزيادة واعلموا أن الكريم من رد اللهفة ورد لهفة الحريم وأنا امرأة لست من هذه الديار بل بعيدة الديار عادمة المزار مشردة الأوطان وقد فقدت ولدا كان لقلبى منا فاخذ بالخداع ودارت عليه طاحون الظلم والوداع ورمى فؤادى بسهم الانقطاع وبعد ذلك حرب بيت ظالمة ودرست معالمه وصار كما قال الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا والسبب فى ذلك أنه نفاه الرشيد الى دياركم وهلاكه كان فى أمصاركم وقد جئت أتنسم خبر ولدى ومنية كبدى ثم انها تشرقت بالدموع وأتت من فؤاد موجوع وأنشدت :

ألا أيها الركبان ألا أجبتمو حليفة حزن قد براها عليلها
بعيدة أوطان قليلة ناصر كثيرة أشجان مقيم عويلها
وكان لها حصنا باكناف مكة ونحن فى تلك الديار ذبولها
ففاجأها ريب الزمان بصرفه وشردها عن ديارها وطلولها
ولله رأى سابق فى عباده وما غرها الاكلام حليلها
فسارت الى أرض العراق بابنها ولم تدر ان البين عند وصولها
ولو انهم لم يأخذوه بحيلة لما ظفرت يوما هناك خيولها

وأنكبني هذا الخليفة واحدى ... وقد كان ضرغام الحروب يصولها
وخبر عنه أنه فى بلادكم ... غريبا قتيلا فى فيافى سهولها
نفاه إلى أرض بعيد مزارها ... بصندوق ظلم حين سارت حمولها
ومعه الفتى البطال والسيد الذى ... له عزمات لا يجدد نظيرها
فهل فيكمو من عنده اليوم كلمة ... بها خبر من أمره فيقولها

(قال الراوى) ثم انها بكت واستعبرت وهطلت دموعها وانحدرت ونزلت على خدودها وانتشرت حتى بكا من سمع قولها ورق لها من شكواها وان الأمير ظالم أقبل على أبو محمد وقال له اعلم ان حلاوة اللقا قد أنستنى كلما جرى وقد تجلدت جهدى على اننى أصبر فما أود ذلك وكيف اننى أصبر والعجوز تبكى من لوعة الفراق وتتململ على جمر الاحتراق فقال له أبو محمد الساعه تفسد كلما عملناه ولا تقدر تصل إلى ماأملناه فقال ياعم فهل يجوز أن أسكت بعد هذا فقال له الأمير أبو محمد اصبر يابنى واعلم أن الأمير عبد الوهاب حريص وله جواسيس فى كل موضع ولا يخلو أن يكون له جواسيس معنا وقصدى أن أعمل على عقبة ما تتحدث به الناس من بعد موتى ونأخذ ملك الروم قهرا ولكن أنا أكلمها فقال لها الأمير أبو محمد لاتكونى تسألى عن الأمير ظالم وأبو محمد البطال الذى نفاهما الخليفة الى بلاد الغرب فى هذه الأعوام وأنا عارف بهما وهما سالمين وسوف يصلان فى العسكر الذى خلفنا فانزلى عندنا على الرحب والسعه فلما سمعت القناصة ذلك فاضت عبرتها وزادت حسرتها وجلست بين أيديهما تتعجب وتقول هذه الابيات

ألا أيها القوم الكرام لقيتمو ... نجاحا وخيرا لايزال موافيا
وعزا وتوفيقا وأطيب عيشة ... وعيش مقيم قد حوته الامانيا
ولا زلتمو فى نعمة وكرامة ... ولا مكنت منكم سيوف الاعاديا
إذا غاب من أهواه عشت بحسرة ... رأى كريم لايرق لحاليا
لجدلى مولايا بقصة ظالم ... فان فراق الولد حقا دهانيا

(قال الراوى) ثم انها قالت يامولاى أنا التى لاأرجع الى الرشيد وأبصربهم ماأريد وإذا كان ظالم فى العسكر الذى يأتى بعدكم فانا أضرب بين أيديكم بالسيف ولا تهملوا أمرى لأجل انى ذات خدر فان اللبوه تعقر إذا فقد شبلها وكذلك الحزينه إذا عدمت طفلها ثم بكت فاحرقت الأكباد وأطارت عن العيون الرقاد فعند ذلك قال الأمير ظالم يا أبو محمد مابقى لى اصطبار فدع هذا الانتظار فعندها رفع أبو محمد رأسه الى الحاضرين وأمرهم بالانصراف فانصرفوا عن بكرة أبيهم ثم أقبل على القناصة وقال لها هل تعرفين

أبو محمد إذا رأيتيه قالت نعم ايمولاى وانى سمعت الناس يقولون انك حمدون المحتال فقال لها اعلمى ان حمدون المحتال هو أبو محمد البطال ثم كشف وجهه فعرفته فوقفت قائمة ورمت روحها عليه وقالت يا ابو محمد أين ولدى وحشاشة كبدى فقال لها سوف تريه ثم قرب يده إلى نقاب الأمير ظالم وكشفه فعرفته فوقعت مغشيا عليها فجعل يضمها اليه ويبكى وكذلك هى الاخرى ولما أفاقت قالت له يا ابنى حدثنى كيف كان حديثك فقال لها حديثى عجيب ولكن ماهذا وقته وأقيمى عندنا ان اخترتى وان شئتى إلى عسكر الأمير عبد الوهاب واكتمى حالنا فلا بدلى من أخذ الرشيد وعبد الوهاب وأطلب منه هذا الشخص الذى يقال له عقبة وقد حدثنى البطال عن هذا الملعون بأمور لا يهتدى اليها ابليس وأريد أريح المسلمين منه فقالت القناصة والله يا ابنى لا برحت من عندك ومابقى لى صبر عنك ومابقيت أصبر على فقدك وأنا أغير هذا الزى وأتلثم مثلكم بالايزار والنقاب وأقاتل معكم فان العسكر بعدد نجوم السما وقد عولت أن أهجم وحدى على عسكر الروم من غضبى من عبد الوهاب وذات الهمة وأقاتل حتى أقتل فقال ياأماه وماالذى فعلوا معك بعدى فقالت والله ما كنت عندهم الا مكرمه غير ان ما كان يهنا لى بعدك عيش وماقدرت على قتال الرشيد بعدان جرت على من النوائب مالا أقدر أصفه ثم خلصت بعدذلك وفى قلبى النار فلما نزل ملك الروم على ميافارقين قالت ذات الهمة يا ابنى سر بنا على نصرة الرشيد لأجل دين الإســـلام فقال البطال لأجل هذا يطمع الرشيد فينا مرة بعد مرة والأمير عبد الوهاب يرى هذا من طريق الدين فقالت القناصه كيف كان يجب له أن يرجع إلى طاعته وقد نفا ولدى وفعل فى حقه مافعل وماطلب بذلك الاهلاكه حتى أتانا مالم يكن فى الحساب ووالله لو كان فعل هذا بولده سيف الحنيفيه لما رجل إلى نصرته أبدا ولكن ولدى ماربى عنده أبدا فى بلاده فلاجل ذلك ماله عليه شفقة فقال لها ظالم سوف أزعم أنا فى الجميع وأضربهم الضرب الوجيع (قال الراوى) ولبست القناصة لبس القوم وكانت كانها ربيت فى الملثمه وبات كل واحد منهم فى أحسن ليله وان البطال سأل القناصة عن الملكة نوره فقالت فى أحسن حال وأتم بال فى نفسها ودينها وقد جاك ولد كانه دارة القمر وسمته مظلوم ولما سمعوا الناس انك هلكت أنت وولدى خطبوها أكثر امراء بنى كلاب فلم تفعل ذلك وبذل قراقد لها مال كثير فى زواجها فأبت وقالت أنا مشغله بتربية ولدى مظلوم وماأريد زوج بعد أبو محمد البطال فقال لها البطال لله درها ولا بدلى أن أقطع قفا قراقد قائما وقاعدا حتى لا يرجع أحدا يتعرض لأهلى ولا لمالى فى حياتى ولا بعد مماتى فضحك ظالم من قوله (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء وأما عبد الوهاب فانه قلق لفقد القناصة قلقا عظيما وقال أنا

ما كنت على هؤلاء القوم الامبارك أتيت بهم من أرض الحجاز الى العراق فتشتتوا فى الآفاق أنا يعز على هذا الفراق وماهى إلا قد قتلت أو أخذت أسيره وبات فى أضيق صدر فهذا جرى وأما كلب الروم فانه أحضر الرشيد بين يديه وقال كيف ترى يا هارون حالك إلى متى يملك المسيح وما بقا لك فى الدنيا لا قليل ولا كثير فانا لا أزال فى الجهاد حتى أمحو دينكم من الدنيا وأنت لابد لى أن أنتقم منك ومن كل من فى يدى من الاسارى فقال الرشيد اعلم أيها المغرور بنفسه إن الله يؤدب الاخيار بالاشرار وأنا أعلم ان هذا فى مقابلة ما سمعت من الحساد فى حق الامير عبد الوهاب فكان ذلك فى عاقبتى ومع ذلك فان الحرب دول وعلى الله المتكل فقال ملك الروم وحق المسيح لو كان لى مثل عبد الوهاب فى عسكرى لكنت أفديه بروحى وأنتم تقولون المسلمون أخوة وهذا الفعل ما يكون آخر خدمته لك ان عملت على ولده وقتلته وقتلت صفيه وصديقه أبو محمد البطال فوحق المسيح انى أخرجت خمسين ألف دينار صدقه للكنائس لما سمعت أنك قد فعلت ذلك بالبطال ولقد خلصت الروم من طلعته ولقد عملت مع أهل دين المسيح بهذا عملا مليح وحق الانجيل ان لو كان فى هذه الدار لما كنت أنا فى هذه الليالى أنام طيب ولقد كان يخلصك من يدى ولو كنت فى الارض السابعة فلما سمع الرشيد ذلك ندم لما نظرت عيناه ما صنعت يداه ثم انه قال شعر :-

ندمت على ما كان منى جهالة ومن يتبع ماتشتهى النفس يندم

(قال الراوى) ثم ان ملك الروم وكل بالرشيد من يحفظه وقال للموكلين به احفظوه إلى أن نخلص من هذا العسكر الذى أتى الملثمة وأما عسكر عبد الوهاب فنحن فى عالم عظيم لو رمينا عليم الدرق هلكوا فإن نحن أسرنا هؤلاء الطائفتين أخذنا الرشيد وسرنا به إلى العراق وتسلمنا البلاد وبات الرشيد على هذا الخبر الطيب وخلا الملك منويل بشومدرس وقال له يا بونا اعلم ان هذا العسكر الذى للملثمة أبطال شجعان يريد الواحد منهم مائه من العرب وألف من الروم لاسيما هذا الفارس الذى قتل ملك الدوقس بالامس لا يمكن أن يكون فيهم مثاله وانهم ذكروا أنه أفرس من عبد الوهاب ولولا ذلك ما حدثته نفسه انه بهذه الكتائب القليلة يلاقى هذه العساكر وفتح بلاد الشرق وقد تم له ذلك فلما سمع شومدرس ذلك من كلام الملك قال يامولانا فما الذى تريد قال ياأبونا لو قدرت تعمل لى حيلة على عسكر الملثمة بقدر ما نكسره لاننا على عجل من أمرنا ولا نبالى بعد ذلك بعساكر عبد الوهاب وكنا نطحنهم طحن الدواب وترميهم على التراب وحق المسيح لو كان الشيخ النجيح عندنا افعل كل عجيبة وما هو إلا فى أضيق مجال وإلا ما كان يقعد عنا فى هذه

الاحوال فقال شومدرس أيها الملك طب نفسا وقر عينا فسوف ترى مايكون وحق الصليب لابد ماأدبر على العسكرين قريب فقال قواك المسيح وزادك قوى أيها الشيخ النحرير فأنت صاحب الحكم والتدبير وأصبحوا ذلك اليوم للقتال وخرج الملك للقتال ومقام النزال وقد قسم العساكر نصفين وجعل معه ألف ألف وقال لاتتعرضوا للقتال وأرسل إلى باقى الملوك وأمرهم أن يمضوا فى خمسمائة ألف إلى قتال الأمير عبد الوهاب والباقى إلى عسكر الملثمة والتحم القتال بين الطائفتين وثار الغبار من كل جانب وعملت القواضب ونظر الأمير ظالم الى عالم عظيم قد أحاط به فجعل يقصد أصحاب الأعلام وحملة الصلبان والقناصة والملثمة والبربر من حوله كأنهم السباع وأبو يخلف يقول يامولاى ان لم يقتلونا مانكون إلا فى عافيه والأمير عبد الوهاب وبنى كلاب صبروا صبر الكرام ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل من وقت الأسحار إلى وقت الاصفرار وانسدل الظلام ورجعت الطوائف من التقى العسكرين خائبين فلما دخل ملك الروم إلى ميافارقين دخل عليه رجل قصير من الرجال لم نظره قط فقبل الارض بين يديه وقال أيها الملك اعلم انى رسول اليك من عند من يعز عليك ثم ناوله كتاب مختوم فلماقرأه تهلل وجهه بالفرح وباسه فعندها علمت الروم أنه سمع ماطاب به قلبه ثم انه خلع على ذلك الشخص وأكرمه وحمله على حصان ووعده بكل جميل والناس لايدرون ماسبب ذلك هذا ومارس قد أقبل على أخيه دارس وقال له اعلم ان هذا الامر قد أزعج قلبى وأخاف ان بعض المسلمين من عسكر الامير عبد الوهاب قد عملوا عليه أو من عسكر الملثمه وما أعلم بهذه القصه كيف هى فقال مارس والله انه لولا الامير عبد الوهاب أفرس أهل زمانه لكان عن قتال هذا العسكر غنيا لان كم جهد الانسان مايلتقى عشره أومائه وهؤلاء خلائق لاتحصا بعدد الرمل والحصا وأمسا المساء دعا الملك بشومدرس وقال اقرأ هذا الكتاب يابونا فلما قرأه باس الارض وقال هذا شىء ماناله واحد من سائر الملوك ولا فرح به لاغنى ولا صعلوك (ياساده) ثم ان ملك الروم دعا بحرب بن شيبان وضم اليه أربعين ألف من الفرسان أبطال شجعان من متنصره العربان والبسهم ثياب الاسارى التى للمسلمين الذين من عسكر الرشيد وأعطاهم الرايات والاعلام والبنود البيض وعليها مكتوب بالسواد لا اله الا الله محمد رسول الله والبعض مكتوب عليها نصر من الله وفتح قريب وقد فرق عليهم العدد والخيل والسلاح والسيوف والرماح وقال لهم لاتسيروا حتى ينتصف الليل فقال حرب بن شيبان السمع والطاعه (ياساده) وخرج من عند الملك منويل والعساكر من حوله ممتثلين كلامه وسمعوا قوله وساروا مع حرب بن شيبان الملعون فى أماكن يعرفها حتى عبر معسكر الأمير عبد الوهاب وسار طول

الليل والنهار حتى رأوا القباب والهضاب ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وقد قربوا من آمد فاكمنوا باقى يومهم إلى الليل وقد مضى منه ساعة واذا قد وصل اليهم أيضا خمسة آلاف من الروم ومعهم الجمال والبغال تحمل الرجال ثم أمر حرب بن شيبان أن يكشف بعضهم على كل حال ففعلوا تلك الفعال ثم ان حرب بن شيبان ذبح خمس رؤس من الخيل وأمرهم أن يتخضبوا بدماهم فبقوا كالارجوان وشقائق النعمان وشدهم على البغال وأمر رجالا من العرب المتنصره أن يسبقوا الى آمد ويبشروا أن الاسارى قد وصلت آمدوان المسلمين قد نصرت (ياساده) وسار بتلك الرجال الى آمدوكان وصوله اليها قبل الصبح فأخبرهم ان الامير عبدالوهاب قد كسر الروم الكلاب وكسب وغنم أكثر الاسلاب وانه قد اصطلح وتعاهد هو مع الملثمه على قتال الروم وقد قال ما بقى علينا الا قسمة الغنيمه وقد كسر منويل على ميافارقين وقد طلب منويل ان يغدر بالرشيد فلم يفعل الأمير عبدالوهاب وقد تسبب له بأحسن الاسباب (قال الراوى) وان ميمون الجماس لما سمع ذلك خلع على البشير وأعطى له من المال شىء كثير وقد زين البـــلد ودق البشائر والكوسات وقال للبشير ان كان قولك صحيح أعطيتك شىء يغنيك وأزوجك زوجة ترضيك فقال يامولاى سوف يصل اليك السبى والاسارى مع عرب بنى كلاب عند المسا (ياساده) ولما كان آخر النهار وإذا قد أقبلت الرايات والصناجق الخليفيه والجمال والبغال والاسارى فعندها علا التكبير من أعلا الاصوار من النساء والرجال والصغار وفتح باب البلد وخرج ميمون الجماس من القصر ومعه جماعه من الناس ولما وقعت العين على العين وقد وقعت عين ميمون الجماس على حرب بن شيبان اندفع الحرب على ميمون ومسك بأطواقه وضيق عليه خناقه وقد صرخ الملعون عيسى ومريم والصليب ثم دارت به الرجال أصحاب الهمم وعمل السيف فى الاضلاع والقمم وبكت العيون بدل الدموع دما وهاج الشجاع ودمدم والجبان ولى وانهزم وناحت عليهم غربان العدم وبطل قول أى ولا ونعم وعمل السيف فى الكبير والصغير والعبد والامير والغنى والفقير وصار السير عسير وحسرت المقادير فبكم التدبير وصار الدم جرير وجرى على الأرض مثل جرى الغدير حتى خاضت الخيل فى دماء القتلى كحلت الأجفان بموارد العما وتلهفت الاكباد على شربة من المـــاء وانقطع من طلب الاسلام الامل وقرب منهم الأجل وعملت فيهم السيوف وقد عملت فيهم العرب المتنصره أوفا عمل وكانت ساعة متعسره وقد نفدت فى المسلمين أمور الله المقدوره وقتلت الرجال خمسه خمسه وعشره عشره وتكاثروا على ميمون الجماس فأخذوه أسير وعدم السعاده والنصير وقتل من المسلمين خلق كثير ودخل حرب بن شيبان البلد واليها صعد

وأخذ كل من فيها أسير فى الذل والهوان وملك القصر بعد ماهلكوا جماعة من الفرسان وكانت ساعة عظيمة الشان (قال الراوى) وكان من تدبير الله تعالى ان هذا الذى جرى كله من تدبير شوما أم الاهوال واللعين عقبة شيخ الضلال والسبب فى ذلك ان شوما سارت من عسكر الروم طالبه آمد وعقبة بأمر الملك وزوجها فسارت إلى نصف الطريق فالتفت الأمير عبدالوهاب فى الطريق فعند ذلك أخبرته انها من ميافارقين وقد قتل ولدها وبعلها وقد نالها عليهم حزن عظيم فرق لها الأمير وأرسلها إلى آمد على بغل من البغال الثقال وما زالت إلى أن دخلت إلى آمد وقد داروا الناس بها من كل جانب ومكان وصاروا يسألونها عن ميافارقين وما جرى من الشيان لانهم أكثرهم قرايب واصهار والملعونه تحدثهم بما حل بالمسلمين من الدمار وتقول لهم ما تنقطع به الاكباد وتوقع الهيبه فى قلوب العباد ومازالت حتى طلعت عند ميمون الجماس فى القصر وكان الوقت وقت العصر فأخبرته بما أخبرت به الناس فبكوا المسلمين عند ميمون الجماس وقالوا والله يعز علينا ماجرى على الموحدين وماتم على أمير المؤمنين فلعن الله من كان السبب فى هذا الأمر وهو الملعون عقبة والله رأينا شيء أمر من الصبر وأصعب من الموت فصاحت شوما وقالت يامولاى صاحب هذا الأمر هو الذى كان السبب فى هلاك أصحاب الرشيد كلهم وهو الذى كان بفعله يضلهم فقال لها ميمون الجماس فكيف ذلك فقالت له شوما يا مولاى السبب فى ذلك ان ملك الروم لما أخذنا أسارى جعل يقدم واحد بعد واحد من المسلمين ويضرب عنقه وأنا بعينى أرمقه ويقول عوضا عن الشيخ النجيح وحق المسيح لا اقتلن عوضه الا عشرة آلاف بلاشك ولا خلاف وقد عول على قتل الخليفة لاجل هذا الشيطان الكاب الجيفه فقال له ميمون الجماس لاشك انهم ظنوا ان الملعون قد قتل وانقطع منه الاياس ومايدروا انه عندى فى المطمورة يقاسي الذل والباس وهو مقيد محتار وعليه جماعة يحرسوه من الناس حتى ننظر مايكون فوالله لابد ان أشفى قلبى منه الساعة بالضرب لاننى منه مغبون ثم انه أخرج عقبة الملعون ضربه ضربا يدور الطاحون أكثر من ثلثمائة سوط وقد بكت عليه العيون كما قال القائل

رق له الشامت مما به ياويح من رق له الشامت

(ياساده ياكرام) وقد قل منه الحيل والقوى ثم رده إلى موضعه وشوما تنظر اليه وقد وجعها قلبها عليه ثم قال لها ميمون الجماس ياهذه لك فى البلد معرفة أو قرايب أو أصحاب أو نسايب قالت له لا والله يا مولاى فقال لها أقيمى عندى فى الدار الى ان نخلص بلدك وأهلك من الكفار على يد المجاهدين الابرار فشكرته على ذلك ثم انها أقامت فى آمد حتى صارت

تتوصل الى عقبة و تدخل عليه وتخرج وهى تحكم النوبة وتشتمه وتضربه قدام الموكلين به ومازالت على مثل ذلك الى ان دخلت عليه يوم من بعض الأيام وعرفته بنفسها ففرح بها وقال لها تقدرين لى على دواه وقرطاس وقدزال الهم والباس فقالت له نعم ثم انها مضت ثم أتته بدواة وقلم فكتب لها ذاك الكتاب الى منويل وفيه هذا التدبير بلا تطويل وقال لها اعطيه الى العطار الذى على باب آمد فهو يوصله الى الملك منويل ويكون انا مساعد فخرجت شوما وفعلت ذلك وجرت القصة كما ذكرنا وتمت الحيلة كما وصفنا ودخل حرب ابن شيبان الى البلد الى عقبة وقصد فقال له أحسنت ياحكيم الزمان وأوحد العصر والاوان فقال له عقبة الآن ياابن شيبان قد ملكتم بلد مامثلها فى سائر البلدان وما بقيت تخرج من أيديكم ما بقى الزمان (ياساده) ثم ان عقبة الملعون أمر حرب بن شيبان ان يأخذ علوى زوجة الامير عبدالوهاب وسائر نسوان بنى كلاب ونساء السودان الانجاب وأقام عليهم الضرب حتى أخذ منهم المال ثم انه قدم نورى زوجة البطال وبصق الملعون فى وجهها وقال لها ياملعونه قد اتخذتى بعد اليقين ضلال وقد حسبتى انه لم يكن لنا الزمان ثم أمر لحرب ابن شيبان أن يضربها فضربها ضربا شديدا ما عليه من مزيد وهى مثل القمر إذا طلع من تحت الغمام وبان فقال لعقبة وحق المسيح ماتستاهل ان تضرب ولكن أنا أطلبها من الملك الى نفسى وأردها الى دينها بكل سبب فقال له الملعون ما ترتد عن دينها حتى تقتل هذا الولد الذى بين يديها وقد بلغت الارب فقال حرب بن شيبان هذا أمر هين مافيه تعب ثم ان حرب أخذ الطفل منها وذبحه من أذنه الى أذنه بعد ان قال لها عقبة ترتدى عن دينك الى دينك الأول وأنا أهب لك ولدك فقالت له نورى ياملعون افعل ماشئت فو الذى هدانى للاسلام وجعلنى من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لو ان لى ألف ولد وقتلوا لم أرتد عن توحيد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولا عندى غير دين محمد فاصنع ماشئت (قال الراوى) فعندها أمر ان يودع نورى قال فودعها بعد ان أحرق قلبها على ولدها وهى تنظر وترى وقد رفعوا نورى عند الأميره علوى وهى على غير الاستوا وبعد ذلك كتب الأمير عقبة الى منويل كتاب يقول له فيه ان قدرت ترحل الى آمد فارحل واستعمل العجل فاننا قد ملكناها وان تحصلت فيها فيقطع اياس عبد الوهاب وغيره منها (قال الراوى) هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من الأمير عبدالوهاب فانه أقام فى قتال ملك الروم ثلاثة أيام وكذلك الملثمه وقد قتل من الروم خلق كثير لا تحصى بعد الرمل والحصى ولا يعرف لها عدد ولما كان فى اليوم الرابع ركب ملك الروم وقد حمل على الملثمة بنفسه فى خمسمائة وحمل أخوه ميخائيل على عسكر الأمير

عبد الوهاب فى خمسمائة ألف وكان يوما عظيم لم يسمع بمثله ولا عاين شكله ولم يزال السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل والرجال تقتل الى وقت العصر وقد وصلت الأخبار الى الأمير عبد الوهاب بأن آمد ملكتها الروم فلما سمع ذلك الأمير عبد الوهاب ورد على قلبه أمر عظيم وقال والله هلك الاسلام فقالوا جميع بنو كلاب والله ما بقى لنا صبر على المقام بعد هتك الحريم وارتكاب هذا الأمر العظيم ونريد نعود لعلنا نلحق البلد ونخلص أهلها من الهم والنكد (ياساده) ثم انهم عادوا على وجوههم راجعين طالبين آمد وكل منهم اليها قاصد والأمير عبد الوهاب فى أوائلهم وهو يبكى على اهله وماله ونسائه وعياله وعلى المسلمين وقال يالها من مصيبة ما أعظمها ونوبة ما أيشمها وكيف بقينا نقدر على آمد وخلاصها من أيدى الكفار الا بعد شدة القتال والحصار ثم رحل وسار وقالوا الناس من الروم ان عبد الوهاب انهزم وعساكر بنى كلاب ثم تبعته الخيل وساروا طول النهار والليل وقد علم ملك الروم ان عبد الوهاب ماانهزم الامن أمر عظيم ومايعرف ايش تعمل يرحل أو يقيم فهو كذلك وإذا بكتاب عقبة قد وصل اليه فذكر فيه ماقد شرحناه من آمد فمن فرح الملك بذلك صار قائما وقاعدو باس الأرض وقرأ الكتاب على الملوك (قال الراوى) فلما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح قال ملك الروم الرحيل فدقت الكوسات ورحلت الروم وقد أنكر البطال هذا وسأل عن عسكر الأمير عبد الوهاب فقيل له رحل وان كلب الروم قد أسر الخليفه وقد أخذ كل ما كان فى ميافارقين وسار وان ظالم وأبو محمد نزلوا على ميافارقين وسمع الخبر بان آمد قد أخذت فسأل القناصة عن عقبة فقالت انه كان فى آمد مأسور فقال والله لقد عمل هذا الملعون على البلد وقد أهلك الناس وأخذت نورى وأهلك ولدى بلامحاله وهذا رأى عقبة ويقول ان نورى تعود إلى دين النصرانيه ثم انه أقبل على الأمير ظالم وقال له اعلم ان الأمير قد انتهى إلى آخره ولا يجوز لنا أن نقعد عن نصرة الإسلام واعلم انك أيها الأمير ماتدرى ماقد ورد على قلب الأمير عبد الوهاب لأننى أعرف اشفاقه على هذه المسلمين ومانأمن عليه من هذا العدو العظيم فلما سمع ظالم ذلك قال الرحيل فى أثر القوم (قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب وصل إلى آمد فوجدها مغلوقه الأبواب وحرب بن شيبان فى أربعين ألف على الابراج قال فجعلوا يصيحون عليه ويشتمونه فلما ان رأى ذلك أيس من البلد وبقى حائرا لايدرى مايفعل وأشرفت عليه عساكر الروم والصليب من حوله عسكر عظيم لايحصى أكثر من عدد الرمل والحصى فبقى الأمير عبد الوهاب حائر لأن الذى قدامه أربعين ألف فارس كلاب رواجس ومن خلف

عسكر الروم جميعه فأقبل الأمير عبدالوهاب على الاميره ذات الهمة وقال لها كم تقولى لو ذقت القنا كم سنه فقالت له ثلاثين سنة فقال لها أظنها هذه أختها والله ياأم المجاهدين لأرمين روحى تحت الصليب الذهب وأطلب ملك الروم وآخذ بثارى وأكشف عنى عارى (قال الراوى) فعند ذلك قالت العرب كلها كلنا نفعل كفعالك أيها الأمير ولو كان هو خطير لأن الموت أعظم من هتك الحريم (قال الراوى) فعندها كشف الأمير رأسه وخفف لباسه وقال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا الله أكبر فنادى شومدرس أيها الملك ادهمهم بالجمله فما بقى لهم حياة بالجمله (قال الراوى) فعند ذلك انطبق على ذلك العسكر مثل الجراد المنتشر أوالسيل المنحدر وعمل الصارم فى الأبدان والرؤس وكان يومهم يوم عبوس لعبت فيه الخيل بالرؤس وعمل السيف والرمح والدبوس فكانوا فى ذلك اليوم العبوس فى طالع ميشوم منحوس وهم مابين ضارب ومضروب وطالب ومطلوب وغالب ومغلوب وقد عملت السيوف القاطعه ووقعت الخيول المصارعة وكان يومهم كيوم قال الله القارعة ماالقارعة وماأدراك ماالقارعة رهو يشبه يوم القيامة من كثرة المنازعة (قال الراوى) فعندها اندقت عسكر الروم حتى ملات الأرض فى الطول والعرض ووصل ملك الروم وقصد إلى باب آمد الذى يقال له باب الروم ففتحوا له ودخل الى موضع لم يكن لاحد مثله وقصد الكنيسه وصلى فيها وأوقد الشموع وعلق الستور وأمر بتخريب المساجد وفعل مايغضب الملك الواحد وبقى الأمير عبد الوهاب معهم على هذا الحال فى القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد إلى أن ولى النهار وقد فرش القتلا فى الميدان وقتل عالم لايحصيهم الملك الديان وأظلم الليل وكلت الخيل وسالت الدماء مثل السيل وان الامير عبدالوهاب طلب الرجعة فلم تمكنه الرجعه من الروم والترك قالوا ان فتحتم له الطريق هرب وإلى مراده طلب وان هذه النوبة جعلها المسيح إلى هلاكه سبب فى سواد هذا الليل والغيهب (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب التقى بالاميره ذات الهمه وقال لها مالنا الى الراحه من سبيل الله وهذا عالم غير قليل ولم يفتحوا لنا طريق فزعا من هروبنا وهم يتناوبون علينا ملك بعد ملك واذا تعب بعضهم قاتل الباقى وما لنا الا القتال بطول الليل ثم انه صاح بالسودان مثل أبوا الهزاهز وقراقد وضيغم وشيظم وكردم ودمدم وقشعم وملهم وأبو غانم الاعرج والمعزم ومرطم وأبو الهول والدموس وركاض الارض وملابط البغال ومضارب وضراطه وشارب الدماء وجافظ الدماء وسملق (قال الراوى) وأجابت سودان قراقد مثل شيظم وأبو الشيص والمعرطش والمغيطه وكاب السوق والمدحرج

وعلق البحر وقرقيان وملاعب السيوف والدرق والمزيق وشدق الجان وابن عساد والناعق والناهق وبرسيم (قال الراوى) وأجابته سودان الامير ظالم مثل خاتم العقل وأبو المهرتين والخليع ولص الفلاه وسبع العرب وسراق الجمال وأبو عقاين وأهوج السودان ومناطح الحجر وذيب الوادى وأكال الافاعى والقمقاع وزوبعة القوصف (قال الراوى) وعمل النصال ودام القتال حتى أرخى الليل ظلامه ولم يعرف الولد أباه ولا الأخ أخاه ولا القريب أقرباه وكل انسان ركب هواه وسالت من الجرح دماه وذلك اليوم كان عبرة لمن يراه وجعلت الاسارى فيما بينهم يسمعون كفر الروم بمن خلق الليل واغطشه وأخرج ضحاه وقالوا أنه عيسى لحاشاه من ذلك لحاشاه بل هو عبد الله مكلف بالعباده كسائر مخلوقات الله فكانت أيضا كلمة عيسى يعرف بها أعداه من أولياه والأمير عبد الوهاب وأصحابه كانت إشارتهم لا اله إلا الله محمد رسول الله وهى كلمة ماقالها أحد مخلصا من قلبه الاغفرله ماقد جناه والأمير عبد الوهاب ينادى لااله سواه وقد فاضت على المسلمين عيناه بدموع غزار وأخرج من جلباب درعه يداه وهو يضرب تارة بيسراه هذا والأميره تقول له ياولدى ارفق بنفسك وهو يقول لها اسكتى ياأماه فا نحن نقدم على الله والدماء قد خضبت عارضاه هذا والتكبير قد أزعج الفلاة وكبرت معهم ملائكته فى أرضه وسماه وقد قرأ القارىء فاسكر الأمير عبد الوهاب قوله تعالى وما النصر الا من عند الله قال وغرت النفوس ولعبت الخيل بالروس حتى ذهب الغلس وبان الصبح وتنفس ولم يبق فى أحد من القوم نفس وقد قتل فى تلك الليلة من الروم بعدد النجوم (قال الراوى) وأصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وتقدمت ألف ألف وتأخرت ألف ألف فعند ذلك أيقنوا المسلمون بالعطب من شدة ماتالم من السهر والتعب هذا والامير عبدالوهاب ينادى هياهيا ياأحباب الله جاهدوا فى سبيل الله ووقعت الخيل من التعب فلم تتحرك فعندها ترجل الامير عبد الوهاب وترجلت أمه الاميره ذات الهمه وفعلت الناس مثل تلك الفعال وقاتلوا قتال من ترك الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخره بوجهه وصدره فيالها من ساعه ما كان أعظمها ومن وقعة عند الله كان أكرمها (قال) فهم فى أضيق الخناق وقد أمر ملك الروم لباقى الالفين ألف أن تحمل حملة واحدة من عجلته واغتنام الفرصة إذ طلع الغبار وظهر من تحته عسكر الامير مكتوم السكرى والامير حمدون العيار المحتال الفارس القهار عند ارتفاع النهار فنظر الى ذلك فقال له اعلم يا أمير ماأبوك الا ضى هالك وقد وطئته الخيل بالسنابك فأمر بالحمله عليهم (قال الراوى) فعندها حمل ظالم حملة الغضب على الروم الملاعين وكبرت الملثمه

والبربر وقد انضاف اليهم من أرض مصر ومن أرض الشام من الخواص والعوام وعمل الصارم وفلقت الجماجم وطارت المعاصم وانقطع الكلام فلا وأبيك ما كانت الا ساعه حتى انكشف الروم عن الامير عبد الوهاب وأصحابه الانجاب وقد خاض الامير ظالم حتى وصل الى الهياج وقد قطع الاوداج واخترق العجاج ونظر الى أجسام الروم على الارض مثل بياض العاج ثم انه تأمل الى الامير وله صول وهدير (قال الراوى) ونظر ظالم إلى عبيده وقتالهم ففرح بذلك ومال قلبه اليهم إلا أنه من فطنته لم يظهر لهم ذلك بل انه حمل على الخيل وقلب بعضها على بعض وملا بالقتلا جنايب الارض ونظر الامير عبد الوهاب الى حلاوة أطرافه وسرعة انعطافه فقال لااله إلا الله ما أشبه هذا الفارس الملثم بانعطاف ولدى ظالم الغريب المشرد عن الوطن الطريد الفريد المقتول ظلما الذى كان عليه فى الكتاب مسطورا حتما فقالت له الاميره يابنى هذا وقت البكاء على الولد فنحن فى تلك الساعة فى طاعة الواحد الاحد الفرد الصمد فلا تشغل قلبك بسواه فلك أسوة بالناس فوقع من ذلك الاياس (قال الراوى) لهذه السيره لم يروى فى السير ولا سمع فى الخبر مثلها لوقعاتها نقلت عن أكابر المشايخ من بنى كلاب أهل العقل والصدق والآداب المجاهدين فى سبيل الله الملك التواب وما كان الواثق يمل من سماع هذا الحديث ولا سيما هذا الفصل فى نفى ظالم والبطال ورجوعهم الى الديار والاطلال فكان الواثق يطرب من هذا الحديث غاية الطرب ويتعجب منه غاية العجب (قال الراوى) ونعود الى سياقة الحديث والخبر بعد الصلاة على سيد البشر (ياساده) ولم يزال القتال يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل الى أن أظلم الظلام وخفيت مواقف الاقدام ونادى المنادى بالانفصال عن الحرب والقتال وقد امتلت الارض من القتلا وسيول الدماء وقد صار مثل غدران الماء هذا وقد انعزلت عساكر مكتوم وحمدون الملثمة والبربر وصار يقول تالله لقد كنت أشتهى من الله تعالى أن يرزقنى ولد مثل هذا الفارس مكتوم وكان يفتك اليوم فى طوائف الروم (ياساده) فعندها غضب سيف الحنيفيه وكان حاضر وقال لقد صدقوا الناس فيما قالوا وهو مثل يضرب زامر الحى لم يطرب وبنت الدار عورا وخبز البيت ماله طعم وأنا والله أنجب منه وأشجع وأقوى منه قلب عند الفزع فقال له الامير والله ياولدى ما أنت الا فارس نجيب نحرير ولجميع أبواب الحرب خبير وفارس نجيب ولكن ما من طامه ياولدى الا وفوقها طامه والفروسية لهذا الفارس خاصة ولسائر الناس عامة وانني أريد ياولدى أن يعطيك الله مثـــل نجابته ومثل فروسيته وشجاعتـــه حتى تقاتل فى سبيل الله بكل سبب ولقد أدركونا فى وقعة التعب

وكشفوا عنا الكرب وكانوا بعون الله لنجاتنا سبب فقال له سيف الحنيفية طب نفسا وقر عينا فهم ظالمين لك ولغيرك لأنهم يريدون الرشيد وأنت رجل دين وذو بأس شديد وما تتخلا عنه حتى تبلغ ماتريد ولابد لك من الموت ويفوت فيك الفوت (ياساده) فعند ذلك قالت الأميره ذات الهمه لسيف الحنيفيه ياولدى لاتمرد على أبيك وما يشتهى بذلك إلا يشجعك وينجيك وما أنت إلا فارس زمانك وتفوق فى الشجاعة على أقرانك لكننى رأيت اليوم من هذا الفارس ماقد أعجبنى وهو كأنه الأسد الضيغم ويشبه شمايل أبيك إذا حمل على الروم ونحر وعمل والله اليوم فى الروم عمل تعجز عنه العرب والعجم والفرسان ماتتفاضل على الفرسان إلا بصبرها فى مقام الضرب والطعان فلا تحرك وتكون على ابيك حردان فلما سمع سيف الحنيفيه ذلك غضب غضبا شديدا ولكنه كتم غيظه وشره ليبلغ مايرى ومكث ساعة ونهض من بين أيديهم فظنوا انه يريد حاجة له فركب واعتد بعدة خلاده وخرج هاجا على وجهه لما سمع من كلام أبيه وجدته وعصفت فى رأسه نخوته لما فضلوا مقدم الملثمة عليه بقوته وفروسيته وتم سائر فلم يرد رأسه حتى وصل إلى عسكر الروم فلما دخل العسكر قاموا اليه البطارقه وأربابه الحرب وسألوه عن حاله وقالوا له من أنت قال لهم أنا رجل رحيل مسلم أريد الملك فله معى نصيحة وأريد آخذ منه الأمان وأحدثه بماجرى وكان وأقاتل أعداه بين يديه وأبيد له الفرسان والأبطال والشجعان فعند ذلك ساروا به إلى عند الملك الدمشتق بن النلجى الوزير فلما وقعت عينه عليه أخذته الدهشة والتحيير وقد عرفه فوثب اليه قائما على قدميه وقال له بعد ما خدمه وسلم عليه كيف انك حتى زرتنا بعد ما انعزلت عنا فقال سيف الحنيفيه أنت تعلم ان أمى ميرونه بنت البترك فقال له نعم فهات مافى خاطرك وتكلم فقال له سيف الحنيفيه قد أتيت ارجع إلى دينى الذى كنت عليه وربيت فيه وما كنت عليه من الدين العتيق ومقال التحقيق فقال له الدمشتق وحق المسيح لقد أدخلت على قلبى مسرة عظيمه وفرحه جسيمه قال سيف الحنيفيه واضمن على نفسى للملك منويل إننى فى غداة غدا كفيه شر الأمير عبد الوهاب بلا تطويل وأبلى بنى كلاب بالويل الوبيل وأكفيه أيضاهم الملثمة وأقتل مقدمهم ومعه ألف قسمه على شرط انى أريد منه الانطاع والجاه والمال والبلاد والضياع (قال الراوى) وقد قيل الشاب من الجنون (ياساده) ولما ان سمع الدمشتق منه ذلك الخطاب فرح بتلك الأسباب وقام إلى الملك وأعاد عليه القصة ففرح الملك بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وكان عقبة حاضر فقال أيها الملك خذوه اليكم واخلعوا عليه واحسنوا اليه غاية الاحسان واعطوه كلما طلب من فضه وذهب لعله ان يكون لهلاك أبوه عبد الوهاب سبب أما قوله يرجع الى دينكم لأن أمى منكم فهذا شىء لايكون أبدا لكن أظن ان قدومه انا قد وقع بينه وبين

أبيه كلام وقد حملته نخوته على ذلك الحال والسلام وربما يكون سببا لقتلته من أبيه أو قتلة أبيه على يده ونبلغ بذلك غاية المراد والمرام وان قتل كان فتحا لكم وتكونوا فى ابهام وأما أنا فلا أقع فى عينه أبدا فانه كان يسقيني كأس الحمام ولو كنت فى حجر أكبر ملوك الزمان لأنه بطل نفيس لانه هو الذى فلق راسى ولولا المسيح كان أخمد أنفاسى لاجل تلك الشربة وان كان ماوقع بينه وبين أبيه خصام وكلام ما أكون عقبه وان هو دخل إلى الدين حقيقة فأنا أعمل معه ما أريد من حسن الطريقة وإن تم على دين الاسلام عملت على قتله قبل رجوعه إلى أصله واسقيته كاس الحمام (ياساده) فعند ذلك أمر الملك باحضاره فعند ذلك دخل الدمشتق على الملك منويل وسيف الحنيفيه كأنه الأسد النبيل ولما وقعت عين الملك منويل عليه أكرمه وتزعزع له وقربه منه وعظمه وكان لما نظره نشف ريقه فى فمه ثم ان الملك خلع على سيف الحنيفيه وقال له انت تكون عندى أعز من الولد ولك عندى البلاد والأقطاع أكثر من كل أحد وأعطيك ماأردت واشتهيت وأبلغك كلما تمنيت (اسادة) وبات على ذلك الحال إلى ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح واصطفت صفوف الروم وكذلك فرسان الأمير عبد الوهاب وعسكر مكتوم هـذا والأمير عبدالوهاب يظن ان ولده سيف الحنيفية معه فى العسكر اوفى بعض الخيام وماعنده علم بما جرت به الأحكام ولما اصطفت الصفوف وتعدلت الألوف برز بطريق من الروم وعلى جسده ثوب أطلس أحمر رومى قسطنطونى ملكى مدثر عليه صلبان من الذهب الاحمر يأخذ بالبصر وهو فى حلقه صليب من الجوهر يسوى ملك كسرى وعلى رأسه قلنسوة رومى من حجرة الشقائق وعليها بيضة عادية كأنها الفضة المجلية وصدرية زرد مضاعفة العدد كأنها عيون الجرد لا يعمل فيها الحسام المهند وهو على طرف يسبق الطرف ويجوز الوصف بكنبوش مكلل بشبكة لؤلؤ بفصوص من الياقوت الاحمر والزمرد الازرق وسرج من الذهب الاحمر يأخذ بالبصر وهو نزهة لمن نظر (ياساده) ولما نظروا المسلمون إلى ذلك الفارس ذهلوا منه وقالوا ماهذا إلا ملك ما رأينا مثله فى ملوك الروم (ياساده) وكان ذلك الفارس سيف الحنيفية وعليه حلقة الملك وتلك العدة والملبوس وهو صاحب طلعة بهيه فصار كأنه الشمس المضية (قال الراوى) وكان السبب فى خروج سيف الحنيفية ذلك القوم ان الملك منويل دعى به وقال يا ابن فارس الحجاز أريد منك تفرجنى على صنعة البراز فوحق الصليب ومن صلب عليه وراهب دير الابزار التلميـذ الذى يقرأ الانجيل مبين وإلا تنتف ذقن جدك البترك ودست بنعلى عليه وشيبته ولعنت والديه ان أنت أتيتنى بملك المالثمة أعطيتك من أبواب القسطنطونية إلى أحد أعمال ملطية

(ياساده) فلما سمع سيف الحنيفية ذلك خدم الملك وأراه الفرح والاستبشار وخرج إلى الميدان وهو كأنه الأسد الغضبان ولم يتعرض إلى عسكر الامير عبد الوهاب بل انه طلب عسكر الملثمه وهو فى تلك الزينة العظيمة والعزة الجثيمة ثم انه جال ومال وطلب البراز من الأبطال فهم الامير ظالم ان يخرج اليه فقال له البطال الزم ناموس المملكة ولا ترمى روحك فى المملكة ودع غيرك يخرج اليه ويقدم عليه حتى تعرف خصمك ان كان فيه من النجابة ما تخرج انت اليه فقال له صدقت ياعم لا لاقيت بؤسا ولا غم فعند ذلك خرج اليه فارس من البربر وكان فارسا معروف وبطلا موصوف يعد بألوف ولا يخاف من طعنات الرماح ولا ضربات السيوف وهو على جواد أبرس لا يغادره دهش ولا يلمه رعش كأنه بالذهب منقش وعليه شربوش مذركش من فوق غرته وعيناه كأنهما أعينان أرقم أو أسد قشعم وفى يده ثلاث حراب عدة لساعة القتال والضراب وانقض على سيف الحنيفية وتلقاه بشدة قلبه وفروسيته والأمير عبد الوهاب عجب من هذا الفارس الرومى ولم يعرفه إلا ان البربرى لما قرب من سيف الحنيفية ضربه بالحربة فخرجت من كفه كأنها الموت الحاضر والقضاء المبادر فلو وقعت فى سيف الحنيفية ما كان بعدها شم نسيم الدنيا لكن اختطفها من الهواء بكثرة ما أعطاه الله من الحيل والقوى وردها اليه رد خفيف ولو كان أراد قتله كان قتله لكن ضرب فرسه فى خاصرته خرجت من الجانب الآخر وانقض عليه قبل ان يقع الى الأرض واختطفه مثل ما يختطف الباشق العصفور فلم يبق أحد من الناس إلا وقد ذهل عقله وتحير من هذه الأمور ولما نظر الأمير عبد الوهاب قال هذا أشجع من الذى كنت البارحة فى حديثه ثم خرج إلى سيف الحنيفية ثانى مرة ثانى فارس من الملثمة يقال له دراع بن جوش أشجع من الاول وهو فارس بطل فحمل على سيف الحنيفية وفى يده صاعقة هندية وتلقاه سيف الحنيفية بقلب وشجاعة وفروسية وأخذ فى الطرد والهزل والجد ساعه زمانيه واختلف بينهما ضربتان تحير الانسان وكان السابق بالضربة المغربى الملثم وقد ضرب سيف الحنيفية فتلقاها بالدرقة فقسمت الدرقة نصفين فرماها من يده قطعتين ثم هجم على الملثم وعلقه من مراق بطنه أخذه أسير من سرجه ورجع به إلى الروم فعندها صلبوا الروم على وجوههم وقد كثر فرحهم وقال الامير عبد الوهاب أنظر إلى ذلك البطل الجسيم وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله ان هذا القتال ما رأيناه أبدا من الروم ولا رأينا من يفعل هذه الفعال لأن هذا قتال العرب ممن تقدم من قتال الجاهلية مثل عنترة بن شداد وسبيع بن حارث وعتبة بن شهاب اليربوعى (ياساده) فعند ذلك أقبل مكتوم على حمدون وقال إيش ترى يا أمير فى هذا الفارس النحرير الذى ليس له نظير فقال له حمدون ما بقى غير الخروج اليه والقدوم عليه لكن احفظ نفسك منه فما رأيت مثله ولا

عاينت عيني شكله فعند ذلك ندم أبو يخلف وقال لظالم يامولاى أنظر بين يديك فأنا والله خائف عليك لان هذا جبار من الجبابرة لايخاف فى الدنيا ولا فى الآخرة قال له ظالم والله لقد فكرتني بنفسك يابن العاهرة انت معنا ونحتاج إلى الفرسان المناتره اخرج اليه واكفينا شره وادفع عنا مكره وغدره فانى أراك معنا لاتقاتل ولاتناضل ماغير تأكل وترقد وهذه بئس الفعايل فقال أبو يخلف لا بالله يامولاى لاتحملنى مالا أطيق وتشمت بى العدو وتحزن الصديق فان كنت كرهت حياتى وتريد ان تقتلنى وتريد وفاتى فاقتلنى بسيفك ولاتترك هذا الجبار يجرنى بأزياقى والناس يسمعون صر اخى وزعاقى فما والله القتال والطعان من أخلاقى فقال ظالم والله لولا خوفى من المعيرة ويقولوا الناس الامير عملها على ابو يخلف وأخرجه إلى فارس ذوقوة وشجاعة ومقدرة ان تركت يخرج اليه غيرك ياقلب البهيمة فقال أبو يخلف والله يامولاى كنت تبقى عند الناس فى فضيحة عظيمة فعند ذلك ضحك الأمير ظالم من قوله

تم الجزء الثانى والعشرون ويليه الجزء الثالث والعشرون

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثالث والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وبعد ذلك برز ظالم الى سيف الحنيفية وهو راكب على جواد اسود وهو عليه مثل الاسد وعليه درع زرد مضاعف العدد لايعمل فيه الصارم المهند وعلى رأسه بيضة عادية مليحة مجلية كلها بالذهب مطلية وأعلاها توفرة من الذهب الاحمر فيها قص من الجوهر مكتوب عليها من فوقه ومن أسفل دوايرها بالفضة والذهب وقد صار فى زى عجيب ومكتوب على عصابة البيضة نصر من الله وفتح قريب (ياساده) ولما حمل ظالم على سيف الحنيفية تلقاه كما تلقا الارض العطشانة أوائل المطر وقد ذهل كل واحد منهما وتحير وكل واحد منهما ينهم كما ينهم الاسد والاسود إذا تصادمت مايدخل بينهما أحد فصاح عليه سيف الحنيفيه بالرومى فلا يدرى أحدا منهم مايقول الآخر لصاحبه بل حمل كل واحد منهما على صاحبه وقد احترز من وقع مضاربه ويريد قتله وبين الناس فعله فعندها قال أبو يخلاف وقوائمه ترتعد مثل السعفة فى يوم ريح عاصف والله مايصلح لقتال هذا الفارس الا هذا الفارس الشجيع العارف وأنا والله من النظر خائف (ياساده) وقد شخصت نحوهما الاحداق وطلع عليهما الغبار وضرب عليهما درواق وأخذوا فى الكر والفر والاخذ والرد والصد والكد والهزل والجد ومازالا على ذلك الحال وقد تعجبت منهما الابطال الى ان وقفت من تحتهما الخيل وقد صار النهار مثل الليل وجرى منهما العرق مثل السيل وقد قل منهما القوى والحيل (ياساده) والامير عبد الوهاب مع ذلك

على غاية الاعجاب وقد حار من تلك الامور والاسباب ثم قال للاميره ذات الهمة يا أماه أنظرى الى هذين الفارسين البطلين الذى لم تنظر مثلهما العين قالت له يا بنى وأنا متفكرة فى ذلك أما مكتوم أمير الملثمة فهو معروف بالشجاعة موصوف وأما هذا الفارس الذى من الروم فما ندرى من هو من الملوك فلا أقول ان فى هذا العالم جميعا مثل هذين الفارسين وما كانهما الا أقبلوا فى قالب واحد (ياساده) ثم ارتفع الغبار حتى حجبهم عن الابصار وبعد ساعة واذا بالغبار قد انقشع وانكشف وارتفع والفارسان قد اعتنقا على ظهور الخيل وتعاركا حتى لم يبق فيهما قوة ولا حيل ومازالا كذلك حتى وقعا عن الجوادين فعند ذلك صاح الامير مكتوم صيحة عظيمة أفزعت الخيل لها آذانها وخفقت قلوبها وتكرب شجعانها وهز سيف الحنيفية وشاله من على الارض وما عليه من العده والحديد وسار به على يديه وهو كانه البرج الشديد وهو لا يقدر ان يتخلص من يديه وهو قابض عليه (ياسادة) فجعل الامير عبد الوهاب يقول هذا هو الشجاع المعروف والبطل الموصوف والدليل على ذلك ان أصله نبيل وفعله جميل وماله فى الناس من مثيل (ياساده) ونظرت الروم الى ذلك فحملت وحمل ملك الروم متوبل فى كل بطل مشهور وفارس غيور ووصل الامير الى قومه وهو فرحان بما جرى له فى يومه وسلم اليهم سيف الحنيفية بعد ان دار كتافه وسلمه الى أبو يخلف وقال له احتفظ به فانه فارس عظيم وان أسلم هذا الرومى خليته واصطفيته لنفسى فقد لحقتنى الحنة عليه فما هو الا بطل من الابطال المعروفين والشجعان الموصوفين فقال أبو يخلف يامولاى أنا ما أقدر أحرسه وحدى بل خلى أحد يعاوننى عليه واربطلى يديه ورجليه وكلما أخذت أنت أسير وربطته لى أخذته منك بحرسته فضحك منه ظالم وقال لا اشمتك الله بعافية ثم انه وكل بسيف الحنيفية عشرة من البربر وعشرة من الملثمة وترك أبو يخلف معهم وقال له كن انت أمير القوم فى هذا اليوم لانك بطل معروف وشجاع موصوف وان ظالم تركه ورجع الى الحرب وموقف الطعن والضرب ولقد غرق عسكر الملثمة والبربر فى عسكر الروم لانهم كانوا مثل البحر الذاخر (ياساده) ولما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك أقبل على الاميرة ذات الهمة وقال لها ياأماه اعلمى لما حملت أمس على الروم وغيرها فى عندهم لم يقعدنا الامير مكتوم ولا يجوز لنا اننا نقعد عنه أيضا فقالت له هـذا هو الصواب (ياساده) ثم ان الامير عبدالوهاب حمل فى أبطال بنى كلاب والسودان الانجاب وطاب الطعان والضراب وحمل الحسام القرضاب ووقع الطعن خطأ وصواب وضاقت الامور والاسباب وأما الشجاع فانه قاتل قتال يشيب الشباب وتحير منه الالباب وقد زادت الاهوال الصعاب وطارت

الروس وقطعت الرقاب وجرى الدم مثل مايجرى الماء من السحاب وتراموا بالحراب والنشاب وترجلت السودان من على الخيل وأسقوا الروم شراب الويل وجرت الدما مثل السيل وقاتل كل شجاع وتيل وقل من الكفار القوى والحيل وصار النهار مثل الليل وجثوا من الزحام على الركب وبان الهمام وانتخب وأيقن الجبان بالعطب واستدت المذاهب عن الهرب ولم يرى الهارب إلى النجاة سبب هذا والامير ظالم قد خاض المعمعة وصار يرمى الفرسان ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وقد نظر بالقرب منه بطريق وهو مثل العتيق وعلى رأسه علم أخضر عليه صليب من الجوهر له حبال من الابريسم الاصفر وله أربع رجال من البطارقة كانهم من العمالقة شايلين تلك الحبال والملك منويل واقفا تحت العلم وأكابر البطارقة من حوله وجماعة من الخدم (ياساده) وان ظالم ظن ان الملك منويل هو الذى يحمل العلم فصاح عندها بجواده ثم انه قصد البطريق حامل العلم (ياساده) هذا وان الامير عبد الوهاب الآخر كأنه قد قال لاصحابه فى تلك الساعة اطلبوا بنا صاحب العلم الاخضر فاذا تنكست فى الحرب الاعلام كانت علامة الانكسار بين الانام وتنهزم الجيوش والعساكر ما يلحق الاول منها الآخر ثم ان الامير عبد الوهاب اخترق الصفوف ولوح القحوف وأدمى السواعد والكفوف وكذلك ظالم شق العسكر وهو كانه الاسد العطوف وان الاميران صار يخترقان العساكر وينثران الدساكر وكل واحد منهما كانه الاسد الكاسر وكانا الاثنان كانهما فرسى رهان وطلبا حامل العلم وحمل كل منهما عليه وقتلوا من كان حواليه وضربوه بالقضيب وقد أسقوه شراب العطب فعندها مال العلم واضطربت عساكر الروم وماجوا مثل البحر إذا التطم وقد أشرفوا على الانكسار وصاحت ملوك الروم زنهار وأحدقوا بالملك منويل وخافوا من شرب كاس الردى بعدان كشفوا رؤسهم وقاتلوا قتال تلين له صم الجبال وقد صبروا على الاهوال وقد صاحت بهم الرهبان والقساقسة فصبروا على القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد ومازالوا كذلك الى ان ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصل كل طائفة بعضها عن بعض وقد امتلت بالقتلا فسيح الارض وقد دخل ملك الروم الى آمد ودخلت معه جميع العساكر وعقله منه طائر وقد ضاقت الناس وقد خفقت منهم الانفاس ولم يكن للروم حديث الاحديث مكتوم أمير الملثمه عما رأوا منه من القوة والشجاعة (ياساده) ورجع الامير عبد الوهاب فى سادات بنى كلاب الى الخيام وهو يقول للاميره ذات الهمه والله ياأماه ماهذا المغربى الملثم المسمى بمكتوم إلا فارس مهول وما هو إلا فارس ضيغم وبطل قشعم فقالت الاميره والله ياولدى لقد كان ولدك ظالم مثله ويزيد فى القتال على فعله إلا

ان الزمان عاندك فيه ولو كان بالحياه لكنت ترتجيه وكذلك ان الله تعالى ابتلا الرشيد بهذا الأمر وان الله تعالى يكافئه ويكافيء ذلك الكلب عقبة الملعون السفيه فقال الامير عبد الوهاب وقد دمعت عيناه قد لقا الله الرشيد فعله بولدى وصاحبى فالله سبحانه وتعالى قادر أن يجمع بينى وبينهم قريب ولا يخيب ظنى (ياساده) ثم ان الامير عبدالوهاب قال اللاميره لقد أضرمتى نيرانى وهيجتى أحزانى ثم انه بكا وأن واشتكا وأنشد

يعود الى الاوطان كل غريب　　فظالم عنا غائبا غير راجع
فياليت شعرى هل يعود اجتماعنا　　فان فؤادى باللقا غير طامع
أياولدى هل أنت حيا فترتجى　　وهل خبر يشفى أنا فيه سامع .
وهل أنت فى قيد الحياة وسالما　　وقد كنت عنى للنوائب دافع
وكنت كروحى بل وعقلى وسوددى　　فيا ربما كن للمحبين جامع
فياليتنى قدمت قبلك سيدى　　فان فؤادى للقا غير طامع
ترى سالم فى الناس أم هوعاطب　　أم قد قطعوه بالسيوف القواطع

(قال الراوى) هذا جرى ههنا وأما الامير ظالم فانه عاد الى عسكره سالم غانم وقال على بالفارس الرومى فحمل سيف الحنيفية اليه وأوقف بين يديه فقال أبو محمد البطال اكشف وجهه وأوعده بكل جميل لعله يدخل فى دين الاسلام ويترك دينه فقال ظالم هذا مايعرف كلامى ولا أعرف كلامه فقال البطال أنا أعرف أكلمه بكلامه فلما زالوا البيضا عن رأسه وكشفوا وجهه مد البطال عينه وإذا به سيف الحنيفيه فقامت شعرات بدنه وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم نادى له سيف الحنيفية فالتفت فلم يعرفه لانه ملثم وان البطال أقبل على ظالم وقال له هذا أخوك سيف الحنيفية الذى كنت أحدثك عنه ففرح ظالم وقال ياأبو محمد هل نعرفه بأنفسنا فقال لا ولكن هاأنا قائم الى أمك القناصة فتفكر أنت له واعرف حديثه واسأله هل هو مسلم أم نصرانى فان كان نصرانى فاعلمنى حتى أدبر له شيء وان كان من أجل كلام قد جرى بينه وبين أبيه أومن الرشيد فارجع شده واجعله فى بعض الخيام حتى أقول لك ماتصنع ثم وثب البطال وأقبل ظالم على أخيه وقال له أمسلم أنت أم نصرانى فقال سيف الحنيفية بل مسلم موحد غير ملحد وأعلم ان الله واحد لاشريك له وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلائق وفضله ورفع قدره فقام صلى الله عليه وسلم فيما ندب له فتعجب ظالم من كلامه وقال له فاذا كنت مسلم لم أنت مع الروم وقد خرجت الى قتالى وأنت تعلم بانى مسلم فقال سيف الحنيفية اعلم أيها الاميرانى لاأستحسن الكذب وان الانسان لايكذب الا من مهانة نفسه والكذب

يسود الوجه والصحيح أنا عبد الله سيف الحنيفيه ابن الامير عبد الوهاب وانه لما رأى البارح قتالك قال مارأيت قط فارس أفرس منه فقلت له أنا أفرس منه فقال لى بل هو اكمل منك فى الفروسيه فغضبت من قوله وحملت منه ذلك على وجه المكايده فتركته الى أن انسدل الظلام وسرت الى ملك الروم وأخذت منه الزمام معولا على لقاك كيما أتم جاهى عند أبى ليعلم انى أشجع منك وأقوى وأفرس فلما كان منى ما كان رجع على شوم مخالفة أبى فظفرت بى فعجب ظالم من هذه القصه وقال لغلمانه وقد أظهر الغضب خذوه الى موضع كان فيه فلا بد لى ان أجمع بينه وبين أبيه فقال سيف الحنيفيه هيهات ماذلك الرجل مثلى فلا تتعرض له فان تعرضت له ماأملته بعيد فذلك منصور من الملك المجيد فقال ظالم يابن السوداسوف ترى من هو فى الحرب أجلد ثم رد سيف الحنيفيه موضعه فرجع البطال نخبره ظالم وحدثه بالحديث فتعجب من ذلك غاية العجب (قال الراوى) فهذا جرى ههنا وأما كلب الروم فانه جمع الملوك والرهابنه والقساقسه والبترك وقال على بعالم النصرانيه أبو الشرشو مدرس فحضر لوقته وقال على بالشيخ النجيح فحضر أيضا فاقبل الملك عليهما وقال اعلما انى وحق المسيح حامل هم عظيم من هذا الشيطان أمير الملثمه أعظم من عبد الوهاب ولو كان عرفنى لكان قصدنى وترك صاحب العلم وذبحنى بنا به كما يذبح الغنم وانى فى غد ماأخرج بل أتم فى عافيه فلعمرى ماأخذ هذا الفارس الكرار والبطال المغوار الذى هو ابن الاسود الا وهو فارس الارض فى الطول والعرض ولقد فقد فما فى العسكرين من يقوم مقامه ومافى الامر إلا أنا وشومدرس نلبس ثياب المسلمين ونأخذ فى هذا العسكر فإذا حصلنا فيه عملت أنا وشومدرس حيلة نأخذه بها لأن هذا مغربى أبلم ماعنده حيل وإن قدرنا على خلاص سيف الحنيفية فهو الذى نريد وإلا دبرنا على هلاك هذا الشيطان فقال شومدرس لو رحنا إلى آخر الدنيا بعد أن أهلك المسيح أبو محمد البطال فما نحن إلا سالمين أينما مضينا لأنه كان مثل الشيطان لايخلوا منه مكان هذا وعقبة لبس لبس أهل الشام وتعمم بعمامة خام وفعل شومدرس مثله وأخذوا معهما مايحتاجان اليه وخرجا من باب السرداب عند السحر طالبين عسكر الملثمة وعبروا من خلف الشط وعادوا على وادى الفل وعبروا على الجسر ودخلوا عند الصباح وقد ارتفع الصياح وجردت الصفاح وحملت الروم على الطائفتين ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل وقد تضايقت الأمور وجرى القدر المقدور وضجر البطل الصبور وخسفت الصدور وعمل الصارم الماحق فى المفارق ونزلت المرهفات فى العواتق ولبسوا من الدم ثيابا على لون الشقائق وان الأمير عبد الوهاب أقبل على الأميرة وقال لها ماتخلص الرشيد ونبلغ مانريد

الا بأخذ ملك الروم والا مانصل إلى المراد وتشمت بنا الاعادى والحساد فقالت له كيف السبيل إلى ذلك فقال لى والله لاخترقن العجاج ولاخوضن معرك الهياج وأضرب بسيفى فى الاعلاج لعل أن أصل اليه وآخذه فى المعمعة ثم انه أوصى السودان أن يتبعوه ويحاموا عنه ولما يريده الله تعالى كان ظالم أقبل على البطال وقال ياأبو محمد ترى القتال يطول ومن نقتل نحن فى هذه الخلائق كلها ولولم يقاتلونا فقال البطال لو قتل ملك الروم أو أسر لرأيت هذا الجمع قد كسر وبه كنا نأخذ البلد والرشيد ونصل إلى كلما نريد فقال الأمير ظالم لا تعرف هذا الامر إلا منى ثم إنه أوصى ألف فارس من الملثمة وألف من البربر وأمرهم أن يخترقون معه فى المعمعة فى طلب ملك الروم فإذا أخذوه يحامون عنه ففعلوا ذلك والأمير عبد الوهاب قد رتب خمسة آلاف فارس من بنى كلاب وخمسة آلاف فارس من السودان الانجاب فلما وقعت الوقعة نظر ظالم إلى ملك الروم فقصدوه والامير عبد الوهاب كذلك وقد انقضوا عليه الاميرين وهما مثل الشاهينين اذا انقضت من تحت السما تطلب صيدهما وسار كل واحد منهما مشرقا ومغربا وأوجعوا الناس طعنا وضربا فطحنوا الرجال طحن الحصيد وطرحوهم على الصعيد وكان الأمير أبو محمد قد وصف للامير ظالم وصف ملك الروم الملعون المذموم فطلبوه الأميرين وقد أحدقوا الرجال كل واحد منهما به إلا أن الأمير ظالم فى ألفين والأمير عبد الوهاب فى عشرة آلاف فارس ونظرت الروم والبطارقة والملوك والعمالقة إلى الملك منويل وقد طلبوه من كل مكان فتحامت اليه ملوك الروم وفرسانها وقاتلوا قتالا طويلا إلى أن زاد عليهم الأمر ونظروا إلى رجال مثل السباع يرون الموت مغنما والحياة مغرما (قال) فانقضوا على ملك الروم وصاح ظالم بالبربرى وقفز حتى وصل اليه وضرب بيده إلى جلباب درعه والملك قد انخذل ولم يدافع عن نفسه ونظر عبد الوهاب إلى ذلك فقال لقومه ياويلكم لنا أسوة بمن مضى وما يسوى مجيئنا ولا تعبنا وما عملنا شيء وإن أخذه هذا الشيطان فما نصل نحن إلى الرشيد وما نبلغ مانريد والروم قد رحلت عنا وما لنا إلا أننا نأخذه قهرا وأنا آخذه بيدى وأعارك عليه فاحملوا أنتم على أصحابه فقالت الأميرة ذات الهمة يابنى نعم مارأيت فصاح الأمير عبد الوهاب بجواده وأرمى روحه عليه ومد يده اليه وتعلق بجلباب درعه فصار الملعون فى قبضة إسرافيل وعزرائيل ونظرت الملثمة والبربر إلى ذلك فحملت تطلب أن تعين أميرها على ذلك فالتقتها بنى كلاب السودان الأنجاب وعلت منهم الضجات ووقفت الأصوات (قال الراوى) وولت الروم وتركت ملكها فى قبضة الأعداء وقد شربوا شراب الزاد وصار منويل ينادى ياقوم لا تقتلونى فان الرشيد لى فداء وان

الامير أبو محمد فى هذه النوبه قال للملثمه اعلموا ان الامير ظالم قد تكاثروا عليه الرجال هاهنا هيا ياأصحابى اطلبوا خلاص أميركم فحملت باقى الرجال فى اليمين والشمال واشتد القتال وخيل للناس أن الارض قلعت منها رؤس الجبال ولم يجد أحد لنفسه معين ولا ولا مجيرا ولا نصير وكان ذلك اليوم يوم عبوس قمطرير وحملوا الروم عليهم وقدزحفوا اليهم وصاروا الاميران يتماركان على القتال وحملوا أصحابهما على الروم حملة واحدة وعملت فيهم الصوارم وفلقت الجماجم ولم يزال السيف يعمل إلى وقت صلاة الظهر فانهزمت عساكر النصرانية ونصرت جيوش الاسلامية وكانت ساعة مضيه عملت فيها السيوف المندية والرماح المشرفيه هذا والأميران صار كل واحد منهما يجذبه من ناحية وقد أشرف على الهلاك وسوء الارتباك بما قد جرى عليه وعادت الملثمة عليهم وعلى بنى كلاب كلهم ونظرت الأميرة ذات الهمة إلى ذلك والحديد إذا وقع على الحديد طن فزعقت على المسلمين أن يعاودون عن بعضهم بعض وقالت ياسيدى مايرى هذا العمل شىء ولا يعقل أسر ملك الروم بهذا العمل المذموم فصرخت فى وسط الناس وقالت ياقوم نحن مسلمون وأنتم كذلك والله تعالى قد نهانا عن قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق وعندى رأى أن رأيتموه صواب فافعلوه ولا تخالفوه وإلا فالقتال بين أيديكم فقالوا لها وما ذلك فقالت أميرنا وأميركم قد قبضا على ملك الروم فأمروهما أن يسيباه من أيديهما وإلا هلك ويغيران لبسهما وخيلهما هذه الليلة إلى غداة غد ويخرج أميرنا وأميركم إن شئتم وإلا خرجت أنا عوضا عن أميرنا ونجول فى الميدان وموقف الضرب والطعان وتشهد قتالنا الابطال وجماعة الشجعان فأى من نصر على صاحبه أخذه وأخذ ملك الروم معه فقالوا هذا هو الصواب وكانت الطوائف قد ملت من الضراب وكان هذا الكلام عندهم أحلى من الجلاب وأقبلوا على الاميرين وقالوا لهما ماقد جرى من الاتفاق بين العسكرين فرضيا به وتخلوا عن ملك الروم واتفقا على القتال يكون فى غداة غد على أنهما يستريحان من التعب والنصب وربطوا ملك الروم بين الصفين ونزل كل واحد إلى جانب عسكره وقد وكلوا بملك الروم أربعين فارس من الأميرين من عبدالوهاب عشرين عشره من بنى كلاب وعشرة من السودان الأنجاب ومن جماعة ظالم عشره من الملثمة وعشرة من البربر (قال الراوى) وأما الروم فانهم دخلوا إلى آمد وقد لاقوا من القتال الشديد والحرب الأكيد وقد ورد على قلوبهم من أسر الملك مالا عين رأت ولا أذن سمعت وان الملوك من جميع الطوائف أقبلوا على بعضهم وقد أرادوا أن يرسلوا إلى ملك الملثمة ووزيره ويضمنوا لهم المال والنوال والخلع والمساعدة على مايطلبوه فإن كان قصدهم

الرشيد ونحن نبلغهم مايؤملوه و نعطيهم مايطلبوه و نرسل إلى عبدالوهاب و نقول له إن صح الملك منويل لكم فهو فداء الخليفة وإن لم تفعلوا ذلك وإلا الرشيد هالك فيفعلوا مايريدون (قال الراوى) فقال حرب بن شيبان إن هذا هو الصواب وان لم يفعلوا ذلك قتلنا الرشيد وما لهم عنه عوض وإن قتل الملك فللملك العرض وهو ميخائيل وهو أقوى وأبطش من الملك منويل وأقوى جنان وأقوى أركان وان كان قد فرظ من الملك الفرط لأنى أعلم ان الأمور قد تضايقت على دولة الرشيد وهو مطلوب من سائر البلاد والأماكن وقد بلغنا المراد ومسرة الفؤاد وأخذنا البلاد لأن ملك الملثمة مايقيم فى هذه الأرض ولا بد مايرجع إلى بلاده والرشيد ما بقى له دولة تسعفه وما كانت دولة عبدالوهاب إلا بأبو محمد البطال اللص المحتال الذى أراحنا المسيح منه وقد اكلت عظمه الكلاب وقد كان فى قلبي كيف أنه هلك ولا اشتفيت منه ولقد أظفرنى المسيح بولده الذى كان مع نورى واسمه مظلوم وما رأيت أفضح منه صورة وقد قتلته برأى الشيخ النجيح وكنت معولا على خطاب الملك أن يزوجنى بنورى فلما فرغ له قلب من هذا الحرب والآن فقدوا منى فى يد الأعـــداء والشيخ النجيح والراهب شومدرس من البارحة لم ندرى ماجرى لهم وقد بقينا فى حيرة فلا تهملوا أمر الملك فيهلك (ياسادة) فعندها أرسل الملك ميخائيل إلى ملك الملثمة وهو الملك مكتوم والأمير حمدون وذكروا لها ذلك فقال البطال ما أريد الا ذلك ان وقع فى قسمتنا فقال له ظالم طب نفسا وقر عينا فقد ردفت الفارس الذى يريد يبارزنى فى عدة قوم من العرب لينظرون غد منى ومنه العجب ومضى الرسول الى الأمير عبدالوهاب فقال لا كلام حتى ينكشف الظلام ويعطى الله النصر لمن يشاء لأنى أنا وملك الملثمة واحد وقد وقع بينى وبينه اتفاق أن ألتقى أنا وإياه فى حومة الميدان والأمر لله من قبل ومن بعد ولا بد لى ألتقى عسكر الروم والملثمة ويكون مايقضيه رب العالمين (قال الراوى) ورجع الرسول إلى آمد وأخبرهم بالقضية فهذا جرى لهؤلاء وأما عقبة وشومدرس فإنهما كانا مقيمين فى عسكر الأمير ظالم وعليهما الثياب كما وصفنا وانهما علما بما جرى على ملك الروم فقال عقبة لشومدرس هذا شىء لم يكن لنا فى حساب وقال شومدرس لعقبة ما الذى ترى ياقاضى فى هذه النوبة الذى قد عميت علينا المذاهب وما أدرى من أين أتى هذا الشيطان إلى هذا المكان والا كنا فرغنا من عبدالوهاب وعسكر الرشيد وإن الرشيد قد أخذناه والبلد قد ملكناه وكنا قد أخذنا الأرض فى الطول والعرض فقال شومدرس دعنا الساعة من حديث كان وفات وخذ فيما هو آت ولعلنا ندبر فى أمر الملثمه فقال عقبة وما أن يكون غير الذى خرجنا الى قصده وهذا

ملك الملثمة لو قعدنا بين يديه ما عرفنا ولا معه أحد فى عسكره يعرفنا وأنا أعمل فيه قصيدة وأمدحه بها وأقول أنا شاعر من أرض الشط وقد تركت أهلى وقد جئت الى عندك ألتمس فضلك ورفدك وأحدثه وأساهره وأداهنه وان قدرت على سرقته سرقته وان لم يكن ذلك ولم نقدر على سرقته تسببت فى سقيته هو ومن عنده حاضر حتى أسقيهم الجميع الى ان نهلكهم بتلك السقيه وترى هذه الجيوش غدا قد تفرقت كلها فقال شومدرس هذا هو الصواب فأى وقت تعمل فيه المدح فقال له فى ساعتى هذه فقال اعلم ان الملك منوعل مايبات الليلة فى العسكر وانما هو فى وسط الطائفتين فهل لك ان نمضى اليه لعل المسيح أن يسهل لنا خلاصه على يدينا ونستريح من هذا كله فقال عقبه اعلم ان جماعة ما فيهم الامن يرضى مثل مايعرف الطفل الصغير ثدى أمه (قال الراوى) فلما سمع شومدرس ذلك قال له اصبر حتى أمضى الى آمد ثم قصد الى باب من أبوابها ففتح له الباب ودخل الى البلد وقصد إلى الحمام وصبغ نفسه أسود مثل الليل الدامس وقد حكى ان كل صورة كانت من عمل الروم كانت من عمل شومدرس لانه كان صانعا فى التذويق وعمل الصباغ ثم خرج من آمد وأوصى حرب بن شيبان مايصنع وسار حتى وصل إلى الموضع الذى ترك فيه عقبه فوجده على غاية من الخوف فلما نظر عقبة إلى شومدرس فزع وخاف أن يكون من سودان عبد الوهاب وقد وصل اليه ولم يعلمه انه شومدرس فهم عقبة ان يهرب فصاح به شومدرس لا بأس عليك أيها الشيخ النجيح أنا شومدرس فقال ويحك مايقدر على هذه الفعال الا المسيح فهلى ماذا عولت فقال امضى إلى عند الملك لعلى ان أخلصه وأنت معى فقال عقبه ماأقدر على هذا ولو رحت معك لانفسد النظام ولكن خذ هذا معك وناوله قرطاس فيه شىء مدقوق وقال له إذا تقدر على أمر من الأمور فضع هذا فى الماء الذى يشربون منه فهو يقضى عليهم ان كانوا قليلا أو كثيرا فانا قد عملت نوبتى وأخذت آمد وقتلت ولد البطال فقال شومدرس سوف ترى ماأصنع ثم مضى شومدرس حتى قرب من موضع الملك فخشى أن ينكروا أمره فقصد إلى عين البترك وهى قريبة منهم فقعد هناك لحظة وإذا ببعض سودان عبد الوهاب الموكلين بالملك قد أتى ومعه قربة يريد أن يملاها ماء فوثب شومدرس وجعل يسبح الله ويورى بأنه يتوضأ للصلاة وهو مشمر عن ذراعيه فقال له الاسود ماالذى تصنع ههنا فقال أجدد الوضوء فنظر اليه ولم ينكره وظن انه من بعض سودان القناصه فملا القربة فقال له شومدرس خلى عنك وضرب بيده إلى القربة ملاها وبرك تحتها ورفعها على كتفه فشكره الأسود على ذلك وسار معه إلى ان أشرف على أصحابه فطرح الماء بين أيديهم وكانوا عطاشا مما لاقوا لجلس موليا بوجهه عنهم وقد ترك ذلك السم الذى أعطاه له عقبه فى القربة وقد مخضها فى مشيه فدب ذلك السم فى جميع مائها

(قال) فشربت بنى كلاب والسودان والملثمه والبربر فماتوا عن بكرة أبيهم ولم يبق من الكل الاخير المكى فانه كان قدشرب من المعين فما كانت إلا ساعة حتى نزلت لحومهم عن العظام وكان خير المكى قد نام (قال) وكان شومدرس نظر الى الحركات وقد هدأت فعلم أن الشربة قدعملت فوثب إلى سيف لبعض الراقدين فأخذه وحرك بعضهم فلم يتحرك ثم ان شومدرس دنا من ملك الروم وحمله على كتفه وسار به إلى أن وصل إلى عندعقبة وهومثل الوالهة الشكلا وانه لما أشرف عليه فرح به غاية الفرح وقال له لقد فزت فى هذه الليلة فما الذى ترى من الرأى الآن فقال عقبة لو قدرنا على ملك الملثمه لما كان يبقى لنا هم فقال شومدرس يكون من عجائب الزمان ولكن اصبر على حتى أقرب من باب السرفان حرب ابن شيبان ينتظرنى هناك وأعود اليك كيما ندبر فى ذلك فقال عقبة يمضى الليل ويفوت الوقت ولكن تعالى معى ثم أخذه وسار به إلى مغارة بالبعد عن العسكر وطرح الملك فيها وساروا حتى وصلوا إلى عسكر مكتوم فوجده وهوجالس لاينام (ياساده) وهذا مذهب العرب إذا كانوا فى قتال أو نزال مايعسون إلى نصف الليل وينامون عند السحر وان عقبة أقبل على شومدرس وقال له إذالم تقدر عليه اقتله كما قتلت الموكلين به وجعلا يفرقان الناس حتى وصلا إلى ظالم والناس من حوله وكان زمان العنب وقدجاءته أثمار من الكرم الذى حول البلد وهوبين يدى الجماعة يأكلون والبطال الى جانب ظالم فى الدست وعقبة دخل وشومدرس معه ونادى عقبة أنعم الله مساك أيها العالى النسب الشريف الحسب الذى قد فاق العجم والعرب أشرقت بك الديار وطاب المزار فأنت فارس الاقطار ومبيد الأشرار وباذل الدرهم والدينار فأنت معدن الكرم والشرف فارحم شيخا غدر به الزمان ورماه بطوارق الحدثان وضعف بصره وأتلفه الكبر وقل ناصره وجفته عشائره وزوجته وولده لماقل مافى يده فخرجت أقطع المعاقل واخترقت المسالك أرجو سؤالك وأؤمل أفضالك فأنت والله قادر على جبر عظمى الكسير وتجير المستجير وانشأ يقول

أهلى وأصحابى جفونى عندما رأونى قد قلت لدى الدراهم
ولم يبق ذافضل من الناس يرتجى لعمرى لامن عربها والاعاجم
قصدت الى مكتوم الذى شاع ذكره سخى وفى كامل العقل حازم
أمير حليف الجود والخير والندا فتى فعله للخير والجود دائم
له منظر كالشمس يزهو لانه كريم رحيم مصطفى للعظائم
فأهديت نفسى بالمودة قاصدا اليه لان يديه غيث المكارم

فيغرق من نعماه ماهو أهله ويأتيه شكرا بالمكافاة حاتم
خذ بيدى ياابن الكرام لانى رأيتك بحرا موجه متلاطم

(قال الراوى) فلما سمع الامير ظالم شعره أقبل على البطال وقال له لقد أحسن هذا الرجل فيما قال وقد عولت على انى أعطيه ألف دينار فانه رجل فقير نجبر بها كسره ونقيم بها ظهره فقال له البطال ألا تعرف هذا الشيخ قال لا والله الا أنه كبير السن مسكين فقال البطال والله لولا انى عندك لكنت من الهالكين فى هذه الليله وأما قولك عن هذا انه مسكين فهو والله يستحق الفرم بألف سكين هذا مخرب الحصون وقاتل الآباء ومهلك البنون هذا عقبة الملعون المفتون هذا شيخ الضلال وأبو الاهوال ونظر البطال الى الاسود الذى الى جانبه فصاح بالبربرى أحسنت ياخبيث الدهر هذا أبو الشر شومدرس خذوهما فقد أمكنت الفرصة منهما فصاح ظالم عند ذلك برجاله فقبضوا على الشيخين هذا وعقبة حائر لايدرى كيف هذه النوبة جرت وقد سمع البطال وهو يتحدث فلم يفهم ماقالوه ثم ان ظالم أمر الناس أن يتفرقوا الى مضاجعهم فلما خلا البطال بعقبة وشومدرس قال له ياملعون ياخبيث من أشار على حرب بن شيبان بقتل الاطفال الدين ماجرت عليهم أحكام الاقلام فهذا جزاء من ظلم ولكن من يذبح الاشبال يكون آمن من الاسد الريبال وكشف النقاب عند فد عقبة عينه الصحيحه وكان قد أنكر الصوت وقال كانى أعرف صاحب هذه النغمه لاجعل المسح فيها بركه ثم انه حقق ببصره واذا به أبو محمد البطال فغاب عقل عقبة عند ذلك وأيقن بالموت والفنا فقال البطال ويلك ياملعون اعلم ان الاولاد كثير ولكن العمر قصير فوالله مافى قلبى حسرة الا انى مارأيته فقال عقبة وحق المسيح أنا ماأمرت بذبحه وما فعل ذلك الا حرب بن شيبان طمعا فى نورى حتى لايبقى لها قلب مائل الى دين الاسلام ثم أقبل عقبة وقد كذب نفسه فى مكتوم وقال متى البطال اتصل الى هذا الامير لكن ما أخرجه الى هذه الديار غيره وأقبل على ظالم يستجير به فقال له يا كلب من حيلتك دخلنا الى تلك الديار وذمة العرب لاسقينك شراب العطب وماجعل الله تعرضك لى الا لموتك سبب وأقبل البطال عليه وقال له اكشف عن وجهك فهو يحب النظر اليك فكشف ظالم عن وجهه فعرفه عقبة فانفطرت مرارته

(ياساده) ثم ان البطال وثب الى شومدرس وبطحه وضربه حتى نزل لحمه عن عظمه وقال أقسم قسما ان ماقعدتم عنا من أول الليل الا وقد فعلتم مصيبة أعظم من هذه وان لم تحدثونى عن القصه كلها وتخبرونى بخبر غلمانى فلا بدلى مما أتم باقى عمركم فى هذه الليله فقال شومدرس وقد أشرف على الموت من كثرة الضرب أما غلمانك فهم محبوسين فى

القسطنطينيه من تحت رأس هذا وأما حديثك الليله فانى ماأحدثك به حتى تحلف لى أنك ماتعود تضربنى فقد أشرفت على الموت فقال البطال وحق الله ماأضربك فى هذه الليله فأخبره بالقصة على جليتها وأخبره ان الملك فى تلك المغاره وان أصحابه كلهم هلكوا فقال أبو يخلف وكان حاضر وسامع الكلام بعدان تم عندهم ماتم الا الخير وماأنا رجل مسعود ان لم توكلنى على أحد (قال) ومضى البطال وبعض رجاله معه وأتى بملك الروم فعجب ظالم من شومدرس كيف انه أسود فقال له البطال هذه صنعة قد صبغ بها جلده ولو انى رأيته هكذا مرار عده لما عرفته (قال الراوى) وقرب الفجر وأنفذ الامير عبد الوهاب يفتقد الموكلين فوجد الكل على حالة العطب ولم يبق لهم الى النجاة سبب فعظم ذلك عليه وكبر لديه وضاقت عليه الارض بمارحبت لان آمد قد أخذت وفيها أهله وماله وحريمه وحريم بنى كلاب والسودان وأموالهم وفقد القناصه فلا يعلم ان كان هى قتلت أو أسرت أو طلبت الحجاز وفقد سيف الحنيفية فزاد همه وقال لامه ذات الهمه انى أخاف على سيف الحنيفية يحمله جهله على ما لم يكن فى الحساب فقالت الاميره ذات الهمة ياولدى اعلم ان جميع الاسباب بيد الكريم التواب الذى خلق آدم من تراب فهو الذى يفرج عنا الامور الصعاب فسلم الامر اليه من غير ندم فلا اعتراض عليه بما حكم ثم انه أرسل الى مكتوم يعرفه بهذا الخبر (قال الراوى) فوصل الرسول اليه وقص القصه عليه فقال الامير ظالم الرسول اعلم ياقتى ان ملك الروم ان سلم اليوم فايسلم غدا ونحن لا بد لنا منه ومن الرشيد ومن خالفنا على مايريد طرحناه على الصعيد فارجع أنت الى الامير عبد الوهاب وقل له عن لسانى لولا أنت ما كان كلب الروم هرب ولا وجد الى الخلاص سبب فارحل الآن عن البلد ودعنا نحاصره حتى نأخذه والا رجعنا اليك وفرغنا منك ومن كل من معك ونعود الى قتال الروم فما نحن مثل رجال البطارقة ولا نفزع من الرماح الخارقة ولا السيوف البارقة وان كنت لا ترحل فابشر بقرب الأجل فانه يأتيك على عجل فلما وصلت رسالة ظالم الى عبد الوهاب تهلل جبينه عرقا واحمرت عيناه حنقا وأقبل على ذات الهمة وقال لها من أنا فقالت أنت الامير عبد الوهاب بن الحارث بن ظالم بن الصحصاح ابن جندبه الكلابى فقال لها حفيت عن القوم ان لم أرمى روحى على هؤلاء الاقوام وأفنيهم بالحسام ومع ذلك فإن هذا الى حلال لانهم يريدون قتل الرشيد حوارج وان كان القوم شجعان فما فيهم من هو عندى رجل الا أن يكون الفارس المقدم على الملثمة مكتوم وسوف أصبحه صباحا ميشوم ويعلم انى وان كانت دعتنى الامور الموجبة للهموم ضيغم هجوم على قتالهم وقتال الروم وصاح فى بنى كلاب فركبت عن بكرة أبيهم والسودان

تقيهما وقال لهم الامير ويلكم أين النجابه المعروفه ويلكم ان الملثمة عليكم أشد من الروم فدونكم واياهم فقد نلقاهم فقالت له أمه يابنى على مهلك فان العجلة من الشيطان والحلم له فضيلة عن ماسواه ودعنى أرسل اليهم بما أريد فإن أجابوا والا فالقتال بين يديك ثم أرسلت الى مكتوم تقول له أما بعد فإن العاقل اللبيب من نظر بين يديه ولم يفعل فعل تعيب الناس فيه عليه وقد أرسلت الينا تقول ارحلوا وعلى قتال البلد والروم لاتعولوا وهذا من علامة الجهل والكبرياء لانه ماعليك منا نحن ان لم نكن لك ما نكون عليك ولا تظن ان بقيت وحدك يكون لك طاقة بالروم وانما أنت من ذلك على الحالتين اما ان تنصر عليهم أو ينصروا عليك فتكون مقهورا ولو رأيناك على تلك الحالة لكان فينا من المروءة والدين ان لانقعد عنك ولا عن قتال ملك الروم ولاتحسب أن القتال يبقى على حالة واحدة (قال الراوى) ثم ان الاميره أحمت كلامها وقالت فى آخر كلامها ولا سبيل لنا الى الرحيل لان حريمنا فى البلد ولا نرحل عن حريمنا أبدا ولكن اذا كان ولا بد ازجف اليه أنت عشرة أيام ونحن عشرة أيام لان الموضع منيع ومن رزقه الله فتحه كان له وان أبيت وبقيت على ما أنت عليه فوحق صاحب البرده والقضيب والبغلة والنجيب والحوض المورود واللواء المعقود الذى بعثه الله من أعلا قريش فرعا وأكرمهم سوددا ونبعا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ابليك هذا اليوم برجال من أكارم العرب تقطع سيوفهم المفاصل والركب ولا يخشون من العطب ولا لهم فى غير القتال أرب فاجعلك كامس لم يكن وألحقك بمن سلف من القرون الماضية ثم بعد ذلك أقطع رأس حمدون وقد أعذر من أنذر وانصف من حذر فلما وصل ذلك الكلام الى الامير ظالم لاح فى وجهه الغضب فقال له البطال ماذا عولت فقال على أنى ألقاه وأعلمه على أنى قادر على لقاه وإنه قاصر عما قال وانه يطمع نفسه فى المحال فقال البطال اعلم ياظالم أنه فارس دهره ونتيجة عصره وأنت فما الشجاعة التى فيك إلا من بعض نجابته والرأى عندى أن تجيبهم إلى قتال البلد فان الموضع حصين لايصل اليه أحد بقتال ولا يكاد أن تعمل فيه حيلة محتال فلما سمع ظالم من البطال ذلك المقال قال له وقد عمل معه الغضب يا بطال أرى هذا الامر قد طال وأنت تقول ان مابك للقا أبوك لانه بطل الأبطال وأنا لا بد أن أريك وأخرج الساعة اليه وآخذه قبضا كما كنت تقول لى عن سيف الحنيفية أنه مثلى فى الشجاعة والقوة والبراعة وكم جهد عبدالوهاب أن يفعل وبالأمس قد أخذته فى أرض الحجاز فقال البطال ماأخذته قهرا وانما انفتق عليه الجرح الذى كان فى بطنه ولاتظن أن سيف الحنيفية شجاع فهو جزء من أجزاء عبد الوهاب كما ان عبدالوهاب جزء من أجزاء

ذات الهمة فى الشجاعة واعلم ياظالم أنه ليس لها فى المشرق ولا فى المغرب مثيل ولا ثالث وهما حائزين ثلاث خصال أولها الكرم المفرط والثانى الدين والثالث الفروسة البالغة والجهاد فى طاعة رب العباد والله ياظالم إنى مشتاق لهما وزاد بى الشوق اليهما فقال ظالم والله وكذلك أنا ولكن لابد لى من بروزى له ثم أمر عسكره بالركوب فركبوا واصطفوا صفوف واشتهرت السيوف وعلمت الاميرة أنه عول على القتال فقالت لولدها وقد لاح الغضب فى وجهها اعلم أن القوم قد عولوا على قتالنا وما فى الأمر الا أننا نصنع بهم كما صنعنا بالروم وتحمل انت بطلب مكتوم أمير الملثمة وأنا أضرب حمدون بسيفى (قال الراوى) ووصل رسول ميخائيل إلى عبد الوهاب يقول ما الذى عملتم فى أمر الملك منويل فانه قد حصل للملثمة فعاونونا على خلاصه ونحن نطلق الك أهلك فلما سمع الأمير ذلك عظم عليه وكبر لديه وسأل الرسول عن الملك فأخبره بحاله فقال والله ماعندنا من هذا خبر وقال ملك الروم لنا رجلان قد خرجا فى طلب خلاصه وأنهما للذين فعلا هذا ورجع الرسول إلى ميخائيل مسرور واخبره بالحال فقال وحق المسيح لقد فعلا فعلا مليح واتن تم هذا الامر ليكونن أعجوبة للناس وماهما الا قد خلصاه وقتلا الموكلين الذين باتوا احداه وماقدروا على الوصول الى آمد وقد نزعوا من الطلب وخافوا فوات بلوغ الارب هذا وقد وصل جاسوس عبد الوهاب وقال يامولاى عندى حديث عجيب قال له وما ذلك قال دخلت إلى عسكر هؤلاء الملثمة عند الفجر فمرت ببعض المضارب فسمعت أنين شديد فلما جاء الصباح نظرت فى المضرب وإذا فيه عقبة وشومدرس والملك منويل فى القيود الثقال وهم فى أسوأ الأحوال من السلاسل والاغلال فقال الامير والله هذا أمر عجيب ولقد بلغ مكتوم هذا غاية الارب وظفر بالطلب والآن فقد طاب قتاله وحربه ونزاله وها أنا خارج الى برازه فاذا أخذته أخذت منه الملك منويل وعقبة وشومدرس وبهم آخذ آمد ان شاء الله تعالى ثم ان الامير حدث الاميره بذلك فقالت والله هذا رجل مسعود وانى خائفة من مكر عقبه لان هذا رجل غريب مايعرف حيلة ولايخبر عمله ولو انه يموت يعمل على خلاص نفسه ومابنا ان يعمل على مكتوم وان بنا ان يهرب هذا الملعون وشومدرس ويخلص الملك منويل فقال الامير اليوم أكشف هذه النوبة فخرج الامير عبد الوهاب كانه أسد الغاب على جواد مليح يساوى فى جريانه الريح (قال الراوى) وعليه درع مانع وفى كفه حسام قاطع يفنى ويفرى الدرع المانع ويقطع البيض اللوامع وجال الامير عبد الوهاب بين الصفين وحمل على عسكر مكتوم وقال دونكم والبراز حتى تروا الشجاع الجليل من الجبان الذليل وكان ظالم الى قتاله أشوق فحمل الامير ظالم وهو على جواد

سابق بلون رايق يسبق البرق البارق ويفوت الطرف الوامق له صهيل مثل الرعد الخافق وفى يده صارم ماحق ورمح خارق فلما رآه الامير عبدالوهاب صاح فيه وزعق عليه وحمل وهو ينشد ويقول

ستعلم يامكتوم انى همامها ⁂ وانى عدت مثل صيد هوامها
أنا فارس الهيجا إذا قارنتها ⁂ ان اظلمت أقطارها من قتالها
فان رمت ان تحظى وتبقى مسلما ⁂ والا بقيت اليوم طعم رخامها
هلم الينا عقبة مع رفيقه ⁂ وسلم الينا خلقها مع شبابها
ومصر ومن فيها وعد فى مذلة ⁂ الى أرض أقصى الغرب وانى تمامها
وإلا وبيت الله أضربك ضربة ⁂ معودة تسقى النفوس حمامها

(قال الراوى) فأراد ظالم أن يجيبه على شعره فخاف أن يعرفه فحمل عليه وهو ساكت عن جوابه وتجاولا طويلا وذات الهمه قدأشرفت وقد اشتهرت تباشر الحرب وموقف الطعن والضرب وقصدت الى عسكر البربر وقصدت الى الامير حمدون وقالت له دونك والبراز فامتنع البطال عن جوابها فصاحت به ويلك دونك والبراز وحملت عليه وشدت اليه السنان فعلم أبو محمد أنه لا بدلها منه ولو خرقت الصفوف فى طلبة وان اهمل أمرها قتلته فاحترز لنفسه وقال لقد اشتهيت ان أجرب روحى مع الشجعان فى ساحه الميدان ثم انه حمل على ذات الهمة وطلع الغبار على الاربع فوارس وانهدم الغبار مثل الليل الدامس وسمع الناس وقع الصوارم على الجماجم وتطاولت الأعناق وشخصت الاحداق

(قال الراوى) هذا وعبدالوهاب فانه رأى من ظالم مالم يرمن غيره وقد حرص فى قتاله واحترص حرصا ماحرصه من غيره ولا لأحد اسواه وانهما لما تصادما فكانا مثل جبلين اصطدما أو بحرين التطما وحرص كل واحد منهما أن يأخذ صاحبه أسير فلم يقدر على ذلك ورميا السيوف من أيديهما وتقابضا على ظهر الخيـــل وتعاركا وتماحكا وكلا من تحتهما الجوادين ووقعا من تحتهما الى الارض ثم ان ظالم دخل بين رجلين الأمير عبد الوهاب يطلب ان يشيله فضم الامير عليه رجليه فلم يقدر ظالم لن يخلص من بين رجليه ولما عرف الامير انه كاد أن يقضى عليه رفعه على يده ورماه على الارض وقعد على صدره وكشف اللثام عن وجهه لينظر ان هو شاب أو كهل واذا به الامير ظالم فصاح ظالم فقال نعم فكاد الامير ان يغشى عليه فقالت الاميره ياعبدالوهاب اتى الى وكانت الأميره قد أخذت أبو محمد البطال أسرع من البرق وهمت بقتله ثم أمسكت وقالت ماأدرى مايكون من ولدى مع خصمه ثم انها كشفت عن وجهه وإذا به أبو محمد البطال فقالت سبحان الله كانك حمـــدون المحتال

أبو محمد البطال فقال وأنا البطال ولما سمعت الأميره ذلك صرخت ووقعت عليه وقالت الحمد لله الذى جمعنا بعد الاياس وأما الأمير عبد الوهاب كاد أن يطير فرحا ونزل عن ولده وعقله قد غاب من عظم فرحه وقال الحمد لله الذى جمع الشمل بعد الاياس فلقد من الله بما لم يكن فى الحساب وانه سبحانه وتعالى له علينا من الفوائد مثل هـذه العادة الحميدة والايادى الجزيله ما لم يقع عليه أحصى بعدد الرمل والحصا وأقبلت الأميرة على أبو محمد وقالت له الحمد لله على سلامتك أيها الأمير فأنت حيث ما كنت كان السرور والاقبال ولا نسأل على ماجرى علينا لفراقكما وبعد هذا فلا تصف ماتم علينا من الملعون عقبة وان غلمانك لؤلؤ وجوهر وسبك ويانس وبديع وأبو الليل مالهم خبر وماهم الا هلكوا من يدعقبة وهو الذى دمر على آمد حتى خرجت من أيدينا فقال أبو محمد هذا أمر سهل بعدان من الله بهذا الاجتماع ولقد رأيت من هذا الامير ظالم من الشجاعة والبراعة وحسن الرأى والكرم والعبادة ما لامزيد عليه ومع ذلك فأنا فتح لكم آمد فى هذه الايام وأما عقبة فقد أمكن الله منه على وجه اذ لا يكون للامير عبد الوهاب فيه حكم فى هذه اذا فتحنا البلد ويكون صلبه على باب آمد ونخلى عنا هذا التمادى فقد أفنا الاسلام وعمل ماقد غضب منه الملك العلام وشتتنا فى القيافى والقفار وغرقنا فى البحار ولولا ماقضاه الرحمن من عودتنا الى هذه الديار لكنا وقعنا فى بحر من الغرب ماله قرار فقالت ذات الهمه ياأبو محمد احضر الملعون وكلما تطلبه سوف يكون فعند ذلك أمر الباطل البربر ان يأتوا بالملك منويل والراهب شومدرس وعقبة وكان البطال فى الطريق يحدث البربر بأحاديث عقبة وحيله وكفره وغدره فبقوا على غاية الحنق والقلق عليه ومافيهم الا من كان يتمنا ان يشرب دمه لما قد نطق البطال من حديثه فى حق عقبة فلما قال لهم ائتونى به بعدان تشبعوه ضربا فقالوا سمعا وطاعة وتصايحت البربر ورجعت الى عقبة فوجدوه هو وشومدرس يتلاومون وشومدرس يقول له وحق المسيح ان حصل مصيبة تجرى لنا من تحت رأسك وما وقعنا فى الشدائد الا من أجلك والا نحن كنا قد خلصنا الملك منويل وقد قتلنا الرجال المؤمنين الموكلين الاربعين ورجعنا سالمين غانمين والى ماأملنا واصلين الا انك قلت لابد مما آخذ الامير مكتوم حتى أوقعتنا فى هذا الامر الميشوم فقال عقبة ماعلمت ان هذا القرنان البطال قد رجع مغربى ملثم وما هو الا ابليس فى أى صورة أراد خرج فيها وانظر الى صبره عن عبد الوهاب وأنا أعلم ان فى قلبه فى هذه النوبة امر عظيم من قتل ولده وماأظن الحرارة تقع الا فى رأسى وفى هذه

السنة يكون قتلي فلا تحسب لي بعدها حساب ومابي الا أموت ودين الاسلام باقي لاني فنيت المسلمين بيدي وتدبيري مايحصى بعدد الرمل والحصى وكنت السبب في فناء خلق كثير فكم امرأة قدهتكت وكم طفل قد ذبحت وكم بيت قد خربت وكم رجل عن بيته في الاسر قدغربت وكم خليفة بعقله قدلعبت وبعد هذا ياشومدرس اشهد ان المسيح غافل عن دين النصرانية ولاشك انه قدصبا الى دين الحنيفيه واشهد على عقبة ان خلاص من هذه النوبة طلب أرض اليهود واعتقد في العزير كما يعتقد في المسيح وأطلب منه النصرة على هؤلاء القوم الذين أقاموا شرائع الاسلام وأفنوا الروم بالحسام وقد عزلهم طلبي وصلبي في هذه النوبة (ياساده) فهو في الهذيان هو وشومدرس والبربر دخلوا عليهم من كل مكان ولطموا عقبة حتى سال الدما من منخريه وشخصت عينيه وربطوا يديه الى رجليه حتى ظنوا انه قد قضى عليه وأقبلوا الى شومدرس وأوثقوا يديه ولطموه حتى أفاق عقبة على صياحه فسمع شومدرس وهو يقول هذا جرى علينا ممن كفروا اليوم بهذا الدين وأنا أسمع منه فأبلانا المسيح بهذه البلية فلم ينقطع عقبة عن الجواب على ماهو فيه من العذاب بل قال ويلك ياشومدرس ان المسيح من هذه القوم يفزع قال فحملوا الكل هذا والملك منويل في غمرات الموت بما جرى عليه من مجاذبة الاميرين فلما مثلوا بين يدى الامير عبد الوهاب ونظر الى عقبة على ذلك الحال قال له والله ياملعون ان كان لابدلى من صلبك ثم وثب عليه ولم يزال يضربه حتى قيل انه أعطبه واندار على شومدرس فما كان أيشمه يوم على الاثنين وعاد الراهب شومدرس على عقبة بالملامة وأقبل الامير عبد الوهاب على الملك منويل وقال له ياعدو الله ما كان بيني وبينك هدنة فلم غدرت وجمعت هذه العساكر على قتالي واستكثرت أما علمت ان الله تعالى لايخفى عليه كفرك ولا يعطيك ماتطمع فيه من غدرك ثم انه وثب اليه وهم ان يعلوه بالسيف فصاح الملك منويل لاتفعل يامسلم فما لنا في هذه النوبة لاكثير ولا قليل ولا أخرجنا اليكم الا كتاب خليفتكم وقال لي ان لم تفعل والاسرت اليك وأخربت بلادك وقتلت أجنادك ومع ذلك ياأمير فقد ظفرت بي فاجريني على جميل عوائدك وأكون تحت قبض يدك وترسل الى ميخائيل أخي وسائر الملوك الذين من قبلي وهول عليهم وقول لهم اني أريد منكم آمد وكلما فيه من الاسارى والرجال والاموال بحيث ان لايعدم من ماله عقال فان أجابوك الى هذا المقال فهو يكون سببا لاصلاح الحال وان لم يفعلوا ذلك فقد علمت انني هالك فافعل بعد ذلك مابدالك (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك أقبل على قومه وقال لهم ماتروا في هذا الامر فقالوا هذا صواب لان أولادنا ونساءنا في أيديهم والرشيد فان أجاب ميخائيل الى ذلك فهو

الرأى السديد فأرسل الامير عبد الوهاب الى الملك ميخائيل بما قد جرى من الاقاويل فجمع ميخائيل سائر الملوك و أخبرهم فقالوا مافى الأمر غير ذلك الا أن فيه شيء واحد وهو ان هذا البلد والرشيد وكل من فى آمد يفدوا برجل واحد ان هذا لغاية الغبن فلعلك أن تسترد الثقل الذى أخذه منا عبدالوهاب و بنى كلاب فهو فى الخطاب اذ دخلت شوما عليه فقال لها الملك ميخائيل بعد ان أكرم مثواها ورفع مكانها أيها المرأة الصالحة ما بالك مولوله نائحة فقالت له ما أغفلك عما نزل بالشيخ الصالح العابد الزاهد المبارك أبو الشر شومدرس و الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة فقال ميخائيل فهل انشف لكى خبرهما فوحق المسيح انى مشتاق الى أخبارهما فقالت له أيها الملك اعلم أنهما لما أبطآ علمت أنهما قد وقعا فى الإشراك وهو الذى عاقهما فخرجت متنكره ودخلت إلى عسكر المشمة وسألت عن الخبر فرأيتهما وهما يسحبان إلى هذا الشيطان عبد الوهاب وأبو محمد البطال عنده فخفت أن يعرفنى فيقبضنى فسمعت منه الرسالة وماسبق من المقاله وان كان لك خاطر فى المصالحه فيكون على الشيخين عقبة وشومدرس فان لم يفعلوا فأنا أقول لكم ما تفعلوا وسوف ترون العجب من حيل تعجز عنها العجم والعرب وأرجو بذلك الثواب من المسيح اذا حضرت فى ناووس الصريح فلما سمع ميخائيل كلامها قال لها معلوم انه مايسعنا فى الدين بعد العلم بهما ان ندعهما فى أيدى المسلمين وهما شيوخ النصرانية وعماد الملة المسيحية ثم كتب ميخائيل إلى عبدالوهاب يقول أما بعد فان الحرب سعادات واقبال وادبار وقد ظفرت بالملك المكين وعندنا خليفة المسلمين ومن تعلمون من هذه المدينة واهلها من المؤمنين وهم عندنا مأسورين فان أردتم الفداء فبشرط تطلقوا من عندكم مع الملك وهم الشيخين الرئيسين عقبة وشومدرس وان أبيتم ذلك فافعلوا ما بدالكم فانا معولين على قتالكم فلما ورد الكتاب على الأمير عبدالوهاب عظم عليه وكبر لديه وأوقف الأمراء على كتاب ميخائيل واستشارهم فعند ذلك أقبل مالك ابن بشر الاقطع على عقبة وقال له ياملعون ألست انك تقول انك مسلم ولو كنت مسلم لما طلبوك أهل الضلال فقال له عقبة دع يامالك هذا المقال إنما القوم يرجونى لأجل ايهامكم لى انى منهم ويرجون أن يميل عقلى وقلبى لذلك وذلك منى بعيد وانما يحملنى على ذلك ودخول النار مقال هؤلاء القوم فعندها أعرض عنه مالك والأمير عبدالوهاب يأكل كفيه حنقا وهم بقتله فقالت الأميرة ذات الهمة أهلك ومالك والرشيد مع أكثر من عشرين ألف أسير ومائة ألف من النساء والعيال والصغار والكبار وميمون الخناس وماندرى منهم بعد قتل عقبة فاصبر حتى نبصر مايكون منا ومنهم وأمرت البطال أن يكتب جواب

الكتاب فكتب كتابا وكان مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان مافيكم الامن يعرفنى فانى أبومحمد البطال ولى عندكم أثر وأعمال والرأى عندى ياميخائيل انك تأخذ الملك المكين وترحل أنت ومن معك سالمين وإلا أقسم برب العالمين تعالى وتنزه عن البنات والبنين والمنزه الوزير والمشير الذى لا يوصف بجواهر ولا اعراض ولا يدرك بالأوهام والاعتراض ولا بالتعلل والأمراض الذى ليس له حد محدود ولا ند منذود سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وحق من حلفت به لئن لم تفعلوا بما أنتم له سامعون ان مضت هذه الجمعة الاوفى رقابكم الحبال وأرسلكم الى العراق على الجمال بعد أن أذبح منكم عشرة آلاف بطريق وأنزل عليكم من البلا والنفوق مالا أحد يقدر منه أن يطيق (قال) فلما وصل الكتاب الى ميخائيل بقى فى حيرة فقالت له شومادع عنك هذا الكلام ولا تخف من قول اللئام وأنا وحق المسيح من قبل أن يعمل أبومحمد ماقد وعد وقبل أن يقدر على مابه يهددك اتركه هو والاسود فى هذا البلد وكلا منهم مقيد فقالت الملوك معلوم اننا ما نتخلا عن الراهب شومدرس وعقبة ولا بد لنا ما نقاتل فلما سمع ميخائيل ذلك أرسل يقول افعلوا ماشئتم فلا بد أن تدفعون الينا الشيوخ والا كان هذا الصلح بيننا مفسوخ ووصل الخبر الى الأمير عبدالوهاب والبطال فقال الامير ماترى يا أبومحمد فقال البطال سوى ترى كيف أبر قسمى فقال عبـــدالوهاب أوجز ياأبومحمد فقد انفطرت مرارتى وحرت فى قصتى وفاضت حيرتى مما جرى على فى هذه الأيام والشهور والأعوام فقال سوف ترى العجب ان أنت رافقتنى على ماأريد فقال سمعا وطاعة فقال ازحف الى البلد وقاتلهم فى هذا اليوم فعندها نادى الأمير فى الناس أن يركبوا وعلم عقبة وشومدرس الى الامير قشعم وقال يابنى احفظهما واحفظ نفسك منهما فقد علمت ماجرى على أخيك من عقبة وهو صاحب كل بلية صعبة فقال سمعا وطاعة والله لأسقيهما الوبال ثم رفعـــه إلى خيمته ومنويل معهما وتوكل على قشعم وغلمانه بحيث لايخرج من خيمته فزعا من عقبة وحيلته هذا والأمير عبد الوهاب قد زحف الى الباب وصعدت الروم على الاسوار وتراموا بالأحجار والصخور الكبار وطلع الملك ميخائيل وزاد الأمر على الرجال وتراشقوا بالنبال ودارت عليهم طاحون الاهوال واشتعلت نار الهياج أمر أشتعال وارتجت الارض بالزلزال وقد صاحت سودان الامير ظالم فرحا بسلامته وقويت قلوبهم عند رؤيتهم له لان الكتائب بأصحابها والمواكب بأربابها والملثمة قد عملت جهدها وان القتال لم يزل كذلك إلى أن انسدل الظلام واختلط القتام ورجعوا الناس إلى الخيام وإن الأمير أبو محمد وأبو الهزاهز ومالك

ابن طوق وراشد بن ضمره وسعيد ابن الفرج قالت لهم الأميرة ان البلد حصين لا نقدر عليه فقال لها أبو محمد دعى عنك هذا الامر فلا بد لنا من الدخول إن شاء الله تعالى ونبلغ ماتريد من المأمول ولا تنظرين الى ذلك فان ميمون الجماش ومن معه من الناس فى البلد ثم سار أبو محمد ودار حول صور البلد فوجد المرام منها بعيد فرجع وأقام إلى الصباح وقال لعبد الوهاب ارحل بالناس واذكر أن خراسان قد ظهر فيها خارجى وقد ملك العراق وخرب الآفاق وتزعم أنك قد رحلت اليه خيفة أن يملك حرم الخليفة ويأخذ ماله وعياله فقال عبدالوهاب وما قصدك بذلك فقال البطال ستقف عليه بعد حين ارحل من وقتك هذا وارجع آخر النهار فبعد ذلك رحل الأمير عبد الوهاب وقد كثر الحديث وفشا قول البطال وكان فى عسكر الأمير ثلاث جواسيس للروم فرجعوا إلى آمد وأعادوا الخبر على ميخائيل ففرح بذلك وقال الآن أدركهم وقد ملكت أثقالهم ورحالهم وربما أخذتم الملك منويل نخرج ميخائيل عند ذلك إلى ظاهر البلد ورحل خلف الأمير وفى خروجه كان البطال فى عشرة من الأبطال الامراء مكمنين وهم فى زى الروم وهم العشرة ذات الهمة وظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقراقدو أبو الهزاهز ومالك ابن طوق وراشد ابن ضمره وسعيد بن الفرج ودغفل الاسود وانهم اختلطوا بعسكر الروم لكثرتهم وان ميخائيل لم ينطلى عليه هذا الخبر وقال للملوك أخاف أن تكون هذه حيلة ويودون علينا ويوصلون الاذية الينا (قال الراوى) وكانوا الروم قد وجدوا لخروجهم راحة عظيمة لما ضاقت عليهم البلد حتى مابقى لأحد منهم موضع يضع قدمه فيه لكثرة الخلائق وقد صعدوا فوق الاصوار والابراج كل برج منها يسع عالم عظيم وفيه موضع للزراعة والكرم ومعهم من داخل العيون وهو بلد كبير نخرج الناس لما رحل الامير عبدالوهاب وكان البطال فلما اختلط بالروم هو ومن معه وعاد الملك ميخائيل الى البلد خائف من حيلة تتم وهو مقدم فى اتباع عبد الوهاب ومؤخر ودخل البطال ومن معه الى البلد وأرسل الملك ميخائل الجواسيس فى أثر الأمير وكانت شوماقد تزيت بزى المسلمين وركبت جواد وسارت حتى لحقت عسكر الامير عبدالوهاب واختلطت به فلما دخلوا جواسيس الروم إلى الامير اجتمعت بهم شوما وأعلمتهم بجميع الاحوال فرجعوا آخر النهار وأعادوا على ميخائيل ماقالت الراهبة وأخبروا أنها فى عسكر الامير عبدالوهاب وانها تريد تعمل على خلاص عقبة وشومدرس وانهما مع الامير قشعم فى أسوأ حال وأضيق مكان وقد انضاف اليه الامير ابراهيم وهياج الكردى من حنقه على عقبة وان الملك ميخائيل دعا بأربع ملوك وضم لهم أربعمائة ألف وأمرهم أن يعبروا على الجسر إلى العين يكمنوا هناك

وخرج هو فى باقى عسكره من آمد عند المساء وقد أنكر البطال ذلك وعظم عليه وكبر لديه وقال ماهو كثير يكون قد وصل إلى ميخائيل أن عبدالوهاب راجع اما فى ليلته أوفى غد ويكون سائر على غره منه فتخرج اليه الكمنا ولا يسلم منه أحد

(قال الراوى) وكان البلد قد خلا لانه ما بقى غير ملك السيخاك فى ستين ألف وقد خلت الابراج والاصوار بما كان عليهما من اعلاج الكفار فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الامير عبدالوهاب فانه مارجع الا فى اليوم الثانى آخر النهار لانه علم أن البطال دخل البلد (ياسادة) وكان خروج الملك برأى الراهبة شوما خرج الملك وكان أعظم من أخيه منويل وأكثر شرا وغدرا ومكرا وكفرا وهنالك وكان ميخائيل أعظم هيبة من أخيه منويل وهو الذى ورث الملك بعده وكان قد انتخب من خيار البطارقة ألف بطريق من فرسان الحرب وقد جربهم فى الطعن والطراد والضرب ولم يزالوا سائرين حتى لاح لهم غبار الامير عبدالوهاب فى ظلام الليل والاعتكار فصاحت البطارقة عيسى ابن مريم والصليب فصاح الامير فى عساكره ودساكره وكان أكثر عسكر الامير عبدالوهاب نزلوا عن الخيل والملثمة والبربر كذلك وكان قد أهلكهم سيرهم فى الجبال لانهم قليلون الخبرة بها وهم لا يعرفون البر من الاوعار لانهم غربا ولا لهم بتلك الامصار معرفة وقد أحدقت بهم الروم من كل جانب ومكان ودام القتال وعملت الرهفات وتصارمت الخيل وقتلت الرجال وقتل الرجل أخاه فى ظلام الليل ووقعت أرجل الخيل فى محاجر اليربوع ولم يجد الانسان سبيل الى الرجوع وقد تهشمت الخيل من كثرة صخور الصحصحان وتهشمت وجوه الرجال والفتيان من خشب السنديان وخرجت باقى الملوك من المكامن وقد خاف القلب الآمن وانقطعت من الحياة المطامع ولم تدفع الدروع الموانع وضاق الفضا الواسع وثبت الأمير عبدالوهاب ومن حوله من السودان الأنجاب ونظرت الروم إلى ثبات الأمير عبد الوهاب فمالوا إلى عساكر الملثمة ففرشوهم فى الجبل وقتلوا منهم عالم عظيم هذا والكندفرون والبطليموس قد اختلطوا بالروم إلى أن وصلوا إلى الملك ميخائيل وأطبقوا عليه فى تلك الأبطال البهاليل ونادوا الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وحبانا بالظفر ورفعوا أصواتهم بالصلاة على سيد البشر فخر ربيعه ومضر الشفيع فيمن أشغل غضاه بالصلاة عليه فى يوم المحشر وقد نظرت الروم الملاعين إلى هذا الأمر المنكر فأيسوا فى الحال من الملك ميخائيل وحملوا على الكندفرون والبطليموس وتحايت البربر والملثمة وتحايت عساكر الأمير عبد الوهاب وترس قبر النبى الأواب ونزلت عن الخيل وترجلت السودان وتعلقوا فى الصخور والجبال وتضاربوا بالسيوف الصقال إلا أن الأمير عبدالوهاب

لم يزل يقاتل حتى تخلص هو وأصحابه من تلك المعمعة وهو لا يظن أنه يجى وكذا ميخائيل فانه هرب وهو طالب آمد فلما نظرت إليه الملوك نادوا بعضهم البعض ياويلكم دونكم والبلد وإلا فما يبقى منا أحد (قال الراوى) هذا وقد تبعهم الأمير عبد الوهاب وسائر الأصحاب وبنى كلاب والسودان الأنجاب ولم يزل السيف فى أعناقهم يعمل والدم يبذل إلى أن أبرق ضياء الفجر وانفجر وقد قتل من الروم ستين ألف ووصلوا إلى باب البلد (قال الراوى) وأما البطال والأميرة وسيف الحنيفية ومن معهم لما خرج ميخائيل على تلك الصفة التى وصفناها قالت الأميرة ياأبا محمد إن قدرت على شىء تفعله فعجل حتى نعاونك على ما تعمل فقال البطال إذا دخل ميخائيل أنا أعمل على الدخول عليه وآخذه ومعه ثلاثة أو أربعة من الملوك وقد فزع الباقين وما فى آمد عيون ولنا مواضع نختفى فيها ولا يعلم أحد بفعالنا ومع ذلك فلو أردت أقفز على البلد ما أمكننى وفى هذا العالم العظيم فقالت الأميرة اعلم أنت يا أبو محمد انى قد حزرت من قد بقا فى هذا البلد وهم ستين ألف وأزيد من ذلك فقال ظالم ما دخلنا هذا المكان إلا ونحن معولين أن نرمى نفوسنا فى هذا الجمع وأنا وحق ذمة العرب قد أقدر أقف فى وجه عشرة آلاف بطل منهم فقالت ذات الهمة يا بنى وأنا معاونة لك على ما ذكرت فقال سيف الحنيفية وأنا الثالث وقال أبو الهزاهز ارفقوا بنفوسكم فان الترفق فى الأمر غاية المعرفة والعجلة من الشيطان وهذا ما يحمله إنسان ثم ان البطال أقام إلى أن هجم الظلام وأخذت العين حظها من المنام ولم يبق أحد الا ونام فزحف البطال بالرجال إلى برج منها ألف رجل وهو أكبر الأبراج ويسمى برج الصاحب وإلى جانبه برج الغلام يسع كل برج منها ألف رجل وهو شاهق بالهوى تلعب عليه الخيل كما تلعب فى الميدان وهو من حجر أسود ثم ان البطال تسلق الصور من داخل صار فى أعلا البرج ولم يزل حتى رفع الرجال إليه فملك البرج وصار شريكا فى البلد لا يبالى بأحد ثم نزل الأمير أبو محمد البطال فلم يغيب إلا ساعة حتى أتى بملك البنجاك فى الحبال ورفعوه إليهم فضحك ظالم وقال من هذا فقالت ذات الهمة لا شك أنه ملك من ملوك الروم ثم غاب البطال ساعة ومعه أكثر من مائه رجل فانكرت الأميرة ذلك غاية الانكار حتى دنا البطال وصاح بصوته فعرفت السوط فقالت ياأبو محمد قال نعم قالت من هؤلاء القوم الذين أراهم فقالت هذا ميمون الجاس وجماعة من السودان الذين كانوا معه فى بيت واحد أسارى خلصتهم ومالهم وهذه الملكة نورى ارفعوها إليكم قد خلصتها هى والأميرة علوى وهى مثل واحد منكم فى الشجاعة والقوة والبراعة ففرحت الأميرة وقالت يا أبو محمد مالنا وللسكوت عسى نتكلم ونهبر الناس بالسيوف فقال لها هذا بين أيدينا لكن اصبرى حتى أنظر من أين أخلص لهؤلاء عده ثم سار بهم إلى دار

يقال لها العجم ففتحها فوجد فيها العده معلقة على حالها فكمل لهم عدتهم فقالت الاميرة دعنا يا أبا محمد نكبر قبل ان يمضى الليل فان الصباح قرب فعند ذلك صعد البطال إلى عند الأميرة وأقبل على ملك البنجاك وقال له ويحك ياعدو الله أتعرفنى أنا أبو محمد البطال فقال له وقد عرفه الأمان فقال له لا أمان لك عندى إلا انى أريد الساعة من أعلا هذا البرج أرميك إن لم تسلم مفاتيح البلد وإلا وحق المصطفى أرميك مثل ماقلت لك فقال له يامولاى المفاتيح فى البرج الذى أخذتنى منه وهم تحت السرير وكان البطال قد أخذه من دار الامارة الصغرى فرجع من وقته وساعته وما كانت إلا ساعة حتى رجع بمفاتيح الأبواب ثم أنه صاح على الأميرة فقالت الأميرة ذات الهمة الآن قد طاب الصباح فانزلوا ومن لقيتم فاقتلوا فنادى ظالم وكان جوهرى الصوت الله أكبر الله أكبر وكبرت الأميرة ذات الهمة والأمــير أبو محمد البطال ومن معهم من الأصحاب فارتجت الدنيا لتكبيرهم وجاوبتهم أصوار الابراج وسمعت الحراس الصوت من أعلا القصر فطلبوا ادق الناقوس عند سماع التكبير وثارت البطارقه من أماكنها وظنوا انه لم يبق أحد من المسلمين الاوقد صار معهم فى البلد وكان الواحد منهم يلتى أخاه فى الطريق فيظنه من الاعداء فيضربه بالسيف هذا وقد نزل الامير ظالم ومن معه ووصل اليهم النفير فيا لها من ساعة ماأعظمها وعند الله ماأكرمها ومن رجال ماأقدمها وعملت المرهفات ونورى فى أوائل الناس وقدفرحت بخلاص البطال بعدما كانت أيست منه هذا والامير ظالم فى أوائل الناس وسيف الحنيفيه الى جانبه والاميره ذات الهمة وأبو الهزاهز قد نثر الرؤس نثروأهلكوا النفوس عشرا عشر وعاد ذبح القوم حسرا وفلقوا بالصوارم صدرا وظهرا ولم يزل السيف يعمل الى ان برق الفجر هنالك وقمت العين على العين وكان قد قتل فى تلك الليله أربعة آلاف بطريق أكثرهم ضربوا بعضهم بعض فى ظلام الليل وحل بهم الويل فلما نظروا الى هؤلاء صاح بعضهم ببعض ويلكم وماهم الاماترون وأنتم فى هذه الخلائق لحملوا هنالك على القوم وأحدقوا بهم (قال الراوى) وفى صحبة ذلك اليوم وصل ميخائيل هارب والبطارقه والمواكب وقد هلك منهم فى تلك الليله قوما بعدد المواكب وحلت بهم المصائب بما جرى عليهم فى تلك الغياهب هذا والإمير عبد الوهاب فى أعقابهم حتى وصل الى ظاهر البلد فصاحت الناس بين يدى الملك ميخائيل على البلدان يفتح لهم ولم يعلموا ان الدماء من داخل البــلد تجرى وترسخ والرجال تبطح ونظر الامير عبد الوهاب الى الملك وقد التصق الى صور البلد والاعلام على رأسه والابواب مغلقه وهو لايقدر على الدخول فعلم ان البطال قد عمل عملا أوجب ذلك فقال لاصحابه احملوا عليه فى هذه الساعة حملة

واحده وهى تكون حملة الانفصال فان البلد قد ملك لامحالة عند ذلك اطلقوا أصحاب الامير عبد الوهاب الأعنه وقوموا الأسنه وحمل الامير عبد الوهاب وأبطال بنى كلاب والسودان الانجاب وأصحاب الملك الكندفرون والبطليموس والبربر والملثمه والعرب فصدموا الروم صدمة واحد فانهدت لها الدرق وانقطع العلق وحمى الامير عبدالوهاب مثل الفسق حتى وقعت الروم الى الاصوار وطلبوا من البلد الانتصار فلم يجدوا لذلك آثار وخرق الامير عبدالوهاب الصفوف وجدع الانوف ولوح القحوف وتبعته السودان وفتك بالابطال والاقران حتى وصل الى الصليب الذهب وضرب حامله على عاتقه طلع السيف من علائقه وصاح بالبطارقة فتفرقت ووصل الى الملك ميخائيل ومعه طمطم وطماطم وغيلم وعندم وهم من حوله كانهم شياطين وقد تفرقوا البطارقه من حوله شرقا وغربا وقد شبعوا ضربا وطعنا وصاح الامير عبد الوهاب بميخائيل صيحة أرعبه ووثب عليه وجذبه اقتلعه من سرجه كانه العصفور فى يد الباشق الجسور ونظرت الروم الى الملك ميخائيل وقد أخذ والى الجيش وقد كسر وقد نالهم من الفنا فى النهار وفى ظلام الليل ما نالهم فلم يكن لهم غير الهرب نحو البلد فى الجانب الآخر يطلبون الفرج واذا بالامير أبو محمد البطال على أعلا الصور فى البرج والسيف فى يده مشهور تقطر الدماء منه وهو يكبر الله عز وجل (قال الراوى) وكان السبب فى تلك الواقعه انه لما أصبح الصباح ونوره قد لاح دخل الامير أبو محمد الى المرضع الذى فيه النساء والرجال من الاسارى وما عاد حتى خلص أكثر من ثلاثة آلاف أسير ما بين كردى وأسود وبدوى وأصحاب ميمون الجماس وثارت النسوان العربيات وكانوا خلقا كثيرا وقويت قلوبهم فلما نظروا الى الاميره ذات الهمة والامراء سمعوا التكبير من خارج البلد ومن داخل البلد وأخبرهم الامير أبو محمد البطال انها الاميره ذات الهمة وظالم وسيف الحنيفيه فقويت قلوبهم ثم ضربوا الروم بالأحجار الكبار والصغار وعمل فيهم البتار (ياسادة) وإن الروم لما رأوا ذلك وانهم قد أشرفوا على الهلاك صاحوا بالامير أبو محمد البطال وقالوا له احقن الدماء وافتح لنا الباب وعلمت الروم بذلك فاندقت منهزمة حتى خرج الذى سلم منهم وغلق الباب وفى تلك الساعة أقبلت المنهزمين من عسكر ميخائيل ورأوا الملوك منهزمة فولوا وجوههم طالبين بلاد الروم وكان يومهم ذلك يوم ميشوم والاميرعبد الوهاب قد دار إلى باب البلد الذى من ناحية الجبـــل ليطلب من سلم من المنهزمين فنزل عن جواده وباس الارض شكرا لله تعالى وقد نزل أبو محمد وفتح البلد ودخل هو ومن معه ونظرت الملثمة إلى ذلك البلد فأعجبهم فعل البطال وقالوا إن الجن ما يقدرون على أكثر من هذا وإن هذه قوة قلب عظيمه .

أيدخل منهم عشرة إلى بلد مثل هذه وفيه خلق كثير من الاعداء إن هؤلاء ما يفزعون من الموت فلما حصل الناس كلهم فى البلد أقبل الامير عبد الوهاب على الاميرة ذات الهمة وقال أريد عقبة حتى أدبر على صلبه على صور آمد فقال أبو محمد والله لا تركت دم ولدى يمضى هدرا ومافى قلبى حسرة إلا من حرب بن شيبان ولا بد ما آخذ ثارى منه ومن عقبة فقالت الاميرة ذات الهمة اكتموا أمر عقبة حتى يمضى الرشيد الى بغداد ونأخذ عقبه وندخل الى بلاد الروم فان لله على نذر ان جمع الله بينى وبين ظالم والبطال دخلت غازيه الى القسطنطينيه ولا أزال حتى أفتحها وأقيم الآذان فيها على الكنيسة الكبرى إله صوفيا فقال الامير عبد الوهاب لله درك فهذا أقصى مرادى وأصلبه على باب الذهب فى القسطنطينيه ويكون ذلك تصديقا لمنامى ثم أدعى الأمير عبد الوهاب بولده قشعم فأجابه بالتلبية فقال يا بنى سلمت اليك عقبة الملعون ظاهر البلد وأنت أيضا تحفظه فى البلد تخذه وامضى إلى دارك المفروده على باب الماء فأنا ماضى إلى الرشيد ويكون دخولنا إلى بلاد الروم عن قريب بعد مضى الرشيد إلى العراق فقال قشعم أيها الأمير اعلم انه لما سلمته الى خفت من حيلته وحيلة الراهب شومدرس فاستعنت بأخى ابراهيم وكنت موكلا بهم مع أخى ابراهيم حتى خرج علينا كمين الروم وجرى من القتال ماهو معلوم وان اخيه لم تدعنى أصبر عن القتال ولا أقتصر عن النزال فأوصيت أخى ابراهيم بهم ودخلت إلى المعمعه ولم يزل القتال عمال كما علمت الى الصباح وانى لحقت أخى ابراهيم والعشره الذين كانوا معه من غلمانى فما وجدت لهم أثر ولا سمعت لهم خبر وانى ظننت أن يكون قد سبق بالليل من خوفه ان تكون الواقعة عليه احترازا على الملك منويل وعقبة الملعون وشومدرس المفتون الى الآن فما بان لهم خبر فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك انقلبت عيناه فى أم رأسه وجرد السيف ووثب اليه ليضربه فصده عنه الأمير ظالم فقال له يا بنى اعلم ان خلاص عقبة وشومدرس والملك منويل ماهو مثل فقد أخيك ابراهيم (قال الراوى) وكان الامير ابراهيم عند الأمير عبد الوهاب هو أحسن أولاده لكون انه ابن الشريفة علوى وكان حسن الوجه مليح الشباب عفيف النفس فقلق عليه الأمير عبد الوهاب غاية القلق فقالت له الأميره دع عنك هذا الجزع فلربما يكون الامير ابراهيم لما خرجت علينا الخيل فى ظلام الليل رجع إلى خلفه خوفا على من فى يده من الاسارى فقال الامير أبو محمد البطال أيها الأمير لابد لى ان أدخل إلى بلاد الروم من أجل غلمانى ومن أجل حرب بن شيبان قاتل ولدى وما يكون الا ما تحبه إن شاء الله ثم ان الامير أبو محمد البطال أقبل على الأمير قشعم وقال له هل خالطكم أحد فى هذه الأيام فقال الأمير قشعم لا والله يا أبو محمد ما عبرنا أحد سوى شيخ كبير السن رقيق العظم ثقيل السمع فقير ضعيف البدن عليه آثار العباده وذكر انه

خادم بيت المقدس وقد أتى فى طلب الجهاد فقلناله ان شاء الله تعالى قد حطت عنك فريضة الجهاد لأنك رجل ضعيف كبير فقال قد علمت ذلك ولكن ضرب السيف أدون من سكرات الموت ولا بدلى من القتال وقد كنت مقيما فى نصيبين أطلب مثل هذه الغزاه لعلى أختفى فيها بالشهادة فلما سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله ان كنتم دهيتم الا من العجوز النحس شوماً زوجة الراهب الملعون شومدرس المفتون وبالله أقسم لا تركتها ان شاء الله تعالى فى هذه السنه بالحياة ولا بد من قتلها

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وكانت الملعونه المفتونه شومة النحس قد صارت فى عسكر الامير عبدالوهاب بالزى الذى وصفناه ولاصقت الأمير قشعم وأصحابه فلما وقع القتال تلك الليله ورأت كتائب الروم وقد اندفعت يمينا وشمالا أقبلت على الامير ابراهيم ولد الأمير عبدالوهاب من الاميره علوى وقالت له يا بنى اعلم ان الليـــل كثير الطوارق والعوائق والسيوف البوارق تعمل فى المفارق والعواتق وأنت معك ملك الروم وهذين الشخصين اللذين لهما عند الروم منزله عظيمه فى الجمع فانزل إلى بعض المواضع من هذا الجبل وان كانت النوبه لكم والفرج على أيديكم كان وان كانت لعدوكم والعياذ بالله فيكون معكم ما يفادى به كل مأسور فى أيديهم من المسلمين فلما سمع الامير ابراهيم ذلك منها رآه صواب وأكبر نصيحة اليه فقال له يا شيخ أبشر بالثواب من الله تعالى وسار حتى لزق بالجبل ثم طال القتال بين الروم وبين الامير عبدالوهاب فعندها قالت الملعونه شوما أريد أمضى اليهم وآتيك بالخبر ثم انها سارت مثل العقاب وخرجت من وراء الكمناء فنظرت حرب بن شيبان ومعه العرب المتنصره وقد عرفوا لغاتها لما تكلمت وقد زالت تلك اللحية المستعارة عن وجهها الخبيث وقالوا لها ما الذى عملتى فقالت سوف ترون العجب بعد قليل ولكن أريد حرب بن شيبان فأتى اليها قال لها ما وراكى أيتها العجوز الصالحه فقالت له اعلم يا أمير حرب انك أخذت ابن أبو محمد البطال وقد ذبحته فاعقل على نفسك ولا تحسب أنه يغفل عنك ما دمت فى هـــذا الاقليم والملك منويل فقد خلصته ومعه عقبة والأمير ابراهيم ولد الأمير عبدالوهاب ومن معه من الأصحاب والشيخ الصالح شومدرس الذى قد أرميت روحى من أجله فى أفواه السباع ولولا ان المسيح من على وأعاننى لما كنت الا هالكه لا محاله فلما سمع حرب بن شيبان ذلك قال لها اعلمى أن العالم قد أشرفوا على الهزيمة وما لأحد منهم طاقة بالأمير عبدالوهاب ومن معه من الأصحاب ولاسيما الملثمة وقد صاروا معهم الذى أتى بهم الشيطان أبو محمد من بلاد المغرب فقالت شوما الرأى عندى أنك تسير تأخذهم وترجع بنا تحت ظلام الغيهب وتطلب بلاد الروم فان كانت لنا فاقدرنا على العودة وإن كانت علينا

نجونا بأنفسنا ونكون على حذر من ذلك فعندها سار حرب ومعه خمسة آلاف من العرب المتنصره وهي معهم حتى أوصلتهم إلى الموضع الذي فيه ابراهيم وقتل أصحابه العشرة وخلاص عقبة وشومدرس والملك منويل وسار تحت الليل وقطع الأرض فى طولها والعرض (قال الراوى) وان عقبة قد فرح وهو يقول يا ابراهيم ما كان المسيح بالذى يخيب قصدى أكون عملت على هلاك سيف الحنيفية ثم سلم وعلى هلاك ظالم ثم سلم وأنت لا بد من قتلك فى هذه النوبة ثم انه من حنقه عليه أخذ سكين من وسط حرب بن شيبان وكان الأمير ابراهيم مكتوف اليدين فقال له عقبة لا بد أن أعذبك بأشد العذاب قبل قتلك وأخرج كلما فى قلبي منك ثم أقبل على حرب بن شيبان وقال له إنك قد نلت الشرف العظيم بقتل ابن الشيطان فاقتل ابن الاسود لتكون قد اشتفيت من العدوين فقال لهم الملك منويل هذا بين أيديكم فما ندرى كيف يكون الأمر فى ميخائيل فلا تعجلوا على هذا بالقتل بل خذوه معكم فان هذا شىء لا يفوتكم فعند ذلك امسكوا عن قتله وما أصبح الصباح إلا وهم فى أرض بعيده (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء وأما الأمير عبد الوهاب فإنه صعد إلى القصر وسأل عن الرشيد فأخبر انه فى دار الامارة مريض على حاله فعظم ذلك عليه وكبر لديه وسار اليه والغلمان بين يديه حتى دخل اليه وإذا به على غاية من المرض وقد أخبر أن الأمير عبد الوهاب قد فتح البلد وكسر عسكر الروم فلما سمع الرشيد ذلك غلب عليه الفرح والسرور حتى وجد الراحة من الالم الذى كان به وقال فهؤلاء الملثمة والبربر الذين جاؤا من الغرب يطلبون قتلى فقالوا يا مولانا انهم خرجوا أصدقاء لعبد الوهاب وإن الأمير مكتوم هو ظالم بن عبد الوهاب وحمدون المحتال هو أبو محمد البطال فلما سمع الرشيد ذلك عن الامير عبد الوهاب قال هذا رجل معه الحق وهو مظلوم ولولا انه عند الله بمكان لما فتحت له البلاد وأقيمت له الأركان وحفظ ولده أينما كان (ياسادة) وان الرشيد بقى خجلان من الأمير عبد الوهاب ومن ظالم وذات الهمة والبطال وما بقى له وجه يلقاهم وأطلع الأمير سائر الاسارى الذين قد أسروا مع الرشيد فى ميافارقين مثل الفضل ابن الربيع والأمير عمرو بن عبيد الله وجماعة من بنى سليم من أرباب دولة الخليفة ومن أهل آمد وكان ذلك عالم عظيم فى عدد التراب فقبل الامير الأرض بين يدى الرشيد وقال للامير ظالم اذا أنا دخلت والاميرة ذات الهمه وقبلت الارض فادخل أنت والبطال وفعلا كفعلنا واعلم يا بنى ان الله فرض طاعته علينا وان وصلت أذيته الينا ونحن نرعا له قرابته من رسول الله ﷺ وان الامير ظالم كان فى قلبه من الرشيد أشياء فما أعجبه العبور عليه (قال الراوى) ولما ان رأى الرشيد الى الامير عبد الوهاب وان ذات الهمه والبطال هدوا

غيظ ظالم وحسنوا له بعض الأشياء مكايده فى الأعداء. فقالت ذات الهمة للرشيد يامولانا اعلم أن ظالم قد فعلت فى حقه مافعلت وما أتانى هذا الوقت إلا بشرط أن يدخل تحت طاعتك ويضرب بسيفه رأس أعدائك وحسادك على شرط أن تعطيه على ذلك ماطلب فقال الرشيد وهو ملتهب من الخوف وتربة المهدى لو طلب ولدى مامنعته منه فليذكر حاجته فقالت يامولانا نريد عقبة تطلقه لنا حتى نصلبه على باب الذهب فى القسطنطينية فنحن سائرين إلى بلاد الروم لأن الأمير أبو محمد لايقعد عن قتل ولده وأنت البرىء من دم عقبة ونحن المطالبون به فقال الرشيد لكم ذلك ثم إنه أعطاهم يده بالإذن فى ذلك وأن لايتعرض لهم بسببه فعند ذلك صاحت الأميرة ذات الهمة بظالم فقبل الأرض بين يدى الرشيد وكذلك فعل الامير أبو محمد مثل هذه الفعال ففرح الرشيد بذلك فرحا عظيما ثم خرج الى ظاهر البلد فأبصر تلك العساكر فقال للامراء أريد أنحدر الى بغداد فقال الامير عبدالوهاب يامولانا الامر لك وكذلك نحن نريد الرحيل إلى ملطية فمن يوم وصلت إلى آمد ماطاب لى فيها عيش ولا قعدت فيها يوم واحد ولا الامير أبو محمد فقال له الرشيد ملطية وغيرها بحكمك ولا يكون معك من بنى سليم أحد الا ماتريد فقال يامولانا بنو سليم أهلنا وجيراننا ولا نؤاخذهم بما كان منهم الينا فأصلح الرشيد بنى عمرو وبنى عبد الوهاب وأحضر الملك ميخائيل وملك البنجاك وأحضر لهم الانجيل أن عقبة ماهو الذى حرضكم على الغدر بالرشيد فقالوا ما نحلف فلح الامير عليهما ثانية وقال بحق الانجيل ماهو فعل هذه الفعال فقالوا هو ذلك (قال الراوى) وان الرشيد لما سمع ذلك صدق الخبر وأخذ فى أمر الانحدار إلى بغداد ومن الصباح سار إلى العراق وهو كثير الأشواق وأما الأمير عبد الوهاب فإنه ترك ميمون الجماس فى آمد وسار إلى ملطيه ونزل بها يدبر فى أمر خلاص ولده فبينما هو على ذلك وإذا قد دخل إليه كتاب من عند الملك منويل فى شأن ميخائيل أخوه وملك البنجاك وسأل الأمير فى فكاكهم من الأسر فقال أريد ولدى إبراهيم وغلمان أبو محمد البطال وعقبة نسل الأنذال وإنما أنا سائر إليك وسوف ترى ماأنزل بك ان قدمت عليك ورجع الرسول إلى الملك منويل فلما سمع هذا الخطاب رد إلى الأمير رد الجواب وهو يذكر له ويقول إذا سرت إلينا أيها الأمير المكرم جعلنا السيف بيننا وبينك حكم وأسد عليك الدروب وترجع وأنت مكسور مغلوب وفى آخر الكتاب وإن أردت أن أرسل إليك ولدك إبراهيم فأنا أفعل إذا أرسلت إلينا ميخائيل وملك البنجاك ونعقد الهدنة بيننا ماشئت من الأيام والشهور والأعوام فلما قرأ الأمير عبد الوهاب الكتاب وما فيه من الخطاب

قال الأمير محمد مانرى فى هذه الأهواء أيها الأمير المفضال فقال الأمير أبو محمد اعلم أيها الأمير انى رأيت الرشيد فى مرض شديد ورحل من ههنا وهو ضعيف والصواب أن تفعل ماأمرك وقبل كل شيء اعلم ان بلاد الغرب التى أتينا منها بعيده والرجال التى خرجت معنا من الملثمة والبربر ما بقى منهم إلا القليل وأريد أن أقابل الإحسان بالإحسان وتعطيهم من هذه الأموال التى قد كسبناها من الروم حتى يعودوا شاكرين إلى الملك عبدالودود الذى فعل معنا كل فعل جميل وأوصل الينا كل تفضيل وزوج ابنته الأمير ظالم وأرسلها معه إلى هذه الديار والأماكن البعيدة واخلع على إبراهيم بن الخصيب كما أمرك الرشيد أن تفعل وسيره إلى بلاده ورد نواب الشام إلى كل موضع وكل أمير ومقدم ويكونوا فى ولايتهم كما كانوا عليه من جهة الخليفة وإذا فرغت من ذلك دبرنا على خلاص ولدك إبراهيم (قال الراوى) فعند ذلك أخرج الأموال وقسم على الرجال وقال والله لاأدخل إلى مالى من هذه الأموال حبة واحدة وكانوا قد أخذوا خزائن الملوك كلها فى هذه النوبة فأعطى الملثمة أكثر من بنى كلاب ومن السودان وقال لهم هؤلاء القوم راحلين والضيف يكرم فلم يشق عليهم ذلك وقالوا نعم مارأيت أيها الأمير من الرأى والتدبير فاستغنوا القوم غنى لافقر لهم بعده وكان الواحد قد خرج عن بلده وهو يملك رأسا من الخيل فحصل له من الأموال والخيول والثياب وغير ذلك وأخذ أبو مخلف مثل رجلين وقال أبو محمد خذ فإنك رجل قوى القلب فى القتال وفارس الرجال فظن الأمير عبد الوهاب ان ذلك حقا فقال لاترجع إلى بلاد الغرب واقعد عندنا فقال سمعا وطاعة يامولاى فوالله مافى الغرب لى أحد ولا أهل وأنا أقيم ههنا أربح الجهاد فى طاعة رب العباد فضحك ظالم ولم يحتاج كلام قدام أبوه وخلع على ابراهيم بن الخصيب صاحب مصر وعلى سوار صاحب دمشق ورد الولاه الى أربابها وساروا الى أماكنهم والملثمه مضوا شاكرين ولاياديه الامير عبدالوهاب ذاكرين وللاميره بالثناء لاهجين بعدان مضوا الى ابنة الملك عبدالودود وشاوروها فى رحيلها وقالوا لها ان كان قلبك غير طيب فى الاقامة ههنا كنتى تريدى الرجوع معنا فما نرجع إلا بك فقالت لاوالله ماأنا الافى غاية الاكرام ولاسيما من يوم اجتمعت بهذه الاميره المجاهده ذات الهمه فان النظر اليها عباده فبلغوا والدى عنى السلام وقولوا له عنى خيرا فلقد وضعنى فى أكرم موضع وأشرف حسب ونسب والدين والعلم والادب ومافيهم إلا كل فارس منتخب (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ساروا القوم وودعهم الامير عبدالوهاب وظالم وسار معهم ابراهيم بن الخصيب فلما رجع الامير عبد الوهاب إلى ملطيه تلقتت الاميره علوى بالبكاء والنحيب وقالت له أنت مايهمك فقد ولدى لانك كثير

الاولاد وأنا فمالى غير هذا الولد ابراهيم ومالى عنه صبر فان لم تعمل لى على خلاصه فأنا أكتب إلى جميع قبائل العرب من بنى كلاب وحلفائها يأتونى إلى نصرتى وخلاص ولدى وثمرة فؤادى ومهجتى فقال لها الامير ماتحوجك الى هذا وأنا أسير من أجله ولا تقولى كلما زاد ولدا كرهت الآخر وكل واحد منهم له عندى موضع ثم انه قال يا أبو محمد اريد المسير الى بلاد الروم فقال أبو محمد ما هذا صواب ولكن ارسل الى ملك الروم وهدده بأخذ ولدك ابراهيم واخلع على الملك ميخائيل وملك البنجاك فهو يطلبهم حتى يطمئن وشومدرس وشوما فهم الذين كانوا سبب قتل ولدى مظلوم وأنا أطلب حرب بن شيبان ولا أزال حتى أظفر به وبأولاده ولا بدلى من الدخول الى بلاد الروم من أجل ذلك فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب فقد ضجروا الناس من القتال والحرب والنزال وملوا من السفر من مكان الى مكان ثم انه أرسل إلى الملك منويل بذلك فلما وصلت الرسالة اليه خلص الامير ابراهيم بأخيه مخائيل ووزن ملك البنجاك عشرة آلاف دينار وعقد الأمير عبد الوهاب الهدنة مع ملك الروم بذلك فلما وصلت الرسالة اليه عقد الهدنة باقى السنه فهذا ما كان منهم وأما الأمير فانه أخذ جميع مايحتاج اليه وعبا سفاط من خرز وعقيق ولؤلؤ وطيب ومرجان وبقى حائر فيمن يدخل معه إلى بلاد الروم ممن لا يعرف فما كان غير أبى يخلف فلم يزل به حتى كشف عنه اللثام وألبسه لبس التجار وأخذه أبو محمد وسار يقطع الفيافى والقفار وطلب القسطنطونية من أجل حرب ابن شيبان وخلاص غلامه لعله أن يأخذ أخبار عقبة ولم يزل إلى أن وصل إلى ديرمانوس وهو معمور بالرهابنة والقسوس ويقال له ديرموسى وقد بقى بينه وبين بلد القسطنطونية ستة أيام وكان هذا الدير معظم عند الكهنة يحملون اليه الصدقة والنذور والشمع من سائر بلاد النصرانية وجميع الجهات ودخل أبو محمد اليه وأظهر أنه مريض حتى يخفى أمره وبقى فى زى شيخ من الجزيرة وديار بكر وقال لأبو يخلف خذ معك من هذا الخرز والعقيق واللؤلؤ والعقود وبيع لنا فى هذا بالدجاج والحلوى والبيض وشىء يكون لنا ادام فى الطريق نقتات به فقال سمعا وطاعه يامولاى ثم انه أخذ قفص وعبا فيه مايحتاج اليه وأخذه ودخل به إلى الدير وكان لذلك الدير موسم تأتى اليه البنات التى للروم على وجه التبرك مثل عيد وكان موسمه ذلك اليوم على الاتفاق (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأخذ أبو يخلف ذلك القفص الذى عبا فيه ماذكرنا من العقيق والخرز واللؤلؤ وطاف به فى ذلك الدير وأحاطت به بنات الروم وعليهم الحلى والحلل وهم يشرقوا بالنور ونظر أبو يخلف إلى ذلك فقال والله ليس العيش الاههنا ثم نظر إلى صدر الدير وإذا فيه عشر جوار كأنهن

الأقدار بينهن صبية وهى المقدمة عليهن وهى بقد كالرمح ووجه كالصبح وهى تسبي الورى بعيون كحلت سحرا وحشيت فتونا ولها جفون كاجنحة النسور ثقيلة الارداف مليحة الانعطاف وتفوق الظراف وإذا نظرت إلى إنسان أورثته من ألحاظها التلاف فما هو الا أن نظر اليها أبو يخلف فغاب رشده وطاش عقله ثم انها قالت لجوارها قولوا لهذا التاجر المسلم ايش معاك للبيع فقالوا يامولاتنا معه لؤلؤ وعقيق وكافور ومسك وعنبر فقالت وحق المسيح انى محتاجة الى اللؤلؤ نتم به هذه النذور (قال الراوى) وكانت هذه الجارية إسمها شمسة بنت بطريق يسمى شماس وهو مقدم على سائر البطارقة الذين فى القسطنطونية وحاكما على الكتاب وكان قد شاع حسنها فى بنات البطارقة وخطبوها ملوك الروم وأبوها شماس يأبى ذلك حتى خطبها الملك ميخائيل بعد ماساعده أخوه منويل ولها معه شهر لاغير فلما كان عيد هذا الدير سارت اليه وكان عليها نذور فحملت الى الدير كل شيء مليح مفتخر والقسوس قد داروا بها ينظرون إلى ذلك الجمال الباهر الذى يخجل الشمس وتشتاق اليه كل نفس ثم أنها أحضرت أبو يخلف وكان له وجه لو رآه يعقوب الحزين عليه السلام لضحك لأنه كان له صورة مسلوته وقورة معجره وحنك أبخر رقيق الحواجب كانهم الكمون أحول بالجوز وإذا نظر الى انسان يحسب أنه ينظر إلى السماء (قال) وان شمسة لما نظرت اليه وسمعت كلامه لم تصبر بل جعلت تضحك وترمى روحها إلى جوارها وأبو يخلف قد أوتر قوسه وسال لعابه ودهش من عظم ماقد أصابه فقالت له شمسة أورينى كلما معك من لؤلؤ وغير ذلك فقال سمعا وطاعة ياستى لاشك أنى مابقى لى عقل لأنك قد أخذتى عقلى وقلبي فضحكت من قوله وقالت له ما اسمك فقال ياستى عبدك أبو يخلف فغشى عليها من كثرة الضحك لما سمعت اسمه وكلما ضحكت انجلى طابع الحسن على خدودها ورمان نهودها وان أبو يخلف لما نظر اليها حسبت أنه ينظر إلى رأسها فقالت لجوارها وحق المسيح لو كان يروح إلى القسطنطونيه لكنت أجعل له ديوان فى كل سنة خمسمائة دينار وأكون أنا إذا ضاق صدرى أحضره عندى وأضحك عليه لأن هذا مافى صورة الكنائس مثله فقال لها ياستى أروح معك لأنى قد وقعت فى اشراك محبتك من حين نظرت اليكى والدليل على ذلك شاهد لكى هذا وقد سرقت العقود واللؤلؤ والعقيق الذى معه وأخذت الجواهر وقلائد العنبر وهو ينظر اليها فأقبلت عليه الجارية وقالت له إيش قلت لى أنت اسمك أبو ينتف فقال لا ياستى أبو يخلف وأنا اعرف أعمل الذى قلتيه فضحكت حتى وقعت على قفاها وقالت له تخلى هذه التجارة وتجى معى إلى بلد القسطنطونية وأنا أزوجك بواحدة من هؤلاء الجوار

وتكون عندى فى وسط الدار التى لى فقال لها وهل بقى لى عقل أرحل به الى بلدى أنا أروح معكم من هذه الساعة وما أبات الليلة إلا عندكم فقالوا جوارها ياستى نخاف من الملك يقول هذا مسلم ولا يخليه يقعد معك فى الدار فقال لها أبو يخلف وحق الصديق فهو مثلكم وعلى دينكم فقالت اخرج إلى برا الدير إن كان الك من تودعه وعد الينا واودع قماشك وان أردت ان أعطيك ذهبا ترسله الى أهلك أعطيناك فقال مالى أحد غيركم فقالت الجوار للقس خذ هذا الرجل نصره حتى تأخذه الى القسطنطونيه فان الملكه شمسه قد طاب قلبها بصحبته فقال القس وايش عجبكم من هذا المنظر الوحش فقال أبو يخلف ابصروا هذا الشيخ النحس ما أثقله ويلك وايش فضولك فى هذا الحديث يانجس أنا لك فى النية الجيدة انت اذا نصرتنى أعطيتك هذا الخرز والعقيق والجوهر فضحك عليه القس وقال اذا كان قصدك وطيب قلبك وحسن نيتك فما أردك عن مرادك يسخط على المسيح ثم انه أنزله فى جرن ماء المعموديه فقال له أبو يخلف لم لا تنزل الست شمسه معى فى الجرن حتى نتنصر كلنا فقال القس ويلك هى متنصره ماتحتاج الى تنصر فقال وايش يكون اذا نصرتها مرة أخرى وحق عمر بن الخطاب ما أتنصر إلا ان نزلت معى فقال له القس تخالف المسيح فعندها أنزله وقد غمره ونصره ثم طلع به فالتفت إلى الملكه شمسه وقال لها أيتها الملكه انى خرجت أنا والبطال نريد القسطنطونيه لاجل حرب بن شيبان فانه قتل ولده ويريد يأخذ تاره (ياساده) فلما سمعت الملكه شمسه بذكر البطال اصفر لونها وقالت له وأين البطال فقال لها هو معى بر الدير فخرجوا معه الغلمان فما لقوه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك انه لما أبطأ عليه خبر أبو يخلف دخل فى أثره فوجده يقول للملكه ان البطال دخل معى من أجل حرب بن شيبان فلما سمع ذلك علم انهم لا بد ان يطلبوه فرجع وهو يقول أيتها الملكه لا تقصرى فى اللطم فى رقبته والصفع بالنعال فاسرها البطال فى نفسه وكان لما رجع البطال لقى ساقى الملكه خارج فتبعه البطال الى ان أبعد عن الدير فقعد الساقى يزبل الماء فتراشق عليه البطال وضربه بخنجره قتله وسلخ لحيته وركبها على وجهه ورجع الى الدير على عجـــل بما كان مع الساقى فوجدهم يريدون السفر فسافر وأبو يخلف ينظر اليه ولا يعرفه وقد نوى للبطال نيه رديه وصار يقول لهم أنا أوقعكم عليه ولو خرج فى الصورة التى يعرف فيها فلما سمع البطال ذلك منه زاد غيظا وحنقا وقال فى نفسه الساعه أوريك يا قرنان فى قفا من تقع النعال ومن يندم على هذه الفعال هـــذا والبطال يتحدث مع أبو يخلف ويقول له وحق المسيح

يا أبا يخلف ائن دخل البطال كما ذكرت وعرفته وفى يد ائلك أوقعته ايكونن لك عند الملك اليد البيضا وينظر اليك بعين الرضا وأبو يخلف يقول له سوف أوريك ماأصنع وانه لابدله من القسطنطونيه وما دخل الا من أجل غلمانه ثم قدموا لهم طعام والخرفان الرضيع والخنازير والدجاج وحامات الحلوى وقد وثب البطال وشد وسطه وقدم الطعام بيده وكل واحدة من الجوار تظن ان البطال الساقى وما فيهم الا من قد اعجبها تقدمة الطعام كانه قد خلق لترتيب الطعام والموائد وتقدم أبو يخلف يأكل من لحم الدجاج والخرفان والحلاوة فقالت له شمسه لم لاتأكل من هذا الخنوص فقال لها حتى أعانق وأبوس الفرطوس وأنا آكل الخنوص وحق ذلك الجرن الذى أنزلنى فيه شيخ القسوس لقد رأيته البارحه فى النوم يقول لى قبل الست شمسه فى خدوده فهى كانت سبب هدايتك إلى الحق ولا بدلى ماأفعل ماأمرت به ثم انه انكب على الملكه شمسه يقبلها فى خدهاوثنى باخرى فى فمها وقد انقلبت عينه فى أم رأسه وابيضت حوالنه وقدانقلبوا الجوار والست شمسه تضحك عليه وهى لاتوريه ان ذلك عيب عندهم ثم دارت عليهم كاسات الصهبا وهبت عليهم نسمات الصبا وعمل المدام فى الخدود حتى كساها حلة ورديه وتفرغرت عيون الكواعب ودبت أنفاس المشارب ونزلت الاصداغ على الخدود مثل العقارب وتكسرت العيون والحواجب ورش الحسن على الوجوه نور البها البادع الا أن أبا يخلف قدحار فى الحسن المفتن الفائق وقد علم ان مراد الجاريه ان تضحك عليه كلما نظرت اليه وكان قد كشف رأسه وكان أصلع كان رأسه كوز نقاع ولبس ثياجات معه من الغرب طول الدرع وجعل يلعب ويرقص ويطرب وهم يضحكون عليه وقالوا ما يدخل على الملك أظرف من هذه الصوره ولا أغرف من زيها هذا والبطال يضحك عليه ويظهر العجب والتعجب من أبو يخلف ويلح اليه بالنظر كانه مارآه قط الا تلك الساعة ولم يزالوا كذلك الى أن انسدل الظلام واختلط القتام وطابت الانفس الراحه فعند ذلك أطلع البطال من تحت ابطه قطعة بنج اقريطشى لو وقع منه وزن خردله فى اذن الفيل نام جمعه وكان قدأضاف اليه اقراص هندى وأوساخ اذان وأفيون مصرى وبخر الكل بالكبريت وكل هذا الدواء معجون معى مع الامير أبو محمد البطال لايفارقه فى حال من الاحوال فى السراء والضراء والشدة والرخاء فطرح منه فى ذلك الشراب مالوطرحه فى نهر عيسى لاسكر أهل بغداد ثم طرحه فى الشراب وقال للبطارقة وحق المسيح ان نام منكم الليلة أحـــد قلت الملك يصلبه على باب الذهب فقال أبو يخلف فها أنا الليلة برسم الحراسه وأرجو من المسيح ان يسهل لى مجىء أبو محمد البطال حتى آخذه اسكم (قال الراوى) فبينما هو

كذلك اذ وقعوا سكارى وان أبو محمد البطال ملا الكاس وناوله لشمسه بنت شماس فما وقع فى أحشاها حتى غمضت عيناها ثم ناول الكاس لواحد بعد واحد حتى طرح الكل عن بكرة أبيهم ثم وثب البطال وحمل أبو يخلاف وطرحه على بعض البغال مثل صندوقين مقيد ورفع الجارية شمسه على بغلة أخرى وسار تحت الظلام وكان أعرف خلق الله ببلاد الروم ثم انه قصد الى قرية خراب كانت عامرة من قديم الزمان فدخل اليها عند السحر من بعد شدة التعب وفيها صومعة خراب وفى قعر تلك الصومعة سرداب فنزل البطال هناك وأخفا البغال فى خرابة الضيعة ونزل أبو يخلاف فى الصومعة وربط يديه الى رجلية وأنزل الجاريه شمسة فى السرداب وشدها هناك بحيث لو فتش عليها أحد لم يجدها وقال دعها تكون هنا لوقت الحاجة اليها وسوف يقطع الصوت فى البلد يعنى بلد الروم وتتبعنى الخيل الى بلاد الاسلام وأنا أقيم هنا لوقت الحاجة حتى أنظر مايقوى عليه عزمى ونام البطال باقى ليلته الى الصباح ثم انه صلى الفجر ووثب قائما وجعل يسعط أبا يخلاف حتى زال عنه مانزل به من النوم فتقايا أبو يخلاف البنج وفتح عينيه وكان البطال قد أدار يديه الى خلفه ففتح أبو يخلاف عينه فرأى روحه فى ذلك القالب لا يقدر يقوم ولا يتحرك ونظر إلى البطال فقال أحسنت قد سرقونى وحق النبي العربى وسرقوا الساقى معى فقال البطال ويلك ايش هذا ياسفلة انت قلت أنا أحرسكم من أبو محمد البطال فاعتمدنا على كلامك ونمنا قدامك فجاء البطال وذبح كل من كان هناك وأخذ الجاريه شمسه بعد ان فعل بى وبك ماترى ومضى يجيب لنا شيء يقتلنا به أو يحرقنا ويرمينا فى هذا الجب وأشار الى السرداب فقال وهذا الجب كان تمام الحرفة فقال أبو يخلاف ياجميل الستر لا بد مانصل الى قارون الذى خسف الله بداره الارض فقال البطال اذاً أقول له انك قلت تريد تضرب رأسه بالنعال فقال وحق العشرة لا تقول له ذلك المقال فقال البطال فى نفسه ماهو الا على دين الاسلام لانه ماينساه ولا يريد سواه وانما انفسد حاله عند رؤيته للجارية شمسه ثم انه قلع اللحية وغير زيه الذى هو فيه فعرفه أبو يخلاف فقال أحسنت وحق الصديق هذا الذى كان يسقينا ماهذا الا شيطان فى أى صورة أراد خرج وان أنا أنكرت شيئا من ذلك قتلنى لانه كان مشاهد القصة فأقبل عليه البطال وقال له ويلك كفرت بالرحمن وملت الى الصلبان فقال لا والله ياأبا محمد انما سلبت عقلى ستى شمسة وكان ما رأيت من فعلى فضحك البطال وقال له ويلك تتوب الى الله تعالى حتى أخلصك من الوثاق وأعطيك الجارية شمسه فقال أى وحق عائشة الصديقة يامولاى وهاأنا قد تبت فبينما هم فى الكلام واذا بأربع رجال قد دخلوا الى القرية ومعهم بغل وعليه صندوق وهم طالبين الصومعه التى فيها البطال فقلق البطال واختفى الى ان دخلوا

فنظر اليهم واذاهم غلمانه يانس واوّاق وسبك وجوهر وفى الصندوق الذى معهم صوت ضعيف ولما نظر البطال الى ذلك كاد عقله أن يطير من الفرح لانهم كانوا عنده أعظم منزلة من أولاده وأراد يسمع مايقولون فصنت اليهم حتى صاروا قريبا من السرداب وسمعوا حس البطال وأبو يخلف فيه ففزعوا وقال اوّاق والله هذا شىء لم يكن فى الحساب والله ماكنت أظن ان أحدا يعرف هذا الموضع الا ان كان مولاى أبو محمد البطال وحياة رأسه ان كان هو قد سلم ودخل خلفنا فهو فى هذا المكان فقال يانس يا اوّاق دع عنك هذا المحال وأين سلم مولانا ياطول حسرتنا عليه قد سمعنا انه هالك من قبل أن نقع فى الاسر فقال اوّاق يايانس ربما بلغ الفتى الآمال ورجع الغريب الى الاوطان بعد إياس النساء والرجال فعند ذلك طلع اليهم البطال وقد انهملت عيناه بالدموع من شدة الفرح بالاجماع فأنشد وجعل يقول

تقضى زمان الهجر وانقطع الصد   وعدنا وقد نادى بنا الملك الفرد
طردنا ليوم البين لما تنسمت   رياح دنو القرب وانهزم البعد

(قال الراوى) فلما رأوه الغلمان زال الكتمان وتحققا بالعيان فأرموا أرواحهم عليه وجعلوا يبلون قدميه وكذلك هو يقبل عوارضهم ويبكى ساعة وافترقوا فقال ياأولادى من فى هذا الصندوق فقالوا صاحبك وصديقك ومن لنا فى أسره ثلاث سنين الشيخ النجيح عقبة فقال البطال وقد زاد به الفرح أحسنت والله يانعم القرين والله لا اطمنه بالشمال واليمين وان هذا الظفر سعادة من رب العالمين فاحكوا لى كيف وقعتم بهذا اللعين فقالوا اعلم يامولانا انه لما أسرنا عقبة عمل علينا ورجع أسرنا الى الروم فأوصلونا الى القسطنطونيه وتركونا فى المطامير طول هذه المدة فلما كان فى هذه الايام أشار عليهم عقبة بقتلنا فتوكاوا بنا ليقتلونا عند الصباح فبينما نحن كذلك وقد مضى علينا ربع الليل واذا دخلوا علينا مارس وأخيه دارس بسيفين مجذبين فقتلوا الموكلين بنا وقطعوا اكتافنا وأطلقوا سبيلنا فقلنا دلونا على القاضى عقبة لعلنا نأخذه فقالوا انه فى بيعة سوفيا ثم أعطونا خناجر فدخلنا عليه وأخذناه فى ستر من ستور البعية وسرنا به الى دار مارس فخفانا عنده فى سرداب عشرة أيام حتى انقطع عنا الطلع وأعطانا بغل وصندوقين فنزلنا عقبة فى صندوق وزادنا فى الصندوق الآخر وسرنا الى هذا المكان فحدثهم البطال بحديث أبو يخلف وتنصره فقالوا له ياويلك كفرت بالرحمن من أجل هذه الجارية فقال اسكتوا عنى لو رأيتوها لتنصرتم فضحكوا من كلامه فقال لهم البطال أريد أدخل إلى مدينة القسطنطونية لعلى آخذ بثارى من حرب بن شيبان لاجل قتل ولدى فقالوا اليس هذا صواب لان القسطنطونية

منقلبة من أجل هذه الجارية لانها زوجة الملك ميخائيل والثانية لاجل فقد عقبة فقال لابد من المسير فقالوا مالناصبر على فقدك ولا بدلنا من المسير معك فكتف أبويخلف وترك عنده المال والزاد والماء والجارية وعقبة وهما مكتفين وقالوا لهم كلما جعتم وعطشتم كلوا واشربوا وسدوا عليهم باب السرداب سدا وثيقا وساروا الى ان وصلوا الى القسطنطونية ولبس البطال جبة صوف وشد وسطه بحبل من صوف ولبس على رأسه قلنسوه حمرا وعلق فى حلقه صليب فى خيط من صوف واحتطبوا واحطباوشالوه على رؤسهم ودخلوا البلد وهو قائم على ساق ولقيوا حرب بن شيبان قد خرج فى جمهور العسكر فى طلب غلمان البطال وعقبة وشمسة وذلك ان الجوار الذين كانوا مع شمسة هم والبطارقة وصلوا الى القسطنطونية وأخبروا الملك بما جرى فعظم عليه وقال لارباب دولته ياقوم ماتروا ماجرى من سرقة الشيخ النجيح وأخذ شمسه وهروب غلمان البطال ثم زعق فى عساكره وأمرهم بالركوب وخرج حرب ابن شيبان كما تقدم ووصل البطال وغلمانه الى دار مارس وطرقوا الباب فخرج اليهم غلام مارس فعرف البطال فدخل الى أستاذه وعرفه بالحال فقال ادخلهم عاجلا فدخلوا ولما نظر مارس الى البطال وثب اليه واعتنقه وسأله عن حاله فأخبره بما جرى من يوم قبض عليه الى يوم وصل اليه ففرح بسلامته وقال له فيما أتيت ياأبو محمد فأخبره بخبر حرب بن شيبان وقتله لولده وقال له لابدلى من نارى وكشف عارى فقال مارس نعم ماتفعل ولكن الحرس على القسطنطونية كثير فقال البطال أنا أدرك الحرس كله الليلة (قال الراوى) وكان دخولهم الى البلد فى اليوم الخامس من يوم هروب البطال هذا وقد طير ملك الروم الطيور الى الديادبة الذين على رؤس الدروب والقلاع وأمرهم ان يمسكون الطرقات ولا يجوز عليهم إلا من يعرفوه فأقام البطال فى البلد ثلاثة أيام ثم انه كتب وقال لبعض غلمانه امضى واتنى برجل غريب فمضا وأتاه برجل غريب من القبارصه فأعطاه خمسمائة دينار وقال له خذ هذا الكتاب ولا تعطيه لأحد الا للملك فى يده وارجع الى فأخذه ومضى حتى أتى بين يدى الملك بعد ان استأذن له فلما مثل بين يديه أخرج الكتاب الذى معه فأراد الوزير ان يأخذ الكتاب منه فامتنع وقال أيها الوزير مامعى دستور بذلك فأنا أمرت ان أوصله للملك فى يده فلما تأمله عرف العلامة فأمر اليه بالانصراف ثم أعطاه للوزير ففكه وقراه ووقف على مضمونه ومعناه وهوى إلى الارض يقبلها فقال الملك مابالك فقال اعلم يامولاى ان سعادتك قد غلبت فقال الملك بحق المنسيح ماالخبر فقال اعلم يامولاى ان هذا الكتاب بخط الشيخ النجيح عقبة يذكر فيه ان حرب ابن شيبان أدرك غلمان البطال وخلص

الشيخ النجيح منهم ولحق أيضا البطال فأخذه وخاص شمسة من قبضته والكل قدصاروا فى قبضته وماأعاقه عن المسير الاخبر سمعه ان ألف فارس قد دخلوا إلى بلاد الروم ينتظرون قدوم البطال حتى يعود فيخفوه من الاعداء وقد سار حرب ابن شيبان فى طلبهم على غرتهم ويعود وقد ترك عقبة والملكه شمسه والبطال فى ديرهوسى الذى أخذت منه شمسه ومايقدروا على الرجوع خوفا من طلبهم فى الطريق وعقبة يشتهى أن يخرج اليه قوم يقسلمون منه البطال وغلمانه واليك يوصلونهم ويطلب عقبة أيضا عشرة آلاف أخر من خيار البطارقة يصلون الى نجده حرب ابن شيبان فأنت تعلم بنى كلاب وشجاعتهم وان كل واحد منهم يريد جماعة من الابطال الاقيال (قال الراوى) فلماسمع ذلك صلب على وجهه وقال لا بد ان أكافىء حرب ابن شيبان على هذا الجميل ثم ضرب البوقات فى البلد وشاع الخبر فى الناس وفرح العالم بهذا الامر وأمر الملك منويل أن يخرج إلى نجدة حرب ابن شيبان عشرة آلاف بطريق وآلاف آخر من أجل البطال وغلمانه يقبضوا عليهم على رغمهم وساروا الناس على هذا الأمر وفى تلك الليلة نزل البطال الى دار حرب ابن شيبان فوجد له أربعة أولاد نيام فذبح الاربعة وذبح أمه وأخوانه وستة من جواره وفتح له خزانة فوجد فيها عشرين ألف دينار وجواهر تساوى مثل ذلك فأخذ الجميع ونزل من الدار وماترك فيها ناطق وكان فى هذه الايام قد عرف مكان الراهب شومدرس فدخل عليه فلم يجده وانه نزل الى مكان فوجد فيه الراهبه شوما فبرك على صدرها وقال لها ياالعينه تعرفى البطال والله لانكان يكى غاية النكال ولكن فى قلبى ان الامير عبد الوهاب يشتفى منكى ثم انه وضع الاكرة فى فمها وشد يديها الى رجليها وأخذها وخرج بها وقال لغلمانه كيف نعمل فقالوا امافى الامر الا اننا نقصد إلى دار مارس ونكون عنده الى ان نجد إلى الخروج سبيل فقصد الامير أبو محمد اليه ودخل وأخفاهم فى سرداب وأقاموا عنده وقال لهم مارس أليس قد جاء الينا كتاب عقبة وحرب ابن شيبان يخبر انه قبض عليكم فقال أبو محمد لا تقول ذلك واعلم انى قد مكرت بالملك منويل وان ذلك كله من فعالى قال فلما أصبح الصباح وقع الصوت فى البلد بما قد وقع فى بيت حرب ابن شيبان وذبح أهله وأولاده فعظم ذلك على الملك منويل وقال ياقوم هذا بخلاف الكتاب الذى وصل الينا ثم انه أنفذ بطريق من خواصه يكشف له الخبر فنهض شومدرس وقال ماهذا الخبر الا أنا لانى أمضى إلى الراهبة شوما وأكشف أناوإياها هذا الحال ثم انه مضى إلى داره يطلب زوجته فوجد الدار مهابلاقع فقال هذا مالم يكن فى الحساب ثم رجع إلى الملك وقال وحق المسيح ان تم علينا هذا الامر سوف نؤخذ كلنا من مواضعنا فقال الملك ماوراك فقال أخذت الراهبة وأصبحت

آمالى منها خائبة قال فلما سمع الملك منه ذلك عظم عليه وكبر لديه فهو على ذلك الحال اذدخل عليه بعض الرهبان وقبل الأرض وقال له قد وصل عقبة وحرب ابن شيبان والملكة شمسه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان حرب ابن شيبان لما مضى فى طلب أبو محمد وغلمانه وجد فى المسير الى ان وصل الى الدروب فلم يجد خبر ولا أثر فرجع طالب القسطنطينيه وهو خائب مما كان له طالب ولم يزل سائر إلى ان وصل إلى تلك القرية الخراب التى كان فيها أبو يخلف وعقبة وشمسة فى ذلك السرداب فلاح لحرب عند تلك الصومعة شبح وكان عقبة اللعين لما بقى هو وأبو يخلف قد قال للجارية بالرومى اعلمى انه ما بقى عندنا غير هذا الشيطان وهو لكى عاشق وبكى وائق وايش ماقلتى له فعل وأريدان أدبر عليه بعض الحيل ثم ان عقبة قال لابو يخلف ياهذا لاتفرح بهذه الجارية فما بينك وبينها الا بقدر ماتصل الى ملطية ويأخذها منك عبد الوهاب انفسه أو ظالم وتندم حيث لاينفعك الندم وان أردت المقام عندنا والزواج فأنا أزوجك بها وحق المسيح والا يكون برىء من دينه ثم ان عقبة أقبل على شمسة وكلمها بالرومى وعلمها ماتفعل فأقبلت عليه وكان أبو يخلف قد عاركها لعله ان يصرعها إلى الأرض فلم يقدر على ذلك فلما جرت هذه المحاورة بينه وبين عقبة قالت له شمسة لاتطيل الخطاب فأنا لاأمكنك من نفسى ولا أخرج معك الى بلاد الاسلام وان عصيتنى على ذلك قتلت نفسى ولا أحصل لك ولا لغيرك إلا ان تقبل منى ماأقول الك فأكون الك زوجة فقال أبو يخلف وقد سلبته بتلك الالفاظ التى هى أحلى من الجلاب ياستى هذا هو الصواب وأى شىء قلتيه ماأخالفك فيه فقالت أريد أن تطلق هذا الشيخ الصالح المسكين حتى أقول الك مايكون فامتنع أبو يخلف من ذلك فكلمها عقبة بالرومى فخلعت أثوابها وبقت كانها عامود بلور ونظر أبو يخلف إلى بياض بدنها وطيات أعكانها فغاب رشده وطار عقله وقالت له وحق دينى ان أنت أطلقته فأنا أملكك من روحى وآخذك الى القسطنطونية وأكون لك وبحكمك من حيث لايعلم بنا أحد وماطلبتك تأتى معى من الاول إلا انك وقعت فى قلبى (قال) فلما سمع ذلك من كلامها قال والله لقد صدق عقبة فى قوله ان هذه الجارية لو وصلت معى إلى بلاد الاسلام أخذها منى ظالم ومالى إلا ان أطلق هذا الشيخ وتمكنى شمسه من نفسها وإذا بلغت منها مرادى أعود اقبض على عقبة ثم أقبل عليها وقال لها أريد منكى ما وعدتينى به وتحلفى لى انكى لاتخونينى فى الايمان فقالت شمسة سمعا وطاعة قل لهذا الشيخ يتوارى عنا ويخرج من السرداب فانى أستحى منه أن يرانى على حالة الاجتماع عندها تقدم أبو يخلف الى عقبة وحله من وثاقه وقال له ياشيخ أخرج الى السرداب وشم الهوى فأنا

أعلم انك ضيق الصدر بما جرى عليك من هذه النكايب فخرج عقبة وجعل يلتفت يمينا وشمالا وإذا هو بغبار حرب ابن شيبان قاصد إلى نحوهم بالحال ونزلوا إلى السرداب وإذا بالجارية تعارك أبو يخلف وقد وقعت إلى الأرض بما عاركته فأخذهم حرب ابن شيبان وسار بهم طالب الى القسطنطينية وعقبة يقول له أيها الأمير الحق بنا البلد فان البطال فيها لعلنا أن نأخذه هو وغلمانه وأنا أعرف مواضعه ثم ساروا حتى دخلوا إلى القسطنطينية وأتى إلى بيته وقد جرى ما جرى فلما رآهم الملك ألقى اليهم الكتب وقال لهم أنتم كتبتم هذه الكتب فقالوا لا وحق المسيح وما هذا الامن فعال أبو محمد البطال وهو الآن فى البلد فقال الملك وكيف يكون ههنا وعند من يكون فقال عقبة أيها الملك ان أردت انه يظهر فاقبض على مارس ودارس لانهما منافقين على أهل الملة المسيحية ولم يزالا يجسران البطال على كل بليه وكان أبو محمد قد أقبل على مارس ودارس وقال لهما عند سماعه بخلاص عقبة اعلموا أن الملعون عقبه يأخذنا لامحاله لانه يقول للملك أطلبهم فى دار مارس ودارس وتغلق أبواب البلد ونؤخذ قبضا باليد فقال له مارس فكيف يكون العمل قال سوف ترى العجب ثم ان أبو محمد غير زيه وزى غلمانه وأوقفهم بين غلمان مارس ودارس ودار وا من حولهم بحيث لو رآهم من رآهم لم يشك إلا انهم من غلمان مارس ودارس وأصحابهم وكذلك فعل أبو محمد بنفسه مثل ذلك (قال الراوى) فما فرغ البطال من هذا الترتيب الا وقد دعا الملك بمارس ودارس فلما حضرا بين يديه قال لهما ان الشيخ النجيح قد ذكر لنا ان البطال عندكم فى دياركم فلما سمعوا ذلك أيسوا من السلام وقالوا أيها الملك وحق المسيح ما رأيناه ولا نعلم أين هو وهانحن بين يديك فافعل بنا ماأردت فعندها أمر عقبة بغلق أبواب البلد ودخل هو وجماعة من خواص الملك إلى دار مارس ودارس وفتشوها من أولها إلى آخرها فمارأوا فيها أحد فعادوا فتشوثانيا وثالثا وأقاموا طول النهار يفتشون فلم يروا لهم خبر فرجعوا وأعلموا الملك بذلك فعظم عليه وكبر لديه الاخراق بهما لان أختهما كانت زوجته فوجعه قلبه عليهما ثم ان الملك التفت الى عقبة اللعين وقال له ماأنت إلا مفسود الظن فى مارس ودارس وحق دينى ماقوام دين النصرانية الا بهما وشرفهما وعظمهما ومضيا الى منزلهما ففرح البطال وغلمانه بذلك وهنوهم بالسلامه وقال أبو محمد لمارس كيف رأيت فعل الشيخ المجرب فقال له مارس جزاك الله خيرا بما فعلت فمازلت ملجأ لكل لاجىء وقال قد عولت على المسير ثم انه ودعهما وأخذ غلمانه وخرجوا طالبين باب الذهب وإذاهم بمائتين بطريق على الباب وعقبة مختفى بينهم فلمارآهم قبضوا عليهم وكشف عقبة وجهه وقال كيف رأيتم هذه الفعله أكتبها فى ديوانك ياأبو محمد ثم رفع

صوته فسمع منويل بذلك فأمر باحضارهم فدخلوا عليه والشيخ عقبة بين أيديهم فلما رآه الملك وثب له قائما وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وأجلسه إلى جانبه ثم انه سأله عن ذلك فاخبروه بمادبر وكيف قبض على البطال وغلمانه وقال أيها الملك ألم أقل لك ان فى بلدك من هو مخامر عليك ومهما يجرى فى القسطنطونيه طالعوا به بلاد الإسلام ولكن مكنى من أبو محمد البطال وغلمانه وانظر العجب فقال له الملك منويل دونك وماتريد فما على يدك يدفعنها أمر البطارقه فقدموا له الأمير أبو محمد فقال له عقبة اعلم يا أبو محمد انه ماينجيك منى الا الصدق فى الحديث وأريد منك انك تقول للملك إذا جئت إلى بلاد القسطنطونية تكون فيها عند من من أصحاب الملك ومن يساعدك على ماتريد فقال البطال ياقليل العقل مالى من يساعدنى فى كل الأمور إلا الله تعالى ولا أعلم ماتقول ولا تكثر على فضول يامخذول (قال الراوى) فصعب على عقبة ذلك حتى مابقا يبصرما بين يديه ومد البطال وضربه حتى غشى عليه وكذلك بقية الغلمان ثم صبر عليهم ساعة إلى أن فاقوا وضربهم مرة ثانية فلما غابوا عن الوجود خلاعنهم وقعد يتحدث مع الملك ساعة زمانيه حتى أفاقوا وعاد ضربهم مرة ثالثه لحكم كل واحد أنه قضى عليهم فقال الملك يكفيهم أيها الشيخ النجيح ارفعوه هو غلمانه إلى بعض المطامير فعند ذلك رفعوهم وقعد الملك هو وأرباب دولته يلعبون ويأكلون ويشربون وكذلك عقبة نهض إلى حجرة قدأعدت بسببه فقام وفى قلبه النار على أبو محمد البطال ولم يصدق بالصباح أن يصبح حتى نهض الى خدمة الملك ودخل وسلم فرحب به الملك وأجلسه إلى جانبه ودخلت أرباب دولته إلى خدمته وصار كل واحد يجلس فى مكانه المعروف (قال) ولم يستقربهم الجلوس حتى قال عقبة بعدما استأذن الملك منويل على البطال لاغير فلم يكن باعجل حتى مثل بين يديه بحضرة الملك فقال له عقبة ويلك ياأبو محمد ايش يطيب لك من اتلاف مهجتك رمانفسك عوض فقال البطال ماأعلم ماتقول فقال على بالسياط فقدمت اليه وقام عقبة وشمر عن ساعديه وضرب أبو محمد حتى كاد يقضى عليه فزعق البطال وقال خفف عنى وأنا أقول لك فأمر الملك بتخليته فرفع الصوت عنه وقعد عند رأسه وجعل البطال ينظر يمينا وشمالا ويتصفح وجوه القيام والقعود ومارس وأخوه غاية من الخوف والقلق والحذر لاجل التفات أبو محمد فقال الملك ماالذى تنظر فربما عندك فقال أبو محمد أيها الملك نحن محلفون اننا مانقر على من كنا عنده لانه على ديننا ويقيننا والآن قد علم الله تعالى ماقررونا إلا تحت الضرب ويعز علينا ان نقر عليهم أيها الملك (قال الراوى) هذا وعقبة لم يصدق بذلك من الفرج وقال فى نفسه مايقرون إلا على مارس وأخيه دارس فقال عقبة ويلك يا أبو محمد تفدى غيرك

بروحك وبمهجتك لاكان ذلك أبدا فقال أبو محمد ويلك ياعقبة فاليمين الذى بيننا وبينه ماأطالب به يوم القيامة فقال اللعين عقبة قر أنت على من كنت عنده ودع يمينك فى رقبتى وانك كنت مغصوبا فقال البطال الآن طاب قلبى اعلم أيها الملك أن مالنا فى هذه البلدة من نكاتبه غير الوزير البراكوش ولولاه ماقدرنا نفعل شيأ وفى هذه المدة كنا فى داره فى سرداب غامض ويعز على بعد سبع سنين يكون جزاه منى هذا الجزاء ولكن الروح مالها عوض (ياسادة) هذا ومارس قد طاب قلبه وانشرح صدره لأنه كان قد حمل هم عظيم هذا وعقبة لم يلتفت إلى كلام البطال وقال له دع عنك هذا الهذيان والزور والبهتان فاصدقنى وإلا ضربتك الضرب الوجيع وعذبتك العذاب الأليم وكان الملك قد انقلبت عيناه فى أم رأسه لكن غمزه عقبة حتى يؤكد الحال فقال أبو محمد وقد رفع طرفه إلى الملك وقال أيها الملك إن أردت الصدق فقد صدقتك وإن أردت الكذب فأنا أكذب على من أردت من الأصحاب فقال الملك وحق المسيح ماأريدك تكذب على أحد بل أريدك تقول الصحيح وأنا أطلق لك السبيل وأوفى لك بما وعدتك فقال البطال أنت تعرف على اننا قوم لانستحسن الكذب فى ديننا وهو أعظم ذنب يكون وكل أهل دولتك أعرف بنا وقد صدقت فيما أشرت فاعمل بعد ذلك مااخترت هذا والملك قد التفت إلى عقبة وقال له أيها الشيخ النجيح ماترى فيمن يأكل نعمتى ويتقلب فى دولتى وأساويه بروحى ومهجتى ويعمل على إقلاع دولتى ودينى ويخامر على مملكتى فقال عقبة أيها الملك لاتستعجل فقد يلحق المستعجل الزلل وحق المسيح والصلبان ودير الزيت والرهبان لقد حدثتنى نفسى أن هذا القول من البطال زور وبهتان وكل ماقاله محال ولكن أنا أبين لك الحق من المحال فقال له الملك لك تريد أن تعمل فقال ايها الملك أرفع البطال إلى بعض الخزائن وأحضر بعض غلمانه وأقرره فان هو قر وتكلم مثل صاحبه فكلما يقول البطال صحيح فقال الملك ارفعه إلى أى مكان أردت فرفع أبو محمد إلى بعض المطامير التى فى القصر (قال الراوى) وأحضر اؤاؤ بين يدى الملك منويل فقال له الملك ويلك يااؤاؤ فى هذه المدة الطويلة أين كنتم فكان جواب اؤاؤ للملك أحسن من جواب البطال لأنه قال ما أعلم ما تقولون فقال له عقبة ويلك فقد اعترف مولاك بذلك فكن أنت كذلك فربما قال مولاك صدق أو محال وهذا فى دينى لايجوز فقال اؤاؤ وكيف يكون ذلك يامولاى ولا يجوز لى أن أقابل الإحسان بالهوان والزيادة بالنقصان بل روحى فدا لذلك الإنسان فلما سمع ذلك شاط من الغيظ وأمر بمده فمدوه ووثب إليه الملعون عقبة كأنه شيطان وأخذ السوط بكفه وضربه على وجهه فناداه ارفع عنى الضرب قال فرفع عنه فقال له اؤاؤ أيها الملك كنا

عند الوزير البراكوش وهو من أهل ديننا ويقينه يقيننا ولولا ما كان يتم لنا ما نريدهذا والملك قد قامت عيناه فى أم رأسه حتى خشى من صولته جميع جلاسه وقال على بغلام البطال الآخر فاحضروا سبك وأقاموا اوإو وأرادعقبة ضربه فقال لا تضربنى وأنا أقول لك فقال الملك ياسبك قول ماعندك فقال سبك كنا فى دار الوزير البراكوش فى سرداب غائص فى الأرض فتعجب الملك من ذلك وبرد ما كان عند عقبة لأنه كان يرى الوزير أمر عظيم وكان يتعصب لعقبة وكان صديقه وصاحبه ونديمه فالعجب أن تنظر ياهذا إلى ألطاف الله تعالى كيف أن قد صار هذا الاتفاق من ثلاثة على اقرار واحد وكان ذلك توفيقا من الله تعالى من حسن نية البطال (قال الراوى) فعندذلك زعق الملك فيمن عنده وأمرهم بالقبض على الوزير فقبضوا عليه وبعث أخيه الملك ميخائيل إلى داره فنهب كل ما كان فيها وضرب الوزير الضرب الوجيع الشديد وأمر بحبسه حتى يرى فيه ما يفعل ففعلوا به ذلك وكان هذا كله بمشورة عقبة لأن الملك أمر بضرب عنقه فقال عقبة ياملك احبسه الساعة حتى تنظر لحبسه وبعدذلك قال عقبة أيها الملك يجب عليك أن تقتل البطال وغلمانه وتخلى سرك لملاقاة المسلمين لأننا لا نأمن عليه مادام فى القسطنطينية إلا إذا كنت فى مقابلة العدو فقال الملك احتفظوا به إلى غداة غد فاقتله فرفعوه هو وغلمانه إلى بعض المطامير وقعد الملك على سرير ملكه وكان لما فقد شمسه قد كاتب ملوك الأقاليم وأمرها أن تجمع العساكر وتقـــدم عليه وصارت العساكر كلما جاءت ازدادت وقد عول الملك على قتل البطال بمحضر من الملوك الذين قدموا من الأقاليم ويكون ذلك يوم عيد وأمسى المساء وتهور الليل هذا وعقبة ما يصدق بالصباح أن يصبح حتى قصد إلى بيت الملك وسلم عليه وجلس إلى جانبه وأقبلت أرباب الدولة يهرعون إلى الخدمة ويطلبون الفرجة على أبو محمد البطال وكذلك الملوك الذين قدموا ن البلاد والأقاليم ولما اكتملت الملوك والسادات أمر الملك باحضار البطال وغلمانه فــلم يكن بأعجل بما حضر بين يديه وأمر الناس بالخروج إلى الميدان الأخضر حتى يحضروا قتل الأمير أبو محمد البطال فركب الملعون عقبة والملك والبطال بين أيديهم عريان مكشوف الرأس وكـذلك غلمانه وعقبة بين أيديهم وقدرفع صوته بقراءه الانجيل وكان عقبة ماقصد بقراءته الاتحريضا للملك على قتل أبو محمد البطال هذاومارس ودارس عندهم من هذا أمر عظيم ولم يزل الملك سائر حتى وقف فى وسط الميدان ونصب له سرير من العود القمارى وجلس عليه ونصب بين يديه سرير آخر وأمر عقبة بالجلوس عليه فقال أيها الملك ماهـــذا يوم قعود بل أكون واقفا بنفسى فى خدمة المسيح لانك وصلت الى شىء

ماوصل اليه أحد لا من قبلك ولا من بعدك ثم بعد ذلك نصبت الكراسى وجلست الملوك عليها وأمر الملك بالنداء فى أزقة مدينة القسطنطونية ألا من أراد النظر إلى اصرا المسلمين فعليه بالميدان الأخضر لأن الملك قد أمر بقتله فخرجت العالم يهرعون وإلى الميدان يتسارعون وعلى البطال وغلمانه يتفرجون ولم يبق فى القسطنطينية لاصغير ولا كبير ولا عبد ولا أمير ولا مخدره ولا مخبية الا وخرجوا يتفرجون على قتل البطال وغلمانه ورفعت الناس طبقاتهم وأوقف البطال بين يدى الملك وأحضر السياف وأمره الملك أن يضرب رقبة البطال فقال البطال للملك بحق المسيح الا مابلغت ارادتى قبل أن أشرب كاس منيتى فقال الملك قل ماعندك فقال البطال تأتينى باناء فيه ماء نظيف طاهر حتى أتوضأ أنا وغلمانى ونصلى ركعتين لله تعالى وبعد ذلك افعل مابدالك فقال الملك بلغوهم مأمولهم فقال عقبة أيها الملك عجل بتلافهم فان للساعات آفات والعاقل من ينهب الفرصه قبل حلول الغصه فقال الملك ياحجة المسيح مابقى لهم من الأجل الا القليل وأريد أن أبلغهم ماطلبوا ثم انهم أتوهم باناء فيه ماء طاهر وقعد البطال وأسبغ وضوءه وكذلك غلمانه وقد أيقنوا بالهلاك وسوء الارتباك واستقبل القبلة وصلى ركعتين وقعد يذكر ربه ويدعو ويتضرع وقال اللهم انى أسألك يامن لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا تصفه الواصفون يامن يعلم قطر الأمطار وما أظلم عليه الليل وماشرق عليه النهار وأزل عنى هذا الغم والضيق وأطفىء عنى نارمن أضرم لنا وقده وأدخلنا فى درعك العظيم الحصين وعجل لنا بالفرج القريب فأنت أرحم الراحمين

(قال الراوى) فما استتم دعاءه وشكواه حتى أقبلت رجال مسرعه ورؤوسهم مكشفه ينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور فانزعج الملك لذلك وأحضرهم بين يديه وقال لهم ماوراءكم ومن بشره رماكم فقالوا أيها الملك خذ لنفسك فقد دخلت علينا عساكر الاسلام الى بلاد الروم فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وقد اهتزت الأرض والجبال وقد تدكدكت الشعاب والتلال فقامت على الملك القيامه ورجع على نفسه بالملامه وأمر برجوع البطال وغلمانه الى السجن والاعتقال ووقعت الخذه على عقبة شيخ الضـــلال ومعدن الكفر والمحال وامر الملك برحيل العساكر فى الوقت والحال

(قال الراوى) هذا ماجرى لهؤلاء وأماسبب قدوم العساكر ووصول هذه الكتائب والعشائر فان عبدالوهاب كان قد وصل اليه الرشيد فى عساكر تملا الفلا وتسد المستوى فقال له الأمير أيها السيد ماسبب هذا الغزاة وقدومك بهذه العساكر فى هذه الهمه فقال أيها الامير ان الملعون كلب الروم قد تعود بالغدر ونقض العهد وماخفى عليك ماصنع بالمسلمين بعدما كانت الهدنه بيننا وبينه وقد بلغنى انه قد عزم على القتال والحرب والنزال ثم امر الناس

بالنزول فنزلوا فى ذلك المرج عرضا وطولا وضربت الخيام وشرعت الاطناب وضربت للرشيد السرادق الاكبر الذى لا يملكه كسرى ولا قيصر ولا ملوك بنى الاصفر ونفرت الروم طالبه القسطنطونيه ومعه خلائق لا تحصى بعدد الرمل والحصى ولم يزال الرشيد هو وعساكره أربعة أيام وفى اليوم الخامس طلع عليهم غبار الروم كانه قطع الغيوم فأمر الرشيد الناس بالركوب فركبت الابطال وهمهمت الاقيال وفرح الشجاع واغتم الجبان وكثر منه الخوف والرجفان وتقدمت الاعراب والامير عبدالوهاب فى سادات بنى كلاب يطلبون الطعان والضراب وانكشفت الصلبان ومن تحتها القسوس والرهبان ولم يزالوا كلما اقدم منهم طائفة نزلت أصحابها ونصبوا اقباله ودامت الروم كذلك الى وقت العصر والمسلمون قيام على ظهور الخيل والقداح وفى أكفها الرماح وبعد ذلك أقبل الصليب الجوهر والعلم الاخضر وتحته خلق فى عدد القطر وورق الشجر وتحته الملك منويل ملك القسطنطونيه وسيد سلاطين ماء المعموديه والملوك بين يديه خدمة له ولما ان اشرفوا على عساكر الاسلام زعقت الروم زعقة واحده فاهتزت الارض بجنباتها وقالوا الناس ان القيامه قد جاءت أوقاتها ونزل الملك وضرب له سرادق من الأطلس الأصفر محبوك الاذيال بالدر والجوهر ونصب له فيه سرير من العرعر وجلس على ذلك السرير وأقبل الظلام وحجب بين الطائفتين القتام وتحارست الكرام واللئام وقد فرغوا من ضروب الخيام ولم يزالوا تحت مشيئة الرحمن إلى أن أصبح الصباح الضاحك وولى الليل الأسود الحالك فوثبت الرجال إلى خيولهم فركبوها وإلى رماحهم اعتقلوها وسيوفهم امتشقوها ولبسوا لبوسها وكذلك الروم ركبوا ظهور الخيل وتقدموا إلى الميدان وقد انتشرت بهم الأرض فى الطول والعرض وكذلك العرب ركبوا على ظهور الخيل الصافنات ووقف الرشيد تحت لواه ولبس بردة الرسول صلى الله عليه وسلم ونشرت الأعلام والبنود وعليها مكتوب نصر من الله وفتح قريب وبعضها عليها مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله هذا والرشيد قد أفرغ عليه زردية سيدنا سليمان لا تعمل فيها السيوف الصقال وعلى صدرها مكتوب أقبل ولا تخف إنك من الآمنين وعلى رأسه بيضة عادية مليلة بجلية مبيضة مضية صاحبها آمن من كل آفة وبلية ومن فوقها عصابه من الجوهر والذهب الأحمر مكتوب عليها بذى العزة والجبروت وتوكل على الحى الذى لا يموت هذا والأمير عبدالوهاب قد رتب العساكر ميمنه وميسره وقلب وجناحين وكذلك عمرو بن عبيدالله ونظر ملك الروم إلى ذلك فرتب عساكره (ياسادة) ولقد دخلت الى عساكر الروم فسمعت واحد يقول إن الملك أعرض عساكره فكانت جريدة عساكره ألفين ألف وستمائة ألف سوى السواد وعوام البلد من

القسطنطينية ومعهم من عالم وخدام وغلمان مالا يحصى عددهم إلا الله سبحانه وتعالى وكانت جريدة عسكر الاسلام ألف ألف ومائة ألف ولم تصبر الروم غير ساعة حتى اكتملت وصاحت باختلاف لغاتها وحملت وتلقتها العرب الكرام بوجوه قد تعودت الصدام وزعقت السودان يا آل حام واختلطت العساكر بعضها ببعض وقد ضاقت بهم فسيح الأرض طولا وعرض ونزلت الدما وأرملت النسا ونزل البلا وامتلئت الأرض من جثث القتلا وتبدل الفرح بالويل وكاد النهار كالليل ورقصت الجبال من حوافر الخيل وأضرمت نار الحرب اشتعالها وتضاعفت من الأبطال أهوالها وبلغت من الاعـــداء آمالها وبلغت الأرواح التراقي وجرى النجيع مثل السواقي وسقاهم من الموت ساقي واحمرت الآماق والاحداق وحدى بهم حادى الفراق واشتقت الحلوق من الزعاق وأقبلت الذئاب تروم أكل البطون والروم تصيح بعيسى ومريم والراهب المفتون والمسلمين تستغيث بمن لاتراه العيون ولا تخالطه الظنون (قال الراوى) ولم يزال الضرب يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وطلبت الانفس الراحة من كثرة المعمعة وطلبت الروم خيامها وكذلك المسلمين نزلت فى مقامها وكل منهم يشتكى إلى صاحبه ويندب أهله وأقاربه

(قال) فنزلت المسلمين واجتمع الأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة والامير عمرو بن عبيد الله بين يدى أمير المؤمنين فقال لهم الرشيد ما لقيتم اليوم من الكفرة اللئام فقال الامير عبـــدالوهاب يا أمير المؤمنين كنا بحمد الله عليهم مستظهرين فقال الرشيد الحمد لله رب العالمين (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان قد قتل من عسكر المسلمين أربعمائة غلام ومن عسكر الروم ألفين وخمسمائة لانهم أكثر منهم على كل حال هذا وان الملك منويل قد جلس على كرسى مملكته وجمع اليه وجوه بطارقته واستخبرهم على ماقد جرى لهم فى القتال فشكوا له مالاقوا من السودان وما حل بهم من الجيشان فصلب الملك على وجهه وقال لهم ياويلكم هذا وأنتم أكثر منهم فقالوا له البطارقة أيها الملك يهون علينا أن نلتقى جميع الاسلام ولا ننظر هؤلاء السودان لانهم أفراخ الجان وكان اللعين عقبة جالسا إلى جانب الملك منويل وقد غير حليته حتى أنه لو رآه ولده لم يعرفه وكان حزرا من جاسوس يبصره ويخبر الرشيد بخبره (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك الى ان برق ضياء الفجر ووثب الى القتال كل ليث غضنفر وأسد قسور ولم يكن غير قليل حتى تعدلت الطوائف واصطفت العرب والسودان وهمت ان تحمل على أهل الكفر والطغيان واذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم وطلب عسكر أهل الايمان والاسلام

ولم يزل سائر حتى وقف بين الصفين وطلب البراز وسأل الانجاز فبرز اليه فارس من بنى كلاب كانه شهاب وتحته حصان ينقض انقضاض مثل العقاب فلما وصل الى عدو الله حمل عليه وكذلك الرومى حمل على المسلم وأخذا فى الكر والفر والهزل والجد والاخذ والاختلاف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة المسلم فوقعت فى صدر عدو الله خرج السنان يلمع من ظهره ثم جال المسلم وسأل البراز وطلب الانجاز فخرج اليه أخو المقتول وحمل على الفارس المسلم ولم يطل بينهما المطال حتى ضرب المسلم الرومى بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه (قال الراوى) ياساده ياكرام ولم يزل يقتل فارس بعد فارس حتى قتل من الروم اثنى عشر فارس فعندها حملت الروم من حنقها على المسلم وحملت أيضا المسلمين وكبرت وتكلمت الروم بكلمة كفرهم وبربرت وتحامت السودان وتزاعقت وكان فى أوائلهم شيظم وغيلم وعندم وضيغم ودمدم والفتاك والارقم والبشيق وجحفل وأبو قربه والمضفدع وأبو رياله ولكام الربح وخساف الصدور والاقطو قسام الظهور وغصص الموت وأبو الفوت وسارق الابل ونكاد العشيره وباغض راسه وأكال مداسه وناهل الدما ومصارع الموت وقاتل العبيد والاماء وناهش رقه وحامل ذقه وعين الجان ومرارة الفيل وقتلة القنديل وقناص الاسد وأكال الكبد وأبو زوبعه وصاحب الروس الاربعة وأبو الاخراس والقرد الهاش وأبو سلال وأبو القرون وغيلم المجنون وأخوهم سعدون (قال الراوى) ولو أتممنا أسماءهم اطال علينا المطال وكان أبو الهزاهز بين أيديهم وهو يزعق عليهم ولم تكن غير ساعة حتى جدعت الانوف وعملت السيوف ودارت كاسات الحتوف وكان ذلك اليوم يوم موصوف لان الرجال بذلت نفوسها وقد استغاثت المسلمين بقدوسها واستوى ذلك اليوم رئيسها وخسيسها (ياساده) هذا والأمير عبد الوهاب يسقى الكفار كاسات العذاب وقد اختلطت الروم والاعراب وتحدثت بماجرى لهم فى ذلك اليوم الاحباب وقفلت فى وجوه الناس الابواب وساروا أحزاب أحزاب وابيضت فى ذلك اليوم روس الشباب ولم تنظر الادم فائر وجواد غائر وقد دارت عليهم الدوائر وزلت الاكابر والاصاغر ولم يزالوا على ذلك الحال حتى حجبهم الظلام ورجعوا عن ضرب الحسام وهم سكارى من غير مدام وكان الربح فى ذلك اليوم للمسلمين لانهم طلبوا مرضاة رب العالمين وجلس الرشيد على سريره وقصدت اليه الأمراء والاصحاب وفى أوائلهم الاميرة ذات الهمة والامير عبد الوهاب وجلسوا بين يديه وتحدثوا بماجرى لهم فى ذلك اليوم والرشيد يشكرهم ويثنى عليهم وعلى سائر القوم والسادات

(قال الراوى) ولم يزالوا كذلك إلى ان تهور الليل وطلع نجم سهيل فنهضت الامراء

إلى مضاجعهم ونهض الرشيد إلى مرقده فهذا ماجرى لهؤلاء وأما ما كان من ملك الروم فانه جلس على سريره ودارت به أرباب دولته وعقبة الملعون إلى جانبه والملك ضيق الصدر من أجل انه علم انه خاسر مع المسلمين وهذا وعقبة قد انفطرت مرارته وذابت مهجته ثم انه قال للملك قد خطر ببالى خاطر وأريد ان أعرضه على الملك ففرح الملك بذلك وقال له ماهو الخاطر أيها الشيخ النجيح فقال أيها الملك ان قلبي يخشى على البطال أن ينفلت من القسطنطينية أو يعمل فيها مكيده يشغل بها قلوبنا وانى أريد أن أقصد الى مدينة القسطنطينية أنا وعمك الاندرياس فى ألف فارس ونأخذ البطال ونتركه فى قلعة لؤلؤه حتى نأمن من شره فقال له افعل ماتريد بلغك المسيح آمالك فعندها نهض عقبة من ساعته وأخذ الاندرياس وألف فارس معه ومضوا إلى القسطنطينيه وأخذ البطال وغلمانه ووضعهم فى صناديق وخرجوا طالبين لؤلؤه (قال الراوى) وكان بقيه غلمان البطال فى القسطنطينية فى زى مكاريه وكان قصدهم ان يدبروا حيلة يصلوا بها إلى سيدهم وكانوا المتخلفين من غلمان أبى محمد صافى ويانس وابو الليل فقال بعضهم لبعض الرأى اننا يسير واحد منا إلى عسكر الاسلام ويعلمهم بما دبر اللعين عقبة فعسى ان يخلصوا سيدنا فمضى صافى وجد فى المسير إلى ان وصل إلى عسكر المسلمين وأعلم الاميرعبدالوهاب بذلك فشاور الاميره ذات الهمه بتلك الامور المهمه فقالت الاميرة أنا لهم ثم انها انفردت فى ألف فارس من بنى كلاب والسودان الانجاب وساروا وأكمنوا فى طريقهم بمقدار فرسخين عن العسكرين فبينماهم كذلك وإذا بالغبار قد تار حتى سد الاقطار وانكشف عن ألف فارس وعقبة وعم الملك والصناديق بين أيديهم وهم آمنين (قال الراوى) فلما رأتهم الاميرة نبهت رجالها وأيقظت فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عساكر المسلمين وعساكر المشركين فانهم قد أصبحوا فى ذلك اليوم وقد كثر فيهم التعب والنصب ولم يكن بأعجل مما اعتدلت الصفوف وتقابلت الالوف وبانت عليهم الحتوف وقد همت الابطال ان تحمل على الابطال وإذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم وهو على جواد أدهم عالى ململم بين عينيه غرة كالدرهم والفارس عليه كانه الاسد إذا هدر ودمدم ولم يزل سائر إلى ان وصل إلى الميدان وموقف الضرب والطعان وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس من بنى سليم وحمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه ولم يكن غير شى بيضة أو حلب ناقة حتى طعن الرومى المسلم بين ثدييه خرج السنان من بين كتفيه وعجل الله بروحه إلى الجنة وأمطرت عليه سحائب الغفران والمنة وجال الرومى فى حومة الميدان وطلب البراز والطعان فبرز اليه آخر من عساكر العراق فقتله وآخر من السودان فجندله

هذا والروم قد زادا اظهارها ونشاطها وكثر على المسلمين صياحها وعياطها وانقطع من المسلمين الخروج إلى ذلك الفارس (قال الراوى) ثم رجع ذلك الفارس إلى عسكر الروم وغير جواده وافتقد عدة جلاده وأخذ بين يديه ترجمان يعرف باللسان العربى حتى يتكلم عنه بما يريد ولم يزل سائر إلى جومة الميدان فتقدم الترجمان إلى قدام المسلمين بحيث أنهم يسمعون كلامه وخطابه ويردون عليه جوابه وناداهم يافرسان الإسلام هذا الفارس قد طلب منكم أخلاق الكرام ومبارزة الاقران لانه رومى من جزائر البحر لا يعرف بهذا اللسان فلا يبرز اليه الا من يكون عالى الشان وان هذا يقال له شملوص بن ملك اللان وقد حلف انه لا يرجع عن الميدان حتى تخضب دماءكم على السنان فافهموا هذا الشان (قال الراوى) وكان هذا الملعون فارسا لا يطاق وعلقمار المذاق وكان قد أتى من جزائر البحر لان بلده كانت النصف منها فى البر والنصف منها فى البحر وكان هذا الملعون قد خرج فى هذه النوبة عوضا عن أبيه مقدما على عساكر اللان وكان فى ذلك اليوم قد استأذن الملك منويل فى البراز فأذن له بذلك فبرز كما ذكرنا وقتل من قتل كما وصفنا ولما سمعت المسلمين هذا الكلام هاجت أرواحهم كانهم قصب الاجام وانتخب كل فارس همام وزعق كل بطل ضرغام فتقدها برز اليه الامير ضيغم ولد الامير عبد الوهاب وزعق فيه ويلك يابن اللئام اليوم أسقيك كاس الحمام (ياساده) فلم يفهم الرومى ماقال ضيغم بل حمل عليه وهو يهمهم وحمل كل واحد على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وتطاعنا بالرماح وتضاربا بالصفاح حتى أيقن بالهلاك كل عدو وحاسد وعضت الخيل على الشكائم والمراود وغابا عن الابصار وعلا عليهما الغبار وكلا منهما قدحار ولم يزالا فى كروفر وهزل وجد وأخذ ورد إلى ان استوت الشمس فى قبة الفلك وحميت الرمضا واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة الامير ضيغم فأخذها الملعون فى جحفته وبطلها بجودة خبرته وهمز حصانه حتى حك الركاب بالركاب ومد اليه يده وقبضه من محزمه بكلتا يديه وجذبه اليه أخذه من سرجه أسيرا وسلمه الى أصحابه ورجع الى الميدان وبين يديه الترجمان فأراد ان يتكلم دون ان برز اليه سيف الحنيفية وحمل عليه بجنان قوى فتلقاه الرومى وقد أخذا فى الحرب والقتال والطعن والنزال وقد تطاعنا بالرماح الطوال وتضاربا بالسيوف الصقال ولم يزالا على ذلك الحال الى ان مضى المسى ورجع كل واحد منهما يطلب خيامه وبات الامير عبد الوهاب وهو ضيق الصدر لاجل الامير ضيغم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان من الاميره ذات الهمة فانها كانت قد أكمنت برجالها على رأس درب حصن لؤلؤه حتى

أقبلت عساكر الاندرياس وتلك الصناديق وفى أوائلهم عقبة وعم الملك والالف فارس من ورائهم هذا والاميره ذات الهمة مكمنة على حالها وقالت لهم نحن نكمن ههنا على حالنا فاهم ان طلبوا الدخول خرجنا لهم ومعناهم من ذلك ونسقيهم شراب المهالك ونستعين عليهم بالعزيز المالك فقالوا افعلى ما بدالك بلغك الله آمالك هذا وقد وصلوا الروم الى رأس الدروب وأمر الاندرياس بنزول الناس فى ذلك الموضع وقال لهم فى غداة غد يكون دخولنا الى الدرب فنزلت الرجال وحطت الصناديق بالبطال وقلعت البطارقة لجم خيولها وأطلقتها فى ذلك الموضع ترعى هذا وعقبة قد فتح على البطال وغلمانه الصناديق وقال يا أبو محمد هل سافرت سفرة أيشم من هذه السفرة فقال البطال ويلك ياكلب النصرانية وأخس من غمس من جرن ماء المعموديه أنا أستعين بالله فى جميع أمورى فقال عقبة ويلك يابطال وبقى الك أمور ثم ان عقبة لم يزال يحدث الامير أبو محمد بالكلام حتى أظلمت الاقطار بالظلام وأما الاميره فانها أيقظت أصحابها وأنفذت منهم مائة فارس الى حارس الدروب وأرسلت مائة فارس أخرى مسكوا طريقهم التى أقبلوا منها وأوصتهم الاميره باليقظة والاحتراز على أنفسهم وصبرت الاميره حتى نامت البطارقة وخرجت الاميره وأصحابها صائحة زاعقة فخيل للروم انه قد نزلت عليهم صاعقة وصارت الاميره تزعق فتح الله ونصر ولم يقوم أحد من الروم من مرقده الا والبلاء قد أخذه ولم يكن للاميرة شغل الا الملعون عقبة والملك الاندرياس لانهم كانوا أكبر المطلوب ولم تكن غير ساعة واحدة حتى بقيت الارض من الالف فارس خامدة وكان كل من قصد الى باب المضيق قد حملته المسلمين مالا يطيق وكذلك كل من رجع الى الطريق التى أقبل منها ولم يطلع الفجر الطالع حتى بقت الدنيا من الروم بلاقع واحتوت الاميره ذات الهمة على الاندرياس وعقبة الوسواس الخناس وفتحت الصناديق وأخرجوا البطال وغلمانه ولما وقعت عين البطال على الاميره ذات الهمة جعل يقبل يديها وهو يشكى مالاقى من اللعين عقبة ولم يكن لذات الهمة الاشيخ الضلالة ومعدن الجهالة وقد مات فى جلده لانه كان فى نيته ان يدخل على الرشيد ويقول له انى قد كنت فى بيت المقدس فأمر البطال ان يحضره بين يديه ويوقفه ويثبت عليه الحجة (قال الراوى) هذا والبطال قد اجتمع مع جميع غلمانه لان صافى لما أعلم الاميره أتى معها إلى ذلك المكان واجتمعت الاميره مع أصحابها عند الصباح وشكروا الله على ذلك وقد عولت على الرجوع فقال البطال أيها الاميرة لا تفعلى فقد خطر ببالى انى أفتح قلعة لؤلؤه بالحيلة لان فيها أموال لا تأكلها نيران وكل مال ملوك الروم فيها وبطريقها أكفر خلق الله تعالى وأبغض ما إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت الاميره بماذا نفتحها وهى على هذه الصفة فقال البطال أنا أتزيا بزى عقبة وأنتى على شبه الاندرياس ونأخذ أسلاب هؤلاء القتلا ونلبسها وقد بلغنا المراد لان لؤلؤه مافيها الا نفر قليل والكل فى خدمة ملك الروم فقالت الاميرة يا أبو محمد أخاف من عسر الروم على عسكر المسلمين فقـــال البطال ما تكون غيبتنا أكثر من يوم واحد فقالت الاميرة ذات الهمه افعل ما بدا لك بلغك الله آمالك

(قال الراوى) فجعل البطال يلبس الرجال ثياب البطارقة ويعطى كل واحد قنطارية وطارقة إلى ان تزيوا بزى الروم ولبست الاميرة ثياب الاندرياس ولبس البطال ثياب عقبة وزيه ولزق عينه اليمنى وركب على وجهه لحية مثل لحيته سوداء وأخذوا رايات الروم التى عليها الصلبان وساروا طالبين لؤلؤه هذا جرى للاميرة (وأما عسكر الإسلام) والروم اللئام فانها باكرت القتال والحرب والنزال وترتبت العساكر للمجال إلا ان الامير عبد الوهاب ضيق الصدر لاجل أسر ولده ضيغم وغياب الاميرة ذات الهمه ولا يعلم ما كان منها ولما اعتدلت الصفوف وترادفت الالوف برز شماس إلى الميدان وموقف الحرب والطعان وطلب براز الفتيان وقال على بخصمى بالامس لقد أعجبنى فعاله وقتاله ونزاله فلم يتم شماس كلامه حتى برز اليه سيف الحنيفية على جواد أشقر عالى من الخيل مضمر وهو معتقل برمح أسمر على رأسه سنان متقلد بسيف أبتر ولم يطل الخطاب حتى التحم الفرسان فى الميدان وكل منهما قد أطلق لحصانه العنان وقوم إلى صدر غريمه السنان فكانوا كانهم وزنوا فى ميزان وغابوا عن الابصار وطلع عليهما الغبار حتى اختفوا عن أعين النظار وحارت الافكار وفى ذلك الوقت عثر جواد سيف الحنيفية فانكب عليه شماس أخذه أسير وسلمه إلى أصحابه ورجع إلى الميدان وطلب براز الفتيان فلم يأخذ الامير صبر دون أن حمل على عدو الله وحمل عدو الله عليه ولم يزالا فى كروفر وهزل وجد وأخذ ورد وكلما فتح الامير باب سده الملعون لانه كان شيطان رجيم يعد بألف فارس من بارقة الروم ولم يزال الامير يطاوله حتى أضجره لان الامير كان يطلب أسره من اجل أولاده ضيغم وسيف الحنيفيه (يأساده) وبعيد بين من يريد قتلك وأنت تريد أسره إلاان أراد الامير عبد الوهاب قتله كان قتله هذا والأمير يناصله ويطاوله وقد أبصر شماس من الأمير ما أذهله وأبهره وحير بصره وفى ذلك الوقت أشرف الأمير على أخذه ومد يده إلى جلباب درعه وأراد يقتلعه من سرجه وإذا بغبار قد ظهر خلف عسكر الروم كانه قطع الغيوم فاسودت الدنيا من ذلك الغبار فانفصل الأمير من خصمه ولم يأخذه لانه كان اشتغل قلبه بذلك الغبار الذى قد سد الاقطار ودل على عسكر جرار وقد تطاولت الناس اليه بالابصار وبعث ملك

الروم من يكشف اليه الأخبار فعاد الرسول يخبر بان ذلك الغبار لقدوم ملك البرغل عبدالمسيح أبو زيزه لأن هذه زيزه كانت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال وكانت تركب الخيل وتقاتل عليها الابطال وانها سارت فى جماعة لتزور بعض الديور فلما كان وقت المساء قربوا للمبيت وناموا فى تلك الأرض فلما أصبحوا وأرادوا الرحيل من تلك البطاح طلبوا الملكة زيزه فما وجدوا لها أثر ولا وقعوا لها على خبر قالو ماأخذها من بيننا إلا أبو محمد البطال العيار المحتال ثم ان البطارقه رجعت إلى بلادها وأخبروا أبوها بما جرى عليها فلما سمع ذلك بكى بكاء شديدا ماعليه من مزيد ثم انه أرسل إلى جميع من كان يطيعه وسألهم عن ابنته واستحثهم على المسير إلى نجدته وما أفادوه هذه المدة الطويلة حتى قدمت العساكر اليه وتجهز وطلب بلاد القسطنطينية وكانت جريدة عسكره خمسة وسبعين ألف من الفرسان ولم يزال يقطع الأرض حتى وصل إلى أول مدينة القسطنطينية ومن هناك سمع الملك بما هو فيه من قتال المسلمين وكان ذلك بسبب ابنته فقال إذا كان الأمر على مثل ذلك فيجب على ان أسير إلى نصرة الملك منويل وأكون من خلف معونته فقالوا له أرباب دولته لقد نظرت أيها الملك بعين الصواب (قال الراوى) هذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الاميره فانها سارت طالبة إلى قلعة اوٰاوٰة كما ذكرنا وقد تزيت بزى الاندرياس والبطال معها فى زى عقبة ولم تزال سائره إلى ان بقى بينها وبين القلعه مسيرة ساعه وإذا ببطريق القلعة قد خرج إلى لقاها لانه كان له فى بلاد القسطنطونيه صاحب خبر يبعث له الأخبار فبعث له وأخبره بأن الشيخ النجيح عقبة وعم الملك منويل وهو الملك الاندرياس قادمين عليك ومعهم البطال فى الذل والاعتقال فركب لهم وخرج الى لقائهم ولم يعلم بما جرى عليه من المقادير وبما تم على أهل دينه فنزل من قلعته على غرة منه ولما بقى بينهم وبين البطريق رمية سهم قالت الأميره للبطال يا أبو محمد لاشك ان بطريق اوٰاوٰه قد وصل اليه خبر الاندرياس بالقدوم عليه وقد خرج الى استقباله فماذا تشير على أن أصنع قال البطال تقبضى عليه وعلى من معه فانه لابد له من خدمتك لانه يظن انك الاندرياس قال ثم ان الامير أبو محمد عرف الاميره ماتصنع بالبطريق ولم يكن باعجل مما قرب منها البطريق وترجل عن جواده ودنا من الأميره وهو يظن أنها الاندرياس وترجلت الاميره عن جوادها وترجلت الفرسان وتركوا خيلهم من ورائهم (قال) فامر البطال مائة فارس ان يحيدوا بين الروم وبين خيلهم ويأخذوا عليهم طريق قلعتهم وتقدم البطريق الى الاميره ذات الهمة وانكب على أقدامها يقبلها ومع تقبيلة علقت الاميره باطواقه وعصرت حلقه حتى بدت عينيه وخلته

وقع الى الأرض مافى عينيه قطره هذا وقد التفتت الاميره للبطال وقالت له ماالذى تشير به على أن أصنع فقال ترجلى فقد انكشف الستر عن أهل لؤلؤه فقالت الاميره وكيف ذلك ياأبا محمد فقال تخلعى هذا اللباس الذى عليكى وتلبسى لبس بطريق لؤلؤه وتدخلى القلعه ان سرنا داخلها رفعنا أصواتنا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فقالت الاميره ذلك لطف من الملك القدير ثم وصلت الاميره والبطال وخلع البطال ثياب البطريق وألبسهم للاميره ورتب حولها خمسين بطريق وأخذ ثياب الاندرياس ألبسها لرجل من بنى كلاب ونشر الرايات على رأسه ووقفت الأميره الى جانبه واختلطوا بعضهم ببعض وقد تركوا بطريق لؤلؤه وعقبة الأندرياس مع عشرين فارس فى ذلك المكان وكذلك من أسر معه من الفرسان وقصدت الاميره الى القلعه بعدما أوصت أصحابها بالاحتراز من عقبة والاندرياس وسارت الى أن وصلت الى باب القلعة والروم فوق الاصوار وهم مطمئنين الجانب ولم يعلموا بما تم عليهم من النوائب وكان أول من دخل من الباب الاميرة ذات الهمة وبعدها البطال والرجال ولما انصاروا فى وسط القلعة كشفت الاميرة وجهها ونادت الله أكبر فاجابتها بنى كلاب بالتكبير والتهليل ونظرت الى ذلك أهل لؤلؤه فاندهلت عقولها ونفر الصغير منهم والكبير وطلبوا ان يمنعوا عن أرواحهم فوجدوا الامر عظيم والخطب جسيم لان الاميرة بذلت فيهم السيف (قال الراوى) وكان فى القلعة ألف بطريق فلم يكن باسرع مما قتلت الأميره وأصحابها أكثرهم الى أن جرى الدماء مثل الماء ولما أصبح الصباح ونظروا عوام البلد الى هذه الأمور نادوا الورك يعنى الأمان فرفعت عنهم الاميره السيف ولم يمسى المسا حتى ملكت قلعة لؤلؤه وفتحت الخزاين التى كانت فيها فرأت الأميره فيها أموال جمه وكذلك من السلاح فحملت ماخف حمله وغلى ثمنه وعمدت الى باب القلعه وأرمت فيها النيران بعد ماأحرقت كل من كان فيها من أهل الطغيان وركبت الاميره من القلعه الى وسط الوادى الذى هو بين تلك الجبلين والبطال الى جانبها وهو مايصدق انه يرى عقبة وبطريق لؤلؤه والاندرياس لانهم خلفوهم أسفل القلعه كما ذكرنا مع عشرين فارس وأردفهم البطال بثلاثين أخر وقد طرح الثلاثه فى ثلاث صناديق كل ذلك حذرا من الملعون عقبة حتى لا يلعب بعقول الرجال فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عساكر الموحدين فانهم حملوا هما عظيما لاجل قدوم ملك البرغل ولم يزالوا فى حديث رواحهم وخلاصهم والأمير عبد الوهاب مهموم لانه قد حمل هم ولديه ضيغم وسيف الحنيفيه وهم الأميره ذات الهمة وغيبتها وهو قلق أرق فلما أصبح الصباح وثبت الرجال الى القتال ومعاناة الأهوال واجتمعت الخلائق للضروب والطعان ووقف ملك الروم

تحت العلم الأخضر والصليب الجوهر ورتبت الملوك بين يديه وأمر العساكر بالحملة هذا والمسلمين قد اعتدت للقتال وزعقت وعلى الكفار انطبقت واشتدت الامور وكان يومهم كيوم النشور وجرت الدما من الاوداج والنحور وحل الحرب وتقطعت السيقان والركب وبكى الجبان على نفسه وانتحب وضحك الفارس الفيل لما رأى الدم قد نزل ودار بينهم الموت وأرواح الفرسان سلبت ولم تنفع فى ذلك اليوم فضة ولا ذهب ولا حسب ولا نسب ولم يزالوا كذلك الا وقت غروب الشمس وقد ملت من القتال النفس ورجعت الفرسان الى خيامها ولولا ان أدرك الناس المسا كانوا قد هلكوا عن آخرهم لانهم غرقوا فى كثرة العدد وجلس الرشيد والامير المهاب الأمير عبد الوهاب وشكا اليه الرشيد ما لقيه من الروم وقال له يا أمير لو ان الاميره حاضره كانت كشفت عنا هذه الامور الصعاب وما كان يجب عليك ان تمكنها من الذهاب ولا كنت تخليها تغيب عن حرب هؤلاء الكلاب فقال عبد الوهاب والله يا أمير المؤمنين لقد هد حيلى فقدها وبعدها فى مثل هذا الوقت وانقطاع خبرها وما أعلم ما كان منها ولكن الأمر لله من قبل ومن بعد وفى غداة غد أطلب هؤلاء الكفار المبارزة وأطاولهم يوم بعد يوم لعل يأتينا الفرج ويكون لنا من الضيق مخرج فهذا ما كان من المسلمين (وأما ملك الروم) فإنه جلس على سريره وحضرت الروم بين يديه فشكرهم على فعالهم وخلع على أبطالهم وقال لهم فى غداة غد يكون الانفصال ولم يزال معهم فى الحديث حتى مضى أكثر البطارقه وقام ملك البرغل إلى سرادقه وان الروم لم تصدق أن الصباح يصبح لأنها قد طمعت فى عساكر الإسلام فهذا جرى لهؤلاء (وأما الأميرة ذات الهمة) فانها لما أحرقت قلعة اؤاؤه ونزلت إلى الوادى أمرت برفع الصناديق التى فيها عقبة والاندرياس وبطريق قلعة لؤلؤه فرفعت على البغال وجدت الأميرة فى سيرها الليل والنهار وكل ذلك حذرا على عسكر الأبرار ولم تزال حتى انها أشرفت عليهم فى تلك الليلة التى باتوا فيها الموحدين خائفين هذا وقد تقدم البطال إلى الأميرة ذات الهمة وقال لها أيتها الأميرة تريدين أن ندخل إلى العسكر بلا هرج ولا مرج قالت الأميرة ولم ذلك يا أبا محمد قال البطال ان كانوا أصحابنا ظاهرين فنحمد الله رب العالمين وإن كانوا خائفين دبرت حيله على الكافرين على قد ما أريد فقالت الأميرة لله درك يا أبا محمد لقد نطقت بالصواب وأتيت بالأمر الذى لا يعاب ثم أمرت أصحابها بالنزول فى ذلك الموضع وكان بينهم وبين العسكر أقل من فرسخين فنزلت الفرسان فى ذلك المكان وأمرت الأمير بفتح الصناديق ففتح صندوق عقبة وأخرجه منه وعقبة قد تغير لونه من خوفه من الرشيد وبعده أخرجوا بطريق لؤلؤه والاندرياس وأطعمهم ما يمسك رمقهم ثم ردهم إلى أماكنهم ثم قالت الأميرة

يا أبا محمد أريد أن أدخل إلى عسكر الإسلام وأبصر ماتم بعدى وأرى ولدى عبدالوهاب وما جرى المسلمين فقال البطال وأنا معك ثم نهضت الأميرة ماشية وكذلك البطال بعد ما أوصوا الرجال بحفظ المأسورين والاحتراز من عقبة وسارت الأميرة والبطال إلى أن أشرفوا على عسكر الإسلام وقربوا من الحرس وكان على الحرس الأمير المهاب الأمير عبد الوهاب فى جماعة من بنى كلاب وفى ذلك الوقت كان الأمير ذكر الأميرة فى غيبتها فضاق لذلك صدره وعيل صبره فهو كذلك وإذا به قد نظر إلى خيالهم فقصدهم وناداهم من تكرنوا أيها القادمين فنادته الأميرة أنا الحنونة فلما سمع الأمير ذلك أرمى نفسه من على الجواد وقال لها ماشأنك يا أماه هكذا وحيده فريده فقالت الأميرة ابشر ياولدى فقد بلغت منيتى وأدركت طلبتى وفتحت قلعة ثؤثؤه وهذا أبو محمد البطال قد أتى فى صحبتى هذا والبطال قد أقبل على عبد الوهاب وسلم عليه وحدثه بأخذ عقبة والاندرياس وبطريق اؤاؤه وقد أخذنا جميع مافى القلعة وبعد ذلك طلقنا فيها النار ففرح الأمير عبد الوهاب وشكر رب الأرباب وقال عقبة معكم قال البطال نعم قال فى هذه المره يهتك الله ستره عند الرشيد ولم يجد الأمير صبر دون أن رجع إلى أصحابه وأوصاهم باليقظة وأخذ معه برد ابن الأزهر لاغير لأنه من شيوخ بنى كلاب وسار الأمير عبد الوهاب وقد ركبت الأميرة وكذلك البطال والأميرة لاتصدق أن ترى عقبة شيخ الضلال وهى تستخبر الأمير عن أحوال المسلمين مع الروم الملاعين والأمير يصف لهم ماقاسوا وأخبرها بقدوم ملك البرغل وأسر ضيغم وسيف الحنيفية ولم يزالوا فى قال وقيل إلى أن قربوا إلى عسكر الأميرة ذات الهمة فنهضت غلمان البطال يقبلوا الأرض بين يديها وبين يدى الأمير عبد الوهاب والأمير يهنيهم بالسلامة وقال الأمير عبد الوهاب ياأبو محمد ائتينى بعقبة حتى أبصره فسار البطال ليأتى بالملعون عقبة فلم ير له أثر فدهش البطال وتحير ولطم على رأسه وخرق لباسه هذا وقد صعب على الأميرة ذات الهمة وكذلك عبدالوهاب انفلات عقبة (قال الراوى) وكان السبب فى هروب الملعون عقبة أنه قعد هذه المدة فلم يجد له سبيلا إلى الهرب إلى أن وصلوا الى ذلك المكان وأخذ أبو محمد البطال الأميرة ذات الهمة وساروا إلى عسكر المسلمين وتركوه ولم يزال الملعون يراقب غلمان البطال حتى غفلوا عنه زحف عقبة بخبثه إلى أن وصل إلى الاندرياس وأدار إليه كتافه فقرضه بأسنانه ثم أن عقبة لم يزال يعالج القيد الذى فى رجله حتى أنه كسره وتقدم إلى الاندرياس حتى يخلصه من الشرك وإذا بالأميرة ذات الهمة وقد أقبلت والأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال كما قد ذكرنا فلما رآهم الملعون عقبة أخـــذ النجا لنفسه ودخل بين الصخور والأحجار تخفى

عن أعين النظار وكانت ليلة معتمة مظلمة لاينظر فيها كفه هـذا والبطال قد انغم من انفلات عقبة وكاد أن يهلك وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وباتوا فى قيـل وقال إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ارسلوا رسول يبشر الإمام الرشيد بقدومهم فسار الرسول إلى عند الرشيد يبشره بقدومهم فأمر الرشيد ان يحضرا بين يديه وفرح بهم فرحا شديدا ماعليه من مزيد ولما حضروا عنده قام على قدميه وهناهم بالسلامه فقبلوا الارض ودعوا له بدوام العز والبقاء وقال له أبو محمد يامولانا أبشر فأنا الليله أكسر الك عساكر الروم فقال له الخليفه كيف تكسرهم ياأبو محمد فقال ياخليفة الله كلما كان عندك من النفط احضرة لى فأمر الرشيد أن يحضروا جميع النفط الذى عندهم فلما رآه أبو محمد قال يامولانا تأمر النقبان ان يعلموا العساكر بأخذ الاهبه للحرب والقتال فى ظلام الليل ثم يكونوا مستيقظين فى هذه الليله لما يسمعوا العياط فى عسكر النصارى يركبوا ويهجموا عليهم فيقتلوا ويأسروا وهذا يكون سبب كسرتهم ان شاء الله تعالى فأمر الخليفة ان يعلم العسكر بما قال البطال وكونوا على يقظه فعند ذلك أخرج البطال ثلاثة آلاف قارورة نفط وأعطى للسودان كل واحد قاروره وقال لهم كونوا على أهبة للقتال واذا رأيتم النار فى خيام الكفار فاحملوا عليهم ثم انه سار وركب يهب الريح وأمر السودان ان تضرب الارض بما معها من قوارير النفط وان الروم نزلت على تلك الارض الذى رشها البطال بالنفط ونصبوا خيامهم طمعا فى المسلمين فثارت النار مع الريح فما أفاقت الروم الا والنار تعمل فيهم وكانت ليلة مظلمة فسمعوهم يصيحوا فركبوا خيولهم وحملوا عليهم ونادوا الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر وأخذوهم المسلمين وجميع مامعهم من المال والعيال الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأخذوا الملك منويل وأخيه ميخائيل ومارس ودارس وأخذوا جميع خواص المملكة وخلت الارض منهم والديار ثم ان البطال لبس بطريق ودخل البلد وكان سار شماس الى سرادقه ورجع الى المضرب الذى فيه الاسارى وتقدم الى الموكلين بهم وقال لهم يقول لكم الملك عليكم بحفظ من فى أيديكم ثم جلس البطال عندهم وجلس يتحدث معهم الى ان تهور الليل والبطال يتناعس ويقول للموكلين بالاسارى ناموا انتم مادمت أناقاعد عندكم فانطرحوا الموكلين كانهم موتى لاجل طمأنينهم بالبطال وعلا خطيطهم (قال) فوثب البطال من ساعته وجذب من وسطه خنجرا أمضى من البرق اذابرق وجعل يذبح الموكلين واحد بعد واحد حتى أتى على آخرهم وكلما ذبح واحد يشق بطنه ومناخيره حتى انه لايشخر وبعد ذلك تقدم البطال الى ضيغم وطرح يده عليه ففزع ضيغم وقال

له من تكون فقال أنا عمك البطال ثم فك قيده وحل كتافه وكذلك فعل بسيف الحنيفية وأخذهم وخرج من المضرب ثم قال البطال لسيف الحنيفية انى قد عولت ان أخذ شماس فقال سيف الحنيفية افعل ما بدا لك (قال) فتقدم البطال الى باب السرادق فوجد الموكلين بالباب نيام فصار البطال يقعد الى جانب واحد بعد واحد ويذبحه ولم تكن أكثر من ساعة حتى فرغ منهم ودخل السرادق فوجد شماس على سريره نائم والشمعة تقد عند رأسه وكذلك أخرى عند رجليه فقعد البطال معه على السرير وكان سيف الحنيفية قد دخل معه سرادق شماس ولما قعد البطال عند رجليه قعد سيف الحنيفية عند رأسه ولم يكن بأعجل مما القموه الاكره وكتفوا يديه ورجليه وشماس لا يعقل على أحد وقد لفه البطال فى ملحفته ودخل سيف الحنيفية تحته وشاله على أكتافه وخرج به من السرادق وجعل يتخطا النيام حتى خرج به من عسكر الروم وطلب عسكر المسلمين وضيغم بين يديه والبطال من ورائهم سائر واذا هم ينظرون بين أيديهم أشخاص تارة يظهروا وتارة يختفوا فخاف البطال وحط سيف الحنيفية شماس من على أكتافه وكان معه سيفا قد أخذه من بعض الذين قتلوهم هذا والبطال تقدم لينظر أولئك الأشخاص واذا هم غلمانه ومعهم شيأ يحملوه فقال البطال الله أكبر ثم نادى يا لؤلؤ فقال لبيك فجعل البطال يهنيهم بالسلامة وهم أيضا فرحوا بسلامته وقالوا له ما معك فقال معى شماس فما معكم أنتم فقالوا معنا عبد المسيح ملك البرغل أبو زيزه (قال) ففرح البطال بذلك ودخلوا بالجميع الى عسكر المسلمين وكان قد قرب الصباح ولم يزل البطال الى ان وصل الى سرادق الأمير عبد الوهاب فأيقظه من منامه ثم أخبره بما فعل و بشره بسلامة أولاده فسجد الامير عبد الوهاب شكر الله تعالى وضم أولاده الى صدره وقصد البطال الى سرادق الرشيد فوجده جالس وما عنده غير الخادم نجاح والرشيد ضيق الصدر من همه على المسلمين واذا بعبد الوهاب وبصحبته البطال وقد أتى واستأذن على الرشيد فى الدخول فأذن له فدخل وقبل الأرض بين يديه فقال الرشيد بعد ان حياهم مافعلت يا أبا محمد فحدثه بما فعل فضحك الرشيد وقال يا أبا محمد والله ما عسكر الاسلام الا بك فلا كان يوم لا تحضر فيه ثم حدثه البطال بما فعلوا غلمانه وكيف أخذوا ملك البرغل فتعجب الرشيد من ذلك وقال على بهم حتى أبصرهم فنهض عبد الوهاب وغاب ساعة ورجع ومعه شماس وعبد المسيح وولديه ضيغم وسيف الحنيفية وغلمان البطال وأتى بالجميع إلى بين يدى الرشيد فخلع الرشيد على البطال وغلمانه وعلى ضيغم وسيف الحنيفية وعبد الوهاب وأمر برفع ملك البرغل وملك اللان والاحتفاظ بهم ولم يخرجوا الأمراء من حضرة الرشيد حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت

الفرسان وابتدرت من وقبها طالبة الكفاح وهى على الجرد القداح وكثر الصياح وكانت الروم أسبق إلى اللقاء لأنهم طمعوا فى المسلمين لأجل الماضى هذا وملك الروم قد هم أن يركب وإذا بالصياح قد علا ونما فقال الملك اكشفوا هذا الخبر فجاءت الغلمان تخبر أن عبد المسيح ملك البرغل قد فقد وقتل حول سرادقه عشرين بطريق فقامت على منويل القيامة وأصابه من ذلك أمر عظيم وبطل ذلك اليوم الركوب ورجعت الفرسان من حومة الميدان وقد فرحت المسلمين بذلك لأنهم كانوا تعابا وعلم الرشيد بذلك فحمد الله تعالى على إبطال الحرب فى ذلك اليوم ورجعت عساكر الاسلام إلى المضارب والخيام هذا والروم عندهم من فقد الملكين أمر عظيم ومن ضيق صدر ملك الروم لم يمد فى ذلك اليوم سماط بل انه أرسل إلى عسكر اللان وأحضرهم بين يديه وطيب قلوبهم وأوعدهم بخلاص ملكهم وكذلك فعل بالبرغل فهذا جرى لملك الروم (وأما الرشيد) فانه جلس على سرير خلافته ودارت به الفرسان من حوله والأميرة ذات الهمة وعبد الوهاب وعمرو بن عبيد الله والبطال أقرب الناس اليه وقد أخذوا مواضعهم من الجلوس وجعلت الفرسان يتحدثوا فيما بينهم حديث الطعن والضرب والرشيد وذات الهمة وعبد الوهاب فى حديث تدبير العساكر إلى أن أحضر الطعام وأخذت الرجال حاجتها وقبلت الأرض وعادت إلى الخيام ولم يبق بين يدى الرشيد غير عبد الوهاب والأمراء وبعد ذلك نهض عبد الوهاب ونهضت الأصحاب وخرجوا والبطال بين أيديهم كأنه أسد الغاب ولم تزل الأميرة ذات الهمة سائرة إلى أن وصلت إلى موضعها هذا والبطال قد أخذ غلمانه وجعل يتطرق العساكر وينظر إلى ذلك الموضع الذى هم فيه نزول فوجد البطال فى آخره موضع معشب كثير المياه وهو من عسكر المسلمين على فرسخين وكان ذلك المكان واسع ومن ورائه أرض بيضاء كافورية كأنها الفضة النقية وغلمان البطال ما عندهم خبر بما قد خطر بقلب مولاهم وما يريد أن يصنع من الاحتيال ولم يزالوا كذلك إلى أن قرب غياب الشمس ودنى وقت المساء فرجع البطال إلى العسكر واجتمع بالأميرة والأمير عبد الوهاب وقال لهم قد انفتح لى باب أهلك به العسكر كله فى ساعة واحدة ان قبلتم ما أقول لكم وإن لم تقبلوا ما أقول فأنتم أخبر فقالت الأميرة وما ذلك يا أبو محمد قال أريد أن يكون الرشيد فى جملتنا قالت الأميرة بسم الله يا أبو محمد نسير إلى خدمة الرشيد ونشير عليه بما يعود نفعه على المسلمين ثم نهضت الأميرة والأمير عبد الوهاب وأبو محمد وقصدوا إلى سرادق الرشيد وأخذوا الاذن فأذن لهم فدخلوا وسلموا وقبلوا الأرض وجلسوا الأمراء والبطال وطلبوا الخلوة فصرف الرشيد كل من كان عنده حاضر ولم يبق فى حضرة الرشيد غيرهم فقالت الأميرة

للبطال هات ماعندك قال البطال إن أذن لى أمير المؤمنين تكلمت فأذن له فقال أعرفك يا أمير المؤمنين إن هذا عسكر عظيم ولو سلموا أرواحهم إلينا نقتلهم مافرغنا منهم فى شهر وقد رأيت أن أهلكهم فى يوم واحد قال وكيف ذلك يا أبو محمد قال البطال يا أمير المؤمنين كم عندكم من قوارير النفط الطيار الأبيض قال الرشيد عندى من قوارير النفط فى هذا الموضع عشرين حمل نفط أبيض طيار وقد أحكمته الصناع قبل دخولى إلى هذا المكان فقال البطال الحمد لله يا أمير المؤمنين إذا جاءنى تلك العشرين الحمل فلا تعرف هلاك عسكر المشركين الامنى فقال الرشيد قد حكمتك فى جميع مامعى من خيل وجمال وخيام وأموال وكلما تحويه يدى فقال البطال على بالزراقين فلم يكن بأعجل مما حضروا ألفين زراق فقال البطال ائتونى بجميع نفط عندكم فأحضروا للبطال النفط وعزل عشرة أحمال فى كل حمل قنطارين نفط بالشامى وأمر الحنيفية أن يرحل من ساعته الى وراء حتى يتقدموا الروم الى قدام وقد بلغت المرام قال الرشيد ياأبو محمد كيف يكون التدبير وكيف تجعل علينا اسم الهزيمة فقال البطال ياأمير المؤمنين مايتم لى ماأريد إلا بما أشرت به عليك ولكن تكون الناس بلا هرج ولا مرج ولا يصبح الصباح إلا والأرض خالية من كل ماتفزع عليه فأنا أعلم أن ملك الروم يطمع فينا ويتبعنا وينزل فى مقابلة منزلتنا وبعد ذلك أبصر من خادمك البطال العجب هذا يتم بينهم والأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة حاضرين (قال) وقد أمر الرشيد كل أمير يرحل برجاله ولا يكون لهم حس حتى لا تكون هزيمة وبعث خلف عمرو بن عبد الله وأمره بالرحيل من غير ضجيج هذا ونيران العسكر تشعل ولم ينتصف الليلة حتى خلت تلك الأرض البيضاء من المسلمين ثم انهم ســـاروا طالبين تلك الأرض البيضاء بمشورة أبو محمد ولم يعلم أحدهم عليه عازمين ولم يصبح الصباح وبقى فى منزله المسلمين نافخ نار إلا مضرب خلق أوخيمه مقطعه والنيران على حالها هذا والروم قد أنكرت ذلك وبادروا بالرحيل إلى ذلك الموضع وقد أمرهم الملك منويل بذلك

(قال الراوى) وكان البطال قد حمل ذلك النفط وتخلف فى أواخر الناس هو والزراقين وقد علم فى أى موضع تنزل الروم فنزل ماعلى الجمال وفك منها الاحمال وأخذ ذلك النفط ورشه فى ذلك الموضع على وجه الأرض هذا والزراقين قدمتو الما يصنع وكان قصد معرفتهم إلى مايريد وفى أقل من ساعه رش به البطال جميع تلك الأرض وعاد البطال إلى عسكر المسلمين ونزلت العساكر وضرب الرشيد سرادقه وكذلك الأمراء ضربت خيامها ونشرت أعلامها وركبت ظهور الخيل ووقفت تنظر عساكر الملك منويل ولم يزالوا كذلك إلى ان صار وقت الظهر وطلع الغبار إلى العنان وظهرت الفرسان والصلبان

(قال الراوى) وكان الملك لما أمر الفرسان بدخولهم إلى خيام المسلمين دخلوا اليها فلم يجدوا فيها ديارفرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك فطار عقله وقالواله قدهزمت المسلمين وأمر عساكره بالرحيل فرحلت ومنويل فى أوائل الناس ولم يزل سائرإلى أن أشرف على خيام المسلمين فنزل مقابل العسكر وكان من الاوقات وقت العصر فلم يقدروا على قتال بل صبروا إلى غداة غد والرشيد نظر إلى عسكر الروم وقد نزل بقرب عسكره فخشى على نفسه من ذلك وأمر العسكر ان تركب فركبت المسلمين ووقفت فى وجوه الكافرين وتصففت ولم يزالوا كذلك حتى أقبل الظلام ورجع كل منهم إلى الخيام وجلس الرشيد على سريره واستدعى بالبطال وقال له على ماذا عولت وما الذين قد دبرت من الفعال هذا وملك الروم قد طمع فينا لاجل رحيلنا فقال البطال على بالزراقين فلم يكن بأسرع مما حضروا بين يديه بخزائن النفط اليه وأخرج من النفط ثلاثة آلاف قارورة وكانت الروم قد نزل أكثرها فى موضع النفط الذى رشه البطال على الأرض وماعندهم منه خبر وأخذ البطال الزراقين والرجال من السودان وقد ساروا من خلف عسكر الروم إلى ان قاربوا من الخيام وأمر الرجال الذى معه ان تضرب الأرض بما معها من قوارير النفط فضربت وكان قد استقبلت مهب الشمال ولما انكسرت القوارير قدحت على وجه الأرض فاشتعلت بعضها فى بعض وكانت الروم غافله فما أحسوا إلا والنار معهم فى الخيام وكانت ليلة شديدة الريح مظلمه وفى هذا الوقت أمر الرشيد العساكر بالركوب لأن البطال أوصاه بذلك والروم قد ذهلت وارتعبت لما عاينت ذلك وركبت عساكر الاسلام وحملت وتصايحت السودان من خلف عسكر الروم وزمجرت وضاقت على الروم الأرض بما رحبت ولم يكن أكثر من ساعة حتى انقسمت ثلاثة أقسام قسم احترقوا وقسم قتلوا وقسم أسروا لأنهم ما كان لهم فى تلك الأرض متسع وكانت المسلمين بين أيديهم والناس وراءهم والبطال والسودان عن يمينهم وشمالهم فأخذتهم الحيرة والانذهال وسلموا أنفسهم بلا قتال ومن تخلف فى الخيام احترق وأسر منويل وأخيه وأخذ مارس ودارس وخواص الدولة ولم تزل الموحدين تأسر وتقتل إلى ان أصبح الصباح ونزل الرشيد فى سرادقه وصارت الفرسان تقدم له الأسارى والرشيد يسجد لله شكرا وماتضاحا النهار حتى قدمت جميع الفرسان (قال) وجاءت الاميرة ذات الهمة وبين يديها الملك منويل وجاء الامير عبدالوهاب ومعه الفيفولص وجاء سيف الحنيفية ومعه البترك لانه كان أخبر الناس به وجاء راشد ابن ضمره ومن معه من السودان والزراقين ومعهم ملك الدوقس وطائفة من الروم ولما وقعت عين الرشيد على البطال تزعزع له من على السرير وقربه الرشيد وأدناه وخلع عليه هذا

والعالم يهرعون اليه وبين يدى الرشيد يقفون وكلما جازوا بشيء أعرضوه عليه وكان جملة الاسارى الذين أسروا عشرة آلاف من خيار البطارقة ومن أكابر الجيش عشرين ألف فارس فأمر الرشيد ان يضرب رقاب الجميع فقتلوهم عن بكرة أبيهم وأخذ الرشيد الملك منويل وخواص البطارقة وأمر الناس بالرحيل واجتمع الاندرياس بابن أخيه الفشفودش والملك منويل ومارس ودارس وبطريق لؤلؤه فاستخبرهم منويل عن حالهم فأخبروه بأخذ لؤلؤه بحيلة البطال وكيف أكمنت الاميره لهم وخاصت البطال وأعاد الحديث من أوله الى آخره فقال منويل والشيخ النجيح ماكان منه فقال عمه مالنا به خبر غير انه انفلت وما نعلم هل هو أخذوه أم لا فقال الملك وحق المسيح كلما نحن فيه من حيل البطال اللص المحتال وهذه الفعلة من بعض حيله ولا يقدر أحد على هـــذه الفعال غيره فهذا جرى لهؤلاء (وأما الرشيد) فانه أمر الناس بالرحيل وسار طالب بلاد الاسلام ولم يزالوا فى جد وكد ثلاثه أيام وفى اليوم الرابع لاحت لهم قلعه عاليه بأصوار ناميه يقال لها قلعه باغيه فقال الرشيد للبطال ماهذه القلعه ياأبو محمد فقال البطال يا أمير المؤمنين هذه قلعه باغيه وهى أحسن قلعه فى بلاد الروم وفيها بطريق جبار من بقية الجبابرة لايصطلى له بنار وتحت يده ألف فارس من كل بطل ممارس فقال الرشيد فلم لاتنزلوا على هذه القلعه وتأخذوها ويكون هذا الفتوح يؤرخ ويذكر فقال البطال الأمر أمرك ياأمير المؤمنين زادك الله رفعه وتمكين فعند ذلك أمر الرشيد ان تطلب قلعه باغيه فتقدم الأمير عبد الوهاب بين يدى العسكر كانه أسد قسور قد هدر ولم يزالوا حتى نزلوا تحت القلعه لانها كانت عن يسار الدروب بقدر فرسخين وتلاحقت الامم بالامم وصمدت الاعلاج الذين كانوا فى القلعة فوق الاصوار والأبراج وكثر فى القلعه الانزعاج ونصبت المناجيق والفرادات ونزلت الأحجار من الطلاقات وأمر الرشيد الناس بالزحف الى الأصوار فتقدمت المؤمنين الأبرار ولم يكن على باغيه موضع تنزل فيه العساكر الامن فرد جهة واحدة لأنها فوق جبل شاهق وتلك الجهة ضيقة ولم يزال المسلمين يزحفون الى ان التصقوا بالأصوار فوقعت عليهم الاحجار لان كل من كان فى باغيه قد استكمنوا فى تلك الجهات وباقى جوانبها آمنين منه ولم تزال العساكر فى حرب شديد وأمر عنيد الى ان أمسى المسا وقتل من المسلمين فى ذلك اليوم خلق كثير لان القوم عاليون عليهم فلما كان فى اليوم الثانى باكر النهار هموا المسلمين بالقتال وكانت لهم موقعة أعظم من اليوم الأول فلم يتركوا الملاعين أحدا يتقرب اليهم وكانوا اذا أرشقوا بالسهام فيقع كالجراد وقتل فى ذلك اليوم من المسلمين رجال وجرحت أبطال ونزلوا عند المساء وشكوا حالهم الى الرشيد فقال الرشيد

الرشيد وحق خاتم النبيين واتصالى بحمزة وعقيل لو علمت ان المسلمين تلاقى من أهل هذه القلعه هذا الأمر كله ما كنت نزلت عليها والآن فما بقيت أنصرف حتى آخذها لئلا يصغر شأننا عند الملوك ويقولوا نزل الرشيد على قلعه صغيره وما بلغ منها آمال أنا موعود بالنصر من الملك المتعال (قال) ولم تزل المسلمين فى قتال أهل باغيه أربعين صباحا وقتل من المسلمين ما لا يحصى وضاق صدر الرشيد من ذلك هذا والبطال لم يقدر على شيء يعمله لان بطريق باغيه يعرفه وكان هذا الملعون أمكر خلق الله وأحيل أهل زمانه ولما كان فى تلك الليلة الحادى والاربعين اجتمعت الأميره ذات الهمه والأمـــير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فى مضرب الرشيد يتحدثوا بما يريدون من أمرهم وأمر القلعة التى قد تعسرت فقالت الأميره ما فى قلبى حسرة الا من فتح هذه القلعة لان انا فى قتالهم أربعين يوما وما قدرنا عليها ولكن لله الأمر ووالله ما بى روحى ولكن المسلمين

(قال الراوى) وكان من حيث دخلوا الناس الى بلاد الروم وغزاتهم عشرة أشهر وقد دخل الشهر الحادى عشر هذا جملة ما كان غيبتهم عن أهلهم فلما قالت الأميره هذا الكلام قال البطال ينبغى أيتها الاميره ان تدفع العساكر تقاتل فى غداة غد وأركب أنا وأنتى وندور حول هذه القلعة لعلى آخذ فرصة الى فتح هذه القلعة قالت الأميره نعم ما رأيت يا أبا محمد ولم يزالوا فى حضرة الرشيد الى ان مضى من الليل أكثره وبقى منه أيسره وطلب الرشيد النوم فنهضت الاميره ذات الهمه والامير عبد الوهاب والبطال بين يديهما الى خيمتها وناموا الى ان طلع الصباح ووثبت الرجال الى قتال أهل الكفر والضلال ووقع القتال وزادت الأهوال كذا والأميره ذات الهمة قد ركبت هى والبطال وداروا حول الجبل وهم يتذكرون فى فتح القلعة وكلما داروا حول الجبل يضحك البطال فقالت الأميرة ويلك يا أبو محمد مما تضحك قال البطال وكيف لا أضحك وقد فتحت القلعة ان شاء الله تعالى بسعادتك فقالت الأميرة بماذا يا أبا محمد قال البطال يا مولاتى رأيت فى سيرة الاسكندر انه نزل على بعض القلاع وكانت القلعة كثيرة الحرس ليس لاحد عليها طريق فأحضر الاسكندر بطارقته وقال لهم شيروا على بما أصنع فى فتح هذه القلعة فقال الحكيم بليناس يا ملك الدنيا جهز الساعة كل ما تقدر عليه من الجوز حتى أبين لك فنادى الاسكندر كل من كان عنده جوز قليل أو كثير يأتى به الى الملك فلم تكن غير ساعة حتى أقبل الجوز مخالى وأعدال وبه يا أمير المؤمنين قدر على فتح تلك القلعة فقالت الأميرة ذات الهمة وعلى أى شيء قد عولت تصنع قال البطال حتى أحضر بين يدى الرشيد وأشير عليكم بما أريد أصنع فقالت الاميره عد بنا اليه (قال) فرجع البطال اليه والاميره ذات الهمة والامير عبد الوهاب فقال

الرشيد ألا ترون الى ما نحن فيه مع هؤلاء الملاعين فماذا تشورون به على فقال الامير أبو محمد يا أمير المؤمنين قد تفرج لى شيئا افتح به القلعة قال الرشيد وما هو قال أريد منك ان تنادى فى العسكر كل من كان عنده شيء من الجوز فليحضره الى أمير المؤمنين فلم يكن غير قليل حتى حضر قدام السرادق من الجوز شيء كثير وأمر البطال الناس أن يعزلوا الفارغ وحده والمليان وحده ففعلوا ذلك وكان الفارغ أكثر من الملان فقال البطال للناس دونكم وهذا الملان فما لأمير المؤمنين به حاجة فمالوا الناس الى ذلك الملان وأخذوه ثم ان البطال أمر الناس بالانصراف من بين يديه ولا يقف أحد عند سرادق الرشيد وقال البطال على بالزراقين فأحضروا بين يديه وهم لا يدرون ما يريد البطال ان يصنع فلما مثلوا بين يدى البطال أمرهم ان يحضروا بقوارير النفط فحضروا منه شيأ كثيرا فأمرهم البطال ان يرشوا منه على ذلك الجوز الفارغ ففعلوا ذلك وصبروا ساعة وأمرهم ان يرشوا عليه مرة ثانية ولم يزالوا كذلك خمس مرات إلى أن تشرب الجوز ذلك النفط هذا والرشيد قد حار من فعل البطال وكذلك ذات الهمة وعبد الوهاب إلا أنهم ما يعرفوا ما يريد البطال ان يعمل وأمر البطال باحضار الزراقين وكانو عشرة آلاف فأحضر لهم عشرة آلاف زنبورك ومع كل زنبورك عشرة فرادات نشاب ولما اكتمل عددهم أمر البطال ان يأخذوا من ذلك الجوز المسقى بالنفط كل شخص عشر جرادات وأمر الأمير عبد الوهاب ان يحضروا السودان فحضر منهم عشرة آلاف اسود بكل سيف مهند وعلى أجسادهم الزرد وأمرهم البطال ان يكون مع كل واحد منهم شمعة غليظة أو مشعل فلم يبق فى العسكر شمعة إلا وحضرت وأخذتها السودان ولم يفرغ البطال من ترتيب ما دبر إلا والليل قد اعتكر هذا البطال يقول الرشيد وعبد الوهاب كونوا على يقظة وإذا رأيتم النار تعمل فى القلعة فما يكون لكم شغل غير التكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير فقالوا حبا وكرامة (قال) وبعد ذلك أمر البطال الرجال بالصعود إلى عقبة القلعة بلاهرج ولا صياح فصعدوا وأمرهم البطال ان يشعلوا ما معهم من الشموع والمشاعل ففعلت السودان ذلك وأمر الرماة ان يشعل كل واحد الجوزة بعد ما يلصقها إلى رأس الفراده أعنى الفردة النشاب وقال لهم البطال لا تعينوا على موضع واحد بل ارموا فأينما وقعت نفعت هذا يجرى وما عند أهل القلعة خبر لانهم آمنين لا يعلمو من منع حصنهم وقد ألفوا الحصار أربعين يوما والرماة أرمت به يدا واحدة وهم عشرة آلاف فرده تصعد إلى الجو وتقع فى وسط الحصن فتكسر ويقدح بعضها إلى بعض فتحرق كلما تقع عليه ولم يكن بأعجل مما رمت الرماة كلما كان معهم وأمر البطال ان ترفع أصواتهم بالتهليل والتكبير فأجابتهم

من الجبال أحجارها ومن الأرض أشجارها ومن القفار عمارها ودارت السودان من حول القلعة وقد نظر أهلها إلى ما أهالهم لان القلعة اشتعلت من أربع أركانها ووسطها لأن الجوز تفرق فى سائر القلعة وما كان لأهلها مجير لما نظروا إلى نار السعير الا انهم فتحوا باب القلعة وخرج بطريق القلعة فأسروه السودان وكان قد خرج معه نفر قليل من أهل القلعة والباقى ماكان الواحد منهم يقدر على الخروج من موضعه لأنهم كانوا كيف ماتوجهوا يجدوا النار تعمل هذا والمسلمين صعدوا عن آخرهم إلى قلعة باغيه وهم يذكرون الله تعالى وفى أوائلهم الاميره ذات الهمة والأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب هذا والقلعة تلتهب مثل السندروس لأنها كانت ليلة كثيرة الهواء وامتزجت النار بغضب الجبار ولم يصبح الصباح الاوالقلعة مثل الفحمة السوداء ولا ملكوا المسلمين منها لاقليل ولا كثير بل أكلته النار ونصر الله حملة القرآن وهلكت عصابة الاشرار ونزلوا الناس وبطريق القلعة قد أخذوه ومعه مائتين نفر ولم يزالوا سائرين إلى ان دخلوا بين يدى أمير المؤمنين وقبلوا الأرض وأعرضوا عليه بطريق باغه فقال له ويلك ياامين كيف رأيت صنع الله تعالى بك فلم يرد البطريق جواب ولا أبداخطاب فأمر الرشيد برفعه إلى عند الملك منويل وأعرض الرشيد على الباقى الاسلام فأبوا فضرب أعناقهم وبعد ذلك أجلس الرشيد البطال بين يديه وقال له أحسنت ياأبو محمد انت عماد الدين وسيف المسلمين فقال البطال كلما نحن فيه بسعادتك ياأمير المؤمنين فخلع عليه الرشيد خلعه خمس ضياع من ضياع ملطيه ولم تزل العساكر فى ذلك المكان مدة من الزمان حتى أراحت وأمر الرشيد الناس بالرحيل رحلوا وسارت العساكر طالبة ملطية وبلاد الاسلام والرشيد بين أيديهم وقد نشرت على رأسه الاعلام ودارت به الابطال والخدم وكذلك الامير عبد الوهاب ولم يزالوا يقطعون البلاد إلى ان بقى بينهم وبين ملطية مسيرة ثلاثة أيام وسبقت المبشرين إلى ملطيه تبشر بسلامة المسلمين ورجوع أمير المؤمنين (قال) وقد زينت البلاد وخرج الى لقائهم كل أحد وكان دخولهم إلى ملطية يوم مشهور وتلاقت الاحباب بالاحباب وضربت الخيام على ظاهر ملطية وأحضر الرشيد ملك الروم والملوك وطلب منهم الفداء فأجابوه إلى ذلك وكان الامير عبد الوهاب وأبو محمد وذات الهمة حاضرين والملوك جميعهم بين يدى سرير الرشيد وكذلك مارس ودارس وكل ذلك حتى يرى ملك الروم إلى مارس ودارس لأن عقبة كان يعرض بذكرهم ويقول للروم انهم مسلمين فقال الرشيد لملك الروم اقطع على نفسك ماتقدر من الاموال وكذلك أخيك وعمك وكل من معك وإلا ضربت أعناقكم لأنى أريد الانجرار الى بغداد

فقال ملك الروم يا ملك الاسلام ها نحن بين يديك مر فينا بأمرك فالتفت الرشيد الى البطال يطلب منه ابرام هذه النوبة فقام البطال على قدميه وقال يا أمير المؤمنين اعلم ان الملك يطلب من مولانا ان يجر به على عادة أباه وأجداده فقال الرشيد تكلم ياأبو محمد وأوجز والاضربت أعناقهم فتقدم البطال الى الملك وقال له انت أعرف بأمير المؤمنين انه سفاك الدماء وأنا قد تكلمت وخاطرت بنفسى فقال منويل ياأبو محمد مافينا من يخالف لك قولا وافعل ما أنت أهله وما أنت له أهلا ولك علينا حق سعيك خمسة آلاف دينار فقال البطال هذا أمير المؤمنين قد تعود من الملوك الماضيه بالأموال الجمه والنعم الضخمه فقالت له الملوك ياأبا محمد كم كان يأخذ من الملوك فقال كان يأخذ من الملك مائتين ألف دينار ذهب ومائتين ألف رطل فضه غير الجواهر واليواقيت وعشرة آلاف مملوك وجارية هذا جملة ماكنت أنا أعرف وكل واحد مثل ذلك فقال الرشيد ياأبو محمد يكون ذلك عاجل غير آجل فقال منويل ياأبو محمد اعلم انى أنا مسجون عندكم والملوك ولا عندنا هنا مال ولا نوال اذا كان ترسل بلادنا الى أمى تأتى بالمال فقال له البطال اذا كان الأمر على مثل ذلك على من يأتى لكم بالمال فاتفق رأيهم على رواح مارس ودارس فاعلموا الرشيد بذلك فأمر باطلاق مارس ودارس فأطلقوهم وكتبوا الكتب وارسلوهم الى أم الملك منويل فأخذهم مارس ودارس وأرادوا ان يسافروا بالمكاتيب واذا بغلام عقبة قد أقبل من السفر وهو واقف على الباب فلما ان سمع به الرشيد قال على به وأمر باحضاره فما كان الا ساعه واذا به دخل فسلم وترجم وجلس وصار يتحدث مع الرشيد أين كنت ونحن فى الجهاد فقال له كنت فى بيت المقدس أدعى لأمير المؤمنين بالنصر على الأعداء فقال له والله ياقاضى عقبة أنا أعرف وأعلم وانى مانصرت الا ببركة دعاك والملعون يدير عينيه فى القبائل ونظر الى الامير عبد الوهاب فقام له قائما على الأقدام وقبل يديه ورجليه وقال له قد دعوت لك فى بيت المقدس والأميره ذات الهمة فقال له البطال كذبت والله ياملعون تكذب وماكنت الا تدبر على هلاك المسلمين فقال الرشيد ايش تقول فقال أقول ان الله مانصرنا الا ببركة دعاه فقال له الرشيد صدقت ياأبو محمد (قال الراوى) وكان ذلك الملعون فى بلاد الروم يعينهم على قتل المسلمين ويدبر لهم الحيل ولما نصروا المسلمين ونهبوا الاموال وأخذوا الملوك انقلب على بيت المقدس وهو مستخفى لايعرفه أحد ولما علم ان العساكر رجعت وانتظم الأمر سافر الى بلاد الاسلام وصار يطعم الطعام ويكسى

الأيتام واذا أتته الفقراء يعرض عليهم المال ويقول هذا كله لأجل المسيح قال غلامه افعل مابدالك ثم ان عقبة ودع كل من كان فى بيت المقدس ولم يزال سائر حتى قدم على الرشيد فى ذلك الوقت الذى أراد مارس أن يسير فيه بكتاب الملك الى القسطنطونيه ورجع عقبة وجلس بين يدى الرشيد واستخبره عن أمره ومن أسر من الملوك نخبره الرشيد بكلما كان وتم لهم وكيف أخذوا لؤلؤه بالقتال أم بالأمان فقال الرشيد أخذوها بحيلة البطال فقال له البطال ياقاضى أخذناها ببركة دعاك لأنى أبصرتك فى المنام وأنت نازل من قلعة لؤلؤه فعرفت ان همتك تفعل أكثر من ذلك فشكر عقبة البطال ثم سأل عن ماتم لهم وكيف أخذوا باغيه والرشيد يحدثه بحيل البطال وماتم الرشيد الكلام حتى انكب عقبة ساجدا وقال الحمد لله الذى ماخيب دعائى لأمير المؤمنين وعساكر المسلمين هذا والبطال يضحك ويخبى رأسه فى زيقه والاميره ذات الهمة قد حارت من كلامه وبلاطنه ثم أخبره الرشيد بالكتاب الذى كتبه من جهة الفداء فقال عقبة اعطينى الكتاب ياأمير المؤمنين ففضه عقبة وقراه وقال للرشيد نعم مافعلت أيها الجناب النبوى ثم رد عقبة الكتاب الى الرشيد (يأساده) وأمسا المسا ولم يقدر مارس على الرحيل فى ذلك اليوم لأن الرشيد قد اشتغل بقدوم عقبة ولما نظر عبدالوهاب الى ذلك ضاق صدره.

وعيل صبره وأما البطال فانه تقدم الى بين يدى الرشيد وقال ياأمير المؤمنين ان كان هذا البطريق مارس مايقدر على السفر فى هذه الليله فيجب عليك ان ترده الى موضعه قال الرشيد. افعل مابدالك وكان هذا الكلا لاجل عقبه حتى ينظر الى مارس ودارس وهم فى السلاسل، فاخذ البطال مارس بين يديه وقصد به المضرب الذى فيه الاسارى وترك مارس بينهم وثقل، قيده فقال منويل خير يامارس أراك قد رجعت بغير فائده فاخبره مارس بقدوم عقبة ولما سمع منويل ذلك قال الشكر للمسيح كيف بعث الينا الشيخ النجيح وبه يكون خلاصنا! قال ولم يتم منويل هذا الكلام حتى عبر عليهم عقبة والرشيد الى جانبه وأرباب دولته بين، يديه قال فتقدم عقبة الى منويل ووكره برجله وقال له ياعدو الله الى كم تتجبر حتى أخذك: الله أخذ عزيز مقتدر ولكن عفو مولانا أمير المؤمنين سبق والا كنت الساعه. ضربت رقابكم فلم يعيد عليه ملك الروم جواب هذا والرشيد واقف وكان المامون عقبة. قد طلب من الرشيد أن ينظر اليهم ثم رجع الرشيد وعقبة معه إلى السرادق وأرباب الدولة: بين يديه (قال الراوى) وكان فى المسلمين رجل يقال له على بن يحيى الأرموى صاحب. طرسوس وأعمالها فانه كان قد وقع فيه سهم من على قلعة باغية وهو فى مرضه وغلب على،

نفسه فدخلت الأميرة ذات الهمة على الرشيد وخدمت فقال الرشيد خيرا أيتها الأميرة فقالت يا أمير المؤمنين إنى قد جئت أستأذنك فى أمر الأمير على بن يحي الارموى صاحب طرسوس فقال لها الرشيد ماحاله قالت وقع فيه سهم من قلعة باغية وقد مرض وغلب على نفسه وبلده سائب فان أذن له أمير المؤمنين برفعه فى محفه وأنا أسير به فى صحبتى وأبصر ما يكون فان وجد العافية فالحمد لله وان هو درج إلى رحمة الله تعالى فأكون أنا هناك وأحفظ البلاد وأترك ولده مكانه ورأى أمير المؤمنين أعلا قال الرشيد نعم ما أشرتى افعلى ما أردتى قال فخرجت الأميرة من عند الرشيد وقصدت إلى عسكر أهل طرسوس وأعلمتهم أنها أخذت لهم دستورفى انصرافهم إلى بلادهم ففرحوا بذلك وشالت الأميرة على بن يحي فى محفة على بغلين هينين السير وأخذت معها من بنى كلاب خمسة آلاف فارس وكذلك من السودان مثلهم وساروا بعد مارجعت الأميرة من خدمه الرشيد ففرح عقبة برواح ذات الهمة وأمل أن يخلص ملك الروم فهذا جرى ها هنا وأما الرشيد فانه لم يزال مع عقبة والبطال فى حديث وأخبار وحكايات وأسمار إلى أن برق ضوء النهار وأذن المؤذن فتقدم عقبة وأسبغ الوضوء وتقدم وصلى بهم وجلس ورفع صوته وقرأ فأبكا الملك وكل من حضر وبعد ذلك طلب من الرشيد الدخول إلى الحمام من أثر تعب السفر قال فأعطاه الرشيد دستور وسار عقبة إلى ملطيه ودخل إلى داره واجتمع مع غلمانه وقال لهم قد عولت أن أكتب كتابا إلى قالون أم الملك منويل وأقول لها إذا قدم عليكى مارس فى طلب الفداء عوقيه عندك عشرة أيام حتى أدبر على خلاص الملك وتربحين المال الذى تقبضيه قالوا له غلمانه اصنع ماشئت ودبر ماهويت فأخذ عقبة درج وكتب فيه أما بعد فالذى أخبر به الملكة قانون اننى الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وقد كنت حصلت البطال فى لؤلؤه ولكن قد أعاقتنى المقادير وأسرت على يد ذات الهمة قصف المسيح عمرها فما قوام الاسلام إلا بها وولدها وهربت فى هذه الأيام وقدمت فوجدت الملك منويل فى قبضة الرشيد وإن أعاننى المسيح فأنا أخلصه وأخلص كل من معه من الأسارى وبعد ذلك فقد كتب إليكى ولدك يطلب الفدية مع مارس بطريق البطارقة فإذا وصل اليكى لاتقضى إليه شغل فى المال بل انك تدافعيه من يوم الى يوم ومن ساعة الى ساعة حتى أخلص أنا وولدك لأنى مذ قدمت لا أمكن أحد من أذيتهم ثم ختم الكتاب وأعطاه لغلامه فاخذه وانطلق طالب القسطنطونية وكان الرشيد قبل أن يرسل مارس بالكتاب الذى فيه ذلك الخطاب ثم ان عقبة عبر الحمام ولبس أفخر الأثواب وتطيلس وتسوك

وأقبل الى عندالرشيد فاجلسه وأدناه وقال ماترى فى هذا الكتاب من أجل هذه الفدية فقال له عقبة نعم مارأيت ياأمير المؤمنين فقال الرشيد على بالبطال فحضر وكذلك الأمير عبد الوهاب والامير عمرو ابن عبد الله وأكابر الدولة والفضل ابن الربيع أفرح الخلق لعقبة والوزير وكان يحب بنى كلاب ويتعصب الامير عبد الوهاب فامر البطال أن يحضر مارس فغاب قدر ساعة وعاد ومعه مارس وهو مقيد بين بين يدى الرشيد ففك قيده وقال له الرشيد يا بطريق لا يلحقك توانى فى هذا الامر لانى لا سبيل لى فى القعود قال فباس مارس الارض بين يدى الرشيدوقال السمع والطاعةفقال لهم الرشيد أعطوه فرس يركب عليه الى القسطنطونية وخرج مارس طالب بلاد الروم هذا والرشيد قد أحضر الاسارى جميعهم الى بين يديه ثم التفت الى عمرو بن عبيد الله وقال يا أمير هؤلاء كلهم مسلمين اليك وهم بحكمك الى وقت طلبهم منك فقال عمرو السمع والطاعة لله ولأمير المؤمنين قال وكان ذلك من تدبير عقبة لانه أشار على الرشيد بذلك وقال فى حسابه مادام انهم فى حوز بنى كلاب ما يكون لى قدره على خلاصهم أبدا من أجل البطال فاشار على الرشيد بان يتركهم تحت يد عمرو بن عبيد الله ففعل الرشيد هذا والبطال قد انكشفت له شقاوة عقبة لانه يعرف ماقد عزم عليه ولم يقدر يتكلم بحرف واحد ولم يزالوا الناس فى حضرة الامام الى أن غلب عليهم المنام انصرفوا المنام ونزلت مقدمين العساكر واجتمع البطال بعبد الوهاب وقال له مارأيت يا أمير مافعل عقبة فى حق ملك الروم فقال عبدالوهاب وما هو قال أشار على أمير المؤمنين بان يدع الملوك عند عمرو بن عبيد الله وكل ذلك حتى يدبر على خلاصهم فقال عبد الوهاب يا أبو محمد قد سمعت الرشيد وماقاله لعمرو بن عبيدالله انهم برأسه وان نفدوا كانوا سببا لهلاك هؤلاء قال البطال أيها الامير بعد ان الملوك تخلص مايبالى عقبة لا من عمرو ولا من زيد قال الامير عبد الوهاب الامر لله ماشاء يفعل هذا وعمرو قد أخذ الملوك وسلمهم الى يد أحمد الرامى وأوصاه بالاحتفاظ بهم فاخذهم الرامى الى بيته وتركهم فى بعض الخزائن وأوصى امرأته عليهم هذا وعقبة متفكر كيف يصل الى منويل واخراجه من بلاد الاسلام بلا وزن مال ولم يزل يدقق الحيل ويدفن العمل حتى انفتح شيأ يصل به الى مراده وكان الملعون عارف بامور التقويم وصناعة النجوم فأخذ اصطرلاب مليح وتقويم صحيح وقام وغير زيه وخضب لحيته وغير صفته حتى لو رآه أحد ماعرفه وصبر حتى حمى الجو واوهج البر وطلع عقبة طالب الدرب الذى فيه بيت أحمد الرامى (قال الراوى) وكانت امرأة أحمد تغير من جارية اشتراها

أحمد وهي من الغيره منها فى أمر عظيم وكان عقبه عارف بذلك ولاجل معرفة عقبة بذلك انقدحت له هذه الحيلة ووقف عقبة على باب أحمد الرامى وعقد يده وراه يعنى وراء ظهره وقال أنا كما لحساب الكاتب المنجم المبشر المحضر بضرب المنازل ويكتب الهياكل ويكشف العطف ويرد القلوب الى ماقد سلف فسمعته امرأة أحمد الرامى. فقالت لاحد جواريها ائتنى بهذا الحكيم عسى يكون لى على يده فرج فخرجت الجاريه ونادت له ياحكيم فلم يكلمها فزعقت عليه ثانيه وثالثه فنظر اليها عقبه غير متفكر بها وأوراها إنه أطرش لايسمع قليل أو كثير فقالت له ادخل فوقف حتى شارت بيدها فدخل عقبة وجلس فى الدهليز وزوجة أحمد مع ذلك من وراء الستر وقالت له ياحكيم ابصرلى نجمى فقال لها ان طالعك منكس وانت تعبانة القلب منكسره من جهة الغيره قال فلم يتم كلامه حتى انها بكت زوجة أحمد وقالت له صدقت ياحكيم تقدر تعطف قلب أحمد على وتبغض اليه هذه الجارية فقال هذه هي صنعتى انى افرق بين اثنين وأجمع بين اثنين وأمسك لسان صاحب الدار وأبشر أهل الغائب بقدومه وأكتب العطفات وأرقى البخورات وأعمل الطلسمات فلما سمعته زوجة أحمد طاش عقلها وقالت للجاريه اعطيه عشر دنانير وقالت هذه لك عاجله واذا صح شغلك كان لك عندى خمسين دينار قال عقبة ما آخذ ولاحبه الا اذا فعلت شيأ آخذ شيء وما هذه الجارية ان أردتى أن أمرضها عاجلا فعلت ذلك وان أردتى اكتب لها بغبضة وان شئتى جننتها فقالت زوجة أحمد ومتى يكون ذلك الأمر فقال لها اذا أخذت الطالع الذى يصلح ان يعمل به ثم رفع الاصطرلاب وتميز فى التقويم وقال يصح العمل ويكون هذا بعد غد والعطوفات هى اتصال القمر بعطارد ولكن يحتاج الى حوائج وينبغى اخليها بجهزة الى حال وصولى ولا تخلى فى الدار أحد يطلع على سرك فانه ينفسد ماتصنعيه فقالت له سمعا وطاعه اذكرلى ما تحتاج اليه من الحوائج فقال لها أحتاج الى عود الصنم ومسك وقليل من الزعفران وفلفل أبيض ومقل أزرق وحصا لبان وماء ورد وخمر عتيق وقدح زجاج وكونى الى فى الانتظار فانى بعد غد فى وقت تضاحى النهار اقضى اشغالى وأكون عندك ثم نهض من عندها وقد عمل معها نفاقه وبعد خروجه بعثت جاريتها اشترت كل ماقاله وأقامت فى انتظاره وعقبة قد عاد الى منزله وهو فرحان لاتسعه الدنيا وقد ظهر عليه السرور فلما نظر اليه أولاده قالوا له ياأبانا لازالت الافراح عليك وارده ما الذى صنعت قال لهم صنعت كذا وكذا وقد وصلت الى الغرض ولم يزل يدقق الحيل ويتقن العمل الى صبيحة اليوم الثالث وقال عقبة لاولاده مايتم ما أريد الا أن يتبعنى منكم ثلاثة أنفس

قالوا هانحن الكو بين يديك ولم يكن ولده الوليد حاضر بل كان فى قبض الضياع واختار.
عقبة من أولاده مصعب وحصيصه وعتيب ونزع أثوابهم وألبسهم غيرها ونكرهم وغير
حالهم وأعطى لواحد فى كمه آلة النجم وقال لهم اتبعونى من ورائى وقال لباقى أولاده ابصروا
أى موضع دخلت يكون بالكم من الباب حتى اذا أمرتكم بالدخول ادخلوا فقالوا السمع
والطاعه وخرج عقبة من داره وقد هجر الحر ولم يكن فى الدروب أحد من شدة الحر ولم يزل
عقبة سائر وولده معقب معه والاثنين من بعيد يرمقون حتى وصل الى باب الدرب ومد
عقبة عينه الى الدهليز واذا بالجارية واقفة فى انتظاره فحين رأته دخلت الى ستها وأعلمتها
به وقالت ياستى قد جاء الحكيم فقالت مولاتها على به فخرجت الجارية وقالت ياحكيم
ادخل فقال عقبة والله ما أقعدنى الى هذا الوقت الا هـــذا الغلام وانتظاره لانه حكيم
عصره وفى يد دهره ولا يصح ما أفعل الا به فعادت الجارية الى ستها وأعلمتها أن مع
المنجم صبى آخر وقال لى انه مايتم الأمر الا به فقالت دعيه يدخل معه فدخل عقبة
وابنه وجلسوا وقال عقبة احضروا لى الحوائج فأتت بهم فى طبق من الفضة فهنالك
أخرج عقبة آلة النجم ووضعها بين يديه وقال لها ماسمك واسم صاحبك فجعلت تملى
عليه وهو يكتب بالزعفران ثم أدار عينه فى الدار وقال لها لا يكون أحد غيرك فى
الدار حاضر فقالت له زوجة أحمد طيب قلبك ياحكيم أنا من أمس جعلت للجوار حججهم
والغلمان وحلفت أن لايدخل أحد منهم إلى الدار ثلاثة أيام فقال لها عقبة نعم مارأيتى
يامولاتى غير أن لايتم لى هذا الشغل والأبواب مقفلة ينكد علينا كلما نعمله فيجب أن
تفتحين الأقفال وإذا عملنا شغلنا أعدناها إلى مكانها أما تعلمين أن القفل كاسمه ونحن نريد
الفتح والتسهيل فقالت زوجة أحمد هو ذلك ثم نهضت وفتحت الأقفال جميعها إلا قفل
واحد تركته على حاله فقال عقبة ما السبب فى ترك هذا القفل قالت ياحكيم لايمكن فتح
هذه الخزانة قال عقبة ولم ذلك قالت لأن فيها ملك الروم وأعمامه وخواصه وأخشى أن
يتم عليهم أمر من الأمور فقال عقبة لاتضيقين صدرك ولاتشغلى سرك بل افتحى الفراشة
من بدن القفل ودقها على جانب العتبة فان دق أحد الباب نهضت أنا وولدى إلى بعض
الخزائن وتتركين أنتى الفراشة كما كانت فقالت والله ياحكيم ما أخشى إلا من أحد ثم نهضت
واستوثقت من الباب ورجعت فتحت القفل هنالك طاب قلب عقبة وفرح وضرب مندل
وصنع دائرة عظيمة كبيرة فى وسط البيت ثم قال لها اقعدى فى وسط هذه الدائرة ثم أخرج
عقبة قيد كان استحضره معه لذلك الشكل ووضعه فى رجليها واستحضر البخورات وأضرم

النار وهمهم وتكلم وأومأ بيده إلى النار وتبسم وتناول الخمر والقدح وسكب فيه قليل وشرب وملاه ثانية وأخرج قرطاس من البنج الذى معه وأخرج منه شيأ على هيئة الكمون المدقوق وترك فوق القدح منه قليلا وشرب منه وناول الباقى لولده وملأ القدح وأوهمها أنه يحك رأسه وأخرج منها قرطاس كان معه فيه بنج أقريطش أزرق لو وقع منه نصف درهم على جبل لتدكدك ورماه فى ذلك القدح وتكلم عليه وأومأ به إلى زوجة أحمد قال لها اشربى قالت ياحكيم وكيف يكون هذا قال أما تريدين أن أحضر لكى الجارية فى هذه الساعة مقيدة مغلولة وتنظرين ذلك عيانا فاشربى هذا الكاس تبصرى الذى قلت لكى عيانا قال فلم تشك المرأة فى ذلك فتناولته وشربته وما أتت على آخره حتى غابت عن الدنيا ثم ملا عقبة قدحا آخر وضع فيه من ذلك البنج وسقى الجارية التى بقيت فى الدار فنامت أيضا فوثب عقبة وولده كأنهما شياطين ومسكوا بأكتافهما وهزوهما فوقعا على الأرض كأنهما فارقا الدنيا وخرج عقبة إلى باب الدار ونادى ولديه اللذان كان أوقفهما على الباب وأمرهما بالدخول فدخلا وغلق الباب خلفهما فأبصروا زوجة أحمد وهى مثل الجزع اليابس وكذلك الجارية هذا وعقبة قد فتح باب الخزانه التى فيها الملوك ودخل فإذا بالملك منويل وعمه الاندرياس وأخيه وبطريق لؤلؤه وبطريق باغيه فسلم عليهم عقبة وانكب يقبل التراب بين أيديهم وقال لهم يعز على كيف تمت عليكم هذه الحيلة ثم أمر عقبة أولاده بالدخول فدخلوا وسلموا وكان معهم مبارد قد أعدها لهذا الشغل فاخرجوها وتناول كل واحد منهم مبرد ولم تكن غير ساعة حتى أزاحوا الحديد عن أرجل الملوك وملكوا أرواحهم وقال عقبة لأولاده بقى التدبير فى خروجهم ثم عمد عقبة إلى المنزل وفتحه فوجد خيزران للثياب ووجد عليه خمس شقق كانت للجوار فاخذهم عقبة وعاد إلى الملوك وألبس كل واحد شقة وزياهم بزى النساء ولبس عقبة إزار النوم وطرح على وجهه شعريه وتزيا بزى جارية سوداء وخرج من الدار ولم يزال عقبة بين أيديهم وهم يتبعوه إلى أن أتى بهم إلى دار كانت أعدها له وأمر أولاده بدخولهم فادخلوهم ونزلوهم فى الدار هذا وعقبة قد قلع الأزار ولبس أثوابه وخرج من ملطيه وقصد إلى سرادق الرشيد فدخل وباس الأرض فقربه منه وقال له أين كنت اليوم فقال عقبة يا أمير المؤمنين كنت قصدت إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصليت فيه وجلست إلى وقتى هذا إلا أننى اشتقت إلى هذا الموضع الشريف فقال الرشيد والله انك لذو دين وورع

(قال الراوى) وكان أحمد الرامى كل يوم يأتى بيته بعد صلاة الظهر يفتقد الأسارى ويرجع إلى

بيت السرية لأنه كان يحبها (باسادة) والأمر الذى يريده الله تعالى أنه أبطا ذلك اليوم ولم يأتى وبقى باب الدار مفتوح فعبرت عجوز دايه وقد عاينت الباب مفتوح فدخلت حتى تصلح زوجة أحمد وجدت المرأة مرميه على وجهها فدنت منها وطلبت أن توقظها فرأتها مثل الخشبة فصاحت المرأة بأعلا صوتها وسمعوا الجوار والغلمان والخدم فأقبلوا الى الدار ودخلوا فوجدوا المرأة على هذا الحال فأعلموا أحمد فأتى ودخل البيت فرأى زوجته كالخشبة وأبصر الابواب مفتحة والمملوك قد هربوا فلطم على رأسه ومزق ما كان عليه من ثيابه وخرج طالب بيت الامير عمرو بن عبدالله

﴿ تم الجزء الثالث والعشرون ويليه الجزء الرابع والعشرون ﴾

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف
على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الرابع والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى ياساده) والنسوان قد علمت بأن زوجة أحمد مبنجه فأتوا بالكندس الازرق وقربوه إلى أنفها ونشقوها بالخل الحاذق حتى أفاقت من البنج وقد ألقته مثل قوالب الشمع وفتحت عينها وقالت ياحكيم فقلن لها النسوان أى حكيم يامجنونه فعلمت أنها حيلة قدتمت عليها فقالت للجوار من يعلم أحمد بهذا فقلن قد جاء وأبصر ثم فكوا القيد من رجليها واحمد قد دخل على عمرو بن عبيدالله وهو مخرق الثياب وأعلمه بماتم وخلاص الملوك فبقى عمرو ساهى وأيقن بحمامه وخرج عمرو من بيته راجلا مهرولا إلى بيت الأمير عبد الوهاب فوجد البطال عنده وهم يتحدثون فى حديث الأميره ذات الهمه وغيبتها فى طرسوس ولما نظر عبد الوهاب إلى عمرو بن عبيد الله قال له ماحالك فأخبره بذلك فعظم عليه وكبر لديه وسار عبد الوهاب إلى البيت يستصح الخبر فوجد الابواب مفتحه واستخبر زوجة أحمد عن ذلك فقالت لااعلم فهم كذلك وغلمان الرشيد قد اقبلت لان الأخبار قد اتصلت اليهم وإلى الرشيد فاغتاظ وقام من الغيظ وقعد وعقبة عنده فجعل عقبة يورى أنه قد عظم عليه ويلطم على رأسه وسار عمرو والأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فلما وقف عمرو بن عبيد الله بين يدى الرشيد نظر اليه نظر الغضب وقال والله ماانتدبتك قط فى أمر ونجحت ولا إلى شغل وفعلته فلا شىء تصلح فقبل عمر ابن عبيد الله الأرض وقال العفو ياأمير المومنين وحق محمد خاتم النبيين لقد اجتهدت فى

حفظهم ولكن الأمور مقدرة فأمر الرشيد بالقبض على عمرو وأحمد الرامى قال فقبضوهم الخدام وقيدوهم وجعل عليهم الرشيد التوكيد كل يوم بمائة دينار من حنقه هذا وعبد الوهاب لم يقدر أن يتكلم فى ذلك الوقت بل سكت حتى ينكسر غيظ الرشيد ورجع عبد الوهاب والبطال وهو يقول للبطال والله ماسرنى ماجرى على عمرو بن عبيد الله من الاخراق والهوان فقال البطال اسكت ياأمير الله تعالى لايفرج عنهم ان الزيت فى العجين مايضيع وأنا أقسم برسول الله ﷺ ان كان فعل هذه الفعله إلا ابن عمهم عقبة ومن تحت رأسه وياماعمل مثل هذه المكيده والنكبه ودخلوا إلى المنزل وتحدثوا بحديث عقبة وكيف أنه يبذل نفسه فى رضا الكفار فهم كذلك وإذا بالغلمان قد دخلوا عليهم يخبروهم ان خدام الرشيد على الباب فخرج اليهم عبد الوهاب فقالوا له أجب أمير المؤمنين فسار معهم فدخل على الرشيد فأمره الرشيد أن يركب فى بنى كلاب والسودان الانجاب ويتفرقوا فى الطرقات وفى الشعاب وخرج وركب فى جماعه كما أمره الرشيد ذلك اليوم كله وفى اليوم الثانى إلى الظهر فلاحس ولا خبر ورجعو بلا فائده فنال الرشيد منال عظيم وأمر الناس بالمسير إلى العراق واجتمع الأمير عبد الوهاب بالبطال وقال ياأبا محمد يجب علينا أن ندخل على الرشيد ونسأله فى عمرو وفى أحمد صهره لأن الرشيد الساعه انكسر غيظه عما كان فضحك البطال وقال ياعبد الوهاب هذا بعقلك تقول وقد وقع فى مسامعه ثمانمائة ألف دينار فديه غير القماش والمعادن وقد نفدت من يده فالذى تقول له قال عبد الوهاب ياأبا محمد نتساعد أنا وأنت لعل الله تعالى ان يفرج عنهم ثم سار عبد الوهاب والبطال وطلبوا سرادق الرشيد واستأذنوا فى الدخول فأذن لهم فقالوا ياأمير المؤمنين ان أمير الثغور عمرو بن عبيد الله مارأى أن يشتغل بغير خدمة أمير المومنين وسلم الملوك إلى صهره وقد تم مالم يكن فى الحساب وما هو باختيارهما ومافات ليس بعائد ونحن قد جئناك شفعاء فى اطلاقهما من الوثاق وان كان مولانا أطال الله بقاه يريد أن يوقع بهما شرا فان ذلك لايليق بكرمه فقال الرشيد ياعبد الوهاب كانك أنت كنت عاجز عن حفظ الملوك إذا كانوا تحت يدك ونظرك وانما أردت ان أشرفه بذلك قال البطال الآن قد أخطأ ومثل أمير المؤمنين من عفا وان كان قصد مولانا أمير المؤمنين المال فأنا الضامن ان يصل اليه أضعاف ذلك (قال) ولم يزالوا يتلطفوا بالرشيد ويسألوه حتى لان وأمر بالافراج عن عمرو واحمد الرامى وأمر مسرورا أن يحضرهما مقيدين فأمر بقلع قيدهما وخلع عليهما ودقت الكوسات لأجل ذلك وعلا الدعاء للرشيد من الكبير والصغير وكثر الشكر والثنا للأمير عبد الوهاب والبطال واستأذن عبد الوهاب الرشيد فى الانصراف فاذن له فانصرف

وعمرو الى جانبه الى أن وصل إلى داره فدخلها (قال الراوى) وكان الرشيد قد ساءه المقام فى تلك الاطلال واشتاقت نفسه فى الانحدار الى العراق وأمر الرشيد باحضار الأموال والغنائم وقسمها بعدان أخرج منها الخمس وقسمه على الناس وأعطا ذات الهمة وعبد الوهاب شيء جزيل واستغنت الناس غنا لا فقر بعده وكانت مدت قسمة الغنائم شهرين وبعد ذلك نادى فى الناس ألا من أراد الرحيل الى وطنه فليفعل وجعلت العساكر تأتى الى الرشيد وتستأذنه ويتفرقوا إلى أرضهم وبلادهم وقد أمر الرشيد عسكر العراق ان تأخذ الاهبة بعد ثلاثة أيام وقلع السرادق من على نهر سليمان وأبعده عن ملطيه رمية سهم حتى تعلم الخلائق ان الرشيد راحل فهذا ما كان من الرشيد وأما عقبة اللعين فانه اجتمع مع أولاده وقال لهم اعلموا ياأولاد انني قد جودت الحيله وخاصت الملك منويل ومن معه من الملوك والآن فقد عزم الرشيد على الرحيل بعد ثلاثة أيام وقد أمكنت الفرصة وزالت الغصه وأريد أدبر الآن فى اخراجهم من ملطيه وأسيرهم إلى بلادهم مادامت العساكر طالبه إلى ديارها وكل من يحسن الى انسان يكون الاحسان عند تمامه قال مصعب نعم ماقلت ياأبى قال فاخذ عقبة يدبر فى اخراجهم من ملطيه كيف يكون ونزل عقبة لعنه الله إلى الملوك وعرفهم بذلك فشكره الملك منويل وقال له ماقصرت والصليب يشد منك ماضعف لأنك مجاهد فى دينه ثم صعد من عندهم وعمد إلى خمسة رؤس من الخيل الجياد وأخرجهم من ملطيه ولم يتعرض أحد إلى أحد لأن العالم كثير والدخول والخروج لأجل الرحيل وبهذا قدر عقبة يصنع ذلك ولما حصلت الخيل ظاهر ملطيه سلمها إلى بعض أولاده وقال له اكمن تحت مسجد الرسول حين أقدم عليك فقال سمعا وطاعه ودخل بعد ذلك عقبة إلى داره واخرج الملوك الخمسه وخلع عنهم ملبوسهم وزياهم بزى مكارية العراق وصبر إلى وقت غروب الشمس وردوا البوابين الباب وركب عقبة بغلته بعدان كبر عمامته ونفش لحيته وسار ذلك الوقت كانه طالب الرشيد وأخرج بغلين مرحله برحيل المكارية وقد نزل عليها كل مايحتاجون اليه من زاد وثياب وغير ذلك وسلم البغلين الى غلامين من غلمانه وسار من ورائهم ولم يزالوا سائرين بهم الى أن وصلوا الى الباب فزعق عقبة على البواب لاتغلق فتوقف البواب عن غلقه وطلع البغلين ووقف عقبة بين أيديهم وقال لهم أنتم من عسكر العراق قالوا نعم قال أخرجوا الله معكم فخرجوا وساروا بر البلد قال لهم عقبة لايكون طريقكم الاعلى السويديه ومن هناك تركبوا أقرب طريق الى القسطنطونيه حتى تأمنون على أرواحكم لاننى أخاف عليكم من الطريق فقال الملك هو كذلك ثم ان عقبة ودعهم بعد ماأعطاهم من يخدمهم فى الطريق من غلمانه وقد ركبوا

الملوك الخيل والغلامين على البغلين وساروا فهذا ما كان منهم (واما عقبة) فانه رجع قاصد إلى سرادق الرشيد واستأذن فى الدخول فأذن له الرشيد فدخل فى المجلس محتفل بالأمراء لأجل وداع أمير المؤمنين ولما ان وقعت عين الرشيد على عقبة تزعزع له واجلسه إلى جانبه ولما استقر بعقبه المكان وتحدث مع الرشيد كل انسان وبعد ذلك قام عقبة وقبل الأرض وقال ياأمير المؤمنين العبد يشتهى ان يحظى بخدمتك إلى دار السلام فقال الرشيد على الرحب والسعه والكرامة والدعه وحق آبائى وأجدادى الطاهرين لقد اردت ان اندبك إلى هذه الفعال فرجع عقبة قبل الأرض وقال عن اذن أمير المؤمنين اجهز شغلى للمسير قال نعم فرجع عقبة إلى باب ملطيه فوجده مفتوح فدخل داره ولم يزال كذلك إلى أن دخل عليه ولده معقب وأخيه مصعب فهناهم بالسلامه فسألهم عن حالهم فخبروه ان الملك يقول لك لاتقطع كتبك عنه فشكره عقبة واخبر أولاده بما هو معول عليه بالسفر مع الرشيد والانحدار إلى بغداد فقالوا له نعم مارأيت ثم انه جهز شغله ولم يبق له عاقه وأخذ معقب صحبته وغلامين لأجل خدمته وخرج وقت السحر إلى خدمة الرشيد وان الرشيد تلك الليله لم ينام بل هو فى همة الرحيل والبطال بين يديه والاماره حاضرين هذا وعقبة دخل وقبل الأرض وجلس فقال الرشيد ماصنعت ياأبا الوليد فقال ياأمير المؤمنين العبد ما بقى له شىء يعيقه ولا يطيب له المقام فى موضع لا يكون الامام فيه فشكره الخليفة على ذلك ولم يزالوا على ماهم عليهم إلى أن طلع الفجر وأمر العالم بالرحيل ونشرت الرايات ونعرت البوقات ودقت الكوسات وجنبت الخيل العربيات وركب الرشيد وقد دارت الحجاب والوزراء والعلماء وبين يديه أبو الفرج يقرأ وكذلك القاضى عقبة ودارت الامراء حوله مثل الامير عبد الوهاب والامير عمرو بن عبيد الله وسعيد بن الفرج وراشد ابن ضمرة وأبو محمد البطال وجميع الفرسان ولم يزالوا فى خدمته إلى أن وصل إلى آمد فخلع الرشيد على الامير عبد الوهاب وعلى الامير محمد البطال وعلى جميع الامراء وأمرهم بالروع فرجعوا وسار طالب دار السلام بغداد ولم يزال فى كر وجد حتى وصل إلى بغداد فخرجت العالم إلى لقاه ونزل فى دست مملكته ثم ان اللعين عقبة دخل على الست زبيده وقبل الارض بين يديها وقال لها يامولاتى وصل اليكى كلما دعوت لكى ولولدك محمد الامين عند البيت المقدس فشكرته زبيده وقالت له ياقاضى أنا اعلم أنك ماتقصد تلك المواضع الا لاجل الدعاء (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء واما الاميره ذات الهمة فانها وصلت الى طرسوس وأوصلت الامير على بن يحي الارمورى الى منزله وأقامت عنده حتى انصلح من ذلك المرض وركب الخيل وكانت مدة مقامها

فى طرسوس ثلاثة أشهر وركبت وطلبت الرجوع الى ملطيه ودخلت على الأمير على ابن يحي بعد ان عوفى من مرضه واستأذنت فى ذلك وشكت شوقها الى عبد الوهاب فقال لها أيتها الأميره لقد ملكت أعنة الأمور لما اخترت ذلك ولكن رطب اللسان بما أوليتينى من الاحسان ثم نادت الاميره فى عساكرها ان يأخذوا أهبتهم للرجوع فقضوا أشغالهم فى ذلك اليوم والثانى والثالث ودخلت الاميره الى البلد وقصدت الامير على لتودعه فدخلت عليه الغلمان وأخبروه بالاميره فخرج الأمير حافيا راجلا الى لقاها وأجلسها على سريره ووقف فى خدمتها فأقسمت عليه بجلس فجلس وأحضر السماط وأكل هو والأميره وجماعته والفرسان وخلع عليهم وقاد الى الأميره عشرين رأس من الخيل والعربيات وعشر ثياب روميات وعشر سيوف هنديات وسألها فى قبول ذلك فقبلتهم وخرجت طالبة خيامها والأمير على بن يحى بين يديها ولم تزل الى أن وصلت الى الخيام وقد عولت على الرحيل فى غداة غد (قال الراوى) ياساده وفى تلك الساعة طلعت غمامة سوداء فى جو السماء فامتدت حتى ملئت لآفاق وصار النهار كاليل الاغساق وهبت ريح سوداء عاصفة شديدة فى الهبوب حتى انها قلعت الصخر من على وجه الأرض وتقطعت الخيام والاطناب وكثر البكاء والانتخاب وودعت الاحباب بالاحباب هذا والبحر قد أرغا وأزبد وألقى ما فى جوفه وتبدد ولم تكن الا ساعة حتى أضاءت الدنيا بالإشراق كما يشاء الملك الخلاق وسكن ذلك الهوى وهدى البحر ورجعت بنى كلاب شالت الخيام عن وجه الأرض وجلست الأميرة فى سرادقها ودارت بها الأحباب والأصحاب وبينما الأميرة كذلك وإذا بالغلمان قد دخلوا عليها وقالوا لها يا أميرة على باب السرادق رجل فى زى الروم ويريد الدخول إلى حضرتك فقالت على به فعند ذلك تبادرت الغلمان عليه وأقبلوا إليه وأدخلوه إليها فلما مثل بين يديها رفع صوته إليها وقال لهم أين هى الاميرة ذات الهمة بنت مظلوم المجاهدة عن دين الحى القيوم فقالت له الغلمان هاهى بين يديك (قال) فعند ذلك تقرب منها ودنا إليها وقال أيتها الاميرة معى بشارة نصر المسلمين وتغيظ الكافرين وقد بعثنى إليكم خاتم النبيين فلما سمعت الاميرة ذلك الكلام وذكر محمد سيد الانام نهضت قائمة على الأقدام وقربت الرجل منها وقالت له قل مابدالك فقال أيتها الأميرة حديثى لو كتب بالابر على آمق البصر لكان أغرب لانه عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن انتهى وانزجر فقالت الاميرة قل وأوجز فقال أيتها الاميره أنا رجل ملاح يعنى نوتى أعانى عمل البحر وفى هذه الايام دخلت السويدا مع أقوام تجار وأقمنا نطلب السفرا إلى أى موضع كان وإذا بخمسة أشخاص قد قدموا علينا ووصلوا إلينا

وأكروا مركبنا إلى القسطنطينية وأعطونا أكثر الكرا وأقلعنا الى السويديه لجاء ريح طيبة ونحن طالبين الى القسطنطينية ولم تزال الريح تخدمنا احدى عشر يوما وفى اليوم الثانى عشر تغيرت علينا الريح ولم تزال فى لجة البحر الى أن أمسى المساء فأرمينا المراسى وقلنا نبيت ههنا ونصبر حتى ننظر مابين أيدينا ولم تكن أكثر من ساعة حتى أخذنى النوم فنمت فأبصرت فى نومى كأن القيامة قد قامت والاهوال قد قامت والناس بين يدى الحق وقد افترقت الناس وافترق منها فرقه وبين يديها رجل جميل والناس يقولون هذا محمـــد ابن عبد الله قد شفع فى أمته فقلت ياليتنا اتبعنا طريقته وكنا من أهل ملته حتى تشملنا شفاعته فقمت بين يدى الخلائق وصرت له ملاصق وناديته خذنى معك واحسبنى من جملة أمتك فقال لى أتريد أن تكون من أمتى قلت نعم فقال لى اليك حاجة فان قضيتها ونطقت بالشهادة وهى كلمتى صرت من أمتى فقلت له يامولاى وما هى الحاجة قال غدا تقدمون على طرسوس وقت العصر فاقصد إلى الساحل فتجد مضارب وخيام وقباب وفرسان بنى كلاب فاقصد إلى مضرب أميرتهم وقل لها رسول الله يقرئك السلام ويقول لك ان الملك هنويل وأقاربه وأصحابه فى هذه المركب وقد سألت الله عز وجل فى ردهم اليك ليتم يقين المسلمين وتذل الكفرة والمشركين وبعد ذلك انتبهت من نومى وأنا مرعوب من ذلك ولم أزال ساهر إلى أن طلع الفجر وسرنا بالمركب الى نحو القسطنطينية بكل مانقدر عليه وهو لايبرح من موضعه حتى طلعت علينا غمامة سوداء وانبسطت فى السماء وظهر من تحتها هواء عظيم فلم نقدر لانفسنا على ضرر ولا نفع بل غبنا عن الوجود ونمنا على وجوهنا كأننا سجود ولم نحس بأرواحنا الا فى مينة طرسوس فصح عندى المنام وقمت من وقتى وبادرت فى حاجة سيد الانام (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما فرغ البطريق من آخر هذا الكلام سجدت الاميرة شكرا لله تعالى وقالت وأين هى مركبهم فقال فى مينة طرسوس القديمة وما صح عندى ذلك الا بوصولنا الى المينا كما ذكر لى السيد المجتبى ﷺ فقالت الاميرة هلم بنا حتى نبصر ماقال لك رسول الله ﷺ ويقوى يقينك برسالته فقال البطريق أنا الذى رأيته فى المنام أبهى من بدر التمام ولا برحت من هذا المقام حتى أصير من حزب أهل الإسلام وأتبرأ من دين الكفرة اللئام فقالت الاميرة نعم مانظرت وجيد فيما أشرت أمدد يدك أيها الرجل السعيد الذى قد أفرغ عليه ثوب التوفيق فمد البطريق يده وقالت له الاميرة قل مخلصا صادقا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالها ذلك البطريق وسلك فى طريق المسلمين أوضح طريق ونهضت الاميرة وذلك الرجل وأخذت معها ألف فارس من كل بطل مداعس والامير على بن يحيى صاحب طرسوس ولم تزل

سائرة والبطريق بين يديها الى أن أوقفهم على المركب فتقدم الامير على بن يحيى الى المركب، ونادى ياويلكم مامعكم فى هذه المركب فقال الريس يا أمير مامعنا لا كثير ولا قليل، فقال وان كان معكم يكون المسلمين ونقتلكم بعد ذلك لانكم أنكرتم منا فقال، الريس هو ذاك فعندها ترجلت الاميرة وطلعت هى والرجال ولم يكن للاميرة وكد غير ديماس المركب ففتحته وقالت من ينزل فما تمت الاميرة الكلام حتى صارت جماعة من السودان أسفل المركب مثل البرق اذا برق فأول من صعد منهم كان أبو زنبيل وهو ماسك بدقن الملك منويل وطلع بعده أبو الموت وهو ماسك بدقن بطريق اؤاؤه وطلع بعده ملاكم الريح ومعه الفيضورس وهو يصيح بالمسيح وطلع بعده باغض رأسه ومعه الاندرياس وقد وقع منه الاضراس وطلع بعده مناطح الصخر ومعه بطريق باغيه وعيناه مثل الجمر هذا والاميره قد سألتهم عن ولدها عبد الوهاب لا يكون قد تم عليه سبب من الاسباب وصعدت الاميره من المركب وأشار الامير على بن يحيى إلى الغلمان أن ينهبوا المركب فسألته الاميره فيهم وقالت يا أميره اعندهم من الملوك خبر هذا والامير ذات الهمه مالها دأب إلا الملك منويل وقالت له ياويلك كيف كانت نجاتك من ملطيه قال لها أيتها الاميره غفل عنا الخليفه بعدما سلمنا للامير عمرو بن عبيدالله وسلمنا عمرو إلى صهره أحمد الرامى وبهذا نصرنا على الانهزام فعرفت الاميره صحة قوله وعرفت أن الذى خلصهم هو عقبة الملعون فاستخبرتهم عن ولدها عبدالوهاب فقال فى ألف عافيه فقالت مالى لا أرى مارس معكم ولا دارس فقال مارس ودارس أرسلهم الأمير فى طلب الفديه فطاب قلبها (قال الراوى) هذا والأميره ذات الهمه قد وضعت الملوك فى الصناديق وحملتهم على البغال ورحلت تطوى الفيافى والاوعار حتى صار بينها وبين ملطيه مرحلتين فبعثت مبشر يبشر بقدومها لجد ذلك المبشر يوم وليله وأشرف على ملطيه إلى منزل الامير عبد الوهاب ونادى معى بشاره فسمع الامير ذلك فقال على به فلما دخل الرجل عرفه الامير لانه كان من بنى كلاب وكان اسمه مفرج بن بشير فلما وقعت عين الامير عليه ناداه باسمه وقال له ماأنت مفرج ابن بشير فقال نعم ياأمير ثم قبل الأرض بين يديه واستوى قائما وقال لك البشاره يامولاى فقال الامير عاذا يامفرج فقال يامولاى بسلامة الاميره ومن معها وانها قبضت على الملك منويل صاحب القسطنطينيه وعمه وأخوه ومن كان معه من رفقائه بالكليه (قال الراوى) فما فرغ مفرج من هذا الكلام حتى صار الامير كانه مسحور وكانه فى دنيا أخرى ساعة زمانية وقال يامفرج أحق ماتقول قال أي وحق محمد الرسول وابن عمه زوج البتول فعندها قام الامير وخلع كل ما كان عليه من الثياب وأفرغها

على مفرج وأعطاه فرس عربيه وألف دينار ذهب خليفتيه حق البشاره وأمر الامير الغلمان فدقت البشارات ونعرت البوقات وسمعت الامراء والسادات فجعلوا يهرعون إلى دار الامير عبد الوهاب وركب الامير المهاب ودارت به الامراء والاصحاب والغلمان وبعض السودان تجرى فى الركاب وساروا حتى صار وقت الغياب وبانت رايات الاميره سيدة الإعراب وكذلك ثار غبار عسكر الامير عبد الوهاب فما بقى عند الاميره جلد لما صح عندها وجود الولد وقد قال القائل

وأبرح مايكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار

(قال الراوى) وخرجت الاميره ذات الهمه من تحت الرايات وحدها طالبه ولدها وكذلك الامير عبد الوهاب خرج من بين الغلمان ولما دنت الامير من الاميره رمى روحه من على الحصان وقبل الارض شكرا لله تعالى وترجلت الاميره وأخذت الامير إلى صدرها وقبلته بين عينيه وقد ترجلت جميع الامراء عن خيولها وكذلك الامير عمرو بن عبيد الله وسائر الامراء والاصحاب وان الامير المهاب سعى إلى بين يدى الاميرة وقبل رأسها وهناها بالسلامه والعافيه وركبت على ظهر جوادها وكذلك وتلاحقت الفرسان بالفرسان وجعلوا يهنوا بعضهم بعضا بالسلامه وقد جعلت الاميره تحدثهم بحديث الامير على بن يحيى وباكرامه لها وبما كان من هذا الامر كله وباسلام البطريق وكان قد أتى فى صحبتها وجعلت له خيل وغلمان وخيام وجعلت تحدثهم كيف كان أخذ الملوك من مدينة طرسوس والامير عبد الوهاب يشكر الله عز وجل وكانت الناس لما يصلون للاميرة يقصدون الى البطريق الذى أتى فى صحبتها وهو الملاح الذى أخبرها برؤية النبى صلى الله عليه وسلم

(قال الراوى) وصار يحدثهم بالمنام الذى أبصره والكلام الذى قاله سيد الخلق وبلغه الاميره ولم يزالوا كذلك إلى المنزل ونزلوا الناس فى ذلك الموضع وكان على حد خمس فراسخ من ملطيه وقاموا الناس إلى قرب الحر ودخلوا فكانوا على باب ملطيه قبل طلوع الشمس وخرجوا من ملطيه النساء والمخدرات ونثروا على الاميره النثار وكانت الاميره قد أظهـــرت ملك الروم وعمه وأخاه والبطريق الذين كانوا معها فى الصناديق ونظروهم العالم على التحقيق ودخلت الاميره إلى ملطيه ووصلت إلى منزلها وأمرت بتقييد الملك منويل ومن معه من أصحابه وثقلت قيودهم بكل ماقدرت عليه وسجنتهم فى دارها وأمرت الامير أبو محمد البطال وغلمانه بحفظهم وكان افرح الخلق بذلك الأمير أبو محمد لأجل انكسار غرض عقبة بما قدفعلت الأمير ذات الهمه وكيف أخذتهم ثم ان الأميره كتبت كتاب الى الرشيد تعرفه كيف اخذت ملك الروم منويل وعمه وأخيه والذى معهم وكلما تم لها من أوله

إلى آخره وأعطت الكتاب للبراج فعلقه على طير من طيور بغداد وكذلك على أجنحة الطيور كانت تقضى الأمور وما أمسى المسا وأتى آخر النهار الا والطيور فى بغداد وكان أول طير وصل الذى أرسلته الاميره ذات الهمه فأخذه البراج وقدم به الخليفه

(قال الراوى) وكان الرشيد فى ذلك اليوم جالس ومن حوله أرباب دولته ورؤساء مملكته وكان القاضى عقبة أقرب الناس اليه وفى ذلك الوقت دخل البراج ومعه الحمام فسلم وقبل الأرض وقدم الطير فقال الرشيد من أين هذا فقال يامولانا من حمام ملطيه فأخذه الرشيد وفك ختمه وقال اللهم اعطنا خيره واكفنا شره ثم فضه وقراه فتلالا وجهه واستبشر وضحك وقال وحق آبائى الطاهرين هؤلاء مسعودين وعلى أعدائهم منصورين فقال الوزير الذى يحب عبد الوهاب وبنى كلاب وما هو ياأمير المؤمنين شىء مارأينا مثله لاقبلها ولا بعدها ثم انه أرمى الكتاب اليه وقال له اقرأه على الجماعه فابتدأ الوزير وقراه ففهم الناس معناه فتعجبوا الجماعه وفرحوا بذلك إلا الملعون عقبه فانه زاد بلاه وكربه وجواه والوزير يقرأ الكتاب والرشيد يضحك ويدق بيد على يد فلما فرغ الوزير من قراءة الكتاب أمر برد جوابه الى الاميره وولدها الأمير عبد الوهاب وهو يوصيهم فى الكتاب بسرعة حضور الملوك الكلاب فقال السمع والطاعه ثم كتب الكتاب وأحسن فيه اللفظ والخطاب وناوله للبراج هذا والرشيد قد طلب النوم فنهض كل من كان فى المجلس الى منازلهم وكذلك اللعين عقبة نهض وركب بغلته وقد انفطرت مرارته وسار الى داره ودخل على أولاده ولطم بمداسه على رأسه حتى بذر الدم من تحت أضراسه وخرق جميع لباسه فتقدمت اليه أولاده وقالوا ياأبانا قل لنا ماالذى جرى عليك وماوصل اليك فجعل يحدثهم بوقوع الملك منويل ومن معه فى يد الأميره ذات الهمه وكيف أخذتهم من طرسوس ولم يزال يلطم بيديه على رأسه حتى غمى عليه هذا وأولاده قد يئسوا من حياته وأيقنوا بوفاته ولم يزال اللعين عقبة فى غشوته الى ان تنصف الليل فأفاق على نفسه وجعل يقول وحق دينى ما المسيح الا مسلم ويفزع من هؤلاء القوم وما يقدر أحدا يفعل أكثر من هذا ثم انه ابتدأ وكتب كتابا فى أوله كلمة كفرهم أما بعد فان الذى نعرف به الملكه قالون أم منويل اننى دبرت على خلاص الملك ومن معه وسيرتهم الى السويدا ونزلوا فى البحر طالبين القسطنطينيه فرجع ردهم المسيح الى مدينة طرسوس فكانت الاميره ذات الهمه هناك فأخذتهم ورجعت الى ملطيه وقد بعث خليفة الاسلام فى طلبهم وهم لاشك يصلون الى مدينة بغداد وقد اجتهدت غاية جهدى وما بلغت قصدى وهذا جملة ما عندى (قال الراوى) وطوى الكتاب وسلمه الى ولد من غلمانه وسيره

من بغداد الى القسطنطونيه والكتاب معه وكان خروجه مع فتوح الباب (قال الراوى) هذا جرى من القاضى عقبة وأما البراج فانه عند الصباح ترك كتاب الرشيد على جناح الطائر الذى لملطية وأطلقه فلم ينتصف النهار حتى قدم الطائر على البلد ونزل على برجه فأخذه البراج وأتى به الى الأمير عبدالوهاب فأحضر الأميره ذات الهمة وأبو محمدالبطال وخواص الرجال وفض الكتاب وأمر البطال أن يقرأه فأخذه أبو محمد بيده وتميزه واذا فى أوله الاسم المعظم الذى من قاله ومسح به على وجهه حرم لفحات النار أما بعد فقد وصل كتاب الاميره ذات الهمه المجاهده ووقف أمير المؤمنين على نظمه وهو يحمد الله عزوجل على ذلك ويشكره ويريد جواب هذا الكتاب انحدار الأمير عبد الوهاب الى بغداد ويكون صحبته ملوك الروم ومالى عنده وصية الا سرعة الايجاب وحث الركاب فان أمير المؤمنين يريد يشاهد عذابهم ويذل رقابهم وقلوب السلاطين أبكار لاتقدرعلى الانتظار وصلى الله على سيدنا محمد النبي المختار كلما ترنمت الاطيار وهبت نسائم الاسحار وطرد الليل النهار (قال الراوى) ولم يمسى المسا حتى تجهز الامير للمسير وأخرج الملوك وثقلهم بالحديد ووضعهم فى الصناديق وعند الصباح اختار الأمير ألف فارس تكون معه من وجوه قومه وأكابر عشيرته وتوجهوا سائرين الى دار السلام بغداد ولم يزال الأمير سائر إلى آمد وطلعت اليه الاقامات والعلوفات ولم يزال الأمير كذلك إلى ان وصل إلى تكريت وبعث الامير بشيرا بذلك فعاد مسرور إلى الرشيد وأعلمه بوصول الامير عبدالوهاب فأمر الرشيد لمسرور ان يأمر العساكر بالركوب إلى لقاء الأمير عبدالوهاب وكذلك الأمراء والفقهاء والعلماء والوزراء والأصحاب (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم يبق أحد فى بغداد إلا وخرج إلى لقاء الأمير عبدالوهاب وخرج القاضى عقبة وقد كبر طيلسانه وأرخا أردانه ونفش لحيته وخرج وهو يدعو للامير عبدالوهاب والامير أبو محمد البطال بالنصر والظفر على الاعداء وقلبه منفطر المرائر لما رأى الرايات نشرت والاعلام والصناجق وظهرت البيارق والرايات السلطانية والاعـــلام وخرج الخليفه إلى لقاه وكذلك الدولة وفى أوائلها الوزير ذو الرياستين وهو أفرح الخلق بقدوم الامير عبدالوهاب وزينت بغداد وغلقت الاسواق واصطفت البنات الابكار ونثر على الامير عبد الوهاب النثار وقد ظهر ملك الروم للأبصار وعقبة بين يدى خليفة الامصار وهو يقرأ نصر من الله وفتح قريب وفى قلبه من ذلك نيران اللهيب ولم يزال الامير سائر الى باب الدركة الخاص والملوك بين يديه فدخل الى الباب السادس وقد فرح الرشيد بذلك ووثب الى لقائه من أول الدهليز السابع وهذا شيء لم يناله أحد من البشر من الخليفة ولما وقعت عين الامير

عبد الوهاب على عين الرشيد انكب على وجهه وجعل يقبل الارض مرارا عدة فأخذه الرشيد بيده ودخل الى مرتبته فلما دخل الى قصره أمر أن ينصب للامير عبد الوهاب سرير من الابنوس بين يديه وكان ذلك اليوم أقرب الناس اليه وأخذت الخواص كل منهم موضعه ومرتبته هذا والرشيد جعل يستخبره عن بداية الحديث ولما فرغ الامير من حديثه استخبر الرشيد عن بنى كلاب والأمير يقبل الأرض ويدعو له بالبقاء والدوام وفى ذلك الوقت مدوا السماط وقعدت الأمراء فى مواضعها والوزراء فى مراتبها والأمير عبد الوهاب بين يدى الرشيد ولما أكلوا الطعام غسلوا أيديهم وقعدوا للحديث وأما بنو كلاب فانها نزلت فى المواضع المعروفة ونقلت إليهم الطعامات والحلاوات والملوفات وكان ذلك بشورة الوزير ذو الرياستين لأنه زاد فى إكرامهم وبعد ذلك وثب الرشيد من على سريره وخلع كلما عليه من اللباس وأفرغها على الأمير عبد الوهاب وقاد بين يديه الخيل العربيات وأما الملوك فان الرشيد أمر بتثقيل الحديد عليهم بعد ما هددهم بالقتل هذا وعقبة قد انفطرت مرارته وقل صبره وجلده قال وما خرج الأمير فى ذلك اليوم من حضرة الرشيد إلا وقد بلغ المنا وكلما يريد وسار إلى خيامه وبين يديه الغلمان والعبيد ونزل الأمير فى سرادقه هذا جرى ههنا وأما قالون أم منويل فكان قد وصل إليها كتاب عقبة الذى كان قد أرسله قبل مسير مارس ودارس من ملطيه وهو يقول لها لا تعجلى بالفدية لأنى قد عوات أن أخلص ولدك ومن معه من الملوك المأسورين فلما سمعت قالون ذلك طاب قلبها ووصل مارس بعد كتاب عقبة فجعلت تماديه بالفداء يوم بعد يوم إلى أن ورد عليها كتاب عقبة الثانى الذى كتبه عند قدوم الأمير عبد الوهاب بالملوك إلى بغداد فلما قرأته وفهمت ما فيه قامت عليها القيامة وأحضرت مارس وأخاه وقرأت كتاب عقبة فأظهروا لها الغم والهم وتواترت بذلك الأخبار وقدمت بذلك المسافرين بهذا الخبر والحديث وقالون نالها ما نال عظيم وقالت هم على إحدى الحالتين اما أن يقتلوهم واما يطلبوا منهم الفدية وأقامت تنتظر الرشيد أن يكاتبها فى أمر الفدية مرة أخرى فجمعت وجوه قومها وأكابر دولتها وقالت لهم قد علمتم كلما عمل الشيخ النجيح لكن ما وافقته المقادير وجاء الأمر على ما لا يريد. وكان قد بعث قبل قدوم مارس ودارس كتاب وقد ذكر فيه أنه يخلص الملوك فبطلت أنا الفدية والآن فقد صح أخذهم من مدينة طرسوس مرة ثانية بعد ما خلصوا وأخاف من خليفة المسلمين أن يهلكهم فأنا أراسله من أجل الفدية وأقول ما أخرت الفدية إلا بسبب من الأسباب وذلك أن المال كان عندى قليل وفى هذه الايام ورد على حمل اقاليم وأعتذر إليه بكل ما أقدر عليه فقالت البطارقة نعم ما رأيتى قال وكانت قالون قد أطلقت الوزير

البوكموش من السجن لما توانرت الأخبار على أخذ ولدها وجعلت تنعم على أرباب الدولة وكان الوزير المذكور ذلك اليوم حاضر مع أرباب دولتها فأمرته أن يكتب إلى الخليفة كتاب على لسان قالون فيه تقول معلوم يا أمير المؤمنين لو رمت القتل ما بقيت وليس المقصود إلا أن تجريهم على كما هو المعهود من احسانك لأن قتلهم مافيه فائدة وإن كان المقصود المال فعندى ماأفرج به عن ولدى وعمه وأخيه (قال الراوى) وسلمت الكتاب الرسول وأمرته أن يسير على طريق ارمينا لأنها أقرب الطرق فأخذ الكتاب وجعل يسير الليل والنهار والغدو والأبكار حتى وصل الى بغداد وقصد الى الخليفة واستأذن له فى الدخول فدخل رسول قالون على الرشيد وقبل الأرض وأظهر الكتاب وسلمه الى الرشيد فأخذه الوزير من يده وبعث الرشيد أحضر أرباب دولته مثل الأمير عبدالوهاب والفضل بن الربيع وعقبة ومن له فى المشورة عادة فلما كملت أرباب الدولة أمر الرشيد الوزير أن يقرأ الكتاب ففك ختمه وقرأه على الحاضرين وفهموا ما فيه فقال الرشيد هذا كتاب قالون أم منويل تذكر فيه الفدية فكم نلتمس منها من الفدية فقالوا قوم يامولانا ثلثمائة ألف دينار وقالوا آخرون خمسمائة ألف فقال مافيكم من أتى على غرضى ثم التفت الى الوزير وقال أكتب اليها جوابها وقل لها أما ما ذكرتى من اهراق دم ولدك فلا حاجة لنا فيه ولكنا نريد الفداء فان كان لك حاجة بولدك ومن معه فعلى أن أمهلهم وعجلى المفاداة ويكون خمسمائة ألف دينار ذهب أحمر وثلثمائة ثوب حرير أخضر وجواهر ويواقيت تزهر قال فأجابه الوزير إلى ذلك وكتب ماأشار به الرشيد وأعرضه عليه فاستعاده وسلمه إلى الرسول فأخذه وعاد فى الطريق التى أتى منها وجد فى سيره حتى أتى مدينة القسطنطونية ودخل على قالون وسلم اليها الجواب فلما صار فى يدها استخبرت مارس ودارس والوزير وناولتهم الكتاب وأمرت بقراءته ففضه وقرأه حتى أتى على آخره وفهم كل من حضر ظاهره وباطنه فقالت لمارس ماذا ترى من الرأى فقال الذى أراه ان قلامة ظفر منويل أحب إلى بكل من فى الدنيا ومن عرف اما يطلب هان عليه مايبذل فاياك ان تنظرين فى الاموال التى تذهب منك وانظرى فى الذى يرجع اليكى فبادرى باخراج الاموال والسلام فقالت قالون وحق المسيح لقد نطقت بالصحيح وتكلمت مليح فتولى انت هذه التربة فقال سمعا وطاعة ثم أمرت الغلمان باخراج الاموال والذخائر والجواهر واليواقيت والثياب وعباها فى الصناديق وكان هذا كله فى عشرة أيام ثم دخل على الملكة فى اليوم الحادى عشر وقال لها أيتها الملكة قد عبيت خمسمائة ألف دينار غير مايتعلق بالثياب والجواهر واليواقيت

(قال الراوى) وكان مراد مارس ان يفقر بيعة الروم فقالت له قالون امضى إلى البيعة وخذ منها حاجتك فقصد مارس ودخل بيت المذبح واستولى وأخذ مافيها من الاوانى واليواقيت وغير ذلك من الذهب والستور والقناديل والكراسى وفى الجملة كرسى عاج مصفح بالذهب الوهاج يسوى مافى العراق من الخراج وكان ذلك الكرسى عند منويل لقراءة الانجيل ثم جمع القساقسة والرهبان والبطارقة وقال لهم ياعلماء النصرانية وأصحاب الملة المسيحية اعلموا ان الملك مقبوض عليه عند خليفة المسلمين وهو فى العذاب والهوان والذى عندنا من الأموال لايوفى بالمبلغ الذى تقرر عليه وقد استفرغنا مال بيعةسوفيا ومع سلامته ورجوعه إلى القسطنطونية يرد عليها أضعاف ذلك فلايكبر ذلك عليكم ومن كان منكم عنده دخيرة فليأتى بها حتى يكون له عند الملك اليد البيضاء فقالوا سمعا وطاعة وحبا وكرامه ثم نهض كل منهم إلى قليبته وغاب ساعة وقدم بكل مايقدر عليه ومارس يأخذ منهم ويعبى فى الصناديق فلم يأتى المساء حتى تجهز للمسير وصحبته الغلمان وفى ذلك اليوم رفعت الصناديق على البغال وقضيت الأشغال وسار مارس هو وغلامه وقداستقبل بلاد الاسلام ولم يزال سائر حتى وصل إلى حصن الكوكب والقلعة الشهبا فنزلت الاميرة ذات الهمة وأبو محمد البطال الى استقباله ونظروا الى مامعه فسبحوا الله تعالى وعظموه وعلموا أنه أهلك القليل والكثير وأفقر أهل منويل ونزل مارس تحت القلعة ذلك اليوم وتلك الليلة ولما كان الليل دفع للأميرة كل شيء نفيس مما كان أعده لها قبل خروجه من القسطنطينية بغير علم قالون وعند الصباح دخل مارس واستأذن فى الرحيل وقد بعث معه خيل تخفره الى الموصل ومن الموصل خرجت خيل تخفره الى بغداد وجد مارس فى سيره حتى وصل نصيبين فرجعت بنو كلاب (قال) ولما أشرف مارس على بغداد بعث غلام من عنده الى عند الأمير عبد الوهاب يبشره بقدوم الأموال لجد ذلك الغلام حتى وصل الى منزل الأمير عبد الوهاب ووقف على الباب الذى للسرادق وسأل بعض الخدم على الأمير فقال له ها هو فى الدار التى أفردها له الرشيد وما يأتى الى ههنا الا بعد ساعة وهو وقت مد السماط فما حاجتك اليه فاخبره أنه رسول مارس الى عند الأمير فدخل الخدم معه الى الدار وأخبره بذلك فقال على به فاحضروه بين يديه فلما وقعت عين الرجل على الأمير عبد الوهاب جعل يقبل الارض فقال الامير مامعك يامبارك فقال يامولاى سيدى مارس بعثنى اليك أعرفك بقدومه بالاموال التى معه ففرح الأمير بذلك ونهض من وقته وساعته وركب الى باب الخليفة واستأذن فى الدخول عليه وأدركه الرسول وقبل الارض وسلم فقال الرشيد أهلا وسهلا بسيف الإسلام هذا وعبدالوهاب قبل الارض مرة ثانية وقال

له يامولاى قد وصل الى الساعة رجل من غلمان مارس يذكر أن مولاه قد وصل والاموال فقال الرشيد الحمد لله وأمر الامراء بالمسير الى لقائه وكان ذلك من أكبر المسرات عند الامير عبد الوهاب لانه صاحبه ومحبه قال فخرج الامير من عند الرشيد وقصد إلى سرادته وأمر أصحابه بالركوب وركب بعد ماخلع على الرسول خلعة وأوهبه خمسين دينار وسار من وقته حتى لاحت له غبرة مارس تحرك إلى لقائه وكذلك البطريق فلما وقعت العين على العين ترجل مارس للامير وقبل الارض وهم الامير ان يترجل فأقسم عليه ان لايفعل ثم ركب مارس وسار إلى جانبه والامير يستخبره عن أرض الثغور وهو يخبره وأوصل اليه سلام الأميره وسلام أبو محمد وجل يحدثه بكلما وصل معهمن الاموال ولم تكن الساعة حتى وصلوا إلى الجسر وعبرت الغلمان ومعها الصناديق ووصل الامير عبدالوهاب وقدوصلت الاموال من أجل الفداء ياأمير المؤمنين وسؤال المملوك ان تحضر الوكلاء لقبض الأموال فأمر الرشيد بقبض مامعه جميعه ورجعت الوكلاء إلى الرشيد وأعلموه بكل ماقبضوه من مارس الحاجب فقال الرشيد لاملك الا ملكك يارب العالمين ثم أمر باحضار منويل وأخيه وعمه ومن معه فلما حضروا قبلوا الارض ودعوا وخدموا فأمر الرشيد بإزالة حديدهم وخلع على الملك منويل وأوهبه خمسة رؤس من الخيل ثم خلع على عمه وكذلك من كان معه وأمرهم بالمسير إلى بلادهم فقال منويل يا أمير المؤمنين أريد الهدنة بما أردت من الأشهر والسنين وعلى ما تطلب ويطيب قلوب المؤمنين فأجابه الرشيد إلى ذلك وأمر الوزير ذوالرياستين بأن يكتب له كتابا بالهدنة فأجاب الوزير بالسمع والطاعه ونهض الوزير وخلا بنفسه وكتب للقوم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم لاإله إلا الله وحده لا شريك له جل جلاله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد فان منويل بن لاون بن ميخائيل بن نوفل التمس الهدنه من أمير المؤمنين فأجابة الى ذلك بما شرط على نفسه من أداء الحمل المذكور فى كل سنه لايحول عنه ولا يزول طاعة لله ولرسوله واذا طالبوا الاسلام سالموه وكتب الرشيد فى اليوم الفلانى فى الشهر القلانى فى السنة الفلانيه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قال الراوى) ولما كان من الفداء جلس الرشيد على سرير ملكه وأقبلت الأمراء والأصحاب إلى خدمته وأقبل الأمير عبدالوهاب وبنو كلاب فأمر الرشيد باحضار الملك منويل وأصحابه فدخلوا وعقبة قد كبر عمامته وقص لحيته وجنح طيلسانه وأرخا أردانه وقبل يد الرشيد وجلس بجانبه الأيسر والأمير عبد الوهاب من اليمين والمجلس قد احتفل وانقض بالعالم وقد شمله هيبة الخلافه فلم يستطيع أحد من الجالسين ان يتكلم

لا قليل ولا كثير فأمر الوزير ذو الرياستين لبعض الخدام أن يناوله الكتاب الذى فيه الهدنه فناوله اياه فقام الوزير على الأقدام واستأذن الرشيد فأذن له بذلك فقبل الأرض وقرأ الكتاب على رؤس الاشهاد جهرا ولم يخف عن أحد سرا وما أتى على آخره حتى تقطعت من عقبة خواصره ثم تقدم الوزير ووضع الكتاب بين يدى أمير المؤمنين وعاد الى مكانه فعلم عليه الرشيد وختمه بخاتمه وأرمى به الى منويل فنهض وقبل الأرض ساعة زمانيه فقال له الرشيد اجلس فقال له منويل بقى للعبد حاجه واحــــده والمملوك يحب قضاها فقال الرشيد اذكرها على رؤس الاشهاد فقد بلغت المراد فقال أريد أخذ يد أمير المؤمنين حتى يطيب قلبى ويخف كربى وتصح الهدنه فناوله الرشيد يده وعاهده على كل ماأراد لطف من الرشيد وســـداد واستأذن منويل الخليفة فى الانصراف بعد تقبيل الأرض فخلع عليه الخلع السنيه وأمر الامير عبد الوهاب بالعوده الى بلاده فامتثل الامر بعد ماخلع عليه الرشيد وأرضاه وأعطاه من الاموال والتحف ما أغناه وكذا أمراء بنى كلاب والسودان الانجاب وأمر العسكر بالمسير إلى أوطانها فتفرقت العساكر وبعد عشرة أيام لم يبق لأحد منهم على بغداد أثر هذا جرى لهؤلاء (وأما الأمــير عبد الوهاب) فانه سير ملك الروم الى ان وصل الى رأس درب مرعش وهو أول بلاد الروم وأمنوا على أرواحهم ورجع الأمير الى ملطية وهو مسرور وكذلك الاميره ذات الهمة وطابت قلوب الناس وقروا فى أوطانهم وأنست بهم جيرانهم وصفت القلوب وانجلت الكروب (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء وأما الرشيد فانه لما أطلق ملك الروم بطل الضمانات وأطلق المحابيس وأخرج الصدقات وعمر المساجد وزاد فى أوقافها وكذلك المدارس وكسا الأرامل والأيتام وكان نذر ذلك سابقا وقال نذر على اذا وصلت الى بغداد وفرحت الناس وأمنت الطرقات وخمدت الفتن الثائرات وأقبلت الولاه على حفظ البلاد وأتوا الى خدمة الرشيد وهنوه بالسلامه فشكرهم على ذلك وخلع عليهم وجدد لهم المناشير وردهم الى بلادهم واما كنهم هذا جرى فى العراق (وأما الامير عبــد الوهاب) فانه أطاعته الاعراب وولات الامور والصحاب ودارت به الاولاد والاصحاب وكان من أقرب الناس الى الامير عبدالوهاب أبو محمد البطال وكان الامير قد صنع دار ضيافه وكذلك جعل ميدان للعب الصبيان كل صباح تطلع الفرسان وتلعب بالسيف والسنان والامير يحكم بينهم بالزيادة والنقصان بين أولاده والخلان وكان الامير قد صح فيه كلام الملك الديان اذ قال ربنا جل وعلا فى هذه الآية الشريفة المال والبنون زينة الحياة الدنيا وكان قد اكتمل للامــير عبد الوهاب خمسة أولاد كانهم

الآساد قشعم وضيغم وسيف الحنيقية وظالم وابراهيم وكان افرح الخلق بهم

(قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من اللعين عقبة فانه كان كلما نظر المسلمين مطمئنين ومن الخوف آمنين قد ذابت مهجته وتفتت كبده وزادت بليته وانه من عظم ما لحقه وتفكر مايعمل ويدبر من الحيل حتى انه يسفك دماء المسلمين ويوقع الفتن بين الطائفتين ومن عظم همه كتب إلى ملك الروم كتابا يستحثه على القدوم ويقول فى كتابه بعد كلمة الكفر ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أما بعد أيها الملك أقسم عليك بحق المسيح ومريم ان لاترحم على وجه الأرض مسلم ولا تهمل أمر المسلمين فتكون مهين أتريد المسلمين ان تهجم عليك أو توصل أذيتها اليك وما غزى قوم فى ديارهم قط وأفلحوا ولا قعدوا عن نصرة دينهم ونجحوا فالبدار قبل ان يغضب عليك المسيح والشيخ النجيح العجل العجل قبل فوات الامل قبل ان يصيروا امثلا بين الانام وتجور عليكم الليالى والايام فكاتب سائر الملوك واجمع كل غنى وصعلوك وكل فارس صنديد وبطل مجيد وعجلوا بالقدوم على والوصول إلى فانكم قد توطنتم وتركتم الغزو وتبهتم جمع المال فى الكنوز وغفلتم عن الاسلام وتركتموهم فى أرغد عيش نيام ولابد ان الموت قددنا منكم والصواب قد انتقل عنكم هيهات هيهات ان تفلحوا وأنتم عن أهل ملة الاسلام غافلون لقد غضب عليكم السيد المسيح واستعجزكم الشيخ النجيح ولكن قتلكم ان يغزوكم المسلمين فى دياركم ويقلعون آثاركم وما غزا أحد فى دياره وأفلح وقد أعذر من أنذر والقصد من همتكم الخروج فى هذا العام فهو عام الظفر والنصر وإذا وصلتم إلى قرب بلاد الاسلام فأخبركم بما تصنعون وها أنا مقيم فى بلاد العراق لابدد دين الحنيفيه واعمل فى نصرة ملة النصرانيه والسلام على من يعمل عملا يكون له ذخيرة فى العقبى ثم سلم الكتاب إلى غلامه شمعون وأمره بالحث فأخذه وسار إلى أرض القسطنطينيه واتفق دخوله اليها يوم الأحد وسائر الملوك فى الكنيسه وقد رفعت الصلبان وفاحت رائحة العود وكفروا بالملك المعبود وقد كذبهم الله سبحانه وتعالى بقوله قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (قال) وكان الملك قد اجتمع بالبترك الكبير وهما عند المذبح وقد خطر عقبة فى باله فقال ياأبونا لقد انقطعت أخبار الشيخ النجيح عنا فقال البترك لابد أيها الملك المهاب ان يكون ذلك بسبب من الاسباب فما فرغ البترك من كلامه وشمعون قد أقبل بكتاب مولاه عقبه فقبل الأرض وخدم وباس يد البترك ويد الملك وسلم اليهما الكتاب فوقف عليه فقال الملك وحق المسيح ما أعرف لدين النصرانيه ناصح غير عقبة العبد الصالح ثم أمر الوزيران يكتب نسخة كتابه فى سبعة عشر كتابا وهو يأمر

البطارقه والملوك بالغزو إلى بلاد الاسلام فأجابوا بالسمع والطاعه ثم انهم أنفذوا الجميع إلى سائر الاقاليم ثم ان الملك برز بنفسه من وقته وساعته وخرج الى باب الذهب وقال للبترك يكون رحيلنا بعد عيد الشعانين (قال الراوى) وأقام الملك فى انتظار العساكر والملوك وأمر الوزيران يكثر من الزاد والمؤنه وقال قد شبعت من هذه الدنيا واشتقت للوفاه والآخره الابديه وأريد أجاهد المسلمين فلعلى أجد الى النجاه سبيل هذا وان الجواسيس الذين للامير عبدالوهاب كانوا فى القسطنطونيه فلمارأوا الملك جيش الجيوش وهو طالب الغزو إلى بلاد الاسلام فعند ذلك قصدوا إلى الأمير عبد الوهاب وأعلموه بأخبار الكفرة اللئام وعزمهم إلى الخروج إلى بلاد الاسلام فلما سمع الامير ذلك عظم عليه وكبر لديه لأن عساكره متفرقه (قال) ثم ان الأمير عبد الوهاب ركب إلى دار الامير عمرو بن عبيد الله وأخبره بما قد تجدد عنده من الأخبار وأوقفه على جلية الآثار فلما سمع الأمير عمرو ذلك من كلام الأمير عبد الوهاب قال انالله وانا اليه راجعون والمستعان بالله على خروج هذا الملعون والله أيها الاميران أكثر العرب الذين لنا فى الحلل متفرقه والصواب اننا نكتب إلى أمير المؤمنين وامام المسلمين هارون الرشيد ونخبره بما قد تجدد فى بلاد الروم من هذا الخبر المذموم ليجرد الينا العسكر ويظهر نفسه الشريف وهمته العباسيه فقال الأمير عبد الوهاب نعم مارأيت ثم انهم كتبوا المطالعات وأنفذوها على أجنحة الطير للمواقف الشريفه قال فبينما الرشيد جالس وإذا بالبراج قد دخل عليه وقبل الأرض بين يديه وقال ياأمير المؤمنين هذه الكتب قد وصلت من الثغور على أجنحة الطيور قال فأمر الرشيد بقراءتها فقرؤها وفهم الخليفة معناها هنالك ظهر عليه الغضب فقال وقد بلغ من قدر هذا الملعون أن يغزو بلاد الاسلام والمسلمين ويعزم على الخروج إلى بلاد الموحدين أقسمت بالذى رفع السبع الطباق وحمل نبيه محمد ﷺ على ظهر البراق لأرسلن اليه جيوش تملا سائر الآفاق يكون أولها فى بلاد الروم وآخرها فى بلاد العراق بالرماح الرقاق والحراب الرشاق والخيول العتاق (قال الراوى) ثم ان الرشيد أمر أن يكتب الكتب إلى سائر الاقاليم بجمع الابطال ويسير الرجال ويفرق الاموال

(قال الراوى) وكان الملعون عقبة حاضر فى جملة أرباب الدوله فعند ذلك نادى يا ابن السلالة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ثم ترى ثمرة هذا القول فى الدار الآخرة فجهز كتائب الاسلام إلى الكفرة اللئام وعلى الباغى تدور الدوائر ثم ان اللعين عقبة بكا بخشوع وابتهال وانهمال دموع ثم نادى لقــد قرت كل العيــون وعين رسول الله ﷺ فى جهادك فى سبيل الله وأقسم بالله العظيم والنبى الذى هو مفضل

ﷺ لأسيرن اليهم على رؤس المواكب ولا نزلت بهم المصاعب ولاحان بهم النوائب ولاخرجن من مالى فى سبيل الله فوق الواجب وأنفق الباقى فى سبيل رب المشارق والمغارب فلعل الله ان يقضى حمامى من تحت طنين السيوف فى الجهاد ثم انه بكا برقيق وحرقه ونحيب وشهيق فبكت الناس لبكائه وقال لعلى أموت (قال) فلم يلتفت الرشيد اليه وأقام ينتظر قدوم العسكر من جميع الاقطار والامصار هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من ملك الروم منويل فانه وصلت اليه الملوك والعساكر من النصرانيه واجتمع له على باب القسطنطينيه ألفين الف بطريق يقدمها عشرة آلاف جاثليق بالسيوف الافرنجيه والدروع الداووديه والحراب المسقيه والاوهاق المغلبيطيه وأحضر الملك منويل جميعهم والبترك قبل ان يضرب بوق النفير وقال له أريد أن تصلى علينا صلاة الموت فقد وهبت الروح للسيد المسيح والشيخ النجيح فقد وصلنا خبره وهو الرحمة النازله التى ليس دونها حجاب ودعاؤه هو الدعاء المستجاب (قال الراوى) فعند ذلك صلى عليه البترك صلاة الموت ثم انه بعد ذلك أمر بالرحيل وكان السبب فى ذلك كتاب عقبة الملعون الميشوم المنحوس الطلعه على المسلمين والروم ثم إن مارس وداوس لما رأوا الملك وقد عزم على الرحيل فكتبوا إلى الامير عبد الوهاب يعلموه بالحال وما قد جمع الملك من العساكر ويقولون فى كتابهم الحذر الحذر من قبل نزول القدر ونزول هذا العسكر ولكن لامفر من القضاء والقدر ثم انهم جهزوا الكتاب مع بعض غلمانهم فسار عند ذلك إلى ملطيه وهو مختفى لكى لايعرفه عقبة أو أحد من الروم ولم يزال كذلك فى جد السير إلى ان وصل الى ملطيه واستأذن على الامير بالدخول فأذن له فلما دخـــل عليه عرفه فقال له ما هذه الاخبار يا مبارك فناوله عند ذلك الكتاب فأخذه الامير ونضه وقراه وتبين ما فيه وعرف معناه فلما علم الامير عبد الوهاب جمع اليه الامراء والكبراء والسادات والامراء من بنى سليم وبنى كلاب كاشفين الكرب والضيم وأطلعهم على ما فى الكتاب فلما سمعوا مافيه والامير عمرو بن عبيد الله معهم قال يا سيد الامراء والابطال نلقاهم بقلوب معوده للطعان والضراب وقد وصل اليه الخبر بالنجدة التى يبعثها الامام الذى أنارت به مصابيح الظلام وشرفت به الانام والمسلمين منتظرين قدوم عساكره قبل عساكر الكفرة المشركين ووصل كتاب أمير المؤمنين الرشيد يقول فيه حصنوا أصواركم بالمناجيق والفراداب والطلاقات واحفروا الخنادق واستعدوا للقتال فقال لهم الأمير عبد الوهاب عند ذلك نعوذ بالله الواحد الجبار ان نقاتلهم من وراء الاصوار وان نستتر بالجدران ولابد ما نلقاهم على بعد من بلادنا بمسيرة ثلاثة أيام ونستعين بمن له البقاء.

والدوام ونضربهم بالسيف ونفلق منهم الهام عن نحرات الاجسام وندع الدماء تسيل على صفحات اللحا والحوام اذا دنا الغيث وسط الغمام وكيف نصبر حتى تظفر بنا الاعداء فى ديارنا وانها وكسه فى حقنا لكن نطلب النصر من باسط الارض ورافع السماء وعلينا ان نبذل النفوس فى طاعة الملك القدوس ونستعين بالملك الفتاح وندعوا الله عزوجل بدعوات خفيه فلعلنا نفوز بالنصر وننال الفلاح ثم انه أنشد وقال

لما انقضى الليل وجاء الصباح — الشيب قدلاح وحان الرواح
فأين عصر الصبا بل أين أيامه — وموقع اللهو وطيب المزاح
وطاعة الخالق خير لنا — من الذنوب المهلكات القباح
ان طلب الانسان عز فما — يناله الا بطعن الرماح
ومن أحب الله سبحانه — لايخش فى القتل ومر الجراح
من طلب الجنة فى نفسه — جاهد فى الله وحاز الصلاح
لا يصلح الموت لمن يرتجى — مشاهدة تعقب أو فى نجاح

(قال الراوى) ثم انهم اجتمعوا للمسير إلى لقاء الأعداء فى طاعة المولى فقال البطال للامير عبد الوهاب والاميره وظالم وسيف الحنيفية وبرد بن الازهر وقراقد وأبو الهزاهز وهارون العلوى والمسلمين اعلموا أيها المسلمون أن هذا العساكر قد طبقت الفلا وملأت المستوى وان كلب الروم ما يخرج فى هذه العساكر كلها الا هو يريد خراب بلاد الاسلام ونحن نسأل الله تعالى أن يدفع عنا شر هذا البلاء ثم ان أبو محمد قال لغلمانه يا أولادى اعلموا اننى قد عولت ان أدخل الى الدروب التى فى الطرقات ثم اننى انحدف الى عسكرهم وأنظر الى ما هم عليه من الاوصاف وأطلع على أحوالهم وأرى ما فيه من الصلاح والنجاح للمسلمين ان شاء الله تعالى وأكتب لهم كتابا بما أريد ثم ان البطال أخذ غلمانه ودخل الى بلاد الروم من ناحية جبال الارمن من جانب البارونك ثم انه توصل إلى دير النذور لانه يقارب القسطنطونيه بعشرة أيام إلا أنه فى جانب الشمال من جهة البحر وبينه وبين عسكر الروم أوديه تعرف بأودية السيل وفيه جبل عظيم يعرف بالقاطع وبالقرب منه دير مانوس وهو معمور بالرهبان والقسوس ويعرف هذا الدير بدير النذور وهو كبير القدر عند الروم لانه على جبل شاهق فى الهوى وله اثنى عشر برج من الحجر الاملس الأسود والصخر الجلمد لايدب عليه النمل ويلمع كلمعان السيف المهند وفى ذلك الدير خلق كثير وكان أكثر من يترهب فيه بنات الملوك وأولادهم وكل من يترهب يقيم فى ذلك الدير وكان اسم الراهب الذي لهذا الدير تمليخا وكان فى دينهم عالما حاكما ونافذا أمره عند الملوك فلا يخالفه منهم

أحد (قال الراوى) ياساده وكان الأمير عبد الوهاب وصل فى بعض الغزوات إلى هذا الدير ومعه العساكر وأقام عليه شهور وأعوام وهو محاصره فلم يقدر عليه ولا وصل اليه لأن له عقبة لايقدر أحد ان يصل اليها ولا يصعد عليها إلا ان كان واحد بعد واحد لان الطريق ملسه وضيقة المسلك قد اصطنعوها الحكماء الاوائل وجعلوها طريق لهذى الدير خوفا من العدو ولا يسطى عليه فقصد أبو محمد إلى الدير فى زى راهب امله أن يتحايل على الراهب تمليخا ويصل اليه ويخرج من عنده فى صفة رسول إلى ملك الروم ليبلغ بذلك مايريد من مصالح المسلمين وكان لهذا الدير وادى كانه جنة الفردوس لانه قد حط فيه من سائر الافنان وفيه من كل فاكهة زوجان وفيه من سائر الاثمار وطيب النسيم فى الاسحار وتعبيق الآفاق بروايح الازهار والماء فى الغدران مثل الراح فى لدنان وكان كل من شاهد ذلك الوادى وقع فى قلبه الطرب واهتز سرورا ومال له وأطرب وهو كما قيل فيه

الغيم ممـــدود السرادق والزهر مفروش النمارق
والواد قـــد نقشت لنـا فيـــه الخمايق والمفـارق

(قال الراوى) ياساده وان أبو محمد البطال قد ركب على وجهه لحية سوده كبيره وعمل على رأسه ماشوحة رفيعة وكانت من الصوف فصار فى صفة قس كبير وأخذ فى يده عكاز من الآبنوس الأسود وسار إلى أن وصل إلى الدير وهو يقرأ الانجيل بصوت ولحن طيب وكان صوت البطال شجى فصار يقرأ وغلمانه يردون عليه هذا ولما نظروه الغلمان من أعلا الدير وسمعوا قراءته صار الدير مرتج فسأل الراهب تمليخا عن ذلك فقالوا له ياأبونا على باب الدير قس كبير ومعه أربع غلمان وهو يقرا الانجيل كما انزل كانه من الحواريون فقام الراهب تمليخا وأتى إلى الشباك الذى يطل على الباب فرآه وهو واقف يقرا فتبهل من ذلك فلما ان سمع الراهب تمليخا صوت البطال وحسن نغمته وغلمانه ترجع عليه نزل اليهم وقد انخلع قلبه وجسمانه فنزل وهو مهرول وفتح الباب وخرج ثم أخذ البطال فى حضنه وجعل يصافح أبو محمد وقد فرح به وصار يعانقه ويتبرك به وكذلك الرهبان والقسوس ثم انهم بعد ذلك عضدوه وأخذوه ودخلوا به إلى الدير وطلعوا الجميع إلى اعلا الدير لجلسوا وقد جلس البطال بينهم واطلع بصوته فصار الدير من أصواتهم مأنوس (قال الراوى) وكان فى هذا الدير جاريتان وهما اختان من أولاد الملوك أصحاب القلاع والبلدان يقال لاحدهما زنانير والأخرى صلبان وهما ابنتا الملك صلبوتاوسوكرف نذهما فى

مواضعهما إذا جاء حديثها ان شاء الله تعالى هذا وان الراهب تمليخا خلا البطال عند الرهبان وصعد من مكان وقد أتى إلى زنانير واختها صلبان وقال لهما أيتها البنات أخرجوا وتبركوا بهذا القس الذى سلب العقول بتلاوة الانجيل وقد ملك الألباب من حسن نغمته

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن سمعت الملكه زنانير ذلك من كلام الراهب تمليخا قالت ياأبونا السمع والطاعة ثم انها وثبت لتنظر إلى ذلك القس وأصحابه من أعلى روشن كان عندها فى أعلا الدير وكانت أختها صلبان قد نزلت من أسفل إلى عند البطال وقد قبلت يده ورأسه ثم ما بين عينيه وعلى خدوده وفمه وبعد ذلك تمرغت على قدميه فدعا لها البطال ولمن رباها (قال الراوى) هذا وأن زنانير لما أن طلت من أعلا الروشن ونظرت الى أبو محمد فتميزته ساعه وقد عرفته المعرفه التامه ثم انها قامت من مكانها وأتت إلى عند أمها وكانت عندها فى ذلك الدير فأخذتها وأتت بها إلى الروشن وقالت لها أنظرى إلى هذا القس وما هو عليه من الحيل والمكر والخداع فقالت لها أمها من أين لكى معرفة بهذا القس فقالت سوف تقفين عليـــه ثم انها ارسلت خلف أختها والراهب فحضروا عندها فقالت ياأبونا من هو هذا القس ومن أين اتى ومن أى البلاد يكون فقال لها الراهب والله ياملكه لاأعلم فقالت له انظره مليح وميزه فعند ذلك نظر إلى البطال وغلمانه وقال لها ياسيدتى هل تعرفيه قبل ذلك اليوم فضحكت ضحكا عاليا وقالت للراهب تمليخا أبونا اتعرف من هذا فقال لها لاوحق المسيح فقالت له اعلم أن هذا هو أبو محمد البطال اللص المحتال وهؤلاء غلمانه (قال الراوى) فلما سمع الراهب تمليخا ذلك الكلام تحير وقد وقع فى بحار الكفر ثم قال أيتها الملكه ما هذا المقال عن هذا القس الكبير المقدار ولكن كيف السبيل إلى صحة ماقلتى ومعرفة ماذكرتى فقالت له الملكه زنانير سوف أريك ذلك لكن انزل اليه فاننى سوف اتبعك انا وغلمانى وجوارى واذا قلت لك يا أبونا من هذا الراهب فقل أنت هو القس الخسيس الذى يتصور فى صورة إبليس يتجسس أحوال الملوك أصحاب النواقيس (قال الراوى) ياساده فلما سمع تمليخا من الملكه زنانير ذلك الكلام تحير فى ذلك الوقت وقال لها لقد قرت عين المسيح بكى وبالعقل المليح واللسان الفصيح فعند ذلك سار الراهب من عندها ونزل الى عند البطال فقام له قائما لخدنه الراهب ثم رفع محله ومكانه وما كان غير شىء يسير حتى أقبلت الملكه زنانير فتواثبت اليها الرهبان والقسوس وقد خدموها وأشاروا اليها بالجلوس وقد دهشوا منها جميع الحاضرين وسلبت عقول الناظرين هنالك طاش عقل الامير أبو محمد البطال لما رآها وقد وقع نظره عليها وقد قل منه الصبر والجلد وكذلك غلامه اؤلؤ صار وجوده عدما

وظن ان البدر قد نزل من السماء فعند ذلك سارع الراهب تمليخا اليها وصار يقبل يديها وهى تمشى وتهتز بدلال واذلال وبهاء وجمال وقد واعتدال وقد وضعت على صدرها صليب فيه أوقية عنبر وقد أورثت من ينظر اليها العبر والغبون وأيضا أورثته الخبل والجنون (قال الراوى) ياساده يا كرام ولما ان وصلت إلى عند أبو محمد البطال فعند ذلك وثب اليها قائما وأوما إلى الأرض لاثما ثم انه جعل يعوذها بالمسيح ويقرأ عليها الانجيل ويذكر مافيه من التحليل والتحريم ثم انها وقفت متخنصرة باحداق مليحة ثم انها نظرت إلى أبى محمد البطال نظرة منكرة ثم قالت ياتمليخا من هو هذا القس قال فضحك تمليخا وقال لها هــــذا الذى تشتهى رؤيته وسمعتى قصته وتفهمى صفته وقد صورتى فى بلادك صورته هذا قاطع الاوصال هذا أبو الآوجال هذا العيار المحتال هذا ذابح الاطفال هذا المفرق بين النساء والرجال هذا أبو الاهوال هذا الاسد الديال هذا السبع الريبال وغلمانه الاشبال هذا الشيطان السلال هذا الذى يلعب بعقول الابطال هذا الذى تفزع منه جميع الاقيال هذا الذى يترك الاطلال من بعد العمران خوال هذا أبو محمد البطال ثم انه بعد ذلك صاح فى الرهبان والغلمان شدوه فاندفعوا عليه وأخذوه البطارقة والرهبان أسرع من طرف الجفن على الجفن هذا وأبو محمد البطال قد تحير من هذه الموافقة للقضاء والقدر ثم انهم مدوه وضربوه ضربا وجيعا حتى غاب عن الدنيا وقد فعلوا به فعلا شنيعا وكذلك فعلوا بغلمانه وقد وضعت القيود فى أرجلهم والاغلال فى أعناقهم ثم ان الملكه زنانير جعلت تضحك عليهم وتتبسم عن ثغر كالاقاح مع جمال وجه وضاح ثم انها نظرت إلى أبى محمد المسكين وقالت له كيف حالك ياعيار المسلمين قد وقعت فى شبكة الصيادين وكان مجيئك إلى دير هذا الراهب تمليخا لاجل قطع حياتك فوحق المسيح لاجعلنك عبرة لمن اعتبر ولاحملنك إلى بلاد أنت فيها مصور (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان سبب وصول الملكة زنانير إلى دير النذور سبب عجيب وحال غريب وهو ان زنانير بنت الملك صلبوتا صاحب قلعة الشمس ودولاب الانس فى اقليم الزرزور من بحيرة الفلك وهى القلعة الثالثة والعشرون من حصون المعادن وجبل السوار وهو الجبل الذى يعرف فى فى تاويل كتاب الاقاليم بجبل السوار وانما يسمى بذلك الاسم لانه ملتف ومستدير مثل الحلقة التى قد التفت أطرافها على سبعين ذراع ودور هذا الجبل فى البحر مائة فرسخ وهو شاهق فى الهواء كانه واصل إلى عنان السماء وعلى دائرة الجبل أربعين قلعة كل قلعة منهــا لايقدر ان يحوم الطائر عليها وسائر بيوتها مستترة بالصخر موزرة بالرخام الملون كانها ثياب الديباج وبين القلعة والقلعة التى تليها عشرون فرسخا ولكل قلعة فى لحف جبلها

مرج فيه عالم كثير وجيش لا يقابل وفى وسط الجبل بحيرة دائرة تعرف ببحيرة الفلك لا يعرف لها قرار والبحر المحدق بالجبل وهو المعروف بالاقليم السابع وكل حصن منها له برج وفيه عالم عظيم وجيش بخلاف الذى يليها وكل جيش له لسان مختلف وهم يحاربون بعضهم بعضا ولم يزالوا كذلك فى الحرب والقتال على مدد الايام والقسوس والرهبان تسعى بينهم بالصلح على طول الازمان وهم فى خلف الا انهم لا يطرق قلاعهم طارق ولا ينزل بهم عدو ومارق ولا يطمع أحد فى قتالهم لانه لا طريق لاحد عليهم ولا وصول اليهم لان رأس الجبل ملتقى كما قد ذكرنا إلى رأس الثانى ومن الرأس إلى الرأس سلاسل ولهذا الجبل والقلاع ثلاثة أبواب طول كل باب أربعون ذراعا والباب الاوسط هو الاكبر فلا يفتح إلا لقدوم مركب يأتى من ناحية البحر الاقصى وهو البحر المحيط وتقصد إلى هذه البحيرة المراكب من الهند والصين وبلاد الكرج (قال الراوى) ولقد نظرت إلى هذه البحيرة وفيها مراكب كثيرة وكل مركب قطعة واحدة منقورة من الخشب وليس لها مسامير وهى أعجوبة ليس لها نظير وكل هذا احتراز من جبل المغناطيس وكان الملك الاسكندر اصطنع هذه المراكب لما دخل إلى جزائر سرنديب بأقاليم الهند وفى رأس كل قلعة من الاربعين دولاب يدور من الاربع رياح وهو من العود القمارى دور كل دولاب منهم سبعون ذراعا على كل ريح ذرجات اذا تارت دارت هذه الدواليب بهبوبها ولها عبد يقال له عبد الدواليب ومعه عبيد يلبسون ما عليها من الصلبان ويكسونها بأفخر الثياب ويزعمون ان ذلك اليوم مثل يوم يظهر فيه المسيح ويذكرون انه ينزل على الكنيسة القديمة التى هى فى قلعة الشمس وهى الثامنة والعشرون التى بمدينة صلبوتا أبو الملكة زنانير وفى تلك الكنيسة أربعين عامود من الذهب الاحمر على رؤسها قواعد من الفضة وعليها صليب من الذهب الاحمر وفيها الدولاب الاكبر وهو أكبر الدواليب التى تقدم ذكرهم وهو على بكر من العود القمارى ولهذا الموضع لولب يدور بالرياح فى ساعة دوران الفلك وهو مرصع بالدر والجواهر فاذا طلعت الشمس على تلك الجواهر لمعت على صفائح الذهب وتشعشعت واللولب يدور مع دوران الريح ولا يقف الا لوقوف الشمس ويسمون هذا الصليب الفلك السفلى ولهذا سمى ذلك الموضع بحيرة الفلك وزعموا الحكماء ان المسيح ينزل على ذلك الفلك وتظهر أنوارهم فهم كذلك معتقدين ولنزوله منتظرين (قال الراوى) وبلغنى انه كان فى بحيرة الفلك مرج أفيح وفيه أنهار تسرح وقد غرس فيه من سائر الاشجار والثمار وكان الملك صلبوتا عظيم الشان منيع السلطان وله جيش من الروم طوال مثل النخل بوجوه مثل البدر تلوح من تحت سواد الشعر

غيرانهم جبابره يكاد الرجل منهم ان يلقا عسكر لوحده ولهم خيول كبار الخلقة ملاح الحدق ويتفجر من ذلك الجبل عيون أبرد من الثلج وأحلى من العسل

(قال الراوى) وكان لهذا الملك صلبوتا ابنتان اسم الكبيرة صلبان واسم الصغيرة زنانير ولم يكن فى ذلك الزمان مثلهما وقد تقدم وصفهما غير ان الملكة زنانير يقصر الوصف دونها فسبحان مكونها ومصدرها وموجدها وقد ورثت الحسن من حوي وكل من رآها يتلوى ويحسن جمالها يتقلا فقدر الله سبحانه وتعالى ان الملكة صلبان رأت فى منامها كان المسيح يقول قد آن أوان الرهبانية واجتهادك فى دين النصرانية حتى ترتقى إلى درجه من لحق بالحوار بين الكرام وتكونى مع السيدة مريم عليها السلام وتصبحين عن الدنيا مرفوعة وكلمتك عند المسيح مسموعة وتصبحين فى أهلك شفيعة فأصبحت صلبان خلعت ما كان عليها من الحلى والحلل وخرجت من الستور والكلل ورمت أنواع الديباج والجوهر وجعلت على رأسها شيء من الصوف المطرد فدخل عليها والدها صلبوتا وقال لها يابنية قد كنت أؤمل ان أزوجك لولد ذكر يكون الملك فينا يذكر فانني ما رزقت ولد غيرك وغير أختك وانتى الكبيرة وهى الصغيرة وقد خرجتى بعقلك هذا من لذة الدنيا فقالت له ياأبتاه من ترك عظيما نال عظيما ولا أريد الا الآخرة ولا سيما المسيح قد خاطبنى هذه الليلة فى نومى بهذا الكلام الصحيح وما بقى فسحة الا المخالفه ثم بكت وقالت يا أبتاه لاتغير على ما أنا فيه فيغضب عليك الرب العظيم رب موسى وإبراهيم فقال لها السمع والطاعة ثم قصدتها القساقسة والرهبانية وهنوها بذلك وقد ترهبت معها عشرون جارية من بنات الملوك والبطارقة الكبار بوجوه مثل الاقمار ونامت ثانى ثم نظرت فى منامها كان قائل يقول لها قد رضى عنك المسيح وقد قضى بنقلك من هذه الدار فان الرهبانية من شروطها الغربة والبعد عن الاحبة فان حب الدنيا يقسى القلوب ويجدد الاديان ويقطع حبال الامنية فاطلبى دير النذور الموقوف على رهبانية الملوك حتى يكتب اسمك فيمن سافر هارب وإلى المسيح طالب فاصبحت على ذلك الوصف وخرجت من دارها وتبعتها جوارها فاخبرت الملك بحالها فقال أبوها وأمها لاتفعلى فما لنا صبر على فراقك فقالت لهم هيهات ان ينفع القول بعد العزل والهزل بعد الجد ولا بقى الا الرحيل الى ماذكر المسيح قبل الرحيل الى الاخرة (قال) فاجتمعوا القسوس والرهبان وقالوا لأمها وأبوها أيها الملك اتركها تفعل ماتريد واعلم ان هذا السفر يكون علينا مباركا ولا يحل لكم ان تمنعوها عن عبادة السيد المسيح وتقطعها عن الترهب والتسويح فيغضب عليكم السيد المسيح

والسيدة مريم أم النذور (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الملك كلامهم أجابهم على ذلك وجهز لهم مركبا خاص لمسيرها لم ركبها أحد قبلها من الناس وقد حمل إلى المراكب جميع ماتحتاج اليه ونزلت فيها وقد أخذت جوارها بصحبتها وقد أرسل معها أبوها خمسين راهبا وقسيسا وجماعة من غلمانه حتى يوصلوها الى دير النذور فساروا إلى ان وصلوا اليه وقد أقامت فيه مدة أيام وشهور (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ماكان منها وأما ماكان من أمها فانها لما ان طارت غيبتها صارت تبكى عليها ليلا ونهار مدة سنة كاملة وبعد تلك المدة طلبت المسير إلى زيارتها فقالت أختها وحق المسيح ماتروحى الاوأنا معك لازور أختى لأننى قد اشتقت اليها فقال لها أبوها وما سمعتى يا بنية أن فى بلاد الاسلام رجلا اسمه أبو محمد البطال ماله شغل الاسرقة بنات الملوك وان كان ماتيسر بجيئه إلى بلادنا ولا يخطر فى ديارنا لبعد المسافة وصعوبة الطريق وانكى الآن ماضية إلى من يأخذك بلا تعويق لأن دير النذور قريب من بلاد الاسلام فقالت زنانير وحق المسيح لابد أن أسير فى المراكب ويكون فيها ألف بطريق ولو أردت أن أفتح بها بلاد الاسلام لفعلت وكنت قادرة على ذلك وواصلة اليه غير اننى أنا قد احترزت غاية الاحتراز لان معى الصوره التى صورها لى الحكيم اقليدس وهى صورة هذا اللص المحتال أبو محمد البطال واعلم ياأبى ان وصل إلى فما يخفى على أمره وأنا أسأل المسيح ان يهتك على يدى ستره

(قال الراوى) وكان الحكيم اقليدس قد صور أبو محمد البطال فى ثوب من الاطلس الابيض وجمع الصور فيه كما ذكرنا وكان هذا الملك صلبوتا أبو الملكة زنانير يحبها محبة عظيمة لايصبر عنها ساعة ولم يقدر ان يخالفها خوفا من انكسار قلبها فأجابها إلى ذلك وأفرد لها مركبا من جملة المراكب التى فيها الرجال وحمل معها التحف والاموال وغير ذلك من جميع ماتحتاج اليه وأخذت معها الثوب الأطلس الذى فيه الصور بصحبتها على أنها لما تنجز شغلها ركبت هى وأمها وأصحابها فى المراكب وقد خرج الملك صلبوتا إلى دير تمليخا حتى عبر القلاع وأقام عند كل ملك من الملوك ثلاثة أيام وزنانير معه فكان كل ملك ينظر اليها يعشقها ويكاد ان يموت من حبها ثم يرحل من عنده فيبقى من أجل فراقها فى الهم والغم من العشق والغرام الذى قد سكن بقلبه وكان كل واحد منهم يتمنى لو كان يسير معها ويتلذذ بصحبتها حتى أنه يتملا بطلعتها ورؤية وجهها الذى كانه البدر المنير

(قال الراوى) ياساده يا كرام وكانت الملكة زنانير لما ان خرجت من أرضها وبلادها قاصدة إلى دير النذور وكان قد خرج أبوها معها فى مائة مركب على وجه الوداع فلما ان سار معها صار فى كل يوم يوصيها على نفسها ويقول لها اسمعى منى وكونى على حذر مما

قد ذكرت لكى من أمر أبو محمد البطال فقالت له ياأبتى لاتوصى حريص ولما ان سار معها إلى آخر القلاع رجع وقد أوصى البطارقة أن لايدخلوا بلاد الروم حتى لايرى الملكة زنانير أحد من الناس خوفا عليها من ملوك الروم ومن الملك منويل وغيره من الملوك ومع ذلك أن لايقدر أحدان يجسر عليها ولا يتعرض لها بأمر من الامور اكراما لأبيها وما فيه من الاكرام والشجاعة والبراعة والهيبة وعظم السطوة وكثرة عساكره وجنده لأن الملك صلبوتا أبو الملكة زنانير كان يقول ان الأفلاك العلوية والسفلية بحكمه وان المسيح عيسى بن مريم ينزل من الفلك العلوى إلى عنده ويخاطبه وكان يظن ذلك الظن بقلة عقله وما يعلم أن هذه منزله ما نالها أحد لانها عظيمه وكان ظنه أن ينالها وكان يقول ان هذه مانالها قبله ولا بعده ولا غيره (قال الراوى) ياسادة ياكرام وسارت الملكة زنانير فى البحر الذى خرجت منه وهو المحدق بديارها وانها خرجت من الباب الذى يخرج من الساحل وهو الباب المندب وآخر المزامى ومنه يخرجوا إلى البر ولماوصلت إلى البر طلعت وركبت هى وأصحابها وقد نقلت جميع مافى المراكب على ظهور الدواب وسارت تطلب دير النذور وهى سائره برفق لأن الدواب مثقله وقد أرسلت رسولا إلى الدير يخبر بقدومها عليهم فنزل الراهب تمليخا وسائر الرهبان وبنات الملوك واختها صلبان إلى لقائها وخرج صحبتهم الدواب والخيل والديدبان بالانجيل والتقوها بأحسن زى وأعظم زينة ثم انهم ساروا إلى أن وصلوا إلى الدير وكان قد استقر الأمر مع أبيها انها تقيم فى الدير أربعين يوما ثم انها بعدالأربعين يوم ترجع وتعود اليه

(قال الراوى) لهذا الكلام ياساده وكان لدخولها إلى الدير يوم عظيم ثم انها أقامت عند أختها سبعة وثلاثون يوما وبقى لها ثلاثة أيام وترحل إلى المراكب فى البحر

(قال الراوى) وكان جرى هذا الاتفاق الذى لم يجرى مثله فى الآفاق من وصول البطال وغلمانه قبل انقضاء المدة فى صورة راهب كما ذكرنا وأن الملكة لما قبضت عليه قالت لقد كنت عولت على المقام ههنا ثلاثة أيام والآن فما بقى لنامقام بعد ماأخذناهذا الشيطان وقد أمنت على نفسى من طوارق الحدثان وإذا وصلت به إلى عند أبى ضربت رقبته وأمنت من غائلته وأكون فى كل عام أزور الدير لأنى أكون قد أمنت على نفسى وعلى مالى ولو لم يكن مجيئى إلا لقبض هذا الشيطان وسوف يكون له قتله ماشاهد أحد مثلها فى الزمان ولولا اننى أشتهى أن أجمع بينه وبين الحكيم اقليدس وكذلك يبصره الملك صلبوتا وأهل بلدى لكنت أصلبه على أعلا هذا الدير ثم انها انفذت الى البطارقة فوصل اليها مائة بطريق فى أحسن زى وكانوا هؤلاء

نازلين فى رياض الدير ثم انهم لما حضروا نزلت اليهم وسلمت البطال وغلمانه لهم ثم انها أمرت ان يركبوهم الحمير ويكون وجوههم إلى أذنابها وقد عملت الملكة زنانير فى رقابهم الودع وقشور البيض والاجراس وعلى رؤسهم الطراطير وجعلت فى كل طرطور جرس ولم تزال تزفهم الى المراكب فقال البطال من أين وصلت لنا هذه الفاجره ثم بقى يضحك فقال له اؤاؤ ما هذا الضحك فى مثل هذا الوقت فقال يا اؤلؤ قد تخيل لى بأننا بقر مسمن يزفونا للمذبح فقال له اؤلؤ تريد على هذه البشارة خلعه فقال البطال والله يا اؤلؤ مارأيت قط مثل هذه الجارية ولا أحسن منها واذا وقفت هى ونورى فى موقف تصير نورى عندها كانها من بعض الخدم ولا تساوى تراب موقفها من طريق الحسن ولكن نورى أكرم منها عند الله تعالى لانها مؤمنه موحده وهذه كافره ملحده ولكن يا اؤلؤ اسمعها تذكر الحكيم اقليدس اليونانى وكنت قد رأيت فى اليونان حكيم مترهب وهو شيطان مريد ابليس فى زمانه وفريد أوانه لايهتدى إلى شغله غيره وأنا أردت أن أتعلم منه شيئا من أبواب النارنجيات والادهان الذى ألطخ بها وجهى ومنه استفدت المرقد والذى يقوم والخاص من البنج وأنا وعقبة لذا قربنا عليه عمرنا كله مانجى حبه فى ديناره ولاقطره من تياره على انه رجل معطل لايرى فى دين النصرانيه ولا اليهوديه ولا الحنيفيه الاانه على مذهب الفلاسفة ولا يعرف صانع بل انه يقول ليس لهذه المخلوقات خالق وقد سألنى كيف أدخل الى بلاد الروم فقلت له فى كذا وكذا ووصفت له أكثر من أربعين ومادهيت الامن اعتراف لسانى وان كان هو الذى وصفت وحملت اليه فمالنا منه خلاص أترى هو فى بلاد اليونان مقيم وهذه بنت ملك اليونان أومن بعض هذه البلدان ولكن صبر جميل والله المستعان على ما اتفق لنا فى هذه النوبه ولكن من يوصل أخبارنا إلى ملطيه وبالله أقسم اننى لم أجد من الهم والغم الذى أنافيه مثل مابى على عسكر الاسلام وما يجرى لهم فى هذه الشهور والاعوام فوالله لقد تحكم فيهم الملعون وبلغ ما يريد أن يدبره من كل بليه ولكن لا حذر من القدر واذا نزل القضاء عمى البصر

(قال الراوى) وان الملكة زنانير أقلعت فى المركب ولججت فى البحار وجرت على البطال هذه الاقدار فهذا جرى (وأما ما كان) من عساكر الروم فان منويل سار الى ان أشرف على ملطيه ولقاته الكتائب الاسلاميه والطوائف الحنيفيه وهم ينادون بتوحيد رب البريه وبعث منويل رسول من عنده فى أربعمائة يقدمهم الرسول يقال له بواص بن شمشطاش وكان شجاع وقرم مناع وقد عرف بتواريخ اليونان وهو أحد أهل زمانه فى العلم والادب (قال) فوصل إلى الأمير عمرو بن عبيدالله وإلى الامير عبدالوهاب

فلما دخل عليهم قال لهم أيها الامراء ان الملك منويل قد سد عليكم شرقا وغربا وبعدا وقربا فلا تحسبوها مثل كل مرة ولكن لكم علينا حق الجوار وقرب الديار ولا نريد ان نسفك دماءكم لان فى غيركم كفايه بل ارحلوا عن ملطيه قوام واخلوها من أولادكم ونساكم ولكن لا يصحبك من المال ولاوزن حبه واحده ولامايساوى خردله ولاقيراط واحد غير خيلكم وهذا من طريق الاشفاق عليكم فان فعلتم هذا فهو أشفق وأسلم لكم وان أبيتم فانظروا إلى مابين أيديكم (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب سكت وصار منتظر كلام الامير عمرو بن عبيدالله واذا بالامير عمرو قدأجابه يقول أماقولك تراعى لنا بسبب الجوار فأى مراعاة قد بقت بعد قولكم لنا اخرجوا من دياركم وخلوا أولادكم فمد اليه وقل له انا لا بد مانلقاه بأنفسنا وانا قد كاتبنا أمير المؤمنين وامام المسلمين بالنجده وكانكم بالعساكر قد أقبلت وهى تملا الفضا وتسد المستوى ونطحنكم ونبيع أولادكم بيع العبيد ثم ان الامير عبد الوهاب قال للرسول لولا انك رسول وفى كتابنا ما على الرسول الا البلاغ اضربت رقبتك وعجلت بمصرعك فعد وقل لكلب الروم منويل يقول لك عبد الوهاب انه يقسم بمن سير الغيوم وأزهر النجوم لاسقينك شراب الهلاك وأجعلك عبرة لمن يراك ولالنا بعسكر العراق حاجة بل عندنا السيوف الرشاق والرماح الرقاق والخيول العتاق ولابد لنا من هدم كتائبكم وقتل بطارقكم ونجعل دولتكم عبرة فى الدول ثم انه أنشد وجعل يقول

قل لكلب الروم يانسل اللئام سوف تبقى عبرة بين الانام
قسما بالله والبيت الذى أمره المشهور فى سام وحام
لاذيقنك كاسات الفنا مترعات لك من حد الحسام
برجال من سليم سادة خلقوا للضرب دوما والزحام
وكلاب يالها من نفر كل ضرغم عن الدين يحام
وبنى حام إذا ماظهروا رجع الجو لهم مثل الظلام

(قال الراوى) ثم زعق الأمير عبدالوهاب فى رسول ملك الروم نخرج وهو لا يصدق بالنجاة ثم انه سار إلى أن وصل للملك منويل فقال له منويل قل ماحملت وماعليك ملام فقال أيها الملك ماهو صواب أن أخاطبك بما سمعته من الخطاب قال فعظم ذلك على ملك الروم وهو معه فى الكلام وإذا بغلام بالبعد من السرادق وهو يقبل الأرض فلاحت من الملك التفاته فنظر إليه وقال للبطارقة اكشفوا لى عن خبر هذا الغلام فمضوا إليه فناولهم كتاب مختوم فأتوا به إلى الملك منويل فأخذه وقراه وإذا به من القاضى عقبة

الأجل فسح به على وجهه وتبسم ضاحكا وقال بارك المسيح فى عمر الشيخ النجيح (قال) وكان فى مضمون الكتاب بسم من حملته أمه ساعة وألقته فى أرض المجاهدة والطاعة وعليها من لباس الصوف دراعة وهو يقول له فى كتابه قاتل ولا تخف أيها الملك فأنت المنصور وعدوك المقهور واياك أن تخاف من الارعاد والابراق فأنا أملكك العراق لأنى جاءنى فى النوم المسيح عيسى بن مريم وقال لى ياحجتى على خلقى قل الملك عودعلى المسلمين فانى ناصره عليهم وأواصله اليهم ثم ان الملك منويل أعرض كتاب الملعون عقبة على سائر الملوك فطابت قلوبهم وقالوا أيها الملك أى ملك منا أمرته أن يأخذ ملطيه ويأخذ الملة الحنيفية فعل ذلك قال الملك اعلموا انى لاأحب المطاولة بل من الصواب أن تحملوا عليهم بجملتكم حتى لايطول الأمر معهم وتأتيهم النجدة من عند سلطانهم فيعظم الأمر علينا فقالوا نعم ماذكرت (قال الراوى) ولما طلع الصباح وبان الضوء ولاح جردت الصفاح وركب منويل وهو ينفر غيظا وحنقا وصار يحث الملوك على القتال والملوك مطرقة ولهيبته سامعه مطيعه وهو يقول فى هذه المرة نقتل العرب ونرميهم بالنبل والحرب وقد بشرنى الشيخ النجيح أنه رأى فى منامه السيد المسيح وهو يقول ياحجتى على عبادى ابعث إلى ملك الروم وبشره بالنصر (قال الراوى) فلما سمعوا القوم كلام ملكهم وما ذكره عن عقبة طابت نفوسهم وجردوا السيوف وكان للافرنج ملك جديد ولكن جبار عنيد يقال له درمون وكان أحب إليه القتال والطعن والنزال وكان مع هذا الملك الافرنج رجال لهم سهام تخرق الدرق وتنفذ من الحلق وكان الملعون درمون قد ركب فى ذالك النهار على جواد كانه الأسد الكاسر أو الطير الطائر وأن درمون حمل وأومأ بقنطاريته إلى الافرنج وأمرهم بالحملة فحملوا على أصحاب الأمير عمرو بن عبيد الله ورموهم بالحراب ورشقوهم بالنبال وحملت أصحاب الملك بالقنطاريات وعظمت البليات ورموا بالشتات واندقت بنو سليم وبنو كلاب على أعقابها واستجاروا من ملطيه بالأصوار ورجعوا بنى كلاب على أعقابها وقد تخاهم الأمير عبد الوهاب وحردهم على عبده الاصنام وأعلنوا بكلمة الإيمان وزجرت السودان وكشف الامير عبد الوهاب رأسه وقال يامعشر المسلمين أين الغيرة على الدين والاولاد والحريم اثبتوا لهم واصبروا فقد فازوا الصابرين وفازوا المجتهدين ولم يزال السيف يعمل فى القمم إلى أن أقبل الليل وأظلم وتأخر عسكر الابرار إلى أن قاربوا الاصوار وأضرموا المسلمين النار واجتمعوا إلى الامير عبد الوهاب وشكوا له جميع مالقوا من الطعن والضراب وقالوا له الصواب اننا نبارزهم فى هذه الايام لعل أن تصل إلينا عساكر الاسلام فقد قتل منا اليوم عالم عظيم وبقيت الناس بين قتيل وأسير

قال وكان عقبة فى الجمع حاضرلانه قد كان أتى من بغداد لما أرسل لمنويل الكتاب وهو واقف يظهر التوجع ويبدى التفجع وينادى آهواحر قلبي واحسرتاه على المسلمين ولقد كان هذا اليوم يوم ميشوم مدبرا رديا وقد قال القائل حيث يقول .

لاتقاتل بواحد أهل بيت فضعيفان يغلبان قويا

فكيف والاعداء فى ألفين ألف ونحن فقد تفرقت عنا الاعراب وأكثر المسلمين عناء غياب وما يجىء لنا عسكر العراق الا ويكونوا أبادونا أهل الكفر والنفاق فقال الامير عبد الوهاب ياقاضى يجب عليك أن تقوى قلوب المسلمين على لقاء أعداء الله ولهم من الله الثواب الجزيل وتوعدهم من الله تعالى بقرب الفرج وها نحن ياقاضى نقاتل حتى نرى مالا طاقة لنا به ندخل البلد ونغلق الابواب ونحمى البلد شهرا كاملا الى أن تقبل علينا عساكر العراق وربما سار إلينا أمير المؤمنين وتهب رياح النصر على الموحدين فقال عقبة أحسن الله جزاك أيها الامير ولكن ان المحب مولع بسوء الظن وأنا من فرط شفقتى على المسلمين قد صرت عليهم كالوالدة الشفوقة (قال الراوى) فقال له عبد الوهاب ياقاضى أنا أعلم انك الليل كله ماتنام بل مشتغل طول ليلك بالدعاء إلى المسلمين فعلم عقبة أنه يضحك على لحيته فقال يا أمير ما أنت إلا تنظر بنور الله تعالى وتعلم أنى أبيت على هذا الوضوء ولقد عرفت ماأنا عليه من حسن السيره لولا أن الناس يدخلوا بيننا ويحملون عنى اليك مالا أقوله أبدا (قال) وكان هذا الكلام من عقبة حتى أنه يغيظ الأمير ويغضبه فقال له الأمير عبدالوهاب وحق من يعلم أنه واحد أحد فرد صمد لازوجة له ولا ولد لأوزينهم غدا من سيفى ضربا يقد ومن رمحى طعنا يهد ثم باتوا إلى أن أصبح الصباح وصفت الصفوف وترتبت الألوف فكان أول من فتح باب الحرب كان الأمير عبدالوهاب وهو فى أحسن الصفات وعليه درع من الدروع السابغات وبيده سيف صقيل ورمح طويل وتحته جواد أدهم فجال الأمير بين الصفين واشتهر بين الفريقين وذكر رب المشرقين والمغربين وصلى على من أسرى به ليلة الاثنين محمد الزين ثم أنه نادى هل من مبارز هل من مناجز فخرج اليه بطريق من الروم كأنه شعلة نار أو موجه من بحر زخار وانقض على الأمير فصاح البطريق ياعبد الوهاب أنا ما أقدر ألقاكم أنتم الاثنين إما أنت وإما أمك قال فظن الأمير أن ذلك حقا وأن الأميرة خرجت تعينه فالتفت فلم يرى أحد فعلم أنها حيلة وكان مع التفات الأمير رماه الملعون بحربة ماضية من ساعد قوى فوقعت فى كتف الأمير عبد الوهاب فخرقت الزرد ونفذت إلى لحمه إلا أنها كانت غير قاتلة لجرحته ووجد منها الألم فجذب الحربة قلعها وعطف نحو البطريق فنادته الأميرة لاتفعل

ياولدى وارجع حتى أشد لك جرحك وعد إلى خصمك فقال هيهات أن أعود عنه حتى أسقيه كاس الممات ثم حمل عليه الأمير حملة الغضب وناداه ياللعين ماعلمت أن الخداع من مثلك يكون وإلا كنت أخذت حذرى منك ثم قاربه وضربه بالمهند على رأسه ضربة مشبعة تمام فقده إلى الحزام ثم إن الأمير رجع إلى عسكره وشد جرحه ثم غول على البزاز فقالت له الأميرة لا والله لايبرز إلا أنا فى هذه الساعة (قال) فعند ذلك تقدم عقبة وكان إلى جانب الأمير عمرو بن عبيد الله وهو يقرأ القرآن ويحرض المسلمين على القتال وينادى يا أهل الايمان قد فتحت لكم أبواب الجنان وقد قال الواحد المنان فى الكتاب العزيز الذى أنزل على قلب سيد ولد عدنان يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان هذا وإن الأمير عبد الوهاب مثل الأسد القسور لايكسر حتى يعقر ثم إن عقبة قال والله العظيم أيها الامير لقد آلمنى جرحك وسرتنى سلامتك قال الامير ياقاضى من يقتل فى سبيل الله فله الأجر يوم القيامة ثم أنشد وجعل يقول:

قد رضينا فى مقام الكفاح بقتال ونزال وجراح
وبأسر نارة يمنحنا مثل طير صار مقصوص الجناح
وأنا الأسود فعلى شائع مهلك الكفار فى يوم الكفاح
من يكن يبخل بالنفس فلا يرى فى سبيل الله أوقات السماح
أقبض الأرواح فى يوم الوغا بصفاح قاتلات مع رماح

(قال الراوى) وإن الأمير سيف الحنيفية حمل على الميمنة فقتل فارس وقتل آخر وثالث له بجندل فأطبقت عليه الروم فعندها صاحت الأميرة ذات الهمة يا آل كلاب قد فتحت من الجنة الأبواب وقد قال رب الأرباب فى محكم الكتاب من كلام العزيز لكل أجل كتاب فعندها حملت بنى كلاب وتبعتها السودان الأنجاب ونادى أبو الهزاهز يا آل حام يالون الظلام وياعباد الملك العلام احملوا على الكفرة اللئام فحملت وحملت الكتائب وعملت القواضب ودارت طاحون النحوس على كل فارس عبوس وصاحت الرهبان والقسوس وحمل الأمير ظالم وضيغم وقشعم وفراقد وتفرقت الكفرة عن الأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة العامرية قد قاتلت أشد قتال وقد صبرت على ملاقاة الأهوال (قال) ولم تزل الصوارم تعمل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجعت الطوائف عن بعضها البعض وقتل من بنى سليم خلق كثير وقاتل عمرو فى ذلك اليوم قتالا كثيرا وكانوا السودان قد صبروا فى ذلك اليوم على القتال وفقد من بنى كلاب والسودان أربعة آلاف فارس (قال) ولما حصلوا فى

البلد أقبل الأمير عمرو ابن عبيدالله على الأمير عبدالوهاب وقال اعلم أيها الامير الخطير إننا وقعنا فى أمر عظيم مالنا به طاقة وأكثر مايقاتل الرجل مائة إنسان وهؤلاء كثير وما امرنا الله أن نلقى أنفسنا إلى التهلكة فلو قدرنا على أن نأخذ الحريم ونسلم البلد اليهم فعلنا فقال عقبة يا أمير هذا هو الصواب غير أننا نخاف من الخليفة أن يعتب علينا ولكن الرأى عندى أن نكتب كتاب إلى بغداد بعد أن نلطخه بالدم وتمضى به النجابة إلى البلاد وينفر لنا الناس والعباد ويحثوهم على الجهاد (قال) فاستصوب الامير رأيه وكتب الكتاب وسار به النجاب وأقاموا إلى أن أصبح الله بالصباح ودقت طبول أهل النصرانية وفتح عبد الوهاب باب ملطيه وخرجت منه العساكر الاسلامية والعصابة الحنيفية الطاهرة المحمدية هذا والامير عبد الوهاب فى أوائلهم وهو راكب على جواد أبرش مليح اللون حسن الكون كانه فى مشيه ريح عاصف أو برق خاطف ويفوق وصف الواصف حصان كانه حصن أو كانه نسر يطير أو كوكب منقض لاتبصر أطرافه على وجه الأرض سليم الاطراف سريع الانعطاف

(قال الراوى) وعليه درع داوودى حسن النظام طويل الاكمام ينبو عليه الحسام وحرز الاجسام وأمان من السنان الهدام كما قال فيه ماجد بن قوام حيث يقول -

ودرع ليس يلبسه ذليل ويمنع عن مهنده صفاح
ولابسه عليه ثياب أمن وليس يخاف من ألم الجراح
ورمح فوقه قبس منير وليس له مثال فى الرماح
وسيف قاطع عصب صقيل يقصر عنه أوصاف الصفاح

(قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب نادى ياكلاب النصرانيه وأخس من غمس فى ماء المعموديه كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فدونكم والبراز ولا يبرز إلى الا كل بطل فعند ذلك خرج اليه فارس غائص فى الحديد كانه برج مشيد أو شيطان مريد وهو جاحد التوحيد وهو على حصان أبيض اللون كانه صباح مقبل وشعره على جسده كانه ليل منسدل وهو كانه ريح سليمان إذا جرى فى الميدان وعلى الفارس زرد قد غمس فى ماء الذهب من رأسه إلى رجليه وقد خطف الأبصار بريق حسامه وحمل على الأمير عبد الوهاب وقد نظرت اليهما عيون الناظرين وشخصت اليهما احداق المبصرين وزاد صبرها على الصابرين ونادى النصرانى ياعيسى ياناصر النصرانيه وقد نادى الأمير عبد الوهاب ياأقدر القادرين أنت الذى ليس لك شريك ولا معين وأنت الملك الحق المبين الذى لاغيرك تكاثر السنين تعاليت ان توصف بالازواج والبنين

وأنشد وجعل يقول

تعالى إله الخلق عن كل كافر | فجور فان الله أنصر ناصر
إله عظيم واحد متواجد | حكيم كريم وهو أقدر قادر
يجود على من تاب بالعفو والرضا | حنون شفوق للخواطر جابر
فدونك منا للقا كل فارس | مبيد الاعادى بالسيوف البواتر
يشهد بأن الله لارب غيره | وأن النبي المصطفى خير طاهر

(قال الراوى) ثم تطاعنا حتى تقصفت الرماح وملت الجوادين وضاق الميدان وخذلت منهما الساعدان وعجب الفريقان وتحيرت العسكر فى الفارسان واستويا فى كفة الميزان ثم اختلف بينهما ضربتان وكان السابق الأمير عبد الوهاب فضربه بسيفه المعروف ونادى بتوحيد الله الواحد المنان الذى لايشغله شان عن شان وضربه بالصارم اليمان نزل السيف من رأسه إلى الاسنان وغار على عسكر الصلبان فصلبت الروم على وجهها ثم خرج إلى الأمير فارس آخر فقتله وثانى فجندله ولم يزال يحمل عليهم ويقتل فيهم إلى أن تنصف النهار وقد قتل منهم خمسة وعشرين فارس من كل بطل مداعس فلما نظرت الروم إلى ذلك غضبوا وقالوا هؤلاء العرب لهم الصناعه فى البراز والجولان والطعان فى الميدان فى مقام الاعتراك وما قصدهم إلا أن يطول علينا الوقت حتى تصل اليهم النجده فياويلكم دونكم واياهم وانثروا عند ذلك حملت ملوك النصرانيه من كل فج عميق وقد ماجت الأرض بهم

(قال الراوى) وكانوا ذلك اليوم المسلمين بين المشركين مثل الشامه البيضاء فى الثور الأسود وقد عملت الصوارم فى الدروع الزرد وحطموا العدد وتقابضوا ايدا بيد وتماسكوا باللحا وفاضت الدما وامتلات الأرض من القتلا وأرملت النساء وتضاربوا بالخناجر فى الحناجر وانحلت عقد الضمائر ودارت طواحين الهلاك على الاكابر والصغائر ونادى المنادى لاخلاص وانتشرت الخلائق مثل انتشار الجراد وعطشت الاكباد وحمى الحديد على الأجساد إلى وقت العصر وانهزمت بنى سليم وتبعتها بنى كلاب ويليها السودان فظنوا أن باب ملطيه مفتوح فوجدوا الأبواب مغلقه والصلبان معلقه وهم دابرين بها مثل السواد حتى أنه ليس على الصور موضع قدر شبر إلا وعليه راية وفوقها صليب وهم ينادون عيسى ومريم والصليب فقالوا عند ذلك كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

(قال الراوى) وتحيروا المسلمين فى ذلك الأمر ولم يعلمون كيف كانت القضيه وكان السبب فى ذلك القاضى عقبه لعنه الله رأى أن الأمر يطول وكان قد كلم الأمير عبد الوهاب وقال لولده ان لم أسلم ملطيه إلى الروم فى هذه اليومين وإلا ماأكون أنا

أبوك عقبـــة ولا أنا الشيخ النجيح ولا اعتقادى فى هـــذا الدين الصحيح ثم انه كتب كتاب إلى ملك الروم وفى أوله بسم الاب والابن الكريم ومحل التعظيم والنور الذى يجمع من بيت التقديس إلى مقام التأنيس ثم تكلم فى الاحشا ووقع على الارض فمشا وشهد لامه بالبراءة من الفحشا وأعاد الناظر الذى كان بالبياض قد تغشا وأقام المقعد فمشا وأنطق الاخرس فنطق بما شار لمس العود اليابس فاحضر ونشا أما بعد فانى عجبت من كثرتكم وقلة اهتمامكم وحق المسيح اننى وحدى أبلغ أغراضى من المسلمين وأنتم فى هذا الجمع الذى لا يحصى بعدد الرمل والحصى وقد اشتغلتم بالمطاولة حتى يجىء عسكر المسلمين ويصعب عليكم قتال الموحدين والآن فساعة وقوفكم على كتابى هذا تجعل من العرب المتنصرة أربعين ألف وتأخذ أسلاب القتلا من كل من قتل من المسلمين وأبطال الموحدين من العرب والسودان ويكون معهم الرماح والعدد وراياتهم ويلبسوا العمائم ويرخوا لهم الذوائب على زى بنى كلاب وان التحم القتال فى غداة غد وطلع الغبار حتى يعلو على الاقطار ويقل منهم الاصطبار ويعدم الانتظار وتخرج العرب من المعمعة ويعطون ظهورهم إلى ملطيه وكأنهم يضربون فى الروم بسيوفهم وكأنهم يطعنون بالقنا ثم يتراجعون إلى ورائهم كأنهم منهزمين على وجه المدافعه عن أنفسهم حتى لا يطمع العدو عند توالية ظهورهم إلى ملطيه وإذا قاربوا الابواب ومعهم الرايات الاسلامية وعليها مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك تفتح لهم الابواب ويجوزن البلد ويدخلوه ويملكوه من غير حرب ولا قتال ويكونوا بنى سليم وبنى كلاب فى مقام الطعن والضراب لان ما بقى من الفرسان إلا القليل فهيا افعلوا ما قلته لكم وإياكم والاهمال فيما أشرت به عليكم والسلام فرحمة المسيح مصبوبة على من سمع وأجاب ونقمته مهلكة لكل من لم يحسب له حساب (قال الراوى) وان عقبة أنفذ إلى ملك الروم ألف راية فى رزمه وكان عقبة قد أخذها من خزانة الامير عمرو بن عبيد الله وهى خزانة المجاهدين وأنفذها مع ثلاثة من غلمانه ثم جهزهم وساروا حتى دخلوا على الملك وكان الملعون قد أوصاهم بأن يقولوا للملك القاضى يقول لك أيها الملك لا تطلع أحد على ما فى هذا المكتوب ولا يعمل بما فيه غيرك لأنه ما يخلو عسكرك من جاسوس وربما كان الأمير أبو محمد البطال عندك ولا تعلم به فانه قد غاب عن ملطيه وما هو فى العراق وما غاب إلا وهو عندكم فكونوا منه على حذر واحفظوا أنفسكم والسلام (قال الراوى) ثم ساروا غلمان عقبة إلى أن وصلوا إلى الملك بعد أن دخلوا على الدمشتق فقال لهم من أين جئتم فقالوا من ملطيه فقال لهم فيما ذا قالوا من عند الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح ثم ان الدمشتق دخل على الملك

وأعاد عليه القصة والكتاب من عقبة فقال الملك لاعدمنا همته ولا عزيمته ولا غابت عنا بركته ثم أمر بالغلمان يدخلوا عليه عند ذلك دخلوا إلى الملك وناولوه الكتاب فقبله وحطه على رأسه فلما قرأ الكتاب وعلم مافيه (قال الراوى) فسأله من كان حاضر من الكفار فقال ياقوم فيه بشارة وفيه نصيحة وان الشيخ النجيح قد خوفنا من أبو محمد البطال وقد ذكر أنه فى عسكرنا وحق المسيح انى خائف على نفسى منه وما بقى لى بعدها عيش هنى منه وقد علمت أنه فى عسكرنا وما كنت أريد إلا أن يقع فى يدى والثانية انى أريد أعمل على قدر ما أشار به على عقبة عسى أن يكون فيه العاقبة وان الملك ادعى بحرب ابن شيبان وسلم إليه الرايات وعلوها على الرماح وقال لهم خلوا ازى الروم والبسوا زى العرب وإذا حملت هذه الكتائب على الكتائب والمواكب على المواكب واختلطوا الجمعان فاخرجوا من وراء عسكر بنى كلاب وأنتم تنادون لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ الحريم الحريم يا أصحاب جنة النعيم فقال له حرب بن شيبان فما يكون علينا اثم إذا قلنا لا إله إلا الله فقال لهم لا لأن الشيخ النجيح قد أمرنا بذلك فان كان فيه خطية واثم فهو يعرفه لأنه هو الذى أمرنا بهذا القول فيكون اثمه فى رقبته ولو كان فيه اثم فان فى فتح هذا البلد وأخذ السبايا وقتل أولاد المسلمين وأخذ نسائهم ثواب عظيم فقال له حرب ابن شيبان السمع والطاعة وحبا وكرامه ثم انهم أخذوا الرماح وعلقوا عليها الرايات العباسية والبنود الاسلامية وعليها مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله ان الدين عند الله الإسلام (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح ارتفع الصياح وجردت الصفاح وتبادروا إلى الحرب والكفاح ونادى الأمير عمرو بن عبيد الله كما ذكرنا وقتل خمسة وعشرين كما وصفنا ثم حملت الطوائف على الطوائف وضاقت بهم المواقف وأنكرت المعارف ودخل هنالك حرب بن شيبان فى أربعين ألف عنان وكانوا المسلمين من بنى سليم وبنى كلاب والسودان الأنجاب يرونهم والرايات فى أيديهم وهم ينادون بكلمة الاخلاص التى هى سبب الاختصاص قولا عدلا مخلصا لا إله إلا الله محمد رسول الله فكانوا يحدون عنهم ويقاتلون دونهم الى أن صاروا هؤلاء وراء ظهورهم ولم يزالوا كذلك الى أن وصلوا الى باب ملطيه ونظروا أهل البلد الى الرايات الاسلامية فعلموا أنهم منهزمين ففتحوا لهم الباب وهم آمنون وملكوا الباب المشركين وقتلوا البوابين وجماعة من الأجناد والاصحاب الذين كانوا متخلفين فى البلد ووضعوا السيف فى المشايخ والصبيان ورفعوا الصلبان وطلعوا على الاسوار ونظر عقبة إلى رايات الكفار فاستبشر غاية الاستبشار وقال الآن لا أبالى أى يوم مت بعد هذا اليوم النفيس وقد أسلت فيه دم المشايخ الركع والاطفال

الوضع (قال الراوى) وان الامراء لما انهزموا وطلبوا البلد لم يجدوا اليه سبيل ولا وصول فرجعوا إلى ورائهم وقد أطبقت عليهم أجناس الكفرة واحدقوا بهم كما يحدق البياض بالسواد وبقوا على التحقيق مثل الغريق تلعب بهم أمواج الآفاق فى لجج المهلكات وهم يتطاولون إلى بحر السلامة والنجاه فقتل من بنى سليم خلق كثير ومن السودان ومن بنى كلاب أيضا وأيقن كل إنسان انه هالك وضاقت عليهم المسالك بما جرى فى المعارك فنهم مهلك ومنهم هالك وخاضت الخيل إلى السنابك وتقاربت الرجال من بعضها بعض وانطرحوا الكرام على وجه الارض ووطئت الحوافر فى بطون القتلا وخسفت الظهور والصدور وعظت الامور وطاب كل واحد لنفسه النجاة وأيس من الحياة وأيقن بالوفاه وأخذ الامير عمرو بن عبيد الله ومحمد بن ايبان وخمسة آلاف من بنى سليم وقتل منهم أضعاف ذلك وأما الاميرة ذات الهمة فانها وقعت على الارض ونارت حتى تقوم فأخذتها القنطاريات من كل جانب وتناهبتها القواضب وقد عرفها الدمشتق فاراد أن يصل بها إلى الملك قسطنطين فأخذوها رجاله وحملها إلى خيمته وانهزم باقى الناس وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت وانتهت بهم الهزيمة إلى حصن زياد وأقام الأمير عبدالوهاب وجماعه من السودان وبنى كلاب ثم انه طلب الاميره ذات الهمه فلم يجدها فعظم ذلك عليه وكبر لديه وأدار الأمير أبو الهزاهز معه وجماعة من السودان وانضاف إلى الامير عبدالوهاب الكبار من المشايخ واغتموا على بنى سليم وقد فقدوا الامير عمرو بن عبيد الله وانضافوا بنى سليم إلى الامير عبد الوهاب وجعلوا يبكون على نسائهم وعلى أولادهم وكذلك بنى كلاب فعند ذلك بكى الامير عبد الوهاب وقال يفعل الله مايشاء ويحكم ما يريد وهو المولى ونحن العبيد والسعيد من رضى بالقضاء وقابل البلاء بالرضاء والراجل المقيم يبان والسالم والعاطب فرسا رهان والحى بالقتيل لاحق وكل حى أجله طارق ولا يبقى غير الملك الخالق وبعد هذا فقد عدم أصحابنا وهلكوا أحبابنا ولا حياة بعدهم ولا عيش بعد فقدهم ونرجع عليهم ونرمى أنفسنا فان ظفرنا فسعاده وإن قتلنا فنفوز بالشهادة فقالوا له بنى سليم وبنى كلاب أيها الامير ما فينا الا ومن له فى ملطيه عيال وأولاد وقد أمر الله سبحانه وتعالى وقال فى محكم كتابه العزيز ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ونحن كنا فى ذلك الجمع الكثير وقد غرقنا فى هذه العساكر وكيف نرجع اليهم وما بقى منا إلا اليسير ونحن على غاية من الجراح وقلة من الزاد والعدد وقد بقينا جرائد وما بقينا إلا لمن يقتلنا ونفوز بالشهادة ولكن اذا جمعنا العساكر وخلصوا الاسارى الذين فى ملطيه فهو أفضل من ذلك فقال لهم الامير عبد الوهاب ياويحكم انما العساكر من العراق وربما تأخرت

وتذهب الاسارى إلى بلد الروم ويصعب علينا خلاصهم وربما قتلوهم عن بكرة أبيهم فهنالك من يحمل الملك على ذلك كما قد دبر على أخذ البلد فقال لهم عبدالوهاب أنا لا أملك الا نفسي ومن يتبعني فليفعل وليذهب إلى عساكر العراق وينفر الناس من الآفاق فهذه مصيبة عامه ولا يغني القعود على الجهاد ثم ركب الأمير فرسه وقال ها أنا سائر مستعينا بالملك الجبار القادر فقالوا له بنى كلاب والسودان نحن نسير معك ولنا أسوة بك ولو أضرمت لنا نارا لولجناها وهــذه الحياة فقد كرهناها وانها مصائب لا تتناها فقال لهم الامير عبد الوهاب اصبروا حتى يصير لكم هذا الجهاد يوم القيامة وتصيروا من أهل السعادة ويباهي ربكم بكم الملائكة ويفرح بكم محمد المصطفى ويباهي بكم الأمم فما بقى مصائب ثم نطلب لهذه الطائفة رضاها فعند ذلك قالوا بنى سليم ونحن أيضا معك ومابقى لنا أمير غيرك ونحن تبع لك فعلى ماذا عولت أيها الأمير فقال لهم أمضى من ههنا على قرية وراء شمشاط وأقصد ارض مرج الافيح وأرجع وراء عسكر الروم واذهب إلى القسطنطونيه واسأل الله تبارك وتعالى أن يسهل علينا فتحها وآخذ كل من فيها أسارى من أطفال ونساء وغيرهم وأفادي بهم أسارى ملطيه أو يحدث مالم يكن فى الحساب فلم تزال عوايد الله تبارك وتعالى بنا جميله فانه يظهر القدرة وهو رب الرحمة

(قال الراوى) فلما سمعوا ذلك قالوا لله درك أيها الامير هذا كلام من قد هانت عليه الحياه وأيقن بالوفاه واشتاقت نفسه إلى لقاء الله فهو مطرح روحه إلى معظمات الامور والله تعالى يقيك المحذور ويجعلك مؤبدا منصور ثم سار الامير عبد الوهاب وهو متوكل على رب الارباب فى الطريق الذى وصفناها حتى صار فى اليوم السادس من وراء عسكر الروم وبعث جاسوس إلى ملطيه فمضى وعاد أخبر الامير ان عقبة عند الملك قسطنطين والقيد فى رجله حتى يرى الناس انه مأسور وقد أشار على الملك بان يهدم الجوامع والمساجد وقد فعل مالا يفعله أحد (قال) فلما سمع الامير عبدالوهاب ذلك قال للجاسوس وملك الروم على ماذا عول فقال له الجاسوس قد وصل اليه رسول من عند ملك يقال له لاوون ابن قصطيان اليونانى وهو فى ستين ألف ويقول له لا ترحل عن ملطيـه ولا ترحل إلى العراق حتى أصل اليك وأكون فى الخدمة بين يديك مقدما على سائر الملوك وعلى هذا الشرط خرجت من بلادى وقد فرح به الملك قسطنطين فرحا شديدا وقد زين له دار الامير عمرو بن عبيد الله لينزل فيها وقد عول الملك بأن يقعد فى ملطيه فى دارك أيهـــا الامير وقد جعل المسجد الذى فيها بيت للشراب وكان هذا كله بتدبير عقبة لعنه الله وقد أعدله دعوة عظيمة ولمن معه فى ميدان باب القلعة فى مقابلة الحصن وقد زين الملك سرادقه

وجمله كله من الاطلس الاحمر وله نطاق من اللؤلؤ والجوهر وقد نصب له سرير من الذهب الاحمر وهو مرصع بالياقوت والجوهر وقد فرش الارض بأنواع الديباج والجوامع قد ربطوا بها الخيل وعقبة عنده مقيد فى السرادق لبروه الاسارى فى تلك الصفة فاذا كان فى الليل يأخذه الملك اليه ويعظمه ويجلسه معه على السرير ويعمل التاج على رأسه ويأكل معه لحم الخنزير ويشرب هو والملك الخمر العصير ويكفر بمن يعلم السر والجهر (قال الراوى) فلما سمع عبد الوهاب ذلك قال الله أكبر هذا فرج قد قربه الله تعالى لنا من خلاص الاسارى ثم قال ياقوم خذوا أهبتكم للقتال والتقوا بنا للملك لاوون قبل أن يصل إلى القسطنطونية فانه عزيز عنده لانى سمعت أنه يريد يزوجه بابنته وبذلك أخبرنى أبو محمد البطال وكان يريد أخذ جماعة من غلمانه ويمضى إلى القسطنطونية ويشوف جهازها فوالله العظيم انه قد رابنى انقطاع خبره عنى وما غاب إلا وقد نزلت به نازلة والآن فسيروا بنا بارك الله لنا فيكم ثم إنهم ساروا يومين (قال الراوى) فلما كان فى اليوم الثالث وقعت الطلائع على الطلائع وعملت السيوف القواطع ودنت الجموع ولمعت الجواشن والدروع والتقت الكتايب بالكتايب وعملت القواضب فى العواتق وطارت الرؤس عن الرقاب مثل طير العقاب وفار الدم من الوريد مثل فيض الانبوب وتار الضباب وقطرت القواضب بالدما مثل قطر السحاب وقطعت الاطراف من المرافق والاعناق من الاكتاف بالسيوف المواحق ولم يبق فؤاد غير خافق واحمرت الأرض بالدم الدافق حتى صارت مثل الشقايق وقد حجز بينهم الظلام وتبعت الأجسام من ضرب الحسام وتحارسوا الطائفتين إلى أن طلع الصباح وبرق من لمعانها الصفاح وقد خرج الامير عبد الوهاب وهو يهيج إلى مقام الهياج وينشد :

أنا الذى تعرفنى الفجارا   سيف النبى السيد المختارا
لاقتلن معشر النصارى   واقطع الرقاب والزنارا
لاننى ترس النبى المختارا   نبى صدق صادق ظهارا
لآخذن النار الاسارى   واهلك الكبار والصغارا

(قال الراوى) وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه بطريق كأنه طود عظيم وهو على جواد كالليل البهيم وحمل كل واحد منهما على صاحبه فلم يطول بينهما مطال حتى ضربه الأمير عبد الوهاب على هامته نزل السيف إلى نصف قامته فوقع إلى الأرض وبطل حيله وقوته فجال الامير وصال وطلب البراز فبرز اليه أخو المقتول وبقى عليه ساعة يجول وضربه الامير عبد الوهاب على صدره أطلع السيف يلمع من قفارة ظهره ولم يزال

يخرج اليه واحد بعد واحد حتى قتل من القوم ستة عشر فارس وكان آخر من خرج صهر الملك قسطنطين وهو لاوون اليونانى مقدم العسكر وهو على جواد يونانى وعليه درع سليمانى وسيف هندوانى وترس يمانى وعليه ثوب مقصب ملكى وقلبه ملآن بالكفر لانه نصرانى مشرك بالرب الصمد الوحدانى الذى ليس له شريك ولا ثانى فحمل عليه الامير بقلب موحد (قال) فحمل بعضهم على بعض وفتحا ميدان على بساط الارض ورمقتهما الابصار وطلع عليها الغبار والامير عبدالوهاب قال سبحان الملك الجبار والملك لاوون قد استجار بالصليب والزنار ثم صاح الامير عبدالوهاب صيحة الغضب

(قال الروى) وإن الملعون قد ضرب بالبتار فأبطلها الامير الكرار ثم هجم عليه كالاسد الهدار ومد يده اليه وعلقه بدرعه من مراق بطنه وجذبه فاقتلعه من سرجه عند ذلك كبرت المسلمين وحملوا على المشركين ولم تزل الخيل تلعب بالجماجم والسيوف تبرق وترن والسودان من حولهم مثل الجن إلى وقت اعتدال الشمس فى قبة الفلك هنالك انكسر عسكر الشرك واندثروا وولوا الادبار ووقع بهم البوار ولم ينجو منهم إلا من قد سبق بسلامة المقدار وغنموا المسلمين من الخيل والخيام والبغال والاثقال والاموال وثياب الديباج والطعام والعدد مالا يقع عليه عدد ووقعت السودان على الزاد مثل مايقع الجراد على الزرع لأنهم كانوا بلا زاد لانهم كانوا جرايد وما معهم الاخيامهم وكان جملة ماأخذوه عشرين ألف خيمه من الديباج وثلاثين ألف جمل وبغل وصناديق الطعام ملانه وكان ذلك معهم زاد طول مقامهم فى بلاد الاسلام وفرحوا الناس بالنصر العظيم من الرب الكريم السميع العليم ببركة النبي الكريم المنتخب من ولده الخليل إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام وكانوا المسلمين قد أسروا من أصحاب لاوون أربعمائة بطريق وان الأمير عبد الوهاب جمع الاسلاب وأسلاب القتلا فكانت عشرين ألف سلب سلبها وألبسها لبنى كلاب ورفع رايات لاوون وعليها الصلبان وأحضر لاوون والاربعمائة أسير فضرب منهم ثلثمائة رقبه وخمسين وبقى خمسين ولاوون فلما علم ان رقبته تضرب بكى وكان ابن عشرين سنه فقال له الامير ويحك أتريد الحياه وتطلب لنفسك النجاه فقال له نعم ولك من الأموال ماتريد فقال له الأمير ماأريد الآن تركب معنا والبطارقة من حولك ونحن أيضا نسير معك الى باب ملطيه وندخل معك اليها فقال له لاوون هذا أمر قريب وهو أحب الى من القتل ثم أخذ لاوون يد الأمير بانه لايغدر به فسار لاوون وساروا جميع بنى سليم وجميع بنى كلاب وكثير من السودان وساروا فى رجال من الابطال الاقيال المعدودين للقتال (قال الراوى) وسار عبد الوهاب بقلب أقوى من الصخر يريد يطرح نفسه فى

ملطيه وهى مشحونة بعساكر القسطنطونيه ومن ظاهرها أهل الشرك أجمعين وقد صعب على بنى سليم كيف ان الامير ماأخذهم معه وقال لهم كونوا أنتم ههنا مقيمين حتى يأتيكم رسول من عندنا ان شاء الله تعالى ويأمركم على ماتعولون عليه وان كانت الاخرى فالملتقى فى عرصات القيامة عند الملك القهار (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب ولاوون جدوا فى سيرهم حتى وصلوا الى ملطيه وقد ركبوا عساكر الروم باسرهم لاستقبال لاوون فسلم على الملك وهم يدعون له ولعبد الوهاب وهو عن يمينه وظالم عن يساره والبطارقه من حوله ومع كل واحد من البطارقة اثنين عن اليمين واثنين عن الشمال وليس لاحد منهم سبيل الى الخلاص (قال الراوى) وقد خرج الملك الاندرياس وأخوه الى لقائه وجميع المذبحه وسلموا على لاوون وقالوا له ان الرجيم يأمرك بالدخول عليه أنت وجميع عسكرك عند ذلك صقع لاوون وروحه فى التراق من الفزع وقد وقع بين أمرين خطرين وكان من عادة الاندرياس اذا خرج الى لقاء بعض الملوك يصير عن يمينه وكانت هذه عادته فدخل الاندرياس بين الأمير عبد الوهاب وبين الملك لاوون وقد أراد الملك ضيغورس ليدخل بين ظالم ولاوون عند ذلك انقلبت عين ظالم فى أم رأسه وهم أن يضربه بعامود كان فى يده فقال له الامير عبد الوهاب امسك ولا تفسد علينا ماعملناه فسك ظالم يده على غيظ منه وصبر إلى ان دخلوا باب ملطيه وحصلوا جميع أصحاب الامير عبد الوهاب داخل البلد وأراد ظالم ان يبطش بضيغورس فأشار اليه الامير عبد الوهاب بان تصبر على ماأنت عليه ولا تعجل (قال الراوى) فلما توسطوا البلد وكانت خيام الروم فى الميدان والى جانب كل خيمة جانب من الاسارى من نسوان بنى سليم وبنى كلاب وأولادهم وخرجت كلها رجاله إلى لقاء لاوون وأمرهم بالدخول الى الملك قسطنطين فلما صاروا عند سرادقه أمروه أن يترجل فترجل الأمير عبد الوهاب وأشار الى لاوون فترجل ولم يجسر على مخالفته وترجل ظالم والبطارقه وجميع بنى كلاب وقد أوصى الأمير عبد الوهاب لبنى كلاب أن يقفون عند الباب واذا سمعتم الصياح فاغلقوا الباب وكل من جاءكم فاضربوه بالسيوف الرقاق الا أن يكون بعض الملوك فخذوه أسير فقالوا سمعا وطاعه وحبا وكرامه

(قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب ماشى بين يد لاوون وقد أمر بنى كلاب بان يصير مع كل واحد من الملوك عشرة وإذا صاح الأمير قبض كل قوم على ملك من الملوك ولم يزال الأمير ماشيا معه حتى دخل السرادق فوقعت عينه على الأميره ذات الهمه وهى فى صورة الذل وهى فى القيد والغل ويدها مشدودة الى وراء ظهرها وهى مسلمة أمرها

الى ربها من يعلم سرها وجهرها فلما رآها الأمير طارت الدمعه من عينيه مثل ما يقطر السحاب ودنا منها الأمير وتنحنح فعلمت الأميره نحنحته فرفعت رأسها الى الأمير فبان لها حسن عينيه من تحت الزرد ثم أخرج الامير يده ورفع بعض الزرد عن لحيته فعرفته عند ذلك ضحكت الأميره وقالت سبحان من هو فى أى صورة ماشاء ركبك ثم مشى الامير عنها ودخل الى سرادق الملك وعبر ظالم على الاميره ذات الهمه فرآها فى ذلك الحال فلم يجد له صبرا عنها ثم ترك لاوون ووقف عندها وان الامير عمرو بن عبيد الله أقبل على الاميره وقال لها لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا والله عسكر جديد قد حضر ونحن فى هذه الليلة على خطر عظيم فقالت له الأميره لا حذر من القضاء والقدر وربما حدث لك من هذا الخوف شيأ تسر به كما قال القائل

ومسرة قـد أقبـلت　　من حيث تنتظر النوائب

(قال الراوى) فلم يمهل ظالم بل تقدم اليها وعرفها بروحه فقالت له على ماذا عولت يابنى فقال أحل كتافك فقالت ذلك اليك فلم يجد صبر دون ان حل كتافها وأقامهـا على أقدامها وحملها على أكتافه إلى باب السرادق وحطها فى موضع حتى لا تطأها الخيل فبينما هى كذلك وإذا هو بالصياح قد وقع وقد جردت الصفاح لما وضعها ظالم على الأرض وإذا بثلاث بطارقة وقد لحقوه كأنهم السباع وفى أيديهم الدبابيس فقالوا له بالرومى لم حملت هذه اللبوة الشمطا والحية الرقطا من سراذق الملك فوحق المسيح لو علم بك الملك قسطنطين لقطع منك اليمين فلما نظرت ذات الهمة إلى تلك البطارقة اصفر لونها وقالت ياظالم هؤلاء الموكلين بى ولقد ضربونى الضرب الوجيع ومفاتيح القيود التى فى رجلى مع هذا البطريق القصير (قال الراوى) فلما سمع ظالم ذلك من كلام الأميرة جرد سيفه وضرب البطريق الطويل أطاح رأسه عن بدنه وضرب الآخر فقطع عنقه مع يده وأقبل على القصير وقال له هات المفاتيح التى بالقيود وإلا أخذت رأسك من بين أكتافك عند ذلك أيقن البطريق بالموت وكان أصل البطريق مرتد فاخرج المفاتيح من وسطه وكانت فى سرواله من داخل فقال له ظالم ياويلك افتح القيود كما تعرف عند ذلك فتح البطريق القيود والسلاسل فلما علم ذلك ظالم بأن الأقفال قد فتحت شال يده بالسيف وضرب البطريق ضربة أطار رأسه عن جثته وطارت الأميرة كأنها الأسد وأخذت سيف البطريق وقالت ياأمير ظالم الحق بنا الأمير الى سرادق الملك (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب لما دخل الى السرادق ونظر الى الملك قسطنطين وهو جالس على السرير وقد نظر الى لاوون وقد أشار اليه أن يصعد الى كرسى الملك فوثب الأمير وقال له يا كلب النصرانية سوف أزل

بك الرزية ثم انه هجم عليه وضرب البطارقة القيام فنثرهم نثراوفتك فيهم وفى لحظة واحدة قتل خمسة عشر رجلا ونادى الله أكبر فأجابته أربعين ألف من بنى كلاب بالتكبير والتهليل وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله وأجابتهم زها عن خمسة آلاف من الاسارى وقد فرحوا بذلك وقالوا اللهم لا تعد منا سماع هذه الكلمة أبدا

(قال الراوى) وثاروا البطارقة والملك وأصحابه الذين فى البلد وكانوا خلقا عظيما فيالها من ساعة شابت فيها الذوائب وعملت فيها القواضب وعلا الصياح من كل جانب وطارت القمم وسقط إلى موضع القدم واسودت الدنيا على الأمم وانقطع ظهر عقبة وانقصم ولو كان غير مقيد لانهزم ونادوا المسلمين أنصرنا يا بارى القسم بحرمة صاحب الحكم والحطيم وزمزم وبحق النبى المكرم ومن أنزل الله سبحانه وتعالى عليه طه ومريم ونون والقلم ودار فلك التقدير بابرام المقادير فلم يبق على صغير ولا كبير وبقت الأبدان خالية من رؤسها والرقاب مستوحشه من عدم نفوسها ونزلت عقبان العقوبات على الأشباح الناعمات فأصبحوا صرعا على جوانب الفلوات ولا بقى أحد وإلا وانقطع ولا دم إلا وهمع ولا بطل إلا وهلع ولا بقى أحد إلا ودخل إلى قلبه من تلك الوقعة الفزع والجزع وشابت الروس من كثرة الجزع وتزلزلت سرادقات الملك قسطنطين وعلمه وقع ولم يبق الروم فى الحياه مطمع لان أرواحهم كروح كاب قد انقطع وقاتلوا قتال من أمله من السلامة قد انقطع وما وصلوا الى آخر النهار حتى حصل كل من فى ملطيه من الكفار فى قبضة الذل والاصغار وقتل فى ذلك النهار ثلاثين ألف من الكفار وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار وأسروا جميع الملوك عن بكرة أبيهم وخلصوا أولاد المسلمين وأسارى الموحدين ووقعت الضجة من البنات والمخـــدرات ونادوا يا عالم الاسرار والخفيات نسألك أن تحفظ علينا الأمير عبدالوهاب الشجاع وجميع الأصحاب

(قال الراوى) ولما وقع الصوت فى البلد ظنوا عساكر الروم من ظاهر البلد أن الصياح من فرحهم بقدوم الملك لاوون صهر الملك قسطنطين فلما دام الصياح إلى آخر النهار أنكروا ذلك وركبوا خيولهم وقعدوا على باب ملطيه فوجدوا الباب مغلوق فثارت قلوبهم فزعا وبقيت الأكباد حرقا وطلع ألف رجل من بنى كلاب على الأسوار ورموهم بالأحجار الكبار والصغار وقتلوا جماعة من الكفار وعمل القتال بينهم بالأحجار والنبال إلى أن خشعت الأصوات وهدت الحركات وقلت الزعقات وفازوا المؤمنون الصابرين وخسروا الكافرون الجاحدون وعادت بنى كلاب إلى القبائل والعشائر كأنها لم تزل فى منازلها الحاضر (قال الراوى) وكان الناقوس قد دق فى ملطيه أياما فنادى

الأمير عبدالوهاب معاشر المسلمين لا يبقى الليلة قبل العشاء الاخيرة رجلا إلا وهو يؤذن على سطح داره رغما للشيطان وعبدة الصلبان (قال الراوى) ياسادة يا كرام فأذن فى ذلك اليوم والليلة أربعين ألف اسان ونادوا كلهم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابتهم الأسارى والدور والقصور والحجر والمدر يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال عبد الوهاب لا أبالى اليوم بما جرى وكفانى فى هذه الفعلة خلاصى من الآخرة (قال الراوى) وإن عقبة انفطرت مرارته وقد فك الأمير عبد الوهاب جميع الاسارى ورجعوا السودان إلى بيوتهم وفك القاضى عقبة والأمير عمرو بن عبيد الله وخمسة آلاف من بنى سليم وبنى كلاب والسودان الانجاب (قال الراوى) ولما أظلم الليل قال الامير عبدالوهاب لغلمانه احضروا لى الملك قسطنطين فما كان الا القليل حتى أحضره بين يديه فلما رآه الأمير عبدالوهاب وثب اليه ورفسه فى صدره أقلبه على ظهره وقال له ياعدو الله وعدو رسوله كم نأسرك ونعفو عنك فلابد لى الليلة من ضرب رقبتك وما بقى لنا رغبه فى المال ونحن نأخذ المال من القسطنطونيه بقائم سيوفنا وما نريد من يحمله الينا ثم انه جرد السيف وهجم عليه ليضربه عند ذلك وثبت اليه الأميره وقالت له يابنى لاتفعل أنا أعلم ما كان له فى هذه النوبة ذنب وانما هو محول على ذلك من هذا الامر ولو لم يخرج لكانت الكتب تغشاه وله من يحرضه على الخروج ولكن تبيعه نفسه وجميع سائر الملوك ويضمن هو المال عنهم وترحل عساكره واذا علمنا انها قد وصلت إلى بلاد الروم ونحن نبعث إلى يانس المتعزب إذا وصل اليه المال أطلقه (قال الروى) لهذه السيره فلما سمع الملك كلام الاميره ذات الهمه أشار اليها بأصبعه وجعل يخضع لها وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه من رؤيته إلى ذلك السيف وهو فى كف الامير عبدالوهاب وهو على رأسه والامير ظالم إلى الجانب الآخر ولم تزل الاميره ذات الهمه تتضرع إلى الأمير عبد الوهاب وتسأله وتقول له كلما تريد من المال على ورحيل العساكر الليله ولا يصبح لهم فى ديارنا آثار عند ذلك قطعوا عليهم ألف ألف دينار وانه يكون الصلح بينهم إلى سنتين ويحمل فى هذه السنة نصف المال إلى يانس المتعزب والسنة الأخرى النصف الثانى ثم تهادنوا الى سنتين ثم ان الأمير عبد الوهاب سأله عن الأمير أبو محمد فحلف بالانجيل ان ماعنده من البطال خبر ولم له به علم فصدقه الأمير لما حلف وان الملك قسطنطين أنفذ الى عساكره يقول لهم قد ورد علينا مالم يكن فى الحساب وان أنتم أقمتم ضربت رقابنا وهلكوا النصرانيه فارحلوا من ليلتكم هذه ولا يبقى منكم فى هذه الديار واحد لافارس ولا راجل فهو الاصلح لنا فالمسيح يخاص

حقنا ما كان السبب فى ازعاجنا كل يوم عن ديارنا إلى هؤلاء القوم الذين مالنا بهم طاقه
(قال الراوى) فلما وصل الكتاب إلى عسكره رحلوا عن بكره أبيهم من وقتهم وساعتهم وتقررت الأموال على ماذكرناها وضمنها يانس وبعد ثلاثة أيام أطلق الأمير عبدالوهاب الملوك جميعا وقسطنطين وكان الأمير أوصى لأصحاب الملك الذين دخلوا إلى بابه اذا رأو عسكره الذين تخلفوا عن المجىء إلى ملطية لا يتعرضون اليه ولا يؤذونه فخرج من عند الأمير رسول اليهم يأمرهم بالمجىء وان لا يخالفوا من عسكر الروم وقد وقعت الهدنة بينهم (قال الراوى) وان الأمير أطلق لاوون لأنه قد آمنه على روحه فدعا له وشكره وخرج ولم يصدق بنجاته خوفا من الأمير وسطوته وبعد أيام وصلت باقى العساكر الذين كان قد تخلف عن الأمير عبدالوهاب وسودانه وعسكر بنى سليم واجتمع شمل الناس بأهليهم حتى كانهم ماحالوا وما زالوا وكتب صاحب الخبر إلى الرشيد بماتم للمجاهدين ويذكر ماعمله الأمير عبدالوهاب وكيف أخذ لاوون وفتح به ملطيه وأخذ الملك قسطنطين وسائر الملوك وكيف باعهم المهج وأنفذه على جناح الطير (قال الراوى) ووصلت الناس من سائر الأطراف والحصون يهنون الأمير عبد الوهاب بالظفر ويهنون الأمير عمرو ابن عبدالله بالخلاص من الاسر فلما تكاملوا الناس وأكثروا للامير عبد الوهاب بالدعاء والشكر فقام القاضى عقبة على قدميه قائما وجعل يدعو للامير ويثنى عليه ثم قال الحمدلله الذى رفع أعلام الموحدين ووضع رايات الملحدين وأظهر فضيلة المجاهدين ومكن سيف الأمير الاجل الزاهد العابد المجاهد ناصر الدين وترس قبر محمد خاتم النبيين صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومكنه من رقاب الكفرة المارقين حتى استخلص الاسارى المسلمين من أيدى المشركين وأعاد هذا الثغر بسكانه من المؤمنين وأبدل صوت النواقيس بأصوات المؤذنين وأهلك الظالمين والمتجبرين وكل ذلك بفارس المسلمين وعلم المتقين وسيد بنى كلاب وحامى حوز الدين فقد أصبح به شمل الدين مجموعا وظهر الكفر مقطوعا وعلم الحق مرفوعا ثم أشار إلى الأمير عبد الوهاب يقول هذه الابيات

بسيوف عزمك توضح البهم ... وبنور عدلك تنجلى الظلم
وبطعن رمحك تنطفى كربا ... لايستطيع دفاعها الأمم
وبصدق رأيك فى الغداة يرى ... من عضبهم ما ظل ينكتم
وبهجة علياء سامية ... لك تشتكى وتخضع الهمم
وجود كفك فى المجال إذا ... ما الجود يقلع معدم العدم
لازال سعدك طالعا وجرت ... بالنحس من أعدائك النقم

النصر نحو علاك ينتشر　وإلى ثناتك ينسب الكرم
بك عسكر الإيمان منتصر　وعساكر الالحاد تنهزم
لولاك كان الثغر منقطع　للكافرين وضاعت الذمم
فاسلم ودم فى نعمة أبدا　ما لاح نجم أو بدا علم

(قال الراوى) فاستحسنوا مقال القاضى عقبة وان الأمير عمرو بن عبيد الله قال هذا يقوله كله وما له منكم حظ ولا بخت فقال القاضى عقبة يا أمير أنا ما أطلب الحظ الا من الله تعالى لولا هذا الأمير الاجل الرفيع المحل لكنت عند الروم أسيرا فى أسوا حال لانهم الملاعين يعلمون انى ركن من الاركان وعالم خبير بنوائب الأحكام وناصح للامة والإمام فقال الأمير عبد الوهاب صدقت ياقاضى مايحتاج تصف روحك ونحن نعرفك وان الملعون عقبة وثب إلى عند الامير عبد الوهاب واعتنقه وقبل يده وقال له صدق الله قولك وخسر عدوك فقال الأمير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم والله ما كان يلقى بينهم العداوة والبغضاء الا الامير أبو محمد البطال فقالت الأميرة ذات الهمة دعونا من هذا فقد قتل من العباد مافيه كفاية ثم ان الأميرة دعت بالقاضى عقبة وقالت له ياقاضى بحق المسيح والانجيل ما معك علم من أبو محمد البطال فقال لها وحق الصليب ومن صلب انى متعجب من غيبته ولقد سئلت عنه ملك الروم وطرحت عليه العيون فما وجدت له أثر ولا وقعت له على خبر عندذلك صدقته الأميرة ذات الهمة فى ذلك وانقضا مجلس الهنا ووصلت النجب من العراق بالكتب من أمير المؤمنين بالهنا للامير عبد الوهاب والثنا عليه بالشكر والخلع والالويه وكذلك للامير عمرو بن عبيد الله والسادات من بنى سليم وأقاموا الناس آمنين من القتال والنزال وقد ضاقت الدنيا على الأمير عبد الوهاب لغيبة الامير أبو محمد البطال وانقطاع خبره ثم أقبل على الاميرة ذات الهمة وقال لها يا أماه لو علمت انه ميتا لنعيته أوحيا لطلبته حيث كان وأبذل نفسى دونه ثم كتب الأمير كتاب إلى يانس المتعزب يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمدا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين هذا الكتاب إلى عبد الله يانس نصر الله به الدين ومتع بطول بقاه المسلمين وجمع بحسن رأيه شمل المسلمين اعلم ان الامير أبو محمد البطال أمره علينا قد طال وذلك ان كلب الروم لما طلب بلاد الاسلام أخذ أبو محمد غلمانه ومضى إلى عسكر الروم حرصا منه على نصرة الاسلام وحفظا على أهل الايمان وقد انقطع عنا خبره ولم يظهر أمره ولا سمعنا له خبر ولا ظهرنا له على جلية أثر فاذا وقفت على هذا الكتاب فقم فى الطلب وابحث عن خبره فى سائر الآفاق وتطلبه ان كان

أسير أوغير ذلك ولا يأخذك فى ذلك غفلة ولا توانى فلوكان واحدمنا قد غاب فى هذه الغيبة لكان أبو محمد قد جال فى البلاد يتصفح عن أخباره ويقتص آثاره ثم بعث الكتاب مع غلام وأقام ينتظر الجواب بما يكون من يانس وان الأميرة أنفذت الجواسيس إلى سائر الأقطار وأقامت على ذلك تبكى عليه الليل والنهار وتقول والله لقد فقدت عبدالوهاب فاتم على من فقده ماتم على من فقد الأمير أبو محمد البطال (قال الراوى) وان يانس أنفذ كتاب إلى الأمير عبدالوهاب يقول والله يا أمير لقد سألت عنه فما أحد أعطانى خبره وماله فى بلد الروم أثر وماله سبب الا عقبة فان قدرتم على عقبة فاضربوه واحبسوه واصفعوه والطموه على قفاه وهو يقر لكم بما عنده ومادهى إلا من جانبه فلما سمع الأمير عبدالوهاب قال صدق والله يانس وأريد أن أقبض على عقبة فقالت له الأميرة ذات الهمة ما هذا يابنى صواب وكان يقع السيف بين بنى سليم وبنى كلاب ولكن إذا أردت هذا والقبض عليه فيكون على وجه الخفية لان عقبة يخرج كل يوم إلى ظاهر البلد فرتب له أربعة من السودان وإذا أبعد عن صور ملطيه يرجلونه عن بغلته ويحملونه إلى قلعة الكوكب فى صندوق حتى لا يعرفه أحدا فى الطريق ونخرج نحن يا بنى على نية الصيد ونقصد اليه ونعاقبه العقوبة التى ما بعدها عقوبة فان أقر بحديث أبو محمد وكان عنده منه خبر فهو يفتح لنا باب نتوصل به اليه وإلى معرفته فقال لها الأمير عبدالوهاب ياأماه هـــذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب هذا جرى للامير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمه وأما القاضى عقبة فانه خلا بابنه مصعب وقال له يابنى اعلم ان الامير أبو محمد هو عمدة الاسود وقد عدم ولابد لهم مما يعملون على وينسبون غيبته إلى وحق المسيح يابنى ماله عندى خبر وأريد أظهر أنى أذهب إلى العراق وأقصد إلى القسطنطينيه وأكشف عن أخباره فان كان أسيرا أعمل على هلاكه قبل أن يتسببوا فى خلاصه وانى قد عزمت فى غداة غد على الرحيـــل فقـال له ولده مصعب يعز علينا فراقك ولكن إذا كان سفرك بفيد منه أذيه للمسلمين ومنفعة للمتنصرين فهو يطيب على قلوبنا وان أذيتهم هى غاية مطلوبنا فالمسيح يحفظك ومن الأعادى يرعاك فقال له عقبه يابنى انى أفزع لايكون هذا الأسود عبد الوهاب قد رتب إلى أرصاد من السودان كما أخرج من البلد يظفرون بى ويأخذونى إلى بعض المواضع ويقتلونى أو يضربونى ضربا عنيفا ويسحبونى على وجهى سحبا ويطالبونى بما لاأعلم من أمر أبو محمد البطال وأموت تحت العقوبة ولكن يابنى أنا أعير منهم ثم ان عقبة دخل على الأمير عمرو وقال له لقد عزمت أيها الأمير على الانحدار إلى العراق وخدمة الحضرة النبوية الامامية أنا ومعى غلام واحد وقلبى خائف

من الأمير عبدالوهاب بأن يكون قد رتب لي رجال إلى أن أصير على الطريق ويأخذوني ويضربوني ويعذبوني وان أعن لهم قتلوني وما بقي لي ياأمير جسد يقوى على الضرب والعقوبة وأريد من انعامك يامولاي إذا خرجت في غداة غد يكون قد سبقني إلى عند الموضع الذي أريد أسير منه تحط لي فيه جماعة حتى أجوزه يكونوا من بني سليم فان خرج إلى أحد ليأخذني من بني كلاب والسودان الذين هم مثل الليل الدامس فيخلصوني منهم فقال له سمعا وطاعة وانهم أخس وأحقر من ذلك أن يأخذوك من بين أيدينا فقال له القاضي عقبة وحياتك يا أمير انهم أجهل مما تظن وأخس وأقل عقل ولولا انى أريد أمضي إلى خدمة أمير المؤمنين وإمام المسلمين ماالخترت فراقك أبدا لأن النظر إليك يجلو منا أبصارنا ويفلح خواطر أفكارنا (قال الراوى) وان القاضي عقبة خرج من عند الأمير عمرو بن عبيد الله وقد عزم على الرحيل وقد أنفذ معه الأمير الرجال وخرجوا معه إلى مَلطيه وأكنوا في الموضع الذي يريد عقبة أن يسير فيه (قال الراوى) وكان قد أكمن لعقبة أربعة من السودان من أصحاب الأمير عبد الوهاب إلا أنهم من السودان القادمين من الحجاز وهم بجاهيل من عقبة وان الملعون عقبة لما خرج من ملطية هو وغلمانه وساروا حتى وصلوا إليهم فلما رأوهم السودان خرجوا إليهم وقبضوا عليهم وطلبوا أن يمضوا بهم وإذا ببني سليم قد أدركتهم وخلصوا عقبة منهم ورجعوا إلى ملطيه وجعلوا يسبوا الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) وسمعت بنو كلاب فظهروا على بنى سليم وجعلوا يسبوا عمرو بن عبيد الله ووقع الشر بينهم فردت بنى سليم أيديها إلى قوائم سيوفها وامتضوها من أغمادها وجردت أيضا بنى كلاب سيوفها وظهر ما بينهم من الأحقاد وجرى بينهم العناد وجالوا بنى كلاب على بنى سليم فردوهم على أعقابهم وقد خرجوا منهم رجال وانسكب الدم منهم وسال (قال الراوى) ثم ان العقلاء دخلوا بينهم بالصلح وعتبوا على الأمير عبد الوهاب فيما فعل في حق عقبة فقال عبد الوهاب وقد اعتذر لهم ان ماعندى بما جرى بينهم خبر ولعل هؤلاء السودان فعلوا هذه الفعال لما غاب عنهم البطال وربما اتهموا عقبة وارادوا أن يسألوه عنه لجرت هذه الفتنة فقال عقبة وقد بكا ياعمرو ويلوموني إذا هربت إلى بلاد الروم ثم انه كتب كتاب إلى الرشيد أعلمه بما جرى (قال) فلما وصل الكتاب للرشيد وقرأه فقال معذور لو فعل هذا في غيره لتنصر وأما عقبة فانه بعدما جرت هذه الفتنة خرج طالب القسطنطونية إلى أن وصل اليها وقصد الى ملك الروم ودخل عليه ففرح به وأجلسه الى جانبه فقال له عقبة هل عندك من عيال المسلمين خبر فقال لاوحق المسيح ولو علمت لأخبرت به المسلمين وساعدتهم بمهجتى على خلاصة فقال عقبة وحق

الانجيل ماأظنه الافى بعض الاديره أو فى بعض القلاع أوفى الجزائر المنقطعه وقصدى أن أراه وقد قال القائل :

وماغلظت رقاب الاسد حتى ... بأنفسها تولت ماعناها

ولا تبعث رسولك فى مهم ... فما للنفس ناصحة سواها

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان عقبة أقبل على البترك وطلب منه قميص من ثياب الرهبان فأعطاه البترك ثوب من الصوف الاسود وقلنسوه وزنار وبرنس محبوك باللؤلؤ الكبار وعكاز من الابنوس المقمع بالعاج مطمم بالذهب الوهاج وفى رأس العكاز صليب من الذهب الأحمر يأخذ بالبصر فلما صار عقبة فى تلك الحالة والحيلة أعجب الملك منويل وفرح الفرح الشديد هذا وعقبة يقول اعلم أيها الملك ان فى قلبى النار من أجل البطال ولا بد لى أن أقفو أثره وأكشف خبره فاذا ورد كتابى اليك فلا تطلع عليه أحد لأن للمسلمين عليك عيون يكاتبوهم بكل مايكون ثم انه ودع الملك وسار ولم يزل يطوف الاماكن والكنائس والاديرة والصوامع والبيع أربعة أشهر فلم يقع للبطال على خبر فقال دعنى أقصد دير النذور الى عند تمليخا الراهب فما بقى على الا هذا الدير وقد عزمت ان لم أجد للبطال فيه أخبار والا نزلت من هناك للبحار وأطوف عليه الأقطار فان لم أقع له على خبر فلا شك مات وانقبر ثم سار عقبة حتى أتى إلى الدير فصاح غلام عقبة يارب أجب مولاى الشيخ النجيح عقبة قال فلما سمع الراهب تمليخا ان القادم هو عقبة فتح الباب وخرج إلى لقاه وخرجت بنات الملوك ولم يبق فى الدير لامرأة ولا رجل قال وكان عقبة هو الذى أخذ الراهب تمليخا هذا الدير واختاره له وولاه عليه من مدة ثلاثين سنة فلما وصل عقبة اليه فى ذلك اليوم فرح به تمليخا غاية الفرح وأقبلت الرهبان عليه وجعلوا يقبلون يديه ورجليه وقالت الرهبان اصلبان أخت زنانير هذا هو الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح فقالت لهم صلبان لايكون مثل ذلك الذى دخل الينا يقرأ الانجيل ولقيناه بالتعظيم والتبجيل وطلع عيار المسلمين وسارق بنات السلاطين لجاء هذا الكلام فى أذن عقبة فكادان يطير فرحا وقال يعطيك بالاخبار من لاتسائله ثم أقبل على تمليخا وقال له ماهذا الكلام الذى تقوله هذه الراهبة فقال تمليخا أيها الشيخ ان لص المسلمين البطال ورد علينا فى العام الأول وغلمانه وكانت الملكة زنانير قد أتت هى وأمها لأختها هذه الجاريه صلبان ثم أعاد عليه الحديث من أوله إلى آخره فرقص عقبه وقال وحق المسيح لولا أخاف من عقوبتك لأرسلت للملك والبترك الكبير أن يعزلوك لأنك تأخذ أموال الروم وتأتيك بنات الملوك وتتمتع بجوار مثل البدور وبعد فانى ماوليتك هذا المكان وقدمتك على سائر الرهبان الا بشرط

أن تطالعنى بأخبارك ساعه بعد ساعه وأنت قد حصل عندك عيار المسلمين ولا أنفذت عرفتنى فقال الراهب وحق الانجيل لقد أردت أن أفعل ذلك ولكن أخذته الملكه زنانير ودخلت به الى بحيرة الفلك (قال الراوى) فلما سمع عقبه كلامه عذره ورفع صوته بقراءة الانجيل قال فوقفت الرهبان على وجوهها من طيب نغمته وحسن تلاوته فترامت الرهبان عليه يقبلون يديه ورجليه هذا وغلامه يقول الرهبان ياويلكم الزموا الوقار بين يدى قطب الأمصار وقرة عين كل من شاهد زنار وهذا هدية عيسى للملك دقيوسا على يونان بشرط أن يكون ملكها كلها ولما سمعوا قراءة عقبه قال بعضهم لبعض ويلكم احملوه معنا إلى المركب واقصدوا بنا قلعة الملك بكرامته ويخصكم بجلالته وحبا كم بكرامته التى ماوصل اليها أحد (قال) وكانوا هؤلاء بطارقة قد أتوا إلى عند صلبان بطعام ونفقه من عند أبوها صلبوتا وأختها زنانير فنزل عقبه وغلامه صحبتهم وصعدوا للمركب وصار عقبه يدعو للملكه صلبان ثم انهم لم يزالوا سائرين إلى ان قطعوا سبعة أبحر ودخلوا البحر المظلم فهاج عليهم كهيجان القدر وثار منه الدخان وحيتان البحر على وجه الماء وأيقنوا بالغرق والفناء فاقبل عقبه على غلامه وقال ماسافرنا قط أيشم من هذه السفره فقال له غلامه وحق المسيح ماعملت معنا خير باتباعك للبطال فلابد لنا مانغوص فى قرار البحار حتى يكون البطال ميشوم فى حياته علينا ومماته فقال له عقبة اسكت لا يسمعوك البطارقة فيقولوا حجة المسيح قد خاف على نفسه من الغرق والفنا فيمطلونا عن الذى أريد أن أعمله فقال له غلامه يامولاى ماأخاف إلا اننا ببركة المسيح يهدينا إلى قرار البحر قال فضحك عقبة من كلامه وقد طيب قلبه (قال) وكان عقبة خبير بهب الريح فجعل ينظر الى الريح وقد تارت من ناحية المشرق وتارت من المغرب والريح يلعب هو والبحر بالمركب كما يلعب الطفل بالعصفور والبطارقة يصلبون على وجوههم ويبكون على ماهم فيه من الغرق فقام عقبة ووقف على جانب المركب لما عرف ان الريح انصلح فأشار عقبة بعكازه الى البحر وقرأ شيأ من الانجيل وصاح صيحة عظيمة وقال للبحر ويلك تهيج وأنا على ظهرك اهتدى كما هديت عيسى الى الملك دقيوسا ثم جعل يقرأ ويورى البطارقة كانه يرقى عليه فما قعد من قيامه حتى سكن فعند ذلك قامت البطارقة اليه وجعلوا يقبلون قدميه ويتبركوا به وقالوا اغفر لنا ياأبونا وارحمنا فأنت هدية عيسى المسيح والشيخ النجيح وأنت هديت البحر بعدان هاج الريح وكنا ضائعين ثم انهم ساروا الى ان وصلوا الى جبل اللان فلما نظر عقبة الى السلاسل وباب القرية والجبلين الملتقيين قال فى نفسه وحق المسيح مانظرت مثل هذا المكان فى طول الزمان ونظروهم الموكلين على رأس الجبل فعرفوا انهم اصحابهم

وقالوا هؤلاء رجالنا قد رجعوا من خدمة الملكة صلبان وتبادروا اليهم وسألوهم عن عقبة وقد أنكروه فقالوا هذا هدية المسيح الى الملك دقيوسا هذا الذى زجر البحر وهو هائج وأشار اليه فسكن فاسبقونا بالبشارة وأخبروه ان قد وصل اليه هدية قال فسبقوا البطارقة للملك بالبشارة وان عيسى بعث اليه هدية فلما سمع دقيوسا كلام بطارقته بمجىء عقبه نصب له قبة ووقف على الساحل فلما نزل عقبة من المركب ولبس ذلك الثوب والبرنس والصليب الذى ذكرنا فأقبل دقيوسا على عقبة وأركبه على حصان أحمر بسرج ذهب مكلل بالجوهر ومشى بين يديه حافى القدمين ودقيوسا متعجب من رقة ثيابه وحسن خطابه إلى أن وصل إلى المرج فشاهد عقبة ماحيره وانبهر ناظره من الأزهار المونقه والاشجار المورقة والحياض والرياض المشعشعة والطيور قد زعقت والجداول قد تحدرت والربا قد تفطرت والربيع قد أنزل حدائقه ومد شقائقه والطيور تتناغا بحسن اغانها وتتناشد بألحانها العجيبة الغريبة وقد تحير عقبة عما شاهد وزاد به الامر ورفع صوته وأنشأ يقول :

روضة قد حكت جبين الصباح ... وارتفع الليل فى الرياح
وطاف بالراح كل ساقى ... رضابه فوق كل راح
فاشرب على فضة ودن ... من ياسمين ومن أفاح
فالأرض قد أصبحت عروس ... تجلى من الزهر فى وشاح

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وقد انسر اللعين عقبة وانشرح وقد أقسم عقبة على الملك أن يركب وقد سأله فى ذلك وقال له إن لم تركب والا أنا أترجل عن مركبى فقال له الملك اعلم أنه لايجب الركوب بين يديك فقال له صحيح أيها الملك لكن أنا أعفيك من ذلك ولا يواخذك المسيح من قبلى لانك أنت ملك هذه الديار ومالك الجيرة والاقطار ثم ان عقبة مازال به الى أن أجاب فعند ذلك قدمت للملك دقيوسا فرسا كانت مع غلمانه وهى من أنخر خيله فركب الملك عليها وقد صار بجانب عقبة حتى وصل الى باب الحصن فترجل الملك ولزم ركاب عقبة وقد عضده إلى أن أنزله عن الجواد ودخل هو وإياه الى داخل الباب ثم إنه جلس هو وإياه على باب القلعة يتحدثوا وقد أمر الملك البطارقة أن يحضروا له محفة ففى عاجل الحال أحضروا له ماطلب فقال لعقبة ادخل واجلس فى هذه المحفة فقام الملعون ودخلها وجلس فيها وقد كانت تلك المحفة تشغل بالذهب الاحمر ثم ان الملك أمر البطارقة أن يحملوها لحملوها والملعون عقبة داخلها وقد صعدوا به إلى فوق القلعة ومازالوا طالعين به الى أن خيل لعقبة أنه قد صار فى العيوق من علو المكان وقد

فرح بذلك وضحك ثم انه قال وحق المسيح ماقصدى الا أن أرى البطال فى هذه الايام، حتى انى أهلكه فى هذه البلاد المتباعدة حتى لايعلم به أحد وبعده الاسود عبد الوهاب، وذات الهمة وسائر بنى كلاب ولم يزالوا صاعدين به الى أن صعدوا الى أعلا القلعـــة ونزلوا القوم المحفة من على أكتافهم فخرج عقبة من المحفة وقد أخذه الملك ودخل به الى القصر وجلسوا فيه فصار عقبة ينظر الى الارض وتلك الرياض الباهرة والقدرة التى هى ظاهرة ولا ينطق له لسان بذكر الواحد الديان الحنان المنان الذي لايشغله شان عن شان بل قد ختم الكفر على قلبه وقد طمس على بصره ولبه فصار يقرأ الإنجيل بصوت ندى حتى انه أطرب كل من كان حاضر من البطارقة وقد صلبوا على وجوههم من طيب نغمته وحسن قراءته ولما استقر بهم المجلس أقبل الملك على عقبه وقال له ياهدية عيسى أنا حافظ هـذا البحر والجبل الذى عليـه الأمل وقد عجزت الملوك عن الوصول إلى هذا المكان خوفا منى فقال له عقبه المسيح يرعاك وسوف تنزل عليك بركتى وتشملك رعايتى وعنايتى وأنت سيف المسيح فى الدنيا وتحشر معى فى العقبى صدق الملعون فى هذه الكلمة لاغير ولم يزال معه إلى أن تهود الليل فقام الملك إلى منامه ونام الملعون عقبة فى لعنته إلى الصباح وكتب كتاب مزور على لسان أبو محمد إلى الأمير عبدالوهاب يقول فيـه أما بعد أيها الأمـــير لما فارقتك وطلبت عسكر الروم سرت إلى أن توصلت إلى دير تمليخا فلما دخلت إلى الدير رأتنى جارية تسمى زنانير ابنة الملك صلبوتا فعرفتنى فأمرت بالقبض على وقد أخذتنى أنا وغلمانى وسارت بنا إلى بحيرة الفلك بلاد أبيها وهى بلاد مابلاد مثلها ولـكن المسافة بعيدة تقطع ستة أبحر والبحر السابع بحيره الفلك وهى فى وسط جبل محيط وعلى الجبل أربعين قلعة ليس فيها صعب غير الدخول من بابها لأنهم إذا غلقوا الباب لم يقدر أحد أن يدخل اليهم إلا أن تكون مركب بعد مركب ويكون فيها بضاعة على زى التجار واعلم أننى قد حصلت الحصن الأول وقد سميت نفسى هدية عيسى الى الملك دقيوسا وذلك بعد أن تخلصت من زنانير بحيلة عجيبه ومن جملة مارأيت فى هـــذا الحصن أربعين صندوق ملآنه من الذهب الاحمر فبينما أنا كذلك إذ وصل الملعون عقبة إلى الملك دقيوسا فى رسالة الملك منويل فلما أن رأيته أخفيت نفسى إلى الليل فأخبره الملك دقيوسا بحالى وقال له اعلم ان قد وصل الى فى هذه الايام راهب يقال له هدية عيسى فقال له عقبة أرنى اياه أيها الملك حتى أبصر هذه الهدية فقال له إنه فى مجلس المسامرة وهو فى أعلا الحصن فنهض عقبة ودخل على وهو وحده فلما إن رأيته وثبت اليه وطرحت روحى عليه وخرجت صارخا إلى الملك فلما ان

رآنى وأنا على تلك الحالة جعل يقبل يدى ويقول لى ياهدية عيسى ماوراك وما هو الذى قد دهاك فقلت له أيها الملك اعلم أن هذا الكلب صاحب الملك منويل ماجاء فى رسالة وما جاء إلا جاسوس وانه يريد قتلى فى حجة الرسالة لأنه لما ان رآنى وأنا أريد الخروج من القسطنطينية تقدم إلى وقال لى لم لا جعلت هذه الهدية للملك منويل لأنه كان أولى وأحق بها من غيره فقلت له ليس الأمر إلى وإنما الامر للسيد المسيح لأنه قد غضب الملك منويل لأنه جبان ذليل لأنه يأخــذ مال الروم كل عام ويدفعه للمسلمين وان المسيح بهذا السبب يريد أن يعطى ملك الروم للملك دقيوسا ولا شك أنه قد أخبر الملك منويل بقصتى وقد أرسله اليك رسولا ليحتال على وعليك وإنه لما أن دخل إلى دارى طرح لى سما فى الماء الذى أشرب منه ولولا أننى نظرت اليه بنور المسيح لشربت من ذلك الماء شربة الهلاك فلما سمع الملك دقيوسا كلامى أدعا بخنزير وقدم له ذلك الماء فلما ان شرب منه الخنزير فما استقر فى جوفه حتى سقط لحمه عن عظمه فلما أن رأى الملك دقيوسا الى ذلك غضب على الملعون عقبة وادعى به وضربه وقيده وسلمه الى وقد وضعته فى مطموره فاذا أنت وصلت ومن معك الى ساحل البحر تنزلوا كلكم فى مركب أنت ومن تريده من بنى كلاب وتسير واذا وصلت الى قرب البحر توقف المركب فيأتوك أهل ذلك الحرس ويسألوك عن حالك فقل لهم انك تاجر من تجار الهند ومعك اعدال القطن فيأخذوك ويأتوا بك الى عند الملك فيكون معك مائة بطل وتكون قد عممت السودان بالعمائم وتصنع لهم شعرا طويل ودعه يكون مستعار واذا صرت فى القلعة وملكتها لاخذتم سائر القلاع والسلام (قال الراوى) ثم ان الملعون عقبة لما فرغ من كتابه الكتاب طواه وسلمه لغلامه وقال له خذ هذا الكتاب وسير به الى ملطيه وادفعه للامير عبد الوهاب فأجاب الغلام بالسمع والطاعة وقد أوصاه باليقظة والاحتراز وقد سيره فى بعض المراكب التى للملك دقيوسا فهذا ما كان من عقبة ومادبر (وأما ما كان) من أبو محمد البطال وغلمانه فانه لما أخذته الملكة زنانير من دير النذور كما قد ذكرنا من قبل هذا الكلام وأنزلته فى المركب وسارت به هى ومن معها من الخدام ومازالت سائره الى أن وصلت الى بحيرة الفلك فأرسلت الى أهل القلاع تخبرهم بوصولها ثم انها ألبست البطال ثوب أحمر من لبس النساء وعقدت ذيله ولمت وراءه من الصغار والاطفال وقد جعلت على رأسه بخنق صغير فلما رأى أبو محمــد الى ذلك الحال قال لغلمانه مارأيت فى طول عمرى مثل هذه الجارية ولا أنحس منها ولا أكلب من هذه المقطوعة النخاع فانها جعلتنا مثل الصغار الاطفال وقد بقينا بابه

من بابات الخيال وقد صرنا مساخر يضحك علينا كل من يرانا ولا بد مايحصل لنا منها التعب الكبير والضرب والعذاب الغزير فلا ستر الله عليها ما أعظم شرها وما أقوى فطنتها على صغر سنها فوالله لتشهرن فى هذه البلاد شهره ما مثلها شهره ونبقى عبره ودعوه بين أهل هذه الديار (قال الراوى) وقد انقلبت القلاع والحصون بأهلها لوصول الملكة زنانير وكانوا إذا التقوها يقبلون يديها وأسافل قدميها ولما ان وصلوا اليها سألوها عن هذا الذى معها فقالت لهم اعلموا أن هذا عيار المسلمين الذى يسمى البطال السراق الذى يسرق بنات الملوك ويخرب بلاد الروم ويعمل على قتل الملوك فلما ان سمعوا من الملكة زنانير ذلك الكلام تقدموا إلى عند البطال وصار يصفعوه هو وغلمانه فأقبل لؤلؤ على مولاه البطال وقال له والله يا مولاى لو لطمونا عند كل قلعه لطمة واحدة لكانوا يعمونا فقال له البطال يا لؤلؤ من صبر على مابلاه الله وصل إلى جوار الله

(قال الراوى) ثم إن الملكة زنانير سارت بهم من ذلك المكان ولم تزل سائره إلى أن وصلت إلى القلعة الثالثة والعشرون التى هى لأبوها الملك صلبوتا وقد كان لدخولها يوم عظيم لما قد اجتمع معها من العوام ولما أن وصلت قلعتها خرجت عند ذلك العساكر إلى لقائها وكان فى جملة من تلقاها الحكيم اقليدس فلما ان وقعت عين البطال عليه علم أن ما كان سبب أسره إلا منه فلما قرب منه قال له هكذا تكون الاصدقاء والأصحاب فالتفت الحكيم اقليدس إلى المتكلم فعرفه فقال ابشر يا أبو محمد بالخير فوحق المسيح لأصلبنك أنت وغلمانك بالحياة على هذا الفلك وما أنزلكم من عليه حتى تهلكوا ولاعذبنكم أشد العذاب وبعد ذلك أرميكم إلى الكلاب فقال له البطاب لا بشرك الله بخير ولا سلامة فلما سمع البطال من الحكيم اقليدس ذلك الكلام سكت وقد علم أن ما ينفعه فى ذلك المقام كثرة الكلام هذا وان الملكة زنانير لما أن وصلت إلى قلعتها دخلتها وطلعت إلى قصرها وقد طرحت البطال فى مطمورة هو وغلمانه وقد أوصت عليهم باليقظة والاحتراز ولما أن صار البطال هو وغلمانه فى تلك المطمورة قال لهم اعلموا اننا من ههنا نحشر فقال له لؤلؤ يا مولاى اعلم أننى سمعت الروم وهم يتحدثون ويقولون لبعضهم البعض قد قال الملك صلبوتا انه قد بقى لعيد الدواليب عشرة أشهر وعشرين يوم وتأتى أهل الحصون والقلاع وسائر القسوس والرهبان ونصلب فيه هذا العيار المحتال أبو محمد البطال وغلمانه حتى يشاهدوه الناس جميعا وهو على الدولاب وغلمانه معه وهم الجميع بالحياة ولا يزالوا على الدولاب بالحياة وهو يدور بهم حتى يموتوا ولا يبقى منهم أحد فلما ان سمع البطال من غلامه لؤلؤ ذلك الكلام قال له يا لؤلؤ اعلم انه اذا جاءت نفخة الصور جمعنا من حواصل

الطيور والذى أوقعنا ههنا قادر على ان يخلصنا على اننا والله فى بلاد بعيده وما عندنا احد يعرف المسلمين بأخبارنا فيأتوا الينا ويسعوا فى خلاصنا ولكن ما كان سوف يكون ثم انهم أقاموا فى ذلك المكان وقد كانت الروم فى كل أسبوع يوم الاحد يخرجوهم من المطموره وفى رقابهم الحبال وكل من رآهم يبصق فى وجوههم من النساء والرجال فلما ان رأى منهم البطال ذلك الحال صار يقرأ لهم الانجيل ويلهيهم به ويشرح لهم مافيه من التحريم والتحليل ومافيه من التفضيل وماقيل عن المسيح من بعض الاقاويل ومازال معهم على ذلك الحال حتى تعجبت منه الملكة زنانير وأبوها الملك صلبوتا وجميع البطارقه وقالوا له وحق المسيح لو كنت تنصرت لجعلناك بترك هذه الديار وتكون هذه البلاد كلها بحكمك وكنا نتعلم من علمك لاننا مارأينا قط مثلك يتكلم فى تفصيل الانجيل فقال لهم البطال لما ان سمع منهم ذلك المقال بانرى من كثرة ماعملتم معنا من الإحسان حتى اننا نفارق ديننا وندخل فى دينكم ونحن أيضا فى أسركم وثقل قيودكم وهذا الجوع الشديد ماعليه من مزيد فاخلعوا عنا هذه الثياب وألبسونا غيرها نكون فى زى الرهبان حتى أننا نرى أيما أرجح ديننا أم دينكم ويقيننا أو يقينكم وبعد ذلك يكون مايكون فلما أن سمعوا منه ذلك الكلام رق له قلب الملك وقد صغى لما قال له من الكلام فعند ذلك أمر بتغيير ثيابهم وقد أمر باطلاقهم فقال له الحكيم اقليدس أيها الملك لاتفعل معهم هذه الفعال واعلم انما كلما يقوله هذا الشيطان زورا منه ومحال ولكن أنا أقول لك على كلمة واحدة فان قالها اعلم أن كلما مايقوله صحيح فقال الملك قل مامعك وإن لم يفعل فأنا أصلبه هو ومن معه فى هذه الساعة فعند ذلك أقبل الحكيم اقليدس على البطال وقال له ياأبو محمد أنت تعلم ان هؤلاء مايعرفوك وأنت تريد أن تدبر الحيلة عليهم حتى ان الملك يأمر باطلاقك من القيود وتهجم عليه فى ليلة من بعض الليالى وتنحره وتسرق ابنته الملكة زنانير فلما أن سمع البطال ذلك الكلام من الحكيم أقليدس قال له اعلم أن هذا كلام من لاله فينا غرض فقال الملك صلبوتا للحكيم أيها الأب أنت قد قلت انك تقول له كلمة واحدة فما نراك قلت له شيأ فدع عنك هذه المحاورة وقل له ماقلت لنا عليه فقال له الحكيم اقليدس أيها الملك قل له يتبرأ من محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه فعندها أقبل الملك على أبو محمد البطال وقال له ياهذا قل ماقاله الحكيم أقليدس فقال أبو محمد أيها الملك أنا ماتنصرت حتى أتبرأ من دينى وإنما قلت لكم احسنوا إلينا فان طابت قلوبنا ان تدخل فى دينكم فعلنا ذلك وإن لم تطيب قلوبنا به افعلوا بعد ذلك بنا ماشئتم أن تفعلوا فقال له الملك صدق فيكم الحكيم أقليدس ثم ان الملك بعد ذلك الكلام أمر بهم إلى حبس البيعة وكان حبس البيعة ن مكاحصين وعليه

سبعة أبواب من الحديد فعند ذلك مضوا بهم إلى البيعة وأنزلوهم فى تلك المطمورة بعد ماوضعوا فى أرجلهم القيود وقد أوصى عليهم الملك الموكلين بهم أن لا يطعموهم إلا فى ثلاثة أيام مرة واحدة ثم ان الملك قدم على الموكلين عليهم بطريق جبار اسمه مرطاوس وكان هذا البطريق لعنه الله من تجبره إذا غضب على أحد من الناس لا يهدى حتى أنه يشرب من دمه هذا وقد قال له الملك احتفظ بهؤلاء الأسارى لأنى أريد أن أصلبهم يوم عيد الدولاب فتسلمهم ذلك الملعون وقد أنزلهم فى تلك المطمورة وصار يعذبهم فى كل يوم ويقول لهم اعلموا أن الملك قد قال إن لم يتبرؤا من دينهم فلا ترفع العقوبة عنهم فقال له أبو محمد اعلم ياهذا إننا مانشرك بالله شيأ وقد ألهم الله أبو محمد وغلمانه الصبر فصبروا على ذلك العذاب وقد أقاموا فى ذلك المكان (قال الراوى) فهذا ما كان من البطال وغلمانه وأما ما كان من الملك صلبوتا فإنه أرسل الرسل إلى الحصون والقلاع أن يحضروا إلى كنيسة القدرة ولا يتخلف أحد ليحضروا صلب البطال وغلمانه فما كانت إلا أيام قلائل حتى وصلت الملوك إلى القلعة من سائر الحصون والقلاع والبلاد والرساتيق والضياع وكانوا إذا دخلوا إلى كنيسة القدرة يقدمون إليها النذور وإليها يتقربون ومن التصاوير التى فيها يتعجبون ولما أن يفرغوا من عبادتهم إلى السجن يمضون يريدوا أن يتفرجوا على البطال وغلمانه فيمنعهم البطريق مرطاوس ويقول لهم ليس لكم إلى ذلك من سبيل حتى يأتى يوم العيد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما كان يوم العيد أقبلت الروم إلى الكنيسة يتهارعون وان أقليدس دخل إلى صلبوتا وقال له أيها الملك قد عولت ان أجعل رجلى البطال إلى رجلى غلمانه وأسمرها فى الفلك بالمسامير الذهب وأجعلهم على هيئة الصليب ويدور الفلك بهم ويكون تحتهم عشرة آلاف قس ومطران يتلون الانجيل بأحسن الالحان وأقول للبطال ياأبو محمد ان كان دينك حقا فانت تخلص من هذا البلاء الذى أنت فيه فقال له الملك صلبوتا افعل ماتريد ثم أعطاه ما يحتاج اليه فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من الملكة زنانير فانها جمعت بنات البطارقة الحسان الموصوفات بالحسن والجمال وكان عدتهم أربعة آلاف بنت وقالت لهن لا تأتى واحدة منكن الا وهى مزينة بأفخر ماعندها ففعلن ماأمرتهن وقد أشرقت الدنيا لحسن جمالهن ولبسهن هذا والملكة زنانير كالقمر المنير لحارت قبائل الروم من حسنها وجمالها ولم يبق أحد من الروم إلا وخطبها من أبيها فقال لهم اعلموا ان أمرها مسلم اليها واعلموا ان مقامها فى بستان الدار هى وصويحباتها من الجوار وأنا ما أردكم عنها بل أمضى معكم اليها وأعرضكم عليها فن أرادته كان زوجها فلما سمعت الملوك كلام الملك صلبوتا قالوا بأجمعهم لقد أنصفت ثم بذلوا فى صداقها الاموال حتى بلغ مهرها

عشرة آلاف مثقال ذهب معجلة غير مؤجلة ومن ثياب الاطلس وعقود الجوهر وحجارة الياقوت الاحمر ومالا يضبط ولا يحصى فعند ذلك قال لهم الملك صلبوتا يمضى كل منكم إلى موضعه الذى هو نازل فيه ويلبس أفخر أثوابه ويرجع حتى نسير اليها فمضت الملوك إلى خيامهم ولبس كل واحد منهم ماقدر عليه من اللبس والزينة ثم رجعوا كانهم زهر البستان فى غرائب الألوان فلما رآهم الملك صلبوتا قد أتوا على هذه الصفة أكرمهم غاية الاكرام ثم أخذهم صحبته وسار بهم إلى ان وصل إلى البستان ودخل بهم على ابنته وسلم عليها فنظرت الملوك إلى زنانير وهى جالسة على كرسى من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر والجوارى من حولها كأنهن الطواويس وبين يديها طاس من الذهب الاحمر فيه خمر قد راق كانه العقيق أودموع العشاق ومافى أصحابها البنات إلا ومن فى يدها شىء تغنى به آلة الطرب وبين يدى الملكة زنانير قانون من العود الرطب عليه أوتار من الابريسم والجوارى يغنون بالنوبة حتى انتهت بالنوبة إلى الملكة زنانير فلم يبق أحد من الجوارى الاقام اليها وقبلن يديها وسألتها السماع من نغمتها فقالت لهن سمعا وطاعة ثم انها أخذت القانون وأصلحته وغنت عليه بالرومى فلم يبق أحد من الروم وأبناء الملوك إلا وقد صار لها شبه المملوك ثم انها أقبلت عليهم وقالت لهم وحق المسيح لاغنين لكم بالعربى فما فى اللغات أطيب منها ثم رفعت صوتها وأنشدت تقول

الشمس قد لاحت تحاكى الخمر مستترات فى نجوم الزهر
ونحن ما بين بدور الخدر ثقال ردف ناحلات الخصر

(قال الراوى) ثم انها غيرت الايقاع وأنشدت تقول

يا عاتبى عن صبوحى ما أنت لى بنصوح
الراح روحى ومالى صبرا على فقد روحى
فدع ملامك فيها أنشدت غير صحيح

(قال الراوى) وعمل السكر معها فاحمرت وجناتها وغزلت عيناها فلم يبق أحد من الملوك الاو تمناها ولم يزالوا على ماهم عليه حتى بقى للعيد يوم واحد فحملت اليهم موائد الطعام وعند انفصالهم من الاكل وثب كل منهم قائما على قدميه وأشار إلى الأرض لاثما بيديه وجعل يصف نفسه وملكه ويبذل لزنانير ما يملكه فلما سمعت كلامهم وعرفت مرامهم قالت لهم وحق المسيح والانجيل الصحيح لقد كدرتم علينا صفو عيشنا على انى لاأريدكم الا على الوجه الجميل لانكم ضيوفنا وزوارنا وأنا أعلمكم انى رأيت المسيح فى المنام

وهو يقول لى لاتتزوجى الا بمن اذا صارعتيه فيصرعك وقد رضيت بهذا الشرط فقالت الملوك رضينا بما قال به السيد المسيح فقالت ومن لم يصرعنى وأصرعه كان لى عليه عشرة آلاف دينار فى مقابلة عنافى له فى المصارعة وشد الزنار

(قال الراوى) فلم يبق أحد من الملوك الا وأجاب إلى ذلك فقامت قائمة ونزعت الاثواب التى كانت عليها وبقيت فى غلالة انطاكى يبان منها جسمها وهو كانه الورد فى أيام نيسان فروعت قلوب البشر وصرعتهم بالنظر قبل الصراع وعـــلا منهم الضجيج والنزاع وكل واحد منهم يريد أن يكون الاسبق إلى الصراع وصاحت بهم ياويلكم اقلوا من صياحكم واطرحوا القرعة بينكم فمن وقعت عليه يخرج إلى صراعى فعند ذلك تصارعوا وقد حضر البترك والحكيم أقليدس ليشهدوا على الغالب من المغلوب فلما تقارعوا وقعت القرعة على الملك شمشمونا ففرح وقال نذر على للبيعة الفلانية وصدقة للملة المسيحية عشرة آلاف دينار فعند ذلك خرجت اليه الملكة زنانير وتدانيا بعضهما من بعض وتقابضا ووقعت يد الملك شمشمونا على خصر الملكة زنانير فغاب رشده وسال لعابه فطرحت روحها عليه ولطمته بين كتفيه وإذا أعلاما فيه رجلاه فانصرف وهو خجلان وليس له عقل ولا جنان وأخذه الصياح من كل جانب وكان عليه ذلك الصياح أشد من ضرب الصفاح (قال) ولم تزل الملكة زنانير تصرع واحد بعد واحد حتى صرعت الملوك كلهم ورجعوا من عندها بالخيبة إلى خيامهم وقالوا وحق المسيح ان الصراع ماهو من شأننا ولو كان معها انصاف لدعتنا إلى مقام الحرب والمصاف فلما بلغها ذلك وقالت لهم غداة غد يكون ماذكرتم فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الملوك بأحسن زينة تكون وركبت الملكة زنانير على حصان أحمر بحسنه يذهل المنظر ثم قالت لابيها صلبوتا بحق عليك ياأبتاه أخرج المسلمين فما بقى لهم فى الحياة غير هذين اليومين ونصلبهم لانهم يزعمون ان مافى الدنيا أشجع من الامير عبد الوهاب وامه ذات الهمة وأبطال المسلمين وأريد ان ينظروا اليوم ماأصنع بالملوك وأقول لهم هل تقدروا أنتم وأميركم أو أحدا من أبطالكم على هذا فقال لها أبوها السمع والطاعة (قال الراوى) فألقوا القرعة بينهم كما فعلوا فى الصراع فوقعت القرعة على الملك شمشمونا وكان أكبرهم سنا وأوفاهم عقلا وذهنا وكانت زنانير قليلة الرغبة فى الشباب فكيف الشيوخ الشياب فأقبلت على جوادها وقالت أسأل المسيح أن لايجمع بينى وبين هذا الشيخ هذا وقد أخرج الملك صلبوتا أبو محمد وغلمانه من السجن كما طلبت ابنته وان الملكة زنانير حملت على الملك شمشمونا وحمل عليها وكان على جواد أدهم عالى ململم كانه العقاب الكاسر أو النسر الطائر كما قال فيه الشاعر

وأدهم بصاص السواد كانه صدود حبيب أو نميمة كاشح
يفوت وميض البرق فى حال جريه ويسبح فى بحر من النقع طافح

(قال الراوى) وبيده قنطاريه خلنجية عليها سنان كانه لسان ثعبان وقد أخرجوا أبو محمد وغلمانه من الاعتقال وقد أزرى بهم الحال وبقوا كانهم الخلال وقد عبروا بهم الحمام وغسلوا رؤسهم وصلوا مافرض الله عليهم وأمرت لهم الملكة زنانير بما يقوى منتهم فأتوا لهم بكبش فذبحه أبو محمد البطال وأصلحه وأضرم النار وجعل يقطع ويشوى ويأكل هو وغلمانه إلى ان اكتفوا (قال) وان الملك شعشعونا والملكة زنانير فتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وجالا مليا وتعاركا وقيا وأخذا فى الكر والفر والاخذ والرد وكان تحت الملكة زنانير فرس أحمر أقب مضمر كانه العقيق أو شعلة حريق يفوت الأسد فى وثبته والنمر فى وقاحته والثعلب فى روغته ثم ان الملكة زنانير وثبت من على ظهر جوادها إلى الأرض وتمت معه فى جريانه مقدار رمية نشاب وعادت إلى سرجها من غير ان تضع رجلها فى الركاب ثم حذفت القنطارية إلى ان غابت عن أعين الناظرين وقامت قائمة فى السرج وخطفتها من الهوى ولعبت بها لحيرت العقول وتركت المعانى معلول فقال أبو محمد وحق مرسى الجبال ومحصى كثبان الرمال ماعلى وجه الأرض فى الطول والعرض من هو نظير الملكة زنانير ولقد ظفرت بالملك شعشعونا ولو شاءت لكان مطعونا (قال الراوى) ثم ان الملكة زنانير جالت على الملك شعشعونا وعلمت عليه فى ثلاث ولو أرادت طعنه لطعنته ثم قالت أيها الملك وحق المسيح لولا ان منزلتك عندنا عزيزة لقصدت بالقنطارية إلى صدرك أخرجت سنانها من ظهرك ولكن لك الحرمة الازلية والمنزلة العلية ولا ننكر جيلك ولا نهدر ماسبق الينا من صنيعك فارجع من حيث أتيت واطلب عروسا غيرى (قال الراوى) فرجع الملك شعشعونا وخرج اليها ثانى فأسرته وثالث فأفضحته ورابع فقهر وخامس فعلمت عليه وسادس شوشت خاطره وطعنته وسابع حيرته وثامن أذهلته وتاسع بأذياله عرقبته وعاشر أضجرته ولم تزل إلى ان قهرت الجميع وقالت لهم وحق الانجيل لو أردت أذيتكم اتركتكم مابين قتيل وجديل

(قال الراوى) لحين ذاك فعلها أبوها الملك صلبوتا سعى نحوها وقبل صدرها وقال لها وحق المسيح لقد فقتى بها الفعل المليح ياصاحبة الوجه الصبيح واللسان الفصيح والعقل الرجيح ثم إن الملكة زنانير أقبلت على الأمير أبو محمد وقالت له كيف ترى هذه الفعال يا بطال فقال لها أبو محمد وحياتك يازين الخصال مارأيت قط هذه الفعال الا للاميره ذات الهمه ولكن لكى الفضل علينا أيتها الملكة بجمال هذه الصوره الفتانه فكانكى غزاله عطشانه

أو حصان برج فى ميدانه فالبدر يطلع من مطالع أزرارك والسعد مساعد لمن يكون صاحب دارك ولو كنتى سمحتى بنفسك للملك شمشمونا لانه فارس الخيل شديد القوى والحيل وبالله ماقهره إلاهواكى ولا ملكه الاعيناكى ولقد شهدت له الشجاعه بأنه فارس دهره ووحيد عصره ولقد سمعت الروم يصفونه ويثنون عليه ويقولون ان ماله فى الأرض عديل وأشار إلى زنانير يقول

حويتى زنانير جميع الصفات ... وأدركتى ماأعجز العالمينا

وقد حزتى كل أكرومة ... بلغتى بها غاية السابقينا

وأبهر حسنك جميع الانام ... فأدركتى منه المكان المكينا

وقد شعشع النور فى وجنتيكى ... فتيم بنظرته شمشمونا

فجودى عليه بوصل يسر ... فؤادا كئيبا وقلبا حزينا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فقالت الملكة زنانير أحسنت ياأبو محمد ولكن وحق المسيح مالى فى الرجال رغبة ولا يطلب قلبى إلا ربات الحجال ولو طلب قلبى غير ذلك لاوقعته فى المهالك ثم ضحكت فأشرقت الدنيا من جمالها البهى وسواد شعرها الديجورى وبياض ثغرها اللؤلؤى فقال اولو يا أبو محمد قتلتنى وحق كلمة الاخلاص المنجية يوم القصاص ولقد حار عقلى فى حسنها وجمالها وبهائها وكمالها وقدها واعتدالها فقال له الأمير أبو محمد ويلك ماعندك شغل شاغل مما نحن فيه حتى تتلاعب على بنات الملوك فقال اولو يامولاى كل محنة نزلت عليك لما رأيت نورى فى الدير قد نزلت على أضعافها فقال له أبو محمد ويلك ان المحنة قد نزلت علينا كانا من يوم رأيناها ونظرناها وقعنا فى الصفود وثقل القيود وغدا نصلب على هذا الدولاب ولا يحسب لنا حساب ونعذب بأنواع العذاب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع اولو كلام مولاه جرت دمعته على وجنته وأنشد :

كف الملام أبا محمد واعذر ... وانظر لخود ذات طرف أحور

من جفنها رمت القلوب بأسهم ... تردى حشاشة كل ليث قسور

فاذا بكى العانى تبسم ثغرها ... مابين أصداف اللآل وجوهر

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع أبو محمد من اولو ذلك الشعر صعب عليه وكبر لديه وقال فى نفسه لايكون إذاعاين الصلب يحمله العشق والهوى أن يكفر ويتنصر فلاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم أدفع بها ماأطيق وما لاأطيق ثم اراد أبو محمد ان يكشف مافى قلب اولو فقال له اولو اذا قضى الله علينا وشدونا على هذا الفلك كما أشار عليهم

هذا الملعون أقليدس وشمروا أيدينا وأرجلنا فاظهر لهم يا لؤلؤ التنصر لعلك تسلم من القتل وتكون ههنا مقيما تتمتع بالنظر إلى هذه الملكة زنانير إلى أن يفرج الله عنك وترجع إلى بلاد الاسلام فقال لؤلؤ يامولاى هذا كلام مثلك لمثلى وتعلم أن هذا الحكيم أقليدس لا يرضى منا بالنفاق الا أن نكفر بالملك الخلاق ونتبرأ من صاحب البراق الذى عرج به الى سبع طباق فقال له أبو محمد ولم لاتفعل ذلك يا لؤلؤ فقال لا وحق من رفع سرادق القيوم وعلم ما فى قرار التخوم الحى القيوم لا أشد زنار من أجل زنانير ولا أشرك بالملك القدير ولا أتبرأ من البشير النذير السراج المنير وان أراد الله أن يجمع شملى بها كما جمع شملك بنورى فهو القادر وان مت دون ما أملته فأكون شهيد فأنا أرجو من الله أن تكون زوجتى فى الدار الآخرة ان مت على هذه الأفلاك الدائرة فقال أبو محمد بارك الله فيك يا لؤلؤ والله ماعملت معك هذا العمل ولا تكلمت هـذا الكلام الا على سبيل الاختيار خوفا عليك من عذاب النار وان تحشر فى زمرة الكفار فقال له ياسيدى اننى من خجلى منك ماقدرت أن أبوح بما فى قلبى لاجل مانحن فيه من ذل الاسر وغلبة القهر لكن نفسى لاتحدثنى يوما بعصيان الله تعالى ثم ان لؤلؤ انتحب وبكى وناح وأن واشتكى وأنشد وقال :

دين النصارى هو الدين الذى سلبت	عقلى به فتنة الدنيا زنانير
رعبوبة ملكت رقى محاسنها	فصرت فى حبها والله معذور
غريبة الوصف فى أعصابها خفر	منه تحيرت الولدان والحور
رشيقة القد فى أعطافهـا هيف	تردى الانام بمقتول ومأسور
تملكتنى بطرف ساحر فتنت	به القلوب وعاد القلب مسحور
وكنت أسمع عنها كل مكرمة	من حسن أخلاقها الآتى لها نور
حتى اجتمعت بها فى محفل شمم	والخير عند أولى الألباب محبور
وقد حكى الغصن لينا فى رشاقته	والغصن من خجل والخد مهصور
وحاجب كنت أبدى وصف كحلته	لأن عاشقه فى ذاك معذور
فهل الى قربها وصل أسر به	كما يسر أخا الفقر الدنانير

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وان أبو محمد لما سمع كلام لؤلؤ وشعره ونظمه ونثره دمعت عيناه وقال إنا لله وإنا اليه راجعون فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك شمشمونا فانه بلغه من بعض خواصه مدح الامير أبو محمد البطال والثناء عليه وما قاله فى حقه عند الملكة زنانير وانه بالغ فى وصفه فأعجبه ذلك من أبو محمد

قال وإن الملكة زنانير فانه انقطع طمع جميع الملوك عن زواجها هذا جرى من أمرها وقد جاءت ليلة العيد وانتظروا الناس صحة المواعيـــد وإن الحكيم اقليدس جعل يحرض الناس على هلاك البطال وغلمانه ويقول لهم سوف يرضى عنكم المسيح بحضوركم الى هلاك هؤلاء الذين أخربوا بلادهم الروم وفعلوا كل فعل مذموم ويقول عن أبو محمد هذا قاتل الرهبان هذا مخرب بيوت كل قس ومطران هـــذا سارق بنات البطارقة هذا مهلك العمالقة وبينما الحكيم اقليدس فى هذا الكلام واذا قد وصل مركب من القلعة الأولى وهى قلعـــة الملك دقيوسا الى الملك صلبوتا وفيها هدايا وتحف وفيها أيضا القسوس والرهبان ومعهم كتاب من الملك دقيوسا الى الملك صلبوتا وهو يعتذر من تخلفه عن العيد ويقول فى كتابه أيها الملك قد سيرت اليك هدية المسيح عيسى فالواجب عليك وعلى أهل ملة النصرانية اكرامه واحترامه فهو شيخ الرحمة وصاحب سيف النقمة والمشير بالخير على الملوك والمشفق على كل غنى وصعلوك والناطق بالصواب والحافظ لكل كتاب هادم المساجد ومخرب المشاهد (قال) فلما وقف الملك صلبوتا على ما فى كتاب الملك دقيوسا ووصيته بهدية عيسى ثم أمر حجابه وأصحابه أن لا يخرجوا إلا بأسوار الذهب والفضة والشمع المكوفر ومباخر العنبر وان يخرج فرس النوبه بالسرج الجوهر وان ينثروا على رأسه عند دخوله ألف دينار من الذهب الأحمر لأن هذا مفروض علينا ان نفعله وببركته ينزل المسيح علينا البركة وعلى فلكنا وهذه دلائل قد ظهرت علينا وبراهينه قد اشتهرت وجاءنا هذا الأمر من حيث لا نحتسب وأول الغيث قطر ثم ينسكب ثم ان الملك صلبوتا بكى وقال لولا أن المسيح رحمنى لما كان بعث هذه الهدية إلى وجاد به على وما هذا كله إلا ببركة المسيح وابنتى صلبان التى ترهبت فى دير النذور ثم ان الملك تجهز إلى لقاء هدية عيسى (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان عقبة لما كتب ذلك الكتاب إلى بلاد الاسلام وزوره على خط أبو محمد البطال إلى الأمير عبد الوهاب وأرسله صحبة غلامه يوحنا الكرجى ثم أقام عقبة منتظر بجيئهم وفى قلبه من أبو محمد نار لا تطفى ولهيب لا يخفى وقد علم أنه فى قلعة الملك صلبوتا وقد وصل كتابه إلى دقيوسا يخبر أنه يوم العيد يصلب أبو محمد وغلمانه فى تلك القدرة فان أردت أيها الملك أن تحضر هذا الموسم فاستخلف ولدك دقيانوس مكانك وتأتى لتحضر صلبهم فلما وصل اليهم ذلك الكتاب قال دقيوسا أنا من يوم دخلت الكرج من باب البحر نذرت على نفسى أن لا أرجع أغيب عن موضعى (قال) ولما سمع عقبة ما فى ذلك الكتاب ووقف على مقال الملك قال للملك دقيوسا اعلم أيها الملك انى ما أقعد عن مثل هذا العيد وأريد أن أحضر قتل عيارين المسلمين وأشفى قلبى

من هؤلاء الشياطين وفى حضورى أيها الملك ثواب عظيم وانى أنشر أيضا ما أعطاك المسيح من فضائله وأعرفهم قدرك ويرتفع ذكرك وتهابك ملوك القلاع والحصون والضياع والأماكن الرفاع (قال الراوى ياسادة) فلما سمع الملك ذلك كلام عقبة قال له إذا كان الأمر على ماذكرت والحال على ماوصفت فأنا ماأمنعك بل تسير من وقتك هذا وتشهد العيد وصلب العيارين من اصوص المسلمين ويكون ولدى دقيانوس فى خدمتك ويسمع مقالتك فقال عقبة سمعا وطاعة ولكن أريد أيها الملك أن تكون على يقظة من أمرك فاذا وصلوا إليك المسلمين الذين قد احتالت عليهم وكاتبتهم على لسان العيار وما بعثنى المسيح إلى هذه الديار إلا لأقلع منهم الآثار فاحرص أيها الملك على القبض عليهم فيكون لك الفضل على سائر الملوك فاذا أخذتهم أيها الملك وقدرت عليهم تخرج إلى بلاد الاسلام وتملكها وتفتح البلاد وتسبى العباد وعلى أيها الملك أن افتح لك مدينة القسطنطينية ويكون سرير ملكك بها فلما سمع الملك دقيوسا ذلك من كلام عقبة فرح فرحا عظيما ثم ان القاضى عقبة ركب فى مركب لطيف وأخذ معه ولد الملك وأرباب دولته وخواص مملكته ورفع على رأسه صليب من الذهب وسارت بهم المركب ليلا ونهارا حتى لا يفوتهم العيد وصلب أبو محمد وغلمانه ولم يزالوا حتى وصلوا إلى قلعة الملك صلبوتا وان عقبة بعث اعلمهم كما ذكرنا وتكرر الأمر على ماوصفنا من دخولهم وبقيت الروم منتظرين هدية المسيح وشوقهم إلى النظر إليه أكثر من شوقهم الى عيدهم ومن صلب أبو محمد وغلمانه وان الملك صلبوتا قال للحكيم اقليدس أيها الراهب ان الملك يريد سياسة وتدبير ونحن برأيك نستشير فما تقول فى هؤلاء وصلبهم على الدولاب قبل قدوم هدية المسيح فقال الحكيم هذا هو الرأى السديد والأمر الحميد فلما أصبح الصباح أرسل البطارقة خلف أبو محمد وغلمانه أن يحضرهم من السجن فلما وصلوا اليهم سمعوهم وهم يندبون ويبكون وأبو محمد يتلو القرآن ويتضرع الى الرحمن ففتحوا عليهم وأخرجوهم من السجن وأتوا بهم الى عند الحكيم اقليدس وأوقفوهم تحت الفلك وهو يدور من شدة الرياح فلما نظروا إلى ذلك وان الحكيم يريد ان يشدهم على الفلك قالوا كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ندفع بها ما نطيق ومالا نطيق ثم تذكروا الأوطان والأحباب والخلان فبكوا على أرواحهم غلمان أبو محمد البطال فقال لهم ياأولادى اعلموا اننا نصير إلى أوفى مما نحن فيه من الثواب وجوار الملك الوهاب عوضا عن جوار عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان الانجاب وانى والله العظيم فرحت بهذه الموته فى بلاد الغربه والبعد عن الأحبه بأيدى الكفار أهل النار وان موت الغريب شهاده وسعاده والثانى لا يشمت بنا عقبة

ولا يدرى أى موتة متناها ولو كان الملعون عقبة بلغه خبرنا ما كان يقصد عنا وما كان يقتلنا حتى يعذبنا بأنواع العذاب فقال اؤاؤ ياامولاى بعد ان تكون موتتنا قد حضرت على هذا الدولاب فما نبالى بمن حضر وغاب وهذه نوبه ما كانت لنا فى حساب ولكن روحى والله الفدا للملكه زنانير طلعة القمر المنير فقال له سبك دعنا يااؤاؤ من هذا فلسعت زنانير الزنابير فلولاها ماكنا فى هذا التعبير (قال الراوى) فصاح عليه اؤاؤ ياويلك هذا وقت خصومه وما بقى من حياتنا الا بقدر مايذهب الظلام ثم ان أبو محمد تمثل بهذين البيتين

ياليل ياليل كم ترحل ‌ ‌ ‌ ‌ بالله بسك تفريق المحبين
بالله ياليل أقم ساعة ‌ ‌ ‌ ‌ فالصبح منا موعد البين

(قال الراوى) ثم ان أبو محمد جعل يتلوا القرآن ويسأل الملك المنان ان يمن بالتوبة والغفران ويقول اللهم اجمع بينى وبين الأمير عبد الوهاب فى جنة مفتحة الأبواب مع النبي الأواب وابن عمه أبا تراب صلى الله عليه وعلى الأقارب والأحباب مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (قال الراوى) ولما ذهبت غياهب الظلام وأقبلت كتائب الضيا بابتسام فعند ذلك امر الحكيم اقليدس ان يجعلون حبال الابريسم فى بكر الفلك وأخذوا الامير أبو محمد وغلمانه وشدوهم عليه على هيئة الصليب وجعلوا رجلى أبو محمد إلى رجلى سبك وكذلك اؤاؤ وجوهر وقد صاروا صليبا فحل الفلك من الرباط وجعل يدور بهم ولم يسمروا أيديهم وأرجلهم خيفة عليهم من الموت هذا وقد صبروا صبر الكرام على قضاء الملك العلام فدار بهم الفلك مثل البرق الخاطف والرعد القاصف فغاب عنهم صوابهم ونسيوا أصحابهم واشتغل كل منهم بالآخره الا انهم جعلوا يتشهدون ويوحدون الله تعالى وقد دارت رؤسهم وسلبت نفوسهم ولم يقوايعوا على ارواحهم هذا جرى من أمرهم وماطلع النهار حتى ركب الملك صلبوتافى خواصه وحجابه واضرموا النار فى المباخر بالعود والندوالمسك وخرجوا إلى لقاء الرحمة المصبوبه على عباد المسيح (قال الراوى) لهذه السيره وذلك انهم لما رفعوا الامير أبو محمد وغلمانه على الفلك هيئة الصليب وعذبوهم غاية التعذيب نادى منادى فى البلدان لا يتخلف أحد عن الخروج من الشبان والكهول والعالم والجهول وجميع البنات والنسوان المخدرات ومعهم أطباق الفضه والذهب وفيها النثار وهم على غاية من الفرح والاستبشار وانقلبت الاقاليم بأهلها وانقلبت الروميات كانهن البدور وقد أمرتهم الملكه زنانير بأن لا يتخلف منهم كبير ولا صغير وان يظهروا زينتهم فخرجوا كانهم الحور والولدان وقد غفل عنهم

رضوان وتحير من حسنهن الانس والجان وقد قالت بنات البطارقة للملكة زنانير على سبيل المجون يا ملكة لا يكون هدية عيسى يصعب عليه كوننا لابسات بغير سراويل وتبان أيدينا من تحت قمصاننا وتنهتك الستور ويبان المخبي والمدخور فقالت لهم زنانير وحق المسيح ان هدية عيسى اذا رآني ورأى بدني ورقة خصري وبياض جسمي ولؤلؤ ثغري وطي أعكاني واصطحاب سيقاني وغلظ أوراكي وتحقيق سرتي واحمرار وجنتي يسيل رياله وتتغير أحواله وطوبى له ان لطم نهدي وعانقني والثم خدي لكان ذلك عنده احلى من شراب الخندريس لا سيما في ليلة الخميس (قال الراوي) فضحكوا الجوار من قولها وقالوا لها وحق المسيح والاعتقاد الصحيح لقد صدقتي في قولك وان هذه الصورة يفوق صور البشر وتحير البصر ثم أطالوا النظر اليها الجوار واشتغلوا بشمس النهار وهي تميس وتتمايل وتتقصف وتتدلل وقد شخصت الاعين اليها وانعطفت نحوها عليها وتعجبوا من حسن مقدمها وعلو مؤخرها وسواد شعرها وفتنات سحرها وجمال وصفها وغريب طرفها وترجرج ردفها (قال الراوي) فعادت العقول مسبيه وأصبحت الانفس سكارى بتلك الصورة اليوسفية وقد هتكت أهل دير النصرانيه ولم يبق أحد الا وتمنى ان تكون له قنيه وان تكون تحته ملطيه وأخذ الفحول الرعاف من نظر تلك الاطراف (قال الراوي) ووصلوا إلى عقبة في تلك الاهبه وأعوذ بالله ان يكون لقاء ذلك الشيخ الفاسق إلا بما يغضب الملك الجبار الخالق ولما وصل الملك صلبوتا إلى الساحل ترجل عن حصانه وكذلك ترجلت سائر أصحابه وصعد عقبة من المركب وابن الملك دقيوسا وحجابه تحجبه وجميع البطارقه كذلك ولم يبق أحد إلا وسجد له من النساء والرجال لعظم هيبته ثم تقدمت الملكه زنانير اليه وسلمت عليه فنظر الملعون عقبه إلى البدر المنير وقد أشرقت الدنيا بالضياء والتنوير ثم انها باست له الأرض ورفعت عجز يعجز الفارس عن الصعود اليه أو يرمق بطرفه لديه وكان الملعون عقبه إذا نظر إلى عجز جارية سوداء روميه يطيش عقله ويندهل لبه كيف وقد نظر إلى الملكه زنانير التي تشبه الحور العين وتدانيها لكمال معانيها والصفات التي هي فيها فسبحان باريها ومنشيها وان عقبة لما نظر اليها وإلى سجودها فاشتهى الملعون ان يكون رأسها إلى حوأبيها الغاية يبتغيها فقال يابنيه سمعت عن السيد المسيح انه قال من سجدت لابيها رضيت عنها فلما سمعت زنانير كلام عقبة سجدت لأبيها فشاهد الملعون عقبه ماأذهله وحير لبه وقال في نفسه ما كانت سغرتي في هذه التوبه الامباركه ثم رمى روحه عليها وجعل يقبل رأسها وثغرها وعينيها ويقول لقد قرت عيني من هذه ابنته فقالت الملكه زنانير لما زاد الشيخ النحس عليها في

التقبيل وحق المسيح ماجاءنا هديه وأحسن من هذه الهديه وأما الملوك فانهم قالوا وحق المسيح مارأينا قط أحسن من هذا الشيخ النجيح لانه من حيث صعد من المركب ماله شغل الاعناق الملكه زنانير والتحسيس والتقبيل فى موضع لووزنا أموالنا وماملكت أيدينا لما قدرنا عليه ولا وصلنا اليه (قال الراوى) ثم ان عقبة رفع صوته بتلاوة الانجيل فارتج الحصن والقلعه من نغمته ووقعت الروم على وجوهها من حسن تلاوته ثم ساروا بين يديه حتى وصلوا إلى الفلك وهو يدور بالبطال وغلمانه فقال عقبه ماهذا الذى يدور على الفلك فأخبروه بالحديث فصلب الملعون على وجهه وقال كيف فعلتم هذا قبل حضورى فقالوا وحق المسيح مافعل هذا إلا الحكيم اقليدس وهو الذى عجل عليهم بالصلب

(قال الراوى) فلما رأى الحكيم اقليدس ماحل بعقبة من الحرد والغضب امر البطارقه ان تجذب الحبال ففعلوا ماأمرهم فنزل الدولاب إلى الأرض وإذا بالامير أبو محمد وغلمانه ليس فيهم من يعقل على روحه فجعل عقبة يتلطف بهم ويرش على وجوههم ماء الورد فلم يفيقوا إلا بعد ثلاثة أيام وكان أول من تكلم الأمير أبو محمد البطال فقال لاإله الاالله محمد رسول الله فضحك عقبة وقال ياأبو محمد هذه كلمه كانت سبب صلبك وهى الآن سبب عذابك وضربك فلما وقعت عين الأمير أبو محمد على عقبة عظم عليه وكبر لديه وقال لغلمانه وحق الملك الوهاب لابد لهذا الملعون مايعذبنا بأليم العذاب فقال لؤلؤ يامولاى بعدما رأيت حبيبة قلبي زنانير ماأبالى بأى موتة اموتها فقال له الأمير أبو محمد ويلك يالؤلؤ ماأطمعك فى شيء هو عنك بعيد وهذا كلام لايليق منك سيما فى هذا الوقت وقد رأيت ماجرى منها على ملوك الروم وذلك ابغضتها فى الرجال لاسيما وقد حضر شيخ الضلال والذى أعلمك انى رأيت فى بعض أمكنة الحصن قطعة بنج اقريطيشى فان هم ردونا إلى السجن فأنا أدبر فى خلاصنا ان شاء الله تعالى واتوصل الى الملك شمشدو ناصاحب قلعة الجوزاء وآخذ عليه العهد والميثاق انني اذا سرقت له الملكه زنانير يخلصنا مما نحن فيه وربما نتمكن من الملعون عقبة على اننى متعجب من وصوله الى ههنا فقال لؤلؤ والله يامولاى ان فعلت هذا اغمزتهم عليك وفضحتك ودع يقتلونا جميعا ثم انه أشار إلى مولاه يقول.

قل لمن فى أرضهم قد اسرونا ... ويحكم فى حبكم ماتنصفونا
قد شربنا من هواكم قدحا ... وبلينا بالهوى ما تسعدونا
يا مقيمين على هجراننا ... عاودونا فى هواكم عاودونا
مالنا عندكمو ذنبا سوى ... اننا قوم خلقنا مسلمينا
ورسول الله اعنى أحمد ... ذخرنا كنز الكرام المجتبينا

أيها البطال ماتنصفنى قد عركه العشق دهرا وسنينا
أنت جننت بنورى مثل ما بزنانير جننا فاعذرونا
أخلص العهد لرب قادر ان يخلصنا كما قد أسرونا
ان سرقنا هذه الشمس التى نورها يسلب عقول الناظرينا
انها لى دونكم جارية لاتمكن من منايا شمشمونا

(قال الراوى) فلما سمع الأمير أبو محمد شعر غلامه اوّاوّ بكى وقال له ياوّاوّ قدنذرت لله نذرا ان خلصناوقدرنا عليها فهى لك ان سلمت ممن يأخذها منك فى بلاد الاسلام فطاب قلب اوّاوّ لما سمع كلام مولاه وخف عنه بلواه فهم كذلك واذا بالغلمان قد سحبوهم الى الدار التى فيها عقبة ووضعوا فى أرجلهم القيود الثقال ولما خلى بهم عقبة قال لهم أهلا وسهلا ياويلكم قد صرتم من الاملاك تدورون بدوران الأفلاك فقال له لوّاوّ الحمد لله الذى جعلنا من الاملاك نقدس الله تقديس ونلعن ابليس فعندها أشار عقبة إلى الغلمان شدوهم ومدوهم ثم عاقبهم بيده حتى غمى عليهم فوكل بهم عشرة من البطارقة وقصد نحو الملك صلبوتا ودخل عليه فقام اليه وترحب به وتبرك به وكذلك الملوك الذين كانوا عنده فلما استقر بالملعون الجلوس جعل يحدثهم ويخبرهم بحديث البطال وسرقته لبنات الملوك من حصونهم وشجاعة الأمير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وبنى كلاب والسودان الأنجاب ثم علم الملك صلبوتا كيف كتب الكتاب المقدم ذكره على خط أبو محمد البطال يأمرهم بالمجىء إلى بحيرة الفلك ويكون هلاك الجميع فى مرة واحدة فقال الملك صلبوتا ياهدية عيسى اعلم أن سائر الملوك يقولون أن المسيح ماينزل على هذا الفلك حسدا منهم لى وأكثر الأوقات مايؤول بنا الامر إلى القتال فقال له عقبة أيها الملك هذا أمر لابد منه وقد بشرنى المسيح أنه لابد ينزل على هذا المكان على رغم الاعداء اللئام والحسدة الجهال فقالت زنانير ياهدية عيسى وأنا مالى ذكر ولا بشارة فقال لها عقبة أى وحياتك ياملكة المشرق والمغرب لكى عندى بشارة عظيمة ولكن ماأقولها لكى إلا فى الخلوه وجعل الملعون يسلك معها طريق المنجمين ويخبرها بأخبار بنات الملوك والسلاطين حتى غلب النوم عليها فوثبت تطلب مرقدها فقبلها الملعون وعانقها ولما حصلت فى فراشها قالت لجوارها وحق المسيح ماأريد هذا الشيخ يبوسنى ولا يعانقنى فقالوا لها ياملكة اجعلى هذا البوس والعناق صدقه عن بدنك (قال الراوى) فهذا ما كان من زنانير (وأما ما كان) من عقبة فانه بعد مضى زنانير قام من مكانه ومضى إلى داره وهو مضمر على عقوبة الامير أبو محمد وغلمانه فلما وصل إلى البيت الذى هم فيه وجده

مفتوح والقيود مكسره وما فيه أحد فرجع وهو صارخ إلى عند الملك صلبوتا وأعلمه بما جرى فقال له طيب قلبك ياهدية عيسى فليس لهم طريق إلا من البحر وليس لهم ههنا موضع يتحصنون فيه (قال الراوى) وكان السبب فى خلاصهم الملك شمشمونا فانه قال فى نفسه لما خلى بروحه وحق المسيح ما أصل إلى ما أريد إلا باطلاق هذا المسلم الذى هو البطال الكثير الاحتيال ثم انه صبر إلى الليل وأتى الى الدار التى فيها عقبة وكان الامير أبو محمد قد أخرج مبردا كان مربوطا على وسطه وبرد القيود وبلغ من خلاص أصحابه ونفسه المقصود ثم قالوا أيها الامير الى أين نمضى فى هذه الجبال والبحار وهى شامخة كما نرى من كل جانب (قال) وما فرغوا من كلامهم الا والرجال قد دخلوا عليهم مثل الاسود وفى أوائلهم الملك شمشمونا فلما رآه الامير أبو محمد عرفه فدنى منه وسلم عليه وكلمه بلسانه فتعجب منه الملك كيف خلص من أغلاله وقال له من خلصك يا أبو محمد فأعاد عليه القصة التى جرت فقال له الملك شمشمونا وحق الإنجيل ماأتيت الا لأجل خلاصك وقتل هذا الشيخ ولو كان فى حجر الملك صلبوتا فقال له الامير اعلم أيها الملك ان هذا الشيخ لايدين بدين وهو نقمة على الروم والمسلمين أما رأيته أيها الملك وهو يقبل زنانير ويضع يده على كفلها ويضمها اليه ويبوسها وما من عادة المشايخ هكذا يفعلون وما يأمرون الا بالخير والصلاح والديانة وطلب الفلاح وترك الافعال القباح فقال الملك شمشمونا وحق المسيح لقد صدقت يا أبو محمد ثم سار بهم الى خيمته ثم أقبل الامير بكليته وقال له هذه المراكب التى على ساحل البحر سبعين مركب وهى لنا ونحن فى خمسة آلاف بطل فلاتهتم ولا تغتم فقال أبو محمد اعلم انى ماأخاف الا من هذا الملعون ان يغمز علينا ولولا ذلك لدخلت الساعه على الملكة زنانير وسرقتها وجئت بها اليك وان شئت أيها الملك ذبحت أباها صلبوتا فى مرقده وملكتك قلعته فعند ذلك فرح الملك شمشمونا بقوله وقال وحق المسيح ان ملكتنى هذه القلعة وملكتنى صلبوتا وصارت زنانير الى فلاتسمن أموالى بينى وبينك بالسويه وأحملك فى بعض مراكبى الى بلاد الإسلام ويكون لك على فى كل سنة ستمائة ألف دينار أحملها لك وتصل بها غلمانى اليك وتقدم بها عليك (قال) فلما أن سمع لؤلؤ كلام الملك شمشمونا قال له أخرب الله بيتك خراب ماله نهاية وحق الاله العظيم القدير لئن لم تقطع طمعك من الملكة زنانير لاذبحنك ذبح الخنازير ولو كان المسيح يشفع منك فضلا عن الامير فلما سمع أبو محمد ذلك الكلام ضحك منه فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عقبة فانه سمع كلام الملك صلبوتا وهو يذكر أن البطال ماله الى الهرب امكان قال أيها الملك أنا أعلم ذلك ولكنى

أقول الك مافى نفسى وذلك ان البطال لولا كان له مايعتمد عليه فى خلاصه ما كان خلص وهو الآن عند الملك شمشمونا والرأى عندى أن ترسل اليه رسول نطلبه منه فما هو الا عنده (قال) فلما سمع الملك صلبوتا ذلك ادعى بحاجب من حجابه وأرسله الى الملك شمشمونا يطلب منه البطال فلما وصل اليه قبل الأرض وسلم عليه وأدى الرساله اليه وقال له ماقال الملك صلبوتا فقال له الملك شمشمونا أنا ماعندى خبر مما تذكر فقال له الحاجب تكذب أيها الملك أن عندك خبر وأى خبر وإلا فأجب الملك صلبوتا ولا تتأخر

-(قال الراوى) فلما سمع الملك شمشمونا كلام الحاجب وتكذيبه قامت عيناه فى أم رأسه ووثب اليه كانه الاسد وشاله وضرب به الأرض ادخل طوله فى العرض وقال لقومه ياويلكم دونكم وهؤلاء الكلاب وكان الحاجب قد وصل معه جماعه كثيره من أصحاب الملك فعند ذلك هجمت عليهم أصحاب الملك شمشمونا فقتلوا الابطال وجندلوا الاقيال وانهزم الباقون وهم يستغيثون (قال) وان الأمير أبو محمد لما نظر إلى ذلك من فعال الملك شمشمونا وكيف قاتل حاجب الملك وبطارقته أقبل عليه وقال له أيها الملك الرأى عندى ان تركب فى هذه الساعه فى مراكب فهذا أمر يؤول إلى سفك الدماء وعقبة ماهو بمن يقصر عنا وعن طلبنا وما قصده الملعون الا اثارة الفتن والرأى عندى ان ترسل رسولا من عندك الى الملك صلبوتا وتقول له أيها الملك المارق فى الملة المسيحية والبرىء من مريم الروحانيه ولولا أنك كذلك مااتهمتنى بهروب العيار ولكن ليس الذنب لك بل الذنب لهذا الشيطان الذى كانه المسيخ الدجال المدعى فى قوله أنه هدية المسيح بغير دليل واضح صحيح وربما يكون هذا الملعون الشيطان من بعض العيارين وقد توصل إلى هذه البلاد وقد يكون احتال على خلاص أصحابه ولو لم يكن كذلك لما أمر بحطهم من بعد صلبهم فهذا حال ينطلى على عاقل ولا لبيب وقد أوضحت لك أيها الملك الحال والسلام (قال) وكانوا قد أسروا أيضا بعض بطارقة الملك صلبوتا وكان يقال له طمطرس وكان الملك شمشمونا قد أطلقه وأخلع عليه وحمله ماذكرناه من الرساله فى كتاب مكتوب وسيره وأقام ينتظر الجواب وان البطريق طمطرس وصل إلى الملك صلبوتا وأعاد عليه القصه وأوصل اليه الكتاب ففضه وقراه ووقف على معناه وأرسل جوابه وهو يقول دع عنك أيها المغرور زخاريف الأمور والكذب والزور فما أعرف رجوع العيارين إلا منك وان تمتثل ما آمرك به فسوف يرجع وبال خلافك عليك وتنقطع ساقيك وتهلك بطارقتك ثم أنفذ الكتاب صحبة البطريق طمطرس فأوصله إلى الملك شمشمونا فوقف على الكتاب الذى أتاه ثم أعطاه إلى الأمير أبو محمد فوقف عليه ثم قال له أيها الملك

اركب فى مراكبك لتكون لك حصن من الاعادى فانى لا آمن ان تنفر الملكه زنانير اليك جميع الملوك ويكونون معاونين الملك صلبوتا وأنت تعلم ان مافيهم الا من هو عاشق لها ومغرم بها فقال له الملك شعشعونا صدقت ياأبو محمد وحق المسيح مارأيت رجلاقط مثلك وانك لاتصلح الا ان تكون وزيرا أو مشيرا ولا يصلح لحاجة الملوك الا انت ثم أمر من وقته بأبى محمد وغلمانه فساروا بهم إلى مراكبه هذا جرى ههنا وأما الملك صلبوتا فانه صاح فى عسكره وركب فى خواصه وتجرد فى عشرة آلاف بطريق ووصل إلى الملك شعشعونا والتقت الرجال بالرجال وعظمت الاهوال ودارت عليهم دائرة السوء والبـــلايا ونهشتهم سباع الرزايا وتراشقوا بالنبال وبان من الجبان الـكلال هـذا وقد عملت الصوارم فى الجماجم وقطعت الاوداج وصار النقع كالليـل الداج وارتفع الغبار وغابت الطائفتين عن الابصار واندقت القنطاريات فى الصدور طحنتهم حوادث الدور وصارت الارض تشرق بالسيوف اللوامع والرماح الشوارع والجواشن السواطع ودار الفلك العـــلوى على أهل الـكفر السفلى وكان مع الملك شعشعونا رجال أمجاد بسواعد شديد كانهم من قوم عاد أومن إرم ذات العماد ففتكوا باهل قلعة صلبوتا وتركوا أكثرهم موتى وكسرت الخمسة آلاف العشرة آلاف ووقع الصايح فى البلد وصار الملك فى خلق عظيم وسعى عقبة إلى الملوك وقال لهم ياويلـكم غضب عليـكم المسيـح وصليب القدره وفلك العظمه وما للصرانيه موضع محترم ينزل عليه عيسى بن مريم إلا هذا الموضع فـكيف تسكتون عن هذا الملعون الذى قد مرق من دين النصرانيه وحمى أهل دين الحنيفيه وأبو محمد العيار المحتال الذى يقول ان الله واحد أحد فرد صمد ليس له والدولاولد ولا يدخل فى عدد ويقول ان المسيح من نور مخلوق وهو مرزوق وأنه لم يفعل جميع مافعل الا باذن الله خالق السموات والأرض طولها والعرض فـكيف يسعكم فى دينكم القعود عن هذا الأمر هـــذا ما كان من عقبة (وأما الملكه زنانير) فانه صعب عليها قتل حاجب أبيها ومن معه من البطارقه وكيف أخرق الملك شعشعونا بحرمة أبيها وكان الحاجب الذى قتل عند شعشعونا عزيز عليها فلما سمعت الملوك أن الملـكه زنانير صعب عليهـــا ماجرى فى حق أبيها من الاخراق غضبوا وصاحوا برجالهم وركبوا وما فيهم الا ومن معه من البطارقه الالف والالفين وحلوا بجمعهم على شعشعونا وقد تناخت الملوك وزجر كل غنى وصعلوك وتضاربوا بالصفاح حتى تثلمت وتطاعنوا بالرماح حتى تقصفت وهبت عليهم رياح الرزايا وطحنتهم طاحون المنـــايا وتزاحمت الاقيال وهجمت الابطال وصبروا على القتال وقطعت الاوصال وشربوا

كاسات الوبال هذا وعقبة يحرض الرجال وينخى الابطال وينادى بصوته أين عباد المسيح أين أصحاب الدين الصحيح أين أصحاب حنا ومريم والصليب هيا ياأصحاب القربان ودير مريحنا المعمدان ياأصحاب البرهان هيا ياأصحاب البترك والمطران دونكم وهذا الشيطان وناصر هذا المسلم القرنان العيار الكشحان فقد مرق من دين المسيح ومابقى له فعل مليح فايا كم إن تغضبوا الملكه زنانير فيحل بكم التدمير فدونكم والتنزه على وجهها الجميل وطرفها الكحيل وخدها الاسيل وشعرها الطويل وخصرها نحايل وردفها الثقيل وساقها الصقيل فتى ما أظهرتم النصيحة خصتكم بعين الانعام ورمقتكم بطرف الاكرام ورخمت لكم الكلام وأبرزت وجهها البسام الذى كانه البدر التمام هيا اضربوا أعداءها بالحسام وخذوا شعشعونا بأطراف القنطاريات ومواضى المشرفيات فقد عاون اللص الهجام وطلب مالا يرام وقد ألق نفسه فى بحار الاعدام ولا بدلى أن اسقيه كاس الحمام ثم أنشد وجعل يقول

أين من يرتجى الدنو من البعـ ... ـد ويحظى بوجهها والجبين
أين أين الشجاع فى ساحة الحر ... ب ويسطو بصارم مسنون
فادركوا من بغى علينا وكروا ... بجيوش كاسد زرق الجفون
واقتلوا كل مارق وكفور ... واقلعوا منهمو سواد العيون
فغدا ينزل المسيح على الا ... فلاك حقا فى طالع ميمون
وينادى بالحشر والنشر والبعـ ... ـث يا أهل التقى وأهل الدين
فاسمعوا من هدية ليس فيها ... غير صدق انى بقول يقين
واذا انتموا تداركتم الامر ... علوتم بالفعل فى تمكين
من خلاص العيال من يد جبا ... ر عتى فظ غليظ مهين
شعشعونا الغبى من جحد الديـ ... ـن واضحى بفعله فى جنون
كل هذا هوى زنانير ألقا ... ه ببحر من كل علج مكين

(قال الراوى) ياساده ياكرام لهذه السيرة العجيبة والاخبار المطربة الغريبة وكان هذا الملعون عقبة سببا لهلاك الملوك وتلاف كل غنى وصعلوك ولما سمعت البطارقة تحريض هدية عيسى وشعره والقصيد أرموا أرواحهم إلى الهلاك وسوء الارتباك ثم انهم حملوا وتضاربوا وتطاعنوا وتزاحمت الاقران وتلاحمت الشجعان ونعقت عليهم من النائبات عقبان ودارت عليهم كؤس الهوان وتقدم الشجاع وتأخر الجبان وتقاتلوا قتال زائد المدد وكثر على الملك شعشعونا العدد ودارت به الاقيال من كل مكان فقاتل إلى ان بقى

لايقدر يحرك يده وأخذ أسير وانكسرت رجاله وأخذت مراكبه ولحق بطارقة الملك صلبوتا المركب الذى فيه أبو محمد البطال وغلمانه فأخذوهم وبقية المراكب ولجوا فى البحر مع ولد الملك شمشمونا (قال) وان الملك صلبوتا لما أخذ الملك شمشمونا وأبو محمد البطال وغلمانه أمر لهم بالقيود وتركهم فى مطمورة وكان الظلام قد هجم عليهم فهذا ماكان منهم (وأما الملكة زنانير) فانها فرحت بأسر أبو محمد البطال وغلمانه والملك شمشمونا وكان لها جارية يقال لها نهار وما كانت زنانير تشرب الا معها فلما هجم عليهم الليل استدعت بالجارية النهار وقعدوا يشربون ويتلذذون ويطربون فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك شمشمونا والامير أبو محمد وغلمانه فانهم لما جن عليهم الليل قال أبو محمد لغلمانه يا أولادى هل معكم شىء من العدة فقالوا نعم أحدهم مبرد لو وضع على حجر أسود لبراه فأخذه أبو محمد من يده وبرد قيده وقيد الملك وقيود غلمانه ووثبوا إلى الباب فوجدوا الموكل نائم فهجم عليه أبو محمد وذبحه من الوريد إلى الوريد وطلعوا من الحبس ثم قصد الملك شمشمونا إلى بعض مراكبه لان الملك صلبوتا لما أسره أطلق أصحابه وقال هؤلاء مالهم ذنب والذى أجرم قد أخذناه (ورجعنا إلى سياقة الحديث) وان الملك شمشمونا قصد إلى مراكبه ففرحوا به وسروا بخلاصه وأما أبو محمد وغلمانه فانهم قصدوا إلى دار الملكة زنانير واذا بها تشرب مع جوارها وخدمها

﴿ تم الجزء الرابع والعشرون ويليه الجزء الخامس والعشرون ﴾

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الخامس والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان أبو محمد قد قال للملك شعشعونا سير أنت الى مراكبك وانفرد بنفسك فى مركب حربى يكون مشحونا بالرجال وانتظرنى إلى حين أعود اليك إن شاء الله تعالى وأن أبو محمد وغلمانه دخلوا إلى الملكة زنانير فلما صاروا عندها وكانوا قد تزيوا بزى خلعاء الروم وهم المطربون والذين يغنون وكانت الملكة زنانير قد طاحت فى سكرها فجعل أبو محمد يغنى ويتمسخر بالرومى وغلمانه تجاوبه وسبك يشيب عليه فتحيرت الجوارى منهم ثم قام أبو محمد وخدم وقال أيتها الملكة إن الملك صلبوتا صيرنى اليكى وقد أتينا وخدمناكى ثم هم بالانصراف فصاحت بجوارها لاتخلوه يروح فقعد أبو محمدوجعلوا يشربون ثم أنه لم يترك شيئاً من الحكايات والنوادر والأخبار حتى أوردها للملكة زنانير وهى تضحك من فعله وكذلك الجارية نهار وقد عشقت اؤلؤ وصارت تنظر إليه ومالت بقلبها لديه ثم أن أبو محمد قام ودقوا له غلمانه بالدفوف والكفوف ورقص حتى حير العقول وطرح أثوابه على الباطنية ودارحولها ثلاث دورات وأرمى فيها مثقال بنج أقريطيشى وجعل يغنى وغلامه سبقا يجاوبه واؤلؤ يصفق وبانس يدق بكعبه على مدورة من الخشب ثم قعد ودارت الأقداح وصار أبو محمد يسقيهم فلا وأبيك ماكانت إلا ساعة حتى وقعوا الجميع ولم يبق منهم إلا الجارية نهار لأنها كانت قد فاقت من السكر وخرجت واستفرغت وعند دخولها من قضاء شغلها وجدت الكل صرعى كأنهم

موتى وأبو محمد قد وثب وكتف الملكة زنانير فلما دخلت الجارية وثب عليها وفى يده خنجر أحد من القضاء إذا نزل من السماء فقال لها وحق فالق الحب والنوى الذى على العرش استوى لأن نطقتى لأخرجن هذا الخنجر من ظهرك بل سلمى تسلمى وكانت الجارية وقع فى قلبها هوى لؤلؤ ولم تظهر لأحد ماعندها فقالت لهم وحق المسيح لا نطقت بكلمة واحدة ولا كنت إلا معكم قال وأن لؤلؤ أخذ الملكة زنانير على أكتافه وقال أبو محمد للجارية نهار الآن سيرى بين يدى وعرفينى موضع نلتجى اليه (قال الراوى) ياسادة يا كرام فخرجوا وكان بالقرب منهم ناووص عمارة الأوائل وكان تحته مغارة لا يكاد أحد يدخل اليها من عظمها ووحشتها فدخلوا فى تلك المغارة واستعانوا بمنشى السحاب السيارة وهذا جرى من هؤلاء (وأما ماكان) من أمر الملك شعشعونا فانه لما وصل إلى أصحابه فوجد ولده قد عاد فى بعض المراكب حتى يكشف خبره فوجده قد خلص فاستبشر ثم أمرهم من وقته أن يخرجوا فى ألف بطريق فركبوا وطلبوا الجانب الشرقى وعبروا فى الظلمة على المغارة والناووص (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان للملكة زنانير قهرمانة طاعنة فى السن وكانت لا تفارقها ساعة واحدة لأنها قدربتها بعد موت أمها فسار عقبة فى الليل إلى بيتها لتساعده على أمر يريده من الملكة زنانير فقالت له يامولاى أن الملكة فى مقصورة الشراب مع جوارها وخدمها فقال لها انطلقى بين يدى وأوصلينى اليها فسارت بين يديه إلى أن أوصلته إلى المقصورة فوجدت الموضع خالى مافيه خبر ديار ولا نافخ نار وروائح البنج فائحة فى ذلك الموضع فقال لها عقبة ويلكى اطلبى بنا المحبوسين فساروا وطلبوهم فما وجدوهم فرجعوا وهم صارخين إلى الملك وقالوا أيها الملك هربت المحابيس وقتلوا الموكلين بهم وأطلقوا شعشعونا وأخذوا معهم الجارية نهار والملكة زنانير فلما سمع الملك صلبوتا ذلك قامت عليه القيامة وأخذ على نفسه بالملامة وقال لهم ياويلكم اطلبوا أبواب القلعة فطلبوها فوجدوا الأبواب مغلقة فقال لهم ماراحوا إلا من على ناووص المغليط الخراب فقال لهم عقبة ياويلكم اسرعوا فى الطلب حتى تأخذوهم فان آثار أقدامهم جديد قبل أن يهب عليه الريح فيخفيه عنكم ثم ساروا فى مائة بطريق والحكيم أقليدس وعقبة معهم حتى وصلوا إلى الناووص الخراب وفتشوه فلم يجدوا لهم خبر فهموا بالانصراف وإذا بعقبة يزعق بهم وينادى إلى ياعباد الدين فهم ههنا مقيمين فلما سمع أبو محمد كلام عقبة قال لهم لا تموتوا إلا وأنتم شهداء فان الله وعدكم الجنة حيث قال ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقبضوا على الخناجر ووقفوا فى أركان المغارة وقال لهم كل من دخل اليكم من البطارقة اضربوه بالخناجر فصار كل من دخل إليهم منهم

قتل حتى قتلوا خمسة عشر رجلا فوقفوا عندها فصاح بهم عقبة يا كلاب الروم هذا جرى عليكم وهم دونكم وما لكم إلا أن تدهموهم وقد أخذتموهم وبقي يحرض البطارقة وقد أشعلوا النار والمشاعل الشموع وهجموا عليهم نحو عن ألف رجل فأخذوا أبو محمد وغلمانه وساروا بهم فى خمسة وعشرين فارس من البطارقة (قال الراوى) وما هو إلا أن تواروا بهم فى ظل القلعة إلا والملك شعشعونا قد أقبل فى أبطاله ورجاله فوقعت عينه على الملعون عقبة والحكيم اقليدس فصاح الملك شعشعونا برجاله خذوهم فأخذوهم كلمح البصر ثم قال لهم وأين الملكة زنانير والجارية نهار والمسلمين الأخيار فقال لهم الحكيم اقليدس أخذهم هدية عيسى وأرسلهم إلى الملك صلبوتا وطلب منهم رجالا حتى يفتشوا عليك ويصلون الأذية إليك فعند ذلك هجم على عقبة وقال له يا كشحان لابد ما أسقيك الوبال وأجعلك عبرة بين الرجال ثم أنه ضربه بالسيف على قمته نزل إلى رأسه ثلاث أصابع فوقع إلى الأرض فثنى عليه بضربة أخرى فتلقاها بيده اليسرى فقطعت له ثلاث أصابع ثم أوثق الجماعة كتاف وأخذهم وأخذ عقبة وقد حلت بهم كل نكبة ثم أن الحكيم قال الملك شعشعونا أيها الملك وحق المسيح كل شيء جرى علينا وعليك من هذا الشيخ السوء فيا ليته كان هدية مردودة وتحفه غير مقبولة فقال الملك شعشعونا هذا قد أخذ نصيبه الأوفر ولولا وصية أبو محمد لنحرته نحر البقر ثم أمر أن يشد جرحه وتكوى أصابعه ففعلوا ما أمرهم ثم بطحه وضربه ظهرا وبطنا حتى نزل لحمه عن بدنه ثم استدعى بشحم الخنزير فأتوا به فأمرهم أن يذوبوه على سائر جسده وأنامله ومفاصله فقال له عقبة وهو على آخر نفس أيها الملك دع للصلح موضع ولا تأمن الدهر لعلى أن أكون سببا لوصولك إلى محبوبتك زنانير قال فضحك الملك شعشعونا وقال لأصحابه أما تنظرون إلى هذا الشيخ السوء كيف يتكلم بهذا الكلام بعد ما حل به ما حل من الانتقام وحق المسيح ما هو إلا إبليس دهره وفرعون عصره ثم أمسك عنه وسكن غضبه فهذا ما جرى منه (وأما ما كان) من الملكة زنانير فان البطارقة وصلوا بها إلى عند أبيها ففرح بسلامتها ونظر إليها وهى منبجة ما تدرى بنفسها فاعتقد أنها ميتة فأرسل خلف الحكماء والأطباء وقال لهم أبصروا ما قد حل بالملكة زنانير فقالوا أيها الملك ما بها ألم ولكنها مبنجة ثم أخذوا ماء ورد وثلج ورموه على جسدها وغسلوا أطرافها وسقوها الكرفس وهب عليها نسيم السحر فتقايئت البنج مثل قوالب الجبن واستراح جسمها وعقلت على نفسها وقالت أين الجارية نهار فقالت ها أنا يامولاتى فقالت لها ياويلك لا بيض المسيح لكى وجه ماهذا الأمر القبيح وقد تم علينا ما تم فقالت وحياتك العزيزة مالى علم بما جرى عليكى بل أن الشيطان أبو محمد البطال طرح

البنج فى الباطية لما رقص ودور الأقداح وانخلع وأنه صنع ماصنع ثم أنه سل على سكين وقال لى وحق النبى العربى إن تكلمتى أعدمتك الحياة فلم أقدر يامولاتى على خلافه شفقة على روحى منه لئلا يقتلنى والموت مر ثم شدنى كتاف وفعل بى كما فعل بكى ثم سار بنا إلى ناووص المغابيط واختفى فيه ووصلت البطارقة وخلصونا ولم أعلم بعد ذلك ماجرى فقالت الملكة زنانير وحق المسيح لأقطعنكى قطعة قطعة وأبضعنكى بضعة بضعة ثم صاحت ائتونى بغلام أبو محمد البطال لؤلؤ فأحضروه بين يديها فنظرت اليه بعين الغضب وقالت له يا كلب العرب وأخس من ضرب فى البيداء طنب وحق المسيح لأعذبنكم بأنواع العذاب وأصلبنكم على هذا الدولاب ولأجعلنكم عبرة لمن يأكل الطعام ويشرب الشراب ياويلكم هذا جزائى منكم بأن أقرب منكم وجهى الجميل وأوعدكم باعطائى الجزيل وتفعلوا فى حقى هذا الفعل الوبيل وتخلصوا الملك شعشعونا ثم قالت سوف تعلمون ماأفعل بكم ثم قالت وأين الحكيم أقليدس وهدية عيسى فقالوا أيتها الملكة بعد خلاصك وصل اليهم الملك شعشعونا وأسرهم وأسر معهم ألف بطريق وقتل خمسمائة ومن جملة المأسورين روبيل وبطرس وكمردين ومنويل وبولص وجميع البطارقة الخواص وقد جردهم الملك شعشعونا من اطمارهم وصلبهم من آباطهم على صوارى المراكب وقد أقسم بحنا ومريم والصليب والبيعة المقدسة وما يتلى فيها من الانجيل انن لم تطلق أبو محمد وغلمانه ليصلبن كل من عنده وبعد ذلك يكون الحرب بينكم وبينه فاما له وأما عليه ولما سمعت الملكة زنانير والبطارقة ماقاله الملك شعشعونا نظر بعضهم إلى بعض وقالوا أيتها الملكة الصواب أن تطلقين هؤلاء الشياطين لأجل علماء النصرانية وأكابر البطارقة ولا سيما الحكيم اقليدس حكيم دولتك وناصح شريعتك والرأى عندنا أن تدفعين هؤلاء الملاعين إلى الملك شعشعونا ونحن قادر بعد ذلك عليهم ونحضرهم إلى عندك ونوقعهم ثانى فى قبضتك فقالت الملكة هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب ثم أقبلت على البترك الكبير والقسوس والرهبان وقالت لهم سيروا إلى الملك شعشعونا وتقولون له نكست دين النصرانية بأسرك للحكيم اقليدس وهدية عيسى ومن معهم من البطارقة وفعلت فعال لايشكرك عليها أحدا ثم قالت لهم قولوا له إن البترك يحذرك إن أقمت على عدم اطلاقهم فيكون غرضك مع هؤلاء المسلمين فتكون قد مرقت من دينك وأن البترك يحرمك والقسوس فى البيع والكنائس تلعنك والمسيح غضبان عليك وما يكون قد بقى لك فى دين النصرانية من حاجة فدع عنك هذه اللجاجة (قال الراوى) فامتثلوا أمرها وساروا طالبين الملك شعشعونا فلما قدموا عليه ووصلوا بين يديه دخل اليه البترك والشمامسة وسلموا عليه سلام الملوك وقالوا

له أيها الملك لا تفعل وتعادى مثل الملكة زنانير بنت الملك صلبوتا وربما تسمع عنك الملوك بأن المسلمين أحب اليك من الروم وإنك قد اخترتهم على أهل دينك وهم قوم كذابين فسقه سراقين فمن يساعدك على هذه الفعال ويرضى منك بهذا المقال ولو فعل هذا بعض الجهال لكان يقبح عليه فكيف بك وأنت ملك من الملوك فوحق المسيح لئن ارتكبت هذا اللجاج لتقعن فى بحر عجاج ولا يصح لك فى هذه الديار مقام وأكثر من هذا لا نقول لك شيء والسلام (قال الراوى) هذا كله يجرى والملك شعشعونا يسمع إلى أن فرغوا من كلامهم عندها قام وقعد وأرغى وأزبد وأبرق وأرعد وشخر وزجر وقال وحق المسيح ما أوقعنى فى هذه النوبة إلا أنتم وشدة مكركم ثم أمر بالقبض عليهم وعراهم من ثيابهم ومدهم وضرب كل واحد منهم إلى أن غمى عليه وقال لهم ياويلكم تريدون أن تخدعونى مثل ما خدعنى هـذا القرنان ونصب على حبال حيلته وأوقعنى فى شرك قبضته ثم حلف لابد أن يقطع من كل واحد عضوا من أعضاءه فقامت اليه البطارقة وأشاروا عليه أن يقطع دقونهم فقام بنفسه اليهم وقطع دقن البطريق بيده ودقون الجميع الذين أتوا معه وقال وحق المسيح ومريم الزكية المطهرة من الفحشاء الذى رفع ولدها إلى السماء لارجعتم ابصرتم مواليكم ولا اهاليكم إلا ان تطلقوا المسلمين الذين عندكم وان لم تفعلوا فلا بد من صلبكم ثم أمر البطارقة أن يرفعوهم إلى رؤس الصوارم مكتفين من تحت آباطهم ثم أطلق واحد منهم حتى يخبر الملك صلبوتا والملكة زنانير ويحدثهم بما صنعه معهم فلما رجع البطريق أخبر الملك وابنته فلما سمعت زنانير ذلك صعب عليها وكبر لديها وصعب على الملك بطارقته وقالوا لاشك أن شعشعونا قد مرق من دين النصرانية وقد صبأ إلى دين الحنيفية فقال الملك هذا الكلام لايفيد بل خلصوا علماء النصرانية والبطارقة وإلا هلكوا فقالت زنانير أيها الملك إننا إذا أطلقنا من عندنا لانأمن من غدره وشره بل يمضى بعضكم ويستوثق منه ويحلفه أنه لايغدر بنا ولا بأصحابنا ويطلقهم لنا فقد قال القائل إذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل أحد عجز وحق المسيح من حين رأينا هذا الشيخ هدية عيسى ما رأينا خيرا ولقد بغى هذا الملك وأفسد وتجبر فى فعله وتمرد وكل ما تم علينا من تحت رأس الشيخ السوء فليت المسيح كان استرد هديته المذمومة لأن هذا الشيخ النحس علمنا البغى والبغى يورث الوبال وسبب قطع الأوصال وقد أجاد شاعر العرب حيث قال

البغى يهلك أهله ويبيدهم ويزيدهم أسفا على ما قد عرا

ولقد بغى هذا الهدية اذ غدا وفقا على قول وزور قد طرا
تبــا له من أعور ما عنده دين ولا يرضى بما يرضى الورى
لولاه ماخلصوا اللصوص ولاجرى من شعشعونا ذا المنافق ماجرى

(قال الراوى)وأن البطارقة التفتوا إلى الملكة زنانير وقالوا أيتها الملكة وحق دين النصرانيه إن شعرة واحدة من رؤس البطارقة أحب إلينا من مائة ألف مسلم من هؤلاء الذين يفسدون ولا يصلحون ومثل هؤلاء فى بلادنا مثل ناموسة على ظهر فيل لايبالى بها أقامت أو رحلت أو طارت أو حطت وحق المسيح لو دخلت جميع طوائف الإسلام وسائر الأمم والأنام إلى ديارنا وكنا يدا واحدة على النصرة والمساعدة لما بالينا بهم والرأى عندنا أن تدفعى هؤلاء القوم إلى الملك شعشعونا وتخلصى علماء ديننا ونصارى ملتنا وما عسى أن يكون من هؤلاء الكلاب فقالت لهم الملكة زنانير إذا كان قصدكم ذلك فخلوا هؤلاء المسلمين ههنا ثم أمضوا من ساعتكم هذه إلى الملك شعشعونا وخذوا يده على خلاص أصحابنا فهو رجل معروف بالصدق برىء من الكذب فقال لها الحاجب سمعا وطاعة ثم قام من وقته وساعته وسار إلى الملك شعشعونا وأخبره بجلية الأمر وقال له نحن نعرف منك أيها الملك صدق اللهجة ونريد منك أننا إذا أوصلنا اليك هؤلاء المسلمين أن تدفع إلينا جميع من عندك فقال له نعم ثم اتفق رأى القوم على ذلك ورجع الحاجب إلى الملكة زنانير وأخبرها بذلك فقالت له أيها الحاجب أمض إلى هؤلاء المسلمين وفك قيودهم وأطلقهم وسير بهم إلى الملك شعشعونا وتسلم منهم أصحابنا واتى بهم صحبتك فقال سمعا وطاعة وحبا وكرامة ثم سار من وقته وساعته إلى الحبس وأخرج أبو محمد وغلمانه وفك قيودهم ولم يبق إلا الجارية نهار وكانت الملكة زنانير قد أوصت الحاجب انه لا يطلقها (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما خلصوا هؤلاء من القيود والأغلال وهموا بالإنصراف بكت الجارية نهار وقالت بالله عليكم لاتنجلوا عنى فأهلك من بعدكم فقال لها ابو محمد طيبى قلبك واشرحى صدرك فسوف اخاطب الملك شعشعونا من اجلك واخلصك فى هذه الساعة إن شاء الله تعالى فصبرت على مضض منها وكانت كما قال بعضهم

مصيبتى بعــد طول نسكى اليك اشكو الجوى وابكى
فالحمـــد لله إذ خلصتم وكان بعد الخلاص تركى

(قال الراوى)ثم انصرفوا عنها ودموعها جارية وقد ايقنت بالهلاك وسوء الإرتباك ولسان حالها يقول

مذ غبتموه وأقمت بعدكمو لم يبق لى فى عيشة طمع

(قال الراوى) ثم ان الجارية نهار اقرت بالشهادتين وقد شهدت لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة والأمير ابو محمد البطال يسمعها فقال لها ابشرى يانهار بالعفو من الله الملك القهار وخلاصك من عذاب النار ولا بد ما اتسبب فى نجاتك من الكفار ثم انهم ساروا إلى ان وصلوا إلى الملك شعشعونا وأعادوا عليه حديث الجارية نهار وقالوا له ما كان سبب ما جرى منها ونريد نكافئها على جميلها بخلاصها ولما أسمع الملك شعشعونا ذلك المقال من الأمير ابو محمد البطال قال وحق المسيح والدين الصحيح لا اطلق من عندى احد إلا بالجارية نهار فرجع الحاجب وأعلم الملك صلبوتا والملكة زنانير فعظم ذلك عليهم وقال لها ابوها دعيها تمضى الى لعنة المسيح فهى قد مرقت من الدين الصحيح وأنا أعلم ان ما أدخل عليها المحال إلا العيار المحتال ومابقى فيها خير فسلموها لهم وساروا بها إلى عند الملك شعشعونا فلما ان رآها فرح بها وأطلق من عنده من المأسورين وأراد أن يطلق اللعين عقبة فقال له أبو محمد لا تفعل فان هذا الشيخ الخرفان نقمة على جميع الأديان وان أردت ان تحظى بمحبوبتك الملكة زنانير فلا تطلق هذا القرنان فما فيه خير وان البلاء كله منه وان أطلقناه فلا نأمن على أنفسنا من كيده ومكره فلما سمع الملك شعشعونا ذلك المقال زاده إعتقال وأنا المأسورين لما انطلقوا وطلعوا إلى الملك صلبوتا وأخبروه أن الشيخ النجيح باقى عنده فى القيود فصعب عليه وكبر لديه هذا ما كان منه (وأما ما كان) من الملك شعشعونا فانه سار من وقته وساعته طالب مدينته وطاب لهم الهوى إلى أن وصلوا إلى قلعة الجوز او معهم شيخ الضلالة عقبة فنظر أبو محمد إلى حصن منيع وفيه عالم عظيم فقال ان الله تعالى قد أعطى هذا الملك مثل هذا الثغر ولقد كنت أطلب من الله تعالى أن يسلم هذا الملك ويكون من المؤمنين فقال له لؤلؤ لاقضى الله لك شهوة ولا رد لك لهفة ياأبو محمد أنت قصدك ان يسلم وترد له الملكة زنانير وتسلمها اليه وتجود بها عليه وأنا أموت بحسرتها فقال له أبو محمد يالؤلؤ ان سرقتها أنت فهى لك وان سرقتها أنا فهى له فوالله يالؤلؤ لقد فعل معنا فعلا جميلا لا يفعله أحد من الناس هذا وقد علم لؤلؤ أن أبو محمد يقدر على سرقة الملكة زنانير ويعطيها للملك شعشعونا فأيقن بالهلاك وأقام مدة لا يأكل طعام ولا يلتذ بمنام فتغير لونه واصفر كونه ولم يخف على أبو محمد من ذلك شىء. وعلم أن لؤلؤ من محبته لزنانير هالك وقد ازداد عشقا وغراما ولوعة وسقاما حتى نحل جسمه وأشرف على الهلاك واشتاق الى النظر الى وجه الملكة زنانير فدخل لؤلؤ على القاضى عقبة وهو فى المطمورة التى هو فيها وقال له لؤلؤ يا قاضى هل لك أن تساعدنى

على النظر إلى زنانير لا غير على أنك لاتدعونى على التنصر وأنا أخلصك مما أنت فيه وأكون غلاماً من بعض غلمانك وأول ما أعمل معك انى أهرب بك من هنا الى قلعة الملك صلبوتا والثانى لايعمل أبو محمد حيلة الا وأبطلها عليه والثالث ان سلمنا وكان لنا حياة ورجعنا الى بلاد الإسلام أشهد لك بين يدى الرشيد انك مسلم موحد بالله وان كلما يقوله أبو محمد عنك زور ومحال وبهتان على أننى أيها القاضى لا أطمع نفسى فى أخذ هذه الجارية زنانير لأننى لو أخذتها كيف كنت أخلص بها من هذه الديار وهذه البحار ولا يمكن هذا الا ان يكون معه عساكر وعساكر ومعلوم انى قد صرت أسير فى قيود محبة زنانير وأبو محمد قد وعد الملك شعشعونا بها وان يسرقها له من بين أترابها وأنا فلا قدرة لى على مفارقتها وقد عولت على إخراجك من الحبس وسرقة بعض المراكب الصغار وافساد بعض غلمان شعشعونا ممن قد أنكر على الملك فعله بك هذه الفعال وتقريبه لأبى محمد وغلمانه وما أريد منك ياقاضى غير النظر الى الملكة زنانير ففيه الكفاية والهوى قد حملنى على خلاصك ولو كان فيه معصية لله تعالى ثم ان لؤلؤ بكى وأنشد يقول

زنانير غاية ما أريد ✲ ولست أؤمل غير النظر
فياليت عقبة لى مسعداً ✲ إذا عندها عن قريب حضر
ففى فك أغلاله قد جسرت ✲ على خطر ياله من خطر
ومن لى بأنى أرى وجهها ✲ وانظر الى خصرها المختصر

(قال الراوى) فلما سمع عقبة شعره وفهم نظمه ونثره وقع مغشيا عليه الى الأرض من الفرح وقال له بعدما أفاق من غشوته يابنى وحق المسيح إن فعلت معى ماقدقلت وبه نطقت لاوصلنك إليها ولأجمعنك عليها ولو كانت ابنتى عقيبه التى خرجت من ظهرى ما غرت عليها فكيف بهذه الكلبة التى لا نسب بينى وبينها وأنت تعلم أننى أرى القيادة عادة فضحك لؤلؤ وقبل يديه وأطعمه وأسقاه وخرج من عنده وأتى الى عشرين بطريقا كانوا كلهم عونا لعقبة وكانوا يتعصبون له وكان لؤلؤ قد سمعهم وهم يتحدثون بالرومى انهم لو قدروا على خلاصه لفعلوا ذلك وبذلوا المجهود وقالوا ماسمعنا من يتلو الإنجيل بقلب حنين مثل عقبة وإذا بلؤلؤ قد وصل اليهم وسلم عليهم فردوا عليه السلام من وراء قلوبهم خوفا من الملك وفى قلوبهم منه البلاء لأجل عقبة فقال لهم لؤلؤ اعلموا أنى قد جئتكم بما تفرح به قلوبكم من خلاص الشيخ عقبة الناصح لدين المسيح وأهرب أنا وأنتم الليلة فى بعض المراكب الى الملك صلبوتا وهو يعطيكم مايغنيكم عن خدمة هذا

الملك شعشعونا فقال له رجل منهم وكان جبار عنيد وشيطان مريد ياويلك تريد ان تخدعنا بكلامك وتحدث الملك شعشعونا عنا فحلف لهم لؤلؤ انه صادق فيما قال لهم والدليل على صحة قولى انكم تسيرون معى الى الحبس الذى فيه عقبة فترونه وقد خاصته ومن الأسر أطلقته (قال) فلما سمعوا البطارقة ذلك من كلام لؤلؤ ساروا معه الى موضع عقبة فوجدوا قوله صحيح وهو مطروح والسجان مذبوح والباب مفتوح فهنالك وقعوا على اقدام لؤلؤ يقبلوها فقال لهم عقبة يا أولادى أكرموا هذا فهو ولدى وقد خلصنى ورحم شيبتى ورعى لقديم محبتى وانا أسأل المسيح أن يوافقنى لقضاء حاجته وبلوغ أمنيته فعظم عندهم مرامه وقبلوا اقدامه فقال لهم كفوا عن هذا والرأى عندى اننا نخرج الساعة إلى الساحل وننزل فى بعض المراكب وما يصبح الصباح إلا وقد قاربنا حصن الملك صلبوتا قبل ان يفطن احد بنا فقالوا سمعا وطاعة ولكن وحق المسيح ما فينا إلا ومن له اولاد وعيال وأموال ونخشى أنه إذا أصبح الصباح يقصدوا الشيخ الصالح ونحن معه فيعلموا أن ذلك من فعلنا فيكون ذلك سببا لهلاك أولادنا وما يبقى لنا بعد هذه الفعال فى هذه الديار مقام ثم أنهم غابوا مقدار ساعة وعادوا ومعهم أولادهم وجميع ما قدروا عليه من أموالهم وقصدوا إلى المينا ونزلوا فى حراقة كبيرة وقد طاب لهم الهوى بأذن فالق الحب والنوى ثم أنهم رفعوا الشراع وركبوا المقاديف وفتحوا القلوع هذا وعقبة قد رفع صوته بقراءة الإنجيل فى ظلمة الليل البهيم والروم يبكون لقراءة عقبة القرنان وأن عقبة أقبل على لؤلؤ وقال له ياولدى لايصعب عليك أنى أقرأ الإنجيل وأنا أعلم أن ما يطيب لك إلا قراءة القرآن وأنا ما فعلت هذا إلا لأجل هؤلاء الروم الذين معنا حتى يعملوا بالمقاديف ولا يلحقهم توانى لئلا يلحقنا أحد وانى أريد عند الصباح أمتعك بالنظر إلى الملكة زنانير ذات الوجه المنير وأعلم يالؤلؤ انى لاأعتقد شيئا فى الإنجيل فضحك لؤلؤ وقال أسكت عنا ياقاضى وإلا غرقنا فى البحر من هذه الكفريات فقال عقبة يالؤلؤ ان كان منام عبد الوهاب صحيح فما يصيبنا شىء لأن من يصلب على باب الذهب ما يغرق فى البحر ولا فيه يذهب وكان هذا من اللعين عقبة على وجه الاستهزاء بالأمير ومنامه ولؤلؤ قد علم بذلك ولكن الهوى غلب على التقوى (قال الراوى) فلما أصبح الصباح قاربوا قلعة الفلك وكان قد اشتد بلؤلؤ الشوق وطار قلبه إلى رؤية الملكة زنانير صاحبة الوجه المنير وصار لايصدق أنه يقدم عليها وينظر إليها وقد تمنى أنه لو كان طائرا وبقى بين يديها ولسان حاله أنشد يقول

جار أحبابنـــا ولم ينصفونا   واستخاروا بعادنا وجفونا

حملوا قلبهم مقالا قبيحا　بئس ما حملوا وما أنصفونا
كنت أرجو البطال يجبر قلبي　بزنانير فاصطفى شعشعونا
قدرونى فاننى مستهام　صرت من شقوتى بها مفتونا
قلت كن لى على هواها معينا　لجفانى وصار خلا خؤونا
وهجرت الأحباب فيها وقد صر　ت حليفا لكافر ملعونا

(قال الراوى) فلما سمع عقبة شعر لؤلؤ قال له ياولدى قد بلغك الله مناك ونلت سؤلك ورضاك ثم أنهم ارتحلوا من ساعتهم فلم ترفع الشمس إلا وهم فى حصن الدولاب فلما نظرتهم البطارقة خرجوا اليهم لينظروا من أين أتوا وكان الملك صلبوتا حمل على قلبه هما عظيما من أجل اللعين عقبة فقال لقومه لابد من المسير اليه والهجوم عليه فقالوا له أيها الملك إن قلعة الجوزاء عالية حصينة والجزيرة كبيرة وفيها عالم عظيم وهم أكثر منا وإن لم نظهر عليهم يكون كسرا لنا وتنخرق هيبتك عند الملوك فقال لهم ما أترك أحدا من سائر الجزائر يدخل جزيرتنا ولا يقرب قلعتنا ولا يدور حول صليبنا ولادولابنا ولا يكون أحدا منهم يتبرك بدين المسيح ونمنعهم يوم العيد من الدخول علينا حتى يشدوا أهلها أمنا ويسيرون إلى عندنا حتى نتعاون على خلاص الشيخ النجيح من عند شعشعونا الذى مرق من دين المسيح (قال الراوى) بينما هو مع قومه فى هذا الكلام وإذا هم بالحراقة قد ظهرت لهم من البحر التى فيها عقبة ولؤلؤ ومن معهم من البطارقة فأرسل الملك صلبوتا من يكشف الخبر فسار واحد من قومه وعاد إليه وبشره بخلاص عقبة ففرح فرحا شديداً ما عليه من مزيد وما كانت إلا ساعة حتى حضر عقبة بين يديه وأشار إلى الأرض لاثما فقام له الملك على قدميه قائما وسلم عليه وسأله كيف كان خلاصه فأخبره أن ذلك كان على يد لؤلؤ غلام البطال ووعدنى انه يوقع لنا مولاه أبو محمد ومن معه من الرجال وإذا وقعهم نطلب الجميع ونريح منهم عباد المسيح ثم قال له سرا وما يتم لنا ما نريد إلا بالملكة زنانير ونريدها تحضر حتى يبصرها لؤلؤ ودعها يا ملك تقبله وفى صدرها تحصله وإلى دين النصرانية تستميله فان تنصر وإلا صلبناه فأدعى الملك بابنته زنانير فأقبلت وهى كأنها الشمس الضاحية فى السماء الصاحية ولما نظرت إلى عقبة ترامت تقبل يديه فقال لها عقبة أيتها الملكة تريدين أن يرضى عنكى المسيح فقالت نعم فقال قومى إلى لؤلؤ وعانقيه وطيبى قلبه وقبليه وكان قصد اللعين عقبة أن يغويه ويخرجه عن دين الإسلام حتى يبلغ به من أبو محمد المرام وأن زنانير أقبلت على لؤلؤ بوجه كالصباح إذا أسفر أو البدر اذا أبدر وقد تحير من

حسنها كل من نظر اليها وهى كما قال فيها الشاعر المفتخر

شفى المؤمل يوم الحيرة النظر ☆ ليت المؤمل لم يخلق له بصر

(قال الراوى) وان الملكة زنانير عانقت لؤلؤ عناقا أطيب من الحياة وقبلته فى فمه قبلة ألذ من الشراب وهو قد ذاب من النظر اليها وأخذه الارتياب ثم قالت له يامسلم لابد ما نعاملك على ما عملت مع الشيخ النجيسح ونكون لك مثل العبيد وتبلغ منا ما تريد هذا وان لؤلؤ قد غاب رشده عند نظره اليها وذهل عقبة واعتقل لسانه وأذاب الحب جسمانه ووقع مغشيا عليه فرفع اللعين عقبة رأسه على ركبته وجعل يقول له لقد خشيت عليك من غشونك عند لقاء الأحباب وبلوغ الآراب وحق يا ولدى أن أوصلك الى قمر الزمان التى قد فاقت على الإنس والجان (قال) وأن لؤلؤ أقام فى غشوته ساعة فلكية فلما أفاق قالت له زنانير ياأبونا ما الذى أصاب هذا المسلم فقال لها يا بنية لما نظر الى جمالك صار إلى ما ترين وهو وصيتى اليكى لأنه ما خلصنى غيره ولولا ذاك لما كنت خلصت أبد من الملك شعشعونا وقد فارق أصحابه وهجر أحبابه من أجلك وقد ضمنت له انك ما تخيبيه من مشاهدتك ولا عن معاشرتك لأنه مسلم ولو كان نصرانى ربما كان يصل الى مايريد أو يزوجه المسيح بكى (قال) وكان قصد اللعين عقبة بهذا الكلام أن يطمع لؤلؤ فى وصالها إن هو تنصر قال وان الملكة زنانير لما سمعت ذلك من كلام عقبة ضحكت فأشرقت البقاع من نور ثغرها اللماع وتمايلت فبان نحول خصرها وقد عجزت الالسن عن وصفها وتلاطم أمواج اردافها وعلمت أن اللعين عقبة قد وعد لؤلؤ بوصالها فقالت لعقبة أيها الشيخ أنا لك وبين يديك ولا أبخل بنفسى عليك فلو أمرتنى أن أحمله على رأسى فعلت ذلك تقربا اليك فإن رضاك من رضا المسيح (قال الراوى) فشكرها عقبة على ذلك وكذلك لؤلؤ ورجعت إلى قصرها وأنزلوا عقبة فى دار حسنة وأخذ لؤلؤ معه ولؤلؤ لاينام الليل ولا يهدى بالنهار وقد طار فؤاده وقل أكله وعدم رقاده هذا واللعين عقبة يغويه وبلذة ذكرها يسليه (قال) وان لؤلؤ رقد تلك الليلة فرآها فى منامه فانتبه من رقاده وقد وضع يده على فؤاده وزاد به الغرام وكثر به الهيام فقال بلسان الهوى من حر نار الجوى هذه الأبيات

غدوت أسيرا فى قيود المقادر   وقد قام عذرى عند أهل المعاذر
وقد أصبحت روحى رهينة شهوة   ويشهد لها الزنار عند زنانير

فقال له عقبة لعنه الله ياولدى هل لك أن تدخل فى دين النصرانية ويكون ذلك ولو على صفة الملاعبة والملاهية وعلى وحق المسيح أن أعمل على خلاصك وإلى بلاد الاسلام

أوصلك ومعك الملكة زنانير المليحة الابتسام وتبلغ غاية المرام فقال له لؤلؤ ياقاضى لاتفعل فاننى لو فعلت قالت لى نفسى لم تتبرأ من دين الاسلام ومن محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وذلك مالا يكون أبدا ولو شربت كاسات الردا ثم أنه بكى وأنشد يقول

أتأمرنى من بعد نسكى وتوحيدى ... وزهدى واسلامى وجهدى وتجهيدى
وبعد صلاة الليـــل والنسك والتقى ... وحب رسول الله أكرم مولود
بأن أعبد الصلبان فى حب كافرة ... تقيم بأطلال اللئام الملاحيــد
دع القول فى الاسلام وارعى صنيعتى ... فانى فى غـــل وحبس وتقييد
وكن لى معينا فى هواها فاننى ... أكافيك طول الدهر من غير تفنيد

(قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة والأمور المطربة الغريبة فلما سمع عقبة ذلك من كلام لؤلؤ وشعره دنى اليه وقبل رأسه وعينيه وقال وحق المسيح ما أنكر عليك حالك ولا أغصبك على ترك دينك وسوف أتوصل إلى قضاء حاجتك وكان ذلك من عقبة مكرا وخداعا ثم أن اللعين خلى بعد ذلك بالملكة زنانير وقال لها يابنية فى قلبى النار من هذا المسلم وكان قصدى لو تنصر وشد الزنار كنا توصلنا به إلى أخذ البطال لأن هذا لؤلؤ أشطر منه فقالت الملكة زنانير ياأبونا لاتفزع من أبو محمد البطال فأنا أخذته من دير النذور وجميع الصور التى يدخل فيها إلى بلاد الروم عندى وأنا أعرفها فلا تخف من هذا الوجه أبدا وأما تنصر غلامه فهو عندى سهل ولو خلوت معه ساعة واحدة لنزعت دين الاسلام من قلبه وفؤاده وأنسيه أهله وبلاده على أننى لا أرغب فى إسلامه لأننى لا أرضى بملك من الملوك فكيف أرضى بهـــذا الشيطان وهو عبد مملوك وفقير صعلوك وصلبه كان عندى أهون والرأى فى ذلك أصوب فقال لها عقبة أيتها الملكة أن الباغى له مصرع والعجب يهلك أهله والحرب خداع والعجلة من الشيطان والصواب عندى أن تخدعى هذا الرجل الذى قد أحسن إلى وجاد بروحه على وبه نصل إلى آفة النصرانية ورأس كل بلية وأنا أعرف أن الحكيم اقليدس صور لكى صوره التى يدخل بها بلاد الروم وصار ذلك عندك معلوم فلا تغترى لما ظفرتى به أول مرة وكان ذلك منه على غره فوحق المسيح لو أراد أبو محمد البطال أن يجعل نفسه طائرا يخطفك من الهوى ويسير بكى فى الفلا لفعل ذلك وما أصدق كل صباح يصبح وأراكى فيه خوفا من القضاء عليكى منه وانى أعرف أن لؤلؤ إذا كان عندك مايقدر أبو محمد عليكى وأنا لكى ناصح (قال) وأن الملعون أظهر لعنته ونفاقه وتوجه لوشفانه وأشار اليها يقول

يالهف قلبي على زنانير   من حابس الناس فى المطامير
كم ملك بات تحت سدته   أصبح رهن القيود مأسور
ولو أراد البطال يأخذكى   أخـذ الباز للعصافير
ولو أراد البطال يطرقنا   فى صورة النمـل والزنانير

(قال الراوى) فلما سمعت زنانير كلام عقبة صلبت على وجهها وقالت وحق المسيح سوف آخذه معى إلى البيعة يوم الأحد ليرى مافيها من العجائب وكانت هذه البيعة التى فى قلعة الدولاب يضرب بها الأمثال قد عملتها الحكماء الأوائل الذين عملوا دولاب الفلك وكان فيها صور كأنها تنطق إذا دخل الهوى فى مجاريها نطقت بحركات غريبة (قال الراوى) وأن الملكة زنانير علمت أن لؤلؤ إذا نظر اليها وإلى البيعة وإلى حسن صفاتها البهية يدخل فى دين النصرانية فقال عقبة لمن تقولين هذا المقال وحق المسيح لو أرادوا هؤلاء يصنعون مثل هذه الصور ويريدها تمشى وتتكلم لفعلوا ذلك لأنهم حكماء وأن من عندهم العيارة والشطارة وقد تبحر وافى كل علم وما تقدرى على تنصره إلا كونه واقعا فى شرك محبتك وأسير سلطانك فقالت وكيف أصنع ياأبونا فقال عقبة تدخلين البيعة كما ذكرتى ولؤلؤ معكى كما أشرتى فان تنصر فهو المراد وبه نستعين على الأعادى والحساد وربما يأخذ البطال لأنه قد صار خافه مثل الملك شعشعونا وهو يعلم أنه يهواكى وهو فى عالم عظيم وخلق جسيم ولا بد ما يأتى أبو محمد حتى يتحيل علينا ويسرقك لشعشعونا فهذا الولد العزيز يدفع عناشره وبه نأمن من مكر ولا ينفذ فينا سحره وإن لم يتنصر وجاء يوم الأحد فادخلى بيت القسيس وأبعث أنا لؤلؤ إلى عندك وأنتى تلعبين معه ومازحيه وخذى بعقله فقالت له زنانير ولماذا نفعل ذلك فقال لها عقبة لعله يتور به الهوى والغرام فيضمك ويريد أن يبوسك فرديه وامنعيه من ذلك وقولى له أنا أخاف من المسيح لايغضب على لكونى ألاعب مسلم ولا بقيت أجتمع معك حتى تخرج من دينك فان المحبة موافقة والعشق ترك المخالفه وما نبذل نفوسنا الا لأهل ملتنا فهذا الكلام يكون سبب تنصره (قال) فضحكت زنانير وقالت سوف ترى ماأفعل به فقال لها عقبة بارك المسيح فيكى وحطوا لؤلؤ فى بيت مليح ولؤلؤ لايلتذ بمنام إلى ليلة الأحد دخل عليه عقبة فوجده باكيا وقد زاد به الغرام وهو ينشد هذا النظام

يلغى ياريح عنى السلام ٭ اننى مدنف حليف السقام
فى قلعة الدولاب ذو محنة ٭ سهران لاأعرف لطيب المنام
بل هجرت عينى لذيذ الكرى ٭ حقا كذا اليوم عليها حرام
حب زنانير سبانى فما ٭ أطيق من عشقى ارتداد الكلام

يارب ثبتنى على ملة الا ٥ سلام فالأمر شديد المرام

ثم قال يارب أنت العالم بما نزل بى من حب هذه الجارية وهى تريد تخدعنى وتردنى عن دينى وقد عجزت عن حمل هواها ثم بكى وقال إلهى ومولاى لقد طردتنى عن بابك وقد سمعت حديثا انه اذا سخط الله على عبد ابتلاه بمحبة مخلوق مثـــله ولو انى مت ما تنصرت. وأنشد يقول

ألبسنى العشق ثياب الضنا ولم أنل ممن أحب المنـا
وصرت مأسور الهوى دائما فى بلد الروم طويل العنا
أغضبت ربى بخلافى أبى محمد إذ خنته معلنا
أطلقت شيخ السوء من قيده أخبث من إبليس بل ألعنا
وصار يغوينى لاصبوا لى دين النصارى ومقامى هنا
والله لا أعبد إلا الذى مازال بى فى عثرتى محسنا
رب عظيم صمـد قادر يعلم ما تخفى وما نعلنا
لاشك زنار محال ولا يفتننى والله ما أفتنا
ولست أصبو فى صليب لهم دينا ولوان حمـامى دنى
ان زنانير لها فى الحشا محبة والعشق قد أكمنا
عيونها غارت على مهجتى لأنها فاقت على الاعينا
ووجهها البراق قد زاد بى على هواى فى ضناها ضنا
وشعرها الحالك جعـد له عقارب قد قصدت لسعنا
والسالف المسكى من شقوتى سل على الناس سيوف الفنا
ياليت شعرى هل أنا قادر يوما عليها وأنال المنـــا
هل بلد الاسلام لى جامعا شملى بها ذلك يوما الهنا

(قال الراوى) ثم أن لؤلؤ بكى وقال إلهى ومولاى أعصمنى من الكفر والعصيان. فقال عقبة اصبر ياقرنان لغد إذا وضعت يدك على تلك الاعكان ورأيت الردف الذى كأنه تل رمل من فوقه غصن بان وبدت لك تلك الساقان سوف تكفر بالرحمن وتكذب القرآن وتعلق الصلبان ومن يقول عليه أبو حمدان أنا أم أنت ياقرنان وما أنا وما انا الا شيخ كشحان وانا كل يوم اسوى لك نوبة العياره وسوف اعمل على قتلك ان ما كنت تدخل فى دين النصارى ثم رجع عقبة ولم يدخل على لؤلؤ وبات لؤلؤ ليلته. يعدد على نفسه ويبكى فلما طلع النهار اصبح كمجنون ليلى حيث قال

اعد الليالى ليلة بعد ليلة　　وقد عشت دهرا فى عد'د اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلنى　　أجد أحدا أشكو له ما دهانيا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا　　علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
أصلى فما أدرى إذا ما ذكرتها　　اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
على أنى راض بأن اترك الهوى　　وأخلص منه لا على ولا ليا
واسأل ربى الصبر واللطف فى القضاء　　فالصبر للاستمام والله شافيا

(قال الراوى) ويوم الأحد جاءت الناس إلى البيعة من كل جانب وخرجت البنات الكواعب وفتحت البيعة وكان لها سبعة أبواب من الفضة بأقفال من الذهب وعلقوا فيها الستور وارتفع دخان البخور ورفع القسوس اصواتهم وكشفوا رؤسهم وكفروا بربهم واشاروا الشمامسه والبطارقة إلى الصور التى على الحيطان وأموا إليها بالسجود وكفروا بالواحد المعبود الذى تنزه عن الصاحبة والمولود وقد وقفت الأبكار الاتراب وقصد عقبة الى لؤلؤ وقت السحر وقال له لا شك ان تؤادك قد ارتاح الى مشاهدة زنانير ست الملاح نهى فى البيعة فقم وتهنى بها نهى القمر الطالع والنور الساطع فوثب لؤلؤ وتدببت عنده ذكر ما فى بدنه الروح وسار عقبة بين يديه حتى دخلوا البيعة نظر لؤلؤ إلى موضع ما نظر فى عمره مثله ونيه من الأبنيه والعقود والقناطر والصور والدعاناب مالا عين رأت ورأى تلك المباخر وفيها العود والند ورأى تلك الجوار الروميات الحسان فلم يلتفت لهم وهم يقولوا هذا المسلم جاؤا به ينصروه وهو يحب الملكة زنانير وكان لؤلؤ جميل الصورة مليح المنظر ولكن من دهشته لزنانير تغير وجهه وصار ذهبي اللون وهو يسمع قولهم ولا يلتفت لهم ثم صاحت الرهبان والقسوس بقراءة الانجيل وكان لؤلؤ يحفظ مايقرؤه هذا وقد قال عقبه يالؤلؤ لو انك تسمع من قولى وتتقدم إلى هؤلاء القسوس وتنبل الناقوس حتى تبلغ من الملكة زنانير الأرب لعله يكون لوصولك اليها سبب وتزل من قلبها وتريدك وترضاك فقال لؤلؤ ياقاضى اعلم انى لما دخلت اليك فى المطمورة وأنت فى غاية الذل والهوان وقد عول الملك شعشمونا على قتلك وعاهدتك على أنك لا تعارضنى فى الأديان ولا تأمرنى بالكفر بالرحمن فقال عقبة ياولدى أناما أغصبك على ذلك وإنما أشرت عليك بما يرجع نفعه اليك فقال لؤلؤ ياقاضى ماأفعل ذلك أبدا ولو شربت كاس الردا ولكن أنا الساعة عندكم وحلفت أنه متى دخل البطال إلى هاهنا سلمته اليكم على أى صورة كان نها لأنا صنع فى هذه الأيام عند الملك شعشعونا خمسة عشر صورة لكل صوره لبس يدخل بها عليكم وعلى غيركم ولولا أنى رأيتها وهو يصنعها كان يقف معى ولا أعرفه ففرغ عقبة على نفسه وقل وحق

المسيح لقد قلت لهذه الملكة زنانير أن البطال يفعل أكثر من هذا وهى لا تصدق وتقول انه ما يدخل إلا فى الصور التى صورها لها الحكيم اقليدس بينما هم فى الكلام وإذا بالصياح ارتفع وقد أتى الملك صلبوتا فى أربعة آلاف بطريق وعليه بدنه جوهر لايلبسها إلا الملوك الاكابر فاقبلت القسوس عليه وقبلوا الأرض بين يديه وهو يقربهم ويتبرك بهم ويقول لهم ادعوا على شعشعونا أن يوقعه المسيح فى يدى هو ومن عنده من المسلمين فقالوا سمعا وطاعة ومن هو شعشعونا حتى تشغل قلبك من جانبه وفى العيد الكبير تجى أهل الجزاير والقلاع ونسير إلى حربه بعساكر مالها عدد ونرمى حجارة قلعته إلى البحر قال فشكرهم الملك صلبوتا وقدموا اليه القربان والخمور وارتفع دخان البخور وأقبلت زنانير بين صويحباتها وخدمها مثل البدور فجلست على كرسى ذهب أحمر مرصع بالدر والجواهر فحارت من حسنها الأبصار وأرمت القسوس نوامش المسك فى النار وتبسمت الملكة زنانير فادهشت القلوب ورفلت الجوارى فى ثياب الحرير وقد تجاوبت بالصفير فقالت زنانير لابيها أتأذن لى أن أغنى شيئاً يشاكل مانحن فيه من السرور والنعيم فقال يابنية شاورى الرهبان والقسوس فتقدمت اليهم وقالت لهم عن أذنكم أغنى لكم فقالوا لها لعلى ما بدا لكى يانزهة اهل هذا الزمان فأخذت القانون وغنت بالرومى فسلبت النفوس ووقعت الناس سكارى من غير كؤس ولؤلؤ قد حار وعلا وجهه الاصفرار فلاحت من زنانير التفاته للؤلؤ فوجدته وقد تخلقت وجنتيه بالزعفران وصارت أجفان عيونه كانها مرجان وهو طائش العقل حيران فرق قلبها عليه ورحمته وعلمت أن المحبة قتلته فأقبلت بكليتها اليه ثم مسكت عودها وأصلحت أوتارها وقربته إلى نهدها وأنشدت تقول

ياطلعة القمر المنير وقامة الغصن النضير
هذا الشراب فقم بنا نعدل إلى شرب الخمور
لا تغفلن عن لذة فى مثل ذا اليوم المنير
والأرض فى ديباجة أعطافها إنس وحور

(قال الراوى) فعدم عقل لؤلؤ وقال أنا عبدها على طول الأيام فصاح عقبة تنصر ياقواد واترك طريق الزهد والرشاد ثم خلع الملك صلبوتا على لؤلؤ وقال له هذا فى مقابلة ماخلصت هدية عيسى وإن شاء المسيح تمسك لنا البطال فقال سمعا وطاعة يامولاى فلا بد له من المجىء إلى هاهنا ليسرق عقبه وما يحثه على المجىء إلا شعشعونا من أجل الملكة زنانير وسوف أسلمه اليكم وإن ماجاء فأنا أمضى اليه وآخذه بالحيلة ففرح صلبوتا وأقام

فى البيعة حتى أكل القربان ورجع وحوله القسوس والرهبان (وأما زنانير) فانها أخذت بيدها كاس وأقبلت نحو لؤلؤ فقام لها وخدم وقبل الأرض ودعا لها فناولته القدح فأخذه منها وغنت له بالعربى وهى تقول

اسقيانى بين أشجار ونبت وزهور ... وشقيق من خدود وافاح من ثغور
وندى من ماء وردوضباب من بخور ... وزنانير تغنى وهى كالبـــدر المنير
لو سمعها ميت عادحى من قبل النشور ... بين سحر من عيون وبروق من ثغور

(قال الراوى) لحار لؤلؤ وانهتك ستره وكذلك أصاب عقبة وقال لقد قتلتنا هذه القحبة ثم قبل عقبه يديها وقال لها اذهبى إلى حجرة القس عسى ينتصر هذا النحس فانى سمعته البارحة يعاتب نفسه وهو يناجى ربه وأعاد عليها ماقال لؤلؤ فاذهبى لحجرة القس وادعيه اليكى واكشفى له عن بطنكى وعن السرة وقد تنصر هذا النحس فى كره فقصدت حجرة القس وقالت لايتبعنى أحد وأشارت إلى لؤلؤ بكفها اتبعنى فنظر إلى كف منقش كانه شباك مسك على تماثيل عنبر وخواتم ذهب بفصوص ياقوت أحمر فتحير لؤلؤ مما نظر وافتكر فى نفسه وقال انها مادعتنى قط إلى مثل هذه الخلوة وما هذا إلا بتدبير عقبه ثم خشى على نفسه وأراد الامتناع من الاتباع لها فما استطاع وجذبته دواعى الهوى بسلاسل الشوق والجوى فدخل اليها الحجرة وقد بلغ الأرب وفاز بما طلب ثم خلعت عنها بدنه من اللؤلؤ وصارت فى قميص حرير أحمر كالشفق وهى غضة بضة دعجا فضة ذات جسد ناعم رابية المعاصم عيونها أمضى من الصوارم ثقيلة الردف كانه كثيب وهى فى قامة القضيب مخدلجة القدمين خميصة البطن ذات فرع وارد وثدى ناهد وسيقان مكورة وعجيزة موفرة كانها موج البحر إذا عصفت به الرياح إن قامت أقعدها وإن مشت أثقلها وقد خلعت لباسها وأسبلت ذوائبها وبانت طيات أعناقها فلما دخل لؤلؤ تمايلت عليه ودارت ورقصت ولعقله سلبت فانقلبت أحداقه وتغيرت أخلاقه ووضع يده على كبده وقام كل عرق فى جسده فقبلته فى وسط فمه فذاق رضابها ثم وثبت وقالت وايماه قد أغضبت المسيح كى أننى حسنت قولى وحلى لمسلم ومكنته من عناقى وتقبيلى وما بقى شىء غير ترتيلى ثم أقبلت عليه وقالت يالؤلؤ إن أردت وصالى وتحظى بجمالى نشدوسطك بزنار وتنصر (قال الراوى) لجرت دموع لؤلؤ وبكى وقال ياملكة ليس من شرط المحبة فراق الأديان وإنما شرطها الكتمان وفراق الدين حجة وشديد على الانسان واعلمى أننى لوقطعت إربا إربا ماازددت فى دين الاسلام إلا حبا ولست أنا بأول من قتل بالحب والعشق والجوى وألم الهوى وشقاوة الدنيا ولاشقاوة الآخرة فاعجب زنانير ماسمعته من لؤلؤ وانكسرت

نفسها وقالت يالؤلؤ لقد أعجبني يقينك وحفظك لدينك ولكن وحق المسيح ما بقى بنالك منى مكروه ثم طلعت ولؤلؤ قاعد وقد احمرت خدودها وغزلت عيونها وغرقت نهودها فقام لها عقبة وقال ماجرى للؤلؤ فقالت له ياشيخ ماهو إلا شديد فى دين الاسلام وقد أعجبنى قوة يقينه وزدت به هيام فقال عقبة وحق المسيح هذا كله محال وأنا أعرف أن لؤلؤ قد بلغ المراد وأنى تنكرين ما حصل منه من مسرة الفؤاد فغضبت زنانير من كلام عقبة وقالت له وحق المسيح ماهو إلا رجل قوى الدين حسن اليقين وأنه والله خير منك يالعين فلما سمع عقبة ذلك علم أنها اغتاظت منه فرجع إلى مكره ودهاه وقال ياملكة حاشاكى من هذا الأمر وسواه وإنما عرضت بهذا الكلام لأرى ما عندك من المرام فطاب قلبها عند ذلك وعادت إلى انبساطها وقالت على بالراهب شعنونا وكان رجلا سبابا فلما حضر جعل يسب الاسلام وعقبة يعجبه قوله ولؤلؤ لحقه الغضب منه وقال للملكة زنانير ليس هذا مليح أليس انكم تغتاظون إذا سمعتم أحدا يسب عيسى فقالت صدقت ثم رجعت إلى غناها وسكرها مع ندمها ثم قامت ورقصت وتمايلت باردافها وغنت فسبت العقول ثم شربوا بالأقداح ورقصوا الصغار وتناولوا الكاسات والطاسات وشربوا شرب لايحد ولا يوصف إلى أن غيب رشدهم القرقف ودبت الخمرة فيهم دبيب النمل على جبل الرمل فانطرحوا سكارى على الأرض لايعرفون الطول من العرض ولم يزالوا كذلك إلى أن هبت نسمات الاسحار (قال الراوى) وكان أول من أفاق من نومه وقت السحر لؤلؤ وإذا فى رجليه قيد من الحديد وفى الوزن ثقيل شديد فقال كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال فى نفسه ربما أكون أخطأت فى الكلام لما جارت على كؤس المدام ويكون عقبة وشى فى حقى بشىء للملكة زنانير ففعلت بى ذلك الفعل النكير ثم أنه أراد أن يقعد ليعرف جلية الحال وإذا بعقبة وهو مقيد فى الحديد وإلى جانبه الملكة زنانير مقيدة مكتفة والراهب شعنونا واقف يضحك عليهم وغلامه واقف بين يديه والشمع المطيب بين يديه ينور عليه ومائة بطريق حوله بالسيوف المجذبة فلما نظر عقبة إلى ذلك تيقن أنه هالك لكن لايعلم السبب فى ذلك (قال الراوى) هذا والراهب شعنونا ضاحك كثير الانبساط فقال له عقبة ويلك ماتحدثنا بهذا الخبر الذى أوجب هذا الفعل المنكر أليس كنا معك نشرب مع هذه الداهية قال فعند ذلك حول الراهب وجهه عنهم وقلع ما كان على وجهه والتفت اليهم فى الحال وإذا به البطال فقال عقبه أحسنت ياصياد الرجال وصلبت زنانير على وجهها وعرف عقبه أنه قتل القس شعنونا وغلامه بطرس فقال له عقبة ويلك ياأبا محمد أما خفت من الله تعالى أن ينزل عليك

عذابا من السماء كيف قتلت شخص من عباد المسيح وله من العمر مايقارب المايتين سنة ماغسل فيها وجهه قط وكل ذلك من زهده وعبادته ولكن وحق المسيح مالك ذنب بل الذنب للملك شعنونا الذى أمرك بهذه الفعال من أجل شهوة دنيوية وقتلت هذا الشيخ الكبير الذى لو كان فى زمن الحواريين لكان مقدما عليهم ولا خير فى الحياة من بعد فبالله عليك إلا ما ألحقتنى به وأرميتنى فى هذا البحر حتى تلتقى روحى بروحه الطاهرة الزكية فانى أعلم أن المسيح يشفعه فى جميع عباده ولقد كان رحمة فى جميع بلاده واحسرتاه على أهل دين الصليب من بعده وحق المسيح ماهدانى المسيح إلى هذه الديار إلا وقال لى بشر شعنونا بأنى أرفع له فى كل يوم ماية درجة ولما سمعوا البطارقة الذين صحبه أبو محمد كلام عقبة وبكاه وما قد خوفهم من غضب المسيح وأقبل بطريق منهم عليهم وكان شيخ كبير عنيد وشيطان مريد وكان صديقا للقس شعنونا الذى قتله أبو محمد فقال للبطارقة لقد صدق هذا الشيخ عقبة فى هذا الكلام وحق المسيح وقد خسرنا الدنيا والآخرة وكنا سببا لقتل شيخ النصرانية وأما أنا فلا حاجة لى فى الحياة وأريد أقتل روحى قبل العتاب من السيد المسيح يوم الحساب فقال عقبة وقد بكى وحق الراهب سقراق الذى بقى أربعين سنة يأكل الشوايا من لحم الخنزير بالرقاق وما غسل وجهه إلا بالبصاق أن المسيح يرضى عنك بهذه الكلمة ويكتب لك ثواب من قتل ألفا من المسلمين ثم صاح الملعون عقبة وتلى فصلا من الانجيل فوجلت قلوبهم ودمعت عيونهم وقالوا وحق المسيح لافعلنا هذا أبدا بعد ماقتل هذا العيار شيخنا شعنونا وقاموا على أبو محمد البطال وقالوا لابد من قتل هذا المسلم العيار المحتال ونطاق هدية عيسى والملكة زنانير ونرجع إلى الملك صلبوتا ويكون لنا عنده اليد البيضاء لخلاص ابنته ونعيش تحت ظله ولا نرجع إلى شعشعونا فقال لهم عقبة ياأولادى هذا هو الصواب فابطشوا بهؤلاء الكلاب نصاح بهم المقدم عليهم وهو حاجب شعشعونا وكان اسمه خنوسا بن قسطة وكان جبار أهوج مجنون وقال لهم ياويلكم على ماذا عولتم فقالوا على قتل هذا العيار الذى قتل شعنونا وكان بركة هذه الديار فقال لهم ياقوم الذى عزمتم عليه هو الصواب غير أنه يبقى فى الأمر شىء واحد وهو أن أولادكم ونساءكم عند الملك شعشعونا وما بعث هذا الرجل معكم إلا أنه واثق به وبكم ويعهد منكم الوفاء والملوك ما زالت تقاتل بعضها حتى تبلغ أغراضها وتأخذ مواضعها وهذا المسلم مايقدر يصل الى غرض الملك شعشعونا إلا بالحيلة التى عملها وبالأمس هرب عقبة من عنده ومعه هـــذا المسلم وها هو معكم الآخر والصواب اننا نحمل الكل إلى الملك شعشعونا ثم تقولون له أيها الملك أنت قد

وصلت إلى غرضك وملكت محبوبتك والصواب انك لاتفسد ما بينك وبين الملك صلبوتا ولا تتزوج ابنته الا برضائه ورضا النصرانية وتجعل وليمتك لنا صلب هذا المسلم وغلمانه كما قتل الشيخ القديم والقس الكريم الباغض لدين الموحدين شعنونا رأس الزاهدين فقال له عقبة وحق المسيح لئن وصلنا إلى شعشعونا ليأمرنه هذا الشيطان بقتلى وقتلكم أجمعين ويقول له أنهم كانوا أيها الملك قد عزموا على خلاص الملكة زنانير والهرب إلى الملك صلبوتا ويجعلكم نادمين ويا ليتنى كنت وحدى لكم الفداء لعلكم تنجون بأرواحكم من الردا فقالوا له يا شيخ فما الذى تشير به علينا حتى نبلغك ماهويت فقال لهم الرأى عندى أن تقتلوا هذا العيار تحريصا وتخلصون زنانير تخلصا وأنا أكون سبب غناكم من الملك صلبوتا (قال الراوى) ياسادة يا كرام عند ذلك وافقه اؤاؤ وساعده على كلامه وقال لهم هذا هو الصواب إن كنتم ترغبون فى الثواب هذا وأبو محمد يقول ماكان فى حسابى هذا الحساب ولا قرأت هذا الكتاب وكان ذلك من اؤاؤ غيرة على الملكة زنانير لئلا تصل عند الملك شعشعونا فكان يأخذها ويبليه بالتعبير وانه قال ياقوم وحق المسيح ان خلصت الملكة زنانير فانه يكون لكم عند الملك صلبوتا المنزلة العلية وكنتم تستحقون منه الخلع والعطية لأنها قد أخذت بالحيلة العظيمة ولولا ذلك لما وصل أحد اليها ولا قدر عليها وان اؤاؤ جعل يحرض الروم على خلاص الملكة زنانير وهو ينشد

تبصر ان عرفت لما تقادا أرى العنقاء تكبر ان تصادا

فلا تك جاهلا بالرأى وانظر بأنك لن تطيق له عنادا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأن زنانير لما سمعت كلام اؤاؤ قالت وحق المسيح والدين الصحيح انك المحب الصادق والعاشق الواثق والرفيق الموافق والغيور الحاذق فقد عرفت قضيتك فى السفر مع مولاك المسلم وأصحابك مع ثباتك على دينك وحسن يقينك وانك على غيور والعاشق معذور وسوف أجعلك فى أيامى أمين الأمور ومستأسر لامأسور فقال لها عقبة وقد أخذه الحسد من اؤاؤ وحق المسيح لقد شفانى لؤاؤ من أبو محمد العيار بهذا الكلام وقد قطع نباض قلبه بالملام وأذاب جسده على ماجرى له من شدة كربه ثم قال للبطارقة ماهذا الانتظار فللتأخير آفات وما كل وقت ينجح الطلب فدونكم وهذا اللئيم والشيطان الرجيم فقطعوه بسيوفكم الحداد وأقبضوه بسواعدكم الشداد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعت البطارقة من عقبة هذا المقال أقبلوا على الأمير أبو محمد البطال كأنهم الجبال عند ذلك قاتلهم البطريق خنوسا قتال شديد لم يسمع بمثله فيما تقدم فى الزمن الأكيد وبدد البطارقة تبديد وكان بطل شجاع وفارس

مناع واشتد القتال وقتل جماعة من الرجال وعجل الله بأرواحهم الى النار وبئس القرار وبعد ذلك تكاثروا عليه فأخذوه أسير وخلصوا المأسورين من القيود وجعلوها فى أرجل المطلوقين وقد حلت بهم الآفات وهذا حكم من له الارادات والأحكام الجاريات فصار أبو محمد يقول سبحانك ياقادر تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير هذا والملكة زنانير خلصت من القيود والمسامير وقامت كأنها القمر المنير والشمس التى فى الفلك تسير وأتت الى لؤلؤ بنفسها فخلصته من الكتاف والقيد والتعتير فقال لها يامولاتى ومنية قلبى وثمرة فؤادى هذه ذخيرة عندك لأنى من وقت ماهجرتينى مابقى لى عقل ولا لب لأنى واقع فى شباك أسرك وقيود هجرك فأطال المسيح فى عمرك فقالت له وحق المسيح لولا أخاف من توبيخ أبى وبنات الملوك أقاربى والحكيم الذى علمنى وزاد فى أدبى ومن هذا الشيخ عقبة وتوبيخه لى وعتبى لما جعلت لى فى الفراش ضجيع سواك ولا قصدى بذلك إلا رضاك وانى كما قال القائل

فى ملة الإسلام انى أحبكم   وأجعل قلبى قربة وتطوعا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فدمعت عين لؤلؤ من الفرح واتسع صدره وانشرح هذا وأبو محمد يقول تنصر القرنان وافتضح وركن إلى هذه النصرانية وجنح فعرف لؤلؤ ما خطر فى قلب سيده البطال وطمح فجال فى خاطره فأنشد:

أقول للعشاق فى عشقكى   ليس على عاشقها من جناح
أنظر اليها والحشا مغرما   ان كنت تتهمنى بذا الانشراح
تجده فى طول الدجا مدنفا   حتى تراه مقتلا بالصفاح
فقال ما قصرت فى عشقها   يا أصدق الناس بعشق الملاح
لكننى فى عشقكى دائما   مالى وحق المصطفى من براح
إذا قضى الله بأمر فما   للعبد من ذاك القضا من براح

(قال الراوى) ياسادة ياكرام عند ذلك سكت أبو محمد البطال وبعدها تنفس وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم ساروا ليلتهم أجمع الى أن بدا الصباح وأسفر بضيائه ولاح وأيقنوا المطلوقين بالنجاح وبقى بينهم وبين قلعة الملك صلبوتا قدر فرسخين وإذا بصياح قد علا وصراخ قد نمى وبيارق قد أقبلت نحوهم ومائة حراقة قد أحدقت بمركبهم أسرع من البرق الخاطف أو الريح العاصف هذا والقوم قد حاروا لما أبصروا هذه الحراقات بهم قد داروا (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان السبب فى ذلك أن الملك شعشعونا لما فارقه أبو محمد البطال جعل يتقلى على مقالى النيران خوفا

عليه من الظفر وانه لا يحظى بطائل من أخذ الملكة زنانير فصار ليله طويل ونهاره عليل فقال فى نفسه لابد ماأردفه بمائة حراقه وأوسقها بالرجال والشجعان من أهل مملكتى ووجوه عشيرتى فما بالاحتراز من بأس ولا يذمه أحد من الناس (قال) وكان له ابن أخ قد رباه بعد موت أبيه وكان أعز من ولده وكان شجاعا مناعا وجبارا قتالا لايرهب الابطال اذا أحدقت به ولا يستعظم الجحفل إذا نحوه اتصل وكان اسمه مرطاوس وهو مليح الشكل والملبوس محبوب إلى النفوس نخلع عليه الملك ووعده بوعد بينه وبينه نخدم الملك على ذلك وقبل الأرض بين يديه فقال له سر بهذه الحرقات وفيها عشرة آلاف مدرع من كل بطل صميدع ويقصدون فى البحر إلى نواحى قلعة الملك صلبوتا وتطلعون على أخبار البطال وباقى أصحابنا فان احتاجوا إلى نجدة فانجدوهم وان عجزتم أنتم ورأيتم العدد كثير فابعثوا إلى فانى أسرع فى الوصول اليكم والقدوم عليكم فقال مرطاوس السمع والطاعة ثم ودعوه وساروا من تلك الساعة وجعلوا يشقون البحر شقا ويقطعونه غربا وشرقا حتى لحقوا المركب بالأمر المقدر فاحدقوا به من كل جانب ومكان وأنزلوا بالبطارقة الذى فيه الويل والهوان وأطلقوا أبو محمد من القيود والأغلال وفكوا وثاق جميع الغلمان ولطموا عقبة القرنان حتى أشرف على الدخول إلى النيران (قال الراوى) وطلبوا الملكة زنانير ولؤلؤ وأربعة من البطارقة فما وجدوا لهم خبر ولا وقعوا لهم على أثر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أمرا عظيما وحالا عجيباً جسيما وذلك انه لما انسدل الظلام ودخل الليل بعد ماجرى بين زنانير ولؤلؤ ما جرى من الكلام أتت اليه عند نوم العيون وقالت له يامسلم أنت تدعى الهوى والعشق والمحبة والجوى وتنام وأنت خالى من البلوى فقال لها لؤلؤ ياحبيبتى ويا قرة عينى وقلبى وحق سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم ما تغيبى عن عينى لا فى اليقظه ولا فى المنام ولا فى الضيا ولا فى الظلام وكم ليلة بت فيها أرمق خيالك شذرا ويصبح كفى من وصالك صفرا فعند ذلك قالت له يالؤلؤ دع عنك الشكوى وما تدعيه من البلوى فقد ثبتت لك عندى صحة الدعوى فقم أنا وأنت يا لؤلؤ يكون معنا أربعة من البطارقة حتى أننا ننزل فى هذا المركب ونسير إلى خليج البحيرة فانى قد ضجرت من هذا هدية عيسى وقد فزعت من شخيره فى نومه وخطيطه الذى مثله وانه قد أضحى يأتى إلى ناحية ويتقرب منى ويمسنى ويكلمنى وبعينه العورة يلاحظنى ويرمق بها نحوى وانى قد فزعت نفسى منه ومن كثرة بخر فمه ونتن رائحته ثم انها أخذت بيد لؤلؤ وقالت له قم بنا حتى اننا نطيب الليلة (قال الراوى) وكانت البطارقة قدفرشوا لها فرشا جيداً مفتخراً

ومعهم شرابا عتيا رائقا فائقا وقد ساروا بها وهى فى صحبتهم إلى نحو البحيرة وقد قالت للملاحين قدفوا كلكم بالمقاديف واجتهدوا لعل أن نكون عند الصباح فى القلعة فقالوا لها سمعا وطاعة أيتها الملكة سنوصلك عند السحر كما أشرتى يا ملكة الزمان ونبشر أبوكى بالنصر والطهان ثم نزلوا المقاديف وهم يأكلون ويشربون والقمر قد طلع وقد أشرق على لازورد أزرق وضوء جبينها على ضوء القمر قد أشرق فعند ذلك أنشدت تقول

أفدى محبا زارنى ٭ من غير وعد مرتقب
فى ليلة خليتها ٭ من بين أنياب النوب
كأنما البدر بها ٭ ترس مصاغ من ذهب
فيهالها من ليلة ٭ قصرها طول الطرب

(قال الراوى) ثم أن زنانير قالت للؤلؤيالؤلؤ نظرت الليله إلى هذا النحس الخنيس الذى كان إبليس كيف وضع يده على خصرى وحسس على حجرى ووضع فمه الابخر على ثغرى ونحره المنحور على نحرى وعول الملعون على إصلاح أمرى ولم يحترم مكانى ولا جلالة قدرى ولا فزع من سطوتى ومكرى وسوف أسقيه من كاسات خداعى وشرى إذا أنا وصلت إلى مستقرى فقال لؤلؤ يامولاتى أن للمسلمين فى بلادهم معه وقعات وللروم معه آفات ولا يعتقد قط أن فى الآخرة بعثا ولا نشور وهو من أهل الفجور ولا يقول الا بالزنا والسفاح وشرب الخمور وقتل المسلمين والروم فقالت زنانير وحق المسيح إنك اصادق فيما تقول وأننى من وقت ما رأيته كشر عن أنيابه وسال من شدقة لعابه ونظر إلى بعين كأنها عين الذئاب علمت أن بيت اعتقاده خراب وعوات أن أرميه بالحراب فقال لى عقلى ما هذا صواب (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أنها عادة إلى ما كانت عليه من معانقة لؤلؤ والإكرام وقد أسفرت عنها اللثام ولم يبق بينهما احترام ولا احتشام ونظرت نظرت زنانير إلى لؤلؤ ووجهه مثل القمر وشاربه أخضر كأنه المسك الازفر وطرفه الفاتن الاحور وشعره كأنه الليل إذا اعتكر ووجهه كأنه الصباح إذا انفجر كما قال فيه الشاعر ابن معمر

بدا بين أتراب حسان كواعب ٭ فكان كبدر التمام بين الكواكب
غزانى بلا قوس ولا نبل نابل ٭ إذا مارمى من عين لحظ وحاجب
له صبح وجه فوق ليل مسدل ٭ وانجم ثغر فوقها اخضر شارب

فقالت له زنانير وحق المسيح إنك يالؤلؤ أحسن من بنات الملوك ولو كنت ممن أحب

الرجال لاخذتك كفؤا إلى أن أموت لكن مالى إلى ذلك من سبيل وهو أمر ايس بالجميل ومالى رغبة فى غير العناق والتقبيل ثم أنها جعلت تسقيه الشراب وتذيقه بوس ألذ من الجلاب من ذلك الرضاب ولم يزالوا كذلك إلى أن غاب القمر وأظلم الليل واعتكر وقد طلعت الجوزا وعند اؤاؤ من قرب الصبح العزا فما خفى على زنانير ذلك القدر من خوف اؤاؤ من طلوع الفجر عند ذلك دقت بيد على يد وأنشدت تقول

كأنما الجوزاء لما بدت   منطقة من لؤلؤ رطب
فاشرب على بهجتها ان ذا   أحلى من الوصل بلا تعب

ثم قالت يا اؤاؤ ساعتنا هذه فرصة فاغتنم هذه الفرصة فقال اؤاؤ وقد غاب عقله وعدم رشده وسكر من لذة خلوته معها والبطارقة نيام والملاح مشتغل بأمره وملاحته ساعة وأفاق اؤاؤ من غشيته وإذا برأسه على ركبتها فاستوى جالسا وقد استحى منها وخجل فقبل يدها فقالت زنانير أحسنت يا اؤاؤ فيما جرى ولكن عند الصباح تحمد القوم السرا (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وصلوا إلى قلعة الملك صلبوتا ونزلت البطارقة إلى الساحل وقصدوا إلى الملك صلبوتا فأعلموه بوصول الملكة زنانير وخلاصها من أبى محمد البطال ففرح فرحا عظيما وأنزل اليهما الغلمان والحجاب وصعدت الملكة زنانير إلى قلعة أبيها وأمرت باؤاؤ فحمل إلى بيت كانت قد أفردته برسمه وأمرت له بالفرش والطراريح والآنية من الذهب والفضة وأن يحملون اليه ما يصلح للملوك وقالت لأبيها الملك صلبوتا أما هذا اؤاؤ فهو لنا ناصح وقد صار كأنه واحد منا وما بقى لى عنه صبر ولا غنا وكذلك بالمسلمين الباقين وقد وصلوا إلى هذا المكان وهم فى حالة الذل والهوان وقد خلص أيضا الهدية المذمومة الذى يزيد على العيارين بحيله الميشومة وأنه يا ملك أكثر من البطال دهاء وأفسق والها ثم أنها حكت للملك بما صنع فى المركب من بوسها وكيف وضع يده عليها (قال الراوى) فلما سمع الملك صلبوتا من ابنته زنانير هـــذا الكلام عن عقبة وأنه فعل هذه الفعال انقلبت عيناه فى أم رأسه وتمزمزمذاقه وقال وحق المسيح لأجعلن قحف رأسه قدح بركة بيت الماء ولاصفعنه على رأسه حتى يعمى (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان عقبة عنده مكر وخباثة وكان قد تبين له غدر الملكة زنانير من كلامها فتركها ومضى عند الراهب خنوسا ابن قسطه وسبقت المراكب كما ذكرنا وصاروا ينتظروها حتى تجىء فجاء الظهر ولم تأتى وجاء العصر ولم سمعوا عنها خبر ولا وقعوا لها على أثر فأقبل الظلام وولى ولم يظهر المركب ولا أتى فقال صلبوتا لبعض حجابه ياويلك أكشف لنا الخبر وأوضح لنا جلية الأثر فعند ذلك ركبوا البطارقة فى مركب خفيف

السير إلى أن أشرفوا على بعض أعمال الملك شعشعونا فبينما هم كذلك وإذا هم بغريق تلعب به الأمواج وهو متعلق بلوح من ألواح المركب وهو فى عنا وتعب وجهد ونصب وقد أشرف من أمره على العطب وأن البطارقة تسارعت اليه وأدركوه ومن الماء أخرجوه وخلصوه ونظر الغريق إلى حاجب الملك صلبوتا فعرفه فقال له الحاجب ياويلك أين غرق بكم المركب فقال يامولاى ما غرق بنا مركب ولكن كان حديثنا عجيب وحالنا غريب وذلك أن الملكة زنانير بنت الملك صلبوتا لما انفصلت منا وأخذت المسلم الذى ما رأيناه ورأينا أصحابه إلا فى ساعة ميشومة وسرنا بعدهم إلى أن قاربنا الصباح فما حسبنا إلا والأعداء قد ركبتنا وكانوا من بطارقة الملك شعشعونا وهم فى مائة حراقة كأنهم العقارب وفيها بطارقة كأنهم السلاهب فأخذوها بالكف وكنت أنا أول من مانع عن روحه ودافع حتى قتل منا جماعة وقد أشرفنا على الهلاك فهربت فى ظلام الليل وقلعت خشبة من صدر المركب والناس مشتغلين بالقتال وألقيت روحى إلى البحر حذرا من القتل وطمعا فى الحياة وأصحابنا أخذوا أسارى أجمعين وخلصوا المسلمين بعدما كانوا مكتفين وأخذوا هدية المسيح ولطموه حتى بقى الدم من مناخيره يسيح ولى يوم وليلة فى هذا البحر غريق حتى أشرفت على الهلاك وقلة التوفيق فقالوا له الآن قد خلصت وخلصنا أيضاً نحن من غضب الملك صلبوتا لايقول ما أخبرتمونى بخبر صحيح ثم ردوا المراكب من ساعتهم وجعلوا يسيرون حتى أشرفوا على قلعتهم هذا والملك صلبوتا متطلع إلى أخبارهم فلما وصلوا إلى الساحل ساروا إلى ان وصلوا إلى الملك ومعهم البطريق الغريق فلما رآهم الملك صلب على وجهه نخدم البطريق للملك صلبوتا ثم أطلعه على القصة وما جرى من خلاص المسلمين واطلاق المأسورين ثم قال اما هدية عيسى فلا فرج المسيح عنه فما رأيناه فى ساعة مباركة ومن يوم وطىء أرضنا فما صفى عيشنا ونشكر المسيح على خلاص الملكة زنانير ثم شكرها على فعلها وانفرادها فى ذلك القارب الصغير وقال لها يابنية لم تزالى موفقة فى كل ماتفعلين وان المسيح له بكى عناية وكلاءة ورعاية وكان الحكيم أقاليدس حاضر ذلك الوقت فوثب اليها وقبل يديها وتلا عليها فصل من الانجيل وعوذها به من كل خداع وتخبيل وقبلها فى خدها اليمين فشكره الملك على ذلك وأثنى عليه وقال له ياحكيم لقد أتحفنا المسيح بتحفة خسيسة وقد أشغله عنا بنفسه وأرجو من المسيح أن يسكنه شعشعونا رمسه فقال الحكيم ياملك وحق المسيح ان هذا الشيخ يقول أنه هدية عيسى وهو كذاب فيما يدعى وهو أفسق أهل زمانه وأوفى الخلق فساداً فى طغيانه وسوف يبان لك صدق مقالى فقالت له زنانير وحق دينى لقد خفت منه

أن يؤذيني أو يغتالني في الليل ويسبيني فقال الملك صلبوتا الآن دعونا من هذا الحديث والمهاترة وانظروا فيما تعولوا عليه فان العدو شعشعونا قد طمع فينا بالعيار المكار المحتال أبو محمد البطال فنسأل المسيح أن يقلعه من هذه الديار ولكن قد بعثت إلى جميع القلاع والحصون أستنجدهم وأمدهم بالأكل والشرب مع الملكة زنانير وما ذلك عار عندنا ولا في ملتنا من يوم قامت الدنيا والروم على هذه الفعال فقال له الحكيم اقليدس صدقت أيها الملك الكريم وما في ذلك عار ولا ذل ولا شنار (قال الراوي) ثم أقاموا في انتظار الملوك والعساكر حتى تصل هذا ماجرى من الملك صلبوتا (وأما ماكان) من أمر عقبة وأبو محمد البطال وغلمانه والبطارقة فانهم لما أخذوا الأسارى ساروا إلى أن أشرفوا على الملك شعشعونا وقد فازوا بالظفر وفرحوا بهلاك من كنسر وفرح الملك لما وصلوا اليه وأول ماسألهم عن الملكة زنانير فقال له أبو محمد البطال لما أخذونا أصحابك أسرى وخلصوها ماعلمت هل إلى السماء طارت أم في البحر غارت وكل هذا من خديعة هذا الشيطان الشيخ النحس الذي يزعم أنه هدية عيسى ثم أعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها وما قال للبطارقة وما عزموا عليه حتى قبضوه وخلصوا زنانير منه ومن يده (قال الراوي) فلما سمع الملك شعشعونا كلام أبو محمد البطال أضرمت نيرانه على زنانير وتأسف على خلاعها من بين ذلك الجمع الكثير ثم صاح بعقبة الخنزير فأحضروه إلى بين يديه فقام اليه وجرد سيفه وكان أمضى من الأجل وأسرع من القضاء إذا نزل وقال وحق المسيح لابد من ضرب رقبة هذا الشيخ النحيس الذي كأنه إبليس فهو كان سبب خلاص محبوبتي وفكاكها من قبضتي فقام اليه أبو محمد البطال وسأله في تركه وأن يعذبه بالضرب الوجيع والشتم الجميع وقال أيها الملك إن قتلته فقد كذب المنام الذي رآه الأمير عبد الوهاب بأنه يصلب على باب الذهب بالقسطنطينية فبحياة الملكة زنانير صاحبة الوجه المنير الا ما وهبته لي لأعذبنه العذاب النكير فانه يرى الموت راحة عند ذلك سكن مابه عند ذكر الملكة زنانير وقال له يا أبا محمد لقد أقسمت علي بقسم عظيم فقال أبو محمد لابد من أخذها لك أيها الملك ولو عضدها المسيح لا الشيخ النجيح فقال الملك وقد فرح بمقاله وقد ثبت عنده صحة فعاله ان فعلت ذلك يا أبا محمد حكمتك في دياري وأنك تحكم على عساكري وأمصاري فشكره أبو محمد وقبل الأرض قدامه ثم قال أيها الملك أين الجارية نهار فقال هاهي في بيت برسمها وهي متطلعة على أخبارك فعند ذلك قام أبو محمد ودخل من ساعته على الجارية نهار فنظرها وهي منتصبة في خدمة ربها وقد أسلبت عبرتها وهي تقول يامولاي وكاشف ضري وبلواي ويأمن قد قصدت رضاه بعد ماكنت عبدت سواه أترى قبلتني أم طردتني

ورضيتنى أم هجرتنى وقربتنى أم أبعدتنى وأحرمتنى أم رحمتنى ثم بكت بكاء شديدا فقال أبو محمد والله لقد أبكتنى بكلامها وأحرقت قلبى بندائها وأخذنى الوجد والسماع من خدمتها وحسن إيقانها وطيب خلوتها مع ربها ثم تلا هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ثم أقبل اليها وسلم عليها وفرح لها بما قد وصل اليها من حسن الاسلام وعلامة القبول من الملك العلام فلما رأته الجارية نهار قامت له قائمة وقالت له أهلا وسهلا بمن كان سبب هدايتى وتوفيقى وسعادتى فقال لها أبو محمد يا أختى قد أخبر الملك الجليل عن منزلة من هلل وكبر وحج واعتمر بأنه يحشر يوم القيامة فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا عشيرة ولا أهلون يوم يصير العزيز فيه ذليلا والكثير قليلا والغنى صعلوكا والمستور مهتوكا والمالك مملوكا وتبطل دولة الخلق وتظهر دولة الحق وتسعر نارا يقال لها الحامية ويفتح سجن يقال لها الهاوية وتظهر غلمان يقال لهم الزبانية فكم من غنى يقول ما أغنى عنى ماليه وكم من باك وباكية وكم من سلطان يقول ذهب عنى سلطانية وينادى منادى من قبل الرحمن أين أهل تلاوة القرآن أين أهل دين الإسلام والايمان أين أهل سورة الاخلاص وسوف يحظون بالتبجيل والأختصاص فاليوم يوم القصاص والأخذ بالنواص أين هم عبدة الصلبان أين الكفرة بالرحمن أين القساقسة والرهبان قد حل بهم الهوان وكذلك كل راهب ومطران وكل مصر على العصيان عند ذلك يؤتى بعيسى بن مريم عليه السلام المبشر بالرسول المكرم وهو يرتعد فزعا وهو خجلان مطرقا ومن خوف الله صعقا فيقف بين يدى الله تعالى ودمعه قد تناثر على خديه وتوالى ويسمع كلامه بلا واسطة يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله فيصيح عيسى صيحة واحدة ويقع مغشيا عليه مقدار ألف عام ثم يقول قم فيقوم وفؤاده من التوبيخ مكلوم ويقول إلهى وسيدى ومولاى إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب فيقول الله عز وجل ياعيسى قف حتى توافقهم بين يدى وتجعلهم حجة لك وعليك ثم ينادى مناد من قبل الله عز وجل فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما فرغ أبو محمد من كلامه وحسن نظامه ذرفت العيون ووجلت القلوب ووقع السماع على الحاضرين وأما الملك شعشعونا فانه سكر من كلامه ووجل قلبه من فزع يوم القيامة ووزن شعشعونا فى عقله دين النصرانية ودين الأمة المحمدية فوجد الإسلام أرجح وما فارقه من أفلح وقال أن التوحيد فى مثل هذه الساعة أصلح والايمان لى أوفق وبى أليق

فلما نظر أبو محمد إلى ذلك قال اللهم بحرمة المختار وعلى الكرار صاحب النبى فى الدار والصديق صاحب الغار وفقنى لمـــا أفعل ووفقه لما يعمل ثم قال أبو محمد لقد كذب النصارى على الله إذ قالوا له ولد وصاحبة للأبد وخسر من كفر وجحد بشريعة محمد لقد أعماهم الله وأضلهم فصرفهم الشيطان وغرهم إذ يقولون البترك الكبير المنزه عن الصاحبة والمشير والولد الحقير الذى يصور من الماء اليسير ويرون ذلك أقبح من الزنا والمواخير فكيف لاينزهون الملك القدير عن الصاحبة والمشير والحاجب والوزير كما ينزهون البترك الكبير لكن جرت عليهم المقادير بالويل والتعذير ثم ان أبو محمد جعل يقرأ قول الله تعالى وهو أصدق القائلين قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فهنيئاً لمن أسلم ووحد وياشقوة من كفر وجحد فعند ذلك قال شعشعونا يا أخى يا أبو محمد كيف الطريق إلى هذا الدين وهل يقبلنى رب العالمين بعد ما عبدت غيره على طول السنين فقال له أبو محمد كيف لايقبلك وهو يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ومفتاح هذا الفعل قول لا إله إلا الله محمد رسول الله قال فمال الملك إلى دين الإسلام ووحد الملك العلام الذى أرسل الجبال كالأعلام وأجرى الأقلام وأبرم الأحكام وخلق الضياء والظلام وأشار الملك شعشعونا الى أبى محمد بالاحترام وقال يا أبو محمد مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فقال أبو محمد الآن فزت بالسعادة والشهادة بإقرارك لله ولمحمد رسول الله الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان المسيح وأمه آية من آيات الله وهو من روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وانه أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله تبارك وتعالى وأنه مخلوق لاخالق ومرزوق لا رازق وأنه مرفوع لامصلوب وطالب لامطاوب وأن مريم القديسة المبجلة النفيسة تكون زوجة لسيد الأنام وبدر التمام ومصباح الظلام محمد عليه الصلاة والسلام فى الجنة وهى دار السلام والمقام وأن الملك شعشعونا لما سمع من أبو محمد ذلك الكلام فرح فرحاً شديداً وقال له ينبغى لنا أن نكتم إيماننا حتى نعرض ذلك على الأهل والولد ومن لنا من العسكر والجند فان أسلموا تقوى شوكتى على الأعداء على مر الأيام وكنت أترك هذه الأقاليم وبلاد الأروام وأسكن بلاد الإسلام وحملة القرآن وصوام شهر رمضان فقال له أبو محمد البطال لله درك أيها الملك الراغب فى دين الملك العلام ثم ان الملك خرج من وقته وساعته ودخل إلى بيت خلوته واجتمع بأهله وأولاده وزوجته وشرح لهم ماقد جرى له مع أبو محمد ودعاهم إلى دين الاسلام فاختاروا ما اختاره لنفسه لأنه الرأس وهم الجسد وهو الراعى وهم

الرعية فأعلنوا كلهم بتوحيد رب البرية وأسلموا على يديه فقال لهم الآن أكتموا أيمانكم ولا تفشوا سركم حتى أستميل قلوب الأقارب والعشائر وتقوى عند ذلك شوكتنا ونضع السيف بعد ذلك فى الكفار ونفوز بالعتق من الملك الجبار فقالوا سمعا وطاعة فيالها من طائفة قد سعدت وعصابة إلى الدين الحنيفى قد اهتدت (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأما الأمير أبو محمد فانه قال للجارية نهار على ماذا عواتى فقالت على خدمة ربى ولزوم محرابى فهو خير لى فقال لها أبو محمد نعم مانعاتى ولكن لابد لكى من الوصول برجل يستر دينك فهو عين الصواب كما أمر رب الأرباب وأما لؤلؤ فقد مرق من دين الإسلام واقتنع بالنظر إلى زنانير وشرب المدام فقالت الجارية والله ياأبو محمد مابقى لى رغبة فيه وقد كان عشقى له سبب هدايتى وفتح باب سعادتى فقال لها إذا كان الأمر كذلك فأزوجك بغلامى جوهر فهو أبهى منه وأوفى وأكمل وأجمل وأعقل وأحسن وأدين ويحفظ كثير من القرآن ويراقب الملك الديان فقالت له يا أبو محمد الأمر اليك ولا أخالفك فيما تأمر فاننى الآن تحت حكمك وقد صرت من جملة خدمك فقال لها الأمير والله ما أنتى إلا أختى ولقد سعدتى ومن دين النصرانية استرحتى وقال أبو محمد للبطارقة استأذنوا لى على الملك حتى أدخل اليه فجاءه الغلمان وأخبروا الملك شعشعونا بأن أبو محمد البطال على باب الدار وهو يريد الدخول إليك فاذن له فى ذلك فلما دخل الأمير أبو محمد على الملك سلم عليه وجلس بين يديه وحدثه بما جرى له مع الجارية نهار فى ذلك النهار وأنها كانت عاشقة لؤلؤ وكان هو السبب فى هدايتها ولما دخلت فى دين الاسلام زهدت لؤلؤ وإنى قد عولت أن أزوجها بغلامى جوهر فقال الملك شعشعونا هذه تصلح لمثلى أنا لأنى قد زهدت فى الدنيا وقد رغبت فى الآخرة وقد مضى حب زنانير من قلبى وثبت حب هذه الجارية فيه فقال أبو محمد يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فلما سمع الملك شعشعونا هذا المقال مسح كريمتيه بيديه وأنشد يقول

قد لاح من نورك المشيب ورق من عمرك القشيب
فكن له قبل اللقا مجيب من قبل أن تدعى فلا تجيب

ثم قال يا أبو محمد قد رغبت فى زواج هذه الجارية فطار عقل البطال فرحا بقوة إيمانه وقال لو لم يكن فى هذه السفرة إلا هذه النادرة فهى كفاية واحسرتاه على الأمير عبد الوهاب أن يرانى حتى يفرح لى بما أتانى ثم أقبل على الملك شعشعونا وقال له قال الله تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وهذه لاتصلح إلا لك وأنت لاتصلح إلا لها فقال الملك إذا كان ولابد فانى أويدها فى هذه الساعة حتى أدخل بها من ليلتى وأقضى

من وصلها بغيتي وأشرع بعد ذلك فى ترتيب قلعتى عند ذلك أمر الأمير أبو محمد البطال باحضار الجارية نهار وأمر باحضار أولاد الملك الذين هم قد أسلموا وأمر باحضار غلمانه وهم سبك ويانس وجوهر وتمثل وقال ٭ كلما يصلح للمولى فعلى العبد حرام ٭ ثم عرف أبو محمد الجارية نهار بأن الملك يريدها ففرحت وقالت فى نفسها هذه أول السعادة من الله تعالى وبركة الإسلام ثم أمر أبو محمد الجاريه أن توكله فى زواجها ففعلت وأقبل أبو محمد على الملك وأرضاه على صداقها فرضى بذلك وان أبو محمد خطب خطبة وقال الحمد لله الذى كلت عن وصفه صفة الواصفون وحارت أن يقف على شىء من نعته عقول المتفكرون وأطلت دون معانية أبصار الناظرون ودل بما رفع من السموات السبع والأرضين السبع على عظيم سلطانه وبما يسير فى الافلاك من المصابيح الزاهره على برهانه فالعقول تعرفه بما أظهر من أدلته والقلوب تعظمه بما رسم للخلق من بدائع فطرته والبدائع قائمة تشهد بما نصب من الدلالات والدلالات ناطقة بعرفان ما أوضح من شواهد البينات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة أرجو بها الفوز من رب السموات وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب المعجزات المتوج بتاج الجلالات صلى الله عليه وعلى آله وسلم أفضل الصلوات، ثم أمر فكتب الصداق وأقبل على الملك وآخذ بيده بشهد جماعة من المسلمين والمسلمات وقال له زوجتك موكلتى شمس النهار الراغبة فى خدمة الملك الجبار على صداق مبلغه عشرة آلاف دينار فقال الملك فى الحال قبلت منك هذا التزويج ورضيت به على الصداق المذكور وطابت القلوب ونثرت الدنانير على الحضور وكانت ساعة عظيمة أرتجت فيها الأرض وحضرتها الملائكة وتجلى الواحد القهار والمطلع على الأسرار وقال أنا العزيز الستار الرءوف الغفار ثم أمر الملك شعشعونا لشمس النهار بخمسة آلاف دينار معجلة فى الحال فحملت إليها لتأخذ فى إصلاح شأنها الى ثلاثة أيام وخلع على الأمير أبو محمد خلعة تسوى خمسة آف دينار وخلع على غلمانه الأخيار (قال الراوى) فلما عبرت الثلاثة أيام أمر الملك شمس النهار فجليت على وجه الخفية فى ليلة الجمعة وفرحوا بها أهله وأولاده هذا وقد أعتق الجوارى وأخرجن من قصره وزوجهن بماليكه وأعرض عليهم الاسلام فأسلم على يده زهاء عن مائتين مملوك فى تلك الخزائن واستمالت قلوب الناس اليه بفعله معهم الجميل ثم دخل على زوجته شمس النهار فى تلك الليلة فورد على بلدة طيبة وماء طهور وأصبح وهو مسرور متوجا محبور وقد علقت من ليلتها وفرح الملك بها غاية الفرح فهذا ما كان من الملك (وأما ما كان) من

أبو محمد البطال فانه كان كل يوم يجدد على عقبة العذاب ويوجعه بالضرب الشديد ويقول له كيف ترى ياعدو الله وقد جعلتك فى هذه القلعة التى لايقدر عليها أحد لأجل علوها وارتفاعها وأن أبو محمد لم يأخذه صبر دون أن أعلمه وعرفه باسلام الملك شعشعونا وجميع من فى القلعة وزواجه بشمس النهار فلما سمع عقبة ذلك عظم عليه وكبر لديه وغشى عليه ساعة من غير ضرب ولا عقوبة ثم أفاق من غشوته وقال ما كان أيشمها على من سفر فى هذه الكرة وما أظن المسيح إلا مسلم وأن دين الاسلام هو الدين الصحيح والنصارى على الباطل وإلا ما كان يتم لك ياأبو محمد هذه المناصب ولا تصح لك هذه العجائب فضحك أبو محمد من كلامه وقال والله لاملكن جميع هذه القلاع للأمير عبد الوهاب سيد بنى كلاب وأسلم كل قلعة إلى أمير من المسلمين وتبقى لذريتهم من بعدهم إلى يوم الدين ولكن قلبى مشغول على المسلمين لأننى فارقتهم وملك الروم قد غزاهم ونقض العهد والهدنة وما راعاهم وكلما تم فهو من يدك ياشيخ الضلالة ومعدن الجهالة وسوف أنفذ اليهم كتاب وأعرف الأمير عبد الوهاب بهذه الأسباب وآمره بالقدوم ولو بعد حين ويكون قد قرب الله صلبك على باب الذهب وتصير الناس من حديثك تتعجب ثم قام الأمير أبو محمد من عنده بعد ماصفعه حتى نزل الماء الأصفر من عينيه وبقى وجهه مخالف فنصف وجهه بفرد عين والنصف الآخر بلا عين وهو شهرة وأضحوكة لمن نظر إليه فقال عقبة ياويلك ماأعرفك بالمجازاة فلا ستر الله عليك ياشيطان فصعد أبو محمد وهو يضحك وقلب عقبة يتقطع والعين الصحيحة من الصفع تدمع وقد أمر الموكلين بأن يحفظوه وجعل غلمانه جوهر وسبك يحرسوه مبالغة فى حفظه وحذرا من غدره ومكره لئلا ينصب على البطارقة كما فعل أول مرة وأن الأمير أبو محمد انتبه من رقدة غفلته من أمر مكاتبته للأمير عبد الوهاب ثم قال للملك شعشعونا قد كان من الأمر كذا وكذا وحدث الملك بحديث عقبة وما يتم عليهم منه من بلاد الاسلام وحكى له جميع قصته ثم وصف له الأميرة ذات الهمة الزاهدة العابدة والأمير عبد الوهاب وأولاده وجميع أبطاله وشجعانه طول نهاره فقال الملك والله العظيم إن هؤلاء من أهل الجنة وأؤمل من الله الاجتماع معهم لأجاهد بين يديهم فقال له الأمير أبو محمد ياملك سوف أكتب لهم كتاب وأنفذه مع غلامى سبك وأتسبب فى وصولهم إلينا وقدومهم علينا عند ذلك ضحك الملك من كلام البطال ثم قال ياأبو محمد وهل يقدر غلامك يتحيل فى الخروج من باب السده التى للبحر وقلعة صلبوتا والملك دقيوسا فلو أنه ابليس مايقدر على ذلك فدع ماخطر بقلبك من وصول أبطال المسلمين الينا وقدومهم علينا فقال له أبو محمد ابشر أيها الملك

العظيم والسيد الكريم فانى لو أردت أن أعمل عملا يكون فيه مصلحة للمسلمين لاعانى رب العالمين قال فتحير الملك من كلامه وقال سبحان الله العظيم الذى أهلك بهذا الأمر وهذه الحيل فقال له أبو محمد سوف ترى العجب ثم أن أبو محمد غير زى غلامه سبك وجعله فى صفة أولاد الملوك وزيهم ونكره بحيث لا يعرفه أحد من الناس وأعطاه من الأموال غير قليل ومن النذور والشموع والمسك والكافور وأمره أن لا يتكلم إلا بالإشارة ولا يحدق إلى أحد بالنظر ويلزم السكينة والوقار وكتب معه كتاب فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (أما بعد) فلا أوحش الله من الأميرة والأمير والأمراء والسادات الكبراء أصحاب الطعان والضراب فى طاعة الملك الوهاب فهذا كتابى اليكم ينطق بسلامى عليكم وكثرة أشواقى اليكم وأنشد يقول

كتبت كتابا لو قدرت صبابة ... لصرت لفرط الشوق فى طيه سطرا

ابيت قرار العين ارعى خيالكم ... وتصبح كفى من لقائكموا صفرا

إذا اشتاقت النفس الحزينة نحوكم ... تزور خيالا منكموا يطلع الفجر

فتحيي بوصل منكموا فى منامها ... فياليت ذاك النوم دام لها شهرا

(قال الراوى) وقال فى آخر كلامه ولو رمت أن أشرح الأشواق لبليت بما لا يطاق وأظهركم بما جرى على فى بحيرة الفلك فانى أسرت كذا كذا مرة وأطلقتك وبعقبة اللعين قد ظفرت وقد أسلم على يدى الملك شعشعونا وقد ثبته الله على دين الإسلام وقد أسلم معه خلق كثير ثم شرح لهم صفة القلاع والحصون وكيف قدملك قلعة منها وقد أسلموا أهلها خفية منهم حتى تقوى شوكتهم ويعلنون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وهذا أول كتاب كتبته لكم وإذا وصل مع السلامة اليكم فلا يكون الجواب الا وصولكم فى مراكب تعملوها وتملوها بالبضائع من القطن والكتان ومن الملبوس والفواكه التى تحتمل النقلة من التفاح والاتراج والسفرجل ولا تتعرضون باليواقيت والجوهر فانها من عندهم تظهر وتتحفظون بسلاحكم وتأتون بأرواحكم وتنتخبون العساكر وتجعلون فى مقدمها سيف الحنيفية وظالم ويكون معكم من السودان ميمون الجماس وتأتون بأجمعكم وتكون شجعانكم بهائم الخام والثياب الواسعة الأكمام وكذلك السودان والغلمان وتعزلون هدية فاخرة للملك صلبوتا فانه صاحب الباب النحاس وقلعة الدولاب وهو عدونا وعدو الملك شعشعونا فالله تعالى يأخذه أخذ عزيز مقتدر فاذا وصلتم مع السلامة واتحفتموه بالهدية السنية والغلمان والجوار وملئتم عينه فاصبروا إلى الليل وارسلوا من مراكبكم مركب لاغير وليكن مركب كبير ويصلون إلى الأبواب

الذى على رأس المضيق من جهة البحيرة فان فطن بكم صاحب قلعة السحاب فاجعلوا أنفسكم تجار وتبيعوا من البضاعة التى معكم قايل واهدوا له شىء واملوا عينه وان لم يعلم بكم فانتم تعبرون عليه وتقولون معنا بضاعة تكفى الأربعين قلعة فهما صلح للملك فليأخذوه ومالا يصلح له فليرده حتى نحمله إلى سائر القلاع فاذا قلتم ذلك فتح لكم الأبواب بالإذن منه فاقلعوا وسيروا عشر فراسخ فتصلون إلى قلعة الملك شعشعونا فهى أقرب القلاع إلى قلعة الملك صلبوتا فننزل اليكم وتستلمون قلعته بتوفيق الله ومعونته بعد السلام التام والتحية والإكرام ثم سلم الكتاب إلى غلامه سبك فأخذه وسار فى حراقة صغيرة ومعه البخور والنذور ومعه جماعة من العجائز وقد قال لهم البطال سيروا معه وفى صحبته وأظهروا انكم سألتم أن يسيركم إلى دير النذور (قال الراوى) يا سادة يا كرام فوجدوا العجائز لذلك فرحة عظيمة وركبوا معه فى الحراقة وساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى قلعة الملك صلبوتا ودخلوا المينا وساروا بجملتهم وقد نزلت اليهم البطارقة وأهل البحر خوفا من المسلمين أن يكونوا قد هربوا ويعبرون عليهم فما وجدوا غير العجائز والرهبان وسبك كأنه من بعض أولاد الوزراء والأمراء لأن سبك كان أحمر اللون أشقر وقد أفرغ ثياب السواد على جسده فلم ينكروا عليه وسألوه الدعاء وودعوه وقد فتحوا لهم الباب وأزالوا السلاسل والأغلال وقدتم لهم الاحتيال وخزى الشيطان وتموا سائرين على كف الرحمن هذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من الملك صلبوتا والملكة زنانير واؤلؤ والعساكر الذى أنفذ خلفهم حتى يغزون الملك شعشعونا فان العساكر اجتمعت اليه ووردت عليه من كل فج عميق وواد سحيق وتبادرت الملوك إلى قضاء حاجته طمعا فى رؤية ابنته وقد تحملوا بكل مايقدرون عليه من الهدايا والتحف الفاخرة اليه فتلقاهم الملك صلبوتا بصدر منشرح ورحب وفرح وأقبل عليهم وفرح بهم غاية الفرح وزال عن قلبه الهم والترح لأجل مجيئهم اليه وأخبرهم بقصة الملك شعشعونا وكان لم يعلم باسلامه بل مخالفته وكونه احتمى لجماعة المسلمين واقامتهم عنده فقالوا له الملوك كلهم نحن لك وبين يديك فتوجه بنا إلى دياره وقد قلعنا آثاره فقال لهم الملك صلبوتا بل اصبروا حتى أقيم لكم بما وعدتكم به من الشرب والتنزه مع كريمتى فشكروه على تلك الفعال (قال الراوى) وأمر الملك أن تذبح الذبائح من الخنانص والدجاج وسائر الطيور فعملت لهم من كل لون وسكبت الخمور ومدت الاسمطه ووضعت الأوانى الذهب والفضة والاحقاق المحكمة من البلور وآنية الجوهر وتماثيل من العنبر وأقاموا يومهم وليلتهم فى ألذ عيش يكون فلما كان عند الصباح ركبوا الملوك وبرزوا إلى

الميدان وفى أوساطهم مناطق الذهب المجزعة بالفيروزج والزمرد الأخضر وقطع الزبرجد وعلى خيولهم أجلة الابريسم محبوكة باللؤلؤ الصغار والكبار وهى تأخذ بالأبصار وتسوى خراج سائر الأمصار وأقبلوا فى زينتهم وتصففت الصفوف ولعبت الملوك بالأكرة والصولجان وقد ظهرت الملكة زنانير كأنها القمر المنير أوشمس ضاحية فى سماء صاحية وعليها كبر من الأطلس الأحمر بأزرار من الجوهر وقد دفنت فيه الزرد المنضدوعلى رأسها تاج من الجوهر على هيئة البطيخة الكبيرة الطويلة وقد جمع ورفع ذكرفى أنثى وأنثى فى ذكروخيط بشرايط من الذهب يدهش الناظر وغواية للكافرولهخيط من الابريسم بشرابة وهو محبوك بلؤلؤ كبار مفرد يسوى ملك الأرض فى الطول والعرض يضوى على جبينها وعلى سالفها وجيدها وبيدها صولجان من الذهب الأحمر منقوش عليه بالقلم وقد دفن فيه الزمرد الأخضر والياقوت والجوهر وهى متقلدة بصارة أبتر لو وقع على صخرة لبراها أو على أضلاع الفيل لفراها كما قال فيه الشاعر

كـــأنه فى كفها قابض ٭ لانفس العالم عند النزال

كأنمـــا الموت له خادم ٭ يصلح للضرب مليح الصقال

(قال الراوى) والناس يعوذوها بالمسيح والقسوس والرهبان تصيح وبين يديها البطارقة والغلمان فلم يبق أحدمن الملوك إلا وصاب على وجهه من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وما منهم إلا من أشار إلى الأرض لاثما وعليها مسلما واقتسما الملوك بعد ذلك فى الميدان قسمان فكانت الملكة زنانير ومعها عشرة من الملوك وخواصهم والملك كوريا معه أيضاً عشرة ملوك وكان جبار عنيد وشيطان مريد وكان ملكا جسيما ومقدما عظيما يتغذى بخنزير ويتعشى بمثله ويشرب زق الخمر فى قعدته وكان هذا الملعون رامقاً فى محبة زنانير أكثر مما كان شمشعونا وقد عول فى هذه النوبة على أخذها غصباً من أبيها ولو جرى بينهما ماجرى (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم وضعوا الأكرة فى قطر الميدان وأخذوا الملوك باللعب بالأكرة والصولجان (ياسادة) فلما حميت الخيل فى اللعب تطاولت اليها الأعناق وزنانير ترقص الحصان رقصاً ولم تزل على ذلك حتى وصلت الأكرة اليها وأشرفت عليها وتسلتها من بين أيديهم وضربتها ضربة طلعت إلى الهواء وجرى الجواد تحتها إلى أن صارت تحت الأكرة فلما نزلت من الهواء ووصلت اليها لم تتركها حتى تصل إلى الأرض بل أنها ضربتها ضربة ثانية وردتها إلى الهوى وإلى أعلاها كانت فى المرة الأولى فقالت الملوك لبعضهم البعض ياويلكم هذه الملكة زنانير قد أخذت الأكرة على كيسها ولم تدعها تقع بين أيدينا فلما سمعت كلامهم تبسمت وقالت خذوها رحمة منى لكم وافرحوا بها فتعوذوها القساقسة

والرهبان بالانجيل والصلبان ثم أن الملكة زنانير التفتت إلى خادم لها يقال له صوريا وقالت له إذهب الساعة وركب لؤلؤ على بعض جنائبي وائت به إلى ظاهر الميدان وأجلسه فى أعلى مكان حتى ينظر إلى فعالى بالملوك وينظر إلى رغبتهم فى مثلى ويحقر نفسه فيما تم عليه وبعد ذلك فقد اشتقت اليه (قال الراوى) فمضى الخادم إلى ما أمرته أسرع من البرق وأقبل بلؤلؤ وقال له يامولاى إجلس ههنا وتفرج على الملوك وما تصنع بهم الملكة زنانير ثم جلس الخادم معه فى مكان يشرف على الميدان وكان كأنه جنان رضوان مما نبت فى جوانبه من الورد والريحان والنرجس والنوفر والجمان والسوسن وشقائق النعمان والرياض التى قد صاغها الواحد المنان والمياه منحدرة من الجبال والقيعان وإلى كثرة الأرانب مع الغزلان فهو كما قال فيه الشاعر الولهان

النبت بين مفضض ومذهب ٭ والغيم بين مشمر ومشطب
والماء بين مودع بيدى القنا ٭ ومحوس ومغزل ومضرب
وكان ريح الراح فى ابريقها ٭ بدر تصوغ من حباب مسحب

(قال الراوى) فقال لؤلؤ فى نفسه هذه جنة النعيم أم دار الخلد المقيم وهذه الحور والولدان أم أنا نائم أو يقظان فسبحان الملك الديان المقيم بعد فناء خلقه الذى خلق هذه الأشياء كلها فتنة لعبدة الصلبان (قال الراوى) فكانت من الملك كوريا التفاتة فرأى لؤلؤ فى رأس الطارمة كأنه القمر المنير وعليه ثوب من النسج القسطنطونى وعلى رأسه قلنسوة من الذهب الأحمر وكانت تلك البدلة خلعة الملك صلبوتا عليه لما خلص هدية عيسى وأتى به اليه وقد زادت الملكة زنانير فى اكرامه وتعلق قلبها بغرامه وكانت أشر الخلق فى القتال وأبغضهم للرجال ولكن بليت بمحبة لؤلؤ لأجل ما تمنع عنها لما عرضت نفسها عليه وكل ممنوع حلو وقالت فى نفسها إذا كان مثلى أنا تعرض روحها على هذا المسلم ما يرضى بها فما هذه إلا نفس عظيمة فصارت لا تصبر عنه ولا تقرب منه ولا ترغب فيه ولا تبعده ولا تعصيه ولا تقطع تمينه وتنفيه ولا تسعفه وترضيه وهو مع هذا جميعه صابر كأنه مجنون بنى عامر (قال الراوى) وان الملك كوريا سأل عن لؤلؤ فدلوه على جلية خبره وقصته وأنه مسلم على دينه وأن الملكة زنانير لها به عناية وهى تحبه ولا رغبة لها فى قربه بل لحفظه لدينه وطيبة محادثته وحسن ملاطفته ومنادمته (قال الراوى) فغضب الملك كوريا وانقلبت عيناه فى أم رأسه وأخذته الغيرة والحمية على الملكة زنانير وقال وحق المسيح لابد لى من قتله فى هذه الساعة ولو عضده الملك صلبوتا بنفسه لعجلت عليه حمامه وأسكنته رمسه وجعلت يومه أنحس عن أمسه وأظهر ذلك فى نيسه وجرد سيفاً كان معه أمضى من

القضاء والبرق إذا أضاء وجعل يحرك جواده فى ذلك الفضا. وقصد إلى الطارمة وقد فزعت الملوك من سطوته وتعوذوا من مكره وشره ولعنته هذا والملكة زنانير قد غضبت من تجبره وسطوته وكيف تجرأ فى ذلك المكان واخترط بيده الحسام وأن الملكة زنانير سألت عن حاله وما الموجب لسل سيفه فأخبروها بالسبب وأنه يريد يقتل لؤلؤ فأخذها من ذلك الغضب وبادرت اليه كيما يبطش بلؤلؤ فمسكت بأكتافه وسكنت غضبه وقالت له أيها الملك قد أسأت الأدب وأرعبت الملوك بالصخب فأقف عما بدالك واغمد حسامك فان هـــذا المسلم خدمنا بنفسه وقد فادانا وساعدنا على أصحابه وقد سبق منه البقاء الجميل وماله فى فضله عديل (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك من كلامها وما أبدته من نظامها شخر ونخر وهدر وزمجر وأقبل اليها كانه الأسد القسور وقال لها يالخنا وحق المسيح أنك من أولاد الزنا ولولا أنك امرأة لقطعتك قطعا فقالت له زنانير وقد اشتد بها الحنق والخبل ياويلك وحق المسيح انك أحقر وأذل من ذلك ثم همت أن تحمل عليه فقالت فى نفسها ماأمكنه منى وأنا خالية من اللباس فقالت إن كنت من الشجعان وكما تدعى انك من الفرسان اصبر ولا تقتل هذا الانسان حتى ألبس العدة وآتيك أجرعك كاس الهوان ثم ردت رأس جوادها فخرج من تحتها كانه السحاب ودخلت ولبست عدتها ورجعت إلى الملك كوريا كانها البلاء المبرم ثم أشارت اليه وقالت ياسفلة الملوك ويأخس من كل غنى وصعلوك دونك والحرب ومقام الطعن والضرب ثم حملت عليه وحمل عليها وفتحا فى الأرض ميدانا وتجالدا ضربا وطعانا حتى غابا عن الأبصار هذا والملك صلبوتا لما رأى ذلك الأمر خاف وفزع على ابنته من ذلك الجبار وسأل عن السبب الموجب لذلك الغضب فقيل له من أجل هذا المسلم فانقلبت عيناه فى أم رأسه وقال وحق المسيح أنه على الصواب وأن هذا الفعل الذى تفعله ابنتى لفعل غير جميل ولا يرضى المسيح أن يكون شغل للسلدين فى طارمة ابنتى فى يوم فرجتى بأرباب دولتى وأهل عشيرتى فواخجلتى وافضيحتى ثم أمر الملك بلؤلؤ أن يسحبوه على حر وجهه فعند ذلك سحبوه وهم بقتله فمنعه الحكيم اقليدس من ذلك وقال هذا لايجوز وما أمر المسيح بذلك وأن الملكة زنانير لها رعاية به لأجل عفافته ومحبته لها والتجائه اليها وكان ذلك من الحكيم أقليدس على وجه الشفقة لأنه يعلم منزلته عند الملكة زنانير حتى يأخذ بذلك عندها وجه عظيم ويكون له اليد البيضاء على هذه الفعال (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأمر الملك بحبسه وحلف أنه لاعاد خلاه عند ابنته زنانير هذا جرى للملك ولؤلؤ (وأما ماكان) من حديث الملك كوريا كوريا فانه أقام إلى ذهاب النهـار فى قتال الملكة زنانير وأقبل الظلام يغياهب الاعتكار

وملت الملوك من الوقوف وتعجبوا الصفوف من مقام كوريا مع الملكة زنانير وقالوا هل هى الا ذات ضلع أعوج وعقل أهوج وهى إلى الزوج أحوج والقرة فى سواعد الرجال ولكن قد خص الله الملكة زنانير بقوة الساعد والصبر على الشدائد ولولا الظلام حجز بينهما كان قد حل الحمام بأحداهما وأن زنانير وصلت إلى الملك صلبوتا وأخبرته بالقصة وما أسمعها الملعون وكيف شتمها شتما شنيعا وأخرق بها فلما سمع الملك صلبوتا ذلك من كلام ابنته وانها قد صعب عليها وكبر لديها غضب غضبا شديدا ماعليه من مزيد وأرغا وأزبد وقام وقعد وغار من كلامها وقال لها وحق المسيح لولا أن الظلام قد انسدل لخرجت من وقتى وساعتى وعلى لامتى وما رجعت إلا برأس هذا الملعون وهنت أنا فى أعين الملوك الى هذا الحد وطمع فينا بالهزل والجد ثم التفت إلى ابنته وقال لها ويلك هذه فعالك اليوم معى وهتكتينى بين هذا الجمع الذى هم ملوك الأرض وبين كل غنى وصعلوك كونك جعلتى هذا المسلم فى هذه المنظرة التى لى حتى ينظرون الى الملوك بعين النقص فوحق المسيح ماقصر الملك كوريا وما أخطأ لقتاله لك واحراقه بالشتم لك والذم وغدا يتحدثون به عنى وعنك وأما انى وحق المسيح والبترك الكبير والشماس الصغير صاحب دير النذور والبيعة العظيمة والست مريم الكريمة وحق الصليب والانجيل والا قلت فى المسيح ماقالته المسلمين ان عدتى خلوتى مع هذا المسلم فى مكان مرة ثانية لاضربنك بهذا الحسام وأريح منك الأنام (قال الراوى) فلما سمعت الست زنانير من أبيها هذه الأقسام العظيمة أطرقت برأسها الى الأرض وقد خجلت منه لأجل احترامه واحتشامه وكان صبرها عنه وعن جوابه إكراما له فأمسكت له حتى سكن من غضبه وقل صخبه وعزم على المنام عند ذلك خرقت الملكة زنانير إلى قصرها وقد انقبض صدرها وضاقت عليها الأرض بما رحبت (وهكذا ياسادة) جعلت طبايع أهل الأرض لأنها مركبة على حب منا منعت عنه وما حلا لؤلؤ فى قلبها الا لما عذلها أبوها عنه فحملت على قلبها لأجله مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وخيل لها انه اختطف زوجها وزاد بها الوجد والوسواس فى تلك الساعة فلما هدأ عليها الليل قالت لدايتها وكانت عجوز قد سافر الأقاليم ومشت بين بنات الروم فى الرسائل وقد تسببت للعاشقين فى وصول بعضهم بعض وكان لها من العمر مائة وأربعين سنة مالها فيهم عند الله حسنه وكانت هذه العجوز مالها دين تعتقد به بل أقود من الليل وأجرى من السيل وأحيل من أبو محمد البطال شيطانه صبوره على الأهوال فعند ذلك قالت لها الملكة زنانير يا أماه قد جرى لى من الأمر كذا

وكذا وقد حجبت عن المسلم الغريب وقد وقعت فى اللهيب وأنا مرارتى قد انفطرت والنار فى كبدى قد التهبت وما هى الا عين قد أصابتنى حتى تلفت ولو رأيت الليلة المسلم انطفت نارى وكنت أصبحت أخذت بثارى فقالت لها العجوز أيتها الملكة أن السجان هو ولدى وأن كنتى تريدى أن تقومى اليه فما بينك وبينه حجاب الا كشربة الشراب فقالت لها زنانير حفظكى علىّ المسيح ولكى من المال ماشئتى ثم أن العجوز أنطلقت بين يديها بحيث لايعلم بها أحد حتى وقفت على باب السجن فى هدوء الليل وطرقت الباب طرقا خفيفا فخرج اليها السجان وقال من بالباب فكلمته العجوز فلما عرفها فتح الباب فدخلت ومعها الملكة زنانير وأمرته بغلق الباب وكتم الحال فقال سمعا طاعة بعدما قبل يديها وأومأ بالتحية والاكرام اليها فشكرته على ذلك وهجمت على لؤلؤ وهو مكبل فى الأغلال والقيود الثقال والذل والهوان وهو مع ذلك كأنه سكران ومن الفراق أجله قد حان وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

قد صاح حادى البين بالبكا * وفاض مجرى الدمع من عينى
أصابنا داعى الهوى صارخا * أصابنى الحاسد بالعين
شلت يد البين لقد فرقت * فى غدرها بين المحبين
تقاسموا العشاق حظ الهوى * وحظى الهجران والبين
أحسن ماكنا وأحبابنا * فى طيب عيش أحسن الزين
أصابنا الحاسد بعين له * فيالها ياقوم من عين

(قال الراوى) وجعل لؤلؤ يبكى وإذا قد وقعت زنانير فى صدره وقبلته ثلاثاً وقالت لاخوف عليك ولا بأس وخلاصك عندى أسرع من تردد الأنفاس إذا ظفرت بهذا العدو والذى قد نغص علينا عيشنا كان تدبير آخر لنا فثق ياحبيبى منى بالمحبة الدائمة الصادقة الملازمة والموافقة (قال الراوى) فلما سمع لؤلؤ كلامها وما قد تجدد عليها قبل الأرض بين يديها وقال لها والله لقد فرجتى عنى كرب هذه الليلة بمحبتك إلى سؤالك عنى ولولا ذلك لكنت هالك وماكنت أصبحت إلا ميت لأنى غريب ومع هذه الغربة انى مبتلى بالمحبة وكنت قد أشرفت اليوم على الهلاك والبلاء والتلاف والارتباك فقالت له زنانير طب نفسا وقر عينا فوحق دينى ولست أحنث فى يمينى لأوصل إليك سوء وان أعرف شمالى من يمينى ثم جلست عنده ساعة وعانقته وقبلته أنها ودعته وخرجت من عنده وقد انطفت نارها وقر قرارها وقالت للعجوز وحق المسيح لولا إنى رأيته فى هذه الليلة لكنت أتلفت لامحالة وكان تلف هو أيضا لقد كنا متوافقين فى المحبة ثم باتت بقية

ليلها ولما أصبح الصباح وأضاء بضيائه ولاح سمعت زنانير صوت البوق والطبول والأرض قد ارتجت والعساكر قد ركبت فسألت عن الحال فقيل لها أن ملك القلفا الدهما كوريا قد خرج يطلب البراز ويسأل الانجاز وقد استمال اليه جماعة من الملوك والباقين قد مالوا إلى أبوكى (قال الراوى) ياسادة كانت هذه نوبة عظيمة ما سمع بمثلها لأن الملك صلبوتا خرج من القلعة وبين يديه القساقسه والرهبان والشمامسة والبطارقة كأنهم الأبالسة وقد وصلت دكتهم إلى الأرض الخامسة وكان أول من صاح وخرج إلى الميدان كان الملك صلبوتا وهو على جواد أبلق من الخيال الجياد كانه الطير إذا أطلق أو جريان الماء إذا أندفق أو الهواء إذا استنشق أو البرق إذا لمع برق أو السهم إذا خرج من كبد القوس وأنطلق وأحسن ما قيل فى ذلك الحصان الأبلق قول الشاعر الفرزدق حيث يقول

على أبلق من أسبق الخيل هائل بديع سريع يسبق البرق إذا سرى
ويأخذ بالأبصار عند أنطلاقه يقصر عنه الريح عجزاً إذا جرى

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وهو متقلد بسيف ماضى وعلى الأرواح قاضى معتقل بقنطارية على رأسها هلال كأنه المنية ويقطع آجال الامنية وانطلق الملك كأنه القضاء المبرم وحمل على ميمنة عسكر كوريا فقتل فى حملته خمسة من الأبطال وقتل من الميسرة ثلاثة وسقاهم كاسات الويل والوبال (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما نظر الملك كوريا إلى فعال الملك صلبوتا بأصحابه وما قتل منهم زمجر وكفر وظهر واشتهر ووجهه قد أنكشر وقد أيقن بالظفر وقال فى نفسه لما عاين الملك صلبوتا وقد خرج يطلب برازه هذا يكون سبب سعادتى إذا أسرته ومن سرجه أقتلعته ولا أطلقه إلا بالملكة زنانير صاحبة الوجه المنير ثم أنه حمل وهو على جواد أدهم كأنه الليل إذا أظلم أو الغراب الاسحم وبين أعيانه غرة كأنها الدرهم يلتقط الفراسخ بوثبته ويهد الجبال الراسيات بشدته ثم صاح بالملك صلبوتا صيحة فأزعجه وهم عليه وضايقه وبالطعن ألهبه وضيق مذاهبه وأكربه فطعنه بعقب قنطاريته فأقلبه وأنتض عليه كأنه العقاب الكاسر وشاله على أكتافه وسار به طالب عسكره وأجناده وإلى أصحابه سلمه بعدما قيده وكبله وعن أعين البطارقة غيبه هذا وقد صلبت الملوك على وجوهها وتقهقرت إلى ورائها وقد أخذهم الزمع والويل والوجل من ذلك الشجاع البطل ثم عاد الملك كوريا إلى الميدان وهو كأنه الجمل أو الأسد إذا اكتمل وحمل على ميمنة الملكة زنانير ولم يرجع حتى قتل عشرة أبطال وكان كلما قتل بطل خرج اليه بطل آخر ثم هم بالحملة على ميسرة

العسكر فلم تمكنه الملكة زنانير بل أعترضته كأنها اللبوه الشمطاء والحية الرقطاء وقد طارت الدمعة من عينها لأجل أسر أبيها واخراق هيبته بين قومها وذويها وعرفت قصده بابقائه ووقعت على مخازيه ودواهيه فأخذت بيـــدها قنطارية ثقيلة خلنجيه لاتقلها الشجعان ولا يقدر على حملها إنسان ولا طعن بها انسان ونفعه مرهم ولا ادهان على رأسها سنان كأنه اسان ثعبان وهى على جواد أصفر قد اكتسب من الأسد قوته ومن النمر وقاحته ومن الثعلب زوغته ومن الأرنب فتلته ومن الأسد وثبته كما قيل فيه

فلست ترى له فى الحرب ظهر ... وليس ترى له فى الأرض فيًّا
كأن الأرض بين يديه ثوبا ... فيطويه إذا ما شاء طيًّا

(قال الراوى) لهذا الكلام ياسادة يا كرام فما رأت العيون ولا وصفت الواصفون ولا شاهدت الراوون مثل خفة الملكة زنانير على ذلك الجواد وقد ملكت عنـــانه ولم تراهب جريانه وحملت على الملك كوريا فى الميدان وأشارت اليه بالسنان ولاح لها منه الانكشاف وبان ولم يجد له من طعنتها أمان فاحترز عند قتالها غاية الإحتراز فى موقف البراز ولم يبق له جنان يعطف عليها بطعنها ولا يبادرها بحمله ورأى فى ثباته معها تلاف النفوس وفى الهرب عار الأبد فاستتر بالطارقة فكانت هى بطعنتها السابقة فوقعت طعنتها فى صدره فخرج الرمح ثلاثة أكعب من ظهره وعجلت حتفه وأرغمت أنفه وعوذوها البطارقة وسائر الأمم بالمسيح ابن مريم وجذبت القنطارية منه فوقع كانه الفيل القتيل أو الجبل الثقيل واشارة إلى عساكرها فحملت عن بكرة ابيها والملكة زنانير فى اوائلها وقد صوبت إلى الأعداء اسنتها ولم ترهب تزاحم المواكب وطعنت حامل العلم فأورثته النقم وأوردت أصحاب كوريا موارد العدم وعمل للرمح وللسيف المخدم فتقهقرت عساكره وانخذلت وولت الأدبار وانهزمت ووضعت أصحاب زنانير سيوفها فى قمم الهاربين فثقلت ولا زالوا تابعهم إلى أن أبعـــدوهم ثم أنهم جمعوا الاسلاب والأموال والخيام والنهاب وقد استغنت أصحاب زنانير مما نهبت وتبادرت الرجال إلى خزانة كورية فأخذتها وتبادرت زنانير إلى أباها وخلصته من قيده وأركبته على بعض جنايبها وكان يوم عظيم هلت فيه الكفرة وخسرت وفرحت بأرواحهم النيران واستبشرت هذا وباقى الملوك قد تحيرت وحامت على القتلى حمائم الحمام (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولقيت الملكة زنانير الملوك الذين قاتلوا معنا بنفسها فدعتهم إلى ضيافتها وأقعدتهم فى منازلهم على حسب ما كانوا عليه ومدت لهم السماطات وغامرتهم بالطعامات والحلاوات وأكلوا الملوك وشبع كل غنى وصعلوك ثم بعدذلك سكبت لهم الخمور وتجاوبت الطيور

واصطحت العود والطنبور وشحرت قطع الندور والكافور وفتات المسك المعطور ووصفت الملكة مائة جارية نهد أبكار كأنهن الأقمار وعلى خصورهم الزنانير وخدودهن كأنهن الدنانير وفى أيديهم أقداح البلور المحكم ثم قالت وحق المسيح والدين الصحيح ما الخلوة معهن عندى بقبيح ثم حضرت عندهم وهى كأنها الشمس الضاحية فى السماء الصاحية وعليها قباء أخضر كانه الهوى وقد تجلت فيه وبانت أعكانها وغلب عليه بياضها فشخصت إليها الأحداق من طيبة تلك الأخلاق وكانوا الناس يأكلون ويشربون وهم اليها ناظرون وعلى أثوابهم الشراب يقلبون وغلمان الملكة زنانير عليهم يضحكون وكانت زنانير تلك الساعة كأنها يوسف الوقت والملوك كالنسوة الناظرين إلى زليخا بعين المقت فلما ظهر يوسف عليهن وأقبل الشراب اليهن قطعن أيديهن (ياسادة) وميل الرجال إلى النساء أكثر لاسيما زنانير التى كانها القمر المنير إذا تكامل وبدر وانار وظهر وهى كما قيل فيها

ياساقيا بالالحاظ خمر رفقا قتلت القوم سكرا
وأقم لمن يهواك ياذا الحسن والأحسان عذرا
فالعاشقين تجمعوا يرجوا الوصال وأنت أدرى
ودخلن والأيدى تلوح بياضها نخرجن حمرا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أقبلت الملكة زنانير على الملوك وقد ضحكت وتمايلت وصلبت على وجهها وعطفت فانخلعت قلوبهم وطارت عقولهم فقالت لهم ماهذا الذى تفعلوه فعل الصبيان لافعل الملوك الشجعان فقالوا أيتها الملكة الكريمة والسيدة العظيمة قد أسقيتينا جلاب التلف والنظر إلى وجهك أعذب وأشرف من شراب القرقف وورد هذين الخدين قد أشغلنا النظر اليها عن حفظ الشراب أن يقع على الثياب فالشكر للسيد المسيح على ماقد أنعم علينا من النظر إلى وجهك المليح ثم انهم صلبوا على وجوههم وقد أشاروا اليها بالأقداح على وجه المزاح ووجهها يتوقد مثل فلق الصباح كانه التفاح فعند ذلك أخذت من يد بعض الملوك قدحا وكان القدح أحمر مكلل بالدر والجوهر وقد دار على حافة القدح حباب كانه العقيق المحقق وأن الملكة زنانير جعلت تنشد فيه وتقول هذه الأبيات

شمس من الانس وهى حاملة شمسا من الخمر والحباب سما
فهذه للعاشقين قد خلقت وثغرها سكر لمن لثما
وهذه للهموم إن شربت مزيله وهى للحزين حما

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم انها شربت ذلك القدح وقد ظهر الجلنار من خدها وطفح واشتاق كل واحد إلى تقبيلها وجنح ورمق كل ناظر اليها وطمع وشاع هـذا واتضح ودارت الكاسات على الحضور من الخور والسرور وعملت الخمرة مع الملكة زنانير فغابت عن رشدها وكانت ياسادة معها خرزة ماتبرح ومن خاصية تلك الخرزة انها ماحملها أحد وسكر قط فنسيت ذلك اليوم حملها فلأجل ذلك سكرت ثم أمرت الجوار أن يحضروا لها العود فأحضروه فشدت أوتاره وصاحت بصوت رخيم فكان زنانير قد ورثت المزامير وقد لفظت من نفحتها البلابل وجنحت إلى الملوك الوساوس العواجل وتمايلت أشجان الانسان وأصحاب الاسماع وشخصت الأبصار وكان ماغنت مع أصحاب الأوتار بالرومى وتغيره بالعربى تقول

وحق المسيح ودين النـذورى ... وراهب نجران والقس كورى
ومن سوف ينزل إلى عندنا ... على الفلك الأصفر المستديرى
ومريم فى حـلة الافتخارى ... تفوق النساء بوجـه منيرى
بأن الفتى شفـاء السقيم ... تميل الطباع له فى السرورى
وأن الفراق كريه المذاق ... وأن الوصال شفاء الصدورى
وأن الهموم بهذا المـدام ... تزول فكن ساقيا بالكبيرى

(قال الراوى) وكانت الملكة زنانير تتمثل بهذه الأبيات فلم تبق جارحة إلا تمنت أن تكون اذنا ثم قالت وحق المسيح انى قد اشتقت إلى المسلم وقد أشفقت عليه ولو كان هذه الساعة عندى لكان ذلك من دلائل سعادتى ولكن حرم المسيح الوشاة فانهم بالنميمة مشاة ثم انهـا أقبلت على الملوك وزادت فى اكرامهم إلى الليل فارتاعت الملوك لقراءتها ثم أمرت بهم إلى قصر المملكة وقد ألجأتهم إلى المهلكة ورجعت إلى أبيها الملك صلبوتا وكانت لما خلصته من وثاق الملك كوريا قد دخل الرمح ولا عاد خرج منه فلما دخلت اليه جعلت تقبل مابين عينيه فوجدته قد تضاعف مرضه ولأن الملك كوريا طعنه بعقب الرمح فعوقه وكان مرضه هزلا فصار جدا وثقل فى المرض ولكنه فرح لها كيف قتلت الملك كوريا وحدثته بما فعلت فى يومها وكيف شربت مع الملوك وغنت لهم وخدمتهم فلما سمع ذلك منها قبل غرتها وقال يابنيه حفظ المسيح هذا الشباب وملككى رقاب الأعداء والأصحاب فاعلمى يابنيه انى قد أشرفت على الموت الذهاب وهو المفرق بين الأحباب وقد ذكر أن لكل أجل كتاب فاكرمى يابنيه الملوك فى غد وحلفيهم وعلى المعاونة لكى عاهديهم واطلبوا قتال هذا الملعون شعشعونا الذى قد أخرق بهدية عيسى

المسيح واكرى هذا القبيح الذى يزعم أن دينه صحيح وسوف أكتب الليلة كتاب إلى أخى ابن أمى وأبى رومايص صاحب القلعة الخامسة والعشرين وهو عمك الكبير لأنه شجاع لايطاق وعلقم مر المذاق وقط ماكاتبته ولا راسلته وهو يكاتبنى ويهادينى وأنا أجفوا عليه ولا وصل كتابى اليه ثم أمر صلبوتا فكتب اليه كتاب يتحنن عليه ويذكر اليه ويسأله القدوم عليه ووجه الخلع والهدايا والتحف اليه وكان له ولدا اسمه اليون وكان أفرس من نشأ وأوقح من كافح وأظهر من طاوح أوكانه الفيل عند المسير وأوقح من الخنزير وأهيب من النسور وكان قد سمع بالملكة زنانير وقد عزم على الهجوم إلى أرضها مرارا وكان أبوه يمنعه من ذلك ويقول يابنى اصبر فلعل المسيح أن يحوجهم الينا أويقدم ركابهم علينا (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما وصلت اليهم الهدايا والتحف الخلع من عند الملك صلبوتا كاد فؤاد اليون أن ينخلع من الفرح وقال يا أبى قد نفع الصبر وقد عاد المسيح على بعد ذلك الكسر بالجبر ثم رفعوا الهدايا والتحف الى القلعة التى لهم فرأوا ملكا عظيم وما بعث اليهم الملك صلبوتا من تلك التحف ومن الذهب والفضة والثياب القسطنطينية وغير ذلك شىء كثير فكبر فى عين رومياليص. وقال هذا هو الملك ثم أقبل على ولده اليون وقال له ياولدى أن أخى صلبوتا هو الصغير وأنا الكبير وما استنجد بى الا لعدو قد ظهر عليه أو مرض قد عرض اليه أو كلاما كريها وصل اليه أو يكون ذلك سببا لسعادتنا وبلوغ ارادتنا ثم أمر من ساعته أن تتجهز العساكر وان تصلح المراكب وان يكثروا من آلة الحرب والقتال ويتأهبوا إلى لقاء العدو (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من الملكة زنانير فانها لما أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره الوضاح وذكر سيدنا محمد سيد الملاح صلى الله عليه وسلم أمرت الخازن أن يأتيها بالخلع والمناطق وخلعت على كل ملك خلعة ومنطقة وقبلته فى وسط فمه وعاهدته وحلفته إلى أن خلعت عليهم جميعهم وحلفتهم بأن يكونوا تحت طوعها وأمرها وودعتهم وساروا وهم شاكرين لها على ذلك ورحلوا عن ديارها فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك شعشعونا الذى قد وصل إلى المقام الكريم المكرم وسلم لما أسلم ولأمور المملكة أبرم وقد أعرض الإسلام على أهل دولته وعشيرته فأسلموا ومن عذاب النيران سلموا فلما قوى عزمه بمعونة الله تبارك وتعالى واشتدت عروة الإسلام ففرح الأمير أبو محمد بذلك فرحا عظيما وقد تمثل بقول الشاعر.

لا أبالى بعد شكوتنا ** ربح الخمار أو خسرا

فوالله لو قطعت بعد ذلك أربا أربا ما رأيت بعد ذلك صعبا وقد صارت هذه القلعة محمدية والملة إسلامية بإذن رب البرية (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما الأمير أبو محمد فانه قد سمى الملك عبد الله وسمى ولده عبد الرحمن وقد سمى الجارية شمس النهار الناجية من عذاب النار وكان الملك عبد الله من أسلم من أهل قلعته آمنة على ماله وولده ومن أبى عجل هلاكه ونهب ماله الى أن أسلم أكثر أهل المدينة وقتل منهم زهاء عن عشرة آلاف بطريق ما بين غنى وفقير وذلك انه رأى الملك عبد الله فى منامه النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقد مسح على وجهه وصدره بيده المباركة ودعائه بدعوات جعله الله أكثر من الأنام زهدا فى الدنيا وأكثرهم رغبة فى الآخرة ثم قال له نصرك الله كما نصرت دين الإسلام فلا تأخذك فى الله لومة لائم وهذا عيسى بن مريم يسمع كلامك ويفهم مقالك وهو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم فالتفت الملك فرأى عيسى بن مريم وهو يرتعد خجلا مما قالته النصارى فيه فعند ذلك صاح الملك عبد الله وابنته وهو مرعوب وعقله مسلوب فلما أفاق من غشيته أرسل خلف أبو محمد وأحضره اليه وأخبره بالمنام فقبل أبو محمد صدره وبين عينيه وقال الحمد لله على ما أنعم به عليك فهذه كرامة ما سمعت بمثلها فى أهل هذه الملة فثق بالله وتوكل عليه فقال له الملك يا أخى عزمت على شيء أريد أفعله ليكون لى فيه الثواب وإعزاز للدين وإذلال للملحدين فقال له الأمير أبو محمد قل ما بدالك أيها الملك وفقك الله لما يرضيه فماذا تأمر به فقال عزمت على أن أبنى مأذنة عالية تشرف على البحر ويكون تحتها مسجدا وأزخرفها ظاهراً وباطنا بالذهب الأحمر وأرضها بالعقيق والزمرد الأخضر وبالرخام الأبيض والأحمر وأجعل على رأسها هلال من الجوهر وأكتب عليها اسم صاحب اللواء فى المحشر على رغم أنف كل من كفر وطغى وتجبر وارفع اليها غلمانك يؤذنون وبالتكبير يعلنون حتى تسمع أصواتهم دواب البحر فتجاوبهم وتدنو منهم وتقاربهم ونعبد الله جهرا فى موضع المعبد الذى كنا نظهر فيه كفرا ونتوب الى الله تعالى عذرا ونجعل علينا ندرا ونصوم لله شكرا فقال له الأمير أبو محمد لله درك أيها السيد فهذا هو الأمر الجيد فمتى يكون ذلك قال من ساعتى هذه ثم أمر الغلمان باحضار الصناع من الضياع ومن سائر البقاع وأمرهم بقطع الأحجار من الجبال وفرق الأموال وبنوا سواجير الكلس وجمعت الأحطاب وحلا له البنا وطاب ورسم موضع المنار فى مكان الدولاب بعد ما كسره وأحرق هذه الأخشاب واجتهد فى عمارة المنارة وقال هذه كفارة (ياسادة) ونزلوا فى الأساس الى أن بلغ الماء وكبسه بالحجارة والجص والكلس وطلع البنا الى أن وصل

بمساواة الأرض وشرعوا فى العلو ذكر فى انثى وتربيع وتثمين وتسديس فى شمال ويمين وداوموا العمل حتى ارتفع واكتمل وكان الملك عبد الله لايفارق الصناع طول النهار خوفا من الضجر والفرار حتى أشرف على الفراغ وقد اكتمل بنائها وبقيت كأنها العروس المجلية للنفوس وكان ارتفاعها عن الأرض مائة ذراع حتى خيل للناظرين أن رأسها وصل الى السماء (قال الراوى) فلما كملت على خلع الصناع وأعرض عليهم الاسلام فمنهم من أطاع ومنهم من أخذ أجرته وارتاع وأمر الملك أن يبسطوا له فى رأسها بساط أخضر وأخذ الأمير أبو محمد وغلمانه وصعد إلى أعلاها واشرفوا على البحر المستدير فاندهلوا بما رأوا ولاحت لهم القلاع كأنها صور بما استدار والبحيرة فى وسطه كأنها المرآة وأرض فلاه والأشجار الخضر بما استدار الجبل فكأن الدنيا وادى لاجبل فيها ولاعش ولا فلاه ولا جدار فعند ذلك تعجب أبو محمد البطال بما رأى من قدرة الملك الجبار ثم وجه وجهه إلى القبلة وأذن ورفع صوته وقال الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وحبانا بالظفر وخسر من جحد وكفر وبدين النصرانية اشتهر وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة من آمن بها وعبر العقبة وجاز وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وسيد الأصفياء وامام المرسلين وقائد الغر المحجلين والشفيع المشفع فى العالمين من المذنبين ثم التفت يمينا وشمالا وقال اعلانا وتبيينا حى على الصلاة تستحقون من ربكم الصلاة وتفوزون بالنجاة إذ أتيتم ببضاعة مزجاة ثم قال حى على الفلاح بادروا على سبيل النجاح وأبشروا بما فيه النجاح ثم قال الله أكبر الله أكبر على رغم من طغى وكفر وعبد المسيح المخلوق وتجبر لا إله إلا الله سموت على كل من سواه سبحان من تسجد له الجباه سبحان من إذا طلب منه الفقير أعطاه (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أن أبو محمد أمر باحضار الشيخ النحس الخبيث عقبة لعنه الله لينظر مافتح الله عليه من هذا الفتح العظيم واستملاكه لبعض الأقاليم واعزازه للدن وارتفاع الأصوات بالتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير (ياساده) فأحضر فى أيشم حضور وأخرق به بين الحضور جميعاً وقد سمع الأصوات وهم يؤذنون كأنها أصوات الملائكة المقربون وقد جاوبتهم البحار والحيتان فى القرار والملائكة عن اذن الملك الجبار (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان عقبة رفع رأسه فرأى تلك المأذنة كأنها عمود نور ونظر إلى ذلك الدولاب وهو محروق وتلك المأذنة فى العيوق عند ذلك انتقض وضوءه وتلوث فى لباسه وانخفض علوه واتضع سموه وكاد أن يموت من الهم والحنق ومن كثرة ما أصابه من الغيظ انخنق ثم قال وحق دينى ان كان المسيح إلا مسلم وما هؤلاء إلا على الصواب وإلا ما كان تم للمسلمين هذه الفعال ولا سيا هذا الشيطان

أبو محمد البطال الذى قد حرت فى أمره ونهاية مكره وبلاؤه ودهاؤه ثم صار متفكراً فى المأذنة المبنية المرتفعة العلية وأى وقت بنيت ولولا أن الذين أسلموا بعدد الرمال لما قدروا يفرغوها فى هذه الأيام القلائل ثم أن غلمان أبو محمد نزلوا من المأذنة وهم يكبرون ويهللون إلى أن أتوا إلى القاضى عقبه لعنه الله وقال له الأمير أبو محمد البطال كيف رأيت صنع الله بك ياملعون ونصره لدينه فقال له عقبه ياويلك هذا الشيخ بطغيكم ابزيدكم عذاب ويدبر عليكم وينزل البلاء عليكم (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الملك كلامه وكفره وكذلك ولده الذى يسمى عبد الرحمن رفسه فى صدره كاد أن يخرج روحه وقال له ياملعون يامفتون وحق من هدانى ورضى عنى وأرضانى مايعوقنى اليوم عن قتلك إلا حتى أعمل فيك إعملا تتحدث به المتحدثون على قوارع الطرق إلى يوم القيامة ولولا أن الأمير أبو محمد يمنعنى عن قتلك لعجلت حمامك فقال أبو محمد أيها الملك افعل ماشئت فانه ألعن من على وجه الأرض عند ذلك قام اليه عبد الرحمن بن عبد الله ثم جعل ينتف فى ذقنه ولحيته حتى تركه أجرد أمرد وصخم وجهه بسواد القدر حتى تركه أسود قبيح المنظر حتى صار عبرة لأهل البصر ثم قبله وغلله وصلبه برجليه إلى فوق وأدخل رأسه فى جراب مقطع وثقب آذانه وعمل فيها بعر الجمال وجعل فى عنقه مخلاة وملأها حجارة كل هذا مبالغة فى عذابه ثم أمر أن يحفر تحت رأسه حفيرة غير عميقة وأمر أن يتغوطون فيها حتى يطلع البخار إلى رأس عقبة وأنفه ووجهه وأشرف على الهلاك فى ذلك فقال عقبة ويلك يا أبو محمد قل لهذا الملعون عسى أن يخلصنى من هذه النكبة وإلا مايجمع المسيح فى عمره وقصم ظهره فما رأيت أعرف منه بالمخازى والسوء والتنكيل وقد أشرفت على الموت من هذا العذاب الوبيل وقد ضاقت منافسى من شم الغائط الميشوم وأنا أرجو من المسيح أن يوقعك فى يدى يا أبو محمد فان أحسنت وأسأت أن تعرف حالك ومع هذا انكم تزعمون بأنكم تصلبونى على باب الذهب بالقسطنطينية وها أناميت لامحالة وسيبين للناس كذبكم (قال الراوى) ياسادة ياكرام فعلم أبو محمد أن قوله صحيح فأمر الملك باطلاقه ورده إلى المطمورة وبالغ فى الوصية عليه وأن يحفظوه حفظ أكيد وحذرهم من مكره وحلاوة لفظه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فيالها من أعجوبة ماسمع بمثلها ونادرة ماتحدث بأحسن منها ومن شكلها هذا جرى من أمر أبى محمد البطال وعقبة (وأما ماكان) من الملك صلبوتا فانه قضى نحبه وانتقل الى لعنة الله تعالى وسكن فى دار البوار والدرك الاسفل من النار لخزنت عليه الملوك وجزوا الشعور ودعوا بالويل والثبور وصخموا الأبواب وعظم المصاب وقتلت الملكة زنانير نفسها على أبيها

ولكنها خافت على ملكها فأظهرت الجلد والسكينة والوقار وأقصرت من ذلك الاستعبار إلى أن دفنت أبوها وبرد وسلا من حزن فجمعت اليها وجوه البطارقة والشجعان من العمالقة والشمامسة والقساقسة والرهبان والبترك والمطران والحكيم أقليدس الذى علمها وأدبها فخلعت عليهم الخلع النفيسة واستمالت قلوبهم وزادت فى أكرامهم وأهدت إلى ملوك الروم الهدايا الفاخرت وملأت أعينهم بالعطايا الوافرة وأنفذت تستفذهم الى الغز والى العدو ولقاه ثم انها سمعت بوصول عمها الملك روميالص ومعه ولده اليون وكان هذااليون كاذكرنا خنزير ملعون مكار غدار لايصطلاله بنار وقد أتى مع أبيه ونوى فى نفسه أنه يأخذ زنانير ويملك قلعتها لأنه سمع بموت أبيها لحزن أبيه على أخيه صلبوتا ونهى ولده عن ذلك وان زنانير لم تفرح بوصولهم اليها الا أنها خائفت من مكره وغائلته فأمرت البطارقة بالاحتراز وان يكونوا على حذر منهم ومستيقظين فى الأبواب ثم قالت لبعض حجابها وكان أديبا عاقلا لبيبا وهو أحسن أهل ملتها وأجملهم وأكملهم وقد تكلم بسائر الالسنة حتى بالعربية وله الرأى الصائب والفعل الثاقب وكان اسمه ذو غورس وكان من أولاد الملوك الذين قد زال عنهم الملك الا أنه قد ارتفع عند هذه الملكة قدره لنصحه وحسن رأيه ومواظبته على خدمتها اليه فقالت له وحق المسيح انني قد حرت فى أمرى وقد عيل صبرى وعظم فكرى فى هذا العام ولا طاب لى فيه عيش ولا وجدت فيه سبب إلى خلوة ولذة ومنذ دخلت المسلمون الينا مافاتحت ديارنا وقد أصبح الملك شعشعونا من جملة أعداءنا وكاننا بعساكره وقد وصلت الينا وهذا عمى قد وصل ومعه ولده وهو أيشم من مشى وأوقح من على وجه الأرض مشى وهو طالع فى أخذى من قلعتى وحصنى وأنا وحق الدين الصحيح لو انه ولد السيد المسيح أو بعض الحواريون ماملكته من جسدى شعرة واحدة وان تعرض لى لاوجلن قحفه ولأرغمن أنفه وأريدك فى هذه الساعة بأن تركب ومعك البطارقة وغلمان الغفر والفواشين وتمضى الى طارمة الميدان وتبسط فيها البسط اليمانية والآلة الحسنة المكينة بعدما تلم ماتد تشعبت منها ونوكل بها عشرة من البطارقة الى أن يصل عمى ويقدم وينزل هناك وتعمل دار ضيافته فى مرج البذن وقاع الميدان وتضرب فى ذلك المكان فاذا فرغت من ذلك أخبرنى وبما قد صنعت عرفنى حتى أصل اليك وأنظر ما قد دبرت فقال لها سمعا وطاعة وحبا وكرامة أيتها الملكة الكريمة والسيدة العظيمة ثم خرج من ساعته والغلمان معه وقصد إلى ماأمرته به وما تعالى النهار حتى فرغ من جميل الكلف ونصب وزخرف المكان الذى أمرته بين وأقبل اليها وأخبرها بذلك فقالت له المسيح يرعاك وينصرك على

أعداك فما أنصحك نخذ الآن جميع أهل المملكة من البطارقة والعمالقة والشجعان والاقران والارمن والروم واركب فى عشرة آلاف وأنت المقدم عليهم فاذا وصلت إلى مراكب روميالص فترجل وتسلم عليه وتمشى راجل بين يديه الى أن توصله الى الميدان وأنزله فى الطارمة وانصب فى الميدان قدامه ومده بالضيافة والاقامه ثلاثة أيام وأخبره بخبرى وقد بلغ الأسف منى على موت أبى وطالعنى بجميع ذلك حتى أتمثـل الى لقاه وأخرج اليه فى اليوم الرابع فقال لها سمعا وطاعة (قال الراوى) يا سادة يا كرام ففعل ما أمرته ثم ساروا الى أن وصلوا إلى مراكب روميالص فرأوا مراكب كانها الجبال اذا أقبلت وقد رفعوا الشراعات والصلبان على رؤوس القنطاريات وأجسادهم عليها صدور الزرد والحديد وهم أبطال صناديد ونظر الملك روميالص الى تلك العساكر كانها الجراد المنتشر ونظر الى مقدم العسكر وقد ترجل وهو كأنه القمر وعلى بدنه صدرة من الجوهر وعلى رأسه تاج من الذهب الأحمر وعلى صدره صليب من خالص الجوهر ولم يبق أحد من العسكر إلا وترجل (قال الراوى) ياسادة يا كرام فذهل الملك منهم وقال ماهذه العساكر إلا يزيدون فى منظرى فأمر الملك الى المراكب أن تعطف على بعضها بعض فعند ذلك ركبت الخيالة وسبقت الفراشين الى الميدان وطلعت زنانير ومعها الخلع والشقق الاطلس وأبدت زينتها وأظهرت صورتها وقد نعرت البوقات وخفقت الكوسات وصلبت الروم على وجوهها وقد ظهر كل راهب ومطران وبترك ومقصان ومعبدان وغلمان وولدان وعلى رؤسهم أطباق الذهب وفيها مباخر البلور وقد ملات من حبات المسك المعطور وشجرت فى النيران وارتفع منها الدخان من عود القمارى والند والعنبر والمسك الازفر وقد تلو الانجيل الرهبان باختلاف الالحان وبأفصح لسان وعمهم الخسران بكفرهم للرحمن وظهرت الملكة زنانير كأنها القمر المنير فى الفلك المستدير وحسنها للعقول قد أبهر ومن نظر اليها يحير وخرج رومالص وولده اليون إلى لقائها وأرادوا الوصول إليها والقدوم عليها فعند ذلك تصايحت بهم البطارقة الأرض فما الذى جرأكم على التهجم على الملكة زنانير وألقيتم أنفسكم إلى المهلكة (قال الراوى) ياساد يا كرام فأما روميالص فانه أشار إلى الأرض لاثما وصلب على وجهه وقام قائما وأما ولده اليون فلم يلتفت إلى قولهم ولا عبأ بكلامهم بل أنه هدر وزمجر وشخر وكفر وقد ظهرت الملكة زنانير على جواد أدهم بغرة كالدرهم ومعرفه كأنه الليل إذا أظلم منتصب الأذنين واسع المنخرين مدور الكفل والحافرين فهو كما قال فيه الشاعر

وأدهم غرته كالشفق إذا سابق الريح يوما سبق

تراه إذا جرى فى الهيجا كماء حبيس إذا ماانذفق

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وقد خرجت وعليها بدلة من جوهر تأخذ بالبصر تسوى ملك قيصر ونواص بنى الأصفر وعلى رأسها أربع أكاليل مرصعة بالدر والجوهر مفصلة بقطع الزمرد الأخضر وقد أرخت لها سبعة عشر ذؤابه كانها من الليل مذابه وهى محبوكة باللؤلؤ المدور ووجهها كانه القمر إذا بدر وينظر تلك الحدقتين النرجسية والمقلتين الرومية وصلبت على وجهها وانخلعت بكف كف عند البلاء فكأنه الجزرة واللباء وساعدين كانهم البلور وقد خرطن من الكافور وقد صاغهم الله كما قيل

صلبت فوق .وجهها وزهت بالتمايل
سترت وجهها بكف مليح الشمائل
ما . سمعنا بمثلها فى حديث الأوائل

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم تبسمت عن لؤلؤ منظوم فى فم عقيق مختوم وتوجهت تلقاء الملك رومياليص ولما رآها وقد صارت نحوه وجاءت اليه فتعانقاها بصدر رحيب ورفع قدرها وخدمها خدمة مثلها وعزاها فى الملك صلبوتا وبكى وقال ياليتنى كنت رأيته ولو قبل موته بيوم ولكن ماأراد المسيح ذلك فقالت له الملكة زنانير ياعم انت عندى كوالدى فأقم عندى ذلك على الرحب والسعة وطب نفسا وقر عينا وثق بمودة واسعة ومعونة لازمة مالنا وعليك ماعلينا نستعين بك وتستعين بنا على أعدائك وأعدائنا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فخدمها الملك مرة أخرى وكذلك ولده اليون ثم قالت له زنانير ياعم ما يكون منك هذا العظيم القدر فقال لها يابنية هذا خادمك وابن عمك وهو ولدى ومن عليه معتمدى وأنه أفرس من ركب فى الميدان وأشجع من أقام فى مقام الاقران فقالت له الملكة زنانير ياعم وحق المسيح لقد سررتنى بهذا الحديث إذ هو ولدك ونسلك وهو مطيعا لك ولقولك (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع اليون ذلك من كلامها خرج من عقله وطار فؤاده وقال وحق المسيح والدين الصحيح ورجيع البترك النجيح أن الملكة زنانير ماهى إلا عشقتنى وبهذا الكلام رشقتنى ويسهم رشيق لاحقتنى وقد غاب عنه الصواب وسال من شدقيه اللعاب هذا وقد نظرت الملكة الزنانير إليه وإلى وجهه كأنه كرائر الزنانير وهو مثل الخنازير فقالت فى نفسها ما أقبح هذا الوجه فلقاه المسيح بالبلاء والتلوع فكأنه إلا شيطان فى صورة انسان ثم قالت ماهذا وقت النظر إلى الوجوه القباح هذا وقت تناهب الأرواح ووقوع الكفاح (قال الراوى) ياسادة يا كرام فبينما الملكة زنانير مع الملك رومياليص وإذا بعساكر هاجت فى بعضها وتشوشت فقالت الأميره ما الخبر فقالوا

لها أيها الملكة قد وصل الجاسوس الذى كنتى أرسلتيه إلى قلعة الملك شعشعونا المذموم وقد أخبر بكل خبر ميشوم فقالت الملكة زنانير ياويلك على به فما كان بأسرع مما حضر بين يديها فقالت له ويلك ماالخبر فقال لها أيتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة والبهجة النفيسة اعلمى أن الملك شعشعونا قد أسلم على يد الأمير أبو محمد البطال وولده مطراؤوس وكل من فى القلعة وقد تزوج الملك شعشعونا بجاريتك نهار ورجعت إلى الملة الاسلامية وقد بنوا لهم منارة مكان الدولاب من بعد ماأحرقوه وأتوا إلى بيت المذبح وأخربوه وأقبلوا إلى هدية عيسى فصفعوه وعاقبوه وفى ساريتين صلبوه ووجهه بسواد القدر لطخوه وعملوا به هذا كله وما رحموه وما لهم غير الأذان والتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وقد ذهبت دولة المسيح من عندهم وكسروا الصلبان وتظاهروا بتلاوة القرآن والأذان وتوحيد الملك الديان ذو الجلال والإكرام الذى لايشغله شأن عن شأن وقتلوا كل راهب ومطران واشتهروا بالإسلام وقالوا أن المسيح وأمه عبدان للرحمن الواحد المنان وهذا جملة ما جرى وكان (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب (ياسادة ياكرام) فلما سمعت الملكة زنانير من كلام الجاسوس من أمر المسلمين قال عمها وقد ذهل لبه وطار عقله وقال وحق المسيح يابنية مالى أذن تسمع ماقد جرى وقد حرت فيما أصنع قالت له الملكة زنانير ياعم فهذا غير خاف عن حضرتك وانى خائفة على قلاع النصرانية ان تتبدل بالشريعة المحمدية وهذا أمر يسخط علينا فيه المسيح ولا يرضى به من يكون نجيح إلا من يكون جبان طريح فلولا ان المسيح قد سخط عليهم لما صار عندهم مثل هذا العيار المكار ودخل الى هذه الديار وإنى خائفة منه على حصنى ان يتم عليه عارض من دقائق حيلته ولو أنه يرجع الى الشجاعة ويلقانى لما افتكرت فيه ولو كان معه أهل الأرض لما باليت بهم وسوف يبين لك الخبر بأن شعشعونا يبعث الينا الساعة عسكره فقال لها عمها أيتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة والمشفقة الرحيمة أهلك المسيح أعداك وحرس مهجتك وكلاك سوف يبين لك قتالنا بين يديك وتنظرى إلى نصحنا إذا قصد العدو اليك (قال الراوى) ياسادة ياكرام فشكرته الملكة زنانير على ذلك ثم قالت ياعم لأعدمتك ولا عدمت همتك ولا غابت عنى طلعتك ثم أن الملكة زنانير رجعت من وقتها وساعتها الى قلعتها ودخلت إلى الحكيم اقليدس وأعلمته بذلك واستشارته فيما تفعل فقال لها أيتها الملكة وحق المسيح إن هذا العيار لو أراد أن يستجلب قلوب النصرانية بحيلته لفعل ذلك ولكن احترزى أيتها الملكة من أمره قبل أن يتم علينا مكره وشؤمه وغدره وتأمرين الساعة بعمارة

المواضع الذى قد خربت فى الأصوار من أيام الملك صلبوتا لأن أبوكى ما كان يفكر فى ذلك لأجل هيبته فى قلوب الملوك والآن فقد قضى ومضى وأنت اليوم فى مكانه وتقومين فى مقامه وتشحنى الأصوار بعد عمارتها بالرجال والبطارقة وتخرجين من قلعتك كل من تنكرين أمره من الروم الغربا وغيرهم ولا تتركين من لنا به معرفة ممن قد ربى فى هذه القلعة فقد قال نبي العرب محمد صلى الله عليه وسلم قولا بليغا إذا كان الغدر طباع فالثقة بكل أحد عجز وفى انجيلنا فى قوله أمرا أنا أدرى الهومانا ومعناه بالعربى خاب من وثق بكل أحد ومن كان عند أبوكى مقدما فانعمى عليه بالأموال والخلع واللباس حتى تستميلى قلوب الناس وأما المشايخ فانهم يمدونك بالدعاء وبالنصر والظفر وبعد ذلك أريد أدبر حيلة على عيار المسلمين ونوقعه فى أيدينا وننتقم منه بما أمكن فقالت له الملكة كان المسيح لك يا أبونا وسوف أعمل معك عملا تذكرنى به بعد موتى وأنت يا حكيم المقدم والمشار اليه فى دين النصرانية ودع عنا هدية المسيح فلا كان ولا استكان فما رأيناه فى ساعة مباركة وانه أفسق عباد المسيح فقال الحكيم اقليدس يا ملكة أتظنين انه يصدق فيما يقول أنه هدية عيسى وإنما فعل ذلك على وجه المكر والمحال والتنسيب على الملوك وعلى كل غنى وصعلوك ليبلغ مايهوى من شرب الخمور والفسق بالذكور والحور فقالت صدقت أيها الحكيم النحرير فى ذلك الشيخ الخنزير ثم انها خرجت من عند الحكيم وقصدت الى قصرها وأمرت الخازن بأن يفتح لها الخزاين التى فيها الأموال فأشرفن عليها ونظرت اليها فرأت أشياء لايدخرها ملك ولا سلطان وعاينت من الذهب والفضــــة والجوهر والدر مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فكثر فى عينها المال وقالت وحق المسيح أن بعض مافى هذه الخزاين أملك به القسطنطونية واستملك به رقاب أهل ماء المعمودية ثم انها استخرجت من المال ما عجز عن حمله البغال ومن السيوف والعدد وكان كلما أخرجته من فرد خزانه ثم أمرت بعد ذلك الخازن ان يغلق الأبواب فغلقها ووضعت ختمها عليها وأصبحت ذلك اليوم فادعت بأصحابها وحاشيتها وحجابها وفرقت عليها الأموال والخيول والسلاح والعدد وأقطعت لهم الاقطاعات وأوعدتهم بزيادة الاقطاع واستحلفت الأصحاب والاتباع والأمراء والملوك والنياب وكذلك الملك روميالص وولده اليون فأذعنوا لها بالطاعة والقبول وحلفوا لها جميعا انهم لايغدرون بها ولا يخونونها وعلى عدوها يعينونها فقال لها ابن عمها اليون أيها السيدة الكريمة والملكة العظيمة ومن بأحوالى عليمة وحق المسيح إنك إن وافقتينى فى منادمه وكنتى بمواصلتى ملازمة لأجعلن الملوك تنقاد اليكى طوعا وكرها وأوصل أموالهم اليكى (قال الراوى)

ياسادة يا كرام فشكرته الملكة زنانير على كلامه وان كان قد أمرضها بملامه لأن ماعندها على وجه الأرض يومئــــذ أعز من لؤلؤ (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكأنها كانت نائمة فانتبهت وقالت وحق المسيح لقد كنت نسيت المسلم ولى زمان ما عرفت له خبر من قبل موت أبى وما هكذا عاهدته ولقد خنته وبالهجر ظلمته وهو بحبى مغرم وبهواى مدنف وهو قلق متأســـف وما قطعت زيارته من ملـل وجفا ولـكن العوائق تعوق وتمنع من قضاء الحقوق ثم قامت من وقتها وساعتها ودخلت على لؤلؤ وقد بقى كأنه خلال أو خيال وتغيرت أحواله وما بقى الا خياله وهلك خوفا وأسفا وظن أن الملكة زنانير قد جفته أو وشى به اليها واش فأهملته فلأجل ذلك أبعدته أو سخط أبوها عليه فأسلمته فنهاره قلق وليله أرق ودمعه على الخد مستبق وعلى جمر الفراق يتقلب ومن عظم الأسف يتهلب فتذكر قول بعض شعراء العرب

نهارى حزين وقلبى أرق ٭ ودمعى على وجنتى مندفق
وجفنى مذ ودعوا سادتى ٭ من النوم والدمع والحزن منطلق
ترى يجمع الدهر شملى بهم ٭ وانى وكيف هما يتفق
ياعاشق الشمس مت حسرة ٭ أيطمع فى الشمس من قد عشق

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما يريد الله سبحانه وتعالى وافق نشيده دخول زنانير عليه وقد أهملت عيناه بالدموع الغزار ووجهه قد صار كالبهار فصاحت اليه بكلام أحلى من العزاء وألذ من ماء عين الحياة أبشر يالؤلؤ بالفرج القريب والوصل من الحبيب وما تنال المنازل والدرجات إلا بحمل المشقات وتجريع كاسات المرارات أو ماسمعت قول القائل حيث يقول من خاطر بنفيس ملك نفيسا ومن صبر على مر الدواء نال الشفاء وأنت قدصبرت وقدرت ثم وقعت فى صدره وجعلت تقبل فمه وعينيه ونحره هذا ولؤلؤ قد غشى عليه من الفرح فلما أفاق من غشيته أمرت بفك القيود من رجليه وزالت ذلك الملبوس من عليه وأمرت به إلى الحمام وزادت له فى الإكرام وأفاضت عليه خلعة سنية فاخرة مضيئة وجعلته فى مقصورة لها وأحضرت له كلما يحتاج اليه من شرب وطعام وقالت له وحق المسيح يالؤلؤ ما أشغلنى عنك إلا ماتم على من موت أبى صلبوتا وقد قصدوا الملوك إلى ومداراتى لهم صعبة وهذا عمى قد أتى إلىَّ وولده وهو يريدنى وأنا ما أريدة ولا أطلبه وقد تواقحت عليه بسببه وقد طمع فى رضاى وهيهات أن يظفر بجمالى ومولاك عيار المسلمين قد فعل كذا وكذا ولقد أسلم على يديه الملك شعشعونا وجماعته وولده وأهل مملكته وقد تزوج الملك بجاريتى نهار وأحرقوا دولاب السيدة مريم بالنار وقد عمروا

فى مكانه مسجد وأخبرته بجميع ماجرى كأنه شاهدو نظره فكاد قلب لؤلؤ يطير من الفرح والسرور وكتم ذلك عن الملكة وقال فى نفسه الحمد لله على هذه النعمة والإجلال وبمافتح الله على أبو محمد البطال فهو رجل قدفتح الله على يديه وفتح على وجهه باب الرحمة وأغلقه فى وجهى إنا لله وإنا اليه راجعون ثم أقبل على الملكة زنانير وقال لها ياسيدتى دعينا الساعة لاينفعنا بل يشوش علينا وقتنا وينغص علينا عيشنا وكان قصد لؤلؤ يغطى فرحه بذم المسلمين عند زنانير حتى لاتنكر عليه ثم قال ياسيدتى ومالكة مهجتى ان دخل البطال إلى هذه الأرض فسوف أريكى إيش أصنع به وأعمل به عمل يتحدثون به فى سائر الأقطار فشكرته على قوله وصلبت على وجهها لما ذكر أبو محمد البطال لها وأخذوا فى الأكل والشرب إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وأشعلوا الشمع المكوفر والمسك والعنبر وعبى لهم مجلس الشراب وقد جمع فيه كل عجيب وعجيبة من تماثيل وملهاه واصطفوا الجوار كأنهن حور من الجنان والولدان وكل واحدة منهن معها شىء من الطرب تطرب به وتلعب ورفعن أصواتهن كلهن طبقة واحدة واصطحبت الأوقات مع ألحان الجوار تخيل لهم أن القصر بهم يطير وقلعة الدولاب بهم تسير ثم صاحت عليهم الملكة زنانير فسكتوا كلهم وقالت لهم ياويلكم علىّ بالعود وما كانت إلا ساعة حتى أحضروه بين يديها فلما مثل قدامها آخذته وفى حجرها أوضعته كالولد فى حجرها أو كالعقد على نحرها وشدت أوتاره بالصنعة الزائدة وصاحت بصوت كأنه شفاء السقيم من عظم مابه من الألم العظيم أو كأنه من مزامير داود ثم أنشأت تقول

أنعم بشرب الراح ياسيدى ❊ ياكعبة الاحسان ياذو السماح

نعم الفتى من كان فى عمره ❊ يواصل الأقداح فى الإصطباح

أنعم ولا تصغى إلى عاذل ❊ يقول فى شرب المدام الجناح

قضوا أعماركم فى الرضى ❊ على وجوه الغانيات الملاح

(قال الراوى) فلما سمع لؤلؤ ذلك خرج من طينة البشرية من طيبة نغمة الجويريةوعملت الخمرة فى تلك الوجنات التركية وقد غزلت تلك الحدقتين النرجسية وهلك لؤلؤ بالكلية وقال فى نفسه ياليت شعرى أين كانت لى هذه الملكة مخبية فقد زادت على بنات النصرانية وبنات الأمة المحمدية فانا لله وإنا إليه راجعون من هذه البلية (قال الراوى) ياساده ياكرام وان الملكة زنانير علمت حاله وعمل معها المدام واشتاقت إلى ذلك الغلام واستحيت من الذين هم قعود وقيام فأمرتهم بالإنصراف ولما خلا بها المكان طلبت من لؤلؤ الوصال فأبى ولم يقبل سؤال مع ماهو فيه من الوجد والغرام وقال لها وحق دين الاسلام وشريعة

محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لايكون ذلك إلا برضا الملك العلام ولا يثقل عليكى ولا يكبر لديكى وإن شئتى تقبلى فاقبلى وإن شئتى تقنعى بالنظر فانى عندك إلى يوم المحشر أو دعينى أذوب كما يذوب الرصاص إلى أن يأتى الله بالخلاص فقالت الملكة زنانير وقد كادت تنفطر مرارتها وحق المسيح لولا حفظى حق الصحبة لجعلتك عبرة لمن اعتبر وأعجوبة لمن يسمع ولكن كما تحفظ دينك نحفظ نحن ديننا فما أحسن دين الاسلام لو كان صحيح فقال لها لؤلؤ أنه الدين الصحيح وأن الاسلام هو المذهب المليح ولكن قد أعمى الله أبصاركم عن طريق الايمان وغركم بمتابعة الشيطان فقالت الملكة زنانير وهى فى نار لاتطفى من الهوى وعظم الجوى وخجلت وهانت عليها نفسها وقالت لقدكان دخول هؤلاء المسلمين إلى بلادنا فى طالع مذموم ولقد بلغ منى هذا الأمر وعيل الصبر وصدق هذا المسلم فى الهوى وحجة الدعوى وما بقى ينفع اليه الشكوى وقد أضرم فى قلبي نار الجوى وأمرت بحبسه فى سجن قريب من قصرها وقالت إن طلب الخروج من سجنى فلا رغمن أنفه وألوحن قحفه وعجلت حتفه وزعمت انها مابقيت تذكره يوما من الأيام وباتت باقى ليلتها فى أيشم مبيت إلى الصباح (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأصبحت الملكة مخمورة فى قيد الهوى مأسورة فقالت أين حبيبى لؤلؤ فقالوا لها هو فى المطمورة فضاقت عليها الأرض بما رحبت وقالت من الذى نغص علينا عيشنا وماكنا فيه فقالوا يامولاتنا مانغص عليكى أحد بل انتى التى أمرتى بحبسه فقامت كانها أسير ودخلت على لؤلؤ وهو فى ذلك القيد والذل والهوان والغل ففكت قيده وقبلت رأسه وقالت كيف كان هذا الأمر فقال لها انتى كنتى سببه وتسألى كيف كان فقالت وحق المسيح ماأعلم السبب الموجب لهذا فقال لها فعلتى كذا وكذا وشرح ماتم منها فى الخلوة فخجلت الملكة وقالت لا بأس عليك ولا مخافة ولا حذر ولا أغصبك على مايشوش دينك والمسيح يعطف قلبك علينا ويهديك بعد الضلالة الينا ولكن ماآمن منك أن تعمل على وتوصل الأذية إلى فكن فى هذا المكان فى أطيب عيش وأهناه وأعزه وأصفاه وكلما اشتقت إلينا ابعث رسولك يرد علينا وودعته وخرجت وهى كئيبة حزينة وركبت فى باقى يومها وخرجت فى جماعة من شجعانها إلى الميدان وأرسلت إلى الملك رومنيالص تدعوه إلى لعب الأكرة من بكرة (قال الراوى) ياسادة ياكرام فنزل ومعه ولده اليون وقد طمع فى ربحته بالملكة زنانير وخرجت الملكة زنانير وجمالها يأخذ بالبصر ويشوش النظر أو كانها القمر وقد ظهرت على جوادها كانها العروس تشتاق اليها النفوس وهى تميس كأنها الطاووس فخدمها الملك وابنه وأخذوا فى لعب الأكرة إلى أن تنصف النهار ومالت الأرواح إلى الراحة والقرار

وإذا قد طلع لهم من البحر مراكب وحراقات وعشاريات إلى أن سدت البحر بكثرتها وغشيت عين الشمس وذابت النفس فقالت الملكة زنانير لبعض قومها ياويا وياسكم اكشفوا عن الأخبار فسارت البطارقة وعادوا أسرع من البرق يطلبون النجاة ياويلكم ماالخبر فقالوا لها أيتها الملكة قد أقبلت العساكر الاسلامية والأمة المحمدية وفى أوائلهم الملك شعشعونا وهو يقول بكلمة الاخلاص بمتابعة المسلمين وجميع من كنا نعرفه من أهل قلعته قد أسلموا جميعا عن بكرة أبيهم وقد جاءت العساكر كأنها الجراد المنتشر وكانك بهم قد وردوا فالحذر الحذر (قال الراوى) ياسادة يا كرام فتواثبت الرجال إلى ظهور الخيل وبعث الملكة إلى قلعتها وأمرت بغلق الأبواب وتزيين القلعة بالسلاح والعدد والاستكثار من آلة الحرب وأمرت الرجال بأخذ العود فما كانت إلا ساعة حتى صارت فى عسكر عظيم مابين راجل وفارس ومدرع ولابس وركب الملك روماليص فى صناديد قومه وركب ولده اليون على جواد مجنون إذا جرى لاتدركه العيون وفى يده ثلاث مراريق الموت فى أسنتها والقضاء المبرم فى أعلاها إذا هزها سطعت ولمعت وقد تقدم على الرجال كأنه طود عظيم مشيد أو برج من الحديد وقال وحق المسيح نحن نلقاهم قبل أن يصلوا الينا ويقدموا علينا ونكون نحن الطالبين لا المطلوبين (قال الراوى) ووقعت العين على العين وطلع الملك عبد الله شعشعونا من المراكب وصار على وجه الأرض وأرمت الخيول من الطرادات ولبست الأبطال الزرديات والجواشن والكازغنديات وحملوا على بعضهم بعض وماجت بهم الأرض فى الطول والعرض وحملت مواكب الملك شعشعونا وعساكره وهم ينادون الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وحبانا بالظفر وخذل من كفر وعمل الحسام وصبر الكرام وفلق الهام وهشمت العظام ودارت طاحون الحمام وكثر الانتقام وقل الكلام وتكسرت البيارق والأعلام وقضيت الأحكام بأمر الواحد الملك العلام خالق الانام مبين النهار من الظلام وخالق حام ومنشىء سام (قال الراوى) ياسادة يا كرام ونصروا فى هذا اليوم أهل الإيمان وولوا أهل الصلبان ولولا الليل حجز بين الفريقين لولوا الادبار وركنوا إلى الفرار ورأوا من قتال المسلمين مالم يروه من غيرهم لأن المسلمين نصحوا فى القتال بين يدى الملك عبد الله وكذلك ولده عبد الرحمن والأمير أبو محمد البطال وجميع الغلمان (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى مجيئهم الأمير أبو محمد البطال لأنه قال أيها الملك قد أديت مايجب عليك من فرائض الإسلام وارضيت الملك العلام وقد وجب عليك الجهاد فى طاعة رب العباد ليكون لك عند الله المنزلة العظيمة وتلحق بصاحب الشريعة والمنزلة الرفيعة فقال الملك يا أبو محمد

تقول لى أعز والله لاغزون حتى أفتح القلاع كلها وأسلمها إلى المسلمين إن شاء الله تعالى رب العالمين فقال أبو محمد لله درك فما أصدق لسانك وأقوى جنانك وهذا هو الصواب. والأمر الذى لايعاب وبعد فقد بلغنا أن صلبونا مات وقد بقى الحصن والقلعة مع ابنته زنانير وهل هى إلا ضلع أعوج وعقل أهوج وأيضا فان الأمير عبد الوهاب عن قليل يصل الينا فى سائر بنى كلاب وتعاين ياملك الأميرة ذات الهمة وشجاعتها فقال الملك عبد الله هذا الذى أؤمله من الله قبل الموت (قال الراوى) ياسادة يا كرام وساروا بعدماتجهزوا وطلبوا الملكة زنانير وقتالها والجهاد فى طاعة رب العباد ولم يزالوا فى اجتهاد حتى وصلوا كما ذكرنا ونزلوا من المركب وضربوا الخيام على روض أريض ومرعا كثير ونصبوا المضارب والتوتيات والقباب وضربوا اسرداق الملك عبد الله مقابل الميدان الأخضر ونزل الملك وأبو محمد البطال الى جانبه ثم قال لغلمانه والله إن أكبر همى وغمى على لؤلؤ المسكين الذى ارتد عن دين الإسلام وكفر بالملك العلام لأجل تلك النصرانية الكافرة وغرة الشيطان حتى أمن عذاب الآخرة وغره الهوى وهو أعرف الناس. بى وبحيلى والا كنت عملت على أخذ الحصن فى هذه الأيام وأملكه للملك بلا ضراب. ولا طعان وسوف أعمل ذلك بعون الله تعالى فانه المحسن والمعين (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا ماجرى لهؤلاء (وأما ماكان) من حديث الملكة زنانير فانها اجتمعت بالملك روميالص وقالت أيها الملك رأيت مالقيناه من هذا العدو ولولا الظلام أقبل علينا والا كان قد انهزم عسكرنا فلا بارك المسيح فى أعمارهم ولقد انذهلوا أصحابنا وما أفلحوا ولكن أنا فى غد أتولى ترتيب العسكر بنفسى فقال لها ابن عمها اليون جعلت فداك أيتها الملكة وما أمكنكى من الخروج اليهم وحق المسيح حتى أبقى طريح وفى غد أبرز الى الميدان وألتقط شجعانهم كما يلتقط الطير الحب وأبيدهم بالطعن والضرب. فشكرته زنانير على ذلك وعادت الى حصنها وأنفذت الى لؤلؤ وعرفته بالحال وقالت يالؤلؤ ما أعرف القبض على أبو محمد الا منك فقال سمعا وطاعة ولكن أنا فى الوثاق. وضيق الخناق وأليم العذاب وكيف لى بالخلاص حتى أدبر على أخذه ولو أنه فى أى صورة كانت فلما سمعت ذلك الملكة زنانير آمرت باطلاقه فخرج وقد لبس ملبوس الروم وغير حيلته كما يعمل الأمير أبو محمد البطال وقام على رأس الملكة يحجبها وعليه كازغند أطلس بأزرار لؤلؤ من الكبار وعلى جبينه عصابة من الجوهر تأخذ بالبصر وعلى رأسه إكليل من الذهب الأحمر مفصل ذلك بالدر والجوهر ووجهه كأنه القمر لكنه من العشق قد تغير فلما نظرت الملكة زنانير اليه قبلت ما بين عينيه وفرحت به كونه فى خدمتها وقد

جعل نفسه من بعض حجابها وحاشيتها وصار من جملة خواص مملكتها والهوى يذل الشجاع لاسيما وقد هوى مثل الدرة اليتيمة والنعمة المقيمة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما كان من الغد وأصبح الصباح فتحت أبواب القلعة وخرجت الملكة زنانير فى البطارقة والعمالقة والرهبان ووجوه عبدة الصلبان وارتجت لهم الارض فى طولها والعرض وارتفع الصياح وجردوا الصفاح وجرت الدما مثل أنهار الغدران وعادت خضرة الأرض كالارجوان وفتكت الملكة زنانير بالصغير والكبير وطحنت الناس وأسقتهم من المنية كاس وكذلك الملك عبدالله قاتل قتال عظيم ماسمع بمثله لامن العرب ولامن العجم وكذلك الجارية نهار قاتلت وأنكت فى الكفار وعبد الرحمن أنزل بالكفرة الهوان ولم يزل القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى مضى النهار بنوره وأقبل الليل بديجوره وانفصلت العساكر بعضها من بعض وقد تضعضع فى ذاك النهار عسكر عبد الله لانهم كالشامة البيضاء فى الثور الاسود أو الحصاة فى الأرض الفلاة ولو لم يتصرم النهار لكانوا قد ولوا الأدبار ولم يأخذهم قرار

﴿ تم الجزء الخامس والعشرون ويليه الجزء السادس والعشرون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السير أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقاني وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السادس والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
باخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ورجع الملك عبد الله إلى سرادقه وعظم عليه أمر ذلك العسكر الجرار وقل من أصحابه الاصطبار وماكان له إلا أنه أرسل إلى قلعته يستنجدهم ويحثهم على الجهاد فى طاعة رب العباد ولا يتخلف منهم أحد ويحاموا عن شريعة النبي محمد وأرسل إلى أخ له يقال مرياقونس يستنجد به على عدوه ويقص ماقد جرى عليه ويطمعه فى ملك الملكة زنانير وطلب أبو محمد حتى يستشيره فى أمر القتال فلم يجد له خبر ولم يقع له على أثر فقلق لذلك وتحير وأمر البطارقة أن يطوفوا عليه بين القتلى فطافوا بالمشاعل فلم يجدوه وكذلك غلامه جوهر أيضاً فقدوه نخاف عليهما لجهلهما ببلاد العدو ثم قال فى نفسه لعله مضى يعمل مكيدة (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى غيبة الأمير أبو محمد البطال انه نظر إلى باب القلعة فلما فتح فى صبيحة ذلك اليوم وكان هو وغلامه جوهر واقفان كأنهما بطريقان وعلى الحرب معولان وقد أرخيا شعورهما وقد شد كل واحد منهما فى وسطه زنار واشتهر بكلام الكفار واختلطوا بزيهما فى جملة الناس كأنهم يريدون خدمة للملكة زنانير واستتروا بالبطارقة وامتزجوا بهم بين الروم المنقطعين فى القلعة الذين قعد بهم الزمان ولم يزل يحتفظ من الناس ويتجسس الأخبار من المشايخ ويتحدث مع كل أحد حتى خرجا إلى حديث الملكة زنانير ولؤلؤ فحدثه رجل كيف قد عشقته زنانير وما قد فعلت معه من الجميل وكونه على دينه وهى لاتنكر عليه وكيف قد جعلته على رأسها حاجبا لها وهو الحاجب الخاص دون غيره ولا تقضى الحوائج للروم الا على يديه فقال أبو محمد البطال لذلك البطريق وأين سكن هذا الرجل فقال قد أعطته الملكة

دار الذهب المشرفة على البحر وهو مجاورها بحيث تراه ويراها ليلا ونهارا فقال أبو محمد لغلامه جوهر يابنى الحمد لله والشكر له الذى عرفنا منه الحديث لنبلغ بلؤلؤ مانريد لأنه على دين الإسلام كما يقولون هؤلاء الروم ثم ان أبو محمد جعل يسامر هؤلاء الروم ويحدثهم طول النهار أجمع فلما جن الليل دخلت الملكة زنانير صاروا بعسكرها الى القلعة فاختلط بهم الأمير أبو محمد البطال وغلامه جوهر ولما فى الحصن ودخلوا الى دار الذهب وأكمنوا بالقرب منها ولم يزل الى أن نامت العيون وأخذ الناس السكوت عندها وثب أبو محمد الى تلك الدار الذى فيها لؤلؤ ولم يزل يعالج الباب هو وجوهر حتى فتحاه ودخلا وردا الباب كما كان ودخلا قليلا قليلا وإذا بلؤلؤ جالس على سرير من الصندل مصفح بصفائح الذهب الأحمر وعليه تلك الغفارة الاطلس وبين يديه شمعة كافورية وهو وحده وقد صلى وجلس للدعاء وهو يقول اللهم يامن هو الأول الذى ليس قبله شىء والآخر الذى ليس بعده شىء والواحد الذى ليس كمثله شىء والباطن الذى لاظاهر له والملك الذى لايزول ولاوزير له والسلطان الذى لاشريك له يعلم ما كان قبل أن يكون صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وانصر عصابة الإسلام وثبت عزم الأمير أبو محمد البطال وافتح على يديه وتمم له ماقد أنعت عليه وخلصنى أنا من عشق هذه الجارية إما باسلامها وإما بموتها أو بموتى حتى لا ألقاك وأنت على غضبان وهو فى الدعاء وأبو محمد يسمع دعاه فشكر الله تعالى وأثنى عليه ثم هجم على لؤلؤ وقال سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال لهم لؤلؤ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فمن أنتم ياهؤلاء وأنا ما سمعت اسم الله من أحد هنا إلا منكم فقال أبو محمد أنا ذلك المشار اليه عبد الله أبو محمد البطال مولاك وهذا صديقك جوهر أخاك وقد جئنا لنسرع فى هلاكك فان ماللمرتد الا القتل ولكن يالؤلؤ إن بعض الظن إثم والمحب مولع بسوء الظن فنستغفر الله تعالى مما ظننت فيك فعندها وثب لؤلؤ اليه وجعل يقبل يديه وأجلسه وحلف عليه وكذلك جوهر وحدثه أبو محمد بجميع ما جرى وما فتح الله تعالى على يديه باسلام الملك شعشعونا ونحو عشرين ألف من أصحابه فقال لؤلؤ يامولاى هذه نوبة ما تمت قط للامير عبد الوهاب ولا فرح بمثلها فقال أبو محمد وقد جاء يغزو فى أعداء الله تعالى وقد صدقوا الملاعين اليوم فى القتال وأنا قد جئت أعمل الحيلة حتى أسلم هذه القلعة للسلمين إن شاء الله تعالى وتشملنا عنايتك يالؤلؤ لأنك اليوم الحاجب الخاص والآمر الناهى واياك ان أنت أبطلت علينا ما نعمل وغدا تحشر فى المحشر فقال لؤلؤ يامولاى معاذ الله ان أبطل عليك ما تعمل وكيف لى بذلك وتفتح هذه الأربعين قلعة على يديك

إن شاء الله تعالى ولكن الهوى غلب التقوى فبحياة من عصمنى فقد كان من أمرى كيت وكيت ولا خنت الله ولا عصيت مع ماعملت معى الخمرة وغلب على عقلى السكر ووقعت الملكة زنانير على صدرى وقالت لى خذ الآن فى أمرى وما فعلت ذلك خوفا من نار مالك وهمت بقتلى ولكن الله تعالى كف يدها عنى ومنها سلمنى وعلى الإسلام ثبتنى ثم بكى وأنشأ يقول

لا ومن جل تعالى عن شبيه ومثال ماعصيت الله عمرى لا ولاخفت الموالى
وزنانير لها فعل كأولاد الحلال خدعتنى بجمال وكمال ودلال
قد عاذها الرحمن من عين الكمال بلحاظ كالمنايا قاتلات للرجال
ولها وجه كنور الشمس من غير زوال وجبين كضياء البدر فى جنح الليالى
وأنا لؤلؤ قد أصبحت فى أسر الدلال لا أبالى بعد ماجئت لنفسى ماجرى لى

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فتعجب أبو محمد من حدة خاطره وكيف نزه نفسه وفرح غاية الفرح وقال يالؤلؤ ماتصنع فقال يامولاى أفعل ماتشتهى فأنا لك من الاخوان على طول الزمان وقد جعلتنى الملكة حاجبها وعلى أن أسلم الحصن اليكم ولكن أخاف من الروم أن يفطنون بنا فلا تظفرون بطائل وأريد منك عهدا ياسيدى ان نحن أخذنا الملكة زنانير تكون لى ولا يزاحمنى فيها أحد فحلف له الأمير بالايمان الثقال على ما أشار عليه واليه وأخذ يده على انه لا يملكها لاحد غيره ولو طلبها عبد الوهاب سيد بنى كلاب وأنت تعلم قولى وصدق مقالى فقال له صدقت يامولاى ما أشك فى إيمانك ثم قال له لؤلؤ عندك خبر من الأمراء فقال أبو محمد لا بل اننى أنفذت اليهم أخوك سبك منكر ومعه كتاب أستحثهم فيه على الوصول الينا وقلت لهم يكون دخولكم فى زى التجار ان كانوا قد خلصوا من قتال الملعون منويل وكاننا بهم الينا واصلين ونملك هذه القلاع الأربعين (ياسادة) ففرح لؤلؤ بذلك وقال يامولاى وعقبة ما فعل الله به فقال أبو محمد والله لقد ذكرتنى يالؤلؤ مالى به عهد من أيام كثيرة ولكننى تركته فى مطمورة مظلمة مقتمة وقد قطع الملك شعشعونا أذناه وبقى كأنه كلب برى وبعد ذلك فأنا خائف منه ومن غدره (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أن لؤلؤ أخفا الأمير أبو محمد وغلامه جوهر فى مكان لايأوى اليه أحد ولا تقطع العين عليه واحترز غاية الإحتراز فهذا جرى منهم (وأما ما كان) من عقبة لعنه الله فانه طال عليه الحبس وأيس من الحياة وتمنى الموت وسأل الرجال الموكلين به عن أحوال أبو محمد البطال فقالوا له قد مضوا يغزوا عباد المسيح الملكة زنانير لأن أبوها صلبوتا مات وقد سمعت أنهم قد وردوا على أعدائهم فكاد عقبة أن ينفطر من

الغيظ وقال ما المسيح إلا مسلم وإلا ما كان يتم لنا هذه الفعال ثم أنه قال لنفسه ياعقبة اين الحيل والخداع الذى تدخرها لهذا الوقت فافعل شيئاً تذكر به على الأبد ما قام قائم وقعد ثم أقبل على البطارقة فقرأ الإنجيل بصوت كانه السمر ونغمة تسقط الطيور من حسن لحنه وحلاوة نغمته وجعل يفسره بالرومى ويحدثهم بأحاديث الملوك وما يتم لهم مع المسلمين ووصف المسيح وأن اعتقاده عو الصحيح ووصف معجزته وكيف أحيا الموتى وأبرأ الأعمى وخلق من الطين كهيئة الطير وما أعد لعباده من الخيرات والنعيم المقيم والمنازل الرفيعة الدرجات والكرامة والسعادة وما أعد للسلمين من العقاب والعذاب وقال لهم ياويلكم لقد غضب المسيح عليكم بعد عبادة أربعين سنة أو خمسين سنة ثم تعبدون سواه وتختارون عقوبته وبلاه كانكم بالمصيبة قد نزلت والزلازل قد أخذتكم ثم أسبل دمعه وأحنـا على الحيل ضلوعه فلم يبق أحد من البطارقة إلا وبكا من قول عقبة وانطرحوا على أقدامه يقبلونها وقالوا الأمان الأمان من عذاب النيران يا أبونا هل يقبلنا المسيح إذا عدنا إليه فال نعم إن سألته أنا فيكم فهو يرضى عنكم فقالوا له يا أبونا فما الذى تريد تعمل ولو متنا بين يديك فقال لهم عقبة أريد منكم أن تكفرون بالذى عبدتموه فى هذه الأيام القلائل وتتوقون منه فقالوا سمعا وطاعة ففكوا قيودهم وأخرجوه من السجن وأخذوه إلى عندهم وأن الملعون أرى أنه لايلم بموضع يكون فيه اؤاؤ وأبو محمد البطال فانه لاقدرة له عليهم وقد ثبت عنده بغضة الملكة زنانير له فقال لهم ياقوم هذه القلاع ما فيها ملك من الملوك اهيب من هؤلاء واقوى منهم عسكر واكثر منهم مالا ورجالا فقالوا بلى أيها الشيخ النجيح ماكان فى جميع القلاع أعظم من الملك صلبوتا وبعده ملك آخر وهو فى قلعة الثلاثين يقال له شرمولص وهو ملك من الملوك الكبار وهو ابن الفرغولص وهو أكبر سطوه وأعظم عده وما أطاع قط أحد ولاكاتب الملك صلبوتا أبدا وكان فى قلبه النار منه ويشتهى مكانه ويحدث نفسه بذلك ويريد القصد اليه والورود عليه وجميع الطوائف تفزعه وهو يعبد المسيح والدين الصحيح وله بترك يقال له مكربونا يزعم أنه رسولا من المسيح اليه بالضريح وهو لا يضحك أبدا ومنذ دخل إلى تلك الديار ماغسل له وجها إلا بالبصاق ولا يغتسل بالماء من الغائط بل يدعه حتى يبقى فى شعره مثل ودعه الغنم ويهديه إلى جميع الأقاليم فينفذوا له أضعافه ذهبا وفضة ومسكا وكافور أو يقول لهم أنه يبرىء الجزام ويزيل الآلام والأوجاع والأسقام وهو شيخ كبير أيها الهدية الكريمة (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع عقبة كلامهم فرح

وكشر على أنيابه كأنها الكلاليب وقال لهم اعزموا بنا الليلة بارك فيكم المسيح وفى أعماركم فسوف آخذ لكم الجارية العظيمة والنعمة الجسيمة فقالوا له ابشر بالفرج ثم عمدوا واليه رحلوا وحلوا وثاقه وفكوا خناقه وقد عمل فيهم سحره ومكره وأخذوه وخرجوا فى الظلام من باب الحصن والقلعة وهو كأنه من بعض البطارقة الذين قد كانوا منهم إلى أن صاروا فى ظاهر البلد ومعهم السلاح وكأنهم قاصدين إلى الملك شعشعونقا وكان قد خرج معهم جماعة قاصدين النجد للملك وهم فى أكمل عدة (قال الراوى) ولما أبعدوا عن القلعة انقطعوا عن الناس وهم عشرة وخرجوا به على طريق يعرفونه فى الجبل وقصدوا إلى قلعة الملك الشرمولص وساروا ليلتهم إلى الصباح وأشرفوا على أرض كأنها الزعفران كثيرة الزهر والاقحوان والمياه والغدران كأنها من بعض رياض الجنان ولاحت لهم قلعة كأنها العروس على رأسها دولاب من الصندل ولوالب من البولاد إذا طلعت الشمس يدور فيأخذ بالأبصار وكان يدور مع هبوب الرياح فى الغروب والاصطباح وفيه عالم لايحصيه إلا الله تعالى ولا يفهم كلامهم إلا بالمشقة لأنهم أروام مغلق وهم خلق كبار الحدق ومأكلهم السمك ويقال اسمكهم العلق وللملكهم بدلة من الجوهر وتاج من الذهب الاحمر وله جواد أدهم اسمه بالرومى لوبيار وهو المحتوم ماطلب خصمه إلا وأراده وهو لوسابق البرق سبق أو طلب الريح لحق وله مائة سايس لخدمته وقد قتل منهم نحو الخمسة والثلاثين سايس والملك لايقاتل الا بالمزاريق يشق بها الشعر ويلتقط بها الدر وهو جبار عنيد وشيطان مريد كأنه زبرا الحديد وجميع القلاع التى حوله تطيعه وتحمل اليه الهدايا وهو لايكاتب أحد ولا يطيع لا بيض ولا لاسود فلما وصل عقبه إلى القلعة قال لاصحابه اذهبوا أنتم وبشروا الملك بقدومى وعرفوه بنزولى وقولوا له هدية عيسى الى الملك الشرمولص فقالوا سمعا وطاعة وساروا حتى أشرفوا على باب القلعه فنزلت اليهم البطارقة وهم عراه وفى أوساطهم وزرات الشعر وعلى أبدانهم شعر كشعر المعز وأبدانهم سمر لكثرة لذع الشمس وكلامهم لايفهم فقالوا لاصحاب عقبة لما رأوهم من أين أنتم ومن أين أقبلتم فقالوا نحن رسل هدية عيسى الى الملك الكريم الشرمولص فقالوا لهم البطارقة ياموالى قفوا هنا حتى نشاور الملك والبترك العظيم مكربون فى أمركم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فأقاموا العشرة يرتعدون من الفزع من شدة خوفهم من سماع ذكر الملك ثم دخلت البطارقة على الملك وعرفوه بخبرهم من بعدما صلبوا على وجوههم وقبلوا الأرض بين يديه فلما سمع الملك ذلك منهم وبخبر هدية عيسى قال على بهم فأحضروا العدة إلى شر بين يديه فقال لهم من أين أقبلتم فقالوا نحن من قلعة

شعشعونا الذى ارتد عن ملة عيسى وكنا نحن قد وكلنا الملك على شيخ من مشايخ النصرانية يقال له هدية عيسى ثم شرحوا له الأمر الذى كان وعرفوه بصورة الحال ولم يخفوا من أمرهم شيئا (قال الراوى) فلما سمع الملك كلامهم غضب من قولهم غضبا شديدا وقال كيف أمهلكم المسيح لا ينزل على شعشعونا من البلاء ما يعجز عنه صبره ويذم عاقبته وأما أنتم فما لكم عندى جزاء إلا الصلب حتى أطهركم ويقبلكم المسيح اذا غدرتم ثم انه فى الحال أمر بالعشرة فصلبوا وحلف أن لا يدفنهم حتى يبلون ويقعون فى مواضعهم وكان ذلك بمشورة البترك مكربونا وعجل الله بأرواحهم الى النار وبئس القرار وان الملك أمر أن يخرجوا إلى لقاء القاضى عقبة البترك الكبير ومعه وجوه البطارقة وخواص المملكة ثم قال لهم الملك وحق المسيح لقد سمعت بهذه الهديه على زمان الملك صلبوتا وكنت أؤمل من المسيح أن يجمع بينى وبينه (قال الراوى) ياسادة يا كرام نخرج البترك فى تجمل عظيم ومعه مركوب خاص حتى يركبه وهذه منزلة عند الملك ما سمع بمثلها قط أحد ثم ساروا إلى أن أشرفوا على عقبة وهو قائم يتلو الانجيل وقد لطخ وجهه بدهن ودواء كان معه لا يفارقه يبرق براقا عظيم حتى كان اذا نظر أحد إلى وجهه فى الليل فيحسبه قنديل يشرق من عظم لمعانه (قال الراوى) فلما رآه البترك ترجل ونزل اليه ووقف بين يديه فجعل عقبة يتلو الانجيل بذلك الصوت الحنين وهو يبكى تارة ويغشى عليه تارة أخرى ويعمل أشغال لا يعرفونها هؤلاء من التضرع والتذلل والخشوع وفيضان الدموع ساعة بعد ساعة والبترك يتعجب منه وكذلك خواص الملك حاروا من أمره (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما فرغ عقبة من كلامه وصلاته قالوا ما رأينا قط مثل هذا الشيخ ولا أطيب من صوته فعند ذلك خدموه وأكرموه وعلى المركوب أركبوه وقدموا به الى الملك وساروا والبترك إلى جانبه وهو فى موكب عظيم والحجاب والبطارقة بين يديه وهم يخدموه ويعظموه هذا وقد خرج الملك إلى لقائه فى خواص مملكته ووزرائه عالم عظيم الذى ساروا للقائه وخلق كثير لا يحصيهم إلا الذى خلقهم جل وعلا وهم كانهم الخنازير من سواد أجسامهم وما عليها من الشعر وما منهم إلى من فى يده مزراق لأنه سلاحهم وما يعرفون غير المزاريق وهم يلتقطون بها الابر كما ذكرنا ولا يخطئ راميهم ولا يفزع جبانهم ولا تقاوم شجعانهم هذا وعقبة يتلو الانجيل وقد أصغت اليه الروم بالاسماع والملك متعجب من صوته وصورته ولمعان وجهه فأشار الملك بأن يقرب اليه عند ذلك تقدم اليه عقبة وقال له أنا هدية عيسى اليك وهو يقول لك أبشر بفتح البلاد على يديك والنعمة الواصلة اليك والهيبة القوية وملك القسطنطونية وفتح البلاد الإسلامية جميعها ثم تلا

عليه الانجيل وعوذه بعوذة حزقيل ورجع الملك وعقبة عن يمينه والبترك عن شماله فقال عقبة فى نفسه أين عين أبو محمد البطال حتى يرانى وأنا فى هذا الموكب فلقد كانت تنفطر مرارته وتدوم حسرته ولعل يكون المسيح قد رضى عنى ورفع قدرى وأحسن خلاصى من الملك شعشعونا (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما دخل عقبة إلى القلعة وجد عشرة مصلوبين على عشرة خشبات فسأل عنهم فقالوا هؤلاء العشرة الذين جاؤا معك وقد غضب عليهم الملك وصلبهم حيث أنهم أسلموا وتبعوا المسلمين فلما علم عقبة ذلك قال المسيح يطول عمر الملك فما أبصره وبالأمور ما أخبره ولقد وضعت أيها الملك الشيء فى موضعه لأنهم ما حفظوا دينهم فكان هذا عاقبة أمرهم وكذلك يفعل الملك والمسيح بالملك شعشعونا ثم حدث الملك بحديثه وكيف أسلم وحديث أبو محمد البطال ومكره وكيف يسرق بنات الملوك وأنه قد صار فى أرضكم ولم يزل يحدثه حتى وصل إلى باب القصر فترجلت الأمراء والحجاب إلا البترك والشيخ عقبة فانهم دخلوا مع الملك إلى داخل القلعة فلما ترجل الملك ترجلوا وجلسوا وجلس الملك على سريره وأمر لعقبة بسرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج فأخذ الملك يسأل عقبة عن بلاد الاسلام وأحوالهم وبلاد الروم وعن ملوكهم وهو يخبره (ياسادة) وحديث أبو محمد البطال فتعجب الملك من ذلك ثم سأله عن هذه القصة التى جرت على الملك شعشعونا وما كان سببها فعرفه ذلك جميعه وقال أيها الملك انها من تحت رأس رجل يقال له أبو محمد البطال الذى يسرق بنات الملوك ويعمل الحيل على القلاع حتى يفتحها ويصير المالك مملوك فلما سمع الملك ذلك صلب على وجهه وتعوذ بالمسيح من شره وقال إن وقع هذا المسلم بيدى لأجعلنه أحدوثة إلى الأبد ولا ولأسلخن جلده وأحشيه تبنا وأعمل على قتله وليمة يتحدث بها ولاملكن هذه القلاع كلها إذا أخذت قلعة الملك صلبوتا ولارضين المسيح بقتل تلك المفتنة زنانير ولاصلبن الملك شعشعونا على دولابى هذا فقال له عقبة بلغك مناك ونصرك على أعداك فما جئتك إلا بشارة من السيد المسيح بأن يسهل لك الفتح والتوفيق ويبلغك المراد وتشتفى من الأعادى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعه الملك يشكره خلع عليه خلعة سنية عظيمة من خزائنه وأمر بالطعام أن يحضر فأحضر بين يدى الملك من جميع الألوان بشىء ماذاقه عقبة فى عمره قط وأكثرها من لحم دواب البحر وقال الملك لعقبة دونك والطعام فأكل عقبة منها وهو كاره لها ولكن لم يمكنه أن يمتنع من الأكل لأنه فزع من الملك لما صلب العشرة على غير شىء فلما أن أكلوا واكتفوا أحضروا الخمر وشربوا هذا والبترك لم يأكل معهم ولم يشرب تكبرا فصعب ذلك على عقبة وعلم بحاله وقال وحق المسيح

لأعملن على ضرب رقبته هذا القرنان الكشحان وأريحن النصرانية من خراه (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أن الملك أقبل على القاضى عقبة وقال له ما الذى تأمر به أن أصنع أيها الهدية النفيسة فقال له عقبة أيها الملك الرأى عندى أن تتوجه إلى لقاء العدو وتبلغ منه كلما تريدو تكون مع الملكه زنانير عونا لها على المسلمين وعلى هذا الطاغى الباغى شعشعونا وإذا فرغنا أيها الملك منه ومن أصحابه كانت زنانير بين يديك (ياسادة) فلما سمع الملك ذلك من كلام عقبة قال له وقد غضب من قوله وكأنى ياهدية عيسى أحتاج إلى معونة أحد وحق المسيح لأجعلن الدنيا منهم خالية وأطلالهم خاوية (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح خرج الملك وقد ركب على ذلك الجواد الأدهم ولم يقدر أحد على إسراجه ولجامه إلا بالكثرة وخرج البترك بين أيديهم ومعه القساقسة والرهبان وهدية المسيح يتلو الانجيل بصوت يشفى العليل وقد سارت العساكر من كل صوب وهم يطلبون ديار الملكة زنانير وقد توجهوا على الطريق (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا جرى من أمر عقبة والملك الشرمولص (وأما ماكان) من حديث الأمير عبد الوهاب وديار الاسلام وقتال الروم ورجوعهم إلى ملطية وانقطر خبر الأمير أبو محمد البطال عنهم فجعلوا الأمراء يتأسفوا عليه ولم يدروا ماذا تم عليه والأمير عبد الوهاب يقول ياليت شعرى أسالم هو أم عاطب أم مأسور أم مقبور وبينما هو جالس فى بعض الأيام فى داره وإذا قد دخل عليه غلام عقبة ومعه الكتاب الذى زوره على لسان أبو محمد البطال وفيه ماقد وضعنا من الحيل والمكر والمقال وكان وصوله قبل وصول كتاب الأمير أبو محمد البطال فلما قرأه الأمير عبد الوهاب طار عقله فرحا وكتم ذلك عن الأمير عمرو بن عبيد الله ثم أعلم أمه وخواصه وقال للأميرة ياأماه هذه والله من المذهبات التى لأبو محمد وأن ملكنا هذه القلاع فلنسعدن بها ويشيع ذكرنا وتترحم علينا الناس إلى يوم القيامة فقالت له الأميرة فما الذى عندك يابنى وما الذى تريد أن تصنع لها ياأماه نعم الأمير ظالم وسيف الحنيفية وأبو الهزاهز وجميع سادات بنى كلاب خوفا من اذاعة السر وان يأخذوا أهبتهم ونعى تجارة تصلح لتلك البلاد كما قد أمر الأمير أبو محمد البطال فقالوا الجماعة لما علموا بالحال فمتى يكون ياأمير الارتحال فقال من صبيحة هذا اليوم إلى عشرة أيام إن شاء الله تعالى يكون الرحيل (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من حديث سبك غلام أبو محمد البطال فانه سار فى البحر إلى أن وصل إلى دير النذور وصعد اليه فى جملة من صعد إلى الزيارة وهو متنكر خوفا من الراهب تمليخا لئلا يعرفه فيقتله ثم اكمن إلى الليل فى الدير إلى أن وجد غفلة من الرهبان فانسرق منهم وغاب عنهم كانه ما كان

ثم أنه سار يقطع الارض فى طولها والعرض ويطوى الاودية والجبال ليلا ونهار وعشيا وأبكار ولم يزال إلى أن وصل إلى ملطية بعد المشقة العظيمة ثم دخل إلى منزل أبو محمد البطال وهنى الملكة نورى بالسلامة لأبو محمد البطال ففرحت وشكرت الله سبحانه وتعالى على ذلك ثم قصد إلى دار الأمير عبد الوهاب سيد بنى كلاب فاستأذن عليه فأذن له بالدخول فدخل سبك وسلم على الأمير وجلس بين يديه وجعل الأمير عبد الوهاب يقبله بين عينيه ويهنيه بالسلامة وكذلك الأميرة ذات الهمة الصالحة الزاهدة العابدة وتباشروا الأمراء بقدوم سبك غلام أبو محمد البطال وجاؤا اليه من كل فج عميق وجعلوا يهنوه بالسلامة وقال الأمير عبد الوهاب كيف أتيت ياسبك وما معك من أخبار الأمير أبو محمد البطال وما لنا لانراه معك ونحن كنا فى غداة غد معولين على القدوم عليكم والوصول اليكم الى بحيرة الفلك فى زى التجار (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع سبك ذلك اقشعر جسمه وشخص بصره اليهم وقال لهم لايعلم الغيب إلا الله فمن الذى أعلمكم بأننا فى بحيرة الفلك أجنى أم أنسى أم من بعض الملائكة فوالله العظيم ما أظن أن يسلم من تلك الطريق أحد ومن ذاك البحر المزبد فقال له الأمير عبد الوهاب فهذا كتابكم الينا وهو بخط الأمير أبو محمد البطال بيده عند ذلك أخذ سبك الكتاب وتميزه وإذا به مثل خط أبو محمد البطال فتغير وجه سبك وقال والله يامولاى ما هذا الكتاب الا من عقبة وما فعلها سواه فما أمكره وما ألعنه ولقد كان يعمل على إتلافكم وما عندكم علم فقال له الأمير وأين هو عقبة ياسبك فقال يامولاى فى بحيرة الفلك وقد أسره أبو محمد البطال وهو فى مطمورة وقد أسلم على يد مولاى خلق كثير وهذا الكتاب قد أنفذه اليكم عقبة وهو محال وهذا الكتاب الذى معى هو الصحيح ثم أخرج كتاب أبو محمد وقال هذا الكتاب الذى للبطال ذلك الشعر والنظام والكلام والتشوق فقرأ الأمير عبد الوهاب على الجماعة الحضور وقد تحير من هذه القصة وعجب منها ثم بكى من الفرح بسلامة الأمير أبو محمد البطال وقال لايضيع الله له هذه المكرمة وجمع بيننا وبينه على أحسن حال وأنعم بال أنه جواد متعال ثم قرأ الكتاب الذى لأبو محمد وما أوصاهم به يفعلوه فلما سمعوه قالوا هذا هو الصحيح الذى يليق بالعقل ونحمد الله سبحانه وتعالى الذى جاءنا هذا الكتاب ونحن على أهبة فقالوا ومتى نسير أيها الأمير فقال لهم فى غد إن شاء الله تعالى وباتوا ينتظرون الصباح وقد كتموا ذلك عن الأمير عمرو ابن عبيد الله وعن بنى سليم (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم ان الأمير عبد الوهاب أمر الأمير سيف الحنيفية بالتخلف فى جماعة من بنى كلاب وان الأمير سار بالعسكر خفية عن الروم

وجعلوا يقطعون الأرض فى طولها والعرض الى ان وصلوا إلى دولاب الاديرة والنهر القاطع ودير النذور والبحر (قال الراوى) ياسادة ياكرام وبالاتفاق كان فى وقت وصول العساكر الإسلامية وصل مركب كبير من أقصى بلاد الروم وفيه خلق كثير ومعهم الأموال والبضائع ومن التجارة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولم يكن موجود مراكب فى هذا المكان خلاف هذا المركب الذى أتى من غامض علم الله مكون الأكوان وقصدهم بهذه التجارة التوجه الى الملك منويل وفى تلك الأيام كان وصول الأمير عبد الوهاب وعسكره على سن البحر يطلب دير النذور وكان الراهب تمليخا قد نزل الى أهل المركب وسلم عليهم وترحب بهم وأكرمهم وأعطوه من الشموع والهدايا ومن النذور التى معهم وغيره وهم بالرجوع وإذا قد أدركهم الأمير عبد الوهاب والسادة الأنجاب وهم فى زى التجار ومعهم أحمال القطن والكتان وجميع مايحتاج اليه فى تلك البلاد فقال الراهب تمليخا لما رآهم هذه فائدة أخرى بهؤلاء التجار ثم مكث ليسلم عليهم وكان الأمير قد أنفذ سبك يكشف له الخبر فلما علم حالهم رجع إلى الأمير ووجهه يتهلل بالفرح ثم قال للأمير عبد الوهاب ابشر يامولاى بملك لايفنى وقتل الراهب تمليخا وأخذ مركب يسع ملأنة ألف بطل وفيه مال لاتأكله النيران وهو من أعمال الصين وأقصى بلاد السند ثم أخبرهم بالقصة وقال لهم لاتتكلمون حتى تملكون الراهب تمليخا وتملكون المركب إن شاء الله تعالى (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أن الأمير لما سمع ذلك فرق أصحابه ومعهم العدد وأوصاهم أن لايتكلمون حتى يحصل منهم أربعة أو خمسة فى المركب فجعلوا يدنوا من الروم قليل قليل وجعلوا يسلموا على أهل المركب والروم على وجه الأرض وأكثرهم فى الساحل وهم تعابا من السهر وكان معهم مائة بطريق لأجل غفرهم فعند ذلك تواثبوا اليهم السودان إلى وسط المركب وأول من صار فيه أبو الهزاهز وميمون الجماس وقراقدو الأميرة ذات الهمة ثم انهم أشهروا سيوفهم ونادوا اللهم ارزقنا النصر ياصاحب النصر الله أكبر الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر وحبانا بالظفر وجاءكم الويل ياأعداء الله وأعداء رسوله وطرحوا السيف فيهم فقتلوهم عن بكرة أبيهم ولم ينجو منهم أحد ولما فرغ شغل الأميرة وأصحابها من المركب طلبت الأمير عبد الوهاب فلم تجده وكذلك ضيغم وقشعم وجماعة من بنى كلاب فلم تعرف لهم أثر ولا خبر فاشتغل قلب الأميرة ذات الهمة من أجل غيبتهم (قال الراوى) وكان السبب فى غيبة الأمير والذين معه أن سبك غلام أبو محمد البطال قال للأمير عبد الوهاب يامولاى لايفوتكم الراهب تمليخا فهو مالك الدير وأمره مسلم اليه وفى الدير أموال لاتفنى وفيه من نساء

الروم اللواتى مثل الأقمار من بنات الملوك الكبار الذين هن أرواحهن للمسيح والرهبان وأريد يامولاى تعطينى عهد الله وميثاقه بأنك إذا ملكت هذا الدير أن تعطينى حق دلالتى وبشارتى صلبان أخت الملكة زنانير وتكون لى وهى نصيبى من هذه الغنيمة فقال له الأمير عبد الوهاب لك ذلك ياسبك ثم أعطاه عهد الله وميثاقه (قال الراوى) ثم أن الامير عبد الوهاب أدرك الراهب تمليخا وهو هارب يهرول فلحقه الأمير وقبض عليه وجعل حمائل سيفه فى رقبته وقال له إلى أين تذهب ياشيخ السوء ياعدو الله ياملعون بشرت بالويل والثبور وعظائم الأمور وكان مع الراهب مايقارب الأربعمائة من الرهبانية والبطارقة ولقد خرجوا إلى لقاء المركب كما ذكرنا فأمر الأمير أصحابه فتجهزوا الكل وأخذوا أسلابهم فلبسوها ثم أن الأمير عبد الوهاب قال للراهب تمليخا يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية أما تعرفنى فقال لا وحق المسيح فقال له أنا الأمير عبد الوهاب المجاهد الأواب ومعى الأميرة ذات الهمة وقد ملكت المركب وقتلت كل من كان فيه وهذه الجماعة الذين تراهم كلهم مسلمين فأبشر بالويل والتعذير والعذاب الكبير (قال الراوى) فلما سمع الراهب بذكر عبد الوهاب طار قلبه وتعلقت خصيتاه إلى حلقه وانحلت مفاصله وانخطف لونه واصفر وجهه وغارت عيناه فى أم رأسه وقال ومن الذى أوصلكم الينا فقال ياعدو الله أوصلنا من يجبر المنكسر ويرحم الفقير وينصر الإسلام على كل كافر حقير ثم أن الأمير عصر على رأس الراهب بيديه حتى كاد أن يقضى عليه فقال الراهب يامولاى أعطينى الأمان وخفف عنى حتى أقول لك ماتصنع فقال له الأمير وما الذى تفعل إذا أعطيتك الأمان فقال أسلم لكم هذا الدير بكل ما فيه فقال الأمير أخاف من غدرك وشومك فقال الراهب لا وحق المسيح مافى الدير من تخافون منه والذين كانوا فيه فقد قتلتموهم فادخلوا اليه واملكوه وسلموا جميع مافيه وخلونى أنا فى مكانى ولا تتعرضون لى ومهما يصلح لكم تخذوه وما فيه من الجواهر والجوار إلا شيخة كبيرة أو شيخ كبير أو راهب كبير فلا تتعرضون لهم فقال الأمير عبد الوهاب وحق المصطفى صلى الله عليه وسلم لأنه قد نهانا عن قتل الرهبان فقال سبك يامولاى لاتسمع منه مايقول فكل ذلك مكراً منه وخداع حتى يجعلكم فى الدير وفى الدير نحو مائة مقاتل من كل بطريق هائل ولكن أصبروا إلى أن تجيء الأميرة ذات الهمة ومن معها من الأبطال وندخل كلنا إلى الدير ولا يتم علينا منه حيلة بل نملكه وكلما فيه (قال الراوى) ولم تكن إلا ساعة حتى أتت الأميرة وقد أدركت الأمير عبد الوهاب وهو فى انتظارها فسألها عن حالها فأخبرته بالنصر على الأعداء وأنها أخذت المركب وقتلت كل من فيه فشكر الله تعالى على ذلك

وتفاءل بتمام النصر إن شاء الله تعالى وأن نملك هذا الدير وقد تقاطرت الأمراء والسودان من كل جانب ومكان وقد وكلت الأميرة ذات الهمة بالمركب مائة بطل يقدمهم راشد ومن السودان ميمون الجماس وساروا الباقين مع الأميرة ذات الهمة فلما وصلوا إلى الأمير عبد الوهاب قالوا يا أمير مالذى عزمت عليه فقال سبك ألبسوا الثياب الذى لقيت من متاع هؤلاء القتلى حتى تصيروا كأنكم من البطارقة والرهبان الذين كانوا مع الراهب تمليخا وخذوه بيننا وهو ساكت وان تكلم أورثناه المعاطب وإذا وصلنا إلى الدير يظنون المقيمين أنكم من أصحابهم الذين خرجوا مع الراهب تمليخا فيفتحوا لنا الدير وقد صرتم فيه ونلتم كل خير فقالوا والله ياسبك أنك لصادق فى المقال فلا أوحش الله من مولاك الأمير أبو محمد البطال ثم أن الأميرة ذات الهمة ليست ثياب بعض القتلا وتنكرت وكذلك الأمير ظالم وجماعة الأمراء وأبو الهزاهز كل هذا يجرى (ياسادة ياكرام) والراهب تمليخا ينظر ويتعجب من هذه الأفعال وقد مات فى جلده وهو يمشى بينهم ولسانه اعتقل وعقله ذهل وهو ينقل رجل قدام وعشرة إلى خلف وسبك بين يديه وهو يتكلم بالرومى ويقرأ الإنجيل ويرفع صوته ويعظم الراهب تمليخا ويطوف قدامه فلما رأوهم البطارقة الذين هم فى الدير فقالوا بأجمعهم لاشك أنه قد حصل لهم زاد كثير من الذين أعطوهم أهل المركب الواصلين ثم تبادروا إلى الملكة صلبان وعرفوها بذلك المكان فقامت إلى برج الباب وأشرفت ونظرت إلى الراهب ومن معه فأنكرت ذلك وقالت وحق المسيح انني قد تحيرت فى أمر هؤلاء البطارقة وأرى الشيخ تمليخا معهم وهو كأنه مأسور مقهور وقد عولت على أننى أكلمه قبل ما يفتح الباب ثم أمرت أن لايفتحوا حتى تكلم الراهب (قال الراوى) ثم أن صلبان قالت ياأبونا ماوراءك وفيما قد أتيت فقال له سبك وحق الاله العظيم والنبى الكريم لئن لم تجبهم بأنك مسرور فرحان وقد أتيت اليهم بالهدية والجائزة السنيه والنذور التى قد وصلت اليك من التجار وإلا ما كنت إلا من الهالكين وأمكن منك هذا الخنجر فاعجل بك إلى النار وبئس القرار ومع ذلك فانى قادر على أخذ الدير بعون الله تعالى فى هذه الليلة (ياسادة) ولما سمع الراهب من سبك ذلك المقال علم أنه يقول ويفعل فقال فى نفسه لأفرج المسيح عن كل من فى الدير بعد أن أسلم أنا بنفسى ثم أنه نادى برفيع صوته بالرومى وقال أبشروا بما قد أنعم المسيح عليكم من كل هدية فاخرة ونذور متكاثرة وزادا وتقوية كثيرة وأخبار الملكة زنانير وأبوها صلبوتا إلى عند الملكة صلبان (قال الراوى) فلما سمعت صلبان بذكر أبوها وأختها فرحت وأمرت البطارقة أن يفتحوا الباب ثم رجعت إلى مكانها ومقام خلوتها لعبادتها

ثم فتحوا باب الدير فأول من دخل من العتبة وصاح كان الأمير ظالم وأبو الهزاهز وضربوا رقبة البواب ثم دخلت الأميرة ذات الهمة والأمير عبد الوهاب وقد أذعنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وفى ساعة واحدة صار فى الدير مائة من الشجعان وكل واحد منهم يعد بألف من الروم ثم أنهم صاحوا وهللوا وللروم قتلوا ولم تمضى ساعة حتى قتلوازهاء عن خمسمائة إنسان بطارقة ورهبان ولم يبقوا عليهم حتى أفنوهم وأخذوا الملكة صلبان قبضا بالكف وكان أول من وصل اليها سبك وقبض عليها فلم تتكلم فقال سبحان الله أين سطوتك وأنت تأمرين بعقوبتى وعقوبة الأمير أبو محمد البطال وكيف رأيتى صنع الله بكى فما ينفعكى المسيح ولا الشيخ النجيح فقالت له ومن أنت ياهذا حتى توبخنى على فعالى فقال لها أنا سبك غلام البطال وكان من الأمر كذا وحدثها بكلما جرى فى بلادهم وأن المسلمين قد ملكوا ديارهم وأطلالهم وأخذوا نساؤهم وأولادهم فكاد فؤادها أن ينفطر عند سماع هذا الكلام ثم طاطت برأسها وهى منكرة وقد أوثقها سبك كتاف ثم جعلها فى خزانة وأغلق عليها الباب وقعد عند العتبة فلما رآه الأمير عبد الوهاب على عتبة الباب ضحك منه وقال ما هذه الفعال ياسبك فقال يامولاى أذكر الإيمان التى عاهدتنى عليها وإنى قد أخذتها وها هى فى هذه الخزانة فقال له الأمير دعنا ياسبك من هذا فما هو وقته وافتح الخزانة وخذ من المال ما أردت ودع هذه الجارية وكان هذا الكلام من الأمير عبد الوهاب ملاعبة لسبك حتى يبصر ايش عنده فقال له سبك يامولاى أنتم فى حل من كل من فى الدير من الأموال والرجال والجوار دونكم وإياهم فقال الأمير وأنت أيضا ياسبك فى حل من كل ما فى الخزانة ولو كان فيها ايش ما كان فقبل سبك يد الأمير (قال الراوى) ثم أن الأمير عبد الوهاب أمر باحضار الراهب تمليخا فلما حضر قال له الأمير عبد الوهاب اسلم حتى تسلم فقال مالى إلى ذلك من سبيل ولو تركتنى قتيل فضربه أبو الهزاهز ضربة طير بها رقبته فقالت له الأميرة ذات الهمة وايش كان لك فى ذلك ونحن قد أمناه فقال لها ياأميرة والله العظيم ما يجىء منه خير وقد استرحنا منه ومن مكره وأذاه ثم أن الأمير عبد الوهاب فرق على الرجال كل واحد منهم جارية للسودان كذلك لأنه كان فيه شىء كثير وباتوا فى أطيب عيش وذوق وأبو الهزاهز يقول نحن بالنهار نضرب بالصفاح وبالليل نطعن بالرماح وهم يضحكون منه ومن كلامه وسبك يعافر فى الجارية صلبان وهى تقوى عليه ولم تمكنه من نفسها فنادى أبو الهزاهز يامولاى أعنى أعانك الله وعافاك (قال الراوى) فعندها دخل عليه أبو الهزاهز وهو يزجر كأنه الأسد الغضبان وقال له ياسبك على ماذا

أعينك قال على هذه التى غلبتنى ومن نفسها ما تمكننى فاوثقها أبو الهزاهز كتاف. وشد يديها إلى رجليها وخلاها كبه واحدة وهى لاتستطيع أن ترد عن نفسها ثم خرج وقال ياسبك دونك وإياها افعل ماتريد وأدع لى قال فقيل سبك يد الأمير أبو الهزاهز فعندها أغلق عليه وعليها باب الخزانة وانقض عليها سبك كأنه الباشق وأزال بكارتها وقد علقت منه فى باقى ليلتها باذن من له العظمة والارادة سبحانه وتعالى له القدرة والعز والبقاء العالم بما كان قبل أن يكون (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وانتشرت الشمس على روءس الروابى والبطاح وذكر سيدنا محمد سيد الملاح ألقى الله سبحانه وتعالى محبة سبك غلام البطال فى قلب صلبان أخت الملكة زنانير حتى كادت أن تموت من شدة المحبة والعشق بقدرة خالق الخلق فعندها قالت ياسبك كيف الطريق إلى دينكم فقال لها تقولى أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله انى بريئة من كل دين يخالف دين الإسلام وإنى رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيـــا ورسولا وان المسيح عيسى ابن مريم روح الله وكلمته القاها إلى مريم وانه مخلوق لاخالق ومرزاق لا رازق وإن الله سبحانه وتعالى واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقالت الجارية. صلبان ماقاله لهـا سبك من أوله إلى آخره فلما أسلمت وحسن اسلامها فرح سبك بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد ثم انطلق وهو فرحان مسرور إلى أن دخل على الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمه والأمير أبو الهزاهز وهم مجتمعون فدخل عليهم سبك بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير صلى الله عليه وسلم فلما أن نظروا اليه وهو مقبل عليهم من البعد على هذه الحالة فقالوا ياترى ما الذى كان السبب حتى أن سبك قد جاء الينا وهو على هذا الحال ومازالوا محدقين اليه ينظرونه إلى أن دخل عليهم وسلم فردوا عليه السلام بأحسن مقال ثم سأله الأمير عبد الوهاب عن الخبر فقال له يامولاى اعلم أن الجارية صلبان أسلمت وحسن اسلامها فى هذا الوقت قال ففرح الأمير عبد الوهاب بذلك وكذلك الأميره ذات الهمة والحاضرين جميعا وهنوه باسلامها فعند ذلك سمعت الجوار الذين داخل الدير فلما سمعوا باسلام صلبان أسلموا جميعا (قال الراوى) ونقل الأمير عبد الوهاب جميع الأموال التى كانت معهم فى المركب الى الدير وختم عليها وقال لأصحابه هذه الأموال تكون هاهنا فى وداعة الله تعالى إلى أن نرجع سالمين إن شاء الله تعالى ونقسمها على الرجال ثم أنه ترك ولده ضيغم ومعه خمسين رجلا من بنى كلاب يحفظون له الدير ثم أن سبك قال يامولاى اعلم انى قد تعبت من هذه السفرة ولى أربع شهور وأنا داير فى

جزاير الروم ولكن أنا مقيم فى هذا المكان إلى حين ترجعوا بالسلامة سالمين فى خير وعافيه إن شاء الله تعالى فاذا وصلت إلى أبو محمد البطال فاقرئيه منى السلام وخصه منى بالتحية والإكرام وأخبره بما قد فعلت قال وعند ذلك نظر إليه الأمير عبد الوهاب وتبسم من كلامه وقال والله ياسبك يحق لك هذا المقام عند بدر التمام هناك الله ياسيدى سبك (قال الراوى) فعند ذلك قبل سبك يد الأمير عبد الوهاب ودعا له بالنصر على الأعداء وجزيل الظفر عليهم وودعه ونزل الأمير عبد الوهاب هو وأصحابه فى المركب وكانت المركب تسع ألف رجل وبقى منهم ألف آخر فقال لهم الأمير عبد الوهاب ياقوم أقيموا عندكم الى جانب البحر حتى ينفذ اليكم هذا المركب بعد ثلاثة أيام وتقلعون به الينا إن شاء الله تعالى ثم قدم عليهم الأمير راشد بن ضمره ثم سار فى جماعة من بنى كلاب وحوله السودان الأنجاب وقد استقام لهم الهوى وكتب لهم السلامة فوصلوا وهم سالمون طيبون فى خير وعافية وقد أشرفوا عل قلعة الملك صلبوتا وقد لاح لهم الدولاب الأكبر فقالوا والله هذا الدولاب الذى ذكره لنا الأمير أبو محمد البطال فى كتابه الذى أنفذه الينا مع سبك ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى الابواب التى لهم فى البحر وعليها جماعة من البطارقه وهم الموكلين بذلك المكان فلما أن رأوهم بادروا اليهم وقالوا لهم إلى أين تريدون فقالوا نحن قوم تجار ومعنا هدية للملك صلبوتا فقالوا لهم أن الملك صلبوتا قد مات فتعجب الأمير عبد الوهاب من ذلك وقال لهم ياقوم فالملكة زنانير ماهى بالحياة فقالوا نعم وهى المقدمة على العساكر بعد والدها والحاكمة عليهم فقال الأمير ونحن اليها نقصد ولها نطلب وقد جئنا بهذه الهدايا من أجلها نقدمها إلى بين يديها فاطلبوا لنا منها الإذن بالدخول عليها فقالوا سمعا وطاعة ثم مضت البطارقة إلى قصر الملكة زنانير وأخبروها بالخبر (يا سادة) وكان لؤلؤ على رأسها واقف يسمع الكلام والخبر وكان عنده منه أثر فقال للملكه زنانير ابشرى فهذه تقوية لكم فأمرت لهم بالفتح (ياسادة) فعندها فتحوا البطارقه الأبواب فدخل المركب كانه السهم اذا خرج من كبد القوس ورسوا على شاطىء الجزيرة هذا ولؤلؤ دخل على الأمير أبو محمد وجوهر وهم مقيمين عنده كما ذكرنا وقال له قم الآن واخرج إلى شاطىء البحر وسلم على أصدقاك أمراء بنى كلاب والأميرة ذات الهمة وعبد الوهاب ومن معهم من الأصحاب (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الأمير أبو محمد شكر الله تعالى على ذلك وقال الحمد لله الذى قد جاؤا فى وقت الاحتياج اليهم وجمع شملى بهم من بعد ما طالت غيبتهم ثم خرج ومعه لؤلؤ وجوهر إلى أن وصلوا خارج القلعة ولم ينكر أحد عليهم وودعهم لؤلؤ وعاد إلى القلعة وقال أنا ذخيرة لكم فى القلعة أنفعكم وأكون سببا لأخذها لكم (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أن الأمير أبو محمد البطال سار إلى أن وصل المركب

وصعد اليهم فلما وقع نظره عليهم وتأمله الأمير عبد الوهاب قام اليه واعتنقه وقبل ما بين عينيه وكذلك الأميرة ذات الهمة وبقية الأمراء حتى انهم بكوا من شدة الفرح وهنوه بالسلامة ثم أن أبو محمد جلس بينهم وقال الحمد لله مقلب القلوب ومبلغنا كل مطلوب معطى النعم دافع النقم يعز من يشاء بفضله ويذل من يشاء بعدله لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع المنزه عن التشبيه والاضداد والوزراء والحجاب الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وصلى الله على سيدنا محمد نبى الرحمة وكاشف الغمه وعلى آله وصحبه وسلم اعلموا يا أمراء الدين وأركان الموحدين إننى ذكرت اسم الله تعالى وأثنيت عليه وصليت على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله ليرفع عنا الضير وتحصل البركة والخير فيما يقع عليه الكلام وقد طلبت الحضور معكم أحدثكم بالأمر من أوله إلى آخره حرفا حرفا كما ذكرنا ولا فائدة فى الاعادة ثم قال لهم وهذا الملك عبد الله شعشعونا فى غاية النصب والتعب وأريد أمضى بكم بالليل اليه ليشد بعضكم بعضا فان هذا الأمر فيه حال عنيد والأمر صعب شديد وهذه الملكة زنانير قد كاتبت الملوك واذعنوا لها بالحضور ودخلوا تحت طاعتها فقال له الأمير عبد الوهاب اعلم يا أبو محمد أن باقى أصحابنا ماقدروا على المجىء معنا لقلة المراكب ولولا هذا المركب صدفنا كنا ألهينا أنفسنا فى تعمير مراكب وكنا أبطينا عليكم وكان يطول علينا الأمر ثم حدثوه بما جرى لهم وكيف أنهم أخذوا المركب وقتلوا كل من فيه وكيف ملكوا الدير وقتلوا الراهب تمليخا واسلام الجارية صلبان على يد سبك غلامك (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك فرح الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وقال والله انى كنت أشتهى من الله تعالى أن أشتفى من عقوبته قبل الموت ولكن الله عجل بهلاكه فقال الامير وما الذى نصنع فقال البطال إذا كان وقت الظلام نرد المركب فى عشرة من الرجال تسير بهم الملاحون إلى عند أصحابنا ليأتوا بهم الينا فاستصوبوا رأيه ثم مكثوا إلى الليل وصعدوا فى المركب منهم عشرة أبطال كانهم أسود الرجال ثم انهم هجموا على حراس الباب وذبحوهم وصعد إلى المركب عشرة رجال شجعان أبطال وفتحوا السلاسل وخرجوا بالمركب من الباب ومالوا طالبين دير النذور ثم أن الأمير أبو محمد أرسل غلامه جوهر إلى الملك عبدالله شعشعونا يخبره بالقصة ويأمره أن يركب إلى لقاء الأمير عبد الوهاب فى أول الميدان ويحترز من العدو وتقدم الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وظالم وقشعم وسادات بنى كلاب وأمر السودان الانجاب وبقية الأمراء وهم الألف فارس المشهورين وإذا بالحراس فطنوا لهم وطلبوهم وقالوا من الطارق فى الليل الغاسق فلم يجاوبوهم ولا بحقيقة أمرهم أخبروهم بل

حملوا عليهم حملة واحدة وتركوا الدنيا منهم خالية وفى تلك الساعة لقيهم الملك شعشعونا واجتمعوا ببعضهم بعض وترجلوا عن الخيول إلى الارض وسلموا على الملك عبد الله وولده عبد الرحمن وهنوه بالسلامة والاسلام وشكروه على فعله وقالوا له ابشر بالسلام التام والعافية والاحسان والمغفرة والرضوان من الملك المنان وبالثواب من الواحد الوهاب والفوز يوم العرض والحساب والفوز بالجنة والتمتع بالحور الحسان والخلود بدار السلام ففرح بكلامهم وأعجبه حالهم ثم نظر إلى الاميرة وهى معممة ملثمة والشجاعة بين عينيها قائمة فقال من تكون هذه الملثمة فقال له أبو محمد هذه الاميرة المجاهدة ذات الهمة قاهرة الاقران وقناصة الشجعان ومبيدة الفرسان المجاهدة فى طاعة الرحمن فقال لله درها يا أبا محمد (قال الراوى) ياسادة يا كرام وقد وقع الصياح فى عسكر الروم فركب الملك رومياص وولده اليون وانزعجت زنانير وسألت ما الخبر فقيل لها أن التجار عسكر جرار وصعدوا من المركب وهم يهللون ويكبرون وإلى شعشعونا قاصدون فقالت زنانير وحق دينى ماهم إلا مسلمين قد دخلوا هذه الديار بحيلة أبو محمد العيار فلا كان هذا الشيطان ماهو إلا نقمة على عبدة الصلبان وحق المسيح إن وقع فى يدى لاصلبنه بعد أن أعذبه بأنواع العذاب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ركب المسلمون جميعهم وتولى الأمير عبد الوهاب الحرب بنفسه ورتب العساكر ميمنة وميسرة وقلب وجناحين فلما نظرت زنانير إلى ذلك قالت وحق الانجيل وما فيه من تحريم وتحليل ماهذه الأفعال إلا من خبير وفى الحرب شهير وبالطعن والضرب نحرير ثم قالت لخواصها قد وزنت هذه الفرسان بميزان الشجعان فما فيهم غير عشرة وفيهم فارس لايقهرنى إلا هو لأنه فارس نحرير وبمواقع الحرب خبير ثم أن الملكة زنانير نادت ببطريق من بطارقتها يقال له موضح وكان مد لا بقوته وبشجاعته مشهور بالفروسية فى بلاد الرومية فقالت له ابرز إلى الميدان واختبر هؤلاء الفرسان فعندها برز الملعون على جواد كأنه الصباح قد ربى بلبن اللقاح لو سابق الرياح تركهم خلفه وراح ثم جال بين الصفين واشتهر بين الفريقين وطلب البراز وسأل الانجاز فبرز إليه الأمير ظالم على جواد عريض الكفل شديد القوائم وجاوله ونازله وعاجله ولم يطاوله فطعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره فوقع صريعا يعج علقما ونجيعا وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فعند ذلك تعجبت الملكة زنانير من هذا البطريق وفارسها المطيق كيف ما مسك مع غريمه سوى مسافة الطريق وتوجه النار إلى بسرعة من غير تعويق ثم خرج إليه بطريق ثانى صرعة من غير توانى فطعنه طعنته وبه ألحقه فبرز اليه ثالث لجند له وعلى

الأرض بطحه وفى الهاوية جعل مستقره ومسكنه ولم يزل يبرز اليه من فرسانهم المشهورة واحد بعد واحد وهو يلحقهم ببعضهم بعضا إن أرادوا كرها أو رضا إلى أن كمل عشرة وكانوا فى الحروب مشهورة هنالك توقفوا وعلى وجوههم صلبوا فهجم الأمير ظالم على الميمنة وعلى الميسرة بحد اليمانى فقتل من كل منهم اثنان ثم طلب البراز وسأل الأنجاز ونادى الى يا أعداء الله يا لئام حتى أروى من دمائكم عطش هذا الحسام فأدركه الظلام وانفصلوا الطائفتين للراحة والمنام وأوقدوا النيران وباتوا يتحارسان الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وكان أول من برز الى الميدان وموقف الحرب والطعن والضراب كانت الأميرة المجاهدة والعابدة الزاهدة بنت مظلوم ذات الهمة وكان الأمير عبد الله سأل أبو محمد البطال فى ذاك وقال أشتهى أرى قتال الأميرة وحربها وكيف هى فى موقف الأقران بطعنها وضربها فأعلمها بذلك فأجابت سؤاله وتولت بنفسها حرب ذاك اليوم وقتاله وبرزت بين الصفين وأشهرت نفسها بين الفريقين وطلبت البراز وسألت الانجاز وقالت يافرسان النصرانية وشجعان ماء المعمودية من عرفنى فقد اكتفى شرى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى فى هذا اليوم المعلوم أنا ذات الهمة بنت مظلوم ثم حملت على الميمنة أقلبتها على الميسرة وقتلت منها عشرة ثم حملت على القلب فقتلت منه اثنان وقالت أين الشجعان أين الفرسان أين الأقران فتزلزلت أقدام المشركين وأسكن الله الرعب فى قلوبهم منها أجمعين ثم أنها وقفت بين الصفين وقد اشتهرت بين الفريقين ونظروا ما فعلت بهم رأى العين فبرز اليها ملك من ملوك عسكر الروم يقال له سارطاس على جواد حسن غالى الثمن وعليه تنور من الحديد محلى بالذهب منظره عجب وفى يده صارم هندى معتقل برمح خطى فى كتفه ترسا من الحديد الصينى فجال فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وكان هذا الفارس من الروم معروف بالفروسية موصوف لانه جبار عنيد وشيطان مريد لايهاب الشجعان ولا يخاف الأقران فارسا لايطاق وعلقما مر المذاق وحمل على الأميرة وحملت عليه فلم تمهله ولا عن سرعة السفر الى جهنم تعوقه بل هاجمته وطعنته فى صدره طلع السنان من ظهره وحملت على الروم وأشارت الى عسكرها بالحملة فحملوا فى الروم وفتكوا وارتجت الارض فى طولها والعرض فيالها من ساعة نصبت الحروب خيامها ونزلوا من ساحتها وسقتهم كؤس حمامها وسوى بين القوم خاصها وعامها وظهر فيها ضرغامها من جبانها وصبروا المسلمين الكرام وفرت الكفرة اللئام وطارت من الأبطال الرؤس وكان يومها على الكفرة عبوس ونفذت رماح الأمراء فى الصدور والظهور وجرى دم المشركين كالبحور

وما زالوا إلى وقت الظهر (قال الراوى) يا سادة يا كرام وإذا بكوسات الملك الشرمولص ضربت فلما سمعوها الروم عن القتال رجعت وانفصلت وكانت هذه عادتهم إذا علوا الكثرة عليهم أو قادما يقدم عليهم ودخلت الملكة زنانير الى قلعتها ونزل الملك الشرمولص إلى خيامه هو وعساكره وأصحابه ونزلوا الأمراء والملك عبد الله إلى خيامهم وقد أيدهم الله بنصره هذا والأمير أبو محمد لما دخلت زنانير إلى قلعتها دخل فى جملة عسكرها فلما جلست على سرير ملكها أنفذت حاجبها وقالت له أنظر من هؤلاء القادمين الذين دقت طبولهم وفى ميداننا نصبت خيامهم فغاب الحاجب ساعة وعاد اليها وهو مصفر اللون مضطرب السكون فقالت له ياويلك ما الخبر قال هذا الملك الشرمولص قدم اليك فى عساكره وجنوده وما نعلم مقصوده فعند ذلك قالت الملكة زنانير علىَّ بالحاجب. دوغورس فلما حضر بين يديها أمرت بخلعة سنية وضمت اليه عشرة من البطارقة وأرسلته الى الملك الشرمولص فى الارسالية وأرسلت صحبته ضيافات وعلوفات وإقامات وقالت له اعتذر الى الملك عنى ولم لا كان بقدومه أعلمنى حتى كنا نتأهب للقاه ونركب لملتقاه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعندها مضى الحاجب الى الملك الشرمولص صاحب القلعة الغراء والدولاب وكان هذا الملك ما قدم على زنانير إلا بواسطة عقبة الكشحان اللعين كما ذكرنا ووصوله اليها باشارته بالقتال لها وبالاتفاق العجيب أنه ما وصل إلا فى اليوم الذى وصلوا فيه الأمراء واطمأنوا ونزلوا وعلى القتال عولوا وأراد الملك الشرمولص أن يهجم على عساكر المسلمين وجيوش الموحدين وإذا بالحاجب دوغورس قد دخل عليه وقبل الأرض بين يديه وقال الملكة زنانير تقبل الأرض بين يديك وتقول لك على خير مقدم ظفرك المسيح بأعداك وفتح على يداك وقد وصلت فى وقت الحاجة اليك وما خاب من بك استعان وهذا الشيطان المرتد شعشعونا قد أسلم هو وأصحابه وقصد حربنا والظفر بنا وأن يملك ديارنا وقد ورد علينا مركباً فيه قوم تجار فغفلنا عنهم وفاتنا الحزم بعد السؤال عنهم فكانوا أبطال المسلمين وجيوش الموحدين وفيه قوم سود وأنهم لايرهبون الموت ولا يخشون للفوت، وقد انضافوا إلى شعشعونا ولقينا منهم أمس واليوم قتالا شديداً وحرباً عنيداً يشيب لهوله الطفل الوليد وقد أعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فعظم ذلك على الملكة زنانير (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا وعقبة اللعين جالس جانب الملك يسمع وقد خالطه الجزع والهم والفزع لما سمع بذكر سادات بنى كلاب والسودان الانجاب وقال كيف دخل هذا الأسود الزنيم إلى هذه الديار وسلم مما كان قدامه من أبطال

الصليب والزنار وكيف قطع السبع بحار ولقد دبرت أمراً يكون فيه هلاكهم فكان سبباً لنجاتهم ووصولهم وأما الملك الشرموالص فانه لما أدى الحاجب رسالته وانتهى من مقالته انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال ياويلك يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية لمثلى يأتى اليه فى الإرسالية ومن تكون زنانير حتى نأتى إلى خدمتها أو أقاتل عنها ومن يكونوا المسلمين حتى تذكرهم عندى وتخوفنى منهم ومن سطوتهم ثم صاح ببطريق كان يقال له الفتيق وهو سياف نقمته ومعد لضرب الرقاب عند غضبه فأجابه بالتلبية بعد أن جرد حسامه ووقف قدامه فقال دونك وهذا الكلب أعطيه جوابه عن خطابه وكلامه واطرح رأسه قدامه فعند ذلك ضرب رقبته وقتل تلك العشرة رفقته فلما نظر عقبة إلى ذلك طار عقله وحار لبه واصفر لونه واضطرب كونه (قال الراوى) ياسادة يا كرام وقال فى نفسه المسيح يكفينى شره ويأمنى مكره هذا جبار لايعرف رسايل ولا يراعى أحداً من دين النصرانية ورجعوا غلمان المقتولين بعد ماهزموهم ولوا هاربين وتمثلوا بين يدى الملكة زنانير وأخبروها بما جرى على رسلها وكيف ضربت رقابهم من غير ذنب جنوه ولا أمر أحدثوه وأن عقبة الملعون عنده فى أعلا منزلة ورتبة (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أن الملكة زنانير لما سمعت ذلك صلبت وجهها ولطمت على صدرها ولم تملك الاصطبار دون أن أشارت إلى عساكرها وأهل مملكتها وأمرتهم بالخروج من البلد فلما خرجوا أمرتهم بالحملة على عساكر الشرمواص فحملوا عن بكرة أبيهم وقالت أوقعوا السيف فيهم واغتنموا أموالهم وخيامهم وكل من أخذ شيئاً فهو له لايعارضه أحد وهو له ولا معارض فيه فيالها من ساعة انفطرت فيها مرارة إبليس والشيخ الرجيس والكلب الخسيس وعملت السيوف فى الرقاب وهلكت الدروع بالنشاب وحل بالقوم العذاب وفقدت الأحباب وخرج الشرمولص على جواده الموصوف وحمل على المواكب والصفوف ولم يبالى بكثرة الأعوان لأنه شيطان فى صورة إنسان وقد حنق من الملكة زنانير وكيف تجاسرت على هذه الفعال وعند حملته اشتدت قلوب الروم وكان عليهم يوم مذموم ولم يزالوا كذلك إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد قتل من الطائفتين أكثر من عشرة آلاف فارس من الكفار وجرى الدم مثل البحار وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار إلا أنهم لاقوا من الملك الشرمولص مالم يلاقوه من أحد أبداً وطعنوهم بالمزاريق والحراب وأنزلوا بهم الذل والوبال والعذاب وان الملكة زنانير رجعت إلى قلعتها وهى تهدر كأنها اللبوة إذا فقدت أشبالها وهى تتأسف كيف أتى الظلام ولم تبلغ من أعدائها المرام ثم قالت وحق المسيح لابد ما آخذه أسير فى غد وأحمل عليه ولاأرجع

إلا به ذليل حقير (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب سيد بنى كلاب فانه تحير فى ذلك اليوم وقال ليت شعرى ما السبب الموجب لهذا حتى وقع الخلف بينهم ثم باتوا ليلتهم منتظرين إلى الصباح (وأما الملك الشرموا فاصنه زحف حتى صار فى أول الميدان وملك شاطىء البحر (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير أبو محمد البطال فانه كان قد دخل إلى القلعة مع أولاد الحاجب دوغورس كما ذكرنا وللاتفاق العجيب قتل الحاجب فلما أخبر الأمير وأبو محمد بقتله كاد فؤاده أن يطير من الفرح وقال هذا من تمام السعادة ولو طبخناها بلبا ماجاءت هكذا ثم أقبل أبو محمد على البطارقة وقال لهم لقدكان يبغضنى ويبعدنى ولا يقربنى وما فعل به المسيح هذه الفعال إلا بذنبى فقالوا له وحق المسيح لقد صدقت وسوف تعرف الملكة بخبرك وندعها تخلع عليك وتقربك فقال أبو محمد لا بحق المسيح دعونى على حالى أكون أعبد المسيح ولا تكدرون علىّ حالى بنقل خبرى اليها لأنها مشغولة القلب عنها بتلاوة الإنجيل قالوا له صدقت فما نخالفك فيما به أمرت ثم أفردوا له داراً حسنة كان يأوى اليها فى الليل والنهار ويطوف المواضع ولم يزل يبحث عن الأمور وفى أى مكان تخبى المفاتيح وعند من تكون ولم يحس البطريق الذى عنده المفاتيح إلا وأبو محمد قد هجم عليه فى الليل وقعد على صدره وذبحه من الأذن إلى الأذن ثم ان أبو محمد نظر إلى صندوق كبير ولم يزل يعالجه حتى فتحه فرأى فيه مالا عظيما فى أكياس مربوطه مختومة والمفاتيح من فوق ذلك ثم أخذها وخرج ولم يزل حتى وصل إلى الباب البحرى وكانت الملكة لما علمت بقتل البوابين وخروج المركب الذى جاؤا فيه المسلمين أقامت بوابين غيرهم وجعلت عليهم بطريق مقدم وأمرته أن يتسلم المفاتيح كل ليلة عنده ولما خرج أبو محمد وقتل البطريق وأخذ المفاتيح من عنده فوجد البوابين يشربون وقد مضى من الليل ربعه فكلمهم أبو محمد بالرومى كأنه حاجب الملكة زنانير الخاص وقال لهم ياويلكم كم تنهاكم الملكة زنانير عن الشراب ولم تنتهوا فلما سمعوا كلامه قالوا أيها الحاجب الكبير ماغفلنا ولنا أيام ما شربنا إلا فى هذه الليلة ومن يقدر يدخل من هذا الباب وهو مغلوق لاسيما والمفاتيح عند الملكة زنانير ثم بعد ذلك قالوا له أيها الحاجب قد سمعنا أول الليل خلف هذا الباب حس وصريخ وزعقات قوية وما ندرى ما هو هذا إن كان مركب أو غير ذلك وما كان لنا وصول إلى الملكة زنانير حتى نعرفها واشتغلنا بشرب الخمر وتركناهم (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك قال لك الحمد يارب فى النصر

والتأييد وما النصر إلا من عندك ثم سجد شكراً لله تعالى وقال هذا مركب المسلمين قد وصل وقد وافق وصوله فى أخذ المفاتيح وأنا كنت حائر فى أمرى من أجل هذا الحال وهذا توفيق من الله ذو الجلال وأخاف أن أفتح الباب وما يكونوا الأمراء قد وصلوا وقد علم الله صدق نيتى وطويتى ثم أنه أقبل على البوابين وقال طيبوا قلوبكم واشربوا ولا تتكلمون تسمع الملكة زنانير أصواتكم فتضرب رقابكم فقالوا سمعا وطاعة أيها الحاجب فلو أقاموا هؤلاء خلف الباب سنة ما فتحنالهم ثم أقبلوا على أبو محمد وقالوا له أيها الأمير أجاس عندنا بحق المسيح حتى نتجمل بك وبحضورك فقال لهم أبو محمد لقد طلبتم منى أمر عظيم ولكن لابد لى من جبر قلوبكم ولا أخيب مسألتكم ثم أنه جلس فى أوساطهم وجعل يحدثهم ويغنى لهم فلما احتوى على قلوبهم وعقولهم ونظر السكر قد أخذهم أخرج قرطاس من البنج الاقريطش الذى لو وضع منـــه فى زق خمر حبة واحدة حل بمن يذوقه البلاء (قال الراوى) يا سادة يا كرام فوضع منه مقدار نصف مثقال فى باطية الشراب وحركه ثم اختلط فى بعضه ثم أنه ملأ قدح فقالوا له ياسيدى أتلو لنا عليه شىء من الإنجيل فقال لهم حبا وكرامة واصرف عنكم الأذى فقالوا المسيح يطول عمرك ويمن ببقـــاك حتى جعل أبو محمد يحرك البنج فى القدح وقبله فى الباطية وهو كأنه يقرأ عليه ثم قال لهم اشربوا كلكم حتى تعودوا سكارى وتعود بركته عليكم ثم جعل يسقى كل واحد منهم قدحا إلى أن سقى الجميع ولم يترك منهم لا رفيع ولا وضيع وكانوا عشرون رجلا فما منهم إلا من حصل البنج فى أمعاؤه وراح سكران إلى الأرض إلى أن صاروا الجميع كأنهم أعجاز نخل فعندهـا وثب أبو محمد البطال أسرع من البرق وذبح الجميع أسرع من نزول الودق وتقدم إلى الأقفال وفتحها ورد السلاسل وجذب الباب بقوة فلم يقدر على فتحه لأن ارتفاع البـاب الخمسين ذراع فخاف من فوات الأمر عليه وأن تبطل حيله وإذا به قد سمع قائلا يقول من خلف الباب ياويلكم افتحوا لنا هذا الباب لأننا قد وصلنا نريد اللحوق بأصحابنا وهذا الباب قد وجدناه مغلوق فقال واحد من حداه معلوم أن أصحابنا ما أمرونا بالقدوم إلالكونهم قادرين على فتح الباب (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد الكلام عرفه ففرح وأيقن بالفرج فنادى ياميمون فقال ميمون من هذا المتكلم فقال أما تعرفنى أنا أبو محمد البطال وقد أزلت السلاسل والأغلال والأثقال فادفعوا البـاب وإن لم تصلوا اليه فمدوا الأخشاب من جانب المركب وامشوا عليها وافتحوا فلما سمعوا كلامه فعلوا ما أمرهم ورفعوا الباب ففتحوه أسرع من البرق ودخل المركب كانه السهم الراشق (قال الراوى)

(يا سادة يا كرام) فيالها من ساعة ما ابركها ولما صاروا عند البطال أطلع اليهم المركب وقال لهم سيروا حتى نعبر على هذا الشط لأنه قد ملكه ملك من ملوك القلاع يقال له الشرمولص وأنا قد صرت أعرف أماكن هذه البحيرة وما نزل على شاطىء اقلعة الجوزاء الذى للملك شعشعونا وفى وقت الصباح نكون عندها إن شاء الله تعالى (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أهل القلعة فانهم لما عرفوا بفتح البـــاب وقتل البوابين الموكلين اغتموا لذلك ولم يعلموا بعبور المركب ثم دخلوا على الملكة زنانير وأخبروها بالحال فلما سمعت ذلك صعب عليهـــا وكبر لديها وقالت ما هذا الا بلاء عظيم وما المسيح إلا قد غضب علينا ويلكم أطلبوا الذى عنده المفاتيح فمضوا اليـــه فوجدوه مذبوح وهو جسد بلا روح فعادوا إلى الملكة وأعلموها بذلك فقالت هذا والله من فعال عيار المسلمين وحق المسيح ما هم إلا قد جاءتهم نجدة وما قدروا يصعدون من شاطئنا من أجل الملك الشرمولص وما هم إلا قد صاروا يريدون قتلة الملك شعشعونا وما هذه إلا رزية عظيمة فترى أى وقت كان لى على أن هذا المسلم عندى ولا شك أنه أرسل اليهم حتى يأتوا الينا ويأخذون قلاعنا وحق المسيح لاغرقنه حتى أستريح منه ثم صاحت فى البطارقة وقالت للبطارقة ويلكم على بالمسلم لؤلؤ فما كانت إلا ساعة حتى أتو به اليها وهو فى أسوأ حال فقالت للبطارقة ارموه فى البحر ولا تشاورونى فيه (قال الراوى) وكانت تلك الليلة قد شربت حتى سكرت وغابت عن رشدها هذا وقد انذهل لؤلؤ من سطوتها ولم يدر ماهو السبب فى ذلك (يا سادة) وأن البطارقة أخذوا لؤلؤ وخرجوا إلى ساحل البحر وهموا أن يلقوه وإذا قد أدركهم الحكيم اقليدس وقال ياويلكم لاتغرقوه فيحل بكم العذاب فى غد من الملكة زنانير لأنها قد أمرتكم بتغريقه وهى لاتعقل من السكر فاتركوه إلى غد وهو مقيد فان علمت بذلك وسكتت فأنتم قادرون على تغريقه بعد ذلك وإن هى غضبت عليكم فقولوا لها ما غرقناه أيتها الملكة خوفا منكى (قال الراوى) ياسادة فاستصوبوا رأيه وقالوا وحق المسيح لقد صدق وأشار بالصواب ولو كنا غرقناه هلكنا بأجمعنا ثم ياتوا فى أماكنهم إلى وقت السحر فهذا جرى (وأما الملكة زنانير) فانها لما أفاقت من سكرها قالت للبطارقة ويلكم ايش كان من ذلك الصياح البارحة فقالوا لها إن باب البحر فتح ودخلوا المسلمين فى مركب عظيم وطلبوا القلعة التى للملك شعشعونا ولا شك انهم نجدة قد وصلت اليه وانكى قلتى ما كان سبب هؤلاء إلا لؤلؤ المسلم وأمرتينا بتغريقه (قال الراوى) فلما سمعت زنانير بذلك وانهم قد غرقوا لؤلؤ قامت عليها القيامة وانقلبت

عيناها فى أم رأسها ووقعت مغشيا عليها فلما أفاقت مما أصابها على لؤلؤ قالت وحق المسيح مابقى لى حياة بعد فقده ثم همت بقتل نفسها بسكين كانت معها ثم قالت من قبل هلاكى ائتونى بالبطارقة الذين غرقوه حتى أضرب رقابهم لأنهم غرقوا حبيبى لؤلؤ فأحضروا البطارقة فلما مثلوا بين يديها أمرت بضرب رقابهم جميعا فنادوا أيتها الملكة لاتعجلى علينا فنحن ماغرقناه لأننا خفنا منكى فكانت ملامته وسلامتنا باشارة الحكيم اقليدس لأنه قال لنا امهلوا عليه حتى تفيق الملكة من سكرها فلما سمعت ذلك فرحت وقالت ألف هوان بالقلعة وألف كرامة بلؤلؤ ودع الروم تفنى عن آخرهم وإذا دخلوا المسلمين الينا ماهو شىء يصعب علينا ولا تضيق صدورنا منه ولو جاء المسلمين كلهم لاأبالى بهم وأما لؤلؤ فهو الحبيب الأول ثم أمرت باحضاره اليها فأحضروه ثم أوقفوه بين يديها وكان قد رأى الموت بعينه فكلمته فلم يتكلم فقالت يالؤلؤ وحق المسيح لارجعت شربت خمرا أبدا لأجلك ثم انها خلعت عليه وأحسنت اليه فلما رأى ذلك منها شكرها وقبل الأرض بين يديها فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فتحت الملكة باب قلعتها فخرجت بطارقتها فارت الدنيا من البوقات ودق الكؤسات وركض الخيل وزحف أيضا الشرمواص إلى نحو القلعة ثم خرجت الجيوش والعساكر والبطارقة المقاتلة وخرج موكب الملكة زنانير وصاحوا على الشرمواص ورموه بالسهام وهم فى خلق كثير وركب أيضا الأمير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب لينظروا ما يكون من قتالهم ثم أن الملكة خرجت إلى بين الصفين وعليها صدرة زرد كأنها عيون الجرد وعلى رأسها بيضة عادية ململمة مجلية تأخذ بالابصار مكتوب عليها حنا ومريم والانجيل المعظم وعلى صدرها صليب جوهر وقد تلثمت بلثام حتى لم يبان منها إلا حماليق النظر أو تداوير الاحق وبيدها صارم أبتر كأنه ملك الموت إذا اشتهر وبيدها قنطاريتها المعروفة التى لم يحملها إلا رجلين وهى كأنها الأسد الغضبان قد ركبت جواد أدهم له غرة كالدرهم كانه الكوكب لايلحقه تعب من أنجز خيول العرب لو صدم جبل لاضطرب كانه الريح إذا جرى أو البرق إذا سرى ثابت القوايم معود للعظايم صبور على الكفاح يطير مع الرياح بلا جناح فهو كما قال فيه الشاعر هذين البيتين

وأدهم كالريح فى جريه   يسابق الطير إلى وكره
كأنه الريح له وثبـــة   كالأسد الجائع فى كره

(قال الراوى) ثم انها جالت بين الصفين واشتهرت بين الفريقين وقد خرج بين يديها ترجمان رومى رفيع الصوت يترجم عنها فلما ان صار إلى وسط الميدان

نادى ذلك الترجمان يا كلاب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية وهذه الملكة زنانير تطلب البراز وتسأل الانجاز ولا يخرج إليها إلا الملك الشرمولص حتى تستريح عباد الصلبان والمسيح من القتال فما بيننا إلا أن يقتل واحد منا وقد بلغ الآخر المقصود وهو تغضب عليه السيدة مريم بما فعل واجترم (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الملك كلام الترجمان انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال وحق المسيح لقد نطق بالصحيح ثم انه أراد الخروج اليها فمنعته البطارقة من ذلك وخرج اليها منهم بطريق أكفر خلق الله تعالى وكان يقاتل بالحراب فخرج ومعه ثلاث حراب وسار حتى انه وصل إلى وسط الميدان وموقف الضرب والطعان فجالا طويلا واعتركا ميلا ثم أنه هز أحد تلك المزاريق واستجابها يطلب صدرها فلما رأت الملكة زنانير إلى ذلك لم تكترث بها ولا تزحزحت عن سرجها بل أنها صبرت حتى قاربتها الضربة فانقلبت عن الجواد صارت له حزام ثم ردت الضربة خائبة ثم انها عادت إلى سرجها أسرع من البرق الخاطف فتحيرت الروم من ذلك لسرعة انقلابها وجعلوا يعوذوها بالإنجيل وأما الأمير عبد الوهاب فانه شخص ينظر اليها وكذلك الأميرة ذات الهمة وقالت والله يا بنى عمى انها لفريدة زمانها قاهرة أقرانها فالله سبحانه وتعالى يظفرنا بها فما يقدر عليها أحد سواى وولدى الأمير عبد الوهاب فقال لها الأمير وقد أعجبه كلامها والله يا أماه انك أعرف منها ومنا بالحرب (قال الراوى) وهم فى الكلام وإذا بالملكة قد هجمت على البطريق قبل مايصل اليها بالحربة الثانية وطعنته فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فعند ذلك ضجت البطارقة وقالوا المسيح يطول فى عمرك فما أحسن قتالك ثم أن الملك الشرمولص صاح ياويلكم أخرجوا اليها فخرج اليها ثانى قتلته وثالث جندلته ولم تزل كذلك إلى أن قتلت عشرون فارساً وكلما قتلت واحد زاد نشاطها على سفك الدما ثم نادت برفيع من صوتها يا كلب الروم ان زعمت ان لابد لك منى فاخرج الآن لا أم لك حتى يعجل المسيح قتلك ولا أمهلك (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأقبل البترك على الملك الشرمولص وقال له اعلم أيها الملك ان التأخير عن هذه الحرمة الحقيرة معيرة كبيرة وهل هى إلا امرأة وقد وقع لها فى قلوب الناس هيبة وما عليك عار فى مبارزتها لأنها قد عرفت بالشجاعة والقوة والبراعة وأنها فريدة عصرها فقال الملك وحق المسيح إن خروجى اليها عار وهى امرأة ناقصة العقل فقال البترك لاتغفل أيها الملك فما فى ذلك عار (ياسادة) فعند ذلك أمر الملك أن يشد له جواده الأدهم وأن يسرج ويلجم ففعلوا ما أمرهم وصار على ظهره وأخذ فى أهبته ولبس كبر أحمر مرصع بالدر والجوهر

وتقلد بسيف أبتر يفري الحديد ويقطع الجلاميد ويرد كل صنديد وفي يده ثلاث مزاريق الموت في رؤسها ماقصد بها أحد إلا أباده ثم صاح الملعون بصوت كأنه الرعد القاصف فخرج الجواد من تحته كأنه الريح العاصف وأخذ في يده حربة وجعل يدور حول الملكة زنانير وهي تقابله حيثما دار وتقف له حيثما سار (قال الراوي ياسادة) وانه هز المزارق حتى التقت طرفاه وأرسله نحوها فخرج من يده كأنه النجم الثاقب أو السهم الصائب إذا خرج (قال الراوي) هذا والملكة زنانير قد استترت بطارقتها وكانت لاتعمل فيها السيوف المواضي ولا ينفذ فيها سهم ولا مزراق ولا سنان خراق ولا سيف براق فلما وصل إليها المزراق طرفها ونفذها فلما نظرت الروم إلى ذلك صلبت على وجوهها وظنوا أنه قد قضى عليها وتأملوا الملكة زنانير وإذا بها تضحك وقد قلعت الحربة من الطارقة وبقي الحديد فيها فتعجبت زنانير من شدته وقوته وقالت وحق المسيح مايقدر أحد يرمي مثل هذا الشيطان هذا والشرمولص قد حنق عليها وحار من فعلها ثم أخذ الحربة الثانية وأشار اليها بها وهزها حتى التقت طرفاها ورمى بها فغابت عن الأبصار فاحترزت منه الملكة وثبتت لها حتى قاربتها وهي ندوى ثم انها خطفتها من الهوى هذا والأميرة تنظر اليها وتعوذها وتدعو لها بالنصر وتقول اللهم أهدها إلى دين الإسلام ثم انها صاحت بالملك ياويلك هذا قتال الذليل لأن الذليل يقاتل من بعيد فدع عنك ضرب المزاريق وخذ ضربا كأنه الحريق وطعناً وثيق حتى يبان لك الكذب والتصديق (قال الراوي) فلما سمع الشرمولص كلامها أرمى المزراق الثالث من يده وقد خجل وحمل كأنه الغيث إذا هطل وهجم كل واحد منهما على صاحبه وتضاربا ضرباً أحد من الجمر وأمر من الصبر حتى طارت السيوف من أيديهما وكذلك الرماح واعتمدا على اللكام باليدين وهما على الجوادين واعتركا مثل الأسدين وطلع الغبار إلى العينين فتارة يظهران وتارة يغيبان وقد شخصت نحوهما الأحداق وتطاولت اليهما الأعناق (قال الراوي) وان الشرمولص صاح صيحة أرعب منها القلوب ولكمها لكمة لو تمكنت منها أهلكتها فالتقتها بكفها وعطلتها ولكنها آلمتها ثم زعقت عليه ومدت يدها اليه وعلقت به وهزته لتزعزعه من على الجواد فعصر الملعون فخذيه عليه فبقي كأنه مخلوق منه وطلب أن يتخلص من يدها فلم يقدر ولم تزل تعالجه حتى أضجرته وأتعبته ثم انها صاحت بجوادها وقد تمكنت من أطواقه وجذبته قلعته من سرجه وكرت راجعة وقد صار الملك معلق في يدها كأنه الجمل ثم أنها قبضت على حلقه وعصرت عليه ولم تنفس عنه حتى خرجت روحه ثم أنها طوت يدها ولكمته على رأسه طيرت أضراسه ورمته إلى الأرض وهي تهدر كأنها الأسد وأشارت إلى أصحابها فحملوا على عسكره (قال الراوي) فلم تكن

إلا ساعة ولم بق لعسكره جنان يقفوا بعد قتل ملكهم فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وقد تحيرت الروم من فعال زنانير وقالت الأميرة للأمير عبد الوهاب والله يابنى هذا قتال ما رأيت قط مثله ولا تحدث أحد بشكله (قال الراوى) وغنم عسكر الملكة زنانير من عسكر الشرمولص غنيمة عظيمة ونهبوا أموالا غزيرة وقتلوا منهم فى تلك الحملة عشرين ألف وأسروا مثل ذلك ورجعت الملكة إلى قلعتها وهى منصورة على عدوها والحكيم اقليدس يعوذها ويدعو لها والمسلمين ينظرون اليها بعين الإعجاب ولكنها أهملت أمرهم ولولا الظلام ما كان لها بد من أن تحمل عليهم ولكنها قالت فى غد يكون قتالى معهم وأما الأمير عبد الوهاب فانه لما رأى ما صنعت قال ما هذه إلا امرأة عظيمة فهنيئاً لمن تكون له هذه قرينة فقالت الأميرة يابنى دعنا من هذا فان قلبى على الأمير أبو محمد ولنا أيام ما رأيناه وإنى أخاف أن يتم عليه أمر من الأمور (قال الراوى) ثم بات الناس ينتظرون الصباح (وأما زنانير) دخلت إلى قصرها وهى فرحانة مسرورة مؤيدة منصورة ثم أنها قالت لبطارقتها اليوم كانت نوبة الروم وغدا نوبة المسلمين لأنهم قد رأوا اليوم قتالى وفعالى فوحق المسيح لأجعلنهم عبرة لمن أعتبر ثم أنها نظرت إلى لؤلؤ وهو على مقالى النار وقد كاد أن يلتهب من شدة كلامها وهو يقول

نهارى نهار الناس حتى إذا بدا ... لى الليل هدتنى إليك المضاجع
فيارب إنى خائف أن أطيعها ... فتتركنى يوم القيامة ضائع
أجزنى إلهى من زنانير إنها ... لعمرى من عشقى اليها الخاضع

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره أعجبها كلامه وزادت فى إكرامه وجعلت تحادثه وتمازحه وحكت له ما جرى لها مع الملك الشرمولص كيف جاء ليأخذ قلعتها فقال لها لؤلؤ أيتها الملكة أريد أن أقول لك قولا ولا تغضبى منه فان قبلتيه فلا تكافئينى عليه إلا بشريف الأعمال وهو لك سعادة فى الدارين فقالت له أى وحق المسيح فقال لها اعلمى أن الله تعالى أراد أن يفنى عباد المسيح وعبدة الأصنام فجعل الخلق بينهم فى كل يوم يقتل منهم مقتلة عظيمة وقد دخلوا هؤلاء المسلمين إلى بلادكم وما بقى لكم منهم محيص وأنهم سوف يملكون منكم القلاع كما ملكوا السبع حصون التى فى بلاد اليونان والرأى عندى أنك تسلمين وتقيمى فى قلعتك ولا يتغير عليكى شىء من نعمتك ولا يشمت بك عدو وتفوزين بدين الإسلام وتبلغين جميع المرام والسلام (قال الراوى) فلما سمعت زنانير كلام لؤلؤ تغير لونها واضطرب كونها وقالت يالؤلؤ

لقد واجهتنى بشىء عظيم ولولا أنك عندى كريم لتركتك كالرميم وكما أنك يصعب عليك مفارقة دينك كذلك يصعب علينا مفارقة ديننا وكما تقولون انكم على الحق والصواب كذلك نقول أننا على الصواب فلا تضرب فى حديد بارد وفى غد أو ريك ما أفعل بأبطال المسلمين وكيف أتركهم فى القيود والاغلال مصفدين وأصليهم على الدولاب السفلى وأتم بقتلهم سرورى وفعلى فعند ذلك سكت لؤلؤ على مضض منه ولم يجسر يعاودها ثم أقام حتى أتى نصف الليل وقامت زنانير إلى مضجعها وخرج لؤلؤ إلى مرقده وفى قلبه النار من محبتها (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح استعد كل شجاع للكفاح وجردت الصفاح وقومت الرماح وقد ركب الأمير عبد الوهاب والأميرة المجاهدة وجماعة بنى كلاب والسودان الانجاب وقد استعدوا لنصاف وطلبوا الانصاف وكان الأمير ظالم قد طمع فى أخذ الملكة زنانير كل الطمع وقد وقع فى قلبه منها أشد موقع وقد كتم ذلك عن الأمير عبد الوهاب وعن الأميرة ذات الهمة إلا أنه تحدث مع بعض الأمراء بأنه يعشقها فقالوا له أيها الأمير نحن لك وبين يديك ونحامى معك لاعليك فقال لهم اعلموا ياقوم أن الهوى غلب على التقوى وهو جمرة بلا وهو يكون سبب هلاكى لامحالة وقد سمعت أن لؤلؤ عندها عزيز مكرم وهى تريده وأنا أكون قاتله لامحالة ولا بد من هلاكه وأخذها منه غصبا بعد مشقة وتعب واننى قد أيقت بالعطب وأنا بنار عشقها ملتهب ثم أنشأ يقول

وذات كمال قد زهت بكمالها　　لها مقلة كحلا وصدغ معقرب
ووجه كأن الشمس تطلع دائما　　من الحسن والامرار حينا وتهرب

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وأن الملكة زنانير خرجت عند الصباح من قلعتها وقد أبدت زينتها وتظاهرت بحليتها وبين يديها القساقسة والشمامسة والمطران وقد رفعوا الصلبان وانحدروا إلى الميدان وانفردت عن البطارقة واشتهرت بين الصفين ولعبت بالقنطارية ساعة حتى حيرت كل ناظر ثم تقلبت على الجواد مثل اللولب وكل أحد منهم قد تعجب ثم طلبت البراز ونادت يامسلمين مالكم والتطويل أخرجوا إلى واهجموا على فوحق المسيح من ملكنى أسلمت على يده وصرت على دينه ومذهبه وكل من أسرته بالهلاك بشرته (قال الراوى) فلما سمعوا كلامها لم يبق فيهم أحد إلا وقد طمع فيها وفى أخذها واسلامها فأول من خرج اليها كان الأمير ظالم وقد صار لعقله عادم وهو على جواد ثابت قوى الدعائم وفى كفه صارم معود لقطع الجماجم ثم أنه حمل كانه القشعم الحائم وقد طمع أن يكون لها ملازم ولما قرب منها ودنا اليها وظن أنه قد بلغ المنا فعند ذلك عطفت

عليه كالأسد إذا عاين فريسته وقد جهلته ولم تعرفة (قال الراوى) فتلاصقا وتصادما وتباعدا وتقاربا وجالا طويلا واعتركا مليا ولم يطل بينهما الخطاب حتى طعنته بعقب الرمح أردته إلى الإرض ثم انقضت عليـــه وقد دهش فأسرته وللبطارقة سلمته (ياساد) فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ما قد صنعت بالأمير ظالم قلق قلقا عظيما وقال كيف خرج الأمير ظالم إلى هذه الملعونة التى قد أعطاها الله القوة والشجاعة فلم يلبث دون أن خرج اليها أبو الهزاهز وقال أنا الأسود المبارز فلما نظرته حملت عليه وحمل عليها والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان له فن وأى فن ثم تقاربا وتضاربا بالسيوف ضربا أحر من الجمر وأمر من الصبر ثم صاحت به وقد أرميا السيوف من أيديهما واعتمدا على الشباك والصدام والمقابضة والالتزام ثم انها أخرجت رجلها من الركاب ورفسته فى صدره ألقته على ظهره وتعلقت بأطواقه قبل ماينزل الى الارض وهمزت جوادها فطار بها وقد علقته فى يدها فصار كأنه طائر مذبوح أو جسم خال من الروح وأوصلته إلى أصحابها فأوثقوه كتاف ثم رجعت الى الميدان وطلبت الحرب وبراز الشجعان وهى كأنها سرحان وما طال بها المقام حتى خرج اليها ميمون الجماس فما طال بينهما الحرب حتى اختطفته من سرجه أسرع من البرق الخاطف وصعب ذلك على الاميرة ذات الهمة وخرج اليها قراقد فأحلت به الاوابد وخطفته من سرجه بقوة ساعد ثم خرج اليها دمدم ومن قبضتها لم يسلم ووافقه فى الخروج قشعم فخسر ولم يغنم فخرج اليها أبو الموات فأخفت منه الصوت فعند ذلك قصرت عنها الفرسان وتقاعدت الرجال وقد رأوا منها الأهوال فسبحان من أعطاها الشجاعة والجمال فهابوها ولم يخرج إليها أحد لأنها نار تقد فهم الأمير عبد الوهاب أن يخرج إليها فتعلقت به الأميرة ذات الهمة وقالت بالله عليك ياولدى لاتفعل ودعنى أخرج إليها فأقسم الأمير عبد الوهاب لابد له من الخروج إليها ويعطى الله النصر لمن يشاء ثم أن الأمير ترجل وافتقد حزام جواده وشدد واستوى على ظهره وصرخ فيه فخرج من تحته كالبرق وأن الملكة لما نظرت إلى عبد الوهاب والشجاعة لايحة عليه علمت أنه فارس شديد فاحترزت منه ثم حملا بعضهما على بعض وتضارا بالحسام وصبرا صبر الكرام هذا والأميرة خائفة على ولدها وقد تقسطل الغبار وغابا عن الأبصار فقفزت الأميرة بجوادها حتى صارت قريبا منهما اشفاقا على ولدها وكذلك البطارقة قد تقدم منهم جماعة خوفا على الملكة ولم يزالوا فى القتال حتى لم يبق فى أيديهما من السيوف غير المقابض واعتمدا على الصراع من فوق الجوادين حتى كثر منهما القلق ومضى النهار وأقبل الغسق إلا أن كل واحـــد من خصمه قد افترق

واجتمعت البطارقة حول الملكة زنانير وهى كأنها سكرانة اشدة ما لاقت من عبدالوهاب.
وكيف لم تقدر على أسره ثم أقسمت بالمسيح أنها لاندخل القلعة فى تلك الليلة فضربوا
لها خيام فى وسط الميدان وأوقدوا من حولها النيران وتحارس العسكران وأحضرت
لؤلؤ وأخبرته بما جرى فى حق ظالم وأصحابه فتغير لؤلؤ فقال ظالم انها لطلعة القمر
فقال له أبو الهزاهز ماأقل عقلك حتى تخاص من غلك وقيدك فلما سمع ظالم كلام أبو
الهزاهز حنق عليه ولكنه كاد أن يخلع رقبته فصرخ أبو الهزاهز وقال هذا جزائى منك
ياأمير فوالله انك ظالم كاسمك وأنا قادر أكافئك بمثلها ولكن أحترمك لأجل الأمير
عبد الوهاب ولو فعلت بى أكثر من هذا (قال الراوى) ونظرت زنانير إلى مشاجرتهما
فقالت ويلكم ما أقل عقولكم أنتم فى الأسر والقيد والذل وأنتم تتخاصموا ثم أمرت
البطارقة أو يفرقوا بينها وقالت للؤلؤ من هذا الذى تعدى على هذا الأسود ولكنه فقال
اؤلؤ هذاالأمير ظالم ولدالأمير عبد الوهاب وهو الذى خرج اليكى فى الأول فقالت وحق
المسيح إن أباه أشجع منه وهذا بالضد فلما سمع ظالم كلامها حنق عليها وعلى اؤلؤ وقال
والله العظيم إن ظفرت بكما لأجعلنكما عبرة لمن اعتبر فقال لؤلؤ ياأمير أين كانت هذه
الشجاعة من ساعة وأنت تقاتل الملكة فى ساحة الميدان فقال سوف ترى إن أمكننى
الله منك ماأفعل فلما سمع اؤلؤ ذلك من كلام ظالم قال فى نفسه ماهذا الكلام إلا لأمر
عظيم قد فعلته معك ثم أقبل اؤلؤ على أبو الهزاهز وقال له حدثنى بحديث ظالم وماسبب
حنقه على وعليك فقال أنه قد هوى الملكة زنانير فلمته أنا وقلت أيها الامير ألم ترى
إلى مانحن فيه من الاسر والاغلال والقيود فلما سمع منى ذلك غضب ولطمنى هذه اللطمة
فقال ياأبو الهزاهز طب نفسا وقر عينا فبطول ماأنا عند الملكة لاأصاب أحد منكم
سوء ولا قطعت عنكم الطعام والشراب وأما ظالم فسوف أنزل به مالا يطيق ثم أن
اؤلؤ أقبل على الملكة زنانير وعرفها بالقصة وما حدثه أبو الهزاهز فقالت وحق المسيح
لقد صغرت فى أعين المسلمين إلى هذه الحد وقد رأوا صنعى مع أبطالهم ثم أنها صاحت
بالبطارقة وقالت دونكم وهذا الامير ظالم قطعوه بسيوفكم فصاح عليهم اؤلؤ وقد هموا
بقتله وقال ويلكم لاتفعلوا تندموا فان هذا ولد أمير المسلمين ثم أقبل على الملكة زنانير
وقال يامولاتى بحق دينك لاتفعلى تندمى ودعيه حتى تنظرى ما يكون منك من المسلمين
فان كانت الدائرة عليكى فاتى تفدى نفسك بهم وإن كانت لكى فهاهم بين يديك ثم أن
اؤلؤ انطرح على أقدامها يقبلها والحب شفيع وإلا ما كانت أبقت عليه ثم أمرت برفعه
إلى القلعة وأن يزيدوه قيد آخر ويجلسوه وحده ويحتفظوا به (قال الراوى) وأن

لؤلؤ خاف على نفسه من الأمير عبد الوهاب وقال والله إن ظفر بى ما أبقى على ووالله لأعملن عملا لايقدر أحد على الملكة زنانير ولا تركت بشرا يصل إليها ولا بد للبطال أن يدخل إلى وأحلفه أن لايتعرض للقلعة ولا للملكة زنانير وأعرفه ماجرى بينى وبين ظالم وما حدثنى به أبو الهزاهز وأقام لؤلؤ على مقالى النار مما جرى (قال الراوى) وأما الملكة زنانير فانها لما أصبح الصباح غاصت فى لامة حربها وتقدمت إلى موضع طعنها وضربها وكذلك الامير عبد الوهاب وكان البطال قد وصل اليه ذلك الوقت بجماعة الامراء والمسلمين من بنى كلاب والسودان الانجاب وهم الالف الذين عبروا فى المركب ففرح بهم الامير عبد الوهاب وهنوهم بالسلامة وسألهم عن ولده ضيغم فقالوا أيها الامير هو فى الدير وعنده سبك وهم فى عافية وأخبروا الملك باكرام عبد الله لهم ووصفوا له حسن القلعة والمنارة فاشتاق عبد الوهاب إليها وإلى نظرها ثم قال حتى نظفر بهذه الشيطانة وأخبرهم بما جرى للملكة زنانير وما فيها من الشجاعة وذكر لهم ماجرى عليهم منها وكيف أسرت ظالم وأبو الهزاهز وجماعة من السودان فقالوا والله ليس على وجه الارض مثل هذه الجارية فالله تعالى يظفرك بها أيها الامير (قال الراوى) ثم أن عبد الوهاب خرج إلى لقاء الجارية وحمل عليها وحملت عليه وقدمت السنان إليه وقد زاد نشاطها وكذلك الأمير عبد الوهاب بذل المجهود فى طاعة الرب المعبود وظهر من الفارسين العجائب فى ذلك اليوم المشهود فبينما الأمير فى قوة جريانه وقد افتخر على أقرانه إذ عثر به الجواد لما يريده الله رب العباد فوقع إلى الأرض فانقضت عليه الملكة زنانير أسرع من البرق وقد تزاعقت الروم بأسر أمير المسلمين والاميرة تنادى والله لم تصل إلى ولدى عبد الوهاب بقوتها ولا أخذته بشجاعتها وإنما لا مفر من قضاء الله ثم أن الاميرة حملت على الملكة طمعا فى خلاص الامير بعد أن سلمت زنانير عبد الوهاب لبطارقتها وطلبت الاميرة وحملت عليها منها ما حير الافكار فقالوا المسلمين أنتم تعرفون أن هذه الاميرة هى قوام العسكر وأن هلكت والعياذ بالله هلكنا وما لنا الا نحمل عليها ونحول بينها وبين الاميرة (قال) فهم فى الكلام وإذا بالاميرة قد لاصقتها ومدت يدها قبضت على أطواقها ونادت الله أكبر فجعلت زنانير تتلوى فى يد الاميرة أسيرة وأشارت الاميرة إلى المسلمين بالحمله فحملوا عن بكرة أبيهم وقد فرحوا بسلامة الاميرة وأسر زنانير وقالوا لم وقعنا فى كربة خطيرة وما يفرجها عنا إلا الاميرة أطال الله عمرها وحفظ ولدها ثم حمل المسلمون على الروم فيالها من ساعة ما كان أعظمها نصرت فيها الابرار وانهزمت الكفار إلى باب القلعة فغلقت دونهم خوفا من المسلمين وبقى العسكر كله لخارج الباب

وأسندوا ظهورهم إلى القلعة وقاتلوا عن أنفسهم باقى نهارهم حتى أقبل الليل ورجعت أبطال الاسلام وقد خلصوا عبد الوهاب وهنوه بالسلامة فقال لهم أنتم تعلمون انى ماقصرت ولكن أدركنى المقدور وقد عثر بى الجواد فى مثل ذلك والحمد لله الذى شد ظهرى بهذه الاميرة هذا وقد أوثقوا الملكة زنانير كتاف وأمرت الأميرة ذات الهمة باحضارها بين يديها فأحضرت وهى فى أكمل زينة من الملبوس وهى تتجلا كانها طاووس وقالت ويلك أتظنين أنك فريدة دهرك ووحيدة عصرك فلولا أن جواد الأمير عثر به فى مقام الضراب لكان سقاك من الموت أمر شراب فاسلى تسلى فلم تجبها زنانير بجواب ولا ردت عليها خطاب وهى فى بكاء وانتحاب فعند ذلك أمرت الأميرة ذات الهمة بحمل زنانير الى خيمتها التى تنام فيها ووكلت بها من يحفظها وقالت لهم ان قطعت كتافها فما تعذرون عليها فوالله العظيم لقد خفت على روحى منها وحملت الملكة زنانير إلى ذلك المكان وتوكل بحفظها عشرة من السودان كما أمرت الأميرة ذات الهمة وقالوا هذه عندنا حتى نخلص أميرنا أبو الهزاهز (قال الراوى) ووصل الخبر إلى لؤلؤ بأسر الملكة زنانير فقامت عليه القيامة وقال ان لم أعمل على خلاص الملكة وإلا فما أنا ولد حلال ويكون لى عندها اليد البيضاء ثم أدعا بالحكيم اقليدس وجماعة من البطارقة وقد صعب على الحكيم أسر الملكة فقال له لؤلؤ لا بأس عليك ياحكيم فبعد ساعة تراها عندك فقال كيف العمل قال لؤلؤ دلونى من رأس القلعة بالحبال وما عليكم منى وكونوا فى انتظارى ولا تضيقوا صدوركم من أجلى فلا بد لى أن أدخل إلى عسكر المسلمين وأتسبب فى خلاصها ثم أنه مما أصابه من فقد الملكة زنانير بكا وانتحب وأنشأ يقول :

دعونى فانى اليوم مشتغل السر * زنانير سؤلى فى القيود وفى الأسر
فوالله إنى لا أزال مشوشا * عليك فيا سؤلى ويامنتهى أمرى
فأنت المنا والسؤل حقا ومنيتى * سأبذل فيك النفس ماعشت فى دهرى
ووالله ما أنساك ما عشت داعيا * إلى أن أوارى بعد ذلك فى قبرى
لقد ملكت منى زنانير مهجتى * وحازت فؤادى فهى مالكة أمرى
وقد أسرتها اليوم فارسة الوغا * وبنت لمظلوم إلها العز والفخر

(قال الراوى) ثم ان لؤلؤ قال للحكيم والبطارقة كونوا فى أماكنكم ثم ودعهم وسار حتى اختلط بعسكر المسلمين ولم يزل حتى نامت العيون ووقعت السودان كأنهم قتلى مما لاقوا من التعب ذلك اليوم وكانت الأميرة نامت لأنها فرحت بخلاص ولدها وظفرها بعدوها ونامت بعدما قرأت وردها وشكرت ربها وهى آمنة مطمئنة وقد صار نصف

الليل فعندها هجم لؤلؤ حتى صار فى وسط الخيمة وتقدم الى جانب سرير الأميرة فوجد الملكة زنانير وهى مكبله بالقيود فتقدم لؤلؤ اليها وقد كشف عن وجهها لئلا تنكره فلما عرفته أشارت اليه أن خلصنى مما أنا فيه فأشار اليها لاتتكلمى ثم دخل تحتها وحملها على كتفيه بقوة ونشاط وخرج من السرادق وخطا رقاب السودان حتى عبرهم وجعل يتخطا المضارب والخيام الى ان أمن على نفسه ووضع الملكة زنانير عن كتفه وحل كتافها وعالج قيدها حتى كسره وساروا جميعاً وزنانير بين يديه كأنها الأسد إذا خرج من الغاب وقد حدثتها نفسها انها تلتق جميع المسلمين وحدها وقالت للؤلؤ اطاب بنا القلعة فما أبركها علينا من ساعة وحق دينى لاطاوعنك على ماتريد ولا أنسى لك هذه الفعله أبدا ثم جعلا يسيران وقد ستر الله عليهما حتى وصلا الى القلعة ولم يحس الحكيم إلا ولؤلؤ قد صاح به فقال نعم فقال لؤلؤ دلى لنا حبل فقد جئتك بالملكة فكاد الحكيم أن يسقط من الفرح ثم دلى الحبل وأول من صعد الملكة زنانير وقد صارت فى حصنها وقالت ارفعوا حبيبى لؤلؤ فرفعوه حتى صار عندهم واجتمعت الملكة بخواصها فتعجبوا وقالوا من أين دخلتى فقالت أخذ المسيح بيدى وأوصلنى إلى حصنى فلما سمعوا ذلك صلبوا على وجوههم وتبركوا بها وقالوا لولا أن لهذه الملكة عند المسيح منزلة عظيمة لما خلصها المسيح من أيدى المسلمين ثم أمرت زنانير بضرب البوقات والناقوس وطيبت قلوب الروم وقالت لهم ابشروا فى غداة غد تصل الملوك اليكم وإلى نصرتكم فقد أتتنى الأخبار بوصولهم الينا ويكفونا مؤنة هؤلاء المسلمين ففرحت الروم بذلك وكان الأمير عبد الوهاب خاص لما أسرته الملكة زنانير وأما المسلمين فانهم لما سمعوا أصوات البوقات ظنوا انهم قد كبسوا فركبوا خيولهم وقام عبد الوهاب من مرقده مذعوراً وقصد إلى سرادق الأميرة ذات الهمة وطلب الملكة زنانير فلم يجدها فسأل الاميرة عنها فقالت كانت إلى جانب سريرى وما أصبح لها خبر فقال الامير لاحول ولا قوة إلا بالله خلصت بعد ما ملكناها وما قدرنا عليها إلا بالجهد فياليت شعرى من الذى خلصها ثم قال علىَّ بالبطال فحضر فحدثته الاميرة بالقصة فلما سمع ذلك تغير لونه وقال والله العظيم ماهذه الفعلة إلا من لؤلؤ وما دبرها أحدا سواه (قال الراوى) ولما كان الصباح ركبت العساكر الى القتال واصطفت للنزال فبينما الاميرة قد عولت على الحملة وإذا بغبار قد علا وعجاج قد نما وبان من تحته عساكر ملوك النصرانية وقد أتوا الى نصرة الملكة زنانير فلما وصلوا بعثوا رسلهم يعلموها بقدومهم فلما وصلت رسلهم وسمعت الملكة ذلك فرحت وخلعت على الرسل وطيبت قلوبهم وأرسلت الخلع الى الملوك وأوعدتهم بالجميل وقالت لهم انى أكون لكم

كما تكونون وتحبون فمضت الرسل وأوصلوا رسالتها إلى الملوك وفرحوا بذلك وكانوا عشر ملوك من عشر أقاليم وكل واحد منهم يقول إن فيه كفاية للمسلمين ثم قالوا نحن غلمان الملكة وخدامها فدعوها تلزم قلعتها ونحن نلق أمير المسلمين وعسكره فلما وصلت الرسالة اليها شكرتهم على فعلهم وقالت وحق المسيح لابد لى ما أخرج وأشاهد القتال وإذا كنت ما أنا حاضرة ربما يكون ذلك سببا لهزيمتهم فانى وحق المسيح خائفة من هؤلاء المسلمين ولا سيما تلك اللبوة الشمطاء والحية الرقطاء ذات الهمة فلا بد لى إن ظفرت بها أن أعذبها فى مقابلة فعلها بى ويحكون هذا بحضرة الملوك (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما البطال فانه أرسل إلى غلامه لؤلؤ من غير أن يعلم أحد يقول يا لؤلؤ أنت خلصت الملكة زنانير وأنت تعلم انها قد أسرت أبطال المسلمين وهذه عساكر الروم قد وردت فى هذا اليوم فكما عملت فى خلاصها أعمل فى خلاص المسلمين حتى يكون قد فعلت ما يرضى الله ولما وصلت الرسالة إلى لؤلؤ قال والله لقد صدق مولاى ثم أنه صبر حتى وجد من الملكة غفله وأتى الى موضع المسلمين وأطلقهم وأتاهم بحبل وعلقه فى شراريف الحصن وأنزلهم فشكروه على ذلك وأما ظالم فانه لما صار على وجه الأرض نال من لؤلؤ بالكلام وقال والله إن ظفرت بك لا قتلنك أشر قتلة فلا تطمع فى زنانير فقال لؤلؤ أما أنا فقد عملت على خلاصك وشفعت فيك ولولا أنا كانت الملكة زنانير قد ضربت عنقك ولأجل الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمة ومولاى البطال فعلت هذه الفعال (قال الراوى) وسارت الأمراء فى ظلام الليل حتى دخلوا عسكر المسلمين ووصلوا إلى خيمة الأميره ذات الهمه وأخبروها بما فعل لؤلؤ من خلاصهم وانه هو الذى خلص الملكة زنانير وسرقها من تحت السرير فلما سمعت الاميرة ذلك شكرت لؤلؤ على خلاصه للأمراء فلما أصبح الصباح ركبت الملكة زنانير فى تجمل عظيم وأظهرت زينتها وبين يديها خمسة آلاف بطريق وألف شماس وقس ومطرن وكان الحكيم افليدس عن شمالها ولؤلؤ عن يمينها فى زى الروم خوفا من الروم أن يعرفوه فهى كذلك إذ وصل اليها خبر هروب الاسارى فعظم ذلك عليها وضربت رقاب الذين كانوا موكلين بهم وقد خرج الملوك لاستقبالها وعلى رأس كل ملك علم وعليه اسمه مكتوب (قال الراى) واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وأيقنت الارواح بالحتوف وركب عبد الوهاب وفرسان بنى كلاب وذات الهمة ومعها السودان الانجاب ومالك ابن بشر الاقطع وأبو الهزاهز وقراقد وحملت الرجال على الرجال والابطال على الابطال فيالها من ساعة حقت فيها الحقائق ولمعت البوارق ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل الى

أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه وقد سكر الفرسان من غير خمار لكن من ضرب البتار وطعن الاسمر الخطار (قال الراوى) ورجع الامير عبد الواهاب وهو كأنه شقيقة أرجوان وكان قد فعل فى ذلك اليوم فعال الجبابرة لانه أنزل على الروم النقم وبدل وجودهم عدم وكانت الروم فى الف الف وأربعمائة ألف والمسلمون اثنى وعشرون الف وكان النصر للمسلمين وقد هلك من الروم عشرين ألف واستشهد من أصحاب الملك عبد الله ألف (قال الراوى) ولما نظرت الملكة زنانير إلى صبر المسلمين صلبت على وجهها وقالت وحق المسيح ماكان هؤلاء المسلمين من الإنس وماهم الا من الجن والا ماكانوا يثبتوا لهذا العسكر العظيم ثم أقبلت الملكة زنانير على لؤلؤ وقالت يا لؤلؤ بحق المسيح كل المسلمين هكذا فرسان شجعان فقال لؤلؤ أى والله أيتها الملكة هذه صفة كبيرهم وصغيرهم فلما سمعت ذلك من لؤلؤ عظم عليها وكبر لديها وقالت وحق المسيح انهم فوق ماتذكر فقال لؤلؤ ياملكة لو لم يكونوا هكذا لماكان يثبتوا على قتلهم فى مقابلة هذا الجيش العظيم (قال) وبينما الملكة مع لؤلؤ فى ذلك وإذا ببعض الحجاب قد دخل عليها وقال أيتها الملكة أبشرى فقد وصل اليكى هدية المسيح فلما سمع لؤلؤ بذكر عقبة اصفر لونه وانه كان صاحب نعمة فأيقن بزوالها ثم أن لؤلؤ أنشد يقول

بينما نحن فى وصال وخير ⋄ وسرر ونعمة واقتدار
واصطباح فى راحة واغتباق ⋄ مع فتاة تزرى شموس النهار
لارقيب أخافه فأفاجيه ⋄ وأبدى من خونه بانكسار
قد أتى عقبة اللعين الينا ⋄ يتهادى فى حلة الافتخار
بعد ما كان فى القيود ذليلا ⋄ ومقيرا فى قبضة الابرار
من ترى خلص اللعين ونجا ⋄ من الضرب بعدذاك الحصار
نغص الله عيشه فلقد ⋄ نغص صفو عيشنا بالكدار

(قال الراوى) فلما سمعت زنانير شعر لؤلؤ ضحكت وقالت يا لؤلؤ مالى أراك قد تغيرت فقال لؤلؤ أيتها الملكة اسمعى ما أقول لكى فان هذا الشيخ ما هو هدية المسيح ولا هو من القسوس ولا هو من الرهبان ولا من اليهود ولا هو من المجوس ولا له دين بل هو خبيث الإعتقاد سفاك للدماء كثير الفساد يرغب فى محاق العباد وخراب البلاد وأنا عارف مخازيه فما ظننت أيها الملكة إلا أنه هلك فى هذه النوبة مع اختباط العساكر وقد ظفر به البطال وأراه قد خلص منه وما أدرى أى حيلة بها خاص وها هو قد قصد اليك وما أخوفنى أن يوقعنا فى شباك الهلكة وما شيب رأس البطال إلا هذا

الكلب المحتال وأصعب ما عليك فعالك به لأنكى قد أظهرتى له الجفا بعد الصفا وأبغض ما اليه اليوم أنا وإن انتى أكرمتيه ولأجل دينك اخترتيه أرماكى فى المحذور وتخسرى فى جميع الأمور ثم أنشأ لؤلؤ وجعل يقول هذه الأبيات

بحق الهوى بزمان الرضى بوقت السرور بيوم الفرح
أزيلى المنغص من بيننا فقد نالنى منه كل الترح
أنا عبدكم صرت فى حبكم خيالى إذا ما تلا كالشبح
فلؤلؤ قد صار فى حبكم كئيبا وزاد به فافتضح
بحق العتاب أزيلوا العنا بحكم المدام بشرب القدح
خذوا كل كلب لكم بالعصا ولا ترحموه إذا ما نبح
لخلقته مثل وجه القرود ولهجته مثل كلب نبح

(قال الراوى) فلما سمعت زنانير شعر لؤلؤ بكت من بعد ضحكها وقالت يالؤلؤ ما تم ندامه بل أنت عندنا من أهل الكرامة ولكن يالؤلؤ قم إلى تلك الخزانة وادخل حتى نرى لاى شىء ورد ومن أين أقبل وعلى ماذا عول وإذا صار بين يدى أمرت البطارقة بالقبض عليه وآخذه أسير وربما ضربت رقبته وأريحك منه فتبسم لؤلؤ بعد البكاء وأنشد يقول

ولا تحسبوا دمعى لوجد وجدته فقد تدمع العينان من شدة الضحك

(قال الراوى) وان الملكة زنانير أمرت البطارقة أن يدخلوا بهدية المسيح اليها فأحضروه وهو يتلو الإنجيل ولما دخل ورأى الملكة زنانير فى دست مملكتها وبين يديها بطارقتها أشار عقبة إلى الأرض لأنما وقام وهو يتلوا الإنجيل وقد صبت القلوب إلى طيب صوته وغابت الملكة زنانير عن رشدها لحسن نغمته وأخذت فى البكاء والإنتحاب وسكنت تنظر ما أتى به من الخطاب فقال عقبة أيتهـا الملكة أنا ما أتيت الا على سبيل الوداع وأنا عائد إلى القسطنطينية فقد عظمت الكربة وقد اشتغلتى عن الشيخ عقبة بهذه النوبة الصعبة ولى مع أبيك حق الصحبـة واعلمى أيتها الملكة أننى رأيت السيد المسيح فى النوم وهو عليك غضبان لأجل هذا المملوك المسلم الذى قد أشغلك عن دينك ودنياك وأعلمى أيتها الملكة أننى أقسم وحق الإنجيل وما فيـه من التحريم والتحليل إن دام هذا المملوك المسلم عندك لاتصلح لك حال ولا يزال المسيح عليك غضبان فان قبلتى ما أشير به عليكى ما يصل غضب المسيح إليكى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعت الملكة زنانير كلام عقبة عظم عليها وكبر لديها وقالت أيها

الشيخ الصالح ما الذى تشير به على حتى أمتثله قال عقبة الرأى عندى أن تغرقيه فى البحر وقد أمنتى غوائل الدهر ويرضى عنك المسيح بهذا الفعل المليح (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك أمرت زنانير من وقتها أن يأخذوا لؤلؤ ولا يعارضوها أمره ثم قالت يا أبونا قد استرحت من معيرته وعتب الملوك فقال عقبة هذا هو الصواب (قال الراوى) وأن الغلمان أخــذوا لؤلؤ وهموا أن يلقوه فى البحر وكان من الأمر المقدر أن بعض الحجاب لما رأى عقبة وقد فعل ما فعل وأشار بتغريق لؤلؤ مضى إلى الحكيم أقليدس وعرفه بما جرى من عقبة فقام الحكيم بسرعة إلى ان لحق بالغلمان وقال ويلكم ان عقبة قد خدع الملكة وأنا أشير عليكم أن تبقوا عليه فقد رأيتم ما جرى لها فى النوبة الأولى ثم أمرت بتغريقه ومشورتى عليكم هى التى نجتكم من ضرب الرقاب فاتركوه عندى إلى غد حتى أوصل خبره إلى الملكة وأوبخها على فعلها به هذه الفعال وأكشف لها من حيل هذا الشيخ الضلال فقالوا أيها الحكيم لم لا تدخل إليها الليلة وتحدثها بهذه العادة بين يديها وتكون عونا لهذا الغلام فوحق المسيح مافينا إلا من رحمه قال الحكيم ياأولادى أما تعلموا أن القصر الذى للملكة اذا دخل مائة لايفتح حتى يصبح الصباح ومالى حاجة الى انزعاج الملكة فى هذا الليل وقد انقضا أكثره وبقى أيسره (قال) فباتوا البطارقة عند الحكيم أقليدس وأما عقبة فانه بات يشاهد الملكة زنانير ويخبرها بغرائب الأخبار ويحدثها عن الأمير عبد الوهاب ويذكر لها فعائل البطال ويعوذها منه بالقس والرهبان الى أن أصبح الصباح فقالت زنانير لعقبة يا أبونا القصر مسلم اليك ولا لأحد فيه قول عليك ومهما أشرت أيها الشيخ النجيح فهو الصحيح فقال عقبة أريدك فى هذه الساعة ان توصى البوابين الذين على الأبواب ان لايتعرضون لى ان دخلت أو خرجت من أى باب أردت فقالت زنانير سمعا وطاعة ثم أوصت البوابين أن لايتعرضوا على عقبة فيما يصنع فى القلعة وان أمره فى القلعة كأمرها وعرفتهم انه قوام دين النصرانية فلما استقر ذلك عند البوابين قال عقبة الآن بلغت المقصود من هذه النحسة وحق المسيح لأسلمن القلعة الى غيرها ولأعدمنها نفسها ولأسلطن عليها من لايرحمها (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكانت زنانير لما انتبهت من نومها وجدت عقبة واقف يصلى بلا وضوء وهو فى خشوع وخضوع وهو يتلوا الإنجيل فلما نظرت إلى ذلك من فعل عقبة قالت وحق المسيح ودينى هذا هو هدية عيسى بلا كذب وما كان يشوش على الا ذلك المسلم (قال الراوى) ثم ان زنانير أمرت بفتح باب القلعة وخرجت وبين يديها البطارقة والقسوس والرهبان والبترك والمطران وعلى رأسها بيضة عادية وهى

متقلد بصفيحة هندية وتحتها حجرة عربية وقد ترجلت الملوك عند وصولها فأمرتهم بالركوب ما الحملة على المسلمين وحملت فى أوائلهم وكذلك الأمير عبد الوهاب حمل فى أبطال بنى كلاب والسودان الأنجاب وعمل السيف القرضاب وطلع على الفريقين الضباب ولم يزالوا كذلك الى وقت الغياب فرجعوا وقد نصر الله الموحدين وكانت الأميرة ذات الهمة قد بذلت المجهود فى ذلك اليوم إلا أنها ما رجعت إلا وهى تشكو الالم من جور الحمى وكذلك عبد الوهاب قد بذل المجهود هو وبنى كلاب والسودان الأنجاب (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما نزلوا فى الخيام وقر بهم القرار واجتمعت للمشورة الأبطال فالتفت الأمير عبدالوهاب الى أبو محمد البطال وقال له ياأخى قد طال بنا المطال فى هذه الديار والأطلال وقد خفت على الأميرة ذات الهمة لأنها ماعادت أمس من القتال الا مريضة وهى والله قوام عسكرنا ودوام سعادتنا فالله تعالى يوقيها الاسوا ويكفيها ما تجده من البلوى فقال أبو محمد أما ماذكرت من طول المقام فى هذه الديار فالصبر هو أجمل الأشياء عند نوازل الأقدار وأنت أيها الأمير أولى بالصبر لأنك فى بلد العدو ولا بقى لنا منها خلاص الا بقوائم سيوفنا وبمعونة ربنا وهذه النوبة أعظم النوب وإن خلصنا منها يكون من العجب ولا بد لعقبة مما يدبر علينا حيلة يعملها أو داهية يفعلها الله لايصلح له عمل ولا يتمن له حيل ولا يبلغه منا أمل (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلام البطال قال والله لقد صدقت ولكن قد رأيت من الرأى أننا نرحل فى هذه الليلة الى ورائنا ونعود الى قلعة عبد الله الملك شمشعونا ونسند ظهورنا اليها ونقيم هناك الى أن تأخذ الأميرة الراحة من مرضها وتتعافا إن شاء الله تعالى فقال البطال نعم الرأى الذى رأيت وهو الصواب وأما أنا فانى راحل عنكم أنا وغلمانى ونتسبب فى دخولنا الى القلعة فعسى الله أن يظفرنى بعبورى فان لؤلؤ فيها وهو لنا من أكبر الأعوان ولكن الهوى بلاء فشكره الأمير عبد الوهاب وأمر العسكر بالرحيل على وجه الخفية والاستتار وان لايظهر لهم حس ولا حركة ولا يبلغوا لهم آثار وأقام لهم الامير راشد بن ضمرة فى ثلاثة آلاف فارس على آثارهم وأمره بحفظ من يتخلف من أتباعهم ورحلوا من ليلهم الى أن أصبح الصباح ولم يبق لهم فى تلك الارض آثار ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى قلعة الملك عبد الله شمشعونا ودخل الى الاميرة ذات الهمة فوجدوها قد خف مابها من الالم وكان الملك عبد الله قد فتح خزائنه وأخرج لها من جميع الأدوية وجعل يسقيها ويتلطف بها ويداويها وأقاموا ينتظرون من يتقدم عليهم من الروم (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فانه سار هو وغلمانه

إلى أن دخل الى عسكر الروم حتى يجتمع بلؤلؤ فلما قدم الليل تقدم واختلط مع أصحاب الملكة زنانير ودخل الى القلعة وهو وراءهم وأوى الى دار خراب كانت لبعض الحجاب ولها أيام مغلوقة الباب قال فلما حصل أبو محمد فيها أمن على روحه لانها على غير طريق وأقام فيها يدبر أمره (ياسادة) فهذا ما كان من أبو محمد البطال (وأما ما كان) من لؤلؤ فانه لما حصل فى دار الحكيم أقليدس قال له الحكيم يالؤلؤ اشرح لى قصتك وكيف وصل اليكم عقبة قال يامولاى ان من ساعة استأذن عقبة على الملكة زنانير بالدخول أيقنت باليوم المخذول وحست نفسى بالتلاف وأجهدت على الملكة انها لاتقربه فما سمعت منى وعرفتها انه فاسد الاعتقاد وماله دين وما جاء الا يفسد بينى وبينها وقلت لها هذا يفسد بينى وبينك فحلفت لى انه ما ينالك منه شىء فلما دخل شالتنى فى الخزانة التى لها فى البيت وما أدرى ماكان بعدى وما حسيت بروحى إلا البطارقة وقد أمرتهم بتغريقى (قال الراوى) فلما سمع الحكيم أقليدس هذا الكلام قال للؤلؤ طب نفسا وقر عينا فأنا أخبر الملكة زنانير بخبر هذا الملعون فى بلادنا ومكره فقال له لؤلؤ بالله عليك اسمع حديثنا مع هذا الملعون فى بلادنا بين المسلمين ومكره ولعنته واحتياله وأعماله وما يجرى لنا معه ولا شك أنه عالما مفتونا فى دينه مقيما فى دين الاسلام مفتى فى الأربع مذاهب ويحفظ أربعين ألف خبر من الصحاح عن سيد البشر ويحفظ التوراة والانجيل والزبور والفرقان ويحفظ كل علم وفتوى وحاكم وقد حاز القصائد كلها ويتكلم بسائر اللغات وأن أمه لما حملت به جاءها أبو مرة لعنه الله تعالى وحط يده على بطنها وهى حامل به وقالت قرت عين إبليس بقدومك أودعتك سحرى ومكرى وهمزى وحزت المكر بمخازيه ودواهيه ولعنته وخبثه وكيف يستحل المحارم كلها (ياسادة) فلما سمع الحكيم ذلك قال كيف يسلم من أيديكم وقد وقعتم به ألف مرة وهو على هذه الصفة فلم تقتلوه وتريحوا أنفسكم منه فقال لؤلؤ لأجل الأمير عبد الوهاب لأنه رأى فى المنام النبى صلى الله عليه وسلم يقول له أن هذا عقبة يصلب على باب الذهب بالقسطنطنية بعد ما يهلك عليه خلق كثير من الروم والعرب فلما سمع الأمير ذلك أصبح أعاد المنام على جميع الناس وأوصى كل من وقع به لايقتله حتى يصح المنام عن النبى صلى الله عليه وسلم لأنه قال عليه السلام من رآنى فقد رآنى حقا فان الشيطان لايتمثل بى فلما سمع الحكيم أقليدس ذلك من كلام لؤلؤ عمل فيه كلامه واستحلى لفظ لسانه ومال إلى حديث لؤلؤ ثم قال لؤلؤ وأنت أيها الشيخ المتغفل عن عبادة الرحمن بعبادة الأصنام والصلبان والكافر بالملك العلام ماأحسن هذه الشيبة وما أكثر مالها من الهيبه لو أنها اتبعت الحق وتكلمت بالصدق ولكن والله

يصعب على أن تكون من حطب جهنم وتنصرف عن جنة عالية قطوفها دانية فيها الطائعون لربهم متنعمون أيها الحكيم ماأغفلك عن الرجوع إلى رب كريم إن دعوته يسمع نداك وإن سألته فى أى شىء أعطاك وإن استغفرته غفر لك وحياك الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية لا إله سواه ولا غفار إلا إياه ماله من ثان ولا وزير فى أوامره فسبحان الله الحنان المنان الواحد الرحمن الذى لايشغله شأن عن شأن اذ قال فى محكم القرآن يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان فالويل كل الويل لعبدة الأصنام والصلبان والتابعين للقسوس والرهبان الذين هم وقود النيران فهل المسيح إلا عبد الله وهو مبشر برسول الله ومريم أمه هل هى الاضلع أعوج وهل هى إلا زوجة رسول الله فى الجنة فعد أيها الحكيم إليها من قريب وراقب الله فقد قبلك السميع المجيب وصرت له حبيب وأنت المريض وهو الحكيم الطبيب واجعلنى سببا لهدايتك ورجوعك وتوبتك وهذا ما عندى وها أنت وأنا وحدى فلما فرغ لؤلؤ من كلامه ومن التوحيد للملك العلام غرق الحكيم فى بحار الخوف والانتقام وأيقن فى قلبه الرجوع إلى ذى الجلال والاكرام فصارت دمعته على خده تتدفق وسلكها على وجنتيه قد انطلق وفكره فى الاسلام قد غرب وشرق وقلبه قد خفق لكلام لؤلؤ قد تحقق وخجل من خالقه وأطرق وقال يالؤلؤ وقد رفع يديه نحو السماء ونادى إلهى وسيدى افتح له الباب وبحق نبيك واجعل هذا العبد الخاطىء من جملة الأولياء والأصحاب فقد رجع اليك وفوض جميع أموره كلها اليك (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الحكيم كلام لؤلؤ ودعاه وما أبداه من التضرع إلى الله سبحانه وتعالى غشى عليه ولم يدر ما بين يديه وعينيه هذا كله ولؤلؤ قد نهض إلى صلاته واستقبل القبلة وقرأ فى أول ركعة بفاتحة الكتاب وبعدها قل هو الله أحد والحكيم أقليدس قد أفاق من غشوته وصار يسمع كلام الله من فم لؤلؤ وكان حسن الصوت طيب النغمة فلما فرغ من قراءته قام إلى منامه وكذلك الحكيم اقليدس فأما لؤلؤ فلم يأخذه منام وصار يرتقب النجوم ويتفكر فيما ابتلى به من محبة زنانير ويدعو إلى الله أن يخفف كربته ويقبل عثرته وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

ولائم لامنى فى الحب قلت له ... لما رأيت أياد تعتقد حمقا
انى اتبعت الهوى ويلاك تعذلنى ... فما يفيد لداعى العذل من عشقا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يزل لؤلؤ يرد على نفسه هذه الأبيات ويبكى وإذا الحكيم قد انزعج من مكانه ومنامه وهو يبكى وقد بلت دموعه لحيته فانزعج لذلك لؤلؤ وقال أيها الحكيم ما الذى رأيت وما جرى عليك فقال الحكيم قبل كل

شيء مديدك فأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فلم يتمالك لؤلؤ عقله وقد تلألأ وجهه واتسع صدره ثم أن الحكيم ابتدأ وقالوا له يالؤلؤ قد كنت على مبارك الطلعة والذى أعرفك به انني نمت البارحة وأنا متفكر فى قولك فرأيت شخصا أبيض مليح اللون ظريف الكون والنور من جهته ساطع والضياء من وجهه لامع والى جانبه شاب أشقر أعقر فقال لى ذاك البهى المنظر أنا نبي المسلمين أنا محمد بن عبد الله وهذا الذى الى جانبي هو عيسى بن مريم فقلت لعيسى يا إلهى أنظر إلى وارحمنى فقال ويلك ومن إلهك فقلت له أنت فقال ويلك كفرت بالواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولد فآمن به ترشد فقلت له ياروح الله وكيف آمن به فقال لى أسلم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وها هو الى جانبي وهو سيد الأولين والآخرين فتقدمت الى بين يديه ومددت يدى اليه وأسلمت على يديه صلى الله عليه وسلم وقد أوصانى بك (قال الراوى) ياسادة يا كرام ففرح لؤلؤ لذلك الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من الملكة زنانير فانها لما أمرت بتغريق لؤلؤ وغاب عن عينها وظنت انها تسلوه ولا ترجع تذكره (قال الراو) ياسادة يا كرام فلما أن أفاقت من سكرتها وصحيت من رقدتها طلبت نفسها لؤلؤ وطلبت من يسليهم فلم تجد أحدا فغرقت فى بحار الافتكار ولاح فى وجهها الاصفرار وذاب كبدها وخانها صبرها وجلدها وطال عليها أمدها ولم تشرح سرها الى أحد بل أنها كتمت سرها وسترت أمرها فلما أن جن الليل فى الليلة الثانية من فقد لؤلؤ حجبت الجوار عن خدمتها ولم تترك أحدا يدخل الى حضرتها وخلت بنفسها تعاتبها وتقول يانفس ما هكذا فعل الكرام رجل استجار بنا وعمل الخير فى حقنا وفارق سيدة والتجأ الينا وترك اتكاله علينا ووقعنا فى الاسر فخلصنا فلقد كافأناه على جميله بالقبيح وحق المسيح وما مسح والبيعة والمذبح ما فعل هى هذه الفعال الا هدية عيسى الذى أشار على بهذا فوحق المسيح لاعذبه عذاب لهداهد ولاصفعن قفاه بالمزاود (قال الراوى) ولم يمكنها أن تظهر سرها لأحد من الأنام ولا تذكر لؤلؤ بل أسبلت عبرتها وتشرقت بلوعتها (قال الراوى) ولم تزل فى بكاو نواح الى أن أصبح الصباح ثم أنها خافت من لوم اللوام والتنكيت بين الاكابر من حاشيتها وصحبها فعادت الى ما كانت عليه من ضحكها ولعبها مع جوارها حتى لاينكر عليها فبينما هى على ذلك واذا بصحية قد علت وضجه أقبلت فسألت عن ذاك فقيل لها أيتها الملكه هذا هدية المسيح قد قدم بريد السلام عليكى (قال الراوى) وكان الملعون عقبة لما خرج من عند الملكة افتكر فى نفسه وعلم أن فى قلبها من لؤلؤ

هوى وغرام إلا أنها ماتجسر إأن تبيح بذلك لاجل أهل قلعتها وكان عقبة لعنه الله خبير باحوال القيادة وصار له بذلك عادة وعلم ذلك عن يقين فأراد أن يميل قلبها عنه ويصرف همتها هذا وزنانير قد أمرت بدخوله اليها فأحضر بين يديها وعليها خمدة وانكسار من خمرة العشق فلما رآها لم يخف عليه ذلك لأنه قدمارس ذلك واختبره وعمره كله فى القيادة واللعنة والمخازى وشرب الخمر وشهادة الزور وقتل النفس التى حرم الله تعالى قتلها فلم يستقر بعقبة القرار حتى تنحنح وقرأ شيئاً من الإنجيل وفسره فأذهل كل من كان هناك حاضر وجعل يقول قال مريحنا المعمدان قال بطرس قال شمعون الصفا قا سيدنا عيسى المسيح اذا وقع مسلم من أمة محمد فى بلاد الروم وعند عباد المسيح وأكرموه فانهم قد خالفونى وخرجوا من طاعتى وأكون ساخطا عليهم ولا أكلمهم يوم القيامة ولا أريهم جنتى ولا أدخلهم دار قدسى وجعل ذلك الملعون يتكلم من هذا الكلام وأشباهه شيئاً ما أنزل الله به من سلطان ولم يزل كذلك إلى أن مل قلب زنانير عن لؤلؤ وصدها عن ذكره فقالت ياأبونا وحق المسيح كلما تقول صحيح ثم نهضت قائمة فلاح لعقبة ثقل ردفها وتدملج ساقها وطيبة أخلاقها فشاقت نفسه الخبيثة إلى عناقها ثم انصرف من عندها وهو يهزى بها (قال الراوى) وكان قدبرد قلبها بعد ماكانت له فى نية ميشومة ثم انها امرت الجوار أن تقدم لها الشراب فقدمت أوانى الذهب والفضة والبلور المحكم وبخروا ذلك المجلس بالعود والند وقدموا نفائس المشموم والفواكه فصار ذلك المجلس كانه روضة من رياض الجنة هذا والملكة زنانير قد جلست فى صدر ذلك المجلس كانها حورية من الحور العين وجوارها بين يديها كانهن الاقمار وشرعوا فى أكل الطعام. ولما اكتفوا قدموا المدام ودارت عليهم الاقداح بالراح فلما دارت الخمرة فى رأس زنانير وتمايل شخص لؤلؤ بين عينيها فتجدد نار العشق عليها فأخذت العود فى حجرها وانحنت عليه وأنشدت تقول .

يعز على طرفى براك عليلا ... أوان يلم بك السقام نزيلا
وودت أنى قدملكت سلامة ... فتكون فيها بكرت وأصيلا
فتظل تشفى من سقامك يافتى ... وأظل مما قد عراك بديلا
هذاإليك مشبهاأن تشتكى ... وكذا الخيل إذا أحب خليلا

(قال الراوى) ثم زاد الشوق على قلبها فقالت لبعض الخدام على بالحكيم اقليدس وكان الحكيم ولؤلؤ فى ذلك الوقت يتحدثون فى أمر عقبة وإذا بالخادم قد أتى وسلم عليهم وقال ياسيدى أجب الملكة زنانير فقال له حبا وكرامة ثم نهض وسار إلى أن دخل عليها فلما أن رأته قامت على قدمها وسلمت عليه ورحبت به وقالت له يا أبونا ما ترى

ما جرى على من فقد لؤلؤ فقال لها هذا كله من يدك فقالت له وكيف ذلك يا أبونا فقال أعلمى يابنية بأنه قد عمل معك هـــذا الشيخ السوء عملا ميشوما وقد حاق فيك سحره ومكره حتى قربتيه وأبعدت من هو طالب رضاكى وميت فى هواكى ثم أنك غدرتى به وهو محب لك صادق فى الوداد وهو غريب فى هذه البلاد أمين فى نفسه ما عنده فساد ثم غرقتى حبيبك بقول الأغادى والحساد والاضداد حتى تم عليكى ما أشغل قلبك وضيق صدرك فلما أن سمعت ذلك من الحكيم اقليدس بكت بكاء شديداً وقالت ياأبونا وحق المسيح إلا كففت عن ذكر ما مضى ولا تلق قلبي على جمر الغضى فما كان ذلك منى بالرضا ولكن سبق ذلك بالقضاء وبعد ذلك لايعود أحد يذكره إلى فضيق صدرى ويشغل بذكره قلبي أو ما الذى كان سببا فى هلاكه فوحق المسيح لابد أن أذيقه أنواع العذاب وأصلبه على هذا الدولاب (قال الراوى) وما تم على قلبها أمرت أن يصلبوا عقبة على الدولاب وأن يسمروا فى يديه مسامير حديد إلى خشب الدولاب ويجرعوه غصص العذاب ففعلوا به ذلك وهو يستغيث فلا يغاث ويصيح بالملكة وهى لاتزداد عليه الاقساوة قلب وقد بقى عندها أخس من كلب فقالت وحق المسيح لارحمتك ياشيخ السوء كما لم ترحم قلبي فى حبيبى لؤلؤ ولا قبلت فيك شفاعة شافع ومن سألنى فيك صلبته على الدولاب فلما سمعت البطارقة كلامها لم يجسر أحد أن يعاودها فيه ثم أنها أقبلت على الحكيم أقليدس وقالت له ياأبونا ابن عين المسلم لؤلؤ ينظر الساعة هذا الملعون وهو على هذا الحال فقال الحكيم ياملكة فلو رأيتيه إيش كنتى توصلى اليه من الخير فقالت وحق المسيح ما كنت أكون له الاجارية ومملوكة وخادمة ولكن يا أبونا هيهات أن يرجع من قد مضى فقال الحكيم فايش يكون لى عندك ان أنا أحضرته لكى فى هذه الساعة فلما سمعت الملكة كلام الحكيم بكت وانتحبت وقالت يا أبونا خل عنك هذا الكلام ولا تشعل قلبي بنار الغرام فقداشتفى العدو منى ولو نظر إلى سوء حالى لرحمنى ثم زاد بها البكاء وكثرت شكواها وأنشدت

ولو أن أيامه تشترى بذلنا له النفوس فى المبيعا
وكنا نبالغ منه الشرى ولكن أبى الدهران يبيعا

(قال الراوى) فلما سمع الحكيم ما أنشدته الملكة زنانير قال لها ياملكة وحق المسيح والدين الصحيح ما أقول لك إلا حقا ولا نطقت إلاصدقا قالت وكيف ذلك يا أبونا وقد غرقته منذ عشرة أيام فقال الحكيم ما غرق بل هو عندى وكانت سلامته برأيى ومشورتى وسياستى فلما سمعت الملكة كلام اقليدس كاد فؤادها أن يطير فرحا وقالت

يا أبونا وأين هو قال عندى وفى منزلى ثم حدثها بحديثه وكيف لحق البطارقة ومنعهم من تغريقه فعند ذلك انطرحت على أقدام الحكيم تقبلها وقالت لغلمانها ائتونى به وخذوا معكم هذه البدلة الحرير التى كانت لأبى حتى يلبسها ودفعت له غلالة مثاقيل عمل الباب الكبيرة ما تصلح إلا للملوك الكبار وأمرتهم أن يعبروه الحمام وأن يفرغوا عليه تلك الثياب فيالها من ساعة ما كان أبركها على لؤلؤ هذا ولؤلؤ قد اشتاق إلى نظر الأحباب وكانت الملكة زنانير قد جلست تنظره وهى فى أحسن ملبوس وقد غلب عليها الفرح وزال عنها الهم والترح وإذا بلؤلؤ قد دخل وعلى وجناته ورد الخجل إلى أن وقف بين يدى الملكة زنانير ووقعت العين على العين واجتمعت المحبين وأن الملكة ضمت لؤلؤ اليها وقبلته هذا ولؤلؤ قد أخذه البكاء وأقبلت عليه تعتذر اليه وتقول له يالؤلؤ وحق المسيح ما كان الذى فعلته معك باختيارى وإنما ذلك الشيخ السوء دخل على بمكره وخبثه وسحره فلا رحم المسيح له قال لؤلؤ من هو الشيخ النحس فقالت من هو على الدولاب مصلوب من قبل الفجر هذا وقت الغروب وما أظنه وحق المسيح إلا قدمات لأنه فى أسوأ حال فعند ذلك ضحك لؤلؤ من كلامها ونظر إلى الدولاب يدور وعقبة عليه مصلوب وقد هفت وليس له نفس فطار فؤاد لؤلؤ من الفرح وقال يامولاتى الحمد لله الذى أمنت من الرقيب وصح النظر إلى الحبيب فقالت يالؤلؤ مالى أرى أحوالك قد تغيرت فقال ياسيدتى لقد أصبنا بالعين وما بقى علينا من اللحم رطلين فقالت يالؤلؤ عين المحب لاتصيب ولكن القلب يطيب (قال الراوى) وان لؤلؤ أمرت له زنانير بالطعام فاحضروا غلمانها من غرائب الألوان وكانت زنانير مولعة بطبائخ المسلمين وكانت لاتستعمل لحم الخنزير وإنما أكلها من الخرفان الرضع والدجاج المسمن وكان ذلك التحضيض من الحكيم وأكلا جميعا وكانت زنانير تلقم لؤلؤ وهو يخدمها ويدعولها ولكن قلبه منكسر فانكرت الملكة ذلك عليه وقالت له حالك ياحبيبى كانك منكسر القلب ومشتغل الخاطر فقال أيتها الملكة ما أحسن توددك الى غلامك ولكنك فى أمرك عجولة تنسين المحب بايسر شىء يكون ثم أنك كلما شيدتى بنيان المحبة والهوى تهدميه بمعول الجفا أسرع من السراج اذا انطفا (قال الراوى) فلما سمعت الملكة كلام لؤلؤ قالت له مضى ما مضى وما بقيت أعود الى مثلها أبدا كيف وأنت كنت الذى خلصتنى من ذل الاسر لما أسرتنى أميرة المسلمين ذات الهمة ومثلك يا لؤلؤ من احتمل وعفا قال فتراى لؤلؤ يقبل أقدامها ويبكى من الفرح وقد زال عنه الهم والترح (قال الراوى) وان الملكة أمرت بنقل آنية الشرب الى مجلس السرور وهى طارمة تشرف

على البحر وكانت تلك الليلة مقمرة فدخل الشرابى الى بين يديها وقبل الأرض وأخبرها بان المكان قد كملت أوصافه وحسن ائتلافه من الرياحين والازهار وقطع البلور الكبار فلما سمعت الملكة ذلك نهضت وأخذت بيد لؤلؤ الى تلك الطارمة وجلسوا على المدام وقد انسدل الظلام وارتفعت أصوات الحراس ورقد جميع الناس ونظر لؤلؤ مجلسا ما مثله على وجه الأرض قد جمع فيه سائر الأزهار وفيه كل شراب رائق كانه الشقائق وقد صففوا فيه الاقداح والصوائن والطاسات والأوانى ونظر لؤلؤ الى البحر وقد طلع القمر وهو فى أعظم هيكل كأنه جبل من الذهب فسبح الله وعظمه ثم علا القمر فى السماء وانبسط نوره على وجه الماء حتى تخيل للناظر انهما قمران وطاب وقت لؤلؤ لما نظر الى القمر والنجوم وتفكر فى ملك الحى القيوم ونظر الى مجلسهم وما فيه من المطربات وحسن تلك الآلات وأقبلوا على شرب الشراب بالاقداح والطاسات وقد تضاعفت لهم المسرات والملكة تغنى له تارة ويلثم ثغرها تارة ثم انها اخذت العود وغنت وجعلت تنشد وتقول

من باع يوما بلذة ربحا ٭ فاجعل تجارة عيشك القدحا

ودع الاصطباح مغتبقا ٭ واستقبل الاعتناق مصطبحا

فان قبلت الذى اشرت به ٭ فانت للوقت تربح الفرحا

(قال الراوى) فلما سمع لؤلؤ شعر الملكة قال يامولاتى وأى انسان يخالفك فى الاصطباح والإعتناق والله ان هذه ليلة تحسب بالعمر كله فمتعنى الله ببقاك وأهلك من يشنسا كى وأظفركى الدهر باعدا كى فشكرته الملكة زنانير وأقبلت عليه وجعلت تسقه ريقها الى أن سكر ووقع وهو لايعقل على نفسه ولا يعلم فى أى أرض هو من لذة تلك الخلوة فقالت الملكة وحق المسيح انك لمعذور بما ورد عليك من السرور ثم أمرت الجوار أن يحملوه الى مكانه وامرتهن باكرامه ثم انها جلست مع جارية لها اسمها مريم وقد ربيت معها فى النعم وهى كثيرة الأدب فباتت الملكه معها الى الفجر ولما كان الصباح أمرت زنانير بفتح الخزائن وإظهار الاسلحة على الأصوار هذا وقد تجملت القلعة ذلك اليوم تجملا عظيما من كثرة الدروع والرماح والجواشن والصوارم والبيارق وعلى القلعة أعلام مركوزة وقد أظهرت مالم تظهره أيام أبوها الملك صلبوتا ثم فتحت الخزائن وأخرجت منها الأموال والثياب حتى ملأت مجلسها وأمرت غلمانها أن يحضروا اليها الحكيم اقليدس لتأخذ رأيه فمضت الغلمان وأتوا به وقال فى نفسه والله مابقيت أشتهى أنظر لوجه من يكفر بالله ولكن للضرورات أحكام ثم قام مسرعا الى طارمه الملكة وكانت زنانير قبل أن يصل اليها الحكيم قد بعثت الى لؤلؤ وأحضرته وسألته عن مبيته وسكرته

فقال لؤلؤ يامولاتى من ينظر الى ذلك الوجة المليح فى ظلام الديجور كيف لايسكر من السرور ثم أن الحكيم دخل إليها وقبل الأرض بين يديها وسألها عن أحوال لؤلؤ ولياته فأعادت الملكة عليه ماتم له من الفرح والسرور وشرب الخمور (قال) فالتفت الحكيم الى لؤلؤ وقال طيب المسيح عيشك اشتغلت بخدمة الملكة زنانير ولا رجعت تذكر كبير ولا صغير فقال لؤلؤ ياحكيم من أراده مولاه أشغله عن خدمة ماسواه ثم أن الملكة قالت ياحكيم اعلم أنى ماجمعت هؤلاء الملوك الا لأجل قتال المسلمين وقد بلغنى عن عسكرهم انه رحل الى قلعة الملك شعشونا وهذا يدل على ضعفهم وقد رأيت أنى أخلع على الملوك خلعا فاخرة وأتحفهم بالتحف والعطايا وأرسلهم الى عسكر المسلمين وأخلو بنفسى ولؤلؤ عشرة أيام فقد نحل جسمى وتغير رسمى فقال الحكيم لا أهانك المسيح لك قدرا ولا صعب عليك أمرا أما قولك انك تخلعى على الملوك فافعلى وأما ما ذكرتى من الهم الذى اعتراكى فعليك بالمدام لأنها تظهر السرور وتزيد فى الغبطة والحبور (قال) فلما سمعت ذلك من الحكيم وما أشار به عليها قالت على بالحاجب لحضر بين يديها فبعثت معه الهدايا التحف والظرف والآنية السنية من الذهب والفضة وعرفته يعطى لكل واحد من الملوك من الهدايا والتحف (قال الراوى) وكان الحاجب اسمه مرتوما وكان أديبا لبيبا عاقلا فقبل الأرض وأخذ جميع التحف التى أعطته ونزل من القلعة ومعه مائة بطريق عليهم ثياب الأطلس ومناطق الذهب وسار الحاجب حتى قدم على الملوك وتقدم الحاجب مرتوما إلى الملك دقيوسا وخلع عليه خلعة سنية بازرار من اللؤلؤ الكبار وتوجه بتاج من الذهب الأحمر مرصع بالياقوت والجوهر وقدم سائر التحف وأوعده سرا بزيادة الهدية والخلع والعطية حتى ينصرها على عدوها وكذلك فعل بالملك شيبوص والملك أقرون وسائر الملوك فلما سمعوا ذلك ترجلوا والأرض قبلوا وبالدعاء لها أعلنوا هذا والملكة زنانير واقفة تنظر اليهم من أعلا قصرها وعلى رأسها تاج قد تشعشت جواهره وبدنه من اللؤلؤ فى شريط ذهب أحمر ضوئها يأخذ بالبصر وصار كل ملك منهم يقول أنا أتولى قتال المسلمين بروحى وأتقرب إلى الملكة زنانير بذلك ثم ضربوا بوق النفير وساروا فى طلب المسلمين ورجعت الملكة إلى قصرها وقد زالت عنها الكروب ووجدت ترحيل الملوك عنها غاية المطلوب ثم خلعت على الحاجب مرتوما خلعة فاخرة وكذلك على الحكيم اقليدس وعلى لؤلؤ واستقر قرارها ودعت بالبنائين والحجارين وأمرتهم ببناء القلعة واصلاح ما تشعث منها وأقامت النجارين تعمل المناجيق والعرادات وغير ذلك وأخذت

أهبنا واحترزت من عدوها وأراحت قلبها فى تلك الأيام فرجعت إلى ما كانت عليه من الشحم واللحم والقوة لأن الهم ينحل الجسم (قال الراوى) فهذا ما كان من الملكة زنانير (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها برئت من المرض وقامت إلى طاعة الفرد الصمد فلما وصلت الملوك إلى قلعة عبد الله شعشعونا طلعت المسلمين على الأصوار ينظرون إلى ذلك العسكر الجرار فتحيروا من ذلك وكان الأمير أبو محمد البطال لما فارق الأمراء على أنه يدخل إلى قلعة العلك ويأخذ أخبار الملعون عقبة فلم يجد البطال له عبور إلى القلعة فرجع إلى قلعة الجوزاء ولحق بالأمراء وفرح بعافية الأميرة ذات الهمة ولما كان ذلك اليوم احتمع به الأمير عبد الوهاب وقال له ياأبا محمد هذه والله نوبة عظيمة ما سمعنا بها فى الأمصار ولا رأينا شكلها فى الأقطار . والله إنى أخاف أن تكون هذه النوبة سبب هلاكنا وانقطاعنا عن ديارنا فانا لله وإنا اليه راجعون ما الذى نصنع وكل واحد منا يكون نائبه منهم الألف لأنهم فى عدد الرمل والحصى فنسأل الله العظيم بحرمة نبيه الكريم أن يجعل لنا من أمرنا فرجا ويخرجنا من هذه الديار سالمين إلى ديارنا آمنين فقال البطال أيها الأمير عليك بالصبر فان الله تعالى يخلصنا بمشيئته وكرمه وهو على كل شىء قدير واعلم أيها الأمير أن بعضهم يقول

عسى الهم الذى أصبحت فيه يكون وراءه الفرج القريب

ثم قال أيها الأمير ما لهؤلاء القوم إلا المبارزة والتقاط ملوكهم واحد بعد واحد وقد انهدمت أركانهم وضعفت قوتهم أنت تارة بالشجاعة وأنا تارة باللصوصية فما دمت أيها الأمير أنا فى قيد الحيـــاة فلا تنسى خديعتى وحيلى وتدبيرى فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك من كلام البطال ضحك وسلا عنه بعض ما كان يجده وقال له عبد محمد (قال) فشكره البطال وقبل بين عينيه وقال له الآن قدمن الله بعافية الأمير الوهاب إنك لم تزل مفرج الكروب ومزيد الشدائد وصنايعك لاينساها أحد ياأبا لأنها قوامنا وعمادنا وكم من وقعة قد وقعنا فيها وكانت الأميرة كاشفة لما نزل بنا من كربتنا والله تعالى يطيل عمرها ثم قال أبو محمد للأمير عبد الوهاب إنى أريد أنزل الليلة واختلط بهذا العسكر وأفرجك على ما أفعل وأريك فى هؤلاء الملوك ما يسرك (قال) فشكره الأمير على كلامه وقال له أيدك الله بالمعونة يا أبا محمد ثم ان الأمير ودع البطال وسار وقد أخذ معه غلمانه يانس وجوهر ونزل من القلعة فى أحسن زى يكون واختلط فى الظلام بعسكر اللئام ولم يزل حتى وصل إلى أصحاب الملك أقرون فاختلط البطال بهم وشرع يسامرهم ويحكى لهم حكايات الروم وسير الملوك ثم سألوه البطارقة عن حاله وقد أنكروه وقالوا له ياهذا من تكون من الروم فقال لهم بالرومى أنا بطريق من أصحاب

الملك الدهمار وأن الملك الدهمار كان كثير الفساد ودأبه هلاك العباد فعجل عليه المسيح بالنفاد وقد هلك على يد صاحبة الوجه المنير زنانير وبقيت أنا وحيد فريد وأريد منكم تأخذوا لى شغلا عند الملك أقرون حتى أستعين به على زمانى مادمت حيا فقالوا له خواص الملك أقرون وأى شغل كان لك عند الملك الدهمار قال كنت له فراشا وخازنا وكنت شرابيا وكان يعتقد فى آموره على لما يرى من نصحى له وقضاء حوائجه وأنه قط ما غير على (قال) فلما سمعوا البطارقة ذلك من حديثه قالوا وحق المسيح أن الملك اقرون له زمان متطلع إلى خدمة واحد مثلك فابشر فنحن نعرف الملك بمكانك فقال البطال وعلى ذاك كنت أدور ثم قرأ لهم شيئاً من الإنجيل يشفى العليل وأوردلهم حكايات عن الملك دهمار شيئاً ما أنزل الله به من سلطان فملك البطال قلوبهم وسبا عقولهم ودخل كبيرهم إلى عند الملك أقرون وأخبره بحديث صاحب الدهمار وما هو عليه من الثقة والعلم والشفقة فتعلق به قلب الملك أقرون وأذن له فى الدخول فلما مثل بين يديه أشار البطال إلى الأرض لائما وعلى الملك مسلما وكان البطال قد غيرت حليته وأرخى له شعر أشقر كأنه خضب بالحنا ومشطه بالمشط مرار عده حتى بقى كأنه الكتان الممشط ولبس أحسن ملبوس من الأطلس الفاخر وعليه آثار النعمة وزى الحشمة فأكرمه الملك اقرون وأمره بالجلوس وسأله كيف كان مع الملك الدهمار فبدأ البطال يحدثه بأخباره ويذكر له أحاديث لم يسمع قط بمثلها ولا فعل أحد قط شكلها والملك يتعجب منه وينطلى عليه كلام البطال وأن الملك اقرون خلع على البطال خلعة سنية ثم قربه اليـــه وقال هذا قد خدم الملوك وعرف مقاصدهم ومقادرهم وبات البطال عنده تلك الليلة فلما أصبح الصباح ركبت الألوف واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وتقدمت الملوك من كل جانب وطلبوا القتال (قال) وعزم الأمير عبد الوهاب على فتح البـــاب والخروج إلى مقام الحرب والطعان فقالت الأميرة ما هـذا صواب يا بنى لوجوه عدة أحدها إنى بطلانه من أثر المرض وموعكة وأخاف من الانتـكاس ونحن فى قلعة حصينة عالية مامثلها قط قلعة ولا عليها خوف ولو أقاموا عليها سنة ماوصلوا اليها فانصب يا بنى المنجنيقات والعرادات وارمى بالنشاب والحجارة فنحن الظافرين عليهم إلى أن يسهل الله تعالى بالفرج وأجد القوة والنشاط فى نفسى وأخرج إلى البراز وألتقط ملوكهم أحسن التقاط فقال الأمير عبد الوهاب يؤيدك الله يا أماه بالمعونة والشفا (قال الراوى) وأن الملك أقرون تقدم فى ذلك اليوم بنفسه وكان شيخا كبيرا نبرز فى أصحابه وكان فريدا فى شجاعته وبراعته نتقدم

وحاصر المسلمين (قال) وأرموهم المسلمين بالأحجار والطلاقات الكبار من فوق الأصوار وقامت بينهم قوائم الحمام وتقدم كل فارس ضرغام ونفذت السهام إلا أن الملك أقرون أتته من أعلا الحصن نبلة فوقعت فى صدره طلعت من ظهره فوقع أقرون كأنه الثور إذا مات وحلت به الآفات فعند ذلك ضج المسلمون من فوق الأصوار بالتكبير والصلاة على البشير النـــذير (قال الراوى) ثم أن الروم حملوا بعد قتل أقرون ملكهم وقد خرقوا أثوابهم وغضبوا لقتله وتقدموا إلى القتال وأضرمت نار الحرب اشتعال وجعل البطال يحرض الملوك على هلاكهم وقد انفصل من أصحاب الملك وغير ذلك الزى الذى كان فيه وقتل ذلك اليوم من الروم زهاء عن عشرة آلاف همام ورجع الروم إلى المضارب والخيام وقد رجعوا أصحاب الملك أقرون واستجاروا بالملك شيبوص وقبلوا الأرض بين يديه وقد صعب عليه قتل الملك أقرون وأخذته الرحمة لأصحابه وأوعدهم أن يكون عونا لهم على عدوهم فلما سمعوا ذلك بكوا وكان معهم ولدا الملك اقرون المقتول كأنه القمر فقدموه بين يدى شيبوص فأخذته الشفقة عليه وعزم على أنه يكبس الملك كندفرون (قال) وكان كندفرون قد حمل على أصحاب الملك أقرون عند قتله فقتل منهم مقتله عظيمة لأجل عداوة كانت قد سبقت بينهم من قديم الزمان (قال) وكان للملك شيبوص حكيم يأنس اليه فقال اعلم أيها الملك أن هؤلاء الملوك قد عزموا على نهب المسلمين وكل منهم قد حنق عليهم فدع هذه النوبه تكون على غيرك ولا تكون على يدك فتكون سببا لهلاك الروم فلما سمع شيبوص كلامه انقلبت عيناه فى أم رأسه وشخر ونخر وطغى وتجبر وصلب على وجهه وقال ويلك وكيف لا أفعل وقد استجاروا بى ومن يده أطول من يدى ولولا أنك من أرباب العلم فى ديننا لأحرقتك بالنار ولكن سوف أذيقك البوار ثم ضربه بالسيف طير رأسه وقام عرق الغضب بين عينيه فتأخرت البطارقة من حواليه خوفا من سطوته ولعنته وشره ولم يجسر أحد منهم ان يتكلم (قال) ودخل الملك شيبوص سرادقه وقد ارتعبت القلوب منه (قال الراوى) وباتت الملوك تلك الليلة فى أنحس مبيت خوفامن الملكة زنانير أن تسمع بالفتنة التى جرت وكل منهم أضمر لأصحاب الكندفرون الهلاك فلما أصبح الصباح جردت الصفاح وشرعت الرماح فأول عسكر ركب كان عسكر شيبوص وقصدوا أصحاب الكندفرون وهو فى أوائلهم أصحابه كانه مجنون ووقع بينهم الحرب وكثر الطعن والضرب فيالها من ساعة فيها طارت الرءوس وعملت السيوف وفرحت المسلمين بالخلف الذى وقع بين الملحدين وامتلأت من قتلاهم الأرض والديم وجال عليهم العقاب والرخم فقال الأمير عبـــد

عبد الوهاب هذا هو المراد وقتل فى ذلك اليوم من الروم خلق كثير إلا أن أصحاب الملك شيبوص كانوا أثبت عند اللقاء ولولا أن الليل أقبل على اصحاب الكندفرون كانوا شربوا كأس المنون ورجع كل أحد إلى سرادقه وقد ضيق على صاحبه مخانقه وتواعدوا أن يكون اللقاء فى غد وفى تلك الساعة وصل ولد اقرون وكان اسمه صابور ومعه خمسة آلاف من الابطال وكان شجاعا لايلتقى يوم النزال وكان مجيئه تلك الليلة لسعادة المسلمين لحديثه يأتى إن شاء الله فلما علم الملوك بوصول ابن الملك اقرون فى آلاف فزعوا من ذلك واجتمع ولد الملك اقرون بالأمير أبو محمد البطال فقال البطال لابأس عليك أيها الملك فالمسيح يعظم أجرك ويبلغك من أعداءك قصدك وكان الملك صابور قد قرأ كتب سائر الروم والمسلمين وكان يسمع آخبار المسلمين وكان رقيق القلب فلما أصبح الصباح اصطفت الصفوف وبينما العالم وقوف واذا بفارس قد برز بين الصفوف وكان ذلك الملك الكندفرون وهو على جواد أدهم زايد فى السواد كانه من خيل عاد ولما سمع الغلام صابور بذلك أمر أن يقدموا له جواد فأتوه بجواد أصفر عالى من الخيل مضمر وحمل كل واحد منهما على صاحبه وقد تطاولت اليهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق هذا وقد ارتفع الغبار وغابا عن الأبصار وأن البطال فزع على الغلام صابور من اللعين كندفرون وأيقن انه يهلكه فقال أن كانت علينا هلكنا كلنا لأن الملوك كلهم علينا لاسيما وأنا اليوم حاجب الحجاب وحق الله لو قدرت على الهرب لهربت ولكنى قد بليت بهم وطار عقلى من هذا اللعين كندفرون وأنه إن ظفرت بهذا الغلام صابور لايبقى عليه ولا على أحد من خواصه ولم يزل البطال فى قلق وفؤاده قد احترق واذا بكل واحد من الصفين قد زعق والخصمين كل منهما على غريمة قد أطبق وصوب بالطعنة الى صدر صاحبه فجاءت طعنة صابور للقضاء المقدور فى صدر كندفرون طلعت ثلاثة أكعب من ظهره فعند ذلك صاح البطال من شدة الفرح وقال لاشلت يداك ولا كان من يشناك ثم حملوا أصحاب صابور على عسكر كندفرون ومكنوا منهم قواطع البواتر والحقوا الاوائل بالاواخر وقتلوا من عسكر كند فرون فى ساعة واحدة عشرة آلاف فارس وراجل وقد نزل بهم الآفات والنوازل وجاء الحق وزهق الباطل وأسر منهم خلق كثير فعظم ذلك على باقى الملوك وأضمروا للملك صابور الهلاك والثبور وعزموا غداة غد يخرجوا الى قتاله هذا والمسلمون قد شكروا الله على الخلف الذى جرى بين الملحدين وقال الامير عبد الوهاب السعيد من كفى بغيره والله العظيم لقد طال شوقى الى البطال وما أدرى فى أى مكان هو وأنى أرى غيبة عقبة قد طالت وما أعلم خلص من البحيرة أومضى الى

بعض هذه القلاع يدبر أهلها ويحرض المخازى علينا (قال الراوى) فهذا جرى وأما صابور فانه اجتمع بوجوه قومه وبالبطال فى تلك الليلة وقال لهم أعلموا اننا قد حصل لنا فى هذه الأرض ماحصل وقد كثرت أعداؤنا وحنقت الملوك علينا واعلموا أن معادات الملوك من انقراض الدول وإن نحن أقمنا ننازعهم فهم أقوى شوكة منالاننا فى سبعة آلاف وهم فى ماية ألف فارس وما تنفع الشجاعة فى كثرة الجماعة والرأى عندى أن لا يصبح الصباح وفى هذه الأرض منا أحد (قال) فلما سمع البطال هذا المقال قال هذا هو الصواب ولقد نظرت أيها الملك موضع النظر فكفيت جميع النوائب والخطر لكن أفرق فى ساقة العسكر من يعرف فيه الثبات ويكون معه ألف فارس من وجوه العسكر حتى يحفظوا من يتخلف وترحل أنت على أحسن رحيل وتأمن منهم فاذا قطعنا بعض الطريق وخرجنا من هذا المضيق لا يبقى فينا مطمع وان تبعنا منهم أحد فما يدركونا الا ونحن فى بلادنا فقال صابور لابى محمد زاد المسيح فى رأيك فما أبرك هذه السفرة وأما أشفقك على عباد المسيح قال وان الملك صابور دعى ببطريق من أصحابه وكان شجاعا مقداما يعد بألف بطل وأضاف اليه ألف فارس وأوصاه أن يسير خلفهم على الأثر وصار الملك صابور فى باقى العسكر بلا بوق ولا طبق إلى أن تكاملوا وساروا والملك صابور قد أخذ البطال الى جانبه وهو يحدثه ويسأله عن حاله ثم قال الملك وحق المسيح لولا أنى خفت على أهلى وأصحابى أن يفنيهم هذا العسكر العظيم لما كنت وليت عنهم وكنت آخذ المشار اليه منهم كما فعلت بالكندفرون وكنت آخذهم واحد بعد واحد ولكنى رأيت الهرب أهون على من الهلاك أنا وقومى فقال البطال ما عملت إلا الاخير فلما اطمأنوا القوم ساروا يطلبون بلادهم (قال الراوى) وأصبح الملوك فلم يجدوا لهم أثر فقال الملك دقيوسا وحق المسيح لاخربن ديارهم ولكننا نترك أمرهم فى هذا الوقت ونرجع الى حصار المسلمين ونرضى الملكة زنانير فقالوا جميـــع الملوك هذا هو الصواب أيها الملك واتفق رأيهم على ذلك وداموا فى قتال المسلمين وحصارهم ورموهم المسلمين بالاحجار فجرحوا منهم خلق كثير لأن حجر المنجنيق الذى للمسلمين وماكان يخطى وكذلك نشابهم من كثرة ما كان الروم تحت الحصن ولم يزالوا الى أن مضى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه فعند ذلك قال الامير عبد الوهاب هذه والله نوبة ماسمعنا بمثلها ولكن الصبر أجمل فان الاعداكل يوم يهلك منهم عالم عظيم ونحن ما علينا سبيل وها نحن صابرين حتى يأتى الله بالفرج من عنده ونسمع أخبار أبو محمد البطال فقد غابت عنا أخباره وخفيت آثاره فالله تعالى يفتح على يديه قريب أنه سميع مجيب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان

من شيخ الضلالة عقبة فانه أقام على الدولاب يوم وليلة وقد أخفى نفسه ولم يتنفس حتى قيل للملكة زنانير أنه قد مات فعند ذلك أمرتهم بنزوله عن الدولاب فانزلوه البطارقة والغلمان ونظر لؤلؤ إلى عقبة فظنه هالك فقال إنا لله وإنا اليه راجعون والله ان سمع عبد الوهاب بموته ليضيقن صدره وتشمت به الأعداء ويصير عند الناس كذاب ثم أن لؤلؤ إلى عقبة وهو لايشك فى موته فوضع يده على فؤاده فوجد نفسا طالعا فقال ياقوم على بقليل ماء فاحضروه اليه فرشه على وجهه فعندها فتح عينه الصحيحة وقال يالؤلؤ إذا قتلتم فلا تقتلونى على هذا الوجه وكانت الملكة زنانير تسمع كلامه فقال له لؤلؤ ياشيخ ما هذا شىء يقتلك ولكن حتى تذوق العذاب ثم أن لؤلؤ أمر الملكة أن تسلمه إلى من تثق اليه وتجعله فى مطمورة ويحتفظ به غاية الإحتفاظ لكى لايعمل على الحصن لايهرب ويستجير ببعض الملوك ويأتى به إلى قتالهم مثل النوبة الأولى فقالت لا وحق المسيح لا أجد له حرزا أجود من هذا السيف ألوح به قحفه وأرغم أنفه فقال لها لؤلؤ بحق ما تعتقديه من دينك هبيه لى وكفر عن يمينك (قال الراوى) فضحكت من قوله وقالت ما يكون له احفظ منك نخذه اليك فوحق المسيح ما فى بقائه راحة لى ولا لك فقال لها لؤلؤ والله ولا لجميع الناس وكل من على وجه الأرض ماله فى حياته راحة ثم خرج به لؤلؤ وبيته فى منزله فى ايشم مبيت وقد نام لؤلؤ مطمئنا (قال الراوى) فلما كان وقت السحر بكى عقبة واستعبر وعلا بكاؤه وظهر وجعل يلطم على وجهه ورأسه ويعاتب نفسه ويقول ياشيخ السوء إلى متى هذه الغفلة التى أنت فيها وإلى متى هذه الضلالة ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فلقد أسودت الصحيفة وأبيضت الشيبة وجاء وقت الوفاة هذا وقت المصالحة هذا وقت التجارة الرابحة فوامصيبتاه وأخجلتاه بأى وجه ألقى الله ثم بكى بكاء عظيما فأفاق لؤلؤ من نومه وقد وقع به التحيير وكاد عقله أن يطير وفرح وقال والله هذه فعال ما قد تاب توبة صالحة ثم جاس فى فراشه وجعل يتسمع على عقبة وكان مقيد فى خزانة وعلى الباب قفل وزنه من بالميزان وما فى تلك الخزانة منفذ غير شباك حديد والوصول اليه صعب شديد فجعل لؤلؤ ينصت إلى كلام عقبة وهو يبكى ويتذلل ويخضع ويخشع (قال) وناداه لؤلؤ طب نفسا فما احسن هذا الندم لو كان خالصا لله عند ذلك شكت عقبة ولم يجيبه بل قال إلهى وسيدى ان كنت قبلتنى فاقبضنى ولا تطلع أحد على أمرى الا عبادك اصحاب الاسرار ثم الاولياء الابرار ياحليم ياغفار إلهى وسيدى قد أعترفت لك بالوحدانية وأقررت لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة فاقبضنى على هذا الاعتقاد ياملك ياجواد ثم تنفس

الصعداء وسكت (قال الراوى) ثم انتظره لؤلؤ وفتح عليه الباب وقال له ما الذى تريد فقال ياولدى أطلب شيئاً من الماء أسبغ الوضوء به وأصلى فان لى زمان فى الكفر والضلالة فأتاه لؤلؤ بطشت من الفضة وابريق من الذهب فلما أحضرهم لؤلؤ قال له عقبة ما هذا يا لؤلؤ وأنت قد صاحبت الأمير أبو محمد والأميرة ذات الهمة والأمير عبد الوهاب وتعلم أن آنية الذهب والفضة حرام (قال الراوى) فلما سمع لؤلؤ ذلك من كلام عقبة قال له والله لقد صدقت ياقاضى وأنا أعلم أن مالى فى صلاتى شىء لأجل ذلك فقال له عقبة ياولدى أنت معذور وفى شراب العشق مخمور فقال له لؤلؤ ياقاضى إن قدرت على النهوض إلى الفسقية فتوضأ منها فقال قد ذهبت منى القوة فقال له قم حتى أعضدك إلى البركة فقام عقبة يضعف ويتراخا ولؤلؤ يعضده حتى أوصله إلى البركة فاستفتح الوضوء على التمام وقد تحير لؤلؤ منه ثم رجع إلى الصفة وبسط سجادة كانت للؤلؤ يصلى عليها ثم تركه لؤلؤ ومضى فأسبغ وضوءه ورجع اليه تصلى به عقبة وقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة الحاقة إلى أن وصل إلى قوله تعالى ونفخ فى الصور نفخة واحدة فبكى عقبة وبكى لؤلؤ حتى كادا أن يخرجا من الصلاة ثم قرأ فى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وسورة سأل سائل حتى وصل إلى قوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ثم ركع وكاد لؤلؤ أن يسقط إلى الأرض من طيبة نغمتـــه وحسن تلاوته ثم جلس للتحية وقال قد غفرت ذنوب الصادقين ثم جلس عقبه يدعو ودعا لؤلؤ بالعافية وللملكة زنانير بالإسلام وأن يرزقها للؤلؤ حلال لاحرام (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلمـــا سمعه وهو يدعو له طارت الدمعة من عينيه وقال له استجاب الله منك هذه التوبة فقال له يا لؤلؤ بالله عليك اكتم هذا الأمر ودعنى عندك مقيد الى ان يقضى الله ما هو قاض فان كان لك سعادة ورجعت إلى بلاد الاسلام تخذنى معك إلى اين سلكت حتى اكون اعبد الله تعالى وان كانت القضية فاشهد لى بهذه التوبة ولزوم الدين عند المسلمين والسلام فقال له لؤلؤ والله العظيم ما تكون إلا فى أحسن حال وأنعم بال لافى قيد ولافى أغلال فعند ذلك قال له عقبة يامولاى انما قلت لك هذا الكلام حتى لايقع فى قلبك منى نفار وهيهات هيهات يالؤلؤ ذهب العمر وضعف القوى والحال يغم وأنشد يقول

قد كنت للحدة من ناظرى ٭ أرى المنهى فى ليلة مقمره
لكننى أنظر منها وقد ٭ غير منها الدهر ما غيره

وُاليوم ماأنظر بدر الدجا ٭ الا بعين تشتكى البشكره
من َجاوز الستين من عمره ٭ رأى أمورا فيه مستنكره

(قال الراوى) سادةيا كرام فقال لؤلؤ طب نفسا وقرعينا وكن ههنا مقيم على أنعم بال وابشر ببلوغ الآمال (ياسادة) ولما تضاحا النهار بعثت زنانير الى لؤلؤ تستدعيه الى قصرها وتطلعه على سرها فأجابها بالسمع والطاعة ثم غلق الباب على عقبة ودخل على الملكة زنانير فلما رأته قامت له وأستقبلته بالسلام وأجلسته إلى جانبها وجعل يتملا بالنظر منها ثم أقبلت عليه تسأله عن أخبـــار المسلمين وهى كلما حدثهما تتعجب وتضحك (قال الراوى) فهذا ما كان من حديث زنانير ولؤلؤ والقاضى عقبة (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فانه دخل مع الملك صابورا إلى قلعة شاهقة كأنها بالسماء لاحقه وهى من الحجر الأسود الأملس يعجز النمل أن يدب علها وهى على قلة جبل أجرد كأنه الليل الأسود والصعود اليها من مكان ضيق فقال الأمير أبو محمد البطال هذا والله هو الحصن العظيم أسأل الله تعالى أن يملكه للمسلمين فوالله أن ملكنا هذا الحصن لنملكن به سائر القلاع أجمعين لأنه بخلاف حصن عبد الله شعشعونا وعلى رأس هـــذا الحصن دولاب من العود القمارى وهو يشرف على البحيرة من ناحية الشرق فلما استقر بالملك صابور القرار سلم المفاتيح كلها إلى أبو محمد البطال وكان قد سما روحه قربا وقد قال له الملك أعلم أن نظرك فى هذه القلعة كنظرى وأمرك كأمرى فلما سمع أبو محمد ذلك صلب على وجهه وخدم الملك ودعا له وأقام معه أيام وليالى والملك صابور يزداد به فرحا وسرور ثم أنهمم أجتمعوا ذات يوم يتحادثون حتى أفضى بهم الحديث إلى وصف الأديان فقال الملك صابور لأبى محمد ياقربا ما أوحش هذه الأديان كلها وأعلمك انى قد قرأت سائر الكتب والتواريخ فما رأيت أحسن من دين المسيح ولولا أن لنا هذه الآية الذى فى هذا الدولاب لاسيما أيام العيد الكبير لأن المسيح يبعث لنا ريحا حادة فى ذلك الموسم والأمان فتدير الدواليب حتى تبقى كأنها الطواحين وتنور الأنوار وتظهر الكرامات وتنزل الحواريون وينزل المسيح على الدولاب الأكبر الذى على قلعة الملك صلبوتا فتحيا البلاد والعباد وتخصب الأرض ولولا ذلك لما رضينا بمذهب النصارى وما هم عليه (ياسادة) فلما سمع أبو محمد كلام الملك قال له أعلم أيها الملك أن هذا الحديث يتزايد ويتناقص فقال له الملك وكيف ذلك ياقربان فقال له أيها الملك فهل رأيت أنت المسيح بعينك وقد نزل على الدولاب فقال له لا ولا أحد من الحواريين إلا أننا نرى فى حلل الغبار أشخاصا وقد بسطوا أيديهم وقد رفعوا رؤوسهم

إلى السماء فقال له أبي محمد أيها الملك أتفكر فى هذا وأنا عند الملك الدهمار وكنت أحدثه بأحاديث المسلمين وكان يتعجب من حديثى وكنت وجدت فيما قرأته من كتب المسلمين أن من توضأ وصلى صلاتهم ونام على نية الاسلام يرى فى منامه أشياء تدل على برهان الحق فى الدين وربما رأى ذلك فى اليقظة فلما سمع الملك الدهمار ذلك منى أراد أن يختبر صحة ذلك ففعل ما أمرته به فلما أصبح ذكر أنه رأى دلائل غريبة وآثار عجيبة وأنه رأى المسيح فى اليقظة ومعه نبي العرب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم وهو يقول لقد خسر من كفر بك يامحمد لأنك النبى الصادق ولقد كذبت النصارى عليك يامحمد فأشهد إنى برىء منهم فلما رأى فقلت له أيها الملك الدهمار أتى إلى وهو مرعوب وأخبرنى بما رأى فقلت له أيها الملك ربما يكون ذلك أضغاث أحلام خوفا عليه أن يصبوا لى دين الأسلام ومنعته وخوفته من ذلك ثم كان من أمره ما كان وقتلته زنانير وتوصلت اليك فرحم كل عضو بل من أبوك أقرون فقال له الملك صابور ياقربا لقد عملت قبيح فقال له أبي محمد وكيف ذلك فقال لقد كان الواجب عليك تنصحه لما رأى الدهمار الرؤيا وأراد يسلم فلم تمنعه فوحق المسيح ياقربا لو رأيت مثل هذا المنام لأسلمت فى اليقظة وما خالفت قول الكرام فقال أبي محمد أيها الملك فترى أن تجرب روحك فى هذه الليلة وأنا كذلك حتى نرى الصدق من الكذب فقال له الملك نعم وقد علمه أبو محمد كيف يتعرض ويقرأ عند النوم فتعجب الملك وقال ما أنت إلا قرأت كتب المسلمين فقال نعم لأنى سافرت إلى سائر البلدان وأطلعت على الأديان ثم أن أبي محمد نزل من عنده إلى الحجرة المعدة له وكان الملك يخاف على نفسه وكان يغلق عليه الأبواب ولا ينام عنده جارية ولا غلام وهو فى طارمة مرتفعة إلى أعلاما عليها تسليق وكان يطلع عليها بسلم وإذا صار فوق الطارمة يستحب السلم اليه كل ذلك احترازا منه على نفسه وأن أبي محمد لما رأى ذلك قال هذا وقت الحيلة وإن ظفرت بهذا الملك وأسلم مانبالى ببقية أهل القلاع وان وقعت فكم لله علىَّ من منة ثم أن أبي محمد شبه روحه بالمسيح وأخذ معه براوة شمع وحوائج وأخذ معه سلم من شعر المكسور ثم خرج من حجرته وقصد باب القصر فوجد عليه حرصا شديدا فوقف مكانه ورفع رأسه رأسه لشراريف القصر فوجدها من الفرق فأخرج السلم الشعر وجمعه فى يده واستعان بالله وتوسل بنبيه وحذف السلم إلى فوق فتعلق بالشراريف فجذب السلم اليه حتى أخذ الحديد فى الخشب وضرب السكة فى الأرض ثم نتر السلم فطن كلو تر نطلع فيه أخف من الريشة حتى كان فى اعلاه وكانت ليلة مظلمة وما زال صاعد إلى تحت القبة لذى فيها الملك

وبينها وبينه فى العلو قامتين والريح يصفر فى اعلاها وهى على أربعة أعمدة من الرخام فجعل أبو محمد يتميز كيف يصل إلى القبة فلم يجد له موضعا يتسلق فيه الا من صوب البحر وهو أصغرها وأخطرها لأن فوقه شباك يشرف منه الملك على البحر وكان قصد أبى محمد أن يقف على ذلك الشباك حتى يعاينه الملك فقال أبى محمد هذه مخاطرة والله وما يجسر الانسان على هذا الموضع وقد قيل أن المخاطر مذموم ولو سلم وفقير ولو غنم ولكن أرجو من الله المعونة ثم أنه عانق أحد القامتين التى تحت القبة وطلع فيها كأنه النخلة وصار فى أعلاها وتعلق بالأخشاب الظاهرة من السقوف ولكن بينه وبين الشباك مقدار قامتين أخر وهو ظاهر القبة وهو أنعم من حجر المسن والعصفور لا يكاد أن يثبت فى ذلك المكان فقال فى نفسه كيف الوصول إلى هذا الشباك ومنه أبلغ المراد ثم جعل يتفكر فلم يجد إليه سبيل ولا مسلك إلا بكلاب يعرف بالسلم القائم وهو كلاب وثيق يحمل جمل كثير الاعوجاج وفى أسفله حلقة فيها أربع حبال على هيئة السلم والدرج يصعد فيه الانسان وقد بلغ المراد وكان البطال خبير بهذه الأمور والأحوال فمد يده الواحدة إلى وسطه وأخرج الكلاب من شده وحذفه وهو مخاطر بنفسه فى مقام الهلاك فتعلق الكلاب فى ذلك الشباك فعند ذلك حمد الله وأثنى عليه وتسلق فيه إلى أن بلغ ووصل إليه ثم أنه نفخ النار فى خرقة كان أعدها لذلك وكان غمسها فى دهن البيلسان فطلعت النار إلى الشباك كأنها البرق وكان الملك صابور منتبها فلما عبرت النار إلى الشباك ورآها الملك كاد عقله أن يطير فزعا وقال جاء الأمر العظيم وظهرت الاشارات ثم أخذه الخوف والفزع فقال فى نفسه ماهذه نار بل هى أنوار ثم غطى رأسه تحت لحافه وأخفى حسه ثم لبد وإذا به سمع أبو محمد يقول أيها الملك صابور الذى هداه الملك الغفور لا تعتقد اعتقاد المشركين وأقرع باب رب العالمين وتشفع اليه بمحمد خاتم المرسلين فلعل أن يهديك إلى الصراط المستقيم وتحظى يوم القيامة فى الجنة بالنعيم المقيم ولا تقيم على دين الضلال فانه باطل ومحال ثم أن أبى محمد نزل بعد ماقلع ذلك من الشباك وعنق العامود ومثل ماطلع انحدر وصار على سطح القصر وقد أيقن بالنصر والظفر وأتى إلى شرافة الداوية التى فيها السلم وأصلح الكلاليب فى موضع آخر حتى لا يتعسر عليه فى إزالته ثم نزل أسرع من البرق وقلع السكك ثم أنه نتر إلى فوق حتى طلعت الكلاليب من أماكنها ووقعت اليه فالتقاها من الهوى وجمع الحبال ورجع إلى حاله حتى صار فى حجرته فلما صار فى داره سجد شكراً لله تعالى على ما أولاه من السلامة وقام بقية ليلته فهذا ماكان من أبى محمد (وأما ماكان) من الملك صابور فانه بقى يرتعد من تلك النار ومن الكلام الذى سمعه ولم ينام بقية ليلته بل

صار يبكى وهو خائف وفؤاده وقلبه راجف فلما أصبح الصباح فتح عليه الباب ثم أرخى السلم ونزل من الطارمة وجعل ينظر إلى حولها فلم يرى أنيسا ولا معين فقال فى نفسه لو كان الهاتف جاء من سطح القصر لكنت أشك فيه وهذا ما كان ظهوره إلا من صدر البحر من ذلك الشباك الحديد وما هذا إلا أمر سماوى ثم أنه نزل إلى مجلسه وجمع قومه وأحضر الحاجب قربا فدخل عليه أبى محمد وأظهر أنه بات مهموم فسأله الملك على حاله فقال أيها الملك هذا الأمر لايتحمل الغربا فاخلى لى المجلس فصرف الملك الغلمان وقال ايش رأيت، فقال أيها الملك اننى ما وثقت بما قلت لك ولا صليت خوفا من دين الاسلام أن أميل اليه فقال له الملك انك لقليل العقل والدين فأنا قد ظهرت لى الاشارات فوحق المسيح لولا منزلتك عندى لأخذت ما بين عينيك ياويلك أنا سمعت كلام أدهشنى وحق المسيح أن الحديث الذى قلت لى عليه صحيح وأريد منك الليلة نتفق على الصلاة والوضوء فقال له أبو محمد اعلم أيها الملك اننى تركت الوضوء والصلاة لأننى لحقنى ما يلحق الرجل من العزبة من دين الاسلام لأن صلاة الرجل والوضوء لا يكونان لمن عليه غسل فهو الذى منعنى من ذلك فضحك الملك من كلام أبو محمد وقال له أريد منك أن أزوجك ببنت من الخواص فقال له أبو محمد ذلك اليك فقال له الملك افعل هذه الليلة فقال أبو محمد نعم ثم رجع أبو محمد الى حجرته وربط الحبال التى للسلم وقوائم وكذلك الكلاب القائم جعل فيه خشبة يقف عليه برجله ثم جلس إلى الليل من بعدما وضب جميع أشغاله اللازمة لذلك فاستدعى به الملك إلى عنده وعاهده على الوضوء والصلاة ثم طلع الملك الى طارمته وقد مضى ثلث الليل فصلى الملك ما أمره به أبو محمد من الوضوء والصلاة فهذا ما جرى للملك (وأما ماكان) من أبو محمد فانه خرج على عادته ونصب السلم كما ذكرنا فى أول ليلة وصعد إلى السطح وتعلق فى القائمة التى تحت الطارمة الى أن وصل الى الرفراف وألقى الخشبة التى كانت قد أعدها فلما صارت عنده قام بماثل البحر والريح يدور أذياله ومكن الخشبة فى الكلاب من سواعد الشباك وصبر الى أن سمع غطيط الملك وعلم أن النوم قد غلب عليه فسمى باسم الله وطلع فى الحبال التى فى الخشبة كأنه الشمس وكان لبس ثياب خضر ووجهه وجه شيخ كبير وقد عمل حيلته ثم نفخ النار من الخرقة التى كانت معه فأضاءت الطارمة فكاد عقل الملك أن يطير من الفزع وجعل يبكى على الذى فاته من الإيمان فزعق عليه أبو محمد وقال أيها الملك الفاجر وعبد الملك القادر فاننى أنا المسيح عيسى بن مريم روح الله وكلمته خلقنى ورزقنى وللسماء رفعنى فكذبت على النصارى وظلمونى فيما أدعوه على واليه نسبونى وكذلك رغبة منهم

فى نعيم الدنيا الدنية وزاهد فى الآخرة الباقية ثم قال ياصابورعد الى الله من قريب وجدد الإسلام على يد هذا الرجل قربا فانه مسلم مؤمن ولكنه يكتم إيمانه فاياك ثم اياك أن تخالفه ولولا نجاسة قلبك لاراك الله محمداً صلى الله عليه وسلم ولكن عليك بالنقل من دين النصرانية والدخول فى الملة الحنيفية والملازمة فى طاعة رب البرية واعلم ان كل المصنوعات التى تراها فى دار الدنيا فانما ماخلقها الا واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ماكان من أبو محمد البطال (وأما ماكان) من حديث الملك صابور فانه غشى عليه لما رأى صورة المسيح فخرج من عداد الأحياء وصار من جملة الأموات ولو أرادت به امرأة سوء فى ذلك الوقت لوصلت اليه ولم يقدر يردها عن نفسه هذا وان الأمير أبو محمد البطال نزل وخلص الكلاليب الحديد وجمع الحبال وأسرع مهرولا وللنجاة طالبا وقد ستر عليه الملك القدير بتمام التقادير ثم نزل من السلم وهو من الابريسم وخلصه من الشراريف قال وإذا قد همت رياح عظيمة وزلازل وأمطار ولمع البرق هذا وقد أفاق الملك صابور والدمع يجول فى مقلته وصاح بالفراشين فطاعوا اليه وفى أيديهم الشمع بعد مارخاهم السلم الذى يصعد عليه وقالوا له ما الذى تريد أيها الملك أدام لك المسيح التأييد وعشت طول دهرك سعيد فقال على بالحاجب قربا فقالوا له سمعا وطاعة ثم سارت الخدم الى حجرة الحاجب قربا (قال) وكان الأمير أبو محمد البطال سبق الى الحجرة وغلق الباب عليه فلما أن وصلوا الخدم صاحوا يامولانا الحاجب فأجابهم ثم جعل يخيل لهم بالنور فصار تارة يخفيه وتارة يظهره فعندها تحيروا من ذلك وسبق كل واحد منهم الى الملك صابور وقالوا له أيها الملك نحن قد رأينا ذلك فقال الملك وقد طار فؤاده صح والله الامر ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأسلم (قال الراوى) هذا وقد حسن إسلامه من قبل أن يصل الامير أبو محمد البطال اليه ولما ان دخل الأمير أبو محمد البطال سلم وخدم وإذا بالملك قد صاح بالخدام والغلمان الخلوه فلم يبق أحد عنده ثم أقبل على الأمير أبو محمد البطال وجعل يقبل قدميه ويقول يا أخى لم كتمت عنا إيمانك فلما رآه الأمير أبو محمد البطال على ذلك قال قل مهما شئت فقال له أبو محمد على هذا الحال صدقت أيها الملك فقال له الملك صابور أمدد يدك فمد الأمير أبو محمد البطال يده فمسكها الملك صابور وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان دين الاسلام حق وما سواه باطل (قال) فلما جدد الملك اسلامه على يد الأمير أبو محمد البطال فرح به وأخذ أبو محمد يحادثه بحكايات الصالحين ويعظه ويقرأ عليه القرآن (قال الراوى) فلما سمع الملك صابور

ذلك وثب من وقته وساعته وقال له أيها السيد الذى من الله على بك وقد هدانى لدين الإسلام ببركتك فأى الأعمال أفضل فقال له الامير أبو محمد البطال أفضل الاعمال التوكل على الله والرضاء بقضاء الله والصبر على بلاء الله فهذه الثلاثة أفضل الاعمال والحمد والشكر لله رب العالمين واطعام الفقراء والمساكين وأفضل العمل العلم وأما الملوك فبا لعدل بالرعية والجهاد فى أعداء الله وحسن الطويه وإدخال الاعمال الصالحة المرضية هنا لك تدرك نفس الإنسان عواطف الربوبية (قال الراوى) فلما فرغ الامير أبو محمد البطال من كلامه زاد الملك إيمانا على إيمانه وبيانا فى دينه وقال ما بقى الا ان أعمل بواجب الايمان وقد اشتاق قلبى إلى المسلمين الذين هم عند الملك شعشعونا ولقد ختم الله لنا بالخير وكنا نلومه على إسلامه فيا طوبى له ولمن معه فقال الأمير أبو محمد البطال أيها الملك الكريم اعلم أن لى بهذا الملك الذى صبا للاسلام معرفة عظيمة من بلاد الاسلام ولو رآنى لأكرمنى غاية الاكرام فقال له الملك صابور وحق دين الاسلام لقد اشتقت اليهم وأشفقت عليهم ولاسيما فى هذه النوبة لاننى رأيتهم فى حصار عظيم وأما أنا فقد عولت على شىء أفعله فقال له أبو محمد وما الذى عولت عليه أيها الملك الكريم فقال له قد عولت أن أجدد العهد على جميع أهلى وأعرض عليهم الاسلام وكذلك قومى فمن أسلم منهم قبلته ولنفسى نزلته ومن أبى ضربته بسيفى ومن أطاعنى فهو فى أمان الله وأمانى وأريد أبدأ بأهلى فاذا وثقت منهم وأخذت العهد عليهم عدت إلى أهل البلد وأعلمتهم بما فرض الله عليهم فقال الأمير أبو محمد البطال هذا هو الصواب أعانك الله (قال الراوى) هذا وأن الملك دخل إلى أهله وأعرض عليهم الشهادة والإعتراف بأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فعند ذلك أسلموا وحسن اسلامهم ولم يخالفوه ثم انه استدعا بالحجاب والخواص وفعل معهم كذلك فمن اطاعه نجا ومن أبى ضرب عنقه فأسلم منهم فى ذاك اليوم خلق كثير وأسلم فى ذلك اليوم عشرون ألف من الروم كبيرا وصغيرا وارتفع التكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير فلما سمعهم الامير أبو محمد البطال كاد فؤاده أن يطير من الفرح وقال إلهى ما كان هذا بقوتى ولا بحولى وإنما كان هذا بكرمك يامولاى وياسيدى لك الحمد من قبل ومن بعد فما فرحة الأمير عبد الوهاب بهذا الفتح العظيم ثم أقبل أبو محمد على الملك وقال له أيها الملك رأيت رؤيا فقال له وما هى قال تركب غداة غد فى جميع عسكرك ممن آمن وتلحق عساكر المسلمين فقال له الملك صابور والله لقد كان هذا الأمر فى نفسى (قال الراوى) ثم أمر العساكر أن يأخذوا أهبتهم الى المسير الى نجدة المسلمين فأجابوه كلهم عن بكرة أبيهم وأمرهم

الملك أن يأخذوا الدقيق والسمن والعسل والسماط والحلاوة والقديد والأرز وغير ذلك ومن الخلع الفاخرة والآلات الباهرة ثم أنهم ساروا طالبين قلعة الملك عبد الله شعشعونا وكان الأمير عبد الوهاب فى تلك الساعة متفكر فى غيبة الأمير أبو محمد البطال وقد تكاثرت عليهم الاعداء من الروم وقد قل منهم الزاد وضاق صدر الأمير عبد الوهاب وعيل صبره وبقى مثل المرأة الثكلا أو الحبة على المقلا ويدعو الله سبحانه وتعالى ان يمن على الأميرة ذات الهمة بالعافية ثم قال والله لقد هدنى الآن وجعها واظن ان هوى هذه القلعة ما وافقها ولكن نصبر على قضاء الله وقدره فانه قريب الفرج (قال الراوى) فبينما الأمير عبد الوهاب فى ذلك الكلام وإذا بالاصباح قد علا والغبار قد نما وارتفع لعنان السما فعند ذلك بعث الأمير عبد الوهاب يكشف له الخبر ويطلعه على جلية الأثر ثم انه قال لا شك ان ان هذه نجدة للملكة زنانير فانا لله وانا اليه راجعون ثم ساءت منه الظنون فما كانت الا ساعة ورجع الذى ارسله الأمير يكشف له الخبر وهو ضاحك مستبشر وهو يقول ياامير البشارة فقال الأمير عبد الوهاب وذمة العرب الك ذلك واوفا فقال له يامولاى هذا الأمير ابو محمد البطال وقد اقبل من قلعة الملك صابور ابن الملك اقرون وقد اسلم على يديه ومعه اصحابه وجماعته ومعهم شىء كثير من الاقامات والعلوفات وهم معلنين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام كاد فؤاده أن يطير من الفرح وقام حافيا وسمعت الأميرة ذات الهمة ذلك فحمدت الله سبحانه وتعالى على ذلك ونزل الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وفتحوا باب الحصن وخرجت العساكر فلما رأت عساكر الروم إلى ذلك ثاروا من اماكنهم وركبت ايضا الملوك وقالوا لاشك ان المسلمين قد عزموا على كبستنا ثم صاحوا فى فى اصحابهم فركبوا خيولهم وأخذوا اهبتهم (قال الراوى) واما اصحاب الملك صابور فانهم وصلوا والأمير ابو محمد فى اوائلهم ووقعت العين على العين ونظر الأمير عبد الوهاب الى الرايات الاسلامية والملك صابور قد رفع صوته بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تقدم الأمير ابو محمد البطال الى الأمير عبد الوهاب وسلم عليه وقبله بين عينيه وقال له عليك باكرام هذا الملك الذى قد وصل اليك فلا تلد النساء مثله (قال) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام سار إلى لقائه وقد ترجل كل واحد منهم إلى صاحبه واعتنقه وبكا الأمير عبد الوهاب خشوعا وفرحا إذ هداهم الله الى الإسلام وبكا الملك صابور أيضا فرحا بالإيمان وبلقاء الأمير عبد الوهاب ثم أن

الملك صابور سأل عن ملوك الروم فقيل له أنهم إلى الآن مقيمين فعظم عليه وصاح فى عسكره بالحمله فقال له الأمير عبد الوهاب أمهل على اصحابك حتى ينزلوا ويستريحوا ويأخذوا الاهبة وفى غداة غد يكون القتال فقال الملك صابور وحق الملك الغفور لافعلت ذلك أبدا فأنا وأصحابى وهبنا أنفسنا لربنا فسأل ما أنعم علينا وعصيناه ثم أنه قد صاح الله أكبر الله أكبر وحمل طالب عسكر الروم وقد تعجب الأمير عبد الوهاب من حسن اسلامه وقوة أيمانه وقال مايسعنى أقعد عن الحملة ثم صاح الأمير عبد الوهاب يا آل كلاب يا آل كلاب وحمل عن يمين الملك صابور فنثر الرؤوس واختلس النفوس وحمل الفارس العبوس وقد زحفت أعداء الله وبين أيديهم الرهبان والقسوس ودارت عليهم طاحون الهلاك والبوس وسقوهم المسلمين من العلقم كؤوس وصـــار علم المشركين منكوس وقاتل الملك صابور فى عساكر الروم وطير الرؤس وتحيرت الروم من هذه النوبة وأمسى المساء واجتمع الملك دقيوسا بالملك بولص وكان ذو رأى وحشمة وكذلك بقية الملوك وقال لهم ياويلكم كيف كانت هذه النوبة الصعبة فوحق المسيح لولا أدركنا الليل بظلامه ماكان سلم منا أحد وهذا ابن أقرون اللعين أظن أن المسلمين وعدوه أن يزوجوه بالملكة زنانير وقد استعانوا به علينا فقال الملك بولص لا وحق المسيح أنا رأيته بعينى يقتل فى أصحابنا وهو يهلل ويكبر ويقول مقالة المسلمين كذلك أصحابه الآخرين وقد أنضافوا الى شعشعونا وولده وهذه نوبة لايجب أن نخفيها عن الملكة زنانير ونحثها على المجىء الينا وأما أن نرحل فى هذه الليلة وان يطلب كل واحد مناطريق فقد طال وحق المسيح مقامنا وبان الضعيف فينا فقال دقيوسا ما هذا صواب أن نمضى ونخلى المسلمين ونحن قد أضعفناهم بالقتال فقال الملك بواص الرأى أن نرسل الى الملكة زنانير ونعلمها بمجىء هذه العساكر وتردفنا بالاجناد والدساكر فقال الملك دقيوسا وكاننى فى خدمة أمرأة أن نرسل نطلب منها نجدة أوكاننى أخاف منها فقال الملك بولص اذ لم تفعل ذلك والا هلكت (قال الراوى) فعندها اغتاظ الملك دقيوسا وسحب السيف وأراد يبطش به فدخلوا الملوك بينهم فخلف الملك دقيوسا لارجع حارب ولا قاتل ثم انه أمر جماعته وجنده أن يقلعوا الخيام ثم صبر الى الليل وسار فعند ذلك تبعته الملوك فلما رأى الملك بولص الى ذلك لم يكن له بد من الرحيل هذا وقد أصبح الله تعالى بالصباح والعساكر قد تفرقت من تلك الأرض فلما رأى الأمير عبد الوهاب الى ذلك فرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد لاختلاف الكفرة المشركين فعند ذلك جمع الأمير عبد الوهاب الاحباب والاصحاب والملك الصابر واستشاروا كيف يعملوا

وكيف يجدوا لهم طلوع من تلك الأرض والبلاد فقال الملك الصابر أما ما ذكرت من الرواح فلا سبيل الى ذلك أن لم نهلك هؤلاء الاعداء الذين فى طريقنا والرأى عندى أن نمضى من ههنا الى القلعة التى لى فان هواها أصلح وماؤها أعذب لعل تجد الأميرة ذات الهمة العافية وبعد ذلك ما يكون إلاخيرا (قال) فاستصوبوا رأيه وعزموا على المسير الى قلعة الملك الصابر ثم انهم ساروا وأخذوا الأميرة ذات الهمة وساروا ذلك اليوم ولما أن كان ثانى يوم وصلوا الى قلعة الملك الصابر فدخلوا واطمأنوا وكانت الاميرة ذات الهمة توجهت الى العافيه (قال الراوى) فبينما هم فى ذات يوم من الايام جالسين اذ رأوا البحر وقد استدل بالمراكب ورأوا أسطول عظيم سائر طالب حصن الملكة زنانير وبينهم مركب عظيم يقال له نصف الدنيا فيه خمسة آلاف مقاتل والملك فى صدر المركب جالس فلما رأوا المسلمين ذلك حاروا ولم يعلموا من أين أتت تلك المراكب (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملعوُن عقبة لما أن أسلم على يد لؤلؤ غلام الامير أبو محمد البطال وانطلا عليه محاله وخلصه من القيد وأقام له الرواتب وعمل معه الواجب والملكة زنانير لاتعلم وكان ذلك من مكر الملعون عقبة لأنه قال للؤلؤ لاتعلم الملكة زنانير بحالى لان عقبة علم أن محاله لاينطلى عليها وعلمت أن ماله دين وقد أغضب رب العالمين (قال الراوى) هذا وان لؤلؤ قد اشتغل بالملكة زنانير فى هذه الايام كلها وأمن من الرقيب واغتنم الغفلة وصار يشرب معها ليلا ونهارا وينشدها الاشعار وزال عنه الهم والغرام بمشاهدة ذلك الوجه الجميل وقد غفل عن ذلك الشيخ الذليل فدبر الحيلة وكان سببا لورود هذه القبيلة وذلك انه خرج فى بعض الليالى من دار لؤلؤ التى هو فيها وكان لؤلؤ فى ذلك الوقت عند الملكة زنانير فى قصف وغرف ولسان حاله ينشد ويقول

وقدغاب عنا الهم حتى كاننا ٭ زمان لنا ماحبانا به عيد
وأنفس ما للمرء مالم يكن له ٭ اذاهم باللذات من دونها قيد

قال فلما رأى الملعون عقبة ماعنده أحد ولا عليه رقيب يخشاه خرج من الدار التى هو فيها وتم فى الازقة إلى أن بعد عن دار لؤلؤ فوقف لما يريده الله تبارك وتعالى على باب بعض حجاب الملكة زنانير ويسمع على الباب وكان ذلك الملعون أسمع من خالد فسمع الحاجب وهو يقول لامرأته بالرومى ويلك ياجنا أما ترين إلى هذه الملكة زنانير وما صنعت وكيف أوقعت الفتنة بين عباد المسيح وقد أخذت هذا المسلم إلى عندها وقد استقودتنا وقد تم لها ماتريد على رؤوسنا وهذه أشياء لانظير لها فوحق المسيح لو أن أحدا

يصل الخبر إلى الملك غضب المسيح لكنت أعلمه بذلك الخبر وأضمن له أننى أسلم اليه الحصن فقالت له زوجته حنا اسكت يافضولى فربما رجع كيدك فى نحرك أنظر ياهذا فى عاقبة أمرك فان لها وال من يجازيكم على ماتفعلوا من خير وشر فقال لها ويلك دعى عنك هذا الكلام فأنا أقول هذا القول على وجه العتب ولو أن لى من يطاوعنى على هذا الأمر لجعلته حقا قال هذا والملعون عقبة يسمع لأنه كان واقف على الباب والحاجب فى هذا الحديث مع زوجته فأيقن الملعون عقبة ببلوغ أمنيته وأن ينال الطلب ونجاح الأرب فعندها تقدم إلى الباب وطرقه طرقا خفيفا فسمعه الحاجب فقام إلى الباب ونادى بالرومى من الباب فقال له عقبة افتح أيها الحاجب العزيز فقد بعثنى اليك فى هذه الساعة السيد المسيح (قال الراوى) ياسادة ياكرام فسمع الحاجب كلام عقبة فلم ينكره وفتح الباب فرأى عقبة المرتاب فلم يتمالك عقله دون أن تراما على أقدامه يقبلها فقال له الملعون عقبة أيها الحاجب أدخل بنا إلى داخل المنزل فما هذا وقت وقوفنا هنا فدخلوا إلى الدار وغلقوا عليهم الباب وجلسوا يتحدثوا فقال له عقبة اعلم أيها الحاجب أن سبب مجيئى اليك أننى نمت البارحة فرأيت فى منامى السيد المسيح وقد أتانى وأيقظنى من منامى وعرفنى بك وقال لى ياحجتى قوم فقد أطعت لك القلوب كلها حتى قلب هذا المسلم غلام أبو محمد البطال وسخرته لك حتى أقام عشرة أيام فى خدمتك فقال له الحاجب وحق الحق المسيح صدقت ياأبونا لأننى رأيته من مدة عشر أيام وهو يومىء اليك ويأمر بخدمتك فقال له عقبة واعلم أنه لما أتانى المسيح قال لى امضى إلى عبد من عبيدى وهو حاجب الملكه زنانير يسمى شعياء وكان الملعون عقبة عرف اسم الحاجب واننى غضبان على هذه العاهرة زنانير وليس لى فى خدمتها حاجة وسوف أرسل رسولا إلى الملك غضب المسيح وأعرفه بهذه القضية وبالاسراع إلى أخذ هذه العاهرة وأخذ القلعة ويخربها وقد جعلت رسولى إلى غضب المسيح الحاجب شعياء فتروح اليه وتقول له العجل من غير توانى ولا مهل بل تأتى إلى تلك الفاجرة زنانير فاننى أملكك قلعتها وتحتوى على ناصيتها ولا يبقى لك عدو على وجه الأرض ثم قال الملعون عقبة ياشعيا المسيح يقرئك السلام ويقول لك على لسانى فى المنام أريد أن تمضى مع هديتى إلى الملك غضب المسيح وتقول له لا تتوانا فيما قد نبه اليه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الحاجب شعيا ذلك الكلام ازداد مخافة من المسيح وفرح كيف جعله المسيح أهلا لرسالته ثم أنه قال من مثلى وقد جعلنى المسيح فى مقام الحواريين ونظر إلى نفسه بعين العجب وغفل عن مصائب المكر والخديعة فقال له شعيا ياهدية عيسى فما الذى تأمرنى أن أفعل فقال له الملعون عقبة ياحاجب شعيا

أخبرنى عن هذا الملك الذى يقال له غضب المسيح فقال له الحاجم اعلم أيها الشيخ أنه جبار عظيم ما يكون من الهيكل والجسم وله كل يوم فرس يأكلها بكرة وعشية ويشرب عشرة أرطال من الخمر ويلتقى للاسد ليقبضه بالكف وهو بلاء نازل وأيضا سخط واقع وغضب قاتل وكل هذه القلاع فى غفارته وأمانه لأنه لهم أعداء كثير يصلون اليهم فى البحر الكبير الذى من وراء البحيرة وهو فى عالم عظيم لايحصى وانهم أربع قبائل مثل يأجوج ومأجوج لايفهم لهم كلام وهم أيضا فى عالم عظيم وفى كل عام يغزوا الملك غضب المسيح ويخرجوا إلى قلعته وهى على جبل أملس محيط بالبحر الكبير طالع فى الماء ألف ذراع وهو دائر ببحيرة الفلك فقال عقبة أيها الحاجب وإذا مضيت أنا وأنت اليه تقول له هذا هدية عيسى إلى أهل النصرانية وقد بعثته الملكة زنانير إلى غضب المسيح يقضى لها حاجة وإذا دخلت اليه تكون أنت لى على قدم الطاعة وسوف تنظر ماأفعل فى حقك من الأعمال وآخذ لك عند الملك التقدمة الحسنة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعندها أتى الحاجب إلى الساحل وقصد بعض تلك المراكب فوجد الملاحين نيام فزعق فيهم فثاروا من المنام فلما رأوه عرفوه فقبلوا الأرض بين يديه لما يعلموا من تقدمته عند الملكة زنانير فقالوا له أيها الحاجب ماالذى تريد فقال لهم الملكة زنانير تريد المقدم عليكم فقالوا له هذا المشار اليه فينا وهو أعرف الخلق بالبحار والركوب فيها فقال له الحاجب اعلم أن الملكة تريد تشرفك بخلعة سنية وترسلك أيضا فى أمر مهم وإذا رجعت سالم برسالتها أنعمت عليك وقد أرسلت الخلعة صحبتى ثم انه أخرج له ثوبا فلما رآه الريس فرح به فقال أيها السيد وما هى الرسالة فقال اعلم أن الملكة أرسلت هدية عيسى الى غضب المسيح فى رسالة فاذا وصل اليك أخدمه وان سألك عن حاله أحد فلا ترد عليه جواب ولا تكلمه فقال له الريس حبا وكرامة فعندها رجع الحاجب الى الملعون عقبة وأخبره بذلك ففرح وقال فى نفسه هذا هو المقصود ثم قام وأتى للبحر وصعد الى الحراقة وكذا الحاجب شعيا على حاله أوصى الريس فقال له يامولاى حبا وكرامة ثم انه أخرج المركب إلى لجة البحر وطاب له الريح وسار تلك الليلة الى أن أصبح الله بالصباح وما تضاحا عليهم النهار إلا وقد أشرف على قلعة الملك غضب المسيح وقد أمنوا من كل عدو (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما نظروهم نزلوا اليهم وقالوا لهم من أين أقبلتم وإلى أين أنتم سائرين فعندها قال الريس ياويلكم هذا هدية عيسى أرسله المسيح اليكم وهو الذى تفتخر به الأقاليم فسارعوا إلى الملك اعلموه بحضوره حتى تكون لكم عنده اليد البيضاء (قال الراوى) ياسادة يا كرام فمضوا الى الملك وقالوا له أن شيخا يقال له هدية المسيح

وصل اليك قال وكان ذلك الملك يحب المشايخ الكبار فعند ذلك أمر الملك أهل دولته وكبراء مملكته وولده وكان اسمه سمندرون وكان له حكيم يقال ماريتون أحيل من الأمير أبو محمد البطال وأخبث من شومدرس وعقبة الغدار قال ولما خرجوا إليه خرج الحكيم ماريتون معهم فالتقوه أحسن ملتقا وأكرموه وكان عقبة يظهر الوقار والحشمة ولا يتكلم إذا سأله إنسان ولا يلتفت اليهم فتعجبت منه القسافسة والرهبان ولم يزالوا سائرين قدامه حتى دخل على الملك فلما وقعت عينه عليه رفع صوته بقراءة الإنجيل وأسبل دمعه المسكوب وقال أيها الملك إرحم شيخا كبير غريب قاسا المحن والتعذيب فقال له الملك أيها الشيخ الجليل ابشر بالكرامة والتبجيل واعلمنا من هو الذى اعتدى عليك حتى آخذ روحه من بين جنبيه فقال له أيها الملك أنا هدية عيسى إليك أبشرك بملك الأرض وأنشر علم المسيح عليك فاذا أذنت لى أيها الملك اجمع العلماء الذين عندك واسألهم عن العلم وان كنت تكره ذلك فاذن لى بالرجوع فى هذه الساعة لغيرك ثم سكت ذلك الملعون وقد تحير الملك من فصاحته وكلامه ثم قال أيها الشيخ كلهم بين يديك فاسألهم عما تريد فما منهم الامن ادعا أنه أعلم أهل زمانه فمن كان فيهم أهلا للتقدمة قدمه ومن كان جاهلا فأمرنى بحلق لحيته قال فلما سمع الحكيم ماريتون انتفض وأيقن بالصفع وقال فى نفسه ترى من أى لعنة أتانا هذا الشيخ السوء فلا ستر المسيح عليه فما أيشم طلعته علينا وحق المسيح مانعرف أنه يتكلم بهذا إلا القاضى عقبة صاحب الملك منويل وهو أعلم من كل من على وجه الأرض وأحيل أهل زمانه واننى قد فزعت وارتعبت منه ثم قال له الملك أيها الهدية النفيسة تكلم بما قرأته من الإنجيل أولا فقال عقبة ان شئت قرأت لكم غير هذا فقال الملك اقرأ لنا شيئا من الإنجيل نسمعه منك وكان الملك طرب من حسن صوته قال فزعق عقبة بصوته وقرأ شيئا من وسط الإنجيل كثير التخويف وبين التحريم والتحليل فأبكى جميع من حضر وداموا إليه بالنظر ثم أقبل على العلماء وقال اخبرونى عن تفسير هذه الكلمات كلها فاذا أنتم فسرتوها رجعنا إلى سؤال الاديان بين جميع العباد قال فسكتوا كلهم ولم يجيب أحد منهم بجواب فعند ذلك حرك الملعون عقبة رأسه وقال له أيها الملك تعفيهم عن التفسير وأنا أعلم ان سائر العلماء يرجعون إلى وأيضاً يتعلمون منى ولكن أخبرونى عن بدء الزمان وخلق الإنسان ومنازل الانبياء ومن رفع إلى السماء ومن معجزات السيد المسيح ولم بشر بنبى العرب وعن مقالة السيدة مريم القديسة الطاهرة النفيسة وعن الآيات التى ظهرت فى أيام الولادة وما السر فى ماء المعمودية (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم قال عقبة أجيبونى بالأجوبة

الصادقة المرضية ولا يجيبني أحدا منكم بما قالت العوام بل أريد منكم مقالات شافية وأجوبة كافية وما الذى أراد حنا المعمدان وما الذى قاله الاسقف من الكلام وأيضا أخبرونى عن زكريا هل أكل من السيدة مريم طعاما من السماء أم لافان كان أكل عرف فقد قالت المسلمين فى كتابهم وكفلها زكريا فان زكريا عجز عن إطعامها فلا يجوز أن يكون كاذلاوان كان أكل من رزقها من السماء فهل أكل بأمر المسيح أم لا وهل يعود السيد المسيح فى آخر الزمان أم لا ثم انه شرع فى تفسير الكلمات التى قالها من الإنجيل (قال الراوى) ياسادة ياكرام لخير عقل كل من حضر وقام الملك وقعد وأمر ولده سمندرون أن يأتى له بخلعة سنية فأخرج له خلعة سنية تسوى عشرة آلاف دينار وهى محبوكة باللؤلؤ والجوهر وكانت للملك غضب المسيح لأنه كان أخذها من بعض ملوك الكرج فلما رآها الملعون عقبة اندهش وحار وقامت قيامته وتفتحت عينه الصحيحة وشكر الملك على ذلك وقال أيها الملك الجزاء يكون لك من السيد المسيح ثم أقبل على العلماء وقال لهم أخبرونى عن كل ماسألتكم فأشاروا إليه بالأصابع أن يعفيهم عن طلب ذلك فعلم أنهم قد ذلوا له فرد عنهم مرارة شنعه بحيث عرفها الملك فسقطوا الكل من عينه وأنزلهم من منازلهم وأمر عقبة أن يفسر لهم جميع ما تقدم ذكره فاجابه عقبة بأحسن عبارة وأقام على ذلك الدلالة والعلامة مما أعجز به وحير المتعلمون وكذب جميع ما قال وجاء بالزور والمحال فتبارك الله رب العالمين يمهل ولايهمل عليه حاكم ولا يحكم عليه أحد وله فى كل شىء رضا وتدبير وهو على كل شىء قدير وقد قال بعضهم هذه الأبيات

فواعجبا كيف يعصى الإله   أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شىء له آية   تدل على أنه واحد

(قال الراوى) هذا وعقبة قام من موضعه من غير أذن الملك وخرج فتعجبوا من فعاله وقد علم الملك أنه لايكون فوق أمره أمر فقال لأصحابه الآن يجرى على عادته لأجل عمله وعبادته ثم أنه أمر له بدار حسنه بجانب داره وأقام له الخدام والجوار وصار الملك أى شىء أكل منه يبعث منه اليه وما رجع الملك يسأل عن عالم غيره وفزعوا كلهم منه فاجتمعوا على الروم كلهم دخلوا على عقبة سرا وانطرحوا على أقدامه يقبلوها وقد أظهروا له الخداع فعند ذلك أوعدهم بانصلاح حالهم عند الملك وخرجوا من عنده وتخلف عنده الحكيم ماريتون وأخبره بمنزلته عند الملك وأنه ما يدل بعلم ولا بشجاعة بل يفتخر بالمكر والحيل والسرقة والخديعة ثم قال لعقبة ياأبونا لم تكن فى اليوم الفلانى فى السنة الفلانية عند الملك منويل فى القسطنطونية بعلامة كذا وكذا فقال عقبة نعم وحق

المسيح فاذا أنت منا ومعرفتنا ثم أنهم تعانقوا وقد انجذب ستر الله عنهما فلا غفر الله لهما ولا رعاهما (قال الراوى) ثم جعل عقبة يحدثه بحديث الملكة زنانير وحديث لؤلؤ ودخول المسلمين إلى البحيرة وأنهم حماة عساكر المسلمين والمشار اليهم بين الأنام قال فلما سمع الملعون ما ريتون ذكر المسلمين من عقبة قامت عليه القيامة وفزع من دخولهم البحيرة وقال هذا شيء ما سمعناه إلا فى هذه الساعة ولا عرف الملك بذلك ولا يمكننا أن نكتم عنه هذا الأمر لأنه إذا سمع هذا ربما خرج بنفسه اليهم فوحق المسيح لاسلم منهم أحد إلى ديار المسلمين ثم قام ما ريتون من وقته وساعته ودخل على الملك غضب المسيح وأخبره بما قال عقبة فلما سمع ذلك عظم عليه وكبر لديه وأمر الغلمان باحضار عقبة فلما حضر سأله عن القصة فاخبره بدخول المسلمين إلى البحيرة وأن ذلك من تدبير العيار المحتال أبو محمد البطال ثم أخبر الملك بخبر زنانير وأنها تعشق مملوكا اسمه لؤلؤ من مماليك أبو محمد البطال وأنه عندها مقيم فى قلعتها وأن المسيح غار من ذلك فارسلنى اليك (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك قامت عليه القيامة وكان أبغض ما اليه النساء وغضب من ذلك وقال أيها الهدية لقد تجبرت هذه المعونة وتجرأت على أمر عظيم وقد زاد حمقى على هذه الفاجرة فوحق المسيح لأجعلنه أشر الزمان عليها ثم أن الملك أمر أن ترما المراكب إلى البحر وكان للملك ألف مركب مما يلى البحر خمسمائة مركب ومما يلى البر خمسمائة مركب آخر فنقلها الرجال فى الحال أسرع من البرق وساروا بها إلى المضيق الذى بين الجبلين وانزلوها إلى الماء وكان يوم عظيم وبات الملك تلك الليلة وقد زاد فى عساكره وأقسم بالمسيح من قدر على حمل السلاح وتخلف لاحرقنه بالنار (قال الراوى) فلم يتخلف أحد لما يعلموا من تجبره ولعنته وكان جملة من خرج فى ذلك اليوم خمسين ألف وكلهم جنس واحد كأنهم الشياطين وكانت الخيل عندهم قليلة ثم أخرج من الأموال والخيام والسلاح ما ضعفت المراكب عن حمله وأخذ معه الرهبان والحكيم ماريتون وعقبة الملعون وترك فى بلده ولده سمندرون وأوصاه بباب البحيرة ثم صار فى تلك المراكب إلى أن اشرف على قلعة الملك الصابر الذى اسلم على يد الأمير أبو محمد البطال ثم جمع الأمراء وبعث من يكشف الخبر فى حراقه كما ذكرنا فلما ان عادوا اخبروا الملك الصابر بالملك غضب المسيح (قال الراوى) ولم تزل سائره إلى أن وصلوا إلى قلعة زنانير فاشرفوا على الحصن على البحيرة وأبصروا تلك المراكب كأنها السلاهب فسألت زنانير عن ذلك فقيل لها ايتها الملكة وحق المسيح ما نعلم هذا فعند ذلك ارسلت من يكشف الخبر عن جليته فنزلت جماعة من الخواص والحجاب إلى لقاء تلك المراكب حتى

يكشف هذا الخبر فلما وصلوا اليه راوا الهول العظيم وقد سألوا بعض الروم عن القصة فلم يجبهم احد خوفا من سطوة الملك غضب المسيح بل انهم راوهم اصحاب الملك حملوا عليهم فقتلوا منهم ثلاثة ورجعوا الباقى إلى زنانير وعرفوها بما جرى على اصحابها وان الأمر عظيم والخطر جسيم (قال الراوى) فتحيرت زنانير من هذه النوبة التى لم تكن لها فى حساب ولا عندها منها خبر ولا تعلم من ابن دهيت ثم انها صاحت فى اصحابها ونادى المنادى من تخلف عن الملكة زنانير حل به غضبها فلم يجسر احد ان يتخلف عن الملكة زنانير ثم انها لبست لامة حربها وكان لها حجرة اسبق من حجرة الامير جندية فاستوت الملكة زنانير على ظهرها وقد تحيرت الناس من خفتها وفى يدها حسام مشتهر فأخذ بالبصر ثم قصدت الى مينا البحيرة لئلا تملك عليها فتظهر عليها الاعداء (قال الروى) هذا وان المراكب أقبلت وهى مزينة بالرجال وعلى صدرها الجواشن والدروع وفى مقادم المراكب الاعلام والصلبان والملك غضب المسيح فى مركب عظيم كانها اقليم لانه يسع خمسة آلاف فارس وكان سبع طبقات وعلى رأسه صليب من الذهب الأحمر وفى صدره مرآة من الجوهر وهى مشدودة بحبال الابريسم الى أطراف المركب وقد اعتدوا بالآلات النفط والسلاح وفيه سرير من الصندل مغشى بالذهب الأحمر عليه مطارح من الاطلس القسطنطينى والملك جالس وعقبه اللعين بين يديه وأكابر العلماء والاقاسسة ينظرون اليه والبطارقة فى خدمته والشعر يلوح من جبهته وهو كانه الاسكندر فى دست سعادته والبترك الكبير أشار اليه بالانجيل وتلاوته (قال الراوى) فلما نظرت الملكة زنانير إلى تلك الهيبة الزائدة والمركب الواردة وترادف البطارقة وصيحات العمالقة وكثرة الضجيج فكانه البحر ساعة يهيج وهم قد قربوا من الخليج ولمحت مرايا الفولاذ فاخذت بالأبصار وحيرت النظار وحصل فى قلب زنانير من ذلك هم كثير وقالت ماذا يكون التدبير واصطفت الصفوف على جانب البحر وعليهم الحديد والزرد النضيد وعمروا ايضا المراكب بالرجال واشارت اليهم القتــــال وقد عملت فيهم السهام وحام عليهم حايم الحمام ونادت زنانير فى اصحابها وقالت ويلكم لاتدعوهم يصلوا إلى الساحل وامر الملكة زنانير ان تجمع العوام من البلد ويجروا حبال المنجنيقات ويعبوا الفرادات وكثرت الآفات ونزلت عليهم البليات وأرميت المراسى وأجتمعت المراكب إلى بعضها البعض وكانت ساعة يشيب فيها الصغير ويحير من هولها الكبير وأرملت النساء وكثرت القتلاء وولى النهار وأقبلت غياهب الإعتكار وأضرمت النيران وتحارس الفريقان واجتمع الملك غضب المسيح بقومه وقد تحير من الملكة زنانير وما فعلت

ذلك اليوم وانها لم ترمى سهم إلا وتصيب وتهلك الناس بما فعلت لأنها كانت ارمى أهل زمانها فعند ذلك عقبة للملك غضب المسيح أيها الملك الكريم أعلم أنها من معرفتها ملكت الخليج حتى لا يكون لنا إلى الساحل طريق ومن أساء لايستوحش ولا بد أن يكون هلاكها على يدك فقال الملك يا أبونا طب نفسا وقر عينا فغدا ترى مما أفعل بها ولا جعلتها عبرة لمن اعتبر (قال الراوى) هذا ما جرى للملك غضب المسيح وعقبة (وأما ماكان) من الملكة زنانير فانها لما انفصل القتال رجعت إلى حصنها وأمرت الرجال أن يبيتوا على الساحل وأمرت البطارقة فأخرجوا الشموع والمشاعل وأتت لهم بالشراب والطعام ولم يغلق باب الحصن فى تلك الليلة الاترتب الناس وتخرج المنجنيقات والفرادات وغيرها مثل قسى الزيادات والجروح وزينت القلعة بالكبورة والجواشن والدروع فتحيروا أصحابها مما رأوا منها ومن همتها وعزيمتها وقويت قلوبهم مما عندهم من العدد وعبت الرجال صفوفا على ساحل البحر كأنها سد من حديد وعمرت ألف مركب من الكبار والصغار والحراقات وألبست البحرية والملاحين الدروع والكبورة وجعلت برسم النفط والنار عشرة حراقات وجعلت فيها كبار الروم من طباخين النفط وصناعة احراق المراكب والمعروفين بالهجوم على القتال فى المراكب وأمرت الرجال فنصبوا المنجنيقات على ساحل البحيرة ونقلت اليهم الأحجار وشدوا الحبال ولم يأخذها تلك الليلة نوم وكان ذلك كله بتدبير لؤلؤ ومشورته (قال الراوى) وكان لؤلؤ قد رجع تلك الليلة التى هرب فيها عقبة من عند الملكة زنانير وطلبه فى الدار فلم يجده فعند ذلك قامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامة وندم على تركه لعقبة غاية الندامة وعلم أنه كان كاذبا فى جميع ماادعاه ثم أن لؤلؤ رجع من ساعته إلى عند الملكة زنانير وأخبرها بأن الملعون قد انهزم من عنده فعظم عليها وكبر لديها وأمرت المنادى أن ينادى فى الحصن والربض فلم يطلعوا له على أثر ولم يظن أحد أنه يركب البحر وصدقت زنانير كل ماقاله لؤلؤ والحكيم اقليدس عن عقبة أنه صحيح وأخبرت الملكة أن عقبة مع الملك الواصل وأنهم رأوه عنده فى أحسن هيئة وأحسن زينه فلما سمعت زنانير ذلك تحيرت وقالت وحق المسيح ماهذه النوبة إلا منه وما حرض هؤلاء القوم علينا إلا هو ولقد أخطأت يالؤلؤ باطلاقه وخلاص القيد من رجلية فقال لها لؤلؤ أيتها الملكة الكريمة لقد رأيت منه ومن مكره وخدعه مالم أراه من أحد سواه فانالله وانا اليه راجعون والآن قد وصل مع هذا الملك ولا عملن أيتها الملكة عما تتحدث به الناس إلى يوم القيامة فتكونى على ما أنت عليه (قال الراوى) فطاب قلبها بكلامه وأمرها بالاحتفاط وحفظ الشاطىء واظهار ماتقدم ذكره من العدد وغيرها

وكان فى مشورته الصلاح فلما اصبح الصباح ارتفع الضجيج والصياح وتقدمت المراكب كأنها الطيور بلاجناح وتضاعف من الفائتين الهميم والصراخ وأثخنوا الناس بالجراح وفتكت الزراقين بالنفط وأحرقوا مراكب كثيرة بجميع ما فيها من الروم وأصحاب غضب المسيح وتكاثرت مراكبه على على مراكب الملكة زنانير فولت الادبار وعمل فيهم الصارم البتار فاستندوا الى الساحل وقد ضايقوهم بكثرتهم وطلعوا من المراكب الى شاطىء البحيرة ولم يبق فى المراكب من أصحاب زنانير أحد وأما أصحاب الملك فانهم ماقدروا على الدنو من الساحل لكثرة الرجال والعدد فعند ذلك أقبل لؤلؤ على الملكة زنانير وقال لها أيتها السيدة الكريمة لايروعك هذا الأمير من انهزام أصحابنا الى البر لأنه أمكن لنا وأصلح بما نكون معهم فى البحر لانهم أظهر منا بكثرة مراكبهم فاذا صدقنا نحن الهزيمة أحرمناهم أن يطلعوا على وجه البر واذا قاموا فى المساء كنا أظهر منهم فقالت وحق المسيح لو انهم معى على وجه الارض لكان أحب الى وكنت التى هذا الملعون المشار اليه بغضب المسيح وأريح النصرانية منه ومن شره ومن غضبه فقال لها لؤلؤ أيتها الملكة فما رأيت ولا حدثت باعظم من هيكله ولا صورته وقد عولت انى أدخل عليه فى بعض الصور التى حفظتها من أستاذى أبو محمد البطال وهى صورة ما عرفها أحد ولعلى أبلغ من هذا العدو أربا فقالت الملكة زنانير يا لؤلؤ هب انك خبيت عليهم فمن أين لك الوصول اليهم فقال لؤلؤ سوف ترين العجب منى اذا صرت بينهم مختفيا (قال الراوى) فهذا جرى بين لؤلؤ وبين الملكة زنانير (وأما ماكان) من الملك غضب المسيح فانه خلا باقى ليلته بأصحابه وقال لهم قدر رأيتم اليوم مالقيتم من هؤلاء الأعداء من النار والنفط والقتال الصادق حتى تمكنوا بشدة حربهم وقد غلبوا وطلعوا الى البر وما بقى فى غد الامضايقتهم والطلوع اليهم وبعد ذلك نصير معهم على البر وأقتحم الاهوال بنفسى وترون ما أفعل فلم يبق أحد من البطارقة إلا وقبل الأرض بين يديه ودعا له بالمعونة ثم قال له عقبة أيها الملك الكريم وهل هى الا امرأة ذات ضلع أعوج وعقل أهوج ولقد كانت الى الزواج أحوج من مقاومة الملوك والصولة على كل غنى وصعلوك فقال له الملك طب نفسا وقر عينا فان برزت معها فى الأرض واحدة سوف تبصر هذه الملاحدة ثم تقدم إلى الملك وساروه ثم قال عزمت على أمر يكون فيه الصلاح وهو أهون الأمور وان شئت فتحت الحصن بلا تعب فقال الملك ياماريتون إذا أنت فعلت ذلك كان لك عندى اليد البيضاء وأنى خائف من المسيح أن يعجل علينا بما فعلت هذه الملعونة فقال له الحكيم ماريتون إذا أنت أردت ذلك ابعثنى اليها رسول أبلغ منها الغرض

والسول وأخدع لها فى الرسالة وأتجمل لها فى المقالة وأدبر الحيلة على قلع الحصن من يدها وأطيل بذلك أسفها ولهفها وأعمل أيضا على تلاف هذا المسلم الذى عندها لأننى سمعت عنه أنه صاحب مكر وحيل ودهاء فقال له اصبر أيها الحكيم حتى نستخبر هدية عيسى وننظر ماذا يأمر به فقال له الأمر إليك أيها الملك ثم اطلعوا عقبة على ماعزم عليه الحكيم ماريتون فقال له عقبة ليس هذا صواب وربما انخرقت هيبة الملك بكونه يبعث إلى امرأة لان عندها عيار المسلمين وهو غلام أبو محمد البطال وقد حصل فى قلبه من الملكة زنانير هوى وعشق وبعد هذا انى خائف أن يكون قد صار معنا فى هذه المراكب ويدبر الحيلة علينا ويوصل الاذية الينا فانه أحيل من على وجه الارض فخذوا حذركم منه واستيقظوا لانفسكم من مكيدته فقال ماريتون وبلغ من قدر أبو محمد البطال أن يكون له غلام بمثل هذه الصفة فقال له عقبة نعم فقال ماريتون وحق المسيح انى كلما رأيتك أخاف على نفسى منك بأن تكون غلام أبو محمد البطال فلما سمع الملك ذلك صلب على وجهه وخاف على نفسه وقال كيف العمل ياهدية عيسى فقال عقبة أيها الملك ما دمت انا عندكم أقول أنه يخاف منى ولايجسر أن يتقرب من مكان أكون فيه ولكن عندى رأى وفيه المصلحة فقال له الملك وماهو رأيك فقال له أيها الملك أرى أن من الرأى المضاجرة لهؤلاء القوم والمطاولة من يوم إلى يوم وتبعث مائة مركب فيها عشرة آلاف بطريق يكونوا شجعان شداد أجلاد فى البحيرة على الأرض الصافية وهى بين قلعة الملك صلبوتا وقلعة الملك شعشعونا الذى أسلم وتطلعون هناك بالخيل وتركبونها وتسيرون مع البحر إلى قلعة الملك صلبوتا ونداوم نحن القتال على هؤلاء القوم الأعداء إلى أن يصلوا الينا ويرتفع الصياح وتملكون الميدان الأخضر حتى نستريح من هذا العسكر الذى فى الساحل ولا يبقى علينا بعد ذلك تعب ولا نصب فانى قد تلمحت فيك السعادة وآنانى علمى بأنك تملك فى هذه السنة بلد القسطنطونية لأنك أحق بها ممن لا يقدر أن يدفع عنه خصمه وقد ارتفع اسمه فقال له الملك وحق المسيح هذا هو الصواب ولقد أتيت بفصيح الخطاب وما يفعل هذا الأمر إلا أنا بنفسى فقد قتلنى الغيظ بكونى فى هذه المراكب على وجه الماء ولا أقدر على بلوغ الغرض من الأعداء

﴿ تم الجزء السادس والعشرون ويليه الجزء السابع والعشرون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السابع والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
باخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وأن الملك صاح فى وجوه قومه وأكابر مملكته فانضمت اليه المراكب من كل جانب وهى ألف مركب فانتخب منها ماتتى مركب كثيرة السلاح والخيل وركب فيها وأمر على بقية الملوك التى فى المراكب بطريق بغداد مخدعونا كثير الآفات كأنه شيطان فى صورة إنسان ثم قال له الملك أرى تضايق هؤلاء القوم وتكون فى المركب الكبير الذى كنت أنا فيه ويكون البترك بين يديك وهدية عيسى وتحرضون الناس على القتال وتعوذوهم من المسيح ببلوغ الآمال وإذا كان وسط النهار وسمعتم الضجة فاعلموا إنى صرت معهم أرض فى واحدة فاذا وصلوا إلى فاطلعوا أنتم من المراكب واقصدوا إلى باب الحصن فأملكوه ومن انهزم اليكم فاقتلوه ثم تركهم وسار (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم تخف هذه النوبة على الملكة زنانير لأن الأعداء ما ناموا فى تلك الليلة من كثرة الأصوات وترتيب الآلات وفرقت العدد من قلعتها على وجوههم من البطارقة الكبار الذين رباهم الملك صلبوتا ثم وعدتهم وطيبت قلوبهم قالت لهم اعلموا أننى قد ثبت عندى أن القوم قد انقسموا علينا قسمين قسم من البر وقسم من البحر وعند الصباح يقدمون علينا ونكون نحن مشتغلين بهؤلاء القوم الذين فى البحر فيدهمونا القوم فى البر فربما ظهروا علينا ومافى الرأى إلا أننا نجتمع تحت الحصن ونحترز لأنفسنا ولا نبالى ان صعدوا هؤلاء من المراكب أم لا فان كانت علينا التجأنا الى هذا الحصن المنيع ولا نبالى بالجميع وان كانت لنا فقد زال عنا وعنكم العنا وأبعث الى الملوك وأحثهم على الاسراع الى والقدوم على وأوعدهم بكل جميل وأرجو

من السيد المسيح أنه يرد عنى هذا العدو فما رأيت أقوى من شوكتهم ولا أحمى من جمرتهم ولا أشد من قتالهم ولا أنفذ من سهامهم ولا أصيب من نبالهم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلم يبق أحد إلا وقبل يديها ودعا لها وللحكيم اقليدس بعدها وطلبت لؤلؤ بعد ذلك فما وجدته فضاق صدر الملكة زنانير وتكدر عيشها فقال لها الحكيم اقليدس أيها الملكة أنا رأيته وقد خرج فى صورة مارأيت قط أحسن منها وأرجو من السيد المسيح أن يظفره بما يهوى ولا يشغل لك قلبا فلا تظهرى خوفا فما فعل ذلك إلا فى مرضاتك ليتقرب به اليك فقالت له الملكة وحق المسيح إننى خائفة عليه وما كانت غيبته منى بالرضا فقال لها أيتها الملكة اعرضى عن هذا وانظرى فى المهمات فكأنك بالعدو وقد ضايقونا (قال الراوى) فلما أصبح الصباح على القوم نظر أصحاب المراكب وإذا بالملكة زنانير وأصحابها قد تأخروا عن المينا وقربوا من القلعة فقال لهم عقبة ما أظن الأعداء إلا قد علموا بما دبر الملك فاطلعوا بنا اليهم فعندها طلعت الفرسان ودنا الجمعان واختلط الفريقان ونفدت السهام فى الوجوه والأجسام واختلط اللئام باللئام ودار بينهما كاس الحمام وعجل الله على الجميع بالانتقام والحتف والحمام وكثر الكلام وقد تعالى النهار وارتفع الغبار ووصلت عساكر غضب المسيح كأنها الليوث الكواسر وهو فى أوائلهم كأنه الأسد المغاور واسع المناخر عريض الأكتاف كبير الرأس تام الخلقة وهو على جواد هائل من الخيل شديد الحيل أشهر اللون مليح الكون وهو راكب عليه كأنه البرج المشيد وهو فى سرجه كأنه فرعون وقته وفى يده عامود حديد وهو لايلوى على أحد ولا يكترث بعدد ولا يخاف من العدو بل قد هجم كأنه الأسد وخلفه عشرة آلاف بطل وكل من معه قد حمل فرجعت عساكر الملكة زنانير إلى الجبل وقد كثر بهم الخبال والفشل وارتفع عليهم الصياح وعلا وزال الشك والخلا وكانت الرجال قد طلعت من المراكب والتقت الجيوش ببعضها بعض وارتجت بهم الأرض وهجم اللعين على الرجال وارمل النساء والعيال وكان إذا ضرب الفارس طحنه وطحن فرسه فانكشفت البطارقة من بين يديه وتعوذوا بالمسيح من شره وتقدموا الى الملكة زنانير وأقسموا عليها بمريم والإنجيل المعظم بأن لاتقربى الى بين يديه ولا تقدمى عليه وهى تأتى الى الحملة عليه فعند ذلك انطرح الحكيم اقليدس عليها وقال أيتها الملكة الكريمة بحتى عليكى لاتقربى هذا الملعون اللعين الجبار المهين ولعل المسيح يدفع شره عنا وينصرنا عليه من غير أن تخرجى اليه فانه بطل لاكالأبطال وشجاع لا كالشجعان وما كأنه من البشر وعليكى بالتأنى فى الأمور والمطاولة واو طلعنا

إلى الحصن وحامينا عن أنفسنا إلى أن تقدم علينا العساكر من كل مكان كان أصوب لنا فقالت له الملكة أما طلوعنا إلى الحصن فهو قريب اذا أردنا ذلك وأما قدوم الملوك فانى قد وصل إلى الخبر بأن الخلاف قد وقع بينهم وتفرق شملهم وأن المسلمين فى قلعة شعشعونا يدبرون فى السعى الينا والحضور إلى قتالنا وأما المسيح فانه قد غضب علينا وأما الفرج فما أطلبه إلا من المسيح ومن الملك دقيوسا فانه فى القلعة الشهباء ودولاب الفلك الاعلى وأريد الليلة أكتب اليه كتابا وأبعثه على جناح الطائر وأخبره بهذه القصة وأوعده بكل وعد جميل فقال لها الحكيم حبا وكرامة أيتها السيدة الكريمة ثم كتبت كتابا تقول فيه أما بعد أيها الملك دقيوسا ومن هو مبادر إلى طاعة السيد المسيح عيسى نريد ان نعرفنا ماتم عليك من خلاف الملوك ولولا أمور جرت عندى وإلا قد كنت سرت اليك وقدمت عليك وانني شاكرة لك ذلك على نصحك لى وكيف انك قاتلت الملوك من شأنى وأعلمك اننى قد وصل إلى قتالى الملك غضب المسيح فى خلق كثير وفيهم الملك بنفسه وفيهم هدية المسيح وهو الشيخ النجيح وقد قوى عزمه على أن يأخذ الحصن منى والسعى إلى سائر القلاع بعدى وقد أطمع نفسه بالمحال فساعة وقوفك على هذا المقال لايكون لك جواب إلا آن تأتى أنت وتقدم علينا بجميع عساكرك ولا تتأخر عن هذا اللعين الذى وصل الينا وهجم بشره علينا واذا حضرت وقوى عزمى بما معك من الفرسان سوف ترى ما أفعل به فى الميدان وما تتحدث به الناس إلى آخر الزمان ثم إنها لما أصبحت علقت الكتاب على جناح الطير وأطلقته فما بزغت الشمس حتى نزل الحمام الى البرج وأخذه البراج وأتى به إلى الملك دقيوسا وقبل الأرض بين يديه فأخذه الملك وقرأ الكتاب الى آخره وعلم مافيه فصلب على وجهه اشفاقا على الملكة زنانير وخوفا على زوال ملكها من بعدها لأنه كان عند الملوك مبجلا مكرما وكان يحدث نفسه ويطمع فى الملكة زنانير ويزعم أنه يتزوجها ولكنه كان يمنعه من ذلك هيبتها ويخاف من غضبها لأنها كانت تصله بالخلع والمال والهدايا فى كل عام (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الملك دقيوسا ما فى الكتاب وفيه نوع من التعرض به والرغبة فيه كاد فؤاده أن يطير فرحا وسجد شكرا للسيح وصاح فى وجوه بطارقته وأصحابه فأجابوه من كل مكان ثم اجتمعوا حواليه حتى يسمعوا ما قد حدث عنده من ذلك الكتاب الذى وصل اليه وكل منهم قد أشهر سيفه خدمة للملك فيما ينتدبه اليه فقال لهم لايتخلف منكم أحد من كل من يحمل السلاح إلا ويتبعنى إلى قلعة الملكة زنانير فقد نزل عليها غضب المسيح فى خلق عظيم كثير وجم غفير وقد أشرفوا على أخذ الحصن والدولاب الكبير وهذا الأمر

يلزمنا عاره وما منا أحد إلا ولأبيها عليه الفضل من بعيد ومن قريب فقالوا كلهم السمع والطاعة أيها الملك الكريم والسيد العظيم فلو قلت لنا لجوا نارا لولجناها أوالقوا أنفسكم إلى البحر لألقيناها (قال الراوى) وما مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار إلا والقوم على ظهور الخيل وهم خمسة آلاف فارس وراجل والملك دقيوسا فى أوائلهم كانه الفيل الهائل وله همهمة وزمجرة وقد اشتعلت المشاعل وألهبت الشموع واجتمعت الجموع وساروا فى بقبة ليلتهم وعند الصباح أشرفوا على قلعة الملكة زنانير صاحبة الوجه المنير والطرف الكحيل (قال الراوى) فوجدوها وقومها فى بحر الهلكة فلما وقعت العين على العين وتحقق الصدق من المين فعند ذلك قال الملك دقيوسا لأصحابه دونكم والحملة عليهم ولا تهملوا هؤلاء اللئام ولا تسمعوا منهم كلام (قال الراوى) ثم حمل وحملوا ودارت طاحون الحمام وتاروا القعود والقيام وصاروا معهم فى الخيام وأصابت القواضب فى الأبدان وتمايلت الشجعان من شرب كأس الحمام وتضاعف البلاء ودام ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى انسدل الظلام ونزلوا الفريقين فى الخيام (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فانهم لما رأوا هذه العساكر سائرة فى طلب الملكة زنانير خافوا على الملك عبدالله شعشعونا ومن معه من المسلمين وحمل الأمير من ذلك هم عظيم فقال له الأمير أبو محمد البطال لا تضيق صدرك أيها الأمير فانى لا بد لى من المسير وانظر ما يجرى بين هؤلاء العساكر ثم أنه لبس زى بطريق فاخر وسار من النهار فوصل إلى عسكر غضب المسيح فى ظلمة الاعتكار فعبر عليهم وقد توكل على الملك العلام الذى كل من توكل عليه كفاه وجعل يدور بين المضارب والبيوت والأزقة والخيام فبينما هو كذلك وإذا هو بشخص آخر يدور معه ففزع منه البطال وأراد أن يتركه ويسلك طريقا آخر فقال له ذلك الشخص أيها الأمير أبو محمد يعز على أن أراك منهزما وتهرب منى وأنا أشوق الناس اليك فما أعجل ما نسيتنى (قال الراوى) يا سادة يا كرام فرجع البطال ينظر من ذا الذى عرفه وإذا به غلامه لؤلؤ صاحب الملكة زنانير فوقع فى صدره وجعلا يبكيان من الشوق وهنؤا بعضهما بعضا بالسلامة وسأله أبو محمد عن خبره فقال له أيها الأمير أما أنا فعلى جملة السلامة والعافية وما أخذتنى فى الله لومة لائم إلا أنه قد نزل بنا العدو الذى ماسمعت بمثاله فى الأخبار لأنه جبار لا يلتقى وانما يقاتل الانسان مثله وأما هذا فانه شيطان فى صورة إنسان فما يطمع أحد فيه لأنه حكى لى عنه بأنه يلكم الجمل فيجعله معقور والأسد فى كفه كالعصفور فى يد أحدنا والله العظيم لقد خفت منه على نفسى وعلى الأمراء وعلى

الملكة زنانير فاننى عارف بشره ومكره وما نزلت فى هذه الليلة من القلعة إلا لعلى أظفر به حتى أذبحه من أذنه إلى أذنه فما وجدت اليه سبيلا فقال له الأمير أبو محمد وقد عظم عليه وكبر لديه نسأل الله العظيم أن يكفينا شره إلا أنت يا لؤلؤ كيف عرفتنى فقال له وحق الرب العظيم الأزلى القديم لما رأيتك الليلة وأنت بين الخيام تمشى يمنة ويسرة فما خفيت على شمائلك ولا غابت عنى فعايلك وانى حذرت أنك مولاى وانظر حذرى فشد الله بك أذرى فعند ذلك تعجب أبو محمد البطال من كلام غلامه لؤلؤ ثم سأله غلامه لؤلؤ عن الأمراء وكيف هم فقال له أبو محمد البطال ويلك يا لؤلؤ لقد عملت فى هذه النوبة عملا أبلغ به عند الله تعالى يوم القيامة سؤلا وعملا ثم حدثه أبو محمد حديث الحصن واسلام الملك الصابر واسلام عشرين ألف فارس معه وقد صار الحصن للمسلمين ملكا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع لؤلؤ ذلك من كلام أبو محمد كاد فؤاده أن يطير فرحا ثم شكر الله تعالى على ذلك ثم قال يامولاى قد عولت أن أعمل شيئاً وذلك أننى رأيت عقبة خارجا من عند الملك ومعه راهب آخر لا أعرفه إلا أننى سألت عنه فقيل لى هذا الحكيم ماريتون وقد عزما أن يدبرا حيلة على الملكة زنانير وعلى أيضا ويأخذون القلعة بمكرهما فقال أبو محمد البطال وكيف تعمل يا لؤلؤ وعقبة لايجوز عليه حيلة ومعه خاتم السم فأى شىء حضر بين يديه مسموما رشح ذلك الخاتم فى أصبعه ويعرف أيضا الطعام المبنج فقال له لؤلؤ أيها الأمير أما الخاتم فانه فقده من زمان وأنا أعلم بذلك فقف لى حتى أمضى وأعود فقال له أبو محمد البطال الى أين تمضى يا لؤلؤ فى هذه الساعة فقال له اعلم يامولاى أننى عاينت سماط الملكة وفيه صحون حلوى كما علمت وأريد منها شىء وأجعل فيــــه البنج ولعلى اطعم الملعون عقبة منه شىء وكذلك الملعون الحكيم ماريتمون ثم أنه مضى وغاب ساعة وعاد ومعه صحن منها وهو طرى كأنه العجين فعندها أخرج أبو محمد البطال من خلف أذنه قرطاس فيه بنج مصحون مثل الكحل لو وضع منه حبة فى زق خمر لأسكر كل من شم رائحته ثم دره على الحلاوة من فوقها ومن تحتها وعجنها ثم عاد وبسطها فى الصحن كما كانت ثم أنه غير صورته ووجهه أحمر ولحيته كبيرة شقراء وكان لابس زى أصحاب الملك غضب المسيح ودخـــل على القاضى عقبة أسرع من البرق بقلب قوى وجنان جرى ولما صار بين يدى عقبة صلب على وجهه وخدم وترك الصحن بين أيديهما ثم قال لهما أن الملك بعد خروجكما حضر له شىء من الحلوى فأكل منها وقال لابد ما يأكل منها هدية عيسى فان هذه الحلاوة الحارة توزن الرأس وتطيب الأنفاس ثم أمر لكما بهذا الصحن (قال الراوى) فلمـــا سمع عقبة ذلك لم يشك فى قوله وقام وخدم للملك

وكذلك الحكيم ماريتمون قال لعقبة وحق المسيح ما هذه الاكرامة زائدة لك عند الملك وإلا فما أتحفك بهذه الحلاوة وما جرت للملك قط عادة بمثلها ولا لولده ثم جعلا يأكلان وقد طاب لهما وخرج لؤلؤ من عندهما وجلس بره الخيمة ساعة إلى أن علم أن البنج قد تمكن منهما فدخل هو وأبو محمد البطال عليهما ورفع كل واحد منهما واحد على أكتافه وخرجوا وقد أسدل الظلام وطلب كل واحد منهما أصحابه والتفت أبو محمد يطالب لؤلؤ فما رآه فعظم عليه وكبر لديه وأقام ينتظره فما جاء أحد اليه فأخذ أبو محمد الذى كان حامله وطلب غلامه صافى وركب بغل وسار طالب الأمير عبدالوهاب (قال الراوى) وكان الذى وقع فى قسم أبو محمد الحكيم ماريتمون وعقبة وقع فى قسم لؤلؤ وخرج به من العسكر ودنا من غلام له اسمه كورك وهو غلام رومى كأنه القمر المنير وكانت قد وهبته له الملكة زنانير وقد علمه فى تلك المدة الحيل والمكر وأسلم على يد لؤلؤ وعلمت الملكة زنانير بذلك فلم تنكر عليه احتراما للؤلؤ (قال) وكان لؤلؤ قد تركه فى موضع حريز فلما وصل اليه قال له ويلك معك مركوب قال له نعم فقال شد عليه هذا الشيخ السوء فقد أعمانى صنانه فلا ستر الله عليه فأخذه كورك من يده وشده على بغل وركب الغلام خلفه وركب لؤلؤ بغل آخر وساروا طالبين القلعة فلما وصلوا إلى القلعة رآوهم البطارقة فتصايحوا عليهم فكلمهم لؤلؤ بالرومى ففرحوا بسلامته ولم يجسروا على فتح الباب خوفا من الملكة زنانير فعند ذلك مضى اليها بطريق من الذين على الحرس وأخبر بذلك خادما لها اسمه رمابان المسلم قد وصل وهو خارج الحصن وما يعقل ولا نعلم ما عليه (ياسادة) فمضى الخادم وأخبر الملكة بذلك فأمرت بفتح الباب وكانت لما فقدت لؤلؤ ضاق صدرها وخافت عليه فلما وصل فرحت بسلامته وأمرت الخادم باحضاره بين يديها فرمى نفسه عليها وجعل يقبل قدميها وهى تمنعه من ذلك ثم قالت له اين كنت يا لؤلؤ قال لها عند أبغض الناس إليك وأكرههم لديك فقال يا لؤلؤ وحق المسيح أحب الناس إلى أنت وأبغضهم إلى عقبة الذى يدعى أنه هدية عيسى فقال لها وقد غاب صوابه عند ذلك الكلام يا مولاتى ههنا قد حضر إلى عندك لؤلؤ الجريح وعقبة الشيخ النجيح ثم أن لؤلؤ أمر بحضار عقبة إلى بين يدى الملكة زنانير فحضر وهو على أسوأ حال (قال) فعندها وثب لؤلؤ ونشقه بقليل من خل الخمر وقليل من الخردل فعطس وأفاق فلما نظر روحه فى ذلك القالب النحس عاد على نفسه بالملامة فلا كتب الله عليه وعلى الحكيم بسلامه (قال) فلما رأته الملكة زنانير أخذها عليه الضحك حتى تمايلت عن سريرها كأنها غصن بان إذا لعبت به نسائم الأشجار وأخذ نور ثغرها بالأبصار وقالت له كيف أنت أيها الهدية من أكل الحلاوة الطريه فلاستر المسيح على هذه الطلعة القبيحة فهذا البلاء الذى نحن فيه كله منك

كان الينا وأنت الذى حرضت هذه العسكر القادم علينا ثم وثبت الملكة زنانير اليه وصارت تصفعة فى عنقه إلى أن نزل الماء الأصفر فى عينيه وغشى عليه وتورمت عروق رقبته واحمرت أودانه وغاب صوابه وسال لعابه ولؤلؤ يقول لها بحياتى عليكى لا تخفى عنه العذاب (ياسادة) والمحب إذا أقسم عليه بحياة حبيبه أبر قسمه ثم التفت لؤلؤ إلى عقبة وقال له ياويلك أين تلك الدموع المتأثره والخوف من الآخرة والدعوات الصالحة فى تلك الأيام الرائحة أين ذلك الضعف وقلة النشاط واللهف ولكن لما لعبت بالدين أوقعك رب العالمين فلا فرج الله عنك وأراح المسلمين منك ثم أن الملكة زنانير أخرجت سكينا لها فولاذ مجوهرة كانها القضاء أو البرق اذا أضاء برأس كانه مبضع وقفا كانه أصبع طويلة النصل تصلح للقطع والوصل ثم أقسمت انه لابد لها من قتله فى تلك الساعة فقام لؤلؤ اليها وأيقن أنها تقطع رأسه وتخمد أنفاسه وعقبة قد انتفض واصفر وجهه وأيقن بالموت لامحالة وقال للؤلؤ إن كان منام عبد الوهاب صادق فكيف تمكن الملكة من قتلى فعلم لؤلؤ انه صادق فى كلامه ثم خاف من الملكة أن تبطش به فوثب اليها وجعل يقبل يديها وساقيها وقال أيتها الملكة اقطعى منه شيئاً كرامة لايمانك فقالت بالله يالؤلؤ دعنى أريح منه عبدة المسيح والمسلمين من هذا الشيخ اللعين المهين فقال لها لؤلؤ أنا أسألك فيه اليوم فلا تخيبى سؤالى فعند ذلك ضحكت الملكة زنانير وقد قالت قبلنا فيه الشفاعة لاجلك وعلى فعاله نكافئه وحق دينى يالؤلؤ إن ظفر بك ما أبقا عليك وكان يشرب دمك فقال لها لؤلؤ يامولاتى قل كل يعمل على شاكلته ثم انها قطعت دقنه فبقى عبرة لمن اعتبر وأضحوكة لمن نظر ثم ان الملكة أمرت البطارقة أن يضعوا فى رجله قيد ثقيل ويضيقون عليه ويترك فى مطمورة الدم ثم قالت هذا باروا حكم أى وقت هرب قتلتكم عوضه (قال الراوى) فانزلوا عقبة فى موضع لايرى الإنسان فيه صاحبه بالنهار وأما لؤلؤ فانه أقام عند الملكة زنانير بعد مضيه وعول على الخروج الى داره وموضع منامه وأغلق باب القصر على الملكة وكان فى قلبها من سبب غضب المسيح ونزوله على قلعتها وكيف بقيت محصورة فى القلعة (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح بعث الملك غضب المسيح خلف عقبة والحكيم ماريتون على انه يحدثهم فى التدبير على القلعة والمشورة فى أمور عرضت له فسارت الغلمان الى الحكيم فوجدوا غلام الحكيم ماريتون مذبوح ولا لعقبة ولا الحكيم ماريتون خبر فرجع رسول الملك اليه وأخبره بالخبر فقال الملك وحق المسيح إن هذه نوبه مدبرة ثم انه ارتاع لذلك وبقى كانه واقف على جمر الغضا وقام بنفسه وقصد الى الخيمه فرأى غلام الحكيم ماريتون

مذبوح وعلى وجهه مطروح فعند ذلك أيقن الملك بأخذ الاثنين وقال لا أثر بعد عين ثم ركب جواده وطلب الاثر وأخذ فى الطريق خلف الامير أبو محمد (قال الراوى) وفى تلك الساعة التى سار فيها الملك غضب المسيح وصل فيها الملك دقيوسا وهجم على بقية أصحاب غضب المسيح ما بين جريح وطريح واسير وذبيح ومكن منهم الحسام فهذا ما كان من سبب غيبة غضب المسيح (قال الراوى) يا سادة وان الملعون جد خلف أبو محمد البطال وصار يقفوا أثره وتبعه عشرة آلاف فارس وهو كانه الجمل الهايج أو البلاء الدايج وما عنده خبر بما تم على أصحابه من الويل والوبال وما نزل بهم من الشدائد والاهوال (قال الراوى) وسمعت زنانير بهذا النصر والفتح ففرحت بعد الانقباض والحصر وأمرت الاصحاب والبطارقة بضيافة الملك دقيوسا ثم أخرجت من الاطعمة والاقامات والاموال ما يعجز عن حمله الجمال وعند الصباح فتحوا باب القلعه وخرجت البطارقة والعمالقة والشاوشية والجنائب بالتخوت الاطاس والسروج الذهب الاحمر المرصعة بالدر والجوهر وخرجوا الشمامسة والرهبان والبترك الكبير والحكيم اقليدس وعليه خلعه ملكية أطلس وعلى صدره زردية تسوى عشرة آلاف دينار وهذا الحكيم اقليدس هو الذى ربا الملكة زنانير (يا سادة) ونثر عليها فى حال خروجها الدراهم والدنانير وعلى رأسها تاج من الذهب الأحمر مكلل بالدر والجوهر وعلى صدرها أكليل وعليها درع ماله فى الدنيا عديل وهو محبوك باللؤلؤ الكبار وقد أخذ نوره بالابصار ووجهها كانه درة القمر إذا اكتمل وظهر ومن أين للبدر تلك العيون والسحر فى تلك الجفون والهيئة التى على تلك الصورة وهى مستبشرة مسرورة فسبحان من خلقها من ماء مهين ثم جعلها فتنة للناظرين فلما رآها الملك دقيوسا ترجل وباس الأرض وقد زال عقله بما شاهد من جمالها وقدها ودلالها فلما رأته الملكة وقد ترجل قالت له اركب أيها الملك حتى أشير عليك بما تعمل (قال الراوى) ولما ترجل الملك الى الملكة زنانير وتذلل بين يديها أشارت اليه بالركوب وقالت له اركب وابشر بنيل المنا وابشر بنيل المطلوب ثم قالت له أعلم انى قد عزمت على شيء أريد أن أقوله لك فقال لها وما هو أيتها الملكة قالت اعلم أن غضب المسيح قد أخذ جماعة من أصحابه وقد راح طالبا عسكر المسلمين وقلعة الملك شعشونا ولاسما قد سرق الحكيم المسمى بماريتون وقد سرقه رجل عيار يقال له أبو محمد البطال وقد عولت انى أبعث معك عسكر كبير وتسير فى أربعين ألف فارس وراجل فتكون عند الصباح قد أشرفت على القوم وتبتدرهم بالحملة فوحق المسيح أن فعلت ذلك ما كان يسلم منهم أحد ويكون لكم الفعل والمليح

وان أردتم أن تنزلون على المسلمين حتى تكون لكم الهيبة فى قلوبهم فافعلوا فما أفلح قوم غزوا فى ديارهم وإننى أكون لاحقة بكم فى غداة غد وتكون لك عندى اليد البيضاء والمجد الأوفر ثم انها خلعت عليه خلعة سنية لها قيمة كانت ادخرتها عندها من أجدادها وكذلك خلعت على أصحابه الخلع الملاح وطيبت قلوبهم وأعطتهم من المال ما أذهل الرجال فشكروا لها تلك الفعال وقال لها الملك دقيوسا سمعاً وطاعة أيتها الملكة ثم انه رد من ساعته رؤس الخيل وسار من وقته وساعته والعساكر بين يديه وعن يمينه وعن شماله ومعه أيضا عسكر الملكة زنانير وقد ولت عليهم بطريق يقال له فارغوم ابن قيطون وكان هذا الملعون يلقب فى الروم بآفة الزمان لشره ومكره وتجلده على البلاء وصبره على الأذى وكان هذا الملعون يقلع الشجرة بعروقها ويصطاد الأسد بيده ويقطع الطريق على القوافل وحده ويعوقها ويصيح فى العساكر الكثيرة فيوقفها وكانت الملكة زنانير تكرمه وتعطيه وتخبيه لمثل هذا اليوم وكان هذا الملعون قد ربى فى دارها تحت حجر الملك صلبوتا فخلعت عليه ذلك الوقت وأوعدته بكل جميل وقالت له يا فرغوم لقد ضاق صدرى وعيل صبرى من هذا العدو العظيم والجبار الجسيم الذى اسمه غضب المسيح وقد خفت من شره وغدره فقال لها فارغوم أيتها الملكة الكريمة والسيدة العظيمة وحق المسيح والبترك الكبير وراهب قونية وباب البيعة والمزامير والمذبح ومن له المشيئة والارادة لأعملن عملا يتحدث به المحدثون فى سائر الأقطار وأتركه عبرة بين الملأ وأجعله عرضة للبلاء فشكرته الملكة زنانير على هذا الكلام وساروا من ساعتهم (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فانه لما أخذ الحكيم ماريتون عاد يطلب لؤلؤها وجده ووجد غلامه فأخذه ورجع طالب عسكر المسلمين (ياسادة) وكان الأمير عبد الوهاب لما غاب عنه أبو محمد اشتغل قلبه لذلك وأقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها أيتها الأميرة والله العظيم لقد طال مقامنا فى هذه الديار وقد حدثتنى نفسى بأن عسكر الروم قد خرجت فى طلب ملطية لاننا قد انقطعنا فى هذه الأرض وأنتى فقد من الله عليكى بالعافية وقد أسلم على أيدينا خلق كثير وجم غفير وما لنا الا اننا نأخذ معنا هذه العساكر التى قد أسلمت كلها والملك الصابر ونسير الى قلعة الملك عبد الله شعشعونا ونأخذ عسكره أيضاً ونطلب قلعة الملكة زنانير فأما أن تفتح لنا باب الشباك الذى للبحر حتى نخرج الى ديارنا فى المراكب وإما أن نحاصرها ونأخذ منها القلعة غصبا ونملك ماعندها من الأموال والرجال نهبا باذن الملك المتعال فقالت الأميرة ذات الهمة الأمر اليك يابنى أجرى الله الخير على

يديك ومتعنى بطول عمرك فما أشرت به فهو المراد ولكن حتى نشاور هذا الملك الصابر ونأخذ رأيه فان الله تعالى قد أعطاه وله الأموال والرجال فقال لها الأمير عبد الوهاب صدقتى أيتها الأميرة ثم بعثوا الى الملك الصابر يستدعوه اليهم فوجدوه فى سجود وركوع وخضوع وقد أسال الدموع وله أنين وحنين وتضرع بين يدى رب العالمين (قال الراوى) فلما سمعوا الرجل فى صدق إيمانه فرحوا ثم استدعوا به الى عند الأمير عبد الوهاب فقال السمع والطاعة لمن كان سببا لهدايتى وسعادتى ثم وثب معهم وسار حتى دخل على الامير عبد الوهاب الزاهد العابد ثم حياه أحسن تحية فقاموا له جميع الامراء قيام وأكرموه لما أنعم الله عليه من الاكرام بدين الاسلام وهنوه وبشروه فقال الامير عبد الوهاب اعلم أيها الملك السعيد والاخ الرشيد اننا قد طال شوقنا الى ديارنا ومقامنا ههنا يطول وبطئنا عن عساكر الاسلام غير صواب وما بقى لى صبر عن أولادى وأهلى وبلادى وقد عزمت الرحيل إلى بلاد الاسلام وجهادى فى الكفرة اللئام ولكن بين أيدينا هذه الكافرة الملحدة زنانير وقد منعتنا من العبور إلى بلادنا فان فسحت لنا عن الطريق فقد استرحنا من التعويق وخرجنا إلى بلادنا والله كرهنا المقام فى هذه الديار وإن هى أبت من ذلك أقمنا على حصارها وربما أخذنا حصنها قهراً وأنت قد من الله عليك بالإسلام ونريد رأيك فى هذا الآمر فان لك المعرفة فى هذه الأرض وأنت أعرف بها منا (قال الراوى) فلما سمع الملك الصابر ذلك من كلام الأمير عبد الوهاب أجابه بكل ما يسره وبشر الامراء وأوعدهم بالخير والسلامة والرجوع إلى بلادهم فى أحسن زى وأكمل أهبة ثم قال أيها الامير الزاهد المجاهدان هذه البلاد أطيب من بلادكم وأرق هواء وأصح ماء وأفرج وأمكن للعباد ولكن حب الوطن من الايمان وهو أشوق الاهل والاخوان فما تلاموا فى شوقكم إلى بلادكم ولكن بين أيدينا قلاع كثيرة العدد والعدد ولها حصون سبعة وآنية رفيعة ومواضع تمنع العدو من العبور ورجال كالعقارب يقطعون والخلاص من بين أيديهم صعب شديد الى أن تعبرون فى ديارهم وتصالحوهم على المال الجزيل ويكون العبور عليهم برضاهم فانى أعلم أنهم فى عالم عظيم لا يحصى عددهم إلا الله تعالى فقال الأمير عبد الوهاب أيها الأخ الأمير والسيد الخطير هم أكثر من الملك دقيوسا صاحب قلعة الباب وأول أعمال أقاليم البحيرة وقلعة الملك صلبوتا والدولاب الكبير وهل يكونوا أكبر منا شوكة وعدد ومعنا الملك عبدالله شعشعونا وهو اليوم قد صار من أصحابنا وعلى ديننا ومن جملة أعواننا فقال له الملك الصابر وقد تبسم من قول الأمير عبد الوهاب أيها الأمير أتدرى عن من أقول لك انهم

فى عالم عظيم فقال الأمير اللهم لا فقال الملك هؤلاء من أرض يقال لها هزم بالرومى اى الماء المالحة وهم بين قلعة الملك شعشعونا وهو اليوم قد صار من أصحابنا وقلعة الملك صلبوتا من نواحى الغرب وآخرها جبل يقطعها ويقطع البحيرة مسيرة أربع فراسخ وهم من علوه كأنه قد لحق بالسماء لارتفاعه وعليه أربعة حصون كأنها الأموية السود ولها حجارة صم جلمود فلو دب نملة عليها لما قدرت أن تتسلق عليها ولا يعمل فيها حجر منجنيق وبعدها قلعة السحاب الذى للملك دقيوسا وهو يقرب للملكة زنانير وقد تقدم ذكره ووصفه وسبب هذا الحديث الذى أخبرتك به اليوم أنه قد وصل إلى جاسوس من بلاد ملكون وأخبرنى أنه قد جمع العساكر وهو طالب بلاد الملك صلبوتا وأخذ الحصن والدولاب من ابنته زنانير وهو فى عالم لا يحصيهم إلا الله تعالى فان قصدوا الينا لا بد من قتالهم ويعطى الله النصر لمن يشاء فان ظفرنا الله بهم كسرناهم فما أقدرنا على قلعة الملكة زنانير وأخذها لأنها امرأة ناقصة العقل والتدبير وببعض حيل أبو محمد نبلغ منها السؤل والأمل (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك من كلام الملك الصابر تحير فى هذه النوبة وافتكر فيها ثم قال له أيها الملك اعلم أن الله تعالى قد وعدنا بالنصر والظفر على من طغى وكفر وما نبالى بالعساكر قلت أو كثرت لأنها بنعمة ربها كفرت وها نحن نسير إلى قلعة الملكة زنانير فان لقينا فى طريقنا هذا العسكر الذى قد وصل الينا خبره فربما ظفرنا الله به وكسرناه وإن كانت الأخرى فما أطيب الشهادة فى سبيل الله تعالى الذى أخرجنا من العدم إلى الوجود لأنه الملك المعبود الذى بدأنا من القدم وأوجدنا من العدم وقدر أرزاقنا وقسم آجالنا وأجلى العمى عن قلوبنا وأنعم فلله الحمد والشكر على ما قسم وقد قال فى محكم كتابه إذ شرح لسائر الأمم أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وألطاف البارى جلت قدرته خفية وقد عودت بالنصر والظفر وها نحن سائرين وعلى الأعداء قادمين ثم أمر العساكر باصلاح شأنها وقضاء حوائجها وأخذوا الأهبة للرحيل واستعدوا للتحويل (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما الأمير أبو محمد البطال فانه لما طالت غيبته على الأمراء شق ذلك عليهم وضاقت صدورهم وقالوا ترى فى أى أمر قد غاب فنرجوا أن يكون عليه خير وسلامة إن شاء الله تعالى فقال الأمير عبد الوهاب ما أبو محمد إلا قد تعيش فى هذه الديار فلا أخلانا الله منه ولا من طلعته وحسن مشورته وبركته فقالت الأميرة ذات الهمة أو يكون قد سمع بأن عقبة فى بعض القلاع أو الحصون أو الأديرة وقد أشار اليه وإنى لخائفة عليه من مكر عقبة اللعين وحيله بأن يوقعه فى أيدى الكفار أو يهلك فى هذه الديار فكم وقع وخلصه الله تعالى فانا لله وإنا اليه

راجعون (قال الراوى) ثم باتوا تلك الليلة على نية الرحيل وما للناس حديث ولا شغل قلب إلا فى غيبة الأمير أبو محمد (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وذكر محمد سيد الملاح ضرب بوق الرحيل وركبت العساكر والمواكب والدساكر وسارت الكتائب وجنبت الجنائب وماجت الأباعد والأقارب وظهر الملك الصابر فى زى لم يقدر عليه أحد من الملوك وكذلك الملك عبد الله شعشعونا وسائر عساكر الاسلام ثم ركبت الأميرة ذات الهمة الزاهدة العابدة المجاهدة وسائر بنى كلاب والأمير عبدالوهاب وسائرمن معه من بنى كلاب والسودان الأنجاب وقد ارتجت الارض فى طولها والعرض فلما رأى الأمير عبد الوهاب إلى تلك العساكر وكثرتها والمواكب واضطرابها والأبطال وزمجرتها شكر الله تعالى على ذلك وقال الحمد لله على هذه العطية الذى شد بها أذرى فى هذه الديار ويفنوا طوائف أهل النار (قال الراوى) فبينما هم على نية المسير وإذا بصيحات عظيمة وفرح واستبشار والصلاة على محمد المختار فقال الأمير عبد الوهاب ما الخبر وما موجب هذا الصياح فقالوا له يا مولانا هذا غلام أبو محمد البطال قد أقبل وهو مستبشر بسلامة مولاه ومعه حديث لا يقدر يقوله إلا للاميرة المجاهدة العابدة والامير عبد الوهاب فنادى الامير العجل العجل على به فما كان بأسرع ما حضر بين يديه فلما رآه انطرح على أقدامه يقبلها ثم قال يا مولاى سيدى أبو محمد يسلم عليك ويقبل أياديك ويقول لك العجل حتى أملكك اللعين عقبه ودير الحواربين وفيه مال لا يحصى وذخائر لاتفنى وأوانى من ذهب وفضة مالا يوجد ولا يوصف فقال فقال الأمير عبد الوهاب الحمد لله الذى جئت وخبرتنا بأن مولاك سالم فى الحياة فقد فرحنا والله بسلامته من بعدماغمنا فراقه وطول غيبته فقال غلام أبو محمد يهنيك أيها الأمير الزاهد والخصم المجالد بما فتح به عليك العلى الواحد وهذا كتاب أبو محمد اليك يخبرك أيها الأمير بأنه قد وصل إلى عسكر غضب المسيح وعمل على رجل متحيل ملعون يقال له الحكيم ماريتون وأخذه ورجع اليكم طالب القدوم عليكم فرأى غبار الأعداء وهم طالبين وصادف ديرا يقال له دير الوثن فدخل اليه وفيه راهب من رهبان قمامه وقد صار فيه خادم ولأصحابه منادم وفيه من الأموال والرجال مالا عين رأت ولا أذن سمعت وفيه حصن منيع عالى من جبل شاهق وأشهق من الملك الدابق وفيه مياه متدافقة تأتى من بين جبلين وفيه أيضا عين تنبع وتنحدر فى وادى إلى أن تسيح على وجه الأرض وهو مليح قد كونه خالق الأرض والسماء وفى هذا الدير عجل من ذهب أحمر ورجلا من فضة بيضاء كانها من الرخام الجلمد وأناه من الزبرجد وعيناه من الياقوت الأحمر

وقدماه من العود القمارى وتحته حوض من رصاص أبيض وفيــه فواره تطلع من الأرض فى قضيب من رصاص وهو مجوف لايفطن به الناظر ويتحير منه الخاطر وإذا صار الماء فى جوف ذلك العجل يسمع له بربرة وخوار عظيم ثم يخرج الماء من موضع آخر وعلى ظهر العجل صليب من الياقوت الأحمر يسوى ملك تبع وقيصر فتنة للناس وشغل لأهل الكفر والأرجاس وعلى هذا الدير واليا يقال له الخرطموس كأنه فى حلية الجاموس كثير الفساد كأنه من آل عاد يتغدا بخنوص ويتعشى بفرخ جاموس ويشرب ثلاثة أذقاق من الخمر فى كل يوم وليلة ويصيد الأسد قناصا ولا يجد الخصم من يديه مناصا ولا خلاصا فهو آفة الزمان وبليـة كل إنسان وأعجب مايقول أبو محمد البطال فى كتابه ان عندهم فى الدير رجلا علويا قد كبر سنه ودق عظمه وزاد إيمانه وارتفع وشأنه اتضح عند هذا المتجبر مكانه فالعجل العجل قبل حلول الاجل فان هذا الامر من أفضل العمل حتى تنالون السؤل وغاية الامل ثم ختم الكتاب بهذه الابيات يقول

رجل صالح تقى نقى علوى فى قبضة الكفار
فى عذاب وكربةوانـكسار وانفرد بخدمة الجبـار
فالحقوهوخلصوهمنالأسر تفوزوا بخدمة القهار

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الامير عبد الوهاب ما فى هذا الـكتاب تفكر وحار وأسبل الدموع الغزار حمية للشيخ العلوى وغيرة للدين المحمدى وكذلك الاميرة ذات الهمة المجاهدة الراكعة الساجدة الزاهدة العابدة فانها نادت الله أكبر الله أكبر يابنى والله مابقى يسعنا التخلف عن هذا الامر ولو كان فيه تلاف أرواحنا (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان المساء قد أدركهم والظلام قد غشاهم والتعب قد أهلكهم نزلوا فى ارض كثيرة الظمأ فقاسامنها العسكر فى تلك الليلة أشد ضرا وأوفى بلاء وشرا ولسع منهم خلق كثير واجتمع الأمير عبد الوهاب بالملك صابور وسأله عن ذلك الدير ومن فيه فقال له الملك الصابر ومن أين لك أيها الأمير خبر بذلك الدير فقال له أيها الملك هذا كتاب محبك وأخوك الأمير أبو محمد البطال الذى كان سبب هذه السعادة وإرشادك إلى هذه الحالة المسعودة فى الدنيا والآخرة صاحب الأفعال وخائض الأهوال وقد آمن على يد الأمير أبو محمد البطال خلق كثير من النساء والرجال ولو لم يكن أيهـا الملك الكبير فى الأمر إلا الرحمة لهذا الشيخ العلوى الذى قد بلغنى أن الأمير أبو محمد البطال قد صار عندهم مقربا وبه ننال المطلوب من عنـــد علام الغيوب فقال له الملك الصابر

أنى أريد أن أشير عليك أيها الأمير برأى صائب فقال وما هذا الرأى فقال له أعلم أن هذا الدير أحصن من سائر الحصون الذين فى البحيرة وهذا العجل المذكور هو حسرة أهل الدنيا وفيه هذا الجبار المسمى بالخطرموس فانه لايعد الرجال ولا يخاف الأبطال والأهوال ويعد فى الحرب بألف فارس من كل بطل مداعس وله فى الدير بيوت ومساكن وله فى الدير عالم عظيم فعند ذلك قال له الأمير عبد الوهاب أيها الملك كم بيننا و بين هذه الدير فقال له إذا أسرنا فى هذه الليلة نكون عند الصباح فى أرضه وهى أرض يانعة الانهار كثيرة الاشجار والأثمار والازهار الجميلة (قال الروى) ياسادة ياكرام ثم انهم صبروا ساعة من الليل بقدر ما استراحوا ونادوا له فى القوم بالرحيل فى تلك الليلة وقد طلع القمر واشتهر فى ظلام الليل اذا اعتكر وصار كانه مائدة من الذهب الاحمر اذا انشرت على لازورد أزرق مزهر (قال الروى) ياسادة ياكرام ثم قالوا الامراء لغلام الامير ابو محمد البطال سر أمامنا فسار أمامهم وهم سائرين خلفه فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من شيخ الضلالة ومعدن الكفر والجهالة القاضى عقبة فانه لما أنفصل حاله مع الملكة زنانير ورمته فى المطمورة خلص منها بحيلة عجيبة وأمور غريبة وقتل الموكلين عليه وكان رجعته الى الفساد قريبة فلم يكن له ملجأ ولا ملتجأ الا الهرب الى قلعة الملك عبد الله شعشعونا وقد أكمن فيها مختفيا لئلا يعرفه أحد من أصحاب الأمير عبد الوهاب فأقام الى أن سمع أن غضب المسيح قد وصل الى أرض الملك شعشعونا ففرح بذلك غاية الفرح وقال لعل المسيح أن ينصر عقبة فى هذه النوبة وعسى أن يهلك المسلمين (قال الراوى) وكان الملعون عقبة قد أوى عند رجل نصرانى يقال له ختمور من أرض الملك شعشعونا قال وكان هذا الرجل لم يسلم حتما ولكنه تظاهر بالاسلام وبكتم دين الضلال فلما حصل عقبة عنده جلس فى هذه النوبة وانه سمع منه فى بعض الايام خبر هذا الملعون الخرطموس وأعلمه بدره وان بينه وبين الخرطموس صحابة وقرابة من النساء وكان هذا النصرانى حداد صانع جيد فبعث اليه الخرطموس يقول له تعال الينا فقد احتجنا اليك لتعمل لنا شغل وتعود الى أهلك وان شئت نأخذ أهلك والحق بنا حتى يكون لك مالنا وعليك ما علينا (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة والأمور المطربة الغريبة فلما وصل الكتاب الى النصرانى أخبر عقبة بذلك وقال له هذا هو الصواب وكان قصد الملعون عقبة الهرب من المسلمين لئلا يفطنوا به وليكون فى موضع يدبر فيه على هلاك المسلمين فقال له اعلم ياهذا أن قعودك بين هؤلاء مما يغضب عليك المسيح فكانك بالمسيح وقد غضب على هؤلاء القوم وأنزل

بهم عذابه وحل بهم عقابه فانه لا يمهلهما أكثر من هذا فدبر فى خروجنا ليلا فقال سمعا وطاعة (قال الراوى) فلما كان الليل ساروا يقطعون الأرض الى أن وصلوا الى دير الوثن وسمع بهم أيضا الوالى خطرموس ففرح بهم وبوصولهم فخرج الى لقائهم وقد زاد فى اكرامهم ثم تقدم الى خطرموس النصرانى الحداد وقال أيها الملك الكبير والسيد الخطير اعلم أن هذا الشيخ الذى تراه هو شيخ ملة النصرانية وقوم دين أهل ماء المعمودية هذا هدية المسيح هذا الشيخ النجيح هذا مخرب مساجد المسلمين هذا عمارة دين الكافرين هذا صاحب المشورة والرأى وصاحب الحيل والخداع فعليك بخدمته ورفع منزلته والنظر اليه بعين الخدمة (قال الراوى) فلما سمع الخطرموس بذكر اللعين عقبة ترجل إلى خدمته وإلى لقائه وعانقه وأركبه إلى جانبه ودخل به إلى الدير هذا والملعون عقبة فى أكرم منزلة وأوفى درجة فلما صار فى أعلا الدير وهى الطارمة طارمة الوالى كانت على سن جبل شاهق عالى فى الهوى مشرفة على الدير جميعه كثيرة الشبابيك محملة بما فيها من الآلات الذهب والفضة ثم أجلس الملعون عقبة فى أكمل هيبة وأجمل رتبة وخلع عليه خلعة فاخرة ففرح الملعون عقبة بما وصل اليه وكشر عن أنيابه وفتح عينه الصحيحة وقال ما المسيح إلا رضى عنى وقربنى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فبينما هم فى خلوتهم وإذا قد دخل عليهم راهب يقال له الخادوعس وهو فى جملة البطارقة وعليهم غفارات من الاطلس والخادوعس بينهم كأنه القمر المنير وهو طويل الشعر مليح الشكل طيب الرائحة فلما نظره الوالى قام إلى خدمته واجتهد فى كرامته ثم ان عقبة أكرمه غاية الاكرام ثم سأله عن حاله فأخبره الوالى وقال له أيها الهدية هذا أحظا الناس إلىّ وأعزهم على هذا حاجبى الذى قرأ الانجيل فأحسن منه التبجيل وعرف التحريم والتحليل فاستنطقه ايها الشيخ النجيع (قال الراوى) وكان هذا الراهب المسمى بهذا الاسم هو الامير أبو محمد البطال صاحب الحيل والاعمال وكان قد سعى نفسه عندهم بهذا الاسم وقد صار عندهم مبجل ولا يأكل الوالى إلا باذنه ولا يأخذ إلا برأيه (قال الراوى) وأن الأمير أبو محمد البطال لما رأى عقبة اللعين عرفه فى ساعة الحال وعلم أنه صاحب العظائم والأهوال الثقال وأيقن بالبلاء وحمل الأذى وقال إنا لله وإنا اليه راجعون هذا والله سبب البلاء وإفساد جميع ما عملت من العمل فيا ترى من أين أتى هذا الشيخ السوء فى مثل هذه الساعة ثم أطرق برأسه إلى الارض هذا وكان اللعين عقبة متفكر وقد تخيل فى نفسه من وقت ما قال له الملك ان هذا يحفظ الانجيل فقال عقبة فى نفسه ما أدرك أن يكون المسيح قد ظفرنى بعدوى فى ذلك الزمان وفى هذا المكان قبل الممات وكان قد عرف البطال معرفة

تامة فالتفت إلى الملك الخرطموس وقال أحسنت أيها الملك الكريم والمولى العظيم فيمن أحسنت الظن فيه وتلمحت الخير فيه والدين واستأمنته على مالك وعيالك قال هذا حاجبي فقال عقبة وحق المسيح هذا مخرب البلدان ومذل دولة الصلبان وآفة كل إنسان هذا أبو الاهوال هذا الذى اسمه أبو محمد البطال هذا الذى أسلم على يديه شعشعونا وحرضهم لما أضعفونا ثم ان عقبة التفت إلى ختمورس وقال له ويلك وأنت لم تعرفه فقال صدقت ياشيخ فانه من يوم دخل البحيرة ما أفلحت أهلها ووقع الخلاف بينهم فلما سمع الخرطموس هذا الكلام تحير فى أمره وقال للبطارقة ويلكم ارفقوا به حتى نعلم صدق ماتقولون ويلكم هذا صاحبي وحاجبي ومشيرى وكبيرى وهو على دينى ويقرأ الانجيل ويظهر لى ما فيه من التحريم والتحليل فامهلوا عليه الى أن نستصح خبره وأمره ونرى حيله ومكره فان صح عندى ماقلتم فيا بشراه وسوف يرى منى العذاب وان كان بخلاف ذلك رجع العتب عليكم وأوصل الاذية اليكم فقال عقبة لقد قلت الصواب وقد رضينا هذا الجواب وأنت تقول ان صاحبك يقرأ الانجيل ويتلوا مافيه من التحريم والتحليل وهذا من جملة الخداع والاباطيل وأشتهى أن تحضر لى شيئا من القرآن حتى ترى مايفعل فان كفر به فهو من أهل ملتنا وان أبى فاعلم انه كما ذكرنا وهذه سعادة من المسيح إذ ظفرنا به من غير حادثة حدثت علينا (قال الراوى) فلما ان سمع الخرطموس من الوالى هذا الكلام تعجب منه ومن حسن معرفته ورأيه وخبرته وبصيرته ثم أقبل على أبو محمد البطال وقال له ما تقول ياهذا فى كلام هذا الشيخ الصالح فقال أبو محمد أيها السيد الكريم ما أدرى مايقول ولو كان شيخا صالحا ما قال مثل هذا المقال فى حق مثلى أنا إلا أنه يريد أن يقطع منك رزقى والآن أحضروا لى المصحف حتى ترون ما أفعل به وبيان الحق وأذكروا لى ماتريدون حتى أبين لكم فيه الصدق فعند ذلك قال الخرطموس الآن قلت الصواب فقال البطال وأى شىء مذموم حتى يكون نبى العرب فقال الملك ومن هو مذموم فقال البطال أنا المذموم ولا أرضى أقول نبى العرب ولا أسميه فقال الملك الخرطموس لعقبة كيف ترى أيها الشيخ اعتقاد صاحبي هذا وهو لايرضى أن يسمى نبى العرب بمحمد فقال عقبة يامولاى وهذه من جملة حيله ومكره (قال الراوى) وكان عقبة لعنه الله أعرف الناس بقصص الأنبياء وأحوالهم فقال اعلم أن مقصود البطال بقوله مذموم لأن المنافقين كانوا يسموا محمد مذموم وزعموا أن جبريل أتاه وقال له أنت محمد وهؤلاء يسمونك مذموما فما يصل اليك شىء من ذلك وهذا قد استعمل هذا فى حق نبى العرب حتى إذا وقع فى العطب سما مذموم فلما سمع البطال ذلك من كلام عقبة لعنه الله قال ياشيخ ما أكثر

كلامك ومكرك وغدرك وأعرفك بالعلم فلو كنت تعلم به لكنت أوفى الناس عند الله ثم أن البطال أقبل على الخرطموس وقال له اعلم أيها السيد ان هذا الشيخ قد رمانى بالقبيح واتهمنى فى دينى ولا بد لى من اظهار سره فى هذه الساعة وأغلبه بين يديك أما زعم انه يعلم الانجيل وأعرف الناس به وانه أعلم أهل زمانه وأعلم علماء النصرانية فقال له الملك ياأبونا صدقت ونعم ما قلت فقال أبو محمد أنا أسأله أن يقرأ شيء من الانجيل فى فرد موضع وأقول له على فصل واحد فان هو تكلم ووصل الى الموضع الذى أريد على ماهو عليه من الكلام ولا يسكت علمت انه صادق فيما ادعاه ومافى زمانه مثله ويبقى دمى بين يديك حلال وان هو سكت فاعلم انه يكون قد عجز وسكته المسيح بدعائى عليه واجابنى فيما دعوته عليه فقال الملك الخرطموس وحق المسيح انك قد قلت الصحيح وقد رضيت أنا بذلك وما بقى عليك كلام ولا ملام ثم قال الملك لعقبة تقدم أيها الشيخ فلما سمع عقبة كلام أبو محمد البطال قال يا ويلك ما هذا أمر يدفع عنك العذاب وانت تعلم اننى أقرأ الانجيل وأحفظه حفظا جيدا ومافى الروم من يحفظه مثلى وأى شيء يسكتنى فيه فقال له الملك اقرأ قال له أبو محمد أقرأ يدور ورعا حافظ حرد يودمان يارح باس جيادش جيادش صاحونا داهر داشع سواحور هناهودا اشع وتم على قراءتا من هاهنا وأنت تتلو الإنجيل قال فشرع عقبة يقرأ إلى عند داعس وسكت عن الكلام وأراد أن يقرأ أغرادون يوما شع كى ورمون أدرمون هودا نودا خودا وأى شيء فأخذته عيطه وانكف لسانه وتمسك بقدرة الله تعالى وأراد أن يتكلم فما قدر على الكلام وبقى الملك يضحك عليه ضحكا عاليا ويقول له تكلم الآن يابونا هذا كله والملعون عقبة ساكت لايتكلم حاير لايرد جواب ولا يبدى خطاب وقد حار من هذه الأفعال والأمير أبى محمد البطال يقول أحسنت يا لعين أسكت يارجيم ثم أن الأمير أبو محمد البطال جعل يقرأ فى سره قوله تعالى اليوم نختم عن أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (قال الراوى) كل هذا واللعين عقبة شيخ الضلالة ومعدن الجهالة من هو ملعون فى الدارين جعل يتململ ويتقلقل وقلبه ينفطر وقد ذاب كبده وازداد حسرة وكمدا وهو يتكرب وخيتمور النصرانى يتعجب من فعل أبى محمد ووجهه قد قطب ومن سكوت عقبة قد تحير (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك نكتة عجيبة وحالة غريبة وهو لو سافر الإنسان عليها إلى العراق وسائر الآفاق لايطلع على مثل هذا الكلام ولم يكن ذلك عند أرباب الأفهام وذلك إنى أشرحه

وأقول بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد طه الرسول أن هذا الفصل إذا قرأه أحد من علماء النصرانية وكان أحد من المسلمين حاضر لايقدر ينطق ويقول أن بينكم محمدى فاخرجوه وسبب ذلك أنها معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانت فى هذا الفصل وفى هذا الفصل مجموعة وبين الناس مسموعة فقطعوها وبدلوها الملاعين من الإنجيل وكتموها من أول الزمان وكتبوا عوض هذا الكلام دمارا وكذبا وقالوا أن المسيح أمرهم بتكذيبه وحتم على قلوبهم البعد منه وقد كذبوا فيه لعنهم الله (قال الراوى) فلما أراد عقبة أن يصل إلى هذا الكلام قال أبى محمد البطال اللهم إنى أسألك بحرمة أسمائك التامات والكلمات المباركات أن تحق الحق تبطل الباطل وأسألك بالقدرة والعظمة أن تمنع لسان من يسب الأخلاق المحمدية لأنك أظهرت معجزة محمد سيد البرية وأبقيت أعلام صاحب المنزلة العلية فعند ذلك سكت اللعين عقبة بالكلية وأنقلبت صورته وأقبل الملك عليه وقال تكلم يا أبونا وهو لايرد جواب ولا يبدى خطاب فعند ذلك غضب عليه الملك ومقرع رأسه أربع خمس مقرعات وقال وحق دينى أننى أخاف من المسيح أن يحرقنى بالنار للكمتك وأحرمتك لذيذ الحياة وأعقبتك الوفاة ولكن ما يفوتك منى (قال الراوى) وأن الخرطموس قال للأمير أبو محمد البطال أريد أترك هذا الملعون طول دهره فى ذلة الأسر والهوان وأعذبه بأنواع العذاب على ممر الليالى والأزمان فقال له البطال اعلم أيها الملك أن هذا الشيخ مسلم وإنما يدخل على الروم بهذه الحيل لينال عند الروم جميع الأمل وهو لايعتقد فى الأديان شيئاً ومالى أتركه موضع الشريف العلوى وأعذبه بعذابه وأطعمه من طعامه وأسقيه من شرابه وأزيد حسرته على أهل دينه وأوريه كيف أعذبه عذابا ما أعذبه أحدا من العالمين فقال له الخرطموس وحق المسيح لقد قلت الصحيح ثم أقبل على قريبه خيتمورس النصرانى وقال له لاشك إنك على دينه فقال خيتمورس لا وحق المسيح أيها الملك خيتمورس سكت على غيظ معه ثم أقبل على أبى محمد البطال ووكله بعقبة وقال له سلمته اليك وأمرك فيه نافذ فلا تفتر عنه بالضرب لا ليل ولا نهار (قال الراوى) فأخذه الأمير أبى محمد البطال وأتى به إلى عند الشيخ العلوى وصار كل يوم يطعم العلوى ويسقيه ويضرب عقبة حتى صار لحم عقبة ينتثر عن عظمه (قال الراوى) وأن أبى محمد البطال لما تم مع عقبة وصار تحت يده يعذبه بالضرب الوجيع والأمر الشنيع بعث إلى الأمير عبد الوهاب كما ذكرنا وشرح له القصة كما وصفنا وأن الأمير أخذ العساكر وسار بها طول النهار والليل إلى أن طلع الفجر ودار

قرن الشمس ووقع على الجبال ضوءها وأنست الدنيا بها وسارت الكتائب والمواكب، وأن الأمير عبدالوهاب رجع إلى طبع العرب وأنشد يقول

نسير إلى أرض دير الوثن ٭ ونأسر من حل ذاك الدمن
ونخلى المنـــازل منهم كما ٭ قبلهم قد خلت ممن سكن
ونظفر بالعلج علج الغرور ٭ وشيطان قوم لهم قد فتن
ونأخـذ أموالهم كلها ٭ وفى السر نأتى جهاراً علن
وننزل بالخرطموس الهوان ٭ ونوقعه فى أمره والفتن
ونلقى الشريف العفيف الذى ٭ يرى فى ثياب الردى والمحن
ونرضى النبي بهذى الفعال ٭ وهذا الجهاد لمن فطن
وعقبة فى أسره والهوان ٭ حليف العقاب رهين المحن
ونرجو الثواب غداة الحساب ٭ إذا أظهر الحق ما قد بطن

(قال الراوى) قال ولما طلعت الشمس ظهر لهم بنيان الدير كأنه فى السماء أو معلقا فى الهواء ونظروا الى تلك الديار والرياض الواسعة والأنهار الدافقة والأزهار المختلفة والمرج كأنه شقة أرجوان أوحلة ديباج أو تاج من ذهب وهاج مبدعة الحياض جميلة الرياض كأنها قد سرقت من الجنان لما فيها من الأشجار والثمر والافنان فكأنه غافل عنه رضوان (قال الراوى) فلما طلعت الشمس على سرايا الاسلام وطلعت البيارق والأعلام ونظروهم أهل الدير والقلعة ففروا باجمعهم الى فوق الدير وخاف كل منهم خوف الغير وركب الخرطوس كانه فحل جاموس جعل يهدر ويبربر كانه الجمل أو الليث اذا هدر وقدهم بنفسه أن يلقى ذلك العسكر القادم ثم ارتقى الى ذروة الجبل ووقف على ذلك المضيق الذى ما لاحد عليه تسليق ولايصل اليه حجر منجنيق وبين يديه ألف بطريق وفى أيديهم والحراب والمزاريق وهو كانه العتيق (قال الراوى) فلما نظر الخرطموس الى عسكر المسلمين وهم كانهم البحر الزخار غاب رشده وأفتكر ورجع الى خيتمورس وقال أيها الملك هذا عسكر المسلمين وفيهم أصحاب الملك شعشعونا الذى أسلم وما كان قصدهم الينا ولا كانوا يعرفون هذه الأرض ولا هذه القلعة وأن أخطأت حذرى فما بلانا الا هذا الرجل الذى عندنا وهو الذى أسمه خدعوس وهذا أبى محمد البطال بلا محال وهو الذى بعث إلى هذا العسكر وأقدمه علينا وحق المسيح أيها الملك اننا قد ظلمنا هذا الشيخ النجيح فبادر الأمر قبل الفوات قبل أن تأتيكم الآفات فلما سمع الملك من خيتمورس قال ويلك أما رأيته على ديننا وكل يوم

ينزل إلى هذا العلوى ويضربه الضرب الوجيع فقال خيتمورس وحق المسيح ماهو صحيح فابعث الساعة إلى الموكلين عما كان يعمل خدعوس فاخبروه أنهم كانوا يرونه يكرم العلوى ويتحدث معه ويطيل المكث عنده ويرجع إلى عذاب الشيخ النجيح ويضربه حتى يغيب عن الوجود كل يوم مائة سوط حتى أشرف على الهلاك فلما سمع الملك ذلك أرسل إلى أبى محمد البطال فلم يجده فقامت عليه القيامة وأمر باخراج عقبة وأكرمه غاية الاكرام وندم غاية الندم وأمر لعقبة بالجائزة والكرامة وطلبوا أبى محمد فلم يجدوا له خبر ولا وقفوا له على أثر وكان سبب غيبته أنه ضرب عقبة فى تلك الليلة حتى كاد أن يقضى عليه وكان أبى محمد يقول له ويلك قل للمسيح يخلصك من هذا العذاب ثم خرج من عنده إلى ظاهر الدير فرأى مغارة كبيرة فدخل فيها يغير وجهه ويدهنه بدهن كان معه يدهن به فى كل يوم وانه دخل إلى تلك المغارة على غرة منه فرآها مظلمة طويلة فجعل يدور فيها إلى أن وصل إلى باب عظيم من الحديد وعليه قفل كبير فتعجب من ذلك ورأى فى أعلا الباب شباك عظيم فتسلق إلى الشباك فأحس بشىء ثقيل فجذبه اليه وإذا به مفتاح حديد لذلك القفل فقال الله أكبر ولعل أجد من هذا الباب منفذ إلى هذا الدير الصعب ثم قام وفتح الباب ثم نزل فهب عليه هوى عظيم ثم دخل إلى هذا السرداب وانسل فيه بقلب أقوى من الصخر فوصل إلى ضيقة فانسل فيها إلى أن خرج إلى مرج وسيع عظيم وسمع هناك جلبة عظيمة فالتفت وقد طار عقله فرأى شجرة عظيمة سدت عليه ذلك الموضع الضيق وبقى أبى محمد فى موضعه خنيق فعند ذلك قال كلمة لايخجل قائلها وهى لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون هذه والله كانت الخاتمة وهاهنا أموت وأقبر ومن هاهنا أحشر ثم جعل يمشى إلى أن أتى مكان مظلم لايكاد أن ينظر مابين يديه وتعب من كثرة المشى وبكى وجعل يقرأ من القرآن ماتيسر إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونامت العيون وهو فى بكاء وانتحاب وضيقة صدر وعويل وجعل يقرأ ويدعو ويقول ياقريب الفرج اجعل لى مما أنا فيه مخرجا وخلاصا انك على كل شىء قدير يانعم المولى ويانعم النصير وهو عليك سهل يسير فان لم ترحمنى ياالهى فما بقى لى خلاص من ضيق الأقفاص إلى يوم العرض والقصاص (قال الراوى) فبينما الأمير أبى محمد كذلك اذلاح ضوء من شباك عالى فى هذا المكان فعند ذلك أيقن بالفرج وأمل أن يكون له من هذا الضيق مخرج فالتفت واذا هو يسمع صوت فسار نحوه فرأى شباك صغير فى أعلا ذلك المكان وقد نظر من داخله نور موقود وقد ملأ الضوء ذلك المكان ثم سمع صوت امرأة رخيمة الغناء لذيذة الكلام كثيرة الضحك والابتسام وهى تضاحك شابا من الروم وهو فى مقابلتها وهى تتكلم بالعربى

وكذلك الغلام وهى تقول وحق المسيح ان أشعار المسلمين ملاح لا سيما فى الخمور والازهار وصفات الأوتار ونغمات الأطيار فقال لها الغلام أيتها السيدة أنتى ملكة الجمال وفريدة الحسن والكمال فلا بلانى المسيح بفقدك فأين تحفظين من أشعار العرب فانشدت وجعلت تقول

اشرب على جوهر ومنثور ٭ فى قدح مخروط بلور
والأرض قدأهدت لنا نرجسا ٭ لصندل مما حوت كافور

فقال لها الغلام أحسنت يابنت العم فأين أنتى من قول الشاعر حيث يقول هذه الأبيات

قم يانديمى نصطبح قهوة ٭ أرق من دمع مهجور
تجلى علينا سلسلا أبيضا ٭ كأنها كاسات بلور
فيالها من خمرة لونها ٭ شبه ياقوت وبلور

(قال الراوى) لهذا الكلام باسادة يا كرام ثم جعلت تنادم الغلام طول ليلتها وتشكوا له ألم الهوى وتباريح الجوى ثم قالت الجارية لا أبلانى المسيح بفقدك ياابن العم فقال لها الغلام وكذلك أنا أقول وأخبرك أنى سمعت بأنه قد صار معنا فى أرضنا رجل يقال له أبى محمد البطال وهو عيار المسلمين الذى يسرق بنات الملوك ويطير بهم فى الهوى واذا ذكر حضر وإذا نشأ خرج من تحت الأرض واذا أراد ينزل من السماء نزل وانى أخاف أن يسمع بكى فيأخذك منى ويبعدك عنى ولكن أموت كمدا ولا أرجع أراكى أبداً فقالت الجارية وقد صلبت على وجهها لما ذكر أبى محمد البطال وحق المسيح لقد أفزعتنى من هذا الشيطان الذى ذكرته أكثر مما أخاف من أبى أن يطلع علينا ونحن على هذه الحالة فقال الغلام ياابنة العم لو اطلع أبوكى علينا كان أقصى امره أن يوصلك الى وهذا هو الغرض وأما خوفنا من هذا الرجل الذى يسموه البطال بأن يقطع منكى الآمال فقالت له الجارية وحق المسيح ما يقدر ابن آدم على مثل ما تقول الان يكون دينه الحق وغيره على البطال فلذلك ينصره إلهه لما معه من اليقين والا فما كان يسلم وهل يقدر آدمى أن يصاح له باسمه ويذكره ويحضر فقال لها اسكتى يا ابنة العم فهذا المشار اليه يسرق الكحل من العين والجبة من بين القميصين ولو وقف على حفظها ألفين فقالت الجارية وحق المسيح فأنا أريد الساعة ان أصيح له فان كان على الحق فهو يكلمنا (قال الراوى) وهو يسمع هذا والله أحسن مافى هذه السيرة وليتحدث بها من غاب ومن حضر الى يوم القيامة ثم قال فى نفسه أنا أكلمهم لعل الله أن يجعل لى مخرجا وان يفرج عنى هذا الضيق الذى أنا فيه وهذا الغلام الذى عندها لاشك انه على وجه الخفية والاستتار وأحب ما لهذا

الغلام أن يحظى بها ولو طلبت أنا لهم الخلاص من هذا الموضع افعلوا ثم ان أبى محمد تقدم إلى تحت الشباك ووقف فقالت الجارية يا ابن العم قد اشتهيت أن أصيح له وأبصر معنى كلامك ان كان صحيح وما ذكرت من دينه فقال لها الغلام اكفينا شره فقالت الجارية لابد من ذلك ثم صاحت يا أبى محمد بحق دينك أظهر وكلمنا ان كنت من البشر (قال الراوى) ياسادة فلما سمع أبى محمد كلامها وصياح الجارية وهى تناديه باسمه فأجابها ولباها وقال لها لبيك لبيك ها أنا أبى محمد البطال وقد سمعت المقال وأتيت اليكما فى عاجل الحال ثم كلمهم بالرومى وقال لهم افتحوا لى الشباك حتى اننى أجمع بينكما وان شئتم هربت بكما فلما سمع الغلام صوته كاد ان يطير من الفرح وقد غلب عليه نار الهوى وقد أيقن بالفرج وقال ماهذا الا أمر سماوى ومافى البشر من يفعل ذلك ولعل قد جاءنا على يد هذا الرجل هذا ماجرى من الغلام وأما الجارية فانها لما سمعت صوت أبى محمد البطال وقد جاوبها وصلبت على وجهها وهربت فقام الغلام خلفها وردها وهى ترتعد من الفزع وتقول للغلام وحق المسيح اننى خائفة أن يطير بى فى الهوى ويحرق قلبى بنار الهوى فعند ذلك قال لها الغلام بحق المسيح عليكى أن ترجعى ولعل ان يكون لى ولكى فرج وخلاص مما نحن فيه على يد هذا الرجل (قال الراوى) وان الغلام ناداه يا أبى محمد بحق دينك كيف خرجت من تحت الأرض ومن أعطاك هذه المنزلة فقال البطال اعلم ياهذا ان ديننا على الحق وأنتم على الباطل ونحن ناجون وأنتم غير ناجون ولو انك أيها الفتى أسلمت ولربك أسلمت تخلصت من العذاب وسقاك ربك كاسا من الرحمة ويتجاوز لك فى الحساب وأوصلك الى هذه السيدة فى الحلال وتخلصوا من عصابة الكفر والضلال فقال الغلام للجارية ماتقولين فى هذا الكلام فقالت أنت الرجل ولك الرأى فعند ذلك قال لها انا أعلم ان المسلمين على الصحيح وانهم على الحق وهذا الرجل يعطينا العهد منه والميثاق ويحلف لنا انه لايغدر بنا فعند ذلك قال أبو محمد البطال وحق الواحد الأحد المتعال ذو العزة والجلال الذى حرم الحرام وحلل الحلال وجعل مريم ابنة عمران يضرب بها الأمثال اننى لكما ناصح أمين فى المقال ومثلى من يكون من الناصحين لأجمعن بينكما على طول السنين وأعمل لكما عملا جيدا فقال له الغلام وكيف تعمل فقال لهم اقلعوا الشباك ودلوا لى حبل حتى أصعد اليكم وأدلكم على ما تعملون أنا وأنتم فقالت الجارية وقد رغبت فى الإسلام هذا هو الصواب ثم فتحوا باب الشباك ثم دلوا له حبل من الابريسم فطلع فيه أسرع من البرق فلما رأوه عندهم صلبوا على وجوههم فقال دعوا عنكم التصليب فما بقى غير الإسلام

والترتيب واجتماع المحب مع الحبيب والآن قولوا كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان وهى قول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبذلك يسعدون وتجدون السعادة فيما تقولون (قال الراوى) فأعلنوا بالشهادة والوحدانية لله تعالى وقد أسلموا وحسن اسلامهم فطاب قلب البطال بذلك وقال الحمد لله رب العالمين لا أبالى بعد هذه النوبة أى موتة أموت ثم تحدث معهم بالرومى والعربى باقى ليلته وأخبرهم بشرايع الاسلام والإيمان والدين ثم قال لهم اعلموا أن عساكر الإسلام واصلة الى هذا المكان وكأنكم بها وقد أقبلت وما هو الا بقدر مايصلوا اليكم ويصيرون عندكم وقد ملكتم أنفسكم وجاءتكم السعادة وبعدها تأمنون على أنفسكم وتعبدون ربكم على الحقيقة جهرا وتمحى عنكم كل خطيئة ووزر فاكتموا ما أنتم عليه حتى يأتى اليكم اليسر والفرج وكانت هذه الصبية يقال لها زنوا وهى بنت الملك الخرطموس وهذا الغلام ابن عمها قرنبيار وان أباه مات ونشأوا الاثنين على المحبة والوداد والصحبة إلى هذه الأيام (قال الراوى) ياسادة فهذا ما كان من هذه الأمور وهؤلاء (وأما ماكان) من الملك الخرطموس فلما طلب البطال فلم يجده قامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامة هذا وقد نزلت جميع عساكر الاسلام على الدير وتفرشوا من حوله كانهم الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر فقال عقبة أيها الملك الكريم اعلم ان البطال مادام انه معنا وفى أرضنا فلا نأمن من مكره وغدره وهو معنا فى أرضنا وهو يدبر علينا وأخاف منه لئلا يدبر على تسليم الحصن المسلمين وقد ملكونا ولو كنا فى عدد الرمل فقال الخرطموس ابشر أيها الشيخ النجيح فاننى أكفيك مؤنتهم وشجاعتهم وأما ما ذكرت من كون عيار المسلمين عندنا فانه أحقر حقير بأن يطأ الى بساطى أو يقدر على أبدا فقال عقبة فى نفسه وحق المسيح يا ألف غفلة لئن عزم البطال على أخذك لتصفعن بالدرة قبل السياط ولتنتفن هذه اللحية الكبيرة بنشاط ولو كنت وزير السيد سليمان الدمرياط وليدوس على رغم أنفك وأنت على هذا البساط (قال الراوى) ياسادة وان المسلمين زحفوا فى ذلك اليوم الى الحصن ووقع بينهم القتال بالنشاب وحجارة المنجنيق وقتل خلق كثير ووصل الخبر الى الامير أبو محمد البطال بأن الملك فى حصار المسلمين وان الامير عبد الوهاب نازل على الدير فقال أبو محمد الحمد لله على ما أنعم به علينا ثم أقبل على بنت الملك وقال لها أعلمى أيتها السيدة السعيدة أن الجلوس بين الكفار مما يغضب الملك الجبار وهذا عسكر الإسلام وقد نزل على الدير والليله أعمل على خلاصكم ومهما كان لكم من الذخائر والاموال خلصوها عندكم حتى

تأخذوها معكم وتكون لكم عدة تستعدوابها باقى الزمان فقالت نعم مارأيت ياأبا محمد واعلم انى ابنة الملك الخرطموس وهذا الغلام ابن عمى وهو فقير لا مال له وان أبي يبغضه لأنه فقير ولم يعلم بأنه يلتم بجدار بيتى ولو علم لصلبه على أعلا الدير وأحرقه بالنار وأنا كثيرة المحبة له فقال لها أبو محمد طيبي قلبك فانك أيتها السيدة له وهو لكى وابشرى بدين الإسلام الذى تحظين به غدا عند الملك العلام الذى لا يشغله شان عن شان الذى أرسى الاعلام وأخبر الاقلام وأبرم الاحكام وخلق الضياء والظلام ثم صبروا الى الليل واشتغلوا بنقل الاموال والحلل والذخائر الغوال مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لأن الجارية فتحت خزائن أبيها الملك الخرطموس ونقلوا منها ما عجزوا عن حمله لثقله وقالت مالنا طريق الا من الجبل الذى خلف الدير لأن هذه الطارمة تشرف على الجبل وفيه طريق أعرفها من زمان وهى تخرجنا الى عسكر الاسلام فقال أبو محمد الله يتولى حفظك فما أصبح وجهك وما أعذب لفظك (قال الراوى) فلما كان الليل عزموا على النزول من الطارمة فقال الأمير أبو محمد اعلمى أيتها الأميرة والسيدة الخطيرة من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب ولا يسلم من المعاطب والنوائب وقد رأيت من الرأى أن تقيمى فى هذا المكان وتكونى لنا من جملة الاعوان وتسلمى لنا هذا المال وتدلينا فى الحبال انا وهذا الغلام فلا ضيع الله ماتفعلى معى من الإكرام فان طال مقام المسلمين على الحصار ولا يصلون الى الدير عملت الحيلة عليهم من عندك من هذه الطارمة وترضين بهذا الفعل رب العالمين وتظهرين الارض من الكافرين فقالت له ياأبو محمد هيهات هيهات أن أتخلف بعدك لحظة واحدة فانت أخذت مهجة قلبى وثمرة فؤادى وأنا أيضا لا آمن أن ابى يفطن بى فيكون ذلك سببا لهلاكى وأكون قد فارقت حبيبى وقرة عينى فقال لها أبو محمد الامر اليكى فى ذلك ايتها السيدة ولو قعدتى ما كان عليكى بأس ولو فطن بكى أباكى لاخذتك من حجره على رغم أنفه (قال الراوى) وان الجارية أخرجت لهم زنبيلا كبير وشدت فيه حبل من الابريسم فاول من نزل فيه الغلام وبعده أبو محمد البطال وصارت تدلى لهم من الأموال والجواهر والتحف الجسام وبقيت هى حائرة كيف تنزل وكانت لها داية عجوز كبيرة السن قد علمت بحالها وعزمت أن تعلم بذلك أبيها فعلمت الجارية بها فصاحت على أبو محمد البطال فتسلق فى الحبل وصار عندها فحدثته بحديث الداية وقالت لا نأمن من هذه العجوز النحس أن تحدث أبى بخبرنا فقال وأى شىء أو خبر فى حياة هذه العجوز ثم مكن الخنجر من نحرها وذبحها من الوريد الى الوريد وراحت الى لعنة الله الحميد المجيد

ورجع الى الجارية ودلاها الى الأرض وتموا فى الجبل سائرين وهم على غاية من الوجل وكانت الجارية اعرف الناس بالسلوك فى تلك الطريق ثم سلكت بهما طريق آخر لايسلكه مخلوق وأخرجتهم نصف الليل الى عسكر المسلمين فلما رأوهم الحراس صاحوا عليهم فناداهم الامير أبو محمد البطال وقال لابأس عليكم فأنا أبو محمد البطال فأين السيد المجاهد الامير عبد الوهاب فى أين هو نازل فقالوا له هذا مضربة أيها الأمير وهذه نيرانه فنادى الأمير أبو محمد السلام عليك أيها الأمير الزاهد والسيد المجاهد (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب فى تلك الساعة قائما يصلى وهو متفكر فى أمر هذا الحصن وهو متحير بما لقى من القوم فى ذلك اليوم فلما سمع الصوت أوجز فى صلاته ثم سلم ووثب قائما وخرج الى باب المضرب فرأى الامير أبو محمد البطال واقفا على باب مضربه فنادى الله أكبر الله أكبر ثم وقع كل واحد منهما على صاحبه وتعانقا ساعة وهنأ كل واحد منهما صاحبه بالسلامه وتبادرت الامراء اليه من كل جانب ومكان وكذلك الاميره ذات الهمة شكرت الله تعالى على سلامته من تلك الاهوال وسألوه عن الشخصين اللذين هم معه فأخبرهم بالحال فحمدوا الله على سلامتهما ثم أمرت الاميره للجاريه والغلام بخيمة كبيرة فضربوها لهما ثم تولى الامير ابو محمد أمر الجارية وابن عمها وأحضروا جماعة من المسلمين وزوج الجارية للغلام ودخل عليها من ليلته وبعث اليهما الامير ابو محمد الفرش والطرح والصناديق لرسم المال الذى معهما ثم زادا كرامهما فقالت الجارية للغلام كيف ترى بركة دين الاسلام ولولم يكونوا هؤلاء على الحق لما تم لهم جميع هذا الامر ثم سموا الغلام عبد الله والجارية سعيده وجعل الأمير أبى محمد البطال يحدث الأمير عبد الوهاب بالدير وما فيـــه من الأموال والذخائر وحديث العجل وهم يتعجبون منه وحدثهم بحديث الشيخ العلوى ومازال يحدثهم إلى أن أصبح الصباح وعلا من الطائفتين الصياح وجردوا الصفاح ووصل الخبر إلى الملك الخرطموس بأن بنته قد فقدت وأنهم طلبوها فلم يجدوها ووجدوا دايته مذبوحة فطار عقل الملك وعيل صبره وقصد إلى بيت ماله فوجد ذخائره قد عدمت فعلم أن المصيبة من ابن أخيه فطلع إلى الطارمه فوجد الحبل مقطوع فعلم أن أبنته قد أخذت ومعها الأموال وكذلك ابن عمها ورجع إلى أصحابه وهو يبكى ويلطم على وجهه فقالوا له أيها الملك ماهذا البكاء فقال لهم إنى أصبت فى مالى وأبنتى وهذا العدو قد نزل بأرضى ولا شك أن المسيح قد غضب على ثم أقبل على الملعون عقبة وعرفه بذلك فقال أيها الملك لايروعك ذلك الأمر ولا تخاف من المسلمين فوحق المسيح لأعملن عملا فى هذه النوبة يتحدثون به إلى آخر الزمان فقال له المسيح يتولى حفظك أيها الشيخ النجيح فوحق

المسيح ما بى نزول العسكر على كما قد نزل بى من أجل أخذ ابن أخى وأبنتى واخراقه بحرمتى وأخذه لأموالى الذى أدخرتها لوقت شدتى على طول الزمان فقال له عقبة أيها الملك دعنى من هذا الكلام واعلم أن هذا العدو لايندفع الا بالمكر والحيلة والخديعة وإنى جاهل بهذه الأرض وما أعرف أين يقع القتال منها فقال له الملك اعلم أن هذا المضيق لايقدر أحد أن يصل الينا منه أو يقدم علينا فقال له عقبة أريد منك الساعة أن تأمر أهل القلعة أن يحفروا جبابا وأبيارا ولو قدروا على حفر الطريق كلها فليفعلوا وإذا تكاملت الحفائر سقفوها بالأخشاب ويجعلون الحفر والسراديب واصلين الى باب الدير واعلم أصحابك اذا خرجوا يقتلون ساعة ويتأخرون عنهم ويظهروا العجز ويختفون فى الحفائر والمغائر ورؤوس الجبال فاذا دخل العدو معنا وطمع فينا وعبر المضيق فأول من يدخل أمراء المسلمين وكبرائهم وكلما دخلوا يتأخرون واذا صاروا معنا فى أرض واحدة التى هى أرض المضيق وقعوا فى الحفر فنزل عليهم الزراقين بالنفط الطيار ويقفون على الأبواب التى للسراديب ويضربوهم بالنار فى السقوف المعمولة والقتال بين الناس فما يمضى ساعة الا وقد أحرقت الأخشاب ونزل بهم العذاب ونأخذهم أخذ باليد وتكون هذه النوبة من أفعال عقبة ونتخلص من هذه النوبة الصعبة (قال الراوى) فلما سمع الملك الخرطموس ذلك من كلام عقبة فرح فرحا شديداً وأستصوب رأيه وأمر أهل الريف والقلعة أن يحفروا فى ذلك المضيق كما قال الملعون عقبة وواظبوا على ذلك العمل نهارهم أجمع وطول ليلتهم وعند الصباح وقع القتال بين الطائفتين وأقاموا على ذلك أربعة أيام وهم لا يفترون عن القتال هذا والخرطموس قد فتك بالناس وهو كانه الجمل الهائج فما ضرب رأسا الا قطعه ولا ترسا الا خرقه ولا درعا الا ومزقه فشكا الناس ذلك الى الأمير عبد الوهاب مما قد نزل بهم من هذا الشيطان الكذاب الناظر لنفسه بعين الإعجاب وقالوا أيها الأمير ما رأينا قط مثل هذا الرجل الا أن يكون الموصوف بغضب المسيح فقال لهم الأمير عبد الوهاب أصبروا على لأنى أراهم قد ضعفوا واليوم طول النهار لم يزالوا الى خلف يتقهقروا وغدا أن شاء الله تعالى أكفيكم أمر اللعين ويظهر لكم الشجاع من الجبان المهين فلما أن سمعوا الناس كلامه ودعوا له وعوذوه بالواحد المنان الذى لايشغله شأن عن شأن فلما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح أشرف عقبة على النقب الذى على الحفر فوجده قد تكامل واستوى فكشر على أنيابه مثل أنياب الكلب ورجع الى الخرطموس وأصحابه وأمرهم باستعداد النفط وكانوا قد سقفوا المكان

وردوا عليه التراب كما كان وداسوه فى نهارهم وباتوا على أيسر حال وأنعم بال والمسلمون لايعلمون ماقد خفى عنهم من المكر والمحال فلما أصبحوا جردوا الصفاح وخرج الخرطموس كأنه من أولاد قوم عاد وخرجت الأرواح من الأجساد وفرحت الأعداء وشتمت الحساد وحملت سودان الامير عبد الوهاب بسواعد شداد وحملت من بعدهم بنى كلاب الأنجاب (قال الراوى) ياسادة وكان الامير عبد الوهاب فى أوائل القوم وراشد بن ضمرة ثم حمل من بعده الأمير أبو الهزاهز وله زمجرة مثل الرعود وحمل الملك صابر ولم يتأخر وكذلك عبد الله المظفر ثم ان الكفار تأخروا عن المضيق وأظهروا التمزيق وحملوا المسلمين فيهم وأرموا أنفسهم عليهم والبطال يصيح عليهم لاتفعلوا ياقوم ما هذا الا مكر منهم وقد ظن أبو محمد انهم أكمنوا لهم كمين فى موضع ولم يعلم بالحفر والنار التى فعلوها وقال فى نفسه ما دام عقبة عندهم لم نأمن منهم أن يعملوا حيلة علينا وصار يأمر المسلمين بالرجعة وهم لايلتفتون الى قوله فعند ذلك رجع البطال إلى ورائه وهو يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون فقالت الأميرة ذات الهمة ما بالك يا أبو محمد فقال لها أقسمت عليك بالله العظيم وبحق محمد الرسول الكريم إلا ماوقفتى مكانك ولا تتبعيهم فانى خائف عليكى من كيد عقبة اللعين فان تم عليهم أمر فتكونى أنت سالمة وتعملين على خلاصهم فلما سمعت الأميرة ذلك من كلام أبو محمد وقفت مكانها ثم قالت ومن يقدر يا أبو محمد على هذا العسكر الجرار بحيلة أو خديعة والسودان معودين بهذه الجبال والقتال فى المضايق فقال لها الأمير أبو محمد أما أنا فقد خفق قلبى وطار عقلى ولبى وأرجوا لهم السلامة من ربى (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا ماجرى من أبو محمد وجماعة المسلمين (وأما ماكان) من عقبة فانه لما رأى جميع الأمراء قد حصلوا فى المضيق أقبل على الملك الخرطموس وقال له ماهذا التوقف وقد ظفرك المسيح بمناك وهناك بما أعطاك وهذه النوبة ماتمت لملك الروم ولا سمع بمثلها ولا قدر صاحب القسطنطينية على شكلها فأمر الساعة أصحابك أن يلتوا النار فى النفط والبارود وقد هلكوا جميع أهل الايمان ونصرت دولة الصلبان عند ذلك سار الخرطموس الملعون الى قومه وصاح ياويلكم أوقدوا النيران ففعلوا ما أمرهم به فى عاجل الحال ودام القتال بينهم وشعلت النيران وتزايدت الأهوال وتزلزلت الأرض وعظمت الزلازل فما كنت ترى فى ذلك الوقت الا رأسا قد طار وماء قد فار وشجاعا قد صال وجبانا قد مال وطلعت السودان فى الجبال كأنهم العقبان وفى أيديهم العمد والقضبان كأنهم السلاهب وطمع الأمير عبد الوهاب فيهم هو وأصحابه

أهل الفضل والمفاخر ولا زال داعى فيهم وهو خلفهم كأنه الطير الطائر ونثر الرؤوس عن الأبدان وعدم الصبر والأمان وتقدم الشجاع وتأخر الجبان وفتحت أبواب النار لأهل الكفر والطغيان وتزخرفت الجنان لأهل القرآن والإيمان وكان ذلك الوقت كما قال فيه الشاعر

يوم كثرت أهواله ونزاله ٭ كصفات يوم البعث من أحواله
فمنهم من يلقى النعيم بخيره ٭ ومعذب يلقى الردى بضلاله

(قال الراوى) ياسادة يا كرام قال فبينما الناس فى فرح من الظفر ولم يعلموا ماخبىء فى عالم الغيب إذ نزل خاسف القضاء والقدر وقعوا الكل فى الحفر واستبشر من كفر ورجع الأمير عبد الوهاب إلى ورائه وتأخر وظن انه من المضيق قد ظهر فقال انا لله وانا اليه راجعون هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون (قال) فبينما الأمير عبد الوهاب راجع إلى ورائه إذ وقع فى حفرة كبيرة فلولا انها كانت قليلة النار لكان قد هلك واحترق جماعة من المسلمين ووصلت أرواحهم الى عليين وأخذا الأمير عبد الوهاب قبضا باليد وكذلك سائر الأمراء وعملوا فى رقابهم الحبال وقد نزلت بهم الأهوال وترادفت عليهم الكفار الأنذال ونزلت السودان من رؤوس الجبال فأخذوهم بلا ضراب ولا طعان وأوثقوهم فى ثياب الذل والهوان وأسر فى ساعة واحدة خمسة آلاف فارس مابين أسود وأمير أمجد ووصلت الهزيمة الى عند الأميرة ذات الهمة فقامت عليها القيامة وأخبروها ان كل الأمراء قد هلكوا وباقيهم قد ملكوا ومن لم يحترق بالنار ضربوه بالشفار (قال) فلما سمعت الأميرة ذلك الكلام لطمت لطما شنيعاً وأسبلت عبرتها وكذلك أبو محمد البطال قامت عليه القيامة ونادوا والإسلاماه ثم هيئوا خيولهم هذا والأميرة ذات الهمة تنتحب وتنشد وتقول :

ياصاح قد صح وعد البين واشتهرا ٭ فمل إلى الدير علك تسمع الخبرا
قد كنت ذا قدرة من قبل فرقتهم ٭ وما قدرت لهم ان أدفع القدرا
ان الرجال أياديهم مطهرة ٭ وطال ما جاهدوا فى الله من كفرا
أين الأمير الذى كنا بطلعته ٭ نغنى عن البدر فى الظلما إذا سفرا
تراك ياولدى ذا اليوم ما ولعت ٭ بك المنية والمسعود من أسرا
قد كنت أفزع من هذا وأحزره ٭ والدهر مازال حتى حقق القدرا
أحبابنا طال شوقى نحو رؤيتكم ٭ ما بالكم قد أطلتم بعدنا السفرا
اذا تذكرت أياما انا سلفت ٭ عاد الفؤاد من التذكار منفطرا

وحقكم لا نقضت العهد بعدكم ... ولم أبت فرحا من بعدكم بطرا
ولا ركنت الى الهوى ولا طرب ... ولا برحت حليف الهم منحسرا
ترى تعود الليالى مثل ما سلفت ... حتى أكون لذاك الوقت منتظرا

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما فرغت الأميرة من شعرها نادت وأولداه واثمرة فؤاداه وامهجتاه فعند ذلك بكا الأمير أبى محمد البطال وحثا التراب على رأسه وجعل يبكي والناس يبكون ولم يزالوا كذلك الى أن قدم عليهم ميمون الجماس وقد احترق جنبه من النار وهو ينادى الأمان الأمان من النار ياحنان يامنان ياقديم الإحسان فقالوا له يهنيك السلامة ايش معك من الأخبار فقال البشارة بسلامة الأمير عبد الوهاب فانه سالم من النار والالتهاب فقالت له الأميرة ذات الهمة يا ميمون بحق الواحد القهار عبد الوهاب سالم من هذه النار فقال لها ميمون يامولاتى رأيته سالم وحق من فلق الحبه وبرأ اسمه أنه سالم من هذه النار بل هو فى جملة الأسرى وبعينى رأيته أطلعوه الى الدير وأنا أنظر اليه ومعه مقدار خمسة آلاف أسير من أصحابنا والأمير صابر معهم ولكن عبد الرحمن بن الملك عبد الله قتل رحمة الله عليه ووصل الى جنان عدن وجماعة من المسلمين (قال الراوى) فلما سمعت الأمير ذات الهمة ذلك سجدت لله شكرا وقالت الآن قد طاب قلبي بوصول ميمون وأخباره لنا الصحيح ثم أقبل الأمير أبى محمد على ميمون الجماس وقال له كيف كان الأمر فقال يامولاى ما ضربوا بالنفط لا من قدامنا ولا من خلفنا ولا من فوق رؤوسنا الا أننا لم نشعر الا وقد انخسفت بنا الأرض ذات الطول والعرض ثم وقعنا فى الحفر والنار تعمل فيها علولا يامولاى التراب نزل على النار لكنا هلكنا جميعا والأمير عبد الوهاب فقال أبى محمد البطال هذا هو الحساب الذى حسبته من أول النهار ثم رجع الناس فى اسوأ حال وأنضموا كلهم الى الأميرة ذات الهمة وقد قويت قلوبهم وشكروا الله تعالى على سلامتها وقالوا أيتها الأميرة والله ما دمتى فى قيد الحياة ما نبالى بمن فقد من أصحابنا وأخواننا هذا ما جرى لهؤلاء (وأما الأمير عبد الوهاب) ومن معه من الأصحاب فانهم لما أخذتهم البطارقة وأطلعوهم إلى القلعة وملوا بهم المطامير وأن الملك الخطرموس قال على بأمراء المسلمين فما كان بأسرع مما أحضروهم بين يديه وعقبة جالس إلى جانبه فلما وقعت عين عقبة على الأمير عبد الوهاب قال مرحبا بالأسود الزنيم مرحبا بالشيطان الرجيم عجبا كيف سلمت يا أسود من تلك النار فكيف ترى حيلة القاضى عقبة فابشر بالضرب الوجيع وترى من يصلب على باب الزهب بالقسطنطينية ولكن أريد أن أصلبك على هذا الدير

وأجعل لحمك تأكله الطير ثم قدموا بعده الأمراء فصار يبصق على وجوههم ويهددهم بالقتل والعذاب ثم أن الملعون عقبة ألتفت إلى الملك الخطرموس وقال له ياملك هذا هو قاتل النصرانية وهادم دين النصارى المسيحية هذا الذى تخافه الجن تحت الأرض فقال الخطرموس ويلك أسكت ياشيخ النحس فما أكثر هذيانك فكم تصف لى هذا الأسود وأقل بطريق عندى لايرضى أن يقوم إلى قتاله وحده بل بجميع عسكره ويلقاهم وحده الكل بنفسه فقال له عقبة أيها الملك وحق المسيح لولا حيلتى عليهم لطال الشرح عليكم إلا أنه هو شجاع عند قومه ذليل عند مثلك وكان يقول للملك هذا من خبثه ولعنته ثم أن اللعين عقبة قال وأين اللبوة الرقطاء فما أراها مع الجماعة فى السلاسل والأغلال فلعلها قد هلكت بحيلتى فقال له الأمير عبد الوهاب أسكت ياشيخ النحس وبيت النار وعدو الملك الجبار والله ما هى إلا فى الحياة وهى مع العسكر متخلفة ولم تظهر فى ذلك اليوم بل كانت لربها قائمة وعندها الأمير أبو محمد البطال وكانك وبالبلاء قد أخذك من كل مكان فعند ذلك قال الخطرموس وقد غضب من كلامهم أيها الشيخ النجيح وحجة المسيح قد عولت على شىء أريد أن أفعله فقال له عقبة يامولاى وما هو الأمر قال أضرب رقاب هؤلاء الذين حصلوا فى الأسر وأرمى برؤسهم إلى أصحابهم فاذا رأوا ذلك ترتاع قلوبهم فيولون على أعقابهم ويعلمون أن كل من أسرناه منهم نعمل به هكذا ويكون ذلك دراه ويكون سبب لانكسارهم بلا مطاولة ولا تقييد فقال له عقبة لعنه الله وقد فرح فرحاً شديدا أو كاد عقله أن يذهب أيها الملك هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب فلا زلت موفقا فى كل الأمور والاسباب وكان قصد الملعون عقبة لعنه الله أن يعجل بالذهاب على الأمير عبد الوهاب ويستريح خاطره من كل جانب وبقى الذى يريده رب الأرباب يمح الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان عقبة أراد أن يبطل بقتله الأمير عبد الوهاب دولة بنى كلاب ويضعف ركن الأميرة ذات الهمة فاطمة بنت مظلوم العابدة للحى القيوم ثم انه التفت إلى الملك وقال له اعلم أيها السيد الجليل والمولى النبيل ان هذا الأسود قال أنه رأى فى المنام أن نبيه ﷺ وهو يقول لابد انك تصلب الشيخ النجيح على باب القسطنطينية ويعجل هلاكه وتمحو أثره من الأرض حتى لايبقى له ذكر يذكر ولاخبر ينشر وأريد يامولاى أن تعجل به حتى يصح أننا أصدق منهم ولا يتكلمون بكلام مليح ولا لفظ صحيح (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الملك كلامه تعجب منه وضحك ضحكا عاليا وقال إنى وحياتك يا أبونا لأبلغك منهم فى هذه النوبة مرادك لاننا ان رجعنا الى الأمر الحقيق ولفظ التصديق ان

كنت السبب فى وقوعهم فى هذه المحنة ثم نادى برفيع من صوته قدموهم فكان أول من قدم الأمير عبد الوهاب ترس قبر النبي الأواب صلى الله عليه وسلم ولقد أيقن الأمير بالذهاب وقرأ قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ثم قال الحمد لله الذى قضيت منيتى بين أعدائك وقتلت فى سبيلك وأنا أرجو أن تؤمنى من غضبك ثم تشهد وقرأ شيئا من القرآن هذا وعقبة يقول يا أسود يازنيم ماهذه أشياء تدفع عنك ضرب الرقبة فلم لاتقرأ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أن السياف استأذن الملك فى قتله وقال له عن أمرك أيها الملك فقال له اضرب فهم السياف أن يرفع يده بالضرب واذا بالصراخ قد نما وعلا والزعقات والرجفات أخذتهم من كل جانب فالتفت الملك واذاهو بقومه وهم بين صارخ وعائط وهم يتكردسون على بعضهم من خوفهم ففزع الملك من هذا الأمر الشنيع وقال لهم ما وراكم ومن بشرد رماكم فقالوا وراءنا الموت الأحمر والبلاء المكدر قد ملك الدير من كل جانب الحقونا انجدونا وخذوا لأنفسكم النجاة لأن الدير حصل فيه عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى من المسلمين فعند ذلك تغير لون الملك وغاب عن الصواب فعندها فرح الأمير عبد الوهاب والأمراء والاصحاب وقالوا أيها الأمير أبشر بالفرح فما نظن إلا أن الأمير أبو محمد البطال قد عمل حيلة وقد ملك بها الدير فالحمد لله على الخير قال وأما عقبة اللعين لما سمع أن الدير قد ملك وقد صار فيه عالم عظيم تغوط فى لباسه وصار عبرة بين جلاسه وعلم أنه ما بقى له مهرب ولا خلاص فسيب على نفسه واصفر لونه وتغير كونه وطار عقله وأيقن أنه قد ظفروا به أعداءه (قال الراوى) ثم أن الخرطموس صاح بأصحابه ويلكم من أين دهينا فقالوا وحق المسيح مالنا علم إلا أننا لانشعر إلا والاعداء معنا فى الدير فسمعنا التكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير فعند ذلك جئنا منهزمين وللنجاة طالبين فلا تعجل على هؤلاء الأمراء فلعل ان نفادى بهم عنا وعنك (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى ذلك أن الأمير أبو محمد البطال لما تم على الأمراء ماتم ضاق صدره وعيل صبره وأقبل على ابنة الملك الذى سموها سعيدة وقال لها أيتها الملكة السعيدة المؤمنة الرشيدة أنظرى ماقدجرى علينا هذه النوبة من مكر هذا اللعين عقبة فقالت ماالذى تشتهى أيها الأمير أن أفعل فقال لها الأمير أبو محمد اعلمى أن أبوك مشغول بالأسارى ولو أن لنا طريقا إلى الدير لكنا نخلص أصحابنا أو كنا نستخفى إلى أن نروح إلى الدير ونملكه وقد بلغنا المراد وخلصنا جميع الأمراء من الأصفاد وإلا نحن نقع فى أمرهم وتحت أسرهم فأبوكى ماتطلب إلا أنتى وابن عمك وان رآكما مايبقى عليكما ساعة واحدة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعت

كلام أبو محمد البطال قالت له فما رأيك أيها الأمير فنحن ندلك على طريق لا تزال أنت وأصحابك سائرين فيها الى أن تصير فى وسط الدير بعد ساعة من الليل فقال لها أبو محمد هذا هو المراد فقد بلغنا من الله تعالى كل خير وزال عنا كل هم وضير فقالت له يا أبو محمد الطريق الذى جئت منها ادخل فيها أنت وأصحابك وسيروا الى أن تقدموا الى الجبل والى شجرة جوز فى جانب الشعب فاذا وصلت اليها ترى مغارة كبيرة مظلمة فأوقد شمعة وادخل أنت وأصحابك فيها الى أن تصل الى حجر أصم فى وسط الطريق فتعاونوا عليه حتى تزيلوه من موضعه فاذا زال من موضعه فادخلوا حتى تصلوا الى شباك فشدوا فيه الحبال واجذبوه حتى ينقلع فاذا انقلع ادخلوا منه الى موضع مضيق وفى المضيق ماء جارى ليلا ونهار فخوضوا فيه الى أن تصلوا الى جب عظيم وفيه ماء الا انه دون القائمة وهو معقود بالحجارة الى رأس البئر فاذا وصلتم الى ذلك المكان ارفعوا رؤوسكم تنظرون الى رأس الجب وعليه دلو وحبل تخين كبير فاصعدوا فيه الى بيت كبير يسمى خزانة الماء ولا يعلم بذلك الموضع الا أنا وأبى وبعض من الخواص الذى من ذلك المكان وقد اطلعتم على الحال وجليته وصحته (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع أبو محمد ذلك الكلام من ابنة الملك فرح فرحا عظيما وأخذ معه مائة من السواد ومائة من بنى كلاب وسلك بهم فى تلك الطريق ولم يزل الا أن وصل الى الشجرة كما وصفت الجارية ودخل بهم الى المغارة والأميرة ذات الهمة فى أوائلهم الى أن وصلوا الى الصخرة فشالوها بالحبال وتعاونوا عليها الرجال بهمم الاسلام فأزاحوها من مكانها ودخلوا كما ذكرت الجارية لهم وأزالوا الشباك وصاروا الى الجب المذكور وأوقد أبو محمد شمعة فكان أول من طلع فى الحبل أبو محمد البطال وبعده الأمير ميمون الجماس وبعده الدموك وباغض الحياة ورأس العجل وصياع الضفادع وأبو عقلين وأكال السرطان وجماعة من السودان (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أنهم فتحوا الباب وطلعوا على الاسرار ورتب منهم جماعة فى وسط البلد الذى هو الدير فملكوها وضربوا كل من كان فيه بالسيف وسقوهم شراب الحيف ونادوا بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير (قال الراوى) ياسادة يا كرام ووصلت الاخبار فى تلك الساعة الى الخرطموس كما ذكرنا وكان الامير عبدالوهاب بين يديه كما وصفنا وقد قدموه تحت السيف كما شرحنا لجاءه الخلاص باذن الله تعالى (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الخرطموس بذلك رجع بالاسارى وأعطا ظهره الى الريض الذى للدير وجعل يقاتل وصار القتال يعمل بين الطائفتين قال وسمع المسلمين الذى خارج الدير صياحهم فعلموا انهم فى أشد الحرب فزحفوا الى المضيق وتسلقوا السودان الى رؤوس الجبال وترادفت الاهوال واشتد الزلزال

ونادوا يا آل كلاب ووقع القتال عند الريش ونزلوا السودان والأمير أبو محمد من الجانب الآخر وبقي الخرطموس في وسط القوم (قال الراوي) يا سادة يا كرام فيالها من ساعة شاب فيها الصغير وتحير فيها الكبير وضاع فيها التدبير وأخذ النهار وأتى الليل بالاعتكار ووقع الخرطموس في بحر الاعتكار ورجعت كل طائفة الى مكانها وطلب الخرطموس الملعون عقبة فما عرف له خبر ولا عن أين راح ولا وقعوا له على أثر فعند ذلك أحضروا الاسارى الى بين يديه وقال للأمير عبد الوهاب قد عزمت فى هذه الساعة على ضرب رقابكم كلكم الا أن تبعثوا إلى عسكركم يرحلوا عنا وتسلموا الدير لنا ولكم من الأموال ما تشتهون فان أبيتم ذلك ضربت رقابكم وأنا كفؤا لمن بقي منكم فقال الأمير عبد الوهاب أنا أبعث اليهم من ساعتى هذه وأخبرهم بما جرى وأخبرك جميع ما ذكرت فقال الملك رضيت بذلك ثم ادعى الأمير بثلاثة من الأسارى فأمر الملك باطلاقهم فأطلقوهم وأرسلهم الأمير عبد الوهاب الى الأميرة ذات الهمة والى المسلمين ويقول لهم نحن فى عين الهلاك ولا حاجة لنا فى الدير وان لحيتوا على القتال هلكنا كلنا جميعا وقد عول على ضرب رقابنا وقد طلب منا الرحيل ولنا من الأموال ما نريد ونحن بين أيدينا أعداء كثير مثل غضب المسيح وزنانير وغيرهم من المشركين فأجيبوا إلى ما طلب بلا خلاف والسلام ثم خرجت الرسل الى العسكر وأعلموهم بالخبر فقالوا مبارك يكون ذلك فى غداة غد ان شاء الله تعالى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب الخرطموس وحمل على المسلمين وجال فيهم يمين وشمال وكان أى فارس قاربه لايحتاج يضرب بسيف ولا سنان إلا يجذبه من سرجه ويضرب به الأرض يخلط بعضه فى بعض وطوله فى العرض والأميرة ذات الهمة لما رأت ذلك ونظرت فعاله نادته يا ابن الأنذال المتجرىء على الملك المتعال يا كثير الضـلال والمحال أما علمت انك تريد الصلح والهدنة على اننا نسلم لك الدير فقد نكثت عما قلت ونحن ما نكثنا فهلم الى اللقاء حتى نرى من يسعد ومن يشقى أنا أم المجاهدين أم الأمير عبد الوهاب والله يفعل ما يشاء فان ظفرت بك خلصت المسلمين وان ظفرت بى اعمل ما تريد وان بأسرى ترحل المسلمين (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الخرطموس كلامها قال فى نفسه ها قد فرج المسيح عنى ثم قال أكون أنا وانتى فداء لهؤلاء العسكرين فعند ذلك حمل عليها وحملت عليه الاخرى وكانت الاميرة ذات الهمة راكبة على جواد أصفر عالى مضمر كانه الماء اذا انحدر أو المطر اذا انهمر يجوز الوصف ويسبق الطرف ثابت القوائم طويل الشكائم يسر مع الرياح ويطير مع الطيور بلاجناح

واصفر من خيول العرب تتبعه ٭ ريح الجنوب اذا جربته صبرا
يسابق البرق فى لمح فيسبه ٭ ويترك الطير من بغداد منهمرا

(قال الراوى) يا سادة يا كرام وعليها بشت ذهب مزرد يحير من رآه من كثرة ذهبه وطلاه وعلى رأسها بيضة عادية بالذهب مطلية وفى كفها سيف أخضر ورمح أسمر وهى معممة على البيضا ملثمة كأنها أسد غضبان أو شجاع ظمآن ثم طوت اليه السنان ونادت ياحنان يامنان ياذا الجود والإحسان أخمدنا هذا الشيطان كما أخمدت نار النمرود بن كنعان ثم أنها صاحت به وقالت له ويلك يانسل عبدة الصلبان ويا عابد الصور المصورة فى الحيطان دونك والضرب والطعان فى ساحة الميدان واثبت بين يدى ساعة يسيره فأنا بالحرب بصيرة وبالطعان خبيرة ثم أنشدت تقول

أيها الخطرموس دونك والضرب ٭ فانى بالحروب وبك خبيرة
لا أبالى بكثر الخلق أن هم ٭ بارزونى بالصافنات المغيرة
فقتالى بين الانام عجيب ٭ إذ أنا حرمة وأم كبيرة
غير أنى عودت قتل الاعادى ٭ وبلوغ المنا وكنت صغيرة
فاسألوا عنى مالكا ورباحا ٭ عن فعالى فى أهل تلك العشيرة
كم تركت الملوك منى صرعى ٭ وبالنصر كنت من الهنى جديرة
آه ما أطيب الشهادة للمرد ٭ وطوبى ان لى أخذت أسيرة

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وان الخرطموس حمل عليها وتحته جواد عالى ململم كأنه الغراب الأسحم أو الليل اذا أظلم بغرة كالدرهم وعليه صدرية زرد كأنها عيون الجراد وعلى رأسه بيضة حملية تأخذ بالبصر وعليها صليب جوهر ودائر البيضة كتابة بالرومى وبيده صارم ذكر يقد الصخور ويفرى النحور وصاح بها صوتا كأنه الرعد اذا خفق ودام بينهما القتال واشتد العرق وأخذ كل منهما لنفسه بالحذر وقلق الأمير أبو محمد على الأميرة ذات الهمة ونادى ياناصر الناصرين ويامؤيد على المرتضى على القوم الكافرين ثم أن المسلمين هللوا وكبروا هذا والفارسان فى عراك متدارك وأيقن كل واحد منهم أنه هالك ثم تقسطل عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ودام الانتظار وعظم الافتكار وتثلمت الصوارم وتعبت الأكف والمعاصم واعتمدوا على الرماح بعد ضرب الصفاح وحمل الخرطموس على الأميرة ذات الهمة وحاذا بضربة هائلة فحادث عنها وقد عطلتها بحسن خبرتها وصناعتها ثم عطفت عليه بطعنة على الحمام وانقطع الكلام فوافق السنان صدره طلع يلمع من ظهره ثلاثة اشبار فعند ذلك ضجت المسلمين من تلك الضربة وتعجبوا من

صناعتها وقوة زنودها وهال الموحدون وخسر الجاحدون وحملت السودان على أصحاب الخطرموس حتى يخلصوا أميرهم الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم للأعداء ثبات بين أيدى المسلمين فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار بعد قتل ملكهم وعاجلتهم المسلمون بالدخول إلى الدير وقد زال الهم والضير وكان السابق إلى المكان الذين فيه الأسارى الأميرة ذات الهمة ودخلت إلى عبد الوهاب والأمراء الذى صحبته وقالت أبشروا بالسلامة والسرور فى يوم القيامة ثم حلت كتافهم وفكت قيودهم وقد أشتغل أصحابها بالنهب والقتل فلم ينفلت من الروم أحد وكان يوما عظيما ثم ركب الأمير عبد الوهاب فى جماعة من الأصحاب وقد تضاعفت الأفراح وشكروا الله تعالى على السلامة والنجاح وأما الأمير أبو محمد البطال فما كان له شغل إلا أنه جمع الأموال وحفظها من النهب وغلق عليها الباب على بيت الصنم والعجل الذهب وطلعت الأميرة ذات الهمة والأمير عبد الوهاب وباقى الأمراء والأصحاب وجلسوا فى مجلس كان الخطرموس يجلس فيه ليشرف على الدير وتلك الديار النصرة والأراضى المزهرة وجمعوا أهل الإسلام الأموال والرجال والجراهر والجوار الروميات والمماليك من أولاد النصارى مالا يحصيه إلا الله تعالى وأن الأمير أبو محمد قدم الأموال بين يدى الأمير عبد الوهاب فذهل عقله وحار لبه وقال يا أبو محمد من أين هذا لك فقال يا أمير من خزائن الله التى لاتفنى ونعمته التى لاتحصى وهذه أموال الكفار وقد أصبحت اليوم للمؤمنين الأبرار وهنا أوفى وأعظم وأفضل وأكثر من هذا إلا أنه فى الدير عجلا من الذهب وأقل ما يكون وزنه عشرة قناطير وفيه من الفضة والجوهر وغير ذلك مالا قيمة له فافعلوا الآن ماتريدون فيه من الرأى (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأن الأمير عبد الوهاب لما سمع كلام أبو محمد البطال قال له يا أبو محمد هذا كله ما يفوتنا بل نريد منك أن تورينا الشيخ الشريف العلوى حتى نخلصه مما هو فيه ونفرج عنه فقال له الأمير أبو محمد صدقت أيها الأمير فقوموا بنا إلى خلاصه لنربح الأجر والثواب من رب الأرباب ومسبب الأسباب فعند ذلك قالوا الأمراء كلهم هذا هو الصواب فأول من وثب الأميرة ذات الهمة وقام من بعدها أبنة الملك الخطرموس وقد حسن أسلامها وإيمانها وكان ابن عمها قد قتل فى هذه النوبة لأنه أحب الجهاد فى سبيل الله تعالى فاستشهد ومضى إلى رحمة الله تعالى فأخذتها الأميرة ذات الهمة وقالت لها أنا أزوجك إن شاء الله تعالى من تريدى من الأمراء فشكرتها على كلامها ثم أنهم دخلوا إلى الشيخ الشريف العلوى فرأوه فى الذل والهوان وفى رقبته غل وفى رجليه القيود الحديد

وسلسلة طويلة وهو على ذلك لا يقطع الصلاة ولا يفتر عن ذكر الله والتسبيح والتقديس وهو مواظب على قراءة القرآن وصابر على بلاء عبدة الصلبان وكان الملعون الخطرموس كلما رآه على تلك الحالة والمواظبة يزداد عليه حنقا وغيظا وكلما ضربوه يقرأ قوله تعالى وأصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين أتقوا والذين هم محسنون ويقول يارب اجعل لى من السجن فرجا ومخرجا يا من خاص يونس من بطن الحوت يامن نجى يوسف من السجن بعد سبع سنين يا من يسمع أنين المضطرين يامن أنار القمرين أسألك بحرمة محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلا ما خلصتنى من أيدى الكفار وأخرجتنى من هذه الديار إلى مجاورة الأبرار قبل خروج روحى من الجسم واجتمع مع أهل الإيمان فقد طال أمرى وعيل صبرى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهو كذلك وإذا بأبو محمد ناداه قال له أبشر ياشيخ بالخلاص والإجتماع مع أهل الايمان والأهل والأولاد فهذا الأمير عبد الوهاب وهذه الأميرة ذات الهمة وقد جئنا لخلاصك من هذه القيود وأطلاقك بمعونة الرب المعبود فابشر أيها السيد بقبول دعاك وسؤالك وبلوغ آمالك (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأنه لما بشره بالخلاص فرح الشيخ بذلك وقال الحمد لله رب العالمين ثم فكوا القيد من رجليه وأزالوا ذلك الضر عنه وألبسوه أفخر الثياب وأسقوه شيئاً من الشراب وتركوه إلى أن رجعت روحه وقويت نفسه وأحضروه إلى بين يدى الأمير عبد الوهاب وسألوه عن سبب أسره وقالوا له من أين أسرت وكيف وصلت إلى هذا المكان فقال اعلم أيها الأمير أننى من أهل البصرة وكان لى مال ونوال ورجال وأهل وعيال وكنت أتاجر فى اللؤلؤ والجواهر وكنت كل قليل أسافر فسبب الله تعالى أننى دخلت إلى هذه البحيرة ثم عرضت أموالى على الملك صلبوتا وغيره من الملوك فاشتروا منى ما صلح وتركوا ما لم يكونوا محتاجين اليه ثم أعطونى أموالى وسرت حتى وصلت إلى هذا المكان فلقينى هذا الكافر المتجبر الفاجر فأخذ مالى وجواهرى ثم أعتقلنى عنده وسألنى عن دينى فأخبرته بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو سبب أسرى ثم سجننى عنده وأرسل على العقوبة وأن رجلا قدم عليه من منذ عشرة سنين وكان حكيما يقال له ماريتمون فلا جزاه الله خيرا جاءه برسالة من عند ملك يقال له غضب المسيح فسأله عنى فأخبره بأنى شريف وأننى أنتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه بأخذ مالى فقال له حكيم ماريتمون اعلم أيها الملك أنك ما تتقرب إلى المسيح بأفضل من أخذ أموال هذا الرجل وعذابه فى السجن فلما سمع الملعون بذلك صار يضاعف العذاب

لى فى كل وقت الى الآن فقال له الامير عبد الوهاب والامراء الحمد لله الذى جعل خلاصك على أيدينا ونرجوا شفاعة جدك يوم القيامة فقال له الشيخ اعلموا أن الله قد وعدكم على فعل الخيرات النجاة يوم القيامة لان الله تعالى قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يرى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد خلصتمونى من أيدى الكفار والله يتولى معونتكم أنه قريب مجيب كريم حكيم عفو ستار ثم أنشد يقول

دع مهجتى تزداد فى خفقانها ☆ ليس التزمل فى الهوى من شأنها
وأعذر فان حشاشتى مشعولة ☆ لاشك أن الدمع من أجفانها
عبراتها زفراتها عثرتها ☆ تنسيك بالمكنون من كتمانها
آه لنفس طال ما سليتها ☆ فى الامر بالاعراض عن أشجانها
واعبرتى لولا تلهف زفرتى ☆ طرف لقام الحشر من طوفانها
لكن أداريها بحسن تنفسى ☆ متبرد الآلام من نيرانها
هذا الذى قاسيته من علتى ☆ حلو فكيف المرء من أحزانها
من رام ألحاظ العيون تعرضا ☆ لسيوفها لم ينهج من عدوانها
نلت المشقة والعنا من بعدهم ☆ هيهات تغنى العين من سلوانها
لودام اسرى عجلت روحى الى ☆ دار البلا وخلا فسيح مكانها
وعدمت أهلى أن اراهم ثانيا ☆ وبسيف ذلهمة وهيبة شأنها
ارجوا الرجوع الى لقا من أصبحوا ☆ بالذل بعدى عادنى اعوانها
لكن بترس المصطفى وبأمه ☆ فهى التى فاقت نساء زمانها
كم جاهدت فى الله حق جهاده ☆ وأذلت الشجعان من انزالها
لله ما ضم الازار من النقا ☆ والنصر والتأييد من أركانها
اما الامير فلست انسى فضله ☆ ما دامت الافلاك فى دورانها
قد عم أهل الارض نيل سماحة ☆ موجودة طورا ومن أحسانها
فاذا تطاولت الكرام أكفها ☆ قسما له طالت على أقرانها
بطلى بجود على العدو تكرما ☆ لولاه لالتحقت بكل هوانها
وأبو محمد الأمير فلم يزل ☆ فى كل مكرمة رضيع لبانها
ياصاحب الكرم البديع ولم تزل ☆ تحكى انا الدنيا على لقمانها
ذا حكمة وفصاحة قد فضلت ☆ فى هذه الدنيا على شجعانها
ومن بكم شمس الثغور منيرة ☆ ماغرد القمرى على أغصانها

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما فرغ الشيخ من شعره ونظمه ونثره قبل الأمير عبد الوهاب رأسه وكذلك الأمراء وقالوا نحن أولى بالمدح إلى جدك الكريم الطاهر المطهر فقد قال من لم يزل سميعا بصيرا انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ولم يبق أحد من المسلمين إلا وبكى من طيب سمره وفرحوا بمدحه ثم ان الأمير أبو محمد البطال قال للأمير عبد الوهاب أيها الأمير ينبغى أن تجازيه على مدحه وشعره بما هو أهله فقالت الأميرة ذات الهمة هذا هو الصواب ومانقنع له بشىء قليل فعند ذلك جعل له الأمير عبد الوهاب من وسط الغنيمة بعشرة آلاف دينار ويكون معهم فى أكلهم وشربهم وبعد ذلك يتوصل إلى أهله وبلده فدعا لهم أحسن الدعاء (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم رجع القوم إلى العجل الذهب فرأوا من صنعته العجب ثم انهم صبروه قطعا وفرقوه على الناس فاستغنوا غنا لافقر بعده ولم يتركوا شيئا من الذخائر التى جمعت عنده لاكثير ولاقليل وان الأمير عبد الوهاب بعث إلى الملك صابر يستدعيه اليه لأمر يشاوره فيه فلما مضى الرسول إلى الحاجب الذى له وكان قد أسلم معه وكان اسمه رضوان فلما رأى رضوان رسول الأمير عبد الوهاب سلم عليه وقال ياأخى ماالخبر فقال انالأمير يستدعى بالملك صابر الى حضرته ليشير عليه برأيه ومشورته فقال له الحاجب ياأخى أنتم تطلبونه من عندنا وهو بالأمس عندكم وقد بعث اليه الأمير عبد الوهاب من أمس اثنين من خواصه أخذوه الى الآن ماسمعت له خبر وقد اشتغلت قلوبنا لغيبته فقال له الرسول لابالله يا أخى فقال بلى والله العظيم ما أقول إلا الصحيح أيها الرسول الكريم فقال الرسول إنا لله وإنا اليه راجعون ياأخى امضى معى إلا الأمير حتى يعلم بهذه القصة (قال) فسار الحاجب إلى أن وصل الى عندالأمير عبد الوهاب وأخبره بالحال فلما سمع ذلك قامت عليه القيامة وكذلك الأمراء وعلموا انها من أعمال اللعين عقبة (قال الراوى) ياسادة وكان السبب فى ذلك الحكيم ماريتون وعقبة لعنهم الله وذلك ان الحكيم ماريتون لما أقام فى أسر الأمير أبو محمد البطال فى الدير كان قد قام عليه الحرس فلما هرب وخلص من الخرطموس عقبة الآخر معه وأقام فى الدير إلى أن علما أن المسلمين قد وصلوا إلى الربض من داخل الدير فعلما أنهم يملكونه فاخذا فى الهرب واختفيا فى الجبل إلى أن قتل الخرطموس وملكوا المسلمين الدير وخلصوا الأسارى وخرج الملك صابر من خيمته واشتغلوا الأمراء بخلاص الشريف العلوى المأسور وقسموا الأموال فقال عقبة اعلم ياحكيم ان المسلمين قدملكوا هذا الدير وهلكوا أهله وقتلوا الملك وأسلمت ابنته وماأظن المسيح إلاغضب عليها فقال الحكيم ماريتون ماذا تريد يجرى على قلب الملك غضب المسيح

اذا سمع بهذا الحديث فقال عقبة ياأخى ماهذا موضع الكلام فالحمد للمسيح الذى أنا وأنت أحياء فبينما هم فى الكلام وإذا بجماعة من بطارقة الملك عبد المسيح قد أتوا فى طلبهما لاننا قد ذكرنا أن غضب المسيح قد طلب عقبة والحكيم فما وجدهما فصعب عليه وركب فى طلبهما فى عشرة آلاف بطريق وصار يقتفى أثرهما فلم يلحقهما وكان البطال لما أبصر غباره قصد إلى الدير فلما أيس غضب المسيح من لحاقهما أرسل هذه البطارقة ليأخذوا خبرهما فوجدوهما قد خلصا فلما أن رأوهما عرفوهما فسلموا عليهما واشتد بهما ظهورهما فأمروهم أن يكمنوا فى هذا الجبل وقال عقبة للحكيم بعد ما بقى معنا هذه البطارقة مابقينا نرجع للدلك إلا بحيلة نعملها ونمضى بها عند الملك فقال له الحكيم ماريتون وماالذى تعمل ياعقبة فقال اعلم ان المسيح خلقنى ومانزل فى قلبى لمسلم مثقال ذرة من رحمة ولاسيما من كان نصرانيا وسلم فلو قدرت عليه فى ذلك الوقت لأكلت لحمه وشربت من دمه فقال له الحكيم وأنا كذلك أحب إلى خراب المساجد فقال عقبة اعلم أيها الحكيم ان هذا الملك صابر قد أسلم وحسن اسلامه بالنارنجيات والمحال من أبى محمد البطال وقد بلغنى أنه ماينام فى الليل ولا يفطر النهار من كثرة عبادته وأنا قد بغضته وكيف لى لا أشرب من دمه وأنا قادر فى هذه الليلة على أخذه بالحيلة العجيبة الذى تسمعها فقال له ماريتون وكيف تعمل فقال عقبة أدخل أنا وأنت إلى العسكر وهم مشتغلين فى نهب الدير والملك صابر لا يقدم عليه أحد ونزل ودخل الخيمة واشتغل بالصلاة فيدخل فعضنا اليه ويتحدث معه ويقول له ان الأمير عبد الوهاب يدعوك اليه فى حاجة عرضت له وخذ معك من أصحابك من أردت وان أردت تكون وحدك فافعل فان انخدع أخذناه ومن معه وسرنا به الى شعب الجبل الأزرق هنا لك تخرج أصحابنا ويأخذوه ويرضى المسيح بذلك فقال ماريتون هذا رأى مليح (قال الراوى) وكان هذين الشخصين فى تلك الليلة كأنهما ابليسين وقد قيل فيهما :

اسمع مقالى فى الشيوخ السفلة ... أهل النقائص والفعال المرزله
قد كفرا بخالق البرية ... وأشركا بعالم الخفية
ولم يخافوا خالق الانسان ... بلاهم الإله بالهوان
هم ما ريتون وعقبه ... بلاهما ربى بكل نكبة
هذا بناموس أتى وعله ... وذاك بالفهم وصدق الحكمة
اجتمعوا أثنتيهم للفتنة ... فادعوا عليهم بالغضب واللعنة

(قال الراوى) ياسادة وان ماريتون قال لعقبة الملعون أيها الشيخ النجيح أدخل أنت عليه فانه أعرف الناس بى فقال له عقبة فأين حيلك ياملعون ومكرك فقال ماريتون أنا

أدخل اليه ثم انه غير حليته ولباسه وأظهر انه مسلم ودخل الى العسكر وأتى الى مضرب الملك صابر والناس نيام وصوت الملك خارج من مضربه وهو يقرأ وكان قد علمه أبو محمد البطال شيء من القرآن فدخل عليه ماريتون فلم يجد عنده أحد فصاح ماريتون ببعض الحجاب فقام اليه فعلم انه رسول فقال له ماحاجتك فقال له أريد الملك يحضر الى عند الأمير عبد الوهاب يطالعه على أمر فقال له الحاجب قف مكانك ثم دخل الحاجب على الملك فوجده قد فرغ من صلاته فأعلمه بالرسول فقال آمره بالدخول فدخل عليه فوجده فى تضرع وخشوع ودعاء وهو يقول هذه الأبيات

حسبي الله سيدي وإلهي ... حسبي الله ان قلبي لاهي
أحمد الله سيدي وإلهي ... ماله ضد فى الأنام يباهي
أشكر الله سيدي وإلهي ... أنا ساهي والموت ليس بساه
أتوب إلى الله سيدي وإلهي ... منه كربي ومنه حالي وجاهي
أحمد الله سيدي وإلهي ... بعلى المرتضى وأهل التناهي
باسم ربي محي القلوب كما أحـ ... ـيا نبات الثرى بعزم المياه

﴿قال الراوى﴾ يا سادة يا كرام فلما فرغ الملك صابر من شعره قال الحكيم لعقبة كيف تعمل فقال عقبة كيف ترى يعنى سوف ترى ما أعمل به فلما صار قدام الملك سلم عليه وقال عقبة هذه أحوال الصالحين الصادقين وعلامات المؤمنين اعلم أيها الملك الكريم ان الأمير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب فى هذه الساعة قد مضى الى شعب ذريق فى جماعة من قومه وكأنه وصل اليه خبر لايعلم جليته ونحن أقرب الناس اليه ولم يطلعنا عليه بل انه أرسلنا اليك خدمة لك حتى تأتى اليه فان رأيت ان تتفضل أنت ومن تحب من أصحابك وان كنت مشغولا فأذن لنا ان نرد الى الاميرة ونقيم عذرك فلما سمع الملك صابر ذلك من كلامهما قال أقوم طاعة للأمير عبد الوهاب ثم انه خرج ومعه عشرة من قومه ثم مشى ماريتون قدامهم كأنه سبع ولم يزلوا سائرين حتى وصلوا الى الجبل الازرق فعند ذلك صاح ماريتون فى الرجال فخرجوا كأنهم أسود الغاب فقال خذوا هؤلاء الكلاب وبضعوهم بالحراب فما كانت الا ساعة حتى قتلوا العشرة وأما الملك صابر فانه تحير وصبر وجرح جراحات غير قاتلة للقضاء والقدر ثم استسلم فأخذوه وقيدوه فلما صار فى الذل والهوان أقبل اليه عقبة وقال له كيف رأيت دين الاسلام ان رجعت عما أنت عليه أنعمت عليك والا فابشر بطول العذاب فقال له الملك صابر والله ياملعون ما أعرف شيئاً مما تقول ياشيخ الضلال وان كان لى أجل فهين على ما تفعل وان كانت

أتت الوفاه فوا سعادتاه انى وصلت إلى رب الأرباب ومعتق الرقاب (قال الراوى) ياسادة فلما سمع عقبة ذلك زادعليه حقدا وأخذ له سوط من جلد الجمال وكان الملك صابر مكتوف اليدين ولم يزل عقبة يضربه وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وكلما سمع عقبة كلامه يقول له أزعجتنى لما بتذكر محمد وقال له ماريتون ويلك ماأجلدك فقال له الملك صابر ويلك الساعة قد كشف لى الحور العين وقد برزت الى باب الجنة وهن يقولون الينا الينا لتتخاص من عقبة هذا الكافر الفاجر فان نقلت الليلة فأنت عندنا من الصلاح نحن أشوق ومن رأى هذا فكيف يسأل عن غيره ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاه ثم أنشد يقول

ياسادتى لى حبكم مشرب رضيت بالقتل فلا تغضب
واننى أطمع فى وصلكم حتى كأنى فى الهوى أشعب
واننى أنشد فى حبكم بيتا ومن يسمعه يطرب
ان عذاب الحب متعذب فعذبونى فى الهوى عذبوا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع عقبة كلام الملك صابر قال له يا قرنان وحق المسيح لابد أحملك الى الملك غضب المسيح يقطع لحمك ويبضعك بضعا ثم انهم أخذوه ومضوا طالبين غضب المسيح ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا اليه ودخلوا عليه ومعهم الملك صابر (قال الراوى) ياسادة فلما رآهم الملك استخبرهم عنه بعد ما هناهم بالسلامة وخلاصهم فأخبره الحكيم ماريتون بحاله وكيف أسلم فلما سمع الملك ذلك غضت وقال له ويلك ما كفى ما كنت فيه حتى تركت دين المسيح وأسلمت أنت وجيشك والى المسلمين سلمت فلا عذبنك بأنواع العذاب ثم لطمه على وجهه قلع عينه من عظم لطمته فقال له الملك صابر ويلك ياملعون هذا جهد ما تقدر عليه وأنا سمحت بروحى وبعت نفسى فى رضى ربى فقال له غضب المسيح أنا ما أقتلك حتى أعذبك أشد العذاب وأقطع منك كل يوم عضو وأرميه للكلاب (قال الراوى) ياساده وان غضب المسيح أقبل أعلى عقبة وجعل يسأله عن حاله وكيف ترك الخرطموس فقال له عقبة أعلم أيها الملك أن الخرطموس قتل شهيد فى طاعة المسيح وأما أبنته مريم فانها أسلمت وصارت من جملة المسلمين وملكوا الدير وأخذوا كلما فيه فلما سمع غضب المسيح ذلك بكا على الخرطموس وعلى اسلام ابنته ثم انه أمر البطارقة ان يحتفظوا بالملك صابر وان يضيقوا عليه وبات بأيشم مبيت الى الصباح فعند ذلك أمر بالركوب وقال وحق المسيح مابقيت من المسلمين ولابد ماأسير اليهم ولا بدمن قتل الملكة زنانير الفاجرة وكسر عسكرها

وعسكر المسلمين وأجعلهم عبرة لمن اعتبر (قال الراوى) ياسادة فما تم كلامه الا وغبار تار حتى سد منافس الاقطار وأظلمت منه الدنيا ثم انقشع ذلك الغبار عن عسكر جرار وبان من تحته بريق البيض ولمعان الدروع وعشر رماح وعلى كل رمح صليب وتحت كل صليب عشرة آلاف فارس وفى أوائلهم الملك دقيوسا والى جانبه الملك الفارغوم وهو كانه المجنون وهو ينادى يا مخذول ياملعون جاءك البلاء النازل وينزل بك النوازل وقد خسر من غضبت عليه الملكة زنانير صاحبة العقل والتدبير (قال الراوى) فلما سمع غضب المسيح ذلك غضب وصاح فى قومه وحمل كانه الجمل والتقى العسكر بنفسه وطعن فى الصدور وخشف الظهور وحملت الجموع على الجموع ولمعت الجواشن والدروع وطارت الاكف من المعاصم وبقيت السيوف بلا قوائم وانحلت الغرائم وانصفت الأرض من دماء الجماجم وعتك فارغوم فى العوالم وحلف غضب المسيح انه لايرجع الا بأخذ الإثنين وكان قصده الملك دقيوسا فحمل عليه وقصد اليه فلما نظره الملك دقيوسا علم انه مابقى له منه خلاص وقد وقع فى شرك القناص هذا وقد استعجله غضب المسيح بضربة وقع السيف على عاتقه طلع يلمع من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (قال لراوى) ياسادة وكان غضب المسيح فى ثلاثة آلاف فحمل على أربعين ألف من أصحاب دقيوسا فرجعوا على اعقابهم وقد أدركهم الليل وقد أيقنوا بالويل ثم رجع غضب المسيح الى خيامه وقد أشفى غليله بضرب حسامه وعوذوه القسوس والرهبان وداروا حوله بالصلبان وأقبل عقبة عليه وجعل يقبل يديه ثم قال له أيها الملك أنت المنعوت فى الانجيل والعظم بالتبجيل واليك ترد الامور وقد قرأت فى الانجيل المسطور وهو فى السند الرابع أن انسانا يكون أشجع أهل زمانه يظهر من بحيرة الفلك يملك الأرض فى طولها والعرض فلما سمع الملعون ذلك فرح وقبل رأس عقبة المفتون وخلع عليه وعلى ماريتون ثم قال لعقبة أين الاسود حتى يلتقى هذا الليث الهمام فقال غضب المسيح من هو هذا الاسود فقال عقبة يامولاى هو أمير المسلمين الذى يقال له عبد الوهاب فضحك غضب المسيح من كلامه وقال له يا أبونا فهذا نسبه فكيف عمله فهو الذى يسمى ذات الهمة أم غيره فقال له عقبة بل ذات الهمة والدته وهى أفرس منه فاسأل المسيح يظفرك بها فكم لها فى رأس الشيخ النجيح من الضرب الصحيح فقال له الملك أيها الشيخ سوف أجمع بين الملكة زنانير وبينها وأقتل المسلمين غصبا وعنفا لانى أشتهى لقاء الرجال وقتال الابطال فقال عقبة وابردها على كبدى اذا جمع هنيا الرجل بين الشمطاء ذات الهمة وبين زنانير وأنت أيها الملك الضرغام

شتمهم أنذ أقوام (قال الراوى) يا ساذة يا كرام فلما سمع الملك ذاك ضحك منه وعلم أن فى قلبه من المسلمين النار وقال يحق له أن يقول مثل هذا وأكثر فهذا ما كان من غضب المسيح (وأما ما كان) من حديث فارغوم وأصحابه فانهم باتوا فى أيشم مبيت وفارغوم يقول لهم فى غداة غدا آخذ لكم بالثار فلما أصبحوا ركبت الطائفتين من الكفار للحرب والكفاح وقال فارغوم لأصحابه اعلموا انكم أن قصرتم عن حرب هؤلاء فانكم تهلكون ولا بد من الخروج اليه وان هو برز الى اخذته اسير وقدمته إلى الملكة زنانير ذليل حقير (قال الراوى) يا سادة وما تم كلامه حتى حملت الطائفتين واختلط العسكران وقام غضب المسيح الى أن التقى بالفارغوم فصاح عليه صيحة عظيمة أذهله واستجاده بطعنة فى صدره أطلع السنان من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما رأوه أصحابه قتيلا انقطعت قلوبهم وطلبوا الهزيمة وكانت لهم أوفى غنيمة وتبعهم غضب المسيح وغنم الأموال والرجال ورجعوا إلى أماكنهم ثم قال غضب المسيح لقومه أطلبوا بنا عسكر المسلمين حتى نستأسر أبطالهم ونقتل رجالهم ثم باتوا إلى الصباح ورحلوا إلى جبل عظيم عالى وإذا بهم قد لقيوا هنا لك عسكر المسلمين وكتائب الموحدين فلما رأوا المسلمين ذلك ركبوا وحملوا وفى أوائلهم الأمير عبد الوهاب وهو ينادى يا آل حام يا آل حام كروا على الكفرة اللئام واصبروا صبر الكرام وأسندوا ظهوركم إلى هذا الجبل والقو بوجوهكم عسكر الروم وحمل الأمير عبد الوهاب فى ألف من بنى كلاب واخترق ميمنة الروم كأنه الشهاب الثاقب وطعن فيهم كأنه القضاء النازل وخرج هو والألف الذين معه سالمين وقد قتلوا ألفه من الروم وطال بينهم المطال وقطعت الاكف والمعاصم وحمل غضب المسيح فى خمسة عشر ألف وطلب السودان الانجاب فنزل على الروم العذاب هذا وقد بربرت السودان وزمجرت الحبشان وكان الروم لا يقتل على نفسه إلا والأسود ضربه عرقبه ودحرج عليه حجرا قتله فقتل منهم خلق كثير وترجلت السودان عن الخيل وأنزلوا بالروم الويل إلا أن غضب المسيح فتك فى الناس فتمصدته بنى كلاب بالنشاب فقتلوا الجواد الذى تحته فوقع الى الأرض ثم قام الملعون وحوله من أصحابه خمسة عشرة ألف ودام بينهم الضراب ونزل عليهم العذاب وقد صبروا بنى كلاب والسودان وحفظوا مواضعهم وأعتمدوا على خالقهم ثم نادى الأمير عبد الوهاب يارب الارباب يا معتق الرقاب ويا منشىء السحاب ومسبب الأسباب وناصر محمد فى يوم الأحزاب ويامن فتح على عمر بن الخطاب انصرنا على هؤلاء الروم الكلاب وثبت هؤلاء العصابة اليسيرة على

هؤلاء الكفرة اللئام ثم أنشد وجعل يقول هذه الأبيات

إلهى جد بنصرك لى فانى ❊ عن الاسلام من حسبى أحامى
وقومى عزمنا ببنى كلاب ❊ كذا سودانها من آل حام
ورد الكافرين وهم حيارى ❊ كما قد جاولوا قوما كرام
وقد رفعوا الصليب وعظموه ❊ وجاؤا بالقساقسة اللئام
وذا غضب المسيح يريد منا ❊ نفوسنا لاتملها الحمام
وأن قتيلهم يضحى ذليلا ❊ إلى نار توقد باضطرام
وان الهنا يرضى علينا ❊ اذا متنا كراما فى الصدام
فكروا يابنى عمى عليهم ❊ وجودوا يابنى حام وسام
كأنكمو بأمى فى جيوش ❊ ضراغمه مع الليث الهمام
وعند الصباح يأتونا جميعا ❊ وترتج البسيطة بالزحام
الا أن الشجاعة صبر شخص ❊ لما يلقاه من ضرب الحسام
ألا أن الشجاعة صبر ألف ❊ على ألفين فى وقت القتام
وأنتم رايحون فلا تولوا ❊ لأن الكفر معكم فى انعدام
صلوا صبرى بصبر واحتساب ❊ أعينونى عليهم بالصدام
وصلوا بالقوى أزكى صلاة ❊ على المختار والصحب الكرام

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعوا العرب شعر عبد الوهاب استنجدوا وكذلك السودان من الحبشان وقالوا أيها الأمير كيف نولى الأدبار ونحرم من الأجر والصواب من الملك الجبار لحاشا وكلا أن نختار نفوسنا عليك أو ننجل بها بين يديك فطب نفسا وقر عينا فنحن نحفظ هذا المقام ثلاثة أيام (قال الراوى) وكان السبب فى انفراد الأمير عبد الوهاب ومجيئه فى هذه الطائفة اليسيرة وذلك أنهم لما فقدوا الملك صابر خافوا عليه وركب الأمير فى ألف فارس من بنى كلاب والسودان الأنجاب وأخذ أبو محمد البطال معه وركبوا يطلبون الأثر وأوصوا الاميرة أن تلحقهم بباقى العسكر فلما جرى لهم ما قدمناه من ملتقاهم بالملك غضب المسيح أرسل الى الاميرة يستحثها على المسير والنجدة (قال الراوى) ولما كان عند الصباح أرتفع من الطائفتين الصياح وعملت الصفاح وكثرت الجراح وذهبت الارواح فبينما هم كذلك واذا قد طلعت عليهم غبرة فزاد القتام بها ظلام وأمتلأت البرية صياح وتقسطل فى الجو غـيـرة وزكام وأسفر الصباح عن أسنة كالنجوم الزاهرة ودروع لامعه ومواكب متواتره وعساكر

متقاطرة وروايات أسلامية ووجوه محمدية وقد أمتلأت منهم تلك الأرض والبرية وهم ينادون الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وحيانا بالظفر ونحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم سيد البشر (قال الراوى) ياسادة وكان السبب فى ذلك ان أبو محمد البطال ركب جواده وكربه طول النهار أجمع إلى أن وصل إلى الأميرة ذات الهمة وأعلمها بالقصة على جليتها ثم قال لها العجل العجل يا أميرة فقد بلى الأمير عبدالوهاب بما لايطاق وربما اننا لانلحقه ولا من معه سالمين فعند ذلك طار عقل الأميرة ذات الهمة على ولدها وركبت جوادها وأطلقت عنانه ولم تلو على أحد ثم تلاحقت بها الفرسان والشجعان من عصابة أهل الايمان فى أربعة آلاف عربان وأصحاب الملك صابر فى عشرين ألف عنان وساروا على أهبة منهم وفى قلوبهم النار على ملكهم وعليهم ذلة وانكسار (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما وصلت الأميرة فى تلك الجموع ورأت الكفرة وقد احتاطوا بولدها كما يحيط البياض بسواد الحدق والأمير عبد الوهاب بينهم كأنه الواله المنصاب وهو ينادى جاءكم النصر من عند الرحمن يا أهل الايمان فهذه ذات الهمة والدتى فارسة الزمان وحولها جند الملك المنان فعند ذلك قويت قلوبهم وحملوا وكذلك الأميرة ذات الهمة وصلت إلى ولدها وأفرجت عنه وعنهم بعد ماقتل جماعة من بنى كلاب والسودان الأنجاب ووصلت أرواحهم إلى الجنان وكان جريدة من قتل من الكفار أربعة آلاف فارس مغوار (قال الراوى) فلما رأى غضب المسيح من قد وصل من المسلمين تأخر إلى ورائه ورتب عسكره وأما عقبة لما سمع بالأميرة سيب على نفسه واصفر لونه وحملت الاميرة ذات الهمة فى تلك الجموع ولمعت الجواشن والدروع وحامت عقبان الحمام على أهل المنازل والربوع فما كانت إلا كحلب ناقة حتى بقت الرؤوس تتطاير مثل أوراق الاشجار وقد خرج الامير عبد الوهاب من المعمعة فى ألف فارس وهم يتمايلون من التعب سكارى من النصب وعليهم خلع الفوز والقرب من الله تعالى الذى بعث سيد العرب والعجم النبي المنتخب فعند ذلك أقبل اليه الامير أبو محمد البطال وعانقه وهناه بالسلامة فشكره على فعاله وقال له ياأبو محمد كم لك من يد علينا وكم كربة فرجتها عنا فالله تعالى يتولى حفظك فقال له أبو محمد بعد ماشكره أيها الامير لقد فعلت فعلا يتحدثون به الناس على قوارع الطرق الى قيام الساعة إذ صبرت وأنت فى ألف فارس على خمسة عشر ألف فارس مدة يوم وليلة وفيهم هذا الجبار الذى لايبالى بكثرة المواكب وهذا من أعجب العجائب فقال الأمير عبد الوهاب والله يا أبو محمد ان الذى قتل من أصحابى فى هذه النوبة قطع ظهرى وحيرنى فى أمرى وان حياة كل مسلم عندى خير من ألف من

من الروم ولكن صبرا على ماقضاه الحى القيوم (قال الراوى) ثم ان الأمير نزل فى الخيام وهو كانه سكران هو ومن معه من الاخوان وأما الأميرة ذات الهمة فانها حملت بمن معها على الروم ففرقت جمعهم ومزقت شمل الشجعان وهجمت على كل بطل وجبان وسقتهم كاس الذل والهوان وحمل معها حسان بن صفوان ومرة بن مروان وصابر بن معدان وكامل بن عمران وراشد ابن ضمرة وأبو الهزاهز وميمون أبجاس ومصادم الجبال وأبو الأهوال وقراقد وولده قرقود وباغض الحياة وماجد ودمدم وكردم والمكروم وقشعم والدجروح وأبو العلم والسم والعلقم والدموك ومداد الملوك ورأس الغول وأبو الدموك ومرتاب وضراب الرقاب وملاكم الهوى والجلاد وأبو ناب وأبو العربان وزهر البان ورأس الحجار وأبو عمار وانتخبت أيضا بنى كلاب وطاب لهم الضراب ثم صاح غضب المسيح فى قومه عن صوت واحد وقد صار فى خمس وعشرين ألف فارس منهم دبور ومركى وكادور وكركوك وجوان نقولا ودويا وكنديا سطيل وابن عمه خنور ونقولا وبطرس وجرجس وحمباش وغرغور وكركور واستليو اوكرابيج وسحاب أخو غضب المسيح وعمل البتار وطلع عليهم الغبار ودارت طاحون الحرب وقصفت الأعمار وكان غضب المسيح إذا حمل تفرج له المسلمون ميدانا فلا يعود من حملته حتى يقتل الخمسة والستة فاستغاث المسلمين من شره وقالوا والله انه فارس عظيم فالله يدفع عنا شره فعند ذلك حملت عليه الأميرة ذات الهمة وأنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات

اليكم يابنى عمى وقومى * فقد حرمت بعد اليوم نومى
وكروا فى اللئام بصدق عزم * وتسبيح وتقديس وصوم
ففى شهر الصيام لكم ثواب * فيوم الصائمون بكل يوم

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان قتالهم هذا فى شهر رمضان وقد صبروا على عبدة الصلبان الأوثان واعتمدوا بالواحد المنان الذى لا يشغله شان عن شان الى أن صار وقت العصر وقد أبصر المسلمين مالم ينظروه قط من الروم أو من غيرهم مثل قتال غضب المسيح وأصحابه فبينما هم كذلك وإذا بغبرة قد طلعت من وراء الروم وقد أظلم الجو وعدم الضوء وتزلزلت الارض ومن عليها من كثرة الركض ثم ظهر من تحت تلك الغبرة عشرة صلبان تحت كل صليب عشرة آلاف فارس كانهم جذوع النخل وهم يرقصون على خيولهم رقص المدامه فى الأقداح وبينهم الملك مرعونا كانه المجنون وهم يلتقطون أصحاب غضب المسيح ومن ظفروا به ضربوا عنقه (قال الراوى) ياساده وكان السبب فى وصول هذا العسكر وهو انه لما بلغ عسكر الملك

زنانير بأن دقيوسا والفارغوم قتلوا عظم عليهم وكبر لديهم وكان عند الملكة زنانير ملك يقال له مرعونا وهو نازل عند الملكة زنانير فلما سمع ذلك وعلم أن الملك صعب عليها فعندها تقدم إلى الملكة زنانير وقال لها وحق المسيح والمذبح والصليب لا رجعت الا بغضب المسيح وكسر عسكر المسلمين فشكرته على ذلك وسار من وقته وساعته ونزل فى أرض واسعة على الماء وسأل عن الأخبار فقيل له ان غضب المسيح والمسلمين فى القتال فاصبروا إلى الليل واحملوا عليهم وانه عزم فى غد يحمل على غضب المسيح وعلى المسلمين أيضا ثم انهم باتوا على غاية القلق وغضب المسيح قد أخذه عليهم غاية الحنق فحضر عنده ذلك الحكيم ماريتون وقال له انى أريد أن أبعث الى هذا الكلب رسول وماله الا أنت، وأهدده وأعرفه قدره ومكانه وأقول له أن يتأخر عنا وعن الماء حتى يشربوا الناس وأفرغ من المسلمين وأرجع اليك فقال عقبة أيها الملك ماهذا صواب ولا هذا رأى فقال له غضب المسيح ولم ذلك أيها الشيخ النجيح قال لأن الأمر يطول وما نبلغ مقصود وعندى رأى وهو صالح وانه لميزان راجح فقال له غضب المسيح وما هو فقال تبعث اليه أيها الملك على وجه الخديعة وتقول له اعلم أيها الصاحب ان الملوك كلهم تحت طاعتى وقدشهدوا الثقلان بشجاعتى ولا أخاف من الابطال ولا أكترث بالاقيال ولى الولاية على جميع القلاع وقد حكمت لى ملوك الارض والحكماء بأنى أملك الارض فى طولها والعرض وما جئت فى هذه النوبة إلا طاعة للملكة زنانير ورغبة فى الاجتماع بها وان أنصرها على عدوها وأرجع إلى قلعتى والآن فقد كان الغدر منك فى الاول فى قتالنا وكسر أصحابى فى غيبتى وقد مضى ما مضى ولاجل الملكة زنانير أقابل السخط بالرضى ونريد فى غد نجتمع على المسلمين ونحمل عليهم حملة واحدة حتى لايسلم منهم واحد ونظفر بأموالهم وما قد ملكوه من الحصون ونعود معكم وقد أخلينا الديار من المسلمين وتطيب قلوبنا أجمعين ونرجع إلى خدمة الملكة زنانير فليعلم مرعونا ذلك وليعتمد على قولى ومشورتى ولا يخالف نصيحتى فيعتب عليه الشيخ النجيح فلما سمع غضب المسيح ذلك من كلام عقبة غضب غضبا شديدا حتى كاد أن تخرج روحه ولاح السخط فى وجهه ولم يبق أحد من الحاضرين عنده الاوخشى من سطوته وشره ثم تقدم الحكيم ماريتون وأشار الى عقبة بالسكوت عن مثل هذا الحديث فسكت فعند ذلك قال الحكيم ماريتون أيها الملك هذا الشيخ النجيح ما يعلم ما أنت عليه من المنزلة العظيمة عند الملوك لانه غريب فى هذه الديار ولا تؤاخذه بهذا الذنب اذ هو أعلم علماء النصرانية وما قال هذا الكلام الا على وجه النصيحة والاشفاق عليك وكان ماريتون قد فزع على عقبة

من غضب المسيح لانه ما غضب قط أحد الا لطمه خسف أضلاعه (قال الراوى) فلما سمع الملك كلام ما ريتون عرف صحة قوله له وسكت عن عقبة فبال عقبة فى أثوابه وملا سراويله و نشف ريقه وشخصت عينه الصحيحة وأطرق إلى الارض مليا ثم قال فى نفسه لاستر المسيح عليك فسوف ترى يا كلب الروم كيف يكون حالك مع المسلمين فما أخزاك وما أكفرك وان الملك أمر ان يكتب لمرعونا خلاف ما قاله عقبة يقول ستعلم أيها الملك انني إذا فرغت من المسلمين وقتل أبطالهم أجمعين أريد أن أنزل بك من الويل والعذاب الاليم مايكون عاقبته الاعجاب وما أفعل بالملكة زنانير إذا وصلت إلى ديارها وأقبلت إلى حسنها وأما أنت فأحقر عندى من نملة وأخس من قملة وأصغر من برغوث وأنحس من ديوث ومالك عندى جواب إلا ان ترحل غد عن الماء أنت وقومك حتى أفرغ من المسلمين واقيال الموحدين وأعود اليك وأريك وبال أمرك وما فعلت بأصحابى وأسقيك كاس عذابى (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم بعث الكتاب مع بطريق من البطارقة فسار به البطريق إلى أن دخل إلى مرعونا ليلا ثم أعطاه الكتاب فأخذه مرعونا وقرأه فلما فهم ما فيه تغير لونه واضطرب كونه واحمرت عيناه وكاد السخط أن يقتله وقال لرسول غضب المسيح ياويلك قول لمولاك ستعلم عاقبة كلامك وما قلته من شقشقة لسانك وما فعلته من هجومك على ديارنا وأما أنت تنهانى وتأمرنى بالطاعة لغيرك وتغيرنى على ذلك فهى ملكة الدنيا زنانير وأما قتال المسلمين فهيهات أن يلقاهم غيرى فانى أغنمهم وأفوز بالمال الذى معهم ويكون لى اليد البيضاء عند الملكة زنانير وان أنت أبيت ذلك فدونك والقتال فى غد ومن نصر منا قاتل المسلمين (قال الراوى) ياسادة فلما وصل الرسول إلى غضب المسيح وسمع ما قاله مرعونا كفر ونخر وغضب غضبا شديدا وداخله من مرعونا ما أثار عليه جنونه وقال بل يكون غد قتالنا مع أصحاب الملكة زنانير ثم أنفذ إلى الأمير عبد الوهاب يقول انعزلوا عنا فى غد فانه وقع بيننا وبين هؤلاء الواصلون وهم يريدون قتالى وأنا أريد قتالهم وكل من نصره المسيح يكون له حديث عجيب (قال الراوى) فلما وصل الرسول الى الأمير عبد الوهاب وسمع انه قد وقع بينهم الخلف فحمد الله تعالى على ذلك وقال هذه نوبة جيدة وهذا كله من تدبير البارى جلت قدرته فلا أبقى الله لهم باقية وفرح المسلمون بذلك لأنهم عاينوا من غضب المسيح ماهالهم وإذهلهم ولما وصل عسكر الملكة زنانير قالوا انهم يجتمعوا هم وغضب المسيح عليهم فلم يوفق الله تعالى بينهم فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الأمم من عباد المسيح وزحف مرعونا وتقدم وكذلك غضب المسيح صاح فى قومه وحمل ووقع

بينهم القتال واشتعل وتعلق كل إنسان بخصمه واشتغل ودارت راحات الحرب كما يدور المرجل وقتل منهم خلق كثير وقد فتك فيهم مرعونا ونكل وقد عزم عسكر غضب المسيح وعلى الهرب عول وأقبل الليل بديجوره وانسدل ورجعت كل طائفة إلى مكانها واعتمدت على عبادة صلبانها ثم قال غضب المسيح فى نفسه ما القتال كل يوم بصواب ولكن أخرج إليه بعض أصحابى فلعل أن يقتله فاذا قتل بلغنا ما نريد من القوم ولا يضيع غدا كما ضاع اليوم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما كان من غضب المسيح (وأما ما كان) من مرعونا فانه أقبل على المقدم الذى بعسكر غضب المسيح وكان قد أسره وهو فى القيود فسأل عنه فقالوا له هذا أشد من غضب المسيح وكان قد قطع على نفسه مائة ألف دينار ومائة حصان وغير ذلك فقال مرعونا لما سمع هذا القول الأمر للملكة زنانير تحكم فيه بما تريد ثم أنه أحضره وأحضر جماعة من أصحابه من البطارقة الخواص وسلم اليهم ماغنموا من الأموال وسلم اليهم أيضا الملك صابر وكان معهم أخذوه وأمرهم بالاحتفاظ بهم وبمن معه وقد أكد بحفظ الملك صابر الليل والنهار حتى يوصلوه إلى الملكة زنانير فبينما هم كذلك قد عولوا على الرحيل وإذا ببطريق كبير اللحية كثير الهيبة قد تقدم اليه وسلم عليه وقال له أيها السيد الكبير هذا وحق المسيح هو الرأى الجيد لأن هذا أسلم وترك دين النصرانية وسلم الحصن إلى المسلمين فقال له مرعونا صدقت أيها البطريق فقال له بحق المسيح والدين الصحيح مكنى منه حتى أفعل به ما أريد فى هذه الليلة بين يديك دون القتل فقال له مرعونا أيها البطريق مالى إلى هذا من سبيل فان قتله ماهو لى فقال له البطريق يامولاى وأنا أريد أن أعذبه بعذاب ما يموت منه وأتقرب الى المسيح بذلك وتكون قد شاركتنى فى الثواب فعند ذلك قال له مرعونا اعلم ياهذا اننى قد عولت ان أرسله مع البطارقة الى الملكة زنانير فسر معهم فى هذه الليلة وعذبه بما شئت من العذاب فعند ذلك باس البساط وقبل الأرض وخدم لمرعونا وإذا ببطريق آخر قد تقدم وقال له أيها السيد الكبير وأنا أريد ان أشترك معه فى عذابه ويكون لك على ألف دينار فى ذمتى (قال الراوى) ياسادة ولما سمع مرعونا بألف رغب فى المال وقال تسلموه أنتم الإثنين واجعلوا منه بالكم فقال البطريق الأول وعندى أيها الملك حصان خاص شديد الحيل قوى اليدين مدور الكفل ديال الذنب فى جريه يسبق العواصف وصهيله كالرعد القاصف أحلى فى العين من الف دينار وأشرف من الحصون والقلاع راكبه فى أمان إذا أخذا فى الجريان فان رأى السيد الكبير أن يشرفنى بالرسالة إلى الملكة زنانير فهذا هو المأمول وأقود له هذا الحصان خدمة منى اليه (قال الراوى)

وكان هذا الملعون أعشق الناس فى الخيل فعند ذلك رغب فى المال والحصان وأقبل على الإثنين وقال لهما اعلما أن هذا الملك صابر ماهو هين حتى أفرط فيه وأسلمه إلى واحد منكم ولكن أنا أقبل الحصان منك ومن البطريق الآخر الالف دينار وأسلمه اليكما على شرط أسير معكما حاجبي بولص بن يوحنا ومعه عشرة من البطارقة يكونوا معكما ليوصلون المال والاسارى الى الملكة زنانير فقال له البطريق الاول يا مولاى قد رضينا بذلك فقال الآخر ماأرضى أنا بهذا ان أدفع الف دينار ويكون معى شريك فى الثواب من أجل عذاب هذا المسلم الذى غضب المسيح عليه فقال له مرعونا الآن قد أشهدت على نفسك بالمال وأنا ما آخذه منك لى وإنما هو للملكة زنانير فتحتاج أن تقوم بما قات فلم يجسر البطريق أن يخالفه ثم حملا اليه ماضمنوه وأخذوا الملك صابر معهم وكل واحد منهم يهدده بالضرب والعقوبة وهو يقول الحمد لله صبرا على قضائه وحكمه إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فقال بطريق منهم أيها الملك أنا أريد أضاعف عليك العذاب حتى يزيد لك ربك فى الثواب فقال له الملك صابر اعلم أيها البطريق أنى إذا ضربتنى أموت لأنى ما بقى جسد يقوى على الضرب فقال لهم حاجب مرعونا وقد رحمه ياقوم لاتضربوه فيموت ويفوت الملكة زنانير الأموال وأقل ما تأخذ فى فداه ألف ألف دينار وهو بأرواحكم فقالوا له أيها الحاجب نحن ندرى كيف نعمل به ثم تموا سائرين ومعهم الأموال والرجال العشرة من البطارقة إلى أن أظلم عليهم الظلام وطاب وقت المنام فنزلوا عند جب عظيم فيه ماء بارد فأراحوا عنده واستراحوا وكان مع الحاجب الذى بعثه مرعونا شيء من الخمر فاجتمعوا اليــه العشرة وجعلوا يشربون إلى أن تهور الليل فسكروا وأنطرحوا إلى الأرض جميعهم (قال الراوى) وأن البطريق الذى وزن المال قام قائما وأيقظ صاحبه الذى أعطى الحصان وقال له ما بقى نوم فقم بنا إلى عذاب الملك صابر فان قلوبنا عليه حنقة وننال بذلك الثواب فقام الآخر كأنه الطود العظيم وأخذوا معهما سوطان لو ضربا بهمــا جملا لبرطع الى اليمن ثم دخل الأثنين إلى الخيمة التى فيها الملك صابر فوجدوه وهو يقرأ القرآن ويدعو الله تعالى ويسبحه ويقدسه ثم قال يامن لاتخفى عليه خافية ياخفى اللطف ياليطف الصنع ياحسن التجاوز يامن هو واسع المغفرة ياباعث الموتى من القبور يامنقذ الغرقا أنت الله الذى لا اله الا أنت وحدك لاشريك لك ثم أنشد يقول

ألا فى سبيل الله مافات من عمرى ٭ ولم أيادر أى تقضت ولم أدرى
ولابد من موت فصبر على القضا ٭ ولابد من بعث ولابد من حشرى
وأنا لنبلى ساعة بعد ساعة ٭ على قدر الله مختلف يجرى

وما هى الا رقدة غير أنها ٭ تطول على من كان فيها الى الحشرة
ونصبوا الى الدنيا لتشرب صفوها ٭ بغير قنوع من غداها ولم ندر
وكل من الأيام فيها مغرر ٭ كما غرر الغواص فى لجج البحر
عجبت لنفسى كيف تدعا الى اللقاء ٭ ويحملنى منه المركب الوعر
أرى الحتف مكروها وانى لذائق ٭ بجرعنى حتفى وأحنى على ظهرى
يكون الفتى على نفسه متحرزا ٭ فيأتيه أمر الله من حيث لا يدرى
وكنت أسيرا فى يد الكفر أولا ٭ فأسلمت لله العظيم من الكفر
وصرت له عبدا قبولا وطائعا ٭ وأحكم أسرى كى يضاعف لى أجرى
وهددنى البطريق بالضرب والبلا ٭ وما الضرب عندى ما تضيق به صدرى
ألا انما الضرب العظيم انقطاعنا ٭ عن الله فى يوم القيامة والحشر
اذا كان راض عنى خالق الورى ٭ فانى صبور للعقوبة والضر
تمسك بمن لا يبرح الجد عنده ٭ ودع كلما تحتاج فيه الى العذر

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أن فرغ الملك صابر من أنشاده جعل يسبح الله تعالى ويقدسه فبينما هو كذلك اذ سمع حس البطريقان وقد دخلا عليه فأيقن بالعطب والضرب العنيف وقال بسم الله توكلت على الله فدخل اليه الأول وفى يده شمعة توقد وفى الآخرى مجلد وقال له يا مسلم ستعلم ما يكون من حالك غدا عند المسيح اذ هو عذبك بالنار اذ تركت دينك ودين آبائك الأولون فقال له يا ويلك لو لم ينكشف لى عن الحق ما تركت دين آبائى وأجدادى ولكن تركت دينهم لما رأيت من قدرة الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وعلمت أنه الحق كما قال الشاعر

واعجبا كيف يعصى الاله ٭ أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آية ٭ تدل على أنه الواحد

(قال) فلما دخل البطريق على الملك صابر وقال له انى سمعتك فى تسبيحك تذكر محمد فقال له ويحك وانى راض بالله وبمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وبأهل بيته الطاهرين وأنى بهم أتوسل وأشرب غدا من نهر الكوثر شربة لا يكون بعدها ظمأ فاياك أن تقصر عن ضربى فان الضرب مصنوع والعذاب مدفوع وأما الحق فهو الحى القيوم ويجمع الخلق الى يوم لا ريب فيه اليه كل الخلق مجموع (قال الراوى) ياسادة يا كرام وأن البطريق قال للملك صابر يا هذا لا يقدر ربك يكفنى عنك حتى لا أضربك

ولا أعاقبك فقال له نعم فقال البطريق فمن أين لك هذا قال من كتاب الله تعالى قوله تعالى قل رب السموات والأرض قل الله أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل يستوى الظلمات والنور والآية (قال الراوى) فلما سمع البطريق كلامه ترك الجلد من يده ودخل اليه يقبل رأسه وبين عينيه وقال له صدقت أيها الملك الصابر أنت كاسمك وانما سألتك عن هذا كله حتى أستخبرك فى دين الله الملك العلام فالحمد لله الذى هدى مثلك إلى دين الإسلام على يد مثلى فقال له ومن أنت يا أخى الذى قد من الله علىّ بك فى هذه الساعة فعند ذلك كشف له البطريق عن وجهه وقال أنا أخوك أبو محمد البطال فعند ذلك تحير الملك صابر وقال سبحان الذى خلقك فى أى صورة ما شاء ركبك ومن هذا الذى معك يا أخى قال أبو محمد أيها البطريق اكشف عن وجهك حتى يعرفك الملك فلما كشف عن وجهه عرفه الملك صابر وإذا به بديع غلام أبو محمد البطال فقال لا إله إلا الله لقد خلقكما الله فى أحسن صورة ولكن ما يدرى الإنسان أى صورة يعرفكما بها فقال أبو محمد طب نفسا وقر عينا وابشر بالخلاص فقال له الملك صابر وكيف نخلص ومعنا عشرة موكلين بنا وهؤلاء الأربعة النيام على باب الخيمة فقال له أبو محمد البطال كأنك بى وقد فرغت من الأربعة ثم نادى أبو محمد يا بديع إسحب برجل واحد واحد إلينا فقال له الملك صابر يا أبو محمد ينتبهوا أصحابه إذا انتبه فقال أبو محمد لقد ناموا نومة لا يقوموا منها إلى يوم القيامة ثم سحبوا رجل بطريق واحد من الأربعة وإذا به بلا رأس فقال الملك محمد يا أبو محمد فايش صاب رأس هذا البطريق فقال له أبو محمد أيها الملك طارت فى الهوى ثم سحبوا رجل آخر وإذا به مثله كالخشبة بلا رأس وكذلك بقية الأربعة (قال الراوى) وأن الأمير أبو محمد وغلامه بديع خلصوا الملك صابر مما هو فيه وقاموا إلى العشرة فذبحوهم عن بكرة أبيهم واحتووا على الغنيمة والاسلاب وطلب الأمير أبو محمد بهم صوب الأمير عبد الوهاب من طريق غير الطريق التى أتوا منها وكان يعرفها الملك صابر المعروفة الجيدة فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من مرعونا وعصب المسيح فانهما لما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبوا الجرد القداح وطلبوا الكفاح وحمل بعضهم على بعض ولم يزالوا فى القتال العظيم إلى وقت العصر فانكسرت عساكر عصب المسيح وطحنتهم العساكر طحن الحصيد وألقوهم على الصعيد وأما الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فانهم فرحوا بكسر عسكر عصب المسيح وقالوا هذه فئة كفانا الله شرها وأما مندويل فانه غنم من عسكر عصب المسيح غنيمة عظيمة ثم بأوا فرحين مستبشرين فلما كان وقت الصباح أمر مندويل لعسكره الركوب

لقتال عسكر المسلمين هذا وقد نادى الأمير عبد الوهاب فى عسكره بالركوب فركبت الأميرة ذات الهمة والأمير ظالم وأبو الهزاهز وجميع العساكر وكانوا قد أراحوا واستراحوا فى هذين اليومين وقد وجدوا الراحة فى نفوسهم واستراحت خيولهم ثم ان الاميرة ذات الهمة قالت للامير عبد الوهاب يا بنى اعلم أن العساكر بمقدمها وما لنا لا نطلب هذا الملعون مندويل فان قتلناه ملكنا هذا العسكر وانكسر بعد قتله ولا يقام له قائمة فقال لها الأمير عبد الوهاب والله يا أماه فقد أردت أن أقول لكى هذا فقالت يا بنى أناله وسوف ترى ما تصنع به هذه العجوز وترى منى ومنه العجب فقال لها الأمير عبد الوهاب الله تعالى ينصرك عليه وعلى أعداء الله قال فبينما الأميرة مع ولدها فى هذا الكلام وإذا بالملعون مندويل برز إلى وسط الميدان وهو على جواد أشهب ديال الذنب مليح الشب وطىء الركب يسوى قنطار من الذهب ولما صار بين الصفين نادى برفيع من صوته من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا مندويل مقدم عسكر الملكة زنانير فلا يبرز لى إلا أميركم وأمه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فما استتم كلامه وما أبداه حتى خرجت اليه الأميرة ذات الهمة وقد ساوته فى الميدان فحمل الكلب عليها حملة منكرة وصوب اليها القنطارية فلما نظرت الأميرة إلى قنطاريته واصلة اليها وطالبا صدرها فانقلبت عن سرجها أسرع من البرق الخاطف وصارت حزام للفرس فلما جاوزها السنان عادت إلى سرجها وطلبت خصيمها أشد الطلب فألوى خصمها عنانه وأراد الهرب من بين يديها فأدركته بطعنة بين كتفيه اطلعت السنان من بين ثدييه فلما نظرت الروم إلى مقدمها قد قتل حملوا على المسلمين بقلوب حنقة فتلقتهم الإسلام بقلوب أقوى من الصخر وقاتلوهم قتالا عظيما فما كانت إلا ساعة حتى ولوا الأدبار وطلبوا الفرار وقتلوا منهم المسلمين فى تلك الساعة عشرة آلاف فارس وملكوا المسلمين خيامهم وأثقالهم وبلغت الكسرة إلى الملكة زنانير ورحلوا المسلمين طالبين حصنها فجرى عليها من قتل مقدمها وقتل عسكرها أمر عظيم حتى كادت أن تذهب روحها وكان عندها الحكيم أقليدس فلما نظر ما قد حل بها قال أيتها الملكة أنا أشير عليكى برأى صائب وهو أنكى تكتبى الساعة إلى الملك عزبيل بالمدينة الكبرى وتعرفيه بما جرى عليكى وعلى عسكرك من المسلمين وتهدى له الثياب الذى أتتكى من بلاد الإسلام لأنها مطلوبة عندهم وتبعثى له من الأموال ما تملى عينه فانه ما يقعد عنكى وربما أنه يطمع فى زواجك فيحامى عنكى بنفسه أو يبعث لكى ولده مريحنا فى أحسن تجميل وأكمل هيبة حتى تنالين من عدوك ماتريدين وهذا أوفى ما عندى من الرأى فلما سمعت الملكة زنانير ذلك من الحكيم

أقليدس قالت وحق المسيح لقد أشرت ياأبونا بالصواب الأمر الذى لايعاب فلاأخلانى المسيح منك ولامن مشورتك الصائبة ثم انها كتبت الكتب من وقتها وساعتها على ماذكرنا من مشورة الحكيم أقليدس الذى أسلم على يد لؤلؤ وهو يكتم إيمانه ثم انها أخرجت الأموال والثياب والتحف والهدايا ما يعجز عنه الوصف فتحير لؤلؤ مما رأى وقال فى نفسه لقد أوتيت هذه الملكة ملكا عظيما فكأنها بلقيس زمانها وحواء فى أوانها أوسارة وقدرتها أوزليخة وخلوتها فهى بديعة الجمال تامة الكمال حوراء العيون كأنها القمر إذا اكتمل وظهر ثم أن الملكة زنانير بعثت جميع ماذكرناه إلى قلعة قوشارة والمدينة الكبرى ثم أوصت الحجاب بمايفعلون فعند ذلك أجابوا بالسمع والطاعة وانهم ساروا وهى على مقالى النار الليل والنهار ولا تأكل ولاتشرب هذا ولؤلؤ ليله مكروب ونهاره معتوب ولسان حاله ينشد ويقول

وكان فؤادى خاليا نحو حبكم ٭ وكان بذكر الحق يلهو ويمدح
فلما دعى قلبى هواكى أحبه ٭ فلست أراه عن ودادك يبرح
رميت ببين منكى ان كنت كاذبا ٭ وان كنت فى الدنيا بغيرك أفرح
فان شئت واصلتى وان شئت لاتصل ٭ فلست أرى قلبى بغيرك يفرح

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وان الملكة زنانير قالت للؤلؤ الزم من اليوم المجلس الفلانى ولا تخرج منه فما بقى لى لذة ولا شراب ولا خلوة ولا عتاب فقد جاءنى مالم يكن فى الحساب وقد هلك أكثر أبطالى والأصحاب وقد قتلهم الأمير عبد الوهاب والى الآن وأنا مشغولة معك فى تصفيف القنانى والأقداح واختلاس المطيبة فى الغناء والاصطباح وهذا مما يغضب على السيدة مريم والمسيح المكرم والقس والبترك المحترم فلا كانت شهوة بزوال مملكة والوقوع فى المهلكة فقال لها لؤلؤ أيتها الملكة المحترمة صدقتى فيما قلتى ووفقتى فيما نطقتى ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب والآن قد اتضح لكى الأمر فتهيئى الآن ودعى عنكى غفلة الزمان وأما خادمك لؤلؤ فهو عبد نعمتك وانما أنا أدخر نفسى ليوم شدة أو طمع فى نجدة فاننى أبذل المجهود وأنصح فى الحاجة وأجتهد فى المطلوب وقد لاقيتى منى بعض ذلك فى نوبة كنتى أسيرة عند الأميرة ذات الهمة فى القيود والأغلال فخاطرت فيكى بروحى الى أن كنت سبب الخلاص من تلك الأقفاص فانى أخى روحى إلى مثل ذلك وانى أغار عليكى من نفسى ومن الهوى اذا هب فكيف لا أغار من أبناء جنسى ثم بكى بكاء شديد وقال

معشر الأصحاب قولوا ٭ هل لكم ناصح كلؤلؤ

انى من حفظ ودى * لم أرى يوما أحـــول
لم أغير لو تغـــيرت * المعـــالم والطـــلول
قد ملكت العقـــل منى * هـل الى الوصل سبيل

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعت زنانير كلامه وشعره ونظامه رق قلبها عليه وحنت اليه وقالت فى نفسها وحق المسيح إنه صادق فى جميع ماذكره ثم أقبلت عليه بتبسم حلو عذب وريق أحلا من الجلب والشهد ووجه كالمصباح وخد كاحمرار التفاح وقد كأنه القضيب ولفظ أحلامن الاجتماع بوصل الحبيب وقالت له ياحبيبى وثمرة فؤادى قد فهمت ماأشرت اليه وعلمت صحة الذى عولت عليه وأنت عندنا محترم وعلى حجابنا مقدم وكل يوم تنال منا أذية وطرد وبلية وبعد هذا اليوم مابقينا نواجهك بعتب ولا لوم فعندذلك قام انزار على قدميه وأشار الى الأرض لأنما لاكرامها له فأمرته بالجلوس والاكرام ورجعت إلى قصرها وأخذت أهبتها فهذا جرى ههنا (وأماما كان) من أصحابها وحجابها فانهم وصلوا الى قلعة الملك عازبيل ودخلوا عليه بعد الاستئذان من الغلمان وأخبروه بأن قد وصل اليهم الرسل فأذن لهم بالدخول عليه فلما مثلوا بين يديه خدموا وسلموا وللأرض قبلوا ثم ناولوه كتاب الملكة زنانير وأحضروا تلك الهدايا والخلع السنية ثم انه قرأ الكتاب وفهم مافيه من الخطاب فأمر عساكره بالخروج الى ظاهر البلد ويأخذوا الأهبة للسفر ويستعدوا للقاء (قال الراوى) ياسادة وكان الحكيم أقليدس قد قدمته على الحجاب فأقاموا فى الضيافة ثلاثة أيام ودخلوا طالبين قلعة الملكة زنانير وهم فى مائة وأربعين ألف عنان وولده مريحنا فى عشرة آلاف من أصدقائه وبنى عمه واخوانه وقرائبه وهو بينهم كانه القمر فى ليلة أربعة عشر وهذا الغلام له وصف وكلام ولابد أن نسوقه فى مكان بعون الله سبحانه وتعالى لانه كان أحسن من كل من ولدته النساء فكانه يوسف زمانه أو أحد الولدان وقد غفل عنه رضوان وخرج من الجنان وسنذكر صفاته فى موضع الحاجة اليه (قال الراوى) وان الاخبار وصلت الى الملكة زنانير بوصول الملك عزبيل فى مائة الف واربعين ألف وولده مريحنا فى عشره آلاف من بنى عمه واخوانه وأصدقاءه فأمرت بإخراج الخيام والسرادقات وان ينصبوهم فى الميدان الاخضر وأحضرت لهم من التحف والاوانى والاقداح والصوانى ماملات به الأرض ثم انها نحرت النحائر من البقر والغنم والخنازير والدجاج والطيور وما تقصر عنه السطور ولقيتهم من مسافة أربعه أميال وهى تزهو بذلك الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال والبطارقة والعمالقة عن يمينها وشمالها وعليها بدنة

من الجوهر وعصابية من الدر وقد أزهى جبينها وأبدر وهى تتمايل بين الكواعب تتماجب وترشق القلوب بكل سهم صائب وترمى المهج من أصحابها بالحاظها بالعذاب الواصب قال فلما وقفت الدين ورآها الملك عزبيل أراد لزوم هيبته واحترام مملكته على انها تبديه بالسلام وتسعى اليه سعى الاحترام فلم تعبأ به بل صاحت عليه البطارقة والحجاب والقساقسة والرهبان والبترك ونادوا ياملك الأرض ، الأرض بين يدين السيدة فى الدنيا وسيف المسيح المحترم صاحبة الدولاب الاكبر والفلك الأصغر فابدأها بالسلام والتحية والإكرام واخدمها فانك على العدو مساعدها (قال الراوى) يا ساده يا كرام ونظر الملك عزبيل الى حسنها وجمالها فلم يبق له قلب إلا خفق فترجل من الخوف والفزع وفؤاده قد خفق فنادت الملكة زنانير بلسان طلق أيها الملك قد أعفيناك من تقبيل الركاب وأبحناك لثم هذا الثغر ورشف الرضاب ليرفع المسيح عنى وعنك العذاب وسقيناك كاس الوصل والاقتراب وكان الملك قد اندهش مما رأى وارتعش فأشار اليها بوجهه فطاطت رأسها كانها الشمس عند الغروب فقبلها قبلة فى وسط فمها ولم يرى شيئا أحلا منها لاقبلها ولا بعدها ولا أعبق نكهة من بشر عرفها ثم قبل بعد ذاك عينها ونحرها فرأى ملمسا أنعم من ريش النعام ثم رجع وهو يقول وحق المسيح ماتسوى عندى منزلتى ولا مملكتى ماأنعمت به على الملكة زنانير من لذيذ قبلتى ثم أقبل من بعده ولده مريحنا بقد

أهيف وخصر نحيل كالمرهف وردف لتخصير الخفر قد أضعف

ووجه للبدر قد أكسف وخد كانه الوصف اذا وصف بحسن وافر وجبين ظاهر وخد كالورد الاحمر وشرب أخضر كما بدر وثغر كانه حق عقيق فلا يرى له طول يشينه ولا قصر يعيبه (قال الراوى) وعنق كعنق أبريق ووجه كانه البدر على التحقيق وعليه مزده أطلس وتحته قباء أخضر مغشى بجوهر وعلى رأسه تاج من الذهب الاحمر قد رصع بالجوهر وهو مرشح بغلالة لؤلؤ وقلادة فى حلقه من العنبر فى شريط من الذهب وفيها صلبان صغار وكبار من قطع العنبر والفيروزج والزمرد الاخضر مايحير منه النظر وفى يده مروحة وهى محبوكة باللؤلؤ الصغار وفى وسطها فتات المسك الازفر وقطع الندمع العنبر وشعره من وراءه كانه غربيد وقد استدار على كفل الفرس وقد طاطا رأسه من الخجل وكل من رآه قلبه به قد اشتغل وقد تبادروا القسوس الى هذا الشخص واحتاطو فى خدمته واشتغلوا بجماله عن مساءلته ولم يأمروه بالنزول عن بغلته وأقبلوا على الملكة زنانير وقالوا لها وحق المسيح أيتها الملكة مايصلح هذا الجمال الا لهذا الجمال لتنضاف الشمس الى القمر وينال كل منكما من صاحبه أشرف النظر فعند

ذلك غضبت الملكة زنانير من ذلك الكلام وقد علاها الخجل من الاحتشام وتكلل جبينها من العرق فكأنه لؤلؤ نظام وقد انتثر وقالت لهم اخسؤا ياتيوس الغنم وياثيران البقر اقصروا عن هذه المقالة والخطاب فلا خفف المسيح عنكم العذاب (قال الراوى) وكان الحكيم أقليدس الى جانبها نصاح بلسان جرى وقلب قوى اليكم عن حضرة الملكة زنانير ياكلاب النصرانية ويا أخس من غمس فى ماء المعمودية لقد نطقتم بأقبح كلام وأشرتم بمشورة الاثام ورمتم أضعف مرام ومن أين للملكة زنانير كفوا أو يشرب معها صفوا وهى خادمة المسيح وصاحبة الفعل المليح والعقل الرجيح ولقد أغضبتم المسيح والسيدة مريم وانكم أخس من تكلم وسوف يرى كل منكم قوله ويعلم (قال الراوى) وان الملكة زنانير عادت الى حصنها من ساعتها ومعها سائر عسكرها وكل واحد منهم قد خسر من هيبتها فلما حصلت فى قلعتها أمرت بضرب رقاب القسوس والرهبان الذين تكلموا بهذا الكلام هذا والحكيم أقليدس يحرضها على ذلك لحسن إيمانه وقوة إيقانه ثم أقبل عليها وقال أيتها الملكة هذا عسكر عظيم وبه تنالى ماتشتهين من عسكر المسلمين وهلاك غضب المسيح وتتركى هذا الملك عزبيل على مقدمة الرجال وتطمعيه بعدما يكسر العسكر من الاعداء بالوصل وقد قاتل بين يديك قتال الاول وحامى عنك محاماة الكريم عن الحريم ومنيه بعد ذلك بحتى وعسى ولعل ومتى وأما الولد الذى له فهو أخس من أن يذكر ولا هو كما قالوا القسوس فانكى أيتها الملكة أعظم شأن أن تخطبين وأرفع منزلة أن تتزوجين وهذا صبى وقد تحدثوا فى مبدأ الأمر بجهالته وقلة ديانته وفساد نيته والمقصود من قولهم هذا الكلام رغبة فى التمتع بالنظر الى هذا الغلام فانهم لم يعتقدون فيما يقولون ولا يعلمون فيما يعملون فعند ذلك قالت الملكة زنانير يا أبونا وحق المسيح أنك الصادق فى قولك واننى معتمدة هلى ما به شرت واعلم يا أبونا ان المرأة ضلع أعوج وأنها إلى البعل أحوج وأما أنا فلست كالنساء ولما قد أعطيت من الجمال البارع والكرم الشائع والأمر النافذ القاطع والنصر على الأعداء والخصوم والقهر لأبطال المسلمين والروم ومع ذلك فلا هذا الحصن المنيع والمال الوسيع الكثير وكل ملك من ملوك البحيرة لى مطيع وأما أنا ممن يرغب فى بعل أبداً ولا يركبنى فحل سرمدا لأنى مولعة بربات الحجال مستكفية بهن عن الرجال ومفتونة بالكواعب الاتراب ومشغوفة بدلالهن والإعجاب بهن فلا يأخذنى بهن خجلا ولا يعاب على إذا خلوت بملاح النساء من بنات الملوك والأمراء وأما لؤلؤ فانه يشرف نفسه ويحفظ دينه وصدقه فى صحبتنا ورغبته فى قربنا وعونه لنا على أعدائنا أوجب الاجتماع له فى ليل السرور ولارغبة فى الذكور ولايشغلنى

فى ذلك بلوغ وصل إلا لما أعرف من لؤلؤ ومن أخلاقه الطيبة ورغائب أخياره مع أحاديثه ومايسمعنى من أحاديث الملوك وما يتم للمسلمين من الغزوات فى الروم وبغرائب مولاه أبو محمد البطال عيار المسلمين والثانى لصدق محبته لنا وما جزاء من يحب إلا يحب فعند ذلك قال لها الحكيم أقليدس يطيل عمرك ويرفع قدرك فما أشرف هذه المهمة وأسعد هذه القامة إذ أنتى فريدة فى زمانك ولكن الطول على أقرانك والمسلمين يقولون حسن الوفاء من الإيمان وان شفقتى على لؤلؤ فهو من كرم نصرك وطيب أخلاقك (قال الراوى) وان الحكيم أقليدس قد ثبتت عنده محبة لؤلؤ للملكة زنانير لما وصلت إلى قلعتها أمرت حجابها أن ينزلوا الملك عزبيل وأصحابه فى الميدان الأخضر فى الخيام التى أعدتها لهم ويأخذون له الأهبة فى الإقامة والضيافة ثلاثة أيام وانها أحضرت جماعة القسوس الذين تحدثوا فيها فحلقت لحاهم وصفعتهم الصفع المؤلم وقالت وحق المسيح لولا حرمة الدين لما كنت أبقى على أحد منكم ثم سأل بهم الحكيم أقليدس بعد ذلك فوهبتهم له فعند ذلك أطلق سراحهم وأخرجهم من القلعة فمضوا بأجمعهم إلى عسكر الملك عزبيل فلما أبصرهم الملك شق عليه ذلك وقال لهم ويحكم من فعل بكم هذه الفعال وأنتم علماء النصرانية وقسوس أهل ماء المعمودية فقالوا أيها الملك فعل بنا هذه الفعال الكافرة الفاجرة المارقة من دين المسيح التى قد اتخذت لها من المسلمين خادما وجعلته لها منادما فقال لهم الملك ولم فعلت بكم هذه الفعال قالوا له حيث أشرنا عليها بالصواب وكنا لها من الخطاب لولدك مرنحنا ورغبة فيك ليصير الملك كله اليك لأن هذه امرأة ولها هذا الملك العظيم والحصن الرفيع والدولاب المنيع وباب السلسلة وانها إن صارت لولدك صار الملك إليك وهل هى إلا امرأة ومن شأنها الحجاب وأيضا لها الحذر وغلق الباب وهذا غاية ما عندنا من الخطاب والآن قد مثلت بنا كما ترى وجعلتنا مثلا بين الورى فقال لهم الملك انى ظننت أنها أخذتكم بغير هذا الذنب وأما ما أشرتم عليها فانى مساعدها عليكم ولا جواب لكم عندى إلا الضرب والاخراق (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان الملك أمر البطارقة أن يصفعوهم فصفعوهم حتى أخرجوهم من عنده أقبح خروج وكان السبب فى ذلك ان الملك كان قد عشق الملكة زنانير من قبل رؤيتها فلما رأى ما أعطاها الله تعالى من الحسن والجمال هام قلبه بها وقد قال الشاعر :

يا من كلفت به عشقا ولم أره ٭ والعشق للقلب ليس العشق للبصر
سمعت أوصافها الحسنى شغفت بها ٭ فكيف إن نلت ما أرجو من النظر

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ولاسيما فى ساعة تقبيل ثغرها ثبتت محبتها فى قلبه وصدره

ولما سموها القسوس لولده مريحنا أخذته الغيرة أن يسمى عليها غيره من غرامه بها فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملكة زنانير فانها أخرجت معلوفات والاقامات الى الملك عزبيل وعسكره حتى فضل عنهم هكذا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أمرت بدخول الملك وولده اليها ولما جاءهم الرسول فرحوا بذلك ثم انهم لبسوا أفخر ملبوسهم ودخلوا عليها فلما حضروا بين يديها زادت فى إكرامهم ثم أمرت الملك الكبير بخلعة فاخرة تصلح له ولمثله (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان الملك لما نظر اليها التهب قلبه بالنار ثم أمرت لولده مريحنا بخلعة من خلع أبوها الملك صلبوتا وكلها محبوكة باللؤلؤ الكبار والصغار والجوهر الذى يأخذ بالأبصار تساوى تلك الخلعة خراج الأمصار وتاج من الذهب وعصا من الجوهر وهو كأنه القمر فلما نظر الى الملكة زنانير تولى عليه الخجل وأطرق برأسه إلى الأرض من الهيبة والوجل وعرق جبينه وتكلل وانكسر شعره على خده وانسدل وتقوس حاجبه الازج واعتدل وصار كل من نظر اليه ابتهل وقد سارقته الملكة زنانير بأحد المقل فرأت ما أوجب لها النظر فعند ذلك أشارت بتفاحة من العنبر مصنوعة بالمسك الازفر مخوصة بزهر أحمر فأخذها الغلام بكف كأنه الخمر واللبن ومعصم كأنه قد خرط من الكافور أو صبغ من البلور كما قيل فيه

ولو أنه فى عصر يوسف قطعت ٭ قلوب رجال لا أكف نساء

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما رأت زنانير ما عنده من الجمال وما هو عليه من الكمال قالت وحق المسيح ان هذا الرومى مليح ثم جعلت تسارقه بالنظر وقد حار منها البصر وولى صبرها وانقهر ثم مدت يدها الى وجهه وحنكه ورفعته اليها بيدها وهو مطرق لا يلتفت اليها ثم قالت له ما اسمك ياغلام فعند ذلك كلمها بأعذب كلام وقال لها اسمى مريحنا ثم أشارت إلى يدها فقبلها وصلب على وجهه فقبلته فى وسط فمه ولزمته الى صدرها ساعة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما نظر الملك عزبيل إلى مافعلت بولده قامت عليه القيامة وزمجر وزفر وشخر ونخر وطغى وتجبر ونظر إلى ولده نظرة كاد أن يقلعه من الأرض فعند ذلك قام مريحنا على قدميه والورد الأحمر يقطف من وجنتيه وقد أعطى كل ملاحه فى الدنيا فهو غاية من تمنى كما قيل فيه

ياقوم لا تأخذوا بثارى ٭ فقاتلى جنتى ونارى
ظبى سالف وخد ٭ بحمرة فوق جلنار

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان لؤلؤ فى تلك الساعة واقف على رأس الملكة زنانير وقد تقطعت مفاصله بسكاكين الغيرة وكادان يموت تأسفا ويقضى تلهفا

وأيقن ان الملكة زنانير قد آثرت عليه هذا الغلام الموصوف بالحسن والجمال وهذه علائم الهوى ودلائل القبول للفتى (قال الراوى) وهو على ذلك الحال يتقلى على نيران الغرام وإذا بالملكة زنانير قد التفتت اليه فرأته على مقالى الحذر والخوف والاسا وقد كتبت دموعه فى قرطاس وجنته سور الحسرات وكلمات التأسف والندامات وقد خرج من حساب الاحياء وبقى واقفا كأنه من جملة الأموات فقالت فى نفسها وبلغ من الهوى الى هذا الحد ثم انها أومت إلى الارض من الحياء ورق له قلبها مما رأت به من الضر والبلوى فتداركت الامر وقامت فلم يبق أحد إلا وقام لقيامها ثم ودعت الملك وذهبت وقالت له الرحيل يكون غدا الى لقاء الاعداء فقال السمع والطاعة ثم أمرت الملكة زنانير باحضار لؤلؤ بعدما كان خرج وهو حائر العقل مما رأى من اقبال زنانير فراقه ثم بعثت الغلمان فى طلبه وأكدت عليهم فى كشف خبره فلم يجدوه فأنكرت أمره وقالت وحق المسيح لقد بلى منا بمالا يطاق (قال الراوى) وان الحكيم أقليدس رجع الى منزله فوجد لؤلؤ فى بيته وهو يبكى وقد عول على الخروج من القلعة والدخول الى عسكر المسلمين فعند ذلك لامه الحكيم أقليدس على فعاله وقال له اعلم انى أعرف الناس بهذه الامور وان زنانير لاترى فى ذلك قط وانما أشارت اليوم بالتفاحة الصغيرة الى الغلام لتغيظك بهالانه قد حدثته نفسه بالملكة زنانير وهذه نوبة صعبة والكل بمضون وأنت تبقى وان كلامى لك حقاً فطب نفساً وقر عيناً فانالك ظهراً وعضداً فعند ذلك أنشد لؤلؤ وجعل يقول هذه الأبيات :

ياعاذلى دعنى من العذل	ما أنت صاحب حرقة مثلى
أنحلت جسمى عند عذلك لى	فاليوم سلمتنى الى القتل
دعنى ومحبوبى فلى غرض	فعسى يداوى الهجر بالوصل
عج بى إلى الوادى فان به	قمرية ناحت من الشكل
وتمايلت فوق الغصون على	آثارهم لتشتت الشمل
فعجبت منها ثم قلت لهـا	جودى فديتك حالكى مثلى
ان الحمامة بالحمى عنقت	ألفا وغاب وقد بكت مثلى
لو كنت أعلم ما تفوه به	لكتبت وهى بشجوها تملى
يا من أقام قيامتى قل لى	حتى متى تحملنى على المطل
يا صاح ليس العذل يردعنى	العذل متروك من الجهل
ملكت زنانير الفؤاد وقد	ملكتها من بعده عقلى

لم يبق لى سمع ولا بصر انى عدمت بهجرها كلى
قد أحرقت شمس الضحى كبدى بالله ولونى على القتل
وصلاة الله دائما أبدا ٭ على خير النبيين والرسل

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأن لؤلؤ جعل يبكى حتى ضج البيت من بكائه فقال له الحكيم أقليدس يالؤلؤ ما هذا البكاء فان الملكة زنانير سألت عنك وأرسلت الغلمان فى طلبك وقد ضاق صدرها لما تم عليك من الغيرة وأنى أقسم بالله العظيم ونبيه الكريم أنها أميل اليك من جميع من على وجه الأرض وأنها غنية عن الرجال وصادقة فى المقال فطب نفسا وقر عينا فقال لؤلؤ اعلم أيها الحكيم أن حفظ الدين من حفظ اليقين وأننى لا آتى معصية الله تعلى بملك الدنيا فكيف بشهوات الدنيا الفانية ولكن فظع قلبي لما وجده قد قيل

نريد محبة فى كل يوم ٭ فلا نسلو إلى يوم التناد
وذلك أنه لما وجدنا ٭ تراضعنا على ثدى الوداد

واعلم أيها الحكيم أن عندى من حب هذه الجارية مالا تطيق حمله الجبال وأنها أعلم بذلك فأسأل الله أن يجعل لى من هذا الضيق فرجا ومن هذا المحل مخرجا فقال له الحكيم أقليدس بالله عليك يالؤلؤ لاتحمل هما على قلبك فانى أخاف عليك فقال له لؤلؤ بالله عليك الا ما كتمت على لأجل أنى عندك حتى أجد لى سبيلا إلى الهرب وأطلب عسكر المسلمين واريح نفسى مما أنا فيه (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم قام الحكيم أقليدس من عنده وقد قرب الصباح وفتحت أبواب القلعة وخرجت زنانير إلى الميدان وعن يمينها وشمالها خواص البطارقة وكبراء العمالقة وأرباب الدولة وتحتهم الخيول العتاق وقد قامت الدنيا على قدم وساق وبين يديها الحكيم أقليدس والبترك وهم يتلون الإنجيل ويعوذونها بمزمير ذات التبجيل ولما صارت برا البلد قالت للحكيم اقليدس ما وقعت للؤلؤ على خبر ياحكيم قال نعم أيتها الملكة إنى لما مضيت إلى بيتى وجدته هناك وقد أشرف على الهلاك فقالت لبعض حجابها أمضى اليه وسلم عليه وائتنى به فمضى الحاجب اليه وأخذه وخرج اليها فلما رأته اعتذرت اليه ثم خلعت عليه وأركبته إلى جانبها (قال الراوى) ثم ركب الملك عزبيل وولده مريحنا وكان قد عزم أن يتوجه إلى قلعته غضبانا من الملكة زنانير حيث أنها أقبلت على ولده مريحنا فلولا أدركته بخروجها من القلعة لكان رحل فى عسكره (قال الراوى) ثم أقبلت عليه وسألته وولده عن ليلتهم فقبلوا الأرض بين يديهم وقالوا أيتها الملكة وحق المسيح لقد غمرتينا بالأنعام وأفضيتى علينا

جزيل الإكرام فقالت أريد منكم حسن العزم وصدق المحاماة عنى فقالوا أيتها السيدة الكريمة ما عندنا تخالف بل نتقرب من السيد المسيح بخدمتك ونصرتك على عدوك فقالت يكون الرحيل اليوم قالوا الأمر فى ذلك اليك ثم سارت راجعة فما بقى أحد إلا ركب وطلبها وانقادت الجيوش والعساكر وازدحمت المواكب والدساكر وقد ارتجت بهم الأرض وكانوا فى تلك النوبة فى مائة وسبعين ألف عنان فوصل خبرهم إلى غضب المسيح فقامت عليه القيامة وقال هذه نوبة صعبة ما سمعنا قط بمثلها وما عاد صفالى عيش من يوم خرجت من قلعتى لامع المسلمين ولا مع الروم (قال الراوى) ثم أنه أحضر الحكيم ماريتون الملعون عقبة وأجلسهم معه على سرير ملكه وأقبل عليهم وقال لهم اعلموا أننى قد ضجرت من طول المقام فى هذه الأرض وكلما أردت الرجوع إلى قلعتى جاءنى ما يشغلنى عن ذلك وكنت أرجو من المسيح أن يوقع فى قلوب الأعداء أن يطلبوا منى البراز من المسلمين وغيرهم حتى آخذوهم جميعا وأرضى بفعلى السيد المسيح وأشفى منهم غليل النفس وأن هم طلبوا منا المعامع فانهم ربما غلبونا وظهروا علينا كما فعلوا بنا فى تلك المرة لأننا فى قله وهم فى كثرة (قال الراوى) فعندها قام الحكيم ماريتون على قدميه قائما وأشار إلى الأرض لائما وقال أيها الملك الكريم المسيح يطول عمرك ويرفع قدرك ويملكك رقاب الأعداء فقد وجب على السيد المسيح نصرك وكرامته لك لأنك سيفه وغضبه ورضاه وسخطه وحافظ بلاده لأنك خرجت من قلعتك لنصرته ونصرة دينه وأن تأخذ الملك من هذه الجارية فى دين السيدة مريم وتسلم الدولاب الأكبر إلى علماء النصرانية لأنه موضع شريف لاسيما وهو مقام مريم الأوفر ولا يجب أن تكون هذه الجارية فى هذا الموضع المحترم وأما ما أشار اليـــه الملك من كثرة الأعداء فهذا ما يريعنا فاننا نرجو النصر من المسيح وأما الملوك وكثرة الشجعان فانى أحسن اليهم أن يخرجوا اليك فى اللقا والبراز وأن طال بيننا وبينهم المقام عملنا عملا تتحدث به الملوك وغيرهم إلى يوم القيامة ثم أن الملعون قعد وقد شكره الملك على كلامه ثم قام من بعده شيخ الضلال ومعدن الجهال عقبة لعنه الله وجزاه (قال الراوى) وأنشد إلى الملك هذه الأبيات

يا أيها الملك الذى * زلت له الأسد القشاعم
أرضيت مريم بالفعل * ولسوف تنصر أنت دائم
ورفعت حنا والقساقس * والبتارك والمطارم
وستملك الدنيا على * رغم الأعادى والمخاصم

وترى زنانير الطريـــدة مالها من ذاك عاصم
وكذاك ذو الهمـــة الخبيـــثة انها من نسل ظالم
والأسود المغوار منســـو ☆ ب الى عبد وكند بذاك عالم
والمســلمين جميعهم ☆ يفنيهمو ضرب الصوارم

(قال الراوى) فلما فرغ الملعون من شعره والنظام ضحك الملك من هذا الكلام ثم قال ياأبونا لقد أحسنت فيما قلت ولكن أراك تذكر ذات الهمة وعبد الوهاب وما تعلم انهم إذا كانوا بعدد الرمل والحصى أخذتهم أسارى والحبال فى رقابهم وهم يساقون سوق البقر وهم لابسين جبب الصوف وأشهرهم فى بلدى فقال عقبة المسيح ينصرك عليهم ثم قال فى نفسه وحق المسيح لابد أن تنتف ذات الهمة منك السباك وتصفع منك القزال فان المسيح مايرضى عنك ولا عن غيرك من النصرانية ويفزع من أهل دين الحنيفية (قال الراوى) هذا جرى لغضب المسيح (وأماما كان) من المسلمين فانهم باتوا تلك الليلة وقد عزموا على لقاء عسكر غضب المسيح وان الأمير عبد الوهاب قال مالنا إلا الخروج إلى لقاء الملعون ونحقق الظنون ويقر الله بالنصر العيون وقد انفرجت عنا هذه الكربة فهذا جرى لهؤلاء (وأماما كان) من عسكر الملكة زنانير والملك غربيل فان الملك أنفذ قدامه بطريق من البطارقة ومعه عشرة آلاف فارس وقال له اطلب عساكر غضب المسيح حتى لايهرب من بين أيدينا وان قدرت على لقاه فالقاه وسير على عجل لئلا يهرب إذا سمع بمجيئنا فامتثل البطريق ماقاله الملك بالسمع والطاعة ثم أخذ العشرة آلاف فارس وسار يطلب غضب المسيح وجد فى سيره ليلا ونهار ولم يزل كذلك حتى وصل اليهم وقدم عليهم فلما رأى غضب المسيح ذلك علم أنه عسكر الملكة زنانير فأمر أصحابه بالركوب فركبوا ثم حملوا عليهم ولم يدعهم يستريحوا وعمل بينهم القتال وكثرت الأهوال وعظم الزلزال واشتد الكرب وثارت نار الحرب وماكنت ترى إلا كف طائر ودم فائر وجواد غائر وقد فتك فيهم غضب المسيح وعمل معهم العمل المليح وترك دماء فرسانهم على الأرض يسيح فمنهم طريح وجريح ولم يزل كذلك حتى التقا بالبطريق المقدم عليهم وهو يجندل الأبطال ويبيد الأقيال فالتقاه غضب المسيح وعاجله بطعنة تركه بها طريح فما كان الا أن قتل البطريق المقدم حتى ولت أصحابه الأدبار وقتل منهم عالم كثير وغنم غضب المسيح غنائمهم ورجالهم ولم ينجوا من عسكر زنانير الا من كان فرسه سابق وبلغ خبر الكسره إلى زنانير وغربيل وعلموا بقتل المقدم فعظم عليه ذلك وقال غربيل وحق المسيح ماظننت أنه يجسر على مثل هذه الأمور وسيرى غضب المسيح فعله وأجازيه بمثله

إذا أنا ضربته بسيفى وأهلكت من معه فقالت له زنانير الصواب فيما ذكرت والرأى عندى اننا نهجم عليه ولعل المسيح أن يظفرنا به ثم انه أمر العساكر بالرحيل إلى لقاء غضب المسيح (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأماماكان) من المسلمين فانهم لما سمعوا بأن العسكر الذى لزنانير قد قتل منهم خلق كثير فرحوا بذلك ثم قال الأمير عبد الوهاب كفاية الله خير من توقينا ثم ان الأميرة قالت يابنى كونوا فى غد على نية الرحيل ووالله مالى شغل الا الأمير أبى محمد البطال لأنه من يوم وصل الينا ومعه الملك صابر رجع الى عسكر غضب المسيح وله اليوم أربعة أيام وهو فى عسكره وأنا خائفة عليه من عقبة الملعون فقال لها الأمير عبد الوهاب لاتخافين عليه من عقبة ولاغيره فانا ارجو له ولنا من الله أن يفعل مافيه الخيره ثم باتوا ينتظرون الصباح (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء (وأماماكان) من غضب المسيح فانه جلس على سريره وأحضر أرباب دولته وعقبة وماريتون فقال عقبة أبشر أيها الملك فقد جاءك النصر من المسيح وأول ذلك عسكر الملكة زنانير فقد قتل منهم عالم عظيم والعقى المسذين واعلم أيها الملك ان فيهم العيار المحتال أبى محمد البطال سارق بنات الملوك وقاتل كل غنى وصعلوك ولاشك انه فى عسكرنا يدبر الحيلة على سرقة أحدنا وهو الليلة معنا فعليكم بالاحتراز لانه يتصور للرجل فى صورة ولده وهوجته فلما سمع غضب المسيح ذلك قال يا أبونا يصل الى هذا الحد قال وأكثر أيها الملك انه تصور للملك صابر على صورة المسيح وأسلم على يديه وأخرجة من دينه فقال له الملك أحقا ماتقول فقال عقبة وحق المسيح والدين الصحيح وكنيسة قمامة ودير الاقامة وكل من فيه من بنت غذراء قد وهبت نفسها للرهبان تقر بالمريحنا المعمدان لعل يمحى بذلك ذنوبها انى ما وصفت بعض حيله وفيه خصلة إذا ذكر حضر فقال غضب المسيح فهو فى هذه الليلة معنا فقال عقبة نعم وربما يكون واقف مع الجماعة يسمع ما يجرى بيننا من الكلام ثم انه قال أيها الملك أشتهى منك أن تمسك الباب وتحفظ كل من يخرج من السرادق فلعل المسيح أن يوقعه فى شبا كنا فعند ذلك أمر الملك بحفظ الباب وأحضر الكل بين يديه فعرفهم واحد واحد ولم ينكر أحد فقال عقبة أيها الملك ولعله لما شرعنا فى حديثه طلب لروحه النجاة فقال الملك ياشيخ هذا شىء ما أسمعه منك لأن ما أحدا يقدر على ما ذكرت ثم سأل بواب السرداق عمن خرج من عنده فقال أيها الملك ما خرج الادوحة محضية الملك مع الحاجب وقد أوهب لنا هذه الجبة الاطلب وقال لنا أن الملك يريد الرحيل فى هذه الليلة من هذه المنزلة لانها ضيقة على القتال وأخذ معه المحضية وسار ولا نعلم ما كان منهم

(قال الراوى) فلما سمع غضب المسيح ذلك قام قائما على قدميه والسيف فى يديه مجذوب وقال هذا ما أوعدنا به الشيخ النجيح وهو شىء ماكان لنا فى الحساب بان عيار المسلمين يجسر علىَّ مثل هذا ثم أن الملك دخل الى مضربه الذى فيه دوص المحضية فلم يجدها ولا جواريها ووجد خادمها مذبوح فايقن بأخذ الجاريه فصاح ولطم على وجهه ورأسه ولم يكن له بذلك عادة وأيقن بزوال ملكه بعدها (يا سادة) وكانت هذه الجارية أعز الخلق عند الملك لما حوت من الحسن والجمال والبها والكمال وحسن الرأى والتدبير وكان لها صوت كانه صوت الشحرور يشفى العليل عند سماعه وهى معه سفاحا لانكاحا وكان الملك لا يكثر الخلوة مع النساء الا أنه كان يرى فى هذه الجارية لحسنها وحسن صورتها وطيب نغمتها فلما فقدها جعل يبربر ويهدر ويزجر وقد خرج من عقله ثم ضرب رقاب عشرة من البطارقة وقد خرج الى باب السرادق فضرب رقاب من كان عليه من البوابين ثم انه ادعى بالحكيم ماريتون وعقبه وقال لهم أرأيتم ماقد وقعت فيه ثم أخبرهم ان جاريته دوص فقدت مع جوارها وخادمها الخاص مذبوح فلما سمعوا ذلك عظم عليهم وكبر لديهم وقال عقبة فى نفسه أخذها البطال العيار المحتال وفاز منها بالآمال ثم قال أيها الملك ابعث خلفه الساعة العسكر الى طلبه فى كل طريق فانه ما وصل بها الى بعيد فقال الملك ياأبونا وحق المسيح لولا انها كانت متفقة معه لما فعل ذلك فكيف وهى أعقل أهل زمانها فقال عقبة أيها الملك ما رأى العيار أنه يروح من عندنا بلا معيشة وحيث انه ماقدر علينا اخذ الجارية فاشكر المسيح الذى كان بالجارية ولا بواحد منا فما دخل الا اليك فقال له الملك ياأبونا ياليت كانت الحيلة على أحدنا ولا تكن على حريمنا فان هذه الجارية عزيزة علىَّ فقال له عقبة أيها الملك يجب عليك أن تنفذ خلفه عسكر لهم يعثرون به فصاح الملك فى قومه بان يتفرقوا فى سائر الطرق فركبوا وساروا خلفه ساعة وعادوا وما لحقوا له خبر ولا وقفوا له على أثر وعلم الملك بذلك فقامت عليه القيامة وجعل عقبة يسليه فصاح الملك عليه بصوت كاد أن يفلق قلبه وقال له قم عنى الى لعنة المسيح ومقام العذاب الأليم فما أكثر هذيانك فعندها قام عقبة ومعه ماريتون وهما بالنجاة لا يصدقون فلما خرجا من عنده أقبل ماريتون على عقبة وقال له يا هذا كم أنهاك عن مجاهدة هذا الملك وأنت تزداد فقال له عقبة اسكت يا أخى فما رأيت أخس من هذا الملك ولا أخبث منه ولا بد لى ما أعمل على هلاكه فقال له ماريتون دع هذا الهذيان فان الملك قد فقد جارية ما على وجه الأرض مثلها فلا يلام من أجلها فقال له عقبة وحق المسيح لا عادت تخلص من أيدى المسلمين فلما سمع ماريتون ذلك ضحك من وسط الغيظ (قال الراوى) وكان السبب فى أخذ الجارية أن أبى محمد البطل كان فى العسكر وقد أتى

يسمع أخبارهم ومعه أربعة من غلمانه فأقام بينهم ثلاثة أيام ولم يقدر على الوصول الى الملك إلا فى هذه الليلة فلما حضر بينهم وسمع كلامهم وسمع ماقاله عقبة من الكلام فقال أبى محمد اللهم أرحنا من هذا الشيخ السوء وكان أبى محمد قد دخل فى صورة بطريق من البطارقة الذين لغضب المسيح ثم دقق الحيلة على سرقة الملك فلما نطق به عقبة قال أبى محمد لغلامه والله ما بقى لنا مقام ثم طلب الخروج من باب السرادق فسمع أبى محمد البواب الواحد يقول للآخر ترى يقيم الملك فى هذه المنزلة أو يرحل الى غيرها فان الماء علينا قليل فقال له الآخر لا بد له من المقام لأنه نصر على زنانير والثانى ان أراد الرحيل أول مايرحل بين يديه الجارية دوصه محضيته لأنها فى خيمة الخلوة وكانت يا سادة تلك الخيمة من الأطلس الأحمر موشحة بشرائط الذهب فقال له الأول يا هذا وأنت ما تستدل على رحيل الملك إلا بهذا فقال له نعم فعند ذلك سكت عن جوابه وأما أبى محمد فانه لما سمع ذلك قال أريد الليلة أخاطر بنفسى وأطلب الخيمة لعلى آخذ هذه الجارية (قال الراوى) ثم انهم خرجوا من السرادق فلم ينكرهم أحد وقصدوا إلى الخيمة والغلمان الذين حواليها نيام فقال أبى محمد ياسادة عند ذلك لغلمانه تفرقوا ثم صاح على الجوار بالرومى فاستيقظوا الكل فعند ذلك كلمته الجارية دوصه فقال لها الأمير أبى محمد أيتها الملكة الملك يقول لكى تركبى هذه الساعة مع الحاجب منكوريا وتسيرين إلى المنزلة الفلانية لأن الماء هنا قليل فلما سمعت الجارية كلام أبى محمد قالت له ومن هو الحاجب منكوريا فقال لها أنا فقالت سمعا وطاعة فانى قد ضجرت من هذه الأرض ثم أمرت جوارها بالنهوض وكانوا خمسة ثم قالت أيها الحاجب معى صندوقى الذى فيه مصاغى وجواهرى ما الذى أمر الملك أن تصنع فيه فقال أيتها الملكة يكون معى فقالت اعلم أن الخادم نائم وهو صاحبى فقال لها اركبى أنتى وجواريكى وقفى على الطريق كما أمر الملك حتى ألحقك بالخادم فقالت أفعل ما بدالك (قال الراوى) فأخرجها أبو محمد ومعها الجوار فلما رآها البواب الأول قال للآخر ما قلت لك أن الملك اذا أراد الرحيل خرجت هذه الجارية قبله (ياسادة) فسمعهم أبو محمد فاقبل على أحدهم وضربه بالسوط من كتفه الى كتفه وقال له يا كلب الروم كم تكثر كلامك فيما لايعنيك فقال الآخر قد قتلت له ولكنه لايدع دخوله فعند ذلك ضحك أبو محمد عليهم ثم قال وحق المسيح قد رحمته لانه من عباد المسيح وقد وهبته هذه الفرجيه الاطلس ثم قصد أبو محمد الى غلمانه ومعهم خيول مسروجة فى زى بطارقة الملك وكانوا قد سلوا الخيل من العسكر فسلم الجارية اليهم ورجع الى الخيمة أسرع من البرق فوجد الخادم نائم فذبحه من أذنه الى أذنه وحمل الصندوق وخرج فلما رآه البواب أدركه

وأراد أن يكلمه فقال له الآخر ويلك قد اشتاق قفاك الى الصفع يا ألف غفلة فما أكثر مكايدتك فقال وحق المسيح لقد رابنى هذا الامر وكيف يخرج الملك جواره بلا خادم هذا والامير أبو محمد سائر الى أن وصل الى أصحابه وقد ركبوا النساء وركب أبو محمد وصاروا إلى أن أبعدوا عن عسكر الروم وهم آمنين على نفوسهم وقاربوا عسكر المسلمين فميلوا رؤس خيولهم فقالت لهم الجارية ياويلكم ما الخبر فقال لها أبو محمد بالرومى أيها الملكة اعلمى اننى سمعت من الروم يقولون ان المسلمين لنا كامنين وأنا أخاف منهم فعجلت فى المسير فعند ذلك سكتت الجارية على غيظ منها وساروا وهم لا يفترون عن المسير خوفا لايلحقهم من يعيقهم ولم يزالوا سائرين الى أن دخلوا بهم عسكر المسلمين فلما رأوه عرفوه فوقع فيهم الفرح والاستبشار بقدوم أبو محمد البطال وتبادرت اليه الأمراء من كل جانب وهم له يهنون ثم التفتت الاميرة ذات الهمة وقالت له مامعك أيها الامير والسيد الخطير فقال لها تسلمى أيتها الاميره المجاهده هذه الجارية وهى بديعة الحسن والجمال زائدة البها والكمال فريدة عصرها وأوانها وهى محظية الملك غضب المسيح وهذا صندوق ملآن جوهر وهو أجود وأوفر ثم حدثهم بحديثه من أوله الى آخره وليس فى الأعادة أفاده (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأن الجارية دوصه لما نظرت إلى عسكر المسلمين أيقنت بالويل والسبى ثم أقبلت على جوارها وقالت لهم ياويلكم قد أسرنا وحق المسيح وما هذا خبر مليح فأقبل عليها الأمير أبو محمد البطال وخاطبها بالرومى وقال لها أيتها الملكة اعلمى أنك الساعة فى أسر المسلمين وقد خلصتى من الكافرين فارجعى إلى دين الإسلام تفوزين بدار السلام وتصيرى فى جوار الملك العلام وإن أنتى أبيتى ذلك فابشرى بالذل الطويل والبكاء والعويل والويل الذى ليس بقليل واعلمى أيتها الملكة أن المسيح عبد من عبيد الله تعالى ومخلوق من خلق الله تعالى لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا وان أمه مريم أمة الله وهى خادمة لله تعالى وها أنتى أيتها الملكة الآن قد صرتى فى قبضة ملك الإسلام وترس قبر النبى عليه الصلاة والسلام المجاهدين فى طاعة الملك العلام الأمير عبد الوهاب وأمه هـــذه الأميرة ذات الهمة المجاهده فى سبيل الله تعالى صاحبة الأمل الرفيع والجناب المنيع والقدر العالى والعبيد والموالى وهى قاهرة الأقران وقاتلة الفرسان ومبيدة الشجعان ودامغة أهل الشرك والطغيان ومذلة عبدة الصلبان فتكونين فى خدمتها الى أن يظفرها الله تعالى بأعدائها ويبلغها منهم المراد وتشفى منهم غليل الفؤاد وترين بعد ذلك ما يصل اليك من أنعامها (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة فلما سمعت الجارية دوصه كلام الأمير أبو محمد البطال صاحب الأقوال

والأفعال طاطت رأسها وانكسرت نفسها فعند ذلك أخذوا المال منها وأبعدوا جوارها عنها (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان الأمير عبد الوهاب نظر الى جارية لم يسمع قط بمثلها ولا بلغ أحد مثل حسنها وجمالها وقدها واعتدالها فقال لقد بلغت هذه الجارية النهاية والبهاء والكمال والحسن والجمال فسبحان الخالق البارى المتعال (قال الراوى) وأول من نظر اليها بعين المحبة الأمير ظالم فوثب قائما على قدميه وغطا رأسها بكمه وقال وذمة العرب وشهر رجب والرب الذى اذا طلب غلب أيتها الأميرة لارآها أحد غيرى بعد يومنا هذا وأن هذه عندى لأوفى من زنانير وأنا أولى بها من كل أحد وأن أنا منعت عنها من ذلك لأقتلن نفسى لأن الله تبارك وتعالى قد حبب إلى هذه الجارية وبغض إلى زنانير وكرهنى فيها لأجل تولع اؤلؤ بها ومحبته فيها فقال له الأمير عبد الوهاب ياولدى هذه للسلمين تبتاع وزيدت أنت فيها وخذها ذلك الوقت لك ولا يدافعك فيها مدافع ولا يمنعك عنها مانع فقال له ظالم أيها الأمير لاتدخل معى فى هذه الطريقة وأنا ما أريد فى هذه السفره الطويلة إلا هذه الغنيمة فيجوز أن يزاحمنى عليها وأنتى أيتهـــا الأميرة وعدتينى أنك تأخذى لى الملكة زنانير وتسلميها الى لما عاينتى مابى من الهوى وعظم تباريح الجوى وما رأيتيه من الضعف والتلهف والأسف والآن لما صعب على المرام من أخذ تلك الجارية قد أخلف الله تعالى علينا بهذه ومنزلة هذه عندى أوفى من منزلة زنانير وقد زينها الله تبارك وتعالى فى عينى فلا يدخل أحد بينها وبينى ثم أنشد هذه الأبيات ويقول

أذلهمة هذى حياتى ومنيتى ٭ وغاية آمالى هواها ومطلبي
مهاة لهـا من وجهها لون بهجة ٭ كبهجة بدر لاح فى جنح غيهب
ومالى عنها معزل غير أننى ٭ انامسمعى ان يسمع القول من أبى
ولى من هوى دوصه غرام واننى ٭ سليت زنانير وعقلى قد سبى
وما عمى البطال إلا مهذب ٭ فجودوا بدوصه لى وقلوا تعتبى
فظالم فى يد من الوجد سبسب ٭ وما أنا إلا بالأمير المهذب
ولا تتركانى أشتكى لاعج الأسى ٭ وأبكى بدمع هاطل الودق صيب

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أن الأمير ظالم لما فرغ من شعره وما قاله من نظمه ونثره جعل يتنفس الصعدا ويبكى وجدا وكمدا فقالت الأميرة ذات الهمة يا بنى قل من هذا البكاء ولا تخف فما ينظرها بعد هذا اليوم غيرك وهى لك ورب الكعبة وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أملكها لأحد غيرك ولا أحنث فى يمينى وعليك مطر

السماء وأنا أعوض بيت مال المسلمين من قسمي فطب نفسا وقر عينا فعنـد ذلك فرح الأمير ظالم لما سمع مقالها وشكرها على فعالها ثم قبل رأسها ولم يجسر أحد يعود يذكرها ولا يجيب حديثها (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عسكر غضب المسيح فانهم باتوا ينظرون الصباح وكل منهم قد عزم على الحرب والكفاح فلما برق ضياء الفجر ودرقرن الشمس وأحمر على الجبـال وصل فى ذلك الوقت عسكر الملكة زنانير والملك غربيل وولده مريحنا والبطارقة والقساقسة والرهبان الشمامسه وملأت البيداء وضاقت بهم الأرض فى طولها والعوض وقد نفرت الوحوش من بين أيديهم من شدة ركض الخيل وهم سائرين كأنهم السيل ولما أشرفوا وجدوا عسكر غضب المسيح قد ركبت واصطفت صفوفه وتعدلت ألوفه وترتبت عساكره وأعتدلت دساكره وأنتشرت راياته وقويت عزماته ففعل الملك غربيل بعساكره كذلك وصفف الصفوف ورتب الألوف وكانوا قد ركبت الأبطال والخيول وجربوا النصول وقومت الأسنة وعلت الضجة والرنة وقد أعتدت الفرسان والشجعان للقتال والحرب والنزال وأول من فتح باب الحرب فى مقام الطعن والضرب مريحنا ولدا الملك غربيل وخرج إلى حومة الميدان وأشتهر بين الفرسان وهو راكب على جواد أصفر عالى مضمر بكفل مدور وله غرة كانها القمر ما ملك مثله كسرى ولا قيصر ولا بنى الأصفر وقد تقلد بصارم أبتر وأعتقل برمح أسمر وله سنان يخطف البصر وكان عليه جبة من الأطلس وهو كأنه القمر وقد أرخى له شعر كالليل إذا اعتكر وتحير فيه كل من نظر ولم يبق أحد إلا وعوذه بالمسيح من الشيطان وقال أنا الفـدا لهذا الوجه المليح فلم يكن يلتفت إلى قولهم وخرج إلى الميدان كأنه الثمل السكران أو الغزال العطشان أو الرامق الحيران فلما رآه غضب المسيح سأل عنه وقال من هذا فقالوا له أيها الملك أنه ولد الملك غربيل فقال هذا ولده الموصوف بالحسن والجمال والبهـا والكمال فقيل له نعم هو هذا فقال أريد من يخرج اليه فى هذه الساعة ولا يقتله بل يأتينى به أسير (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال له عقبة أيها الملك وحق المسيح والذبح والذبيح أن مثل هذه الصورة الجميلة ما يستاهل القتل فقال له غضب المسيح أيها الشيخ النجيح إذا أخذناه سلمناه اليك لتربية على قدر خلقك ثم قال للبطارقة من جاءنى به فله ما أراد فعندها خرج اليه فارس هائل الخلقة شديد القوة والحيل ولما ساواه صاح به إلى أين يامغرور دونك والإستسلام وإلا علوتك بهـذا الحسام فلم يلتفت اليه مريحنا بل حمل عليه وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره

فعندها صاحت البطارقة والشمامسة والقسوس وجعلوا كلهم يعوذونه ويدعون له بالسلامة فأمر الملك غضب المسيح ثانى فخرج اليه فقتله والثالث جندله والرابع والخامس ولم يزل كذلك حتى قتل عشرة من الأبطال وولى النهار وأقبل الليل بالإعتكار ورجعت كل طائفة إلى مكانها وقد تحيرت الناس من شجاعته (قال الراوى) وأن الملكة زنانير (ياسادة) ادعت به إلى عندها وزادت فى أكرامه وما زجته ولاعبته وضاحكته وقالت إذا كان فى غد ما يتولى القتال غيرى فقال مريحنا أيتها الملكة لا كان ذلك أبدا بل نفسى لنفسك الفداء فاثنت عليه وشكرته وباتوا إلى الصباح فعند ذلك هم مريحنا بالخروج إلى الميدان ومقام الحرب والطعان وإذا هو بضجة عظيمة فمد نظره الى صوبها فرأى عشرة آلاف بطريق وقد ترجلوا فى ركاب شخص فتأمله وإذا بها الملكة زنانير وقدامها ترجمان فصيح اللسان ينادى يامعشر النصرانية هذه الملكة العظيمة قد خرجت تطلب قتال الخارجى المنافق غضب المسيح لترغم أنفه وتعجل هلاكه وحتفه فلما سمع غضب المسيح كلام الترجمان كاد أن يطير قلبه فرحا وتمايل عجبا ومرحا وقال هذا وحق المسيح الذى كنت أتمناه من براز هذه اللخنا ثم خرج أسرع من لمح البصر وقد همر وزمجر وطلب زنانير وهو يقول ياويلك عليكى بملاعبة النسوان لا مبارزة الأقران فلما سمعت زنانير كلام غضب المسيح قالت وحق المسيح انك أخسر وأحقر ثم حملت عليه وحمل الآخر عليها وتطاعنا ساعة من النهار وعلا على الإثنين الغبار وركب فى ذلك اليوم الأمير عبد الوهاب وأبطال بنى كلاب وذات الهمة وجماعة من الأمراء الأعيان يتفرجون على القتال بين الملكة زنانير وبين غضب المسيح ولم يزالا فى كر وفر وأخذ ورد إلى أن كلا وملا واضمحلا وأخذهما التعب والويل والنصب فعند ذلك صاحت الملكة زنانير بالملك غضب المسيح صيحة عظيمة وحملت عليه وهى على قتله مصممة وقال كل من حضر انها قضت عليه الا أنها خانها كثرة اعجابها وجاءها مالم يكن فى الحساب فوقعت يد جوادها فى بيت اليربوع فانقض عليها غضب المسيح كأنه العقاب إذا انقض واختطفها قبل أن تقع على الأرض ومضى بها الى عسكره وقد ارتفعت من أصحابها الضجات وعلت الرايات ثم انه تركها فى مضربه ووكل بها من يحفظها بعد ما كبلها فى الحديد ثم رجع الى الميدان ومقام الحرب والطعان وطلب البراز وسأل الأنجاز فبرز اليه مريحنا وجال معه فى الميدان وأما عقبة لعنه الله فانه قام ودخل الى الملكة زنانير واشتمت فيها وجعل يقول لها يامطرودة من باب المسيح ظننت انكى تسلى منى فلما سمعت كلامه زاد بها الغيظ فوثبت اليه وهى تحجل فى القيود فولى من بين يديها هاربا فلحقته بوثبات ومسكته

من أطواقه مسك القرود وجعلت تلطمه الى أن سال الدم وهو يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجار وفى تلك الساعة دخل الحكيم ماريتون على زنانير ومعه جماعة من البطارقة فخلصوه منها وقال لها ماريتون ماهذه الفعال أيتها الملكة الكريمة بالشيخ النجيح وهذا ما يرضى به السيد المسيح فقالت اعلم يا أبونا ان هذا الشيخ قليل الحياء وانا لابد لى من قتله ولو تلفت روحى فى أجله فقال لها عقبة ان خلصتى من غضب المسيح افعلى بى ماتريدين ثم خرجوا من عندها وطلبوا موضع القتال لينظروا ما يجرى بين غضب المسيح وبين مريحنا وماريتون يقول لعقبة ياشيخ طول روحك على الملكة زنانير فانها ماتكلمت بهذا الكلام الا لعلمها بمحبتك لها وحق المسيح لقد قتلتنى بكلامها وحيرنى ابتسامها فقال له عقبة اسكت ياويلك الليلة تكون فى اهتمامها ونهجم عليها فى منامها ونفك ختامها فضحك الحكيم ماريتون من كلامه الموزون ولما وصلوا إلى المصابيح وسمعوا صوت غضب المسيح وهو يقول وحق المسيح أنت أسير ثم هجم عليه وأخذه أسير وقاده ذليل حقير وحملوا أصحابه يريدون خلاصه فلم يصلوا اليه وكان قد أمسى المساء فانفصلوا من بعضهم ورجع غضب المسيح وقد أذهله مارأى من مريحنا وحسنه وجماله ثم سلمه الى الحكيم ماريتون وقال له إذا هجم الليل بغيهب السوداء ائتنى به فقد وقع بقلبى وملك خاطرى ولبى فقال له أيها الملك وحق المسيح انى أسير منه أن أواجهه بهذا الأمر ولكن سوف نتساعد أنا والشيخ النجيح على ذلك شاكراً لعقبة على ما قاله الملك غضب المسيح فقال له عقبة لاتعرف ذلك إلا منى ثم قام الملعون من ساعته فدخل على الغلام فرأى وجهه كأنه بدر التمام وله شعر أسود من سواد الظلام فلما وقعت عين عقبة على هذه الصورة الحسنة سال لعابه وبل ثيابه وبصبص له بعورته ودقق عليه حيلته وجعل يخدعه بأعاجيب الكلام ويهنيه بما وعده من الاكرام وقال له ياحبيبى ان الملك له اليك حاجة ويسألك قضاها فاحذر مخالفته وبلغ نفسه هواها ومناها فقال مريحنا ويلك ياشيخ السوء ياقبيح المنظر وما تستحى منى تواجهنى بهذا الكلام القبيح وأنت تقول انك هدية المسيح فقال ياولدى ماهذا عندى قبيح وإنما لمثلك مليح وان كنت تخشى من العقوبة والعار فاجعل فى ذمتى أنا وأنا المتقلد به وفى رقبتى ثم جعل الملعون يقبله حتى أكربه وضيق نفسه وهم أن يوقع به فعل وإذا بغضب المسيح قد هجم عليه وسمع ماجرى بينهما من المجادلة

تم الجزء السابع والعشرون ويليه الجزء الثامن والعشرون

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشباطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثامن والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا سادة وكان السبب فى وصول غضب المسيح انه لم يأخذه قرار ولا اصطبار شوقا إلى الغلام وزاد به الهوى والغرام فاجتمع بماريتون واستخبره عن مريحنا فقال له الشيخ عقبة قد دخل اليه يولفه لك فضحك الملك وسار من وقته وساعته إلى أن وصل الى الموضع الذى فيه الغلام وسمع عقبة يتحدث معه فى شان ذلك الأمر الذى قدمنا ذكره فدخل وعقبة هم أن يغضبه فلما رآه عقبة نهض قائما وقبل يديه وخرج وبقى الغلام مع الملك طول ليلته إلى الصباح حتى انه قتل الغلام من فعلة الزنيم وهو يقول له ماتستحى من غضب السيد المسيح أن يعجل بالوبال عليك (قال الراوى) وان غضب المسيح خرج من عند مريحنا وقد انكشف ستر الله عنه وعن عقبة (قال الراوى)وان الغلام من شدة ما جرى عليه تفطرت مرارته ومات لوقته وساعته فعند ذلك بلغ الملك موته فحزن عليه حزنا شديدا وقال لأصحابه لاتعلموا به أحد بما جرى له بل احفروا له وادفنوه ففعلوا ذلك وقد أراد الله أن يكون ذلك سببا لزوال مملكته (قال الراوى) وكان أبى محمد البطال فى ذلك الوقت مشاهد كل ماجرى لهم من أوله إلى آخره لانه دخل فى تلك الليلة فعندها تقدم للمضرب الذى فيه الملك زنانير فلما وصل اليه وإذا هو بشخص وعلى كتفه شىء يحمله وهو يخترق العسكر ويتخطى رقاب النوام قال الأمير أبى محمد هذا سارق لامحالة فياليت شعرى من يكون هذا فتقرب منه وحقق فيه النظر وإذا هو بغلامه لؤلؤ فصفر له بسيم كان بينه وبينه فعرفه فسلم عليه فقال له الأمير أبى محمد ما ملك يا لؤلؤ فقال

معى مولاتى زنانير ولكن أنت فما جئت الى هاهنا فقال والله طمعا فى طلبها فقال له لؤلؤ والله سبقتك اليها فقال له الأمير أبى محمد دع يالؤلؤ كثرة الهذيان فلابد لى منها هذه النوبة ليكون سببا فى خروجنا من هذه البحيرة وسطوتنا على أعدائنا فقال له يامولاى الذى تريده أنا أضمنه للسلمين وحق رب العالمين أما تعلم ياسيدى مانزل بى من محبة هذه الجارية فعندها قال الأمير أبى محمد صدقت يالؤلؤ ولكن من يقع له غنيمة مثل هذه الملكة ويتخلا عنها فلابد منها فى هذه الليلة فقال لؤلؤ لأبى محمد اسمع منى التحقيق فأنا والله أصبر على كل شىء إلا على طلوع الروح فلاصبر عنها وهذه والله روحى من الدنيا فقال له الأمير أبى محمد والله لابدلى منها فعندها قال له لؤلؤ والله ان السماء أقرب لك منها فقال الأمير أبى محمد أنت تمنعنى منها ثم أن لؤلؤ أخرج من بين أثوابه خنجر عريض ثقيل يدب الموت منه قال فلما نظر أبى محمد الى لؤلؤ وقد أخرج هذا الخنجر قال له ويلك ياوقح الوجه ياولد الزنا تواجهنى بهذا الكلام فقال له لؤلؤ والله يامولاى لقد غلبنى الشوق اليها والغرام وانى بها مستهام وحليف المحبة والسهام قليل الرقاد ووالله العظيم لئن تركت سبيلى ليكونن لك عندى عشرة آلاف دينار من مال الملكة زنانير قال فلما سمع الأمير أبى محمد عن لؤلؤ ذلك الكلام وتحققه رق قلبه وقال له قد وهبتها لك يالؤلؤ فى هذه الليلة فشكره على ذلك ثم قال له اعلم ان غضب المسيح هو فى سرادقه وقد وقع نائما كأنه ميت فاقصده لعلك أن تظفر به فقال له أبى محمد من يقرب هذا الجبار فلو انك معى كنا استعنا ببعضنا بعض فقال له لؤلؤ قد إكتفيت بمن معى فاذا أردت أنت ذلك فافعل عند ذلك ضحك أبو محمد من كلام لؤلؤ ثم ان لؤلؤ سار وعلى كتفه الملكة زنانير الى أن أخرجها من العسكر وأبعد بها وأمن على نفسه عند ذلك حطها عن أكتافه وحل كتافها وهى لاتعقل على روحها وكلمها لؤلؤ فعرفته وكانت الملكة زنانير لما أخذها لؤلؤ حسبته أبو محمد البطال عيار المسلمين فلم تتكلم وقالت دعنى أكون عند المسلمين أحب إلى أن أكون عند هذا الكلب غضب المسيح فيبلغ منى غرضه غضبا وأنا وحق المسيح قتلنى هذا العبد والجزع والكتاف وكانت متوهنة من شدة تلك الوقعة من وجع جنبها لما وقعت من على الجواد فى حومة الميدان (قال الراوى) وانها عرفت لؤلؤ وحمدت المسيح على ذلك وكاد قلبها يطير من الفرح ثم جعلت تسأله عن حاله فقال لها أيتها الملكة ما هذا وقت سؤال ثم تركها فى موضعها وأوصاها أن لاتبرح من مكانها ورجع الى العسكر وسرق حصان وسيف ودرقة ورجع اليها أسرع من البرق وسلم اليها الجميع واجتهد أن يفك القيد من رجلها فلم يقدر على ذلك وعالجه حتى كسر العوامل وبقيت الخلاخيل لانهم ماطلعوا لأن ساقها

غليظ فقال لها اؤاؤ يامولاتى اركبي واطابى لنفسك النجاة فقالت له يا اؤاؤ كم لك على من أيادى وقد خلصتنى مرتين من يدى الاعادى فابشر بما يسرك قال فترامى اؤاؤ على أقدامها يقبلها ثم ركبت وأردفت اؤاؤ خلفها على ذلك الحصان وسار بها فى طريق يعرفها حتى لايقع بهم أحد فلما توسط الطريق خرج عليهم عشرة فوارس من أصحاب غضب المسيح وكانوا قد خرجوا يقطعون الطريق فوقعوا بالملكة زنانير ولؤلؤ خلفها فلما نظروها فى ظلام الليل قفز الحصان فرماهما فوثبت زنانير كالاسد اذا غلبته فريسته هذا ولؤلؤ قد قال مليح يكون خلاصها وحدها أقع انا واياها فى قبضة غضب المسيح ماكان يبقى علينا ساعة واحدة مما فى قلبه منى فانا لله وانا اليه راجعون هذا والملكة زنانير لما رأت العشرة فوارس التقتهم بقلب قوى وجنان جرى فنثرت منهم الكفوف والمعاصم وطيرت الرؤوس والجماجم فجاءها سهم منهم خبط فخذها فى الغرق فحملت عليهم وجعلت تلتقطهم واحد بعد واحد حتى قتلت العشرة وقد وقع العائط الى غضب المسيح أن زنانير هربت فركبوا وطلبوا من كل فج ومكان فما وصلوا اليها الاوقد فرغت من العشرة ووصلت الى عسكرها فوقع فيهم الفرح والسرور بسلامتها وهى لاتصدق ذلك ولؤلؤ قد فرح بسلامتها وركوبه خلفها وهو ماسك كتفها وردفها فى حضنه كانه ملك الدنيا بما فيها هذا وغضب المسيح قد قامت عليه القيامة ودخل خيمته وسأل عن عقبه وماريتون فما وقع لهما على أثر ولا على جلية خبر فسأل عنهما الغلمان فقالوا وحق المسيح مالنا منهما خبر فأيقن أن عيار المسلمين سرقهما فندم حيث لاينفعه الندم وركب هو وأصحابه وكان عسكر المسلمين غافلا فما كانت غير ساعة الا والروم قد كبسوهم فى الخيام فيالها من ساعة خرجت منهم الارواح وكثر الصياح وزاد النواح ونادى الامير عبد الوهاب الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر وتصايحت معه الفرسان واتبعتها الحبشان وطارت الرؤوس وأخرجتهم المسلمين من خيامهم وهم صاغرون وقد أعز الله أولياءه وخذل أعداءه وقد تعجت المسيح غضب من ثبات المسلمين وقال وحق المسيح ما أيقنت ان يسلم منهم أحد (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى غيبة الملعون عقبة والخنزير ماريتون انه لما رجع الامير أبو محمد البطال من عند اؤاؤ فبينما هو يمشى فى الطريق وزو فى أطراف الخيام فرأى ثلاثة أشياخ فصفر لهم فتقدموا اليه فلقيهم غلمانه فعرفهم واذا هم يانس وبديع فسألهم عن حالهم وعن مجيئهم فقالوا له غبت عنا فخرجنا من الخيام وقلنا انك ماتروح إلا اغضب المسيح فجئنا ومعنا كلما تريد من العدد فقال البطال والله أحوج ماكنت اليكم فى هذه الساعة اتبعونى فساروا الى خيمة عقبة وماريتون.

فدخلوا فوجدوا عقبة يغط فى نومه مثل الثور وماريتون إلى جانبه فقال البطال أنا لعقبة وأنت ياجوهر ويا انس لماريتون قال فارموا أنفسهم عليهم فما أحسوا الا وهم فى الرباط وفى فم كل واحداً منهم أكره فأيقن عقبة بالبلاء وقال عاقبة الفساد ميشومة ولاشك ان المسيح غضب علينا البارحة لان الملك مريحنا من وقت فارقت روحه جسده ما أفلحنا ومن أجله غضب المسيح علينا ثم ان الأمير أبو محمد وغلمانه ساروا بالملعونين إلى خيامهم وكان أكثر فرح الأمير أبو محمد بماريتون فلطموهما حتى كان الماء الأصفر أن ينزل فى عيونهما وعقبة يقول كلما عملته البارحة لقيته اليوم وعاد عقبة يتلاوم هو وماريتون واذا هم بعيطات قد علت وضجات قد نمت وكان ذلك غضب المسيح لما ان كبس على عسكر المسلمين ورجعوا خاسرين (ياسادة) هذا جرى من هؤلاء وأما الملكة زنانير لما أمنت على روحها قالت من كان يكرمني فيكرم لؤلؤ فلم يبق أحد من الروم إلا وأتحفه بشيء من المال والملبوس ثم أمرت حجابها أن يشدوا جراحها ولم تعلم أحدا برواحها (قال الراوى) ياسادة ياكرام وضمت عسكرها بعسكر عزبيل ولم تعلمهم بموت مريحنا وخلعت على حاجبه وأكرمت قومه وقد وصل جاسوس الى غضب المسيح يعلمه برحيل زنانير وانها ضمت العسكر الذى لعزبيل الى عسكرها وسارت وان الذى خلصها رجل من عندها يسمى لؤلؤ فقامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامة وعرف أنها مابقيت تقع فى يده ووصل اليه جاسوس آخر ان عقبة وماريتون اخذهم البطال وغلمانه وهم عند المسلمين فى أسوأ حال فغضب غضبا شديدا وقال الملعون أنا أعرف ذنبي وما فعلت مع أسيرى هذا وعسكر المسلمين لما رجعوا الى خيامهم أمرهم أبو محمد البطال بالحملة والعودة فركبوا وحملوا وللقتال تأهبوا وكثرة الشدائد وقل المساعد وركب غضب المسيح وصار الدم يسيح وعظم الزلزال وهلكت الابطال وزادت الاهوال وقطعت الاوصال وجال غضب المسيح على السودان وفتك فى الحبشان ونادى الامير عبدالوهاب بالله المستعان على عبدة الصلبان وضرب فى رقاب الفرسان وطارت الرؤوس عن الابدان هذا والامير عبدالوهاب يطعن فى الصدور حتى أعدمهم الفرح والسرور وكذلك الاميرة ذات الهمة يسمع لها ذلك اليوم عيطات وصرخات تحير الافكار وتم البتار يعمل الى آخر النهار ورجع المسلمين رابحين والروم خاسرين ورجع غضب المسيح مهموما مغموما حائرا فى فكره لاجل مريحنا الثانى من جهة عقبة وماريتون واسرهم وقال انا فى غد افتح باب الحرب واتولى الطعن والضرب وكذلك المسلمين باتوا على هذه الحالة ودخل أبو محمد على عقبة وقال له ياشيخ الضلالة ومعدن الجهالة أما آن لك أن

ترجع الى الإيمان وتترك عبادة الصلبان فقال له عقبة ولو أسلمت حل على مذهبكم العطب ويقال عنكم انكم كذبتم على نبيكم الذى اخبركم فغضب أبو محمد الغضب الشديد وضرب عقبة الضرب الوجيع الى أرمى لحم ابزازه وعلت افخاذه وكذلك فعل بماريتون وقال لغلمانه قد رأيت رؤيا وهوان أرفع هذين الكلبين الى قلعة الملك شعشعونا ويكونوا هناك فنأمن من مكرهم وحيلهم ثم أنه بعد ذلك دخل على الأمير عبد الوهاب وأعلمه بالحال فقال له أعمل ما بدالك وأخرج عشرة فوارس وسلم عقبة وماريتون اليهم وأمرهم برفعهم الى قلعة شعشعونا وان يحتفظوا عليهم فأخذوهما وساروا بعد أن حطوهما فى صندوقين وهما فى أسوء حال وساروا بهما الى قلعة الجوز وأنزلوهما فى سرداب طويل تحت طابق وسدوا عليها وجعلوا لهما طاقة صغيرة للشيء الذى ينزلوه لهما ثم انهم جعلوا عندهم من الزاد ما يكفيهما قال فلما رأى عقبة ذلك خنقته العبرة وأظهر الحسرة وهو شيخ كبير ولكن قال هذا فى طاعة المسيح ما هو كثير وان عشت سوف أفعل ما أتخلص به من المسلمين ومن شرهم وأخرب المساجد والمحاريب وأحرق كل منبر وخطيب وهو يقول هذا المقال والملائكة تلعنه والله على هلاكى قدير فهذا ما جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من عسكر المسلمين وغضب المسيح فانهم باتوا ينتظرون الصباح وكل يطلبون الكفاح فلما طلع النهار اصطفت الصفوف واهتزت السيوف فبينما الناس كذلك وإذا بعسكر غضب المسيح ترجلت بطارقته وتمخضت جوانبه وخرج الملعون غضب المسيح إلى بين الصفين وقد تسوك برجيع البترك (قال الراوى) وأنه لما عول على الخروج علق فى شواربه ذلك الرجيع وظن أن فعل ذلك نصره ولما أن خرج بين الصفين نادى مناديه يامعاشر المسلمين هذا الملك الضرغام صاحب الضرب والصدام ملك ملوك النصرانية وقد خرج إلى فارسكم عبد الوهاب ليث بنى كلاب لينظر من هو أعظم فى الشجاعة والقوة والبراعة وبعد ذلك فلا بد ما يسبقه كأس الحمام ويريح بقتله جميع الأنام وإلا تخرج اليه ذات الهمة الموصوفة بين العرب والعجم والترك والديلم فان أعمالها لاتخمد إلى طول الأبد وإن كان قبيح على الملك ان تقاتل امرأة ذات ضلع أعوج وعقل أهوج وما هى إلى الزواج أحوج إلا أنها تعد برجال ولها الوقائع والأهوال ولما حدثوا الملك بما هى فيه من الشجاعة والقوة والبراعة صلب على وجهه وقال مستخفيا بكلام القائل ان ظفرنى المسيح بها لاعرفنها أنها ما لاقت فى عمرها شجاع ولا قرم مناع وها الملك ينتظر جواب ويطمع الخطاب (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذلك أشتد حنقها وقالت أيظن هذا الملعون أن

ما يقدر أحد يقاويه ثم أنها عزمت على الخروج فاعترضها ولدها عبد الوهاب وقال لها يا أماه تظلميني فما دعى فى الأول إلا أنا وما أقدر أتخلف عنه فارجعى وأتركيني له فانى به ملئ ولا يجوز لى أن أقعد عنه فارجعى وما يكون جوابى عند الله تعالى إذا قال لى يا عبد الوهاب دعاك عدوى إلى الجهاد فى سبيلى فماذا يكون جوابى لربى عز وجل (قال الراوى) يا سادة فبينما الأمير والأميرة فى المشاجرة وإذا بفارس قد خرج كأنه سد حديد أو برج مشيد وهو على جواد سابق يفوت الباشق ويسبق اللاحق مطاع عليه صدرية زرد كأنها عيون الجرد وبيده رمح أسمر وفى يمينه صارم أبتر وهو يهدر ويزمجر وينشد ويقول

أنا الذى تدعوه ياأرزل الكفرى ✻ إلى الحرب عن جد سيد وعن نصر
فدونك منى ضيغما عزمانه ✻ أحد من البيض المهندة البتر
أنا سيف دين وابن حسامه ✻ يصول على الأعداء بالبيض والسمر

(قال الراوى) وان الأمير لما رآه لم يعرفه فسأل عنه فقيل له هذا ولدك قشعم فضاق صدر الأمير عند خروج ولده اليه وقال والله انى خائف عليه من هذا الجبار والبطل المغوار هذا وقد حمل عليه قشعم وحمل غضب المسيح عليه وتطاعنا ساعة من النهار وقد شخصت نحوهما الأبصار وصاح به غضب المسيح وطعنه طعنة شديدة لحاد عنها قشعم وصار لفرسه حزاما لشئ يريده الله انقطع حزام الفرس فوقع هو والسرج سواء فمع وقعته لم يمهله غضب المسيح دون ان وثب اليه وأخذه أسير وعاد به إلى قومه وقال لهم هذا بطل الإسلام فقال سوف آتيكم بالأب فدعوا له القسوس وقد كشفوا له الرؤوس وقالوا هذا كله من بركة رجيع البترك الكبير أيها الملك الخطير فقال غضب المسيح ما أقول الا الصحيح من حيث شميت رائحته وهو يسطع علمت انه خالص مافيه من رجيع غيره شئ ثم رجع يهدر الى الميدان فخرج اليه الأمير ظالم وقد فاض دمعه وانسجم على فقد أخيه قشعم وهو على جواد عالى من الخيل كانه قطعة من الليل ومعه رمح طويل وهو مكثر من البكاء والعويل وحمل على الملك كانه الأسد إذا عاين فريسته ثم تطاعنا حتى تقصفت الرماح وتضاربا حتى تثلمت الصفاح هنالك عمدوا إلى الملاكمة والمصادمة والملاحمة والملازمة فرأى غضب المسيح من ظالم مالم يعهده من غيره طول عمره فقال له يا هذا أنت أمير العرب وملك المسلمين المنتخب فقال له ياويلك أنا أخو الفارس الذى أنقطع حزام فرسه وكلنا أولاد أمير الإسلام والذاب عن الإمام فدع عنك هذا الكلام ودونك واللكام (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم تقدم الملك إلى الأمير ظالم من بعدما كان

قد تأخر عنه وتلاكما لكما لو وقع على الجبال لهدها ولم يزل معه فى أشد أمر إلى أن أضجره الملك وكان الملعون أخبر أهل البحيرة باللكام ثم أنه فعل فى الأمير ظالم وقد كش على مضاربه ولكمه فلولا وقعت فى كتفه كان قتله فوقع مغشيا عليه ثم أخذه أسير ولو لم يلكمه لم كان يقدر عليه ثم أن الملعون عاد به إلى عسكره وقد فرح بأخذه ووصل إلى قلب الأمير عبد الوهاب من ذلك أمرا عظيما وقال لقد جرت المقادير على ولدى فى هذه النوبة ثم أمر أهل العسكر أن لايعود أحدا يخرج اليه (قال الراوى) ياسادة يا كرام فبينما الأمير يخاطب أصحابه وإذا بفارس قد خرج اليه كأنه الجاموس فتأمله الأمير وإذا به ميمون الجماس فلا وأبيك ما حمل عليه بعد الوصول اليه وجاوله سوى لمحة عين حتى أخذه أسير ثم خرج من بعده قرقود بن الأمير قراقد فأخذه أسير فخرج اليه بردبن الأزهر فأسره بعد المشقة والضجر ثم خرج اليه راشد بن ضمرة وهو يقول يالها من سفرة أسرت فيها الأبطال وفنيت الاقيال وانه جال معه ساعة من النهار فأخذه أسير وخرج من بعده سعيد بن الفرج فأخذه (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك وما قد نزل بأبطاله عظم عليه وكبر لديه وقال وحق من أرسى الجبال والأعلام وأجرى الأقلام وأبرم الأحكام وخلق الضياء والظلام لارجع خرج اليه غيرى فان هذا غاية الذل والهوان ثم ركب على جواد غير الذى كان تحته يقال له السابق وكان الامير عبد الوهاب لايركبه الا فى يوم عظيم وكان هذا الحصان يساوى وزنه ذهبا فى المنظر والمخبر يسبق الرياح ويطير بلا جناح راكبه فى أمان إذا جرى فى ساحة الميدان وقلده العنان (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولبس درع من عمل النبى داود وليس له نظير فى الوجود ولا سواه عند أحد موجود وعليه بيضة عادية لاتعمل فيها السيوف الهندية وفى يده قناة خطيه لها سنان كأنه المنيه (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم ان الامير برز الى حومة الميدان ومحل الضرب والطعان وجال وصال على ظهر الحصان وحمل على غضب المسيح فلما رآه غضب المسيح حمل الآخر عليه ثم هدر وزمجر وشخر ونخر ولحسامه أشهر وحمل على الامير وتضاربا أشد ضراب وتطاعنا واشتبكا والتزما وافترقا ودأما على الحال وهما فى الصدام والقتال فزاد بالملك الغضب وكان تحت فخذه ثلاثة مزاريق من الحراب القصار فاستلب منهم واحدة وضرب بها الأمير واصلة اليه وثب من على ظهر الحصان صار على وجه الأرض حتى جازته وخابت ثم انه عاد الى ظهر الحصان واستوى عليه فلما رآه قد استوى على ظهر جواده كأنه الاسد وهو ثابت يضحك على غضب المسيح ازداد حنقه عليه وأراد أن يرميه بمزاراق ثانى

فناداه الامير عبد الوهاب ياويلك ماهذا شرط البراز ولا فى حكم الحرب والانجاز لازرق المزاريق ولارمى النشاب وما أخرج هذين السلاحين الا أزل الناس وما افتخرت الابطال الا بضرب البتار وطعن الاسمر العسال (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك من كلام الامير أخذه الغيظ وضحك أشد ضحك يكون وجعل يقهقه حتى استلق على قربوص سرجه ثم هدر وزمجر وكفر وتجبر ولحسامه أشهر وحمل على الأمير القسور كانه الليث الغضنفر فثبت له الأمير وصبر والتقاه بصدر فيه الإيمان مصور وتضاربا ضربا منكر كانه النار ذات الشرر وظهر كل واحد منهما على خصمه واشتهر وظن انه قد نال نصر أو ظفر ولم يبق فى أيديهما من السيوف الا المقابض واعتمدا على الرماح بعد ضرب الصفاح وتباعدا وتقاربا وتطاعنا ثم أوسعا فى الأرض ميدانا وأزعجا الأرض والبيداء وقد رمقهم العسكران بالاحداق وتطاولت نحوهما الاعناق وعظم من الفريقين القلق والاحتراز هذا والاميرة ذات الهمة على ظهر جوادها وهى على غاية القلق وقد علمت أن ولدها بلى بشىء ماله به طاقة فأردت أنها تحمل على غضب المسيح من شدة الاشفاق على ولدها والاحتراز وقد تعجبت العسكرين من ذلك الفارسين ولم يرجح أحدا منهما على صاحبه بحسن صناعته وشدة مضاربه ولم يزالا كذلك حتى تقصفت الرماح ثم حمل الملك غضب المسيح وقد زاد عليه الحنق اذا وقف معه الامير عبد الوهاب وطلب الخلاص منه والافتراق فلما افترقا رد غضب المسيح يده الى وراءه وأخذ مزراق من تلك المزاريق الذى تقدم ذكرها ثم أرسله الى الأمير عبد الوهاب أسرع من البرق البارق أو أقرب من نزول الودق فخرج من يديه كانه النبلة الصائبة لاتحققه النواظر ولا يعرف له أول من آخر وظن كل انسان أن الأمير هالك فلما عاينها الأمير عبد الوهاب وكان قد تأهب واحترز لنفسه فلما وصل المزراق اليه أرمى نفسه من على الجواد وقد استخار الوقعة من على الجواد إلى الأرض ولا يصل اليه المزراق فوقع المزراق كما يشاء الملك الخلاق بين عينين الجواد فخرج من دبره فوقع على الأرض وقد خرج المزراق منه فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى تلك الضربة تحير وكذلك كل من نظر (قال الراوى) يا سادة يا كرام وإذا بالأمير عبد الوهاب بادر اليه وطعنه بالحربة وهو ثابت على الأرض فعبرت الحربة خائبة وغاصت فى الأرض إلى أن غابت من شدة ساعده فلما رأى الملعون إلى ضربته وقد خابت فوثب إلى الأرض عن حصانه وطلب الأمير عبد الوهاب ودخل فيه وبطل حكم السيف واعتمد على القوة ولم يزالا كذلك إلى أن أصفرت الشمس ثم أن اللعين غادر الأمير ولكمه فى مشعره كما فعل بولده مظالم فوقع الأمير وما فى عينة قطرة وقد

غاب عن الدنيا فعند ذلك حملت الأميرة تروم خلاصه فحالت الروم بينها و بينه ولم تقدر أن تصل إلى غضب المسيح وقد عملت الصوارم فى الجماجم وطارت الأكف والمعاصم وضاقت نفوس المسلمين مما شاهدوا من فعال ذلك الجبار وضاقت حضورهم عن الأمير عبد الوهاب ووقع فيهم الضراب ثم كشفت الأميرة رأسها ونادت يا آل عامر يا آل كلاب فأجابوها بالتلبية فصاحت ونادت بالحملة وقالت يالتارات الأمير والسيد الخطير دونكم والأعداء فهذا يوم الفراق والذهاب والعذاب على الروم يابنى كلاب لتخلصوا الأمير عبد الوهاب وترس قبر النبى الاواب فحملت السودان وبربرت الحبشان واشتد بين الطائفتين الطعان وكل قاب على الأمير حيران هذا وقد سبق الملعون إلى عسكره وسلم اليهم الأمير عبد الوهاب وقال ياويلكم احتفظوا عليه فانى وحق الإنجيل ما رأيت فى عمرى أفرس منه وما أخذته إلا بعد جهد جهيد ثم أن البطارقة تسلمته وتوكل به مائة بطريق وكان الذى استلموه كأنهم الأطواد أو بقية قوم عاد ثم أن الملعون تحسر وقال اين عين الحكيم ما ريتون والشيخ النجيح يرواملك المسلمين والمقدم عليهم أجمعين فى قبضتى رهين فقال له طور مريم وكان هذا جبار عنيد وشيطان مريد وكان يقرب إلى الملك غضب المسيح وهو فى طبقته فى الشجاعة أيها الملك طول المسيح عمله ودفع قدرك وزاد فى فخرك وذكرك مادمت لنا سالما فلا تبالى عمن غاب أو حضر معنا لاننا كانا بك والاصحاب مبتهلون بسلامتك وهى سلامة دين النصرانية فلما سمع الملك منه ذلك شكره وخلع عليه وامره بالحملة على المسلمين فحمل كأنه الهائج وفتح فى الارض ميدان واخترق الصفوف وجدع الأنوف وأبان الرؤوس واختلس النفوس ثم حمل بعده الملك غضب المسيح فى أربعة آلاف بطريق ففتكوا فى الناس وكان يوم عظيم وكانت الاميرة قد التقت طور مريم فى وسط المعمعة وصاحت به سوطا خلعت فؤاده من صدره ومالت الى نحوه وفتحا فى الأرض ميدان وكانت البطارقة قد أخبرته أن طور مريم قد التقى بأميرة المسلمين ففرح الملعون بذلك وقال أن أخذها أسيره أو قتيله فقد فاز بالجائزة لأن جميع الناس يزعمون أنها أشجع من ولدها عبد الوهاب ومالى خصم الا هذه المرأة فان هى قتلت نلت المراد وشفيت الفؤاد وما يبقى على حكم أحد ثم انه أراد أن يتفرج على قتال الأميرة مع طور مريم عند ذلك قرب منهم ونادى به الآن خذ حذرك من هذه التى قد مزقت القلوب وزادت الكروب وهى أم الأمير الأسود والعبد الأزبد فان قتلتها وخلصت منها فلك على خراج مدينتى قلعة الذهب سنة كاملة (قال الراوى) ولما رأت الجماعة حملت الأميرة على ذلك الكافر الفاجر

طور مريم تأخروا عن القتال ثم طلبته الأميره بقلب قوى أقوى من الصخر وأجرى من البحر وهى تقرأ سورة الاخلاص وصوبت السنان اليه فرأته فارساً لايطاق وعلقم مر المذاق سريع الانعكاف والانعطاف خفيف الانحراف يبطل الطعان ويعطل الضربان لكن جاءه مالم يكن فى الحساب من فارسة الزمان وسيدة الشجعان وقابلته بطعنة عامرية وعزمة كلابية فوقع السنان فى صدره خرج من خرزة ظهره وانقلب إلى الأرض ونادت الأميرة الله أكبر وفرحوا المسلمين بسلامتها واغتاظ غضب المسيح من أجل قتلها طور مريم وتعجب من الأميره وقال ان هذه امرأة عظيمة وانها أفرس اهل زمانها وأنا أعلم ان ما بقى من أجلها إلا هذه الساعة فقال له قس وكان له قدر عظيم عند غضب المسيح وهو مقدم على سائر القسوس أيها الملك الكريم المسيح يبلغك ما تريده من كل بطل شديد وتملك الدنيا وتأخذ أعداءك وأعداء الدين وهم هؤلاء وانى أشير عليك رأى فان رأيته صواب فاتبعه وان لم ترضى به فاتركه فقال له الملك قل أيها الشيخ الصالح صاحب الرأى الناجح ولا أخلانى المسيح من رأيك ورأى الشيخان الحكيم وعقبة فانهما عندى عماد الدين فقال القس قد رأيت اليوم مافعلت هذه المرأة بأبطال النصرانية وكيف قتلت طور مريم وهو أفرس أهل زمانه وأشجع أهل أوانه والمسلمين قد انكسرت شوكتهم بأسر امرأتهم لاسيما وهم بالعسكر كله ولم يبقى لهم محامى الا هذه المرأة فما امهلك لو كبستهم الليلة فى خيامهم والمضارب وتنال غاية المطالب وتستريح من القتال والمبارزة فان هذا عار عليك بأن تخرج إلى هذه وهى امرأة ذات ضلع أعوج وعقل أهوج فكيف ترضى لنفسك أن تخرج اليها وتقدم عليها وأنت الملك الخطير والسيد الكبير وأنا أرجوا من المسيح المعونة على ذلك فانه مع من نصح فى خدمته وصدق فى طاعته وأنا أعلم أن البدرة لمن بدر ولاينفعهم منا الحذر فقال له الملك أما ماذكرت من كبس القوم فهو عين الصواب ولكن مع غير هؤلاء الكلاب لأنه لاينطلى عليهم محال وهم أسود فى صفة الرجال وأكثرهم لون الظلام اذا اعتكر ولهم قراطيس كانها قراطيس البقر البقر لايرهبون الموت ولا يخشون الفوت وأما ما ذكرت من خروجى الى هذه المرأة فانه عار وشنار فهذه مما لايصدق لأنها حامية الثغور وأميرة هذا العسكر وهى وحق المسيح أفرس من ولدها ومن كل من أسرته ولقد حدثنى عقبة عنها أحاديث لولا اننى شاهدتها لما صدقته فيها وأنه حلف بالإيمان ان هذه الأميرة حملت على عسكر وحدها وطعنت فيه وخرجت سالمة وهذا مايكون فى الفروسية أعظم منه (قال الراوى) وان الملك دخل إلى خيمته التى فيها الأمراء وقال كيف حالكم اليوم كانت نوبتكم وغدا نوبة ذات الهمة أميرتكم

لآخذنها أشد أخذه ويعيننى على أخذها المسيح وأحضرها اليكم وأشدها معكم أسيرة وهى ذليلة حقيرة بعد ما أخمد أنفاسها وأقهرها فى حومة الميدان وأجعلها عبرة لمن اعتبر وشهرة بين البدو والحضر وأوثقها كتاف ثم انه أقبل على الأمير المجاهد سيف الاسلام وذخيرة الأنام والمحامى عن دين النبى الأواب الأمير عبد الوهاب وقال له وحق المسيح ما أعجبنى فيك إلا ما أنت فيه من الشجاعة والبراعة واليقظة والنباهة ولقد فتحت أبواب الحرب كلها فبطلتها وعملت لك من الحيل مالا أقدر عليه ووافقتك فى ميدان الحرب بما لم وافقت به الأبطال وسلكت معك طريق تبهر الأقران وقد وجدتك للحرب خابر وللأبطال قاهر وشمائلك أعجبتنى ومواقفك أدهشتنى وخصائلك ترافقنى وشكلك لا يكاد أن يبلى ولا يهان ولا يزعج ولا يدان ولو أطعتنى على ما أقول ونطقت معى بالتالوت كما نقول فان وافقت على ذلك كان لك مالنا وعليك ماعلينا وأدفع لك من الأموال الجزيلة والقلاع والبلاد مالم يكن لك فى حساب وأقدمك على عساكر النصرانية وأجعلك عندى فى أعلا محل وأعلا منزلة وسلمت الملك اليك سيما وأنت أعقل أهل زمانك وان انضافت اليك والدتك الأميرة الكبيرة المكرمة الجليلة فاننى أشهد المسيح علىّ ان تكون عندى أعز من الكبد والروح فى الجسد وأكتب لها ديوانا ما لملوك الإسلام مثله ولا أكون إلا بحكمكم وأعطيك خراج قلعة الذهب ثلاث سنين وأخلع عليك فى كل شهر ثلاث خلع وأجعل جميع ملوك الرومانية يسجدون لك وأعطيك تبركا من رجيع البترك الكبير بترك قمامه شيئا يكون عندك إذا لاقيت العساكر وشفت الجحافل تنصر على أعداءك وتبلغ مناك فلما سمع الأمير ذلك قال أيها الملك أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين وأختار الدنيا واترك الدين ولقد أنبأنا سيد المرسلين محمد بن عبد الله خير الاولين والآخرين فى كتابنا ماهو مذكور فى إنجيلكم لو سمعتموه لكنتم مؤمنين ولو ذقت أيها الملك حلاوة الايمان فى قلبك لرجعت إلى ربك ثم بكى الامير عبد الوهاب حتى بل لحيته وكاد أن يفارق الدنيا وقال كلمة لا يخجل قائلها وهى لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون ماشاء الله كان ومالم يشاء لم يكن أشهد ان الله على كل شىء قدير وان الله قد أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا وان الله يبعث من فى القبور ثم قال أيها الملك المغرور لا تعتقد انك فى الميدان قهرتنى ولا بسيفك أخذتنى ولا رجيع بترك قمامة نفعك ولا ضرنى وحق من برأ النسمة وأجزل النعمة ونور الظلمة وكشف عن قلوب المؤمنين غياهب الغمة لقد كان هذا مكتوب علينا فى اللوح المحفوظ من القدم فان كنت اليوم

قد قهرتنا فى غد ان شاء الله تقهرك الاميرة ذات الهمة فارسة الاسلام وقاهرة عبدة الصلبان والنازلة بالاقران الذل والهوان طاعمة الطعام والقائمة فى غياهب الظلام وأما قولك تنصر وارجع الى دينك يامغرور رأيت من يختار الدنيا على الآخرة ولئن فعلت ذلك فتلك إذا كرة خاسرة ثم قال أيها الملك لو كنت فى ميدان الحرب وواجهتنى فى موقف الطعن والضرب بهذا الكلام الذى ماسقط به أحد من الانام لكنت علوتك بالحسام ثم قال واعلم أيها الملك ان الحرب يوم لك ويوم عليك فان كان عليك فلا تضجر وان كان لك فلا تغتر فلو انك أيها الملك توحد الله وتقدسه وتمجده وتقر له بالربوبية ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وتقر أن الله واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا كان لك مالنا وعليك ماعلينا وكنت تمضى معنا إلى بلاد الاسلام والمسلمين وتدخل فى زمرة الموحدين وتطأ بساط الخلافة ويخلع عليك أمير المؤمنين ويعطيك من البلاد والرجال ما يزيد عن أمنيتك (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الملك ذلك من الامير عبد الوهاب شخر ونخر وكفر وطغى وتجبر وزاد كفره وشره وقال ياويحك لئن خرجت أمك لأخذتها ذليلة حقيرة وأقودها اليكم أسيرة ولاذيقنها طعم العذاب والنكال ولأجعلنها شنعة لأهل العصر والزمان ولا تظن انى كمن مارست من الابطال وله من وافقته فى الميدان وانها عندى كالحبة فى فم العصفور أو الكلب فى الصحراء يدور وفى غد أصح فعالى وأوقع بها نكالى ووبالى وأجرعها الحسرات وأهمل منها العبرات ولا أرحم منكم أحدا لا والد ولا ولد ثم أنه ضرب الأمير بيده وهو يسبح الله تعالى وكذلك الأمراء يسبحون الله تعالى ويقدسوه .ويوحدوه ويمجدوه ويهللون بلسان طلق لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عيسى بن مريم عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلما سمع عدو الله ذلك من الأمراء أزداد كفرا وحنقا (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأن غضب المسيح الملعون زادهم قيودا وضاعف عليهم الحرس وأوصى عليهم مائتين بطريق وقال لهم إياكم والمحتال أبو محمد البطال وحق المسيح لئن وقع فى يدى لانكلن به أشد النكال ولآخذن منه بثارى لأنه فرق بينى وبين مهجة كبدى وروحى فى جسدى الست دوصه التى أخذها هو ولآخذن ذات الهمة جارية لها ولا خرجنها من خيمتها والقسوس عن يمينها وعن شمالها والإنجيل بين يديها والمسيح والحواريين يوصى ويوشع يوصلون بركات القربان الينا ولا بقى عن ذلك تأخير ولاعنه مصير بل غدا يكون ذلك ببركة المسيح هذا والقسوس حوله والحاجب شمعون واقف بين يديه يخر له ساجد ويبجله قائم قاعد ثم أن غضب المسيح لعنه الله

انصرف من خيمة الأسارى وعاد إلى خيمته وهو فرحان مسرور بما ملكه من الأسارى (قال الراوى) هذا ما جرى من غضب المسيح (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فارسة الزمان ومقدمة الفرسان فانهـــا رجعت واستوحشت إلى ولدها ثم نادت وأشوقاه يا آل عامر يا أرباب المفاخر ياعصبة الاسلام والتوحيد والإيمان فأجابوها بالتلبية فقالت لهم والله لقد قتلنى الشوق إلى ولدى وقرة عينى الفارس الهمام والسيد المفضال ولقد عزمت على أننى أكبس هؤلاء اللئام وأنتقم وأخلص ولدى من أسرهم فقالوا لها افعلى ما تشتهى فان شئتى ركبنا إليهم وكبسنا عليهم ورمينا أنفسنا عليهم ولا نبرح حتى نخلص أمراءنا ويعطى الله النصر لمن يشاء ثم أنهم طلبوا أبو محمد فلم يجدوه نعلموا أنهم إن شاء الله منصورين وعشموا بخلاص الأمراء وعلموا أن الأمير أبو محمد البطال مضى يحتال بحيله فأخرت الأميرة الكبسه حتى تنظر ما يكون من أمر أبو محمد البطال فانه خرج إلى عسكر غضب المسيح ولم يزل يتخط الفساطين والخيام إلى أن حصل عند خيمة الأسارى وطلب أن يحتال بحيلة يدخل بهـــا على الأمير عبد الوهاب فوجد عليهم حرسا شديداً وهم مائتان بطريق غلاظ شداد وهم يتكلمون بكلام رومى مغلق ونظر إلى اللعين غضب المسيح وهو يضرب الأمراء فتقطع قلبه واشتغل لبه وضاقت عليه الأرض بما رحبت فخرج من الخيام وقد أسبل على الأقطار الظلام وأما الأميرة فانها لما طال عليها الليل شكت أمرها إلى ربها ووقفت تناجى مولاها ونادت بلسان طلق وصدر حرق يا عالم الخفيات ويا من هو مطلع على النيات يامن يقدر ولا يقدر عليه يا كاشف الغم يا فارج الكرب والهم يامجيب دعوة الداعى إذا دعاه إلهى أنت أعلم مالا أعلم وأنت الأعز الأكرم واكشف ما بولدى وبالمسلمين من الضر وفرج عنهم ماهم فيه من ضيق الأغلال وجور هذا الظالم برحمتك يا أرحم الراحمين ثم أشارت تقول

من معينى من مسعدى من مجيرى ٭ زاد وجدى وحسرتى للأمير
أين سيف المجاهدين والفارس الندب ٭ وكهف الإحسان للمستجير
أين عبد الوهاب مع ظالم القرم ٭ وأين صاحبى ونصيرى
أين سيف الحنيفية الولد الشهم ٭ وباب الرضى لكل أسير
أين يزد بن الأزهر الصاحب الصادق ٭ فى كل موقف ومشير
أين أصحابى الكرام تراهم ٭ فى القيود الحديد بعد السرور
أين تلك الوجوه قد أوحشونى ٭ لم تغيب عن خواطرى وضميرى

أين أبنى البطال يكشف ما بى * من الغم والجوى وحر السعير
عز صبرى بعد الأمير فمن لى * برجوع الأمير ابن الأمير
عز صبرى بعد الجماعة والصبح * بعيد على والتأخير
صح انى سأكبس القوم فى الليل * البهيم المشعشع الديجور
صح عندى سأصدم القوم بالعزم * وبالصدق فى العد والكفور
وافقونى على المصاف بضرب * الهام وبالسيف المهند البتور
ساعدونى على ملاقاة خصمى * بحياتى أطعنوهم فى الصدور
فلعل الاله يشفى فؤادى * وأذيق العدا عذاب السعير
وأنال عن أعدائنا كل قصدى * وبضرب موهن للظهور
وأذيق الكفار منى عذابا * شافيا للفؤاد ثم الصدور
فلعل الاله يكشف ضرى * بشفا خاطرى ورد نصيرى

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما فرغت الأميرة من شعرها بكت بكاء عظيما وبكا كل من كان حاضرا فدخل عليها الامير أبو محمد البطال وقال لها أصبرى الى أن يصبح الصباح ويسهل الله بما فيه الخير والصلاح وعند الصباح تحمل القوم والله ياأميره والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لقد كنت الآن فى عسكر غضب المسيح فوجدته أكثر احترازا على نفسه من كل أحد ورحت عسكر الملكة زنانير فوجدتها كثير الاحتراز وان عضب المسيح وجدته وقد وكل بالأمراء مائتين بطريق يتكلمون بكلام لايفهم وكل من استغربوه مكسوه وقيدوه وقد وقع فى أنفسنم أننا ما نخلص أصحابنا الا بالسرقة والحيلة والمكر والخديعة ولكن ينظر الله الى عسكر الإسلام وملة دين محمد عليه الصلاة والسلام ووالله لقد تسببت فى خلاصهم فى هذه الليلة بكل سبب فلم أجد الى ذلك من سبيل وانى أحرص على خلاصهم من غيرى وان عندى من أمرهم ماعند المرأة الثكلا فلما سمعت الأميرة دعت له واثنت عليه وقالت ثبتك الله يا أمير وابقى حسناتك وطول عمرك وجعلنالك الفداء وكفاك شر شماتة الاعداء ولم يزالوا فى شكوى وحمل هم المأسورين والدعاء لهم الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فادعت الاميرة بحصان أحمر أغر محجل كان قوائمه قد أقلبت فى قالب حديد فقدم لها وقد أفرغت عليها درعها ولبست لامة حربها واستوت على ظهر حصانها وخرجت الى ميدان حربها ونادت يا آل كلاب يا حزب الملك الوهاب هلموا الى عدوكم وصابروا الى ربكم وافعلوا الخير لعلكم ترحمون (قال الراوى) ياسادة يا كرام فحملت السودان ووجوه بنى كلاب وفرسان

المسلمين وأبطال الموحدين وقدنادوا هلموا الى عدوكم واكشفوا ما بأصحابكم من الضرفان الله آخذ بأيديكم وناصركم على عدوكم ومطلع عليكم انه بما تعملون خبير ثم التقت الفريقين وزحفت أبطال الطائفتين وزاد الغبار وعلا القتار فما كنت ترى الا زند طائر وفرس غائر ويد مقطوع ودم فائر والناس بين صابر وشاكر ثم حملت الأميرة على القوم ففرقت شملهم ولم تزل تهجم فى عسكر غضب المسيح الى أن وصلت الى صاحب العلم فقتلته فقام الصياح الى الملك بأن ذات الهمة قد صارت مع القوم فى الخيام وان عسكر المسلمين قد اختلط بعسكرك أيها الملك فعند ذلك أمر باحضار جواده فقدم له جواد أشقر عالى مضمر مدور الصدر واسع المنخر فصار على ظهره وقد طغى وكفر وبرجيع البترك تبخر ثم أخذ عامود حديد وقد خرج وخرجت الشمامسة بين يديه وقد ترجل فى ركابه من قومه خمسة آلاف فارس وخرج وهو يزمجر وصار بين العسكرين فبلغ الخبر الى الأميرة فبادرت الى موقف الجلاد ونظرت ما يكون من الاضداد وعلمت أن عدو الله يريد المبارذة وموقف المناجزة وقد أخذت أهبتها للقاه واستعانت بالله ثم قالت ما أبردها على كبدى فلعل الله أن ينصرنى عليه وآخذ منه تار ولدى وأشفى كبدى وآخذ منه بحق وأخلص المسلمين من بد هذا الكافر المهين فهى كذلك واذا قد ضربت بوقات غضب المسيح وكان الملعون له بوقات عظيمة اذا ضربت ارتجت الأرض بما رحبت وتسمعها العساكر من مسيرة ثلاثة فراسخ وتقدم الملعون وقدامه الترجمان ونادى يامعاشر المسلمين ويا أبطال الامير الذى أصبح فى يدينا أسير هل اعتبرتم بأميركم وسلمتم الى هذه الملك أمركم لأنه فارس النصرانية والمحامى عن ماء المعموديه هذا غضب المسيح الفارس الجحجاح هذا قابض الأرواح هذا مختلس الابطال عند الكفاح هذا الذى أقرت بشجاعته الابطال هذا المعروف يوم النزال هذا الذى ملك قلعة الذهب أين أميركم أبو محمد البطال يرى عماد دين المسيح هذا صاحب قلعة الدر والدولاب الفضة وحل الفيروزج هذا غضب المسيح هذا الذى أسر أميركم بالامس أين الأميرة ذات الهمة الكبيره المحترمة التى تفتخر بشجاعتها فى الميدان أين هى حتى تخلص ولدها وأصحابها فلتخرج وتقدم الى ملك النصرانية فما تم كلامه حتى برزت الأميرة وصارت قدامه فلما رآها الملك تقدم اليها وبيده عمود حديد وقد علم انها قصدت المبارزة اليه فقصدها الآخر بقلب قوى وقد التقيا ببعضهن وتباعدا واقتربا وقد صوبت الأميرة السنان الى صدره وطعنته فتلقا طعنتها بدرقة كانت معه وهى من جلد دواب البحر فغاص الرمح فيها ولم يصل اليه فاتكأ على الرمح قصفه ثم حمل عليها

وعاجلها فى ميدان الحرب والمسلمون قد هموا بالحملة ليخلصوا الأميرة من يديه فما كان من الاميرة الا أنها أسرعت وانثنت على الملعون وجاولته فى المعمعة هذا والعسكرين منتظرين ما يجرى بينهما وقد تيقنت المسلمين انه يهلكها وقالوا انه استظهر عليها بقصب رمحها وكان الملعون قد جال بالعامود الحديد عليها وصوبه اليها فخرج من يدعوا لله وهو كالبرق الخاطف فتحققت الأميره وقالت فى نفسها انه إن وصل الى أهلكنى ونظرت الروم وقد أدركها فرفعت نفسها الى الأرض وقد تأخرت عن جوادها فوقع العامود على الحصان فقصف أضلاعه وعجل بانقلاعه فكبرت المسلمين لما تحققوا سلامة الاميرة ثم انها وثبت اليه كالفهد الجائع أو الاسد الهائج وداخلته إلى الميدان وقد علمت انه ان خرج بجواده عنها أهلكها فعاجلته وتعلقت بلحيته مع أطرافه وجذبته إلى الأرض فوقع عن جواده كأنه النخلة العظيمة إذا قصفتها عواصف الرياح ولما ان صار على الأرض جلست الأميرة على صدره وكانت الخودة قد انكشفت عن جبهته فضربته بيدها على جبهته أخسفتها وقد صرخ صرخة سمعوها العسكرين ومازلت الأميرة من على صدره حتى استوفت عمره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا ما كان من أمر الأميرة (وأما ما كان) من السودان لم يعلموا ان الاميرة سالمة فهلعوا ثم حملوا على المشركين فهزموهم باذن الله بعد ان طحنوهم ومالوا عليهم بالسيف كما يدور الرحى فقتلوا منهم خلق كثير وحملت الاميرة ذات الهمة وأمراء المسلمين والامير أبو محمد قدامهم حتى وصل الى خيمة الاسارى الذى فيها عبد الوهاب وأصحابه وأولاده فدخلت الاميرة الى ولدها فوجدته قائما يصلى وهو مقيد مكتف اليدين هو وأولاده (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا جرى ولما رجعت الاميرة بعد خلاص ولدها والامراء معها وتوجه الامير عبد الوهاب وألف فارس يمسكون الطريق على الكفار ورأوها السودان وهى تنادى الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وأهلك من كفر وجحد وطغى وتجبر الحمد لله الذى من علينا بقتل هذا الظالم الغاشم وظفرنا به يابنى عمى دونكم وعسكر هذا الملعون فأرواحهم طعاما لسيوفكم وأموالهم لكم غنيمة فدونكم وإياهم فحملت الرجال وتزاحمت الابطال ووقع الحرب وجرى بينهم من الطعن والضرب مالا يقدر على وصفه الواصفون ورجعوا الى الخيام واستقر بهم المقام ثم مضت الاميرة والامير أبو محمد إلى خزانة الاموال التى لغضب المسيح فوجدت فيها من الاموال الجزيلة والتحف العظيمة التى لا لها حد يوصف ولا يعرف فأحاطت عليها ووكلت بها من يحفظها ثم الاميرة عادت الى الخيام فوجدت نار الحرب مسعرة

والمجاهدين من المؤمنين مستظهرة ثم نظرت إلى طائفة من المسلمين وقد أحدقت بهم طائفة من الكافرين ومعهم شيطان مريد وجبار عنيد وبطل صنديد وشجاع لا كالشجعان فتقدمت اليه فوجدته ولد غضب المسيح لعنه الله وقد فتك فى الاقران وهم على الابطال وقاتل قتال شديد وخاض فى الاهوال فألقت الاميرة نفسها عليه وتقدمت الى الميدان ووثبت اليه وثبة الاسد الجيعان وخطفته من على جواده وجلدت به الارض هشمت أضلاعه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فعندها ولى الجيش الادبار وتمكنت فيهم البواتر الصفاح وحكموا عليهم وجاروا بالرماح وألجؤوهم إلى المضيق فما نجى منهم الا من كان جواده سابق وقد انخلع من الجزع فؤاده وبضعوهم المسلمين وقد أخذوهم قبضا باليد وأوثقوهم فى الحبال ولم يزالوا كذلك إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وأخذت الاميرة رأس غضب المسيح على السنان وطافت به على كل من كان بقى من عسكره فمن صفا إلى الاسلام قبلته وشكرته ومن ركن إلى دين الكفار قتلته ثم انها استوعبت جميع عسكره واستولت على جميع ما تركوا من أموالهم وخيامهم ورجعت إلى خيامها وقد فتح الله لها وعلى يديها وأقر بالنصر عينيها (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان الخبر قد وصل إلى الملكة زنانير بأن الاميرة قتلت الملك غضب المسيح ففرحت بذلك فرحا عظيما ولكن دخلت هيبة الاميرة فى قلبها وقالت ما يكون مثل ذات الهمة فى شجاعتها وبراعتها الا أنا ولقد لقيت الابطال ومارست الشجعان فلم أجد أشد جنانا منها (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم انها قالت فى نفسها ان عسكر المسلمين قويت شوكتهم ولم يكن بقى لى من عسكرى الاشرذمة يسيرة فلا آمن على ملكى ونفسى ان تصنع فى وفى عسكرى كما فعلت بعسكر غضب المسيح فهذا ما كان من حديث الملكة زنانير (وأما ما كان) من حديث حاجب الملك عزبيل فانه لما قتل مريحنا ولد الملك جمع أصحابه وتقدم عليهم وأحسن اليهم وخلع عليهم وأكثر لهم من النعم فاجتمعوا عليه وقالوا له امض بنا إلى بلادنا حتى ندبر دولتنا ونحسن إلى الضعيف ونواسى الفقير وننعم على الغنى ونزوجك بابنة الملك وان نحن قعدنا ههنا ما نأمن عساكر المسلمين أن ينزلوا على حصن الملكة زنانير وما ندرى ما يكون منا ومنهم ولقد ظهرت علينا قوتهم وثباتهم وما يكون مثل عسكر غضب المسيح ولا أقوى ملكا منهم وقد قتلوه وملكوا أمواله ورجاله وان الحاجب عزم على هذا وأراد أن يرحل ليلا ولا يدرى به أحدا وقالوا له أصحابه هذا هو الرأى السديد لاننا إذا كنا فى بلادنا استرحنا من صداعهم وأرحنا رجالنا وتوفرت أموالنا فعلم الحاجب صحة قولهم فجمع أصحابه عن آخرهم وأمرهم بالرحيل آخر الليل (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما جاء آخر الليل ارتحل

بقومه وأصبحت زنانير تطلبهم فما وجدتهم فصعب عليها ذلك وبقيت متفكرة وفى أمرهم حائرة وما تدرى ماذا تصنع فى تدبير ملكها ولم يكن لها إلا أنها أحضرت الحكيم الذى لها وأمرت أن يشدوا لها جوادها وخرجت هى وعسكرها يطلبوا عسكر المسلمين فلما قربت منهم جاءها الجاسوس وأخبرها بما جرى على عسكر غضب المسيح وكيف قتل ولده وواحد وثلاثين ألف يوم واحد وأسر خمسة عشرة آلاف فارس وأن الأميرة حصل لها من علو الشأن والذكر ما تفتخر به على ملوك الاكاسرة وقويت على الجبابرة (قال الراوى) يا سادة يا كرام لهذه السيرة العجيبة المطربة الغريبة وأن الأميرة لما جمعت الأموال والغنائم ورجعت المسلمين من كل فج عميق هنوا بعضهم بعض بالسلامة فأحضرت الأسارى ثم جمعت المسلمين ونادت معاشر المسلمين رحمكم الله كل من ملك من أموال المشركين الكفار شيئاً وغنمه فهو له حلال ولا يسأل عنه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة فشكروها على ذلك وهنوها بسلامتها وسلامة ولدها واستقرت تلك الليلة فى مكانها وسكن روعها وأمنت من كيد عدوها (وأما زنانير) فانها لما خرجت إلى البرية تريد الوصول إلى عسكر الأميرة وسمعت ذلك الخبر ونظرت إلى من معها من العسكر فوجدته خمسة وعشرين ألف وأما عسكر الملك عزبيل فانها أربحلت كما ذكرنا فقالت لمن معها من البطارقة الصواب عندى أن أرجع إلى حصنى وأحفظ حرمتى فأشاروا عليها بالرجوع فرجعت وهى لا تصدق بالنجاة (وأما) الأميرة ذات الهمة فانها لما أستقرت فى خيمتها واطمأنت وسكن روعها بخلاص ولدها وجمع الله بينها وبين الأمراء شكرت الله على ذلك وأثنت عليه فقام رجل من أصحابها فقال

كم كربة فرجتها الأميرة حقا * وكم هموم عظيم على موته القاع ملقا
وكم رأينا نصيحا قد أعدمته النطما * ووصفها الآن غربا وذكرها شرقا

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما فرغ الإعرابى من شعره ضحك كل من كان حاضر عليه وخلعوا عليه ثم فرقت الغنائم على المجاهدين هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من زنانير فانها رجعت من طريقها وهى حزينة القلب لأنها رجعت وهى خائفة ضيقة الصدر فأحضرت الحكيم اقليدس ولؤلؤ وجماعة من البطارقة وأهل المشورة وقالت لهم أعلموا أن غضب المسيح كان مشتغلا بعسكر المسلمين واشتغالهم عن قتالنا وفرغوا ولا بد لهم من المسير الينا والحملة علينا فما الذى تشيروا به علينا أن نفعله فقالوا لها البطارقة أيد المسيح الملكة ذو الرأى العالى أنكى لم يبق حولك من الملوك سوى الملك كرجار صاحب قلعة المسمار وقلعة الوشار ابعثى اليه كتاب وهدايا بانه يأتى فى عسكر

جرار نحو عن المائة ألف غير الرجال فان أتاكى فهو يكفيكى أمر المسلمين (قال الراوى) ياسادة يا كرام قالت زنانير هذا هو الرأى الصائب ثم أمرت الوكلاء وأصحاب بيت المال أن يحضروا لها من الأمتعة الفاخرة والذهب والخيل والبغال ومماليك الروم ما يزيد عن الوصف وكان عندها حاجب اسمه شعشعونا وكان ربى فى دولة أبيها وكان جبار عنيد وأحضرت خلعة من الجوهر والحرير الأحمر مكللة بالدر والجوهر وتاج من الزمرد الأخضر مكلل بالذهب واللآلىء واليواقيت واختارت جواد كان لأبوها صلبوتا كان يفتخر به على الفرسان وكان يدخره لمقاومة الأقران وعليه سرج قيمته ألف ومائة دينار وأن الحاجب خرج لوقته وساعته ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى قلعة الملك كوجار وكان خارج القلعة حراس يمنعون من يدخل اليها حتى يشاوروا الملك عليه فلما وصل حاجب زنانير إلى عند الحراس واستخبروه عن حاله فقال انى رسول زنانير بنت الملك صلبوتا صاحب قلعة الدولاب وكان بين صلبوتا وبين كوجار وكان صلة وقرابة من النساء وكان دائما يتحفه ويهاديه وينجده إذا وقع فى شدة (قال الراوى) يا سادة يا كرام فمضى بعض الغلمان ودخل على الملك وأخبروه بالقصة فأمر له بالدخول إلى القلعة فلما دخل قدم له الهدايا والتحف والخلع فتعجب الملك من كثرة الهدايا وطرب طربا عظيما مما جاء له وقدم عليه وقدم عليه وقدم له فرس ما فى بلاد الروم مثله فصلب على وجهه وفتح كتاب الملكة زنانير وقرأه فلما علم ما فيه صلب على وجهه وأمر برسول الملكة زنانير أن ينزل عنده فقال له الملك كوجار حدثنى بما جرى للملكة زنانير فقال له أيها الملك المسيح يمدك بالتأييد اعلم أن ما فى الأمر مهلة لأن المسلمين قد حصلوا معنا فى القلاع وقد وطئت سنابك خيلهم أما كننا وما خوفى إلا والملكة منتظرة إلى قدومى بفرج من المسيح (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن الملك كوجار كتب اليها جواب كتابها وأنفذ لها من الهدايا والتحف ما يزيد عن الوصف ومن الخيل والعدد شىء كثير ورجع رسولها فما كانت إلا مدة ثلاثة أيام إلا والرسول عندها فناولها الكتاب والهدايا فعند ذلك جمعت خواصها وقرأت عليهم ذلك الكتاب وكان يذكر فيه انه واصل إليها عقيب كتابها فسروا بذلك الكلام سرورا عظيما هذا وقد اجتهدت له الملكة زنانير فى الضيافات والاقامات (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها لما فرقت تلك الجموع واستقر قرارها سألت عن الملكة زنانير فقيل لها أنها قد عزمت على أنها تكسر عسكر المسلمين وخرجت مهمة لذلك ورأت عسكر الاسلام منصور وعسكرها قد قل ورحل عنها حاجب الملك عزبيل فرجعت إلى

قلعتها ولما سمعت ذلك قالت نجت ذات الهمة من الدنيا ورب الكعبة (قال الراوى) يا سادة يا كرام فبينما الاميرة ذات الهمة متأسفة على سلامتها يعنى على الملكة زنانير فلم تشعر إلا والأمير أبو محمد البطال قد دخل عليها وهو معبث الوجه ضيق الصدر كثير الاسف لايستطيع الكلام أن يخرج من فيه فقالت له الاميرة ذات الهمة ماوراءك يابركة المسلمين ويا فارس الموحدين أخبرنى فقد أشغلت قلبى فقال لها الامير أبو محمد البطال يا سيدة الفرسان كنت قد أرسلت من عندى جاسوس إلى قلعة الملكة زنانير وقد عاد إلى فى هذه الساعة وأخبرنى بأن زنانير قد استنجدت علينا بملك من الملوك يقال له الملك كوجار وهو ملك قلعة المسمار وهذه القلعة ليس لها طريق فى البحر ولا لها الا طريق واحد وهو من مكان مضيق فى الجبل لا يصل أحد اليه لا بحيلة ولا بعسكر وأن بين هذه القلعة وبين البحر من ناحية بلاد الصين عشر فراسخ وأن لها حراسا من ذلك المكان الضيق ولا يصير اليها أحد إلا أن يعبرون الحراس ويستأذنوا عليهم الملك كوجار وأن هذا الملعون عدد عسكره مائة ألف بطريق خارجا عن الرجالة وهو شيطان مريد وجبار عنيد لا يطاق فى القتال ولا يساويه أحد فى حيل الرجال وأن قلعته عل ذروة الجبل لا يقدر أحد عليها يتسلق ولا تصل اليها حجارة المنجنيق وليس لها الا طريق واحد من أرض بلاد الصين ولهم لغة يعرفونها ولا يعرفها أحد سواهم ثم أن الجبل والموضع يا أميرة له حديث عجيب وصيغه تذكر فى موضعها ان شاء الله تعالى (قال الراوى) هذا وأن الاميرة ذات الهمة أصغت لهذا الكلام من أبو محمد البطال ثم قال لها الامير أبو محمد البطال اعلى أيتها الاميرة والسيدة العظيمة أيدك الله بنصره أن من الرى الصائب والكلام الصحيح الثاقب أن رحيلنا من هذه الأرض صواب لاننا نرجع بالعسكر ونلتجىء الى قلعة الملك الصابر ونريح أصحابنا ودوابنا وندبر فى أنفسنا تدبيرا ونتنسم أخبار هذا الجبار فلعل الله تعالى أن يهلكه على يد غيرنا كما أهلك من تقدم ويكفينا الله شره وإن طغى وتجبر دبرت من الحيل ما أحتال بها عليه وأوقعه فى شرك الهلكة وقيد التلف والله يظفرنا به أنه على كل شىء قدير وان عجزت عنه وأتى الينا فالأميرة العابدة الزاهدة قد أولاها الله من قوة الايمان ماتقهر به عبدة الصلبان والأوثان ومن العزم الصادق فى الاسلام ما تنصر به دين سيدنا محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ومن النهضة والكفاية مالا تحتاج معه إلى مساعدة عناية فانكى قتلتى ذلك الفاجر غضب المسيح وكذلك ولده وحاجبه طور مريم فما بقينا نخاف عليكى ولا أخشى أيضا عليكى إلا من ملك الموت لاغير فان عزرائيل

لايقدر أحد على ممارسته ولا يمانعه أحدا من خلق الله تعالى (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت الأميرة ذات الهمة ذلك الكلام حمدت الله تعالى وأثنت عليه وذكرت الله وصلت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وشكرت الأمير أبي محمد البطال وأثنت عليه وشكرته على شهامته وقالت له أنت ركن الاسلام وعماده فلا أعدمنا الله رأيك وسداده ثم قالت ما كنت فاعلة أمرا حتى أشاور أصحابي وبني عمى (قال الراوى) ثم أن الأميرة ذات الهمة نادت بأعلى صوتها يا آل كلاب يا آل كلاب يا من أنتم معودون لنصرة دين الله الملك العلام أنتم عونى على الشدائد وذخيرتى فى الاوابد وسيفى فى جلاد الاعداء وركنى فى كل ما ألاقيه عند وقوف الاعداء ولقد ذكر لى أبو محمد البطال ما قد ذكره من الرأى وما سمعه من خبر هذا الملعون المهين الجبار العنيد وقد أشار علينا بالرحيل الى قلعة الملك الصابر وإن رأيتم ذلك صوابا لا بأس به وانى لموافقة لكم على ما تريدون ومتبعتكم فيما به على تشيرون فقالوا لها ثبت الله نعمتك وكمد حسدتك وبلغك فى الآخرة منيتك ونحن طوعا لامرك وما من أحد الا وهو عونا على الاعداء ولو كانوا الروم فى عدد الرمل والحصى أو ملوك الارض بما رحبت التقيناهم بسيوف حداد وسواعد شداد ونتوكل على الله عز وجل رب العباد فانه الكريم الملك الجواد (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت الاميرة ذات الهمة منهم ذلك الكلام شكرتهم وأثنت عليهم وقالت لهم جزاكم الله خيرا فانه خلقكم لعبادته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس ليعبدونى ومن الله عليكم بنصرته ورحمته واختاركم على جميع خلقه بفضله (قال الراوى) وما قام الأمير أبو محمد البطال من مقامه الا وغلامه جوهر عليه قد أقبل من ناحية بلاد الملك كوجار واخبره بحالته وقص عليه قصته وأخبره بانه أكد الامر فى مجيئه الى المسلمين وانما كان سبب ذلك الملعون عقبة لعنه الله لأنه كان ذلك الملعون تحيل على الفرسان الذين ساروا معه الى قلعة الملك عبد الله شعشعونا وصار له من يأتيه بالاخبار ليلا ونهار ولما سمع الملعون ماجرى على الملعون غضب المسيح حزن عليه وكذلك الملعون ماريتون وسمع بان الملكة زنانير كاتبت الملك كوجار تطلب منه النجدة فكتب اليه كتاب يقول فيه اعلم أيها الملك الكبير والسيد الجليل انى هدة عيسى وقد أرسلنى إليك أعلمك على ما جرى على دين النصرانية من قوم يقال لهم المسلمون وقد أتوا إلى جزيرة البحيرة وقد ملكوا منها بلاع كثيرة وقتلوا الملك الدهمار وثنوا بالملك الخرطموس وثلثوا بالملك غضب المسيح وأخذوا دير الوثن وملكوا قلعة الدولاب الصغير وأتوا

إلى عند الملك الصابر وخيلوا عليه بالخيالات حتى ترك عبادة الاوثان والصلبان ودخل فى دينهم واتبع قول نبيهم وطلبوا يأخذوا قلعة الملك صلبوتا وابنته زنانير وأخذوا أختها صلبان وأسلكوها لعبد من عبيد المسلم العيار المحتار الكثير الفساد الذى ماله شغل إلا الحيل على ملوك الروم يسوق ملوكهم وبناتهم ويأخذهم المكر والعيارة أكبر من الحملات والشطارة وان الملك غربيل أتى لنصرة الملكة زنانير صاحبة الدولاب الكبير والردف الثقيل والخد الاسيل والفعل الجميل فعملوا عليه حتى قتلوه وقتلوا ولده وأفنوا رجالهم وقتلوا أبطالهم وما نجى منهم إلا من كان جواده سابق وقد أفنوا أهل دين النصرانية وأبادوا كل من انغمس فى جرن ماء المعمودية وقد قتلوا الملك غضب المسيح وولده وأهلكوا عسكره وجنده وقد قتلوا فى يوم واحد مقدار خمسين ألف وما لهم دأب الا قتل الرجال وأخذ الأموال وخراب البلاد وهلاك العباد وهم فى يومنا هذا ينزلون على قلعة الملكة زنانير فاذا وقعت على كتابى هذا لا يأخذك اصطبار ولا يلحقك هدو ولا قرار دون أن تجمع العساكر المسيحية والابطال الرومية وتعمد الينا بجيوشك وخيلك وأبطالك ولا تتوانا عنا فنهلك وان تأخرت عنا فادعوا عليك لانى قريب العهد من المسيح وتنصر دين آبائك وأجدادك وان تأخرت عن ذلك كان وباله راجع عليك واذا ملكوا قلعة الملكة زنانير رجعوا كلهم عليك وكل محاصر فهو مأخوذ فالعجل العجل فان دين المسيح على وجل ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه الى غلام الحكيم وأوصاه أن يوصوه الى الملك كوجار ويكتم حاله وخبره وأمره (قال الراوى) هذا وقد وصل كتاب الملعون عقبة عقب كتاب الملكة زنانير ففتحه وقرأه وعلم رموزه ومعناه فأمر الوزير أن ينادى فى العساكر بالرحيل فخرج من الروم عالم عظيم لم يعلم عددهم الا الله عز وجل وما كانت الامدة ثلاثة أيام حتى تكاملوا فى مائة ألف مقاتل وراجل كأنهم النخيل الطوال حتى ملؤا الأرض ذات الطول والعرض قال (الراوى) ياسادة ياكرام ثم قال غلام البطال وأنا قد فارقتهم وهم نازلين على أرض الجزيرة الخضراء وكان بينهم وبين عسكر المسلمين يوم واحد فما أستتم خطابه وكلامه ومرامه الا والعجاج قد ثار وأزال ضوء النهار وهو كأنه الليل بالاعتكار ثم انكشف ذلك الغبار عن رجال وأبطال لا كالأبطال مختلفين الأشكال قد تعودوا بخوض الاهوال ركاب على خيول كالسلاهب وسروج كالذهب تلمع وبايديهم القنطاريات الرومية وعلى رؤوسهم البيض العادية لابسين الدروع السابريه وبأوساطهم المناطق المجلية وبأيديهم السيوف الأفرنجية لهم سطوات عنترية ولهم أجسام عارية إذا همّ أحدهم أن يقتلع الأسد اقتلعه وقد

ملؤا الأودية وملؤا البرارى الأجنبية (قال الراوى) ياسادة يا كرام وقد ضربت لهم المضارب والخيام وأركزت الأعلام ونصبت للملك كوجار خيمة من الديباج الأحمر بأبواب من الذهب الأصفر وقد رصعت بالياقوت والجوهر وقد نصب له فى وسطها سرير من العرعر مرصع بالدر والجوهر وقد جلس عليه وشرع باب الخيمة وقد ترجل بين يديه خمسة آلاف فارس من بطارقة دولته وكبراء مملكته ونزلت الروم الملاعين مقابلة عسكر المسلمين وشرعوا خيامهم وأضرموا نيرانهم وأعدوا خيولهم ولم يولوا أدبارهم (قال الراوى) ثم أن الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال والأميرة ذات الهمة لما رأوا إلى عسكر الملك كوجار وقد ملأت الفضاء قالوا سبحان الذى خلقهم وتكفل بأرزاقهم وعبدوا سواه لا إله إلا الله تعالى عما يقول الجاحد علوا كبيرا ثم أدرك القوم المسا وهجم عليهم جيش الدجا (قال الراوى) ياسادة يا كرام ونرجع إلى حديث الملعون عقبة وكيف كان سبب خلاصه وذلك أنهم لما حبسوا غلمان الأمير أبو محمد البطال فى قلعة الملك عبد الله كان عند المطمورة امرأة عجوز سحاره مكاره قطعت ألف مدينة وفرحت ألف قلب حزينة ولها أبنة أسمها مريم وقد أسلمت ظاهرا وهى منافقة سرا (قال الراوى) وأن الملعون عقبة جاس فى ذات ليلة من بعض الليالى وقرأ فصلا من الإنجيل بحسن صوته فسمعته العجوز وبنتها فقالت البنت يا أماه أما تسمعى قراءة ذلك الشيخ الكبير وما تستحى من حرمة الانجيل من السيد المسيح أن نترك مثل ذلك الرجل النفيس والسيد الرئيس محبوسا فى المطمورة ولا نخلصه (قال الراوى) ياسادة فعندها سمع الملعون عقبة منها ذلك الكلام فأخبر الحكيم بخبرها فقال له أحسنت أن يكون لنا من يقدر على خلاصنا ونحن فى هذه المطمورة إلى الآن هذا الملعون عقبة قرأ ثانى ليلة وصلا من الانجيل ما قدر على قراءته مع حسن صوته أكثر من تحسينه فى الأول فجاءت الصبية تسمع من مكان إلى جانب المطمورة وكانت أمها تسقى الماء من جانب ذلك المكان فقالت الصبية يا أماه نخلص ذلك الشيخ المسكين من هذه المطمورة فقالت لها ما نقدر من المسلمين فعند ذلك كلمها الشيخ القاضى عقبة الملعون وقال لها يا بنية أنا هدية المسيح وهذا الحكيم ماريتون وقد اعتقلونى المسلمين من أجل أننا نذب عن دين المسيح ونحامى لأمته فهل لك أن تخلصينا من هذا الموضع ونكون لكى ذخيرة ولأمكى فى غد حتى تدخلى جنته (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك لأن قلب الصبية لما سمعت كلامه وهزيانه وفشاره فدلت له حبل البير إلى عنده فى المطمورة فرفعته وتعاونوا هو والحكيم ماريتون وأخرجتهم ثانى ليلة إلى خارج

القلعة فى زى النساء (قال الراوى) يا سادة ياكرام فما زالوا سائرين حتى أبعدوا عنها وقد انقطع خبرهم منها وأمنوا على نفوسهم وكان الملك كوجار وأصحابه قد نزلوا بازاء المسلمين فوصلوا فى مسيرهم حتى أتوا إلى عسكره ودخلوا إلى حضرته وأعلموه بما جرى عليهم من المسلمين وشرحوا له قصتهم وما تم على الكفار والروم من المسلمين وقعد الملعون عقبة والحكيم ماريتون يحادثوه بحيل الأمير أبو محمد البطال وشجاعته فى الحيل والخداع وشجاعة الأمير عبـــد الوهاب وكذلك والدته الأميرة ذات الهمة وجماعة الأمراء من بنى كلاب وبنى حام السودان (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان الملك كوجار قد سمع بما تم لهم مع المعلون غضب المسيح وتمنى أن ينظرهم أو يشاهد أحوالهم فلما حصلوا فى حضرته وتحقق صدق مقالهم أكرمهم غاية الأكرام وأنزلهم عنده فى محل الأعظام وقال لهم لقد فاز من كنتم عنده وتشيرون فى حله وعقده وكانوا كل ما حدثوه عن الأمير أبو محمد البطال من الحيل والأعمال وعن الأميرة ذات الهمة وشجاعتها وبراعتها فكان يكثر تعجبه (قال الراوى) ثم باتت العساكر تنتظر الصباح وقد اشتاقوا المسلمين إلى ضرب الصفاح وما زالوا فى أرغد عيش وأهناه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما ان أصبح الله بالصباح وأضاءه بنوره ولاح ركبوا عسكر المسلمين وأبطال الموحدين أجمعين وقد اصطفت الصفوف ووقعت العين على العين وقد ثار العجاج وقد كثر الازتعاج وطلع الغبار وبعد ساعة من النهار انكشف الغبار عن خادم من الروم قد ظهر وعليه ثوب ديباج أحمر وعلى رأسه تاج من الذهب بمنطقه مرصعة بأنواع الدر والجوهر ومعه جماعة من البطارقة مقدار ألف فارس وعلى رؤوسهم أطباق من الذهب وفيها من الجوهر والياقوت مالا يحصى له عدد ولا يعرف له ثمن ومن ثياب الاطلس والخيول المسمومة ما يعجز عن وصفه الواصفون ولم يزالوا سائرين إلى أن دخلوا قدام الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة والامير أبو محمد البطال (قال الراوى) يا سادة ياكرام فلما رآهم الامير عبد الوهاب والامير أبو محمد البطال أنكر تلك الحالة وما أعجبته وأن الخادم لما وصل إلى الامير عبد الوهاب قبل الارض بين يديه ولم يزل يخدم إلى أن وصل اليه وأخذ يده فقبلها ثم أنه وقف له بين يديه على قدميه قائما وأشار بيده الى الارض لائما فقال له الامير عبد الوهاب بالرومى أجلس فجلس فقال له كيف سيدك فقال له يامولاى اعلم أن سيدى أتى على نيـــة إنه يقاتلكم ويستأصل شأفتكم ويأخذ ثار الملك غضب المسيح وغيره منكم ولم يزل هذه النية نيته الى ليلة البارحة نام وانضجع فبينما هو راقد فى منامه اذ رأى نبيكم محمد صلى الله

عليه وسلم قد دخل عليه ومسك بيده وأجلسه اليه وقال له أيها الملك لاتكفر بالله الواحد القهار ولا تخرج عن ملة نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم المختار وبعد ذلك تأتى الى ولى من أولياء الله تعالى ومجاهد فى سبيل الله تعالى وعصابة المسلمين تريد أن تهلكهم فمن أمرك بهذا الامر ومن حسن لك هذا الفعل القبيح ارجع عن هذه المقالة ولا تفعل هذه الحالة فيغضب عليك الرب العظيم ويدخلك النار وبئس القرار ولئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبده وكن من الشاكرين (قال الراوى) ثم انه انتبه من منامه قلقا مرعوبا فزعا مما رأى فى منامه ولذيذ أحلامه وقد رغب فى الاسلام والدخول فى ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وقد سير لكم هذه الهدية على سبيل التقرب اليكم فان رأيتم ان تأتون اليه فتكون لكم المنة عليه ليجدد إسلامه على يديكم وإسلام من رغب من أصحابه فيكم وان لم تختاروا المضى اليه فهو يأتى اليكم والسلام (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك الكلام قطب وجهه وافتكر فى نفسه وما أعجبه ما أتى به الخادم واشتغل خاطره وقال ما يكون هذا صحيح والله أعلم ان تكون منه حيلة ومكر وخديعة وأما الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة فانهم قالوا حبا وألف كرامة فنأتى اليه ويجدد إسلامه على يدينا وقد فرحوا بذلك وقالوا لعل الله تعالى أن يهدى هذا الملك الى دين الاسلام والايمان ويكون قد أراد الله له خيرا هذا وقد أجمعوا رأيهم على انهم يسيرون اليه فتقدموا الى العسكر وقدموا عليه الأمير راشد بن ضمرة وأبو صخر الكلابى وقدموا على السودان الأمير ميمون الجماس وركبوا فى خمسين فارس من أمراء السادات من بنى كلاب والسودان الانجاب وكان الامير أبو محمد البطال عزم على التخلف وراءهم وخشى ان تتم عليهم حيلة من الملك كوجار وأشار عليهم بالقعود فلم يفعلوا فقالت له الاميرة ذات الهمة والله ياأبو محمد يابطال لابد أن تمضى معنا ومن أين ان تعرف للروم حيلة أو عبارة حتى انهم يحتالون علينا ثم ان الامراء لبسوا أسلحتهم وقد خرجوا من عسكرهم والامير أبو محمد البطال قد ضاق صدره وتقسم فكره وقال فى نفسه ليت شعرى مايكون من أمر هذا الملك وأنا أعلم أنه مايتم منه خير فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وإنا اليه راجعون (قال الراوى) وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى عسكر الملك كوجار ودخلوا مع الخادم يقطعون المضارب والخيام وهم شاهرين فى السلاح ولا يقدر أحد ينكر عليهم ذلك ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى خيمة الملك كوجار ومعهم الخادم فوجدوه جالس فى خيمة من الديباج الاحمر وهو نائم على سريره

وقدامه خادم مليح يروح عليه فلما وصلوا إلى باب الخيمة وثب الخادم وقبل الارض بين أيديهم وقبل يد كل أمير منهم وأمرهم بالدخول فدخلوا وصعدوا إلى باب الخيمة فقعد الامير عبد الوهاب والجماعة والاميرة ذات الهمة والملك نائم لم ينتبه فلما طال جلوسهم قال لهم الخادم ان الملك قد نام وانه قد كان منتظركم وما يصدق أن يراكم ولكن بما دخل عليه ليلة البارحة وأصبح قلقا مرعوبا منه فان كنتم تمضون إلى هذه الخيمة وتريحوا نفوسكم فيها إلى أن يتنبه الملك من منامه فافعلوا ما بدا لكم فقالوا له ان هذا هو الرأى الصائب ثم تنافروا وخرجوا من خيمة الملك وما زالوا سائرين إلى أن دخلوا إلى الخيمة وهى خيمة قريبة من خيمة الملك فلما صاروا فيها ما استقر بهم القرار حتى انخسفت بهم الارض ووقعوا فى حفيرة عميقة فوقعوا جميعا ولا بقى منهم أحد فاخذوهم الروم قبضا باليد ودخل عليهم العارض وأخذوا بالحيلة وما زالت الروم يرشقوهم بالحجارة حتى استغاثوا ونادوا الامان الامان وقد أرموا العدد من أيديهم وهم يقولون إنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لاراد لامره والامير عبد الوهاب وبنى كلاب قد تحققوا الهلاك ونظر الامير عبد الوهاب إلى أصحابه وافتقدهم فوجدهم قد مات منهم عشرة من الرجال وهم فهر الكلابى والامير عوف والامير مرشد الكلابى وهولا ومصباح وربيعة ومن السودان طمطم الصغير وسعادة الكبير وشكلح ونهاق الحمير وبطن الزير فعلم الامير عبد الوهاب بموتهم فصعب عليه وكبر لديه (قال الراوى) فهذا ماجرى لهم وهم فى الحفيرة (وأما ما كان) من أمر الملك كوجار فانه أمر أصحابه بالحملة على عساكر المسلمين وأبطال الموحدين فحمل جميع العسكر الرومانى على العسكر الاسلامى وصار المنادى ينادى قدامهم ويقول اطلبوا النجاة لانفسكم فقد قتلت أمراكم وأسرنا الاميرة ذات الهمة وأخذنا من معهم قبضا باليد وأين تمضون والمسيح قدغضب عليكم وظفرنا بكم فنأخذكم قبضاً باليد كما اننا أخذنا أصحابكم قال فما لبثوا المسلمين معهم إلا ساعة واحدة وولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار (قال الراوى) هذا وقد طلبوا قلعة الملك عبد الله وماز الوا كذلك والروم خلفهم إلى أن انسدل الظلام والمسلمين فى الانهزام حتى وصلوا إلى قلعة الملك عبد الله فاعلموه بالقصة وماجرى فصعب عليه ذلك وكان قد تفقد القاضى عقبة والحكيم ماريتون فما وجدهم فقامت عليه القيامة (قال الراوى) ثم ان الملك عبد الله قال لهم ياقوم انفذوا بعضكم فى طلب أصحابكم وتفقدوا أجنادكم فقالوا من ذا الذى يكشف أخبارهم أو يعرفنا باحوالهم وقد فقد معهم الأمير أبو محمد وغلمانه قال وأما الامير عبد الوهاب ومن كان معه من الأصحاب فانه لما جرى عليهم ماجرى ووقعوا فى الحفيرة

فلم يجدوا أبو محمد البطال ولا غلمانه فاعتقدوا انهم عدموا فصعب على الأمير عبدالوهاب فقدهم وبكا بكاءاً عظيما وقال فقد والله أبو محمد فواحزناه عليه واأحرها على كبدى ولا حياة لى بعيش طيب بصفوا بعد فراقه (قال الراوى) فهذا ما كان من حديث الأمراء المسلمين الذين انهزموا فانهم صبروا الى أن تكاملوا ولم يتخلف منهم قدار الملك كوجار من يقول لا إله الا الله محمدرسول الله ثم رحلوا إلى قلعةالملك الصابر وأعلموه أيضا بماجرى على المسلمين وكيف تمت الحيلة عليهم فبكا الملك الصابر بكاءاً شديدا وعظم عليه ذلك وقال لهم خذوا عسكرى فهو خمسين ألف فارس وامضوا الى أصحابكم واكشفوا أخبارهم فلعل الله سبحانه وتعالى أن يسهل خلاصهم ان كانوا أحياء يرزقون فقالوا له أيها الملك سهل علينا قليل فلعل الله أن يسهل علينا ونسمع لهم خبر ونعمل على قدر ما نسمع ثم أقاموا عند الملك الصابر حتى تكامل العسكر وهم فى بكاء وانتحاب وأسف على الأميره ذات الهمة وولدها الأمير عبد الوهاب وبقية الاصحاب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمراء المأسورين فان الملعون كوجار لما انكسر عسكر الإسلام وولوا الأدبار ورجع عسكره اليه سالمين وقد زاد كفره وطغيانه تجبر وصلب على وجهه وأحضر القاضى عقبة لعنه الله فاكرمه وزاد فى اكرامه وخلع عليه وعلى الحكيم ماريتون وأقعدهم الى جانبه وأمر باحضار الأمراء فاحضروهم بين يديه فاول من تقدم الأمير عبد الوهاب فقال له الملعون عقبة هذا أمير المسلمين هذا الليث القسورهذا سفاك الدماء هذا مهلك دين النصرانية وان المسيح قد رضى عليك وظفرك به هذا والأمير عبد الوهاب قد نكس رأسه وهو يسمع كلامه فالتفت الى أمه الأميرة ذات الهمة وقال لها يا أماه أقول أن هذا الملعون عقبة فقالت له الأميرة يا أبنى انه عقبة لاشك فيه وما أوقعنا فى هذا البلاء الا هو والحكيم ماريتون (قال الراوى) هذا وان الملعون عقبة التفت الى الملك كوجار وقال له إن أنت أيها الملك أهلكت هؤلاء الجماعة أصلحت عسكرك ودين النصرانية وملكت بلاد الاسلام بأسراها واطاعتك ملوك الأرض من شرقها وغربها لأن هذا عماد دين الإسلام وسيد الموحدين ومهلك الكافرين وأحب ما اليه سفك دماء عباد المسيح ثم قطب الملعون على وجهه وتمثل بقول هذا المقال

ما أظن الزمان يأتى بهذا ٭ غير انى رأيته فى المنام

(قال الراوى) ثم أن الملعون فرح فرحا عظيما ولما قدم الأمير عبد الوهاب بين يديه قال له الملك كوجار أيها الأمير أنت أمير المسلمين وأبطال الموحدين وما كان عندك من الرأى والخبرة والمشورة ما تحفظ به نفسك فلو كان عندك معرفة الملوك ما كنت صغيت الى عبد

خادم مملوك لايدرى من الكلام مايقول ولكن مازالت الملوك تنخدع والعساكر تنكسر وتنتصر فهل لك أن ترجع الى ديننا وتتنصر ويعود لك مالنا وعليك ماعلينا وتفوز من سخط المسيح وأقدمك على عسكرى وأعطيك من النعم أكثر مما قد راح لك من العسكر ماتريد على بلوغ غرضك وتفتح من بلاد الإسلام وقلاعهم ما يكون لك ولذريتك الى يوم القيامة (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام أطرق الى الأرض وقال

اذا كانت الأجساد للموت أملت ❊ فأطيب شىء أن نموت من السيف

وأما القاضى عقبة فانه التفت الى الملعون كوجار وقال له أيها الملك انه لايسمع كلامك ولا يصغى الى ماتقول من مرامك فاضرب رقبته فانك لاتأمن منه هذا أشد بأسا من كل من على وجه الأرض هذا قد قال فى نفسه انه يريد يملك القسطنطونية الكبرى ويصلبنى على باب الذهب وان نبيه محمد قد أخبره بذلك وقصدى أن أكذبه فى رؤياه بان أعجل عليه حتفه وأرغم أنفه وأعلمه بأن المسيح قد سلطنى عليه وأوصلنى بسعادتك اليه (قال الراوى) وكان قصد الملعون عقبة أن يكذب الأمير عبد الوهاب فلم يلتفت اليه الامير عبد الوهاب بل انه توكل على الله وسلم نفسه لقضاء الله وهو مع ذلك يقرأ القرآن ويقدس الرحمن هو والاميرة ذات الهمة قال ولم يزال الملعون عقبة يحرض الملك كوجار ويوبخه حتى انه سلم الأمير عبد الوهاب الى بطريق من البطارقة يريد أن يمثل فيه قضاء الله تعالى وقدره فلما أخذه ذلك البطريق وهو خارج به جعلت الأميرة ذات الهمة تبكى عليه فالتفت الملعون عقبة وقال أنتم تزعمون أن نبيكم محمد يخلصكم قد يجىء فى هذه الساعة اليكم ويخلصكم من هذه الشدة هذا وان الأميرة ذات الهمة لما سمعت قوله اشتد غضبها وزعقت عليه وقالت له أسكت قبحك الله ولعنك وقبح من يقول بقولك ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية لقد زاد نجسك وبطل حسك ثم تمطت الأميرة فى كتافها وقد قطعته ووثبت الى بعض البطارقة لكمته لكمة فى صدره فوقع ميتا وأخذت منه الحسام وجعلت تضرب فى القوم يمينا وشمالا والروم تفسح لها وقد هالهم فعالها وهى تقول ويلك ياكلب الكلاب ويا أنجس من وطىء التراب هكذا يكون نصيب الملوك وغدرهم نأمن إلى قولك ونأتى إلى منزلك تعود تفعل بنا هذه الفعال ولكن كل ذلك بارادة الله تعالى (قال الراوى) وأن الأمير عبد الوهاب لما رأى البطريق الموكل به اشتغل عنه بنفسه تمطى فى كتافه قطعه ووثب إلى أبو المزاحز فحله من كتافه وقال له حل باقى أصحابك ثم أنه خطف سيف من بعض القتلاء ودعس فى البطارقة دعس الذئاب حتى

خلص أبو الهزاهز من أصحابه واستلم كل واحد سيف فالتفت الملعون عقبة إلى الملك كوجار وقال له نظرت عيناك مثل هذه الفرصة فما قدرت على تدبيرها وأن هؤلاء إذا ركبوا الخيل قاموا بعسكرك جميعه وهم أربعون فارس إلى أن تصل اليهم النجدة (قال الراوى) أن الأمراء مازالوا يقاتلوا إلى أن صاروا عند جبل الملك فأخذ كل واحد منهم جواد فركبه بلا سرج ولا لجام وهزوا سيوفهم بأيديهم وكانت عليهم عددهم وقد صبروا على حكم الله ورضوا بقضاء الله وما زالوا يقاتلون والملك يوبخ البطارقة وهم يحملون على الأمراء من كل مكان والأمراء يلتقوهم بالعضب اليمان ويطرحوا الرؤوس عن الأبدان والأميرة ذات الهمة كأنها الأسد الضارى والأمراء من حولها وما يلقاهم كتيبة فى ألف أو ألفين إلا ومحقوها وإلى الهلاك والبوار أوردوها والقاضى عقبة يصيح قدام الملك واحسرتاه والهف قلباه امرأة تقاتل وتناضل مائة ألف من الروم وأبطالها أين الشجاعة أين البراعة أين اليقظة أين حزم الملوك مائة ألف لابسين مدرعين لأربعين فارس ولا يقدرون أن يمسكوهم قبضا باليد ولو كان كل ألف فارس لفارس فلما عاينهم القاضى عقبة والحكيم ماريتون لعنهم الله قد ركبوا السوابق وهم عليهـــا كالشواهين الكاسرة علموا أن عساكر الروم تنكسر ولا لهم طاقة بهم فضاقت أرواحهم وهموا أن يقتلوا أنفسهم ونادوا يا أهل دين النصرانية ويا ملوك الرومانية أربعين فارس يقاتلوكم وأنتم فى مائة ألف فماذا تكون حجتكم إذا وقفتم غدا بين يدى السيد المسيح وما لكم منه فسيح غير العقوبة فى الضريح وصار الحكيم ماريتون من جانب يحرضهم والقاضى عقبة يوبخهم والملك كوجار من جانب على القتال يحرضهم والحق تعالى يبطلهم ويخذلهم وقد أطلع الله على المؤمنين ونصرهم وبالملائكة أيدهم (قال الراوى) والتفتت الأميرة الى ولدها الأمير عبد الوهاب وقالت له أرى من الرأى أننا نقاتل عن أنفسنا ونمانع عنها ونتأخر إلى أن نصل إلى هذا الجبل ونسند ظهورنا اليه ونلتقى عدونا إلى ان يظلم الظلام نستتر به وعسى نتصل بعسكر الاسلام فقال الأمير عبد الوهاب الرأى ما ترين أيتها الأميرة ثبتك الله بالقول الثابت وجزاكى عن نفسكى وعنا خيرا فكم من كربة فرجها الله على يديكى (قال الراوى) وما زالوا مع المشركين فى كر وفر وهزل وجد والاميرة ذات الهمة والامراء صابرين يلتقطون أرواح الكفرة ويلقوهم شمالا ويميناً حتى صار القتلى كالاعجاز الخاوية فما ترى لهم من باقية وسالت الدماء وأرملت النساء وتعجب الملك كوجار منهم وصلب على وجهه وقال للقاضى عقبة ما رأيت ولا سمعت فى المتقدمين أن امرأة حملت فى مائة ألف فارس

وكانت أسيرة ففرجت عن الاسارى معها وركبت الخيول وقتلت الابطال الفحول إلا هذه العجوز التى كانها الغول فقال عقبة والذى يخفى منها أكثر مما ظهر لك ولو بارزتها فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب لشاهدت منهـــا العجب ورأيت فارسة لا كالفرسان وشجاعة لا كالشجعان (قال الراوى) وما زالت الاميرة ذات الهمة مستندة بالجبل تحامى عن المسلمين وهم مع ذلك لايفترون عن التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وأن عقبة لعنه الله والحكيم ماريتون قالوا للملك أيها الملك لو تعلقت أنت ونحن فى الهواء أو صعدنا إلى السماء أو غطسنا فى الماء لا بد لابو محمد البطال منا لاننا دبرنا على قبضه وعرفنا على هشمه وقلنا أن المسيح يسعدنا وبعدونا ويظفرنا ونخلى الارض منه ونملك دياره ونخلى بلاد الروم فى عسكر المسلمين فلما حصلوا فى أيدينا فرطنا فيهم حتى قويت شوكتهم واستظهروا علينا وذلك بسوء رأينا وقبيح تدبيرنا ولو كنا طميناهم فى الحفيرة وأرميناهم بالحجارة ولا طلعنا بأحد منهم من الحفيرة وطمست أخبارهم وانقطعت آثارهم لكنت ظفرت بهم غاية الظفر وأقعدت بهم أهل البدو والحضر ومنعت أحدا من المسلمين أن يعود الى القلاع ولا يذكرها لابحرب ولا بخداع ولكن فرطت أيها الملك والمفرط أولى بالخسارة (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك قال ارجوا من المسيح أن يوقعهم فى يدى وآخذ منهم الحق وأضيق عليهم الطريق ثم صاح فى عسكره فوثبوا اليه كالعقبان وأمرهم بالحملة على الامراء الموحدين. (قال الراوى) وأن الروم حملوا على الامراء المجاهدين فلما رأوهم المسلمين قد حملوا قالوا كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم انا لله وإنا اليه راجعون كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (قال الراوى) وان الأميرة ذات الهمة تقدمت إلى الروم الملاعين فحملوا عليها بأجمعهم ففرقت شملهم وقتلت منهم فى ذلك اليوم هى وولدها الامير عبد الوهاب أكثر من خمسمائة فارس كأنهم الليوث العوابس فعادوا الى وجه الأرض مثل الشجر المنقض ثم التفتت الأميرة ذات الهمة الى ولدها الأمير عبد الوهاب فوجدته قد غاص فى عسكر الكفار وكان تحته جواد خفيف وكذلك كانت خيول أصحابه لأنها كانت اذا طلبت لحقت وإذا طلبت لم تلحق (قال الراوى) وعند التفات الأميرة ذات الهمة ضربها رجل من الكفار بمزراق كان فى يده فلو تمكن منها لهلكت فعندها صاحت الأميرة ذات الهمة صيحة سمعها كل من فى العسكر وكان فى اعتقاد الملك كوجار أن يؤلمها فى موقف المبارزة ويحاربها فى ميدان.

المحاربة فلما رأى شدة بأسها وقوة مراسها دخل فى قلبه منها حرارات وحذرا عظيما وخطبا جسيما (قال الراوى) هذا وقد تقدمت الأميرة ذات الهمة الى موقف الطعن والضرب ونادت بأعلا صوتها ياملعون يا ابن الأرجاس الانجاس والشيطان الخناس ما نفعتك حيلتك ولا مكرك ولا خديعتك ولقد نظر الله الينا بعينه التى لا تنام وكلأنا بحرزه الذى لايضام وسوف ترى عقيب ماصنعته مع تلك العساكر الاسلامية وان كنت تعزم على المبارزة فابرز الآن يالئيم ويا ابن الزنيم يا أخس النصرانية وأقبح من غمس فى جرن ماء المعمودية هل سمعت بملك أخذ ملك غدرا ألا وان أحسن ما ظفر العدو بعدوه فى موقف الطعن والضرب وأخذه أما قهراً واما بالسيف ابرز الآن يا كلب النصرانية لاذيقنك ماذاق غيرك من الملوك الملاعين بقدرة من يقول للشيء كن فيكون فيقبح علينا الغدر ولكن من أين للمشركين بالله أمان وقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز على لسان محمد صلى الله عليه وسلم أولئك هم المعتدون (قال الراوى) فعندها أراد الملعون كوجار ان يخرج اليها يعنى الى الأميرة ذات الهمة فمنعه الملعون عقبة لعنه الله وقال له أيها الملك ان هذه المرأة شيطانة مريدة وجبارة عنيدة لايقدر لها أحد على مراس إذا طلبت الحرب والطعن والضرب وحق المسيح انها تبقى تلتقط الأبطال والشجعان ولا تبالى أيضاً بملاقاة الاقران ولو كانوا فى عدد القطر والمطر ولقد شاهدتها وحدها وهى راجلة وقد هجمت على عسكرك وفيه مائة ألف أو يزيدون وقتلت أبطالهم ورجالهم وقد أخذت ولدها من بينهم وخلصته ولا يقدر أحد أن يقاومها فى ميدان الحرب ولا فى موقف القتال والطعن والضرب (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وان الروم قد حملوا حملة رجل واحد على الأميرة ذات الهمة وجميع الامراء حتى ألقوهم الى الجبل وجعلوا يرمونهم بالحجارة من كل جانب ومكان وهم مع ذلك صابرين وعلى قضائه من الشاكرين ثم انهم باتوا تلك الليلة وقد أحدقوا بهم الروم من كل جانب ومكان وطلعوا على الجبل يحرسونهم فما زالوا كذلك حتى هجم عليهم الليل المعتكر وأسود ديجوره الأغبر (قال الراوى) فبينما هم كذلك وهم يستغيثون بالله عز وجل ويقولون ياعظيم الرجاء يامجيب الدعاء يا عالم السر وأخفى يامن نجى يوسف من البئر يامن وقى موسى كيد فرعون وكفى ياكاشف الضر عن أيوب وعن ذا النون (قال الراوى) وعندما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح قام الامير عبد الوهاب وأمه الاميرة ذات الهمة لعبادة ربهما فرأوا فى صدر البرية غبرة وهى منعقدة وقد علت على الجبال وتورتها حوافر الخيل وبعدأن انكشفت وانقشعت

فرأوا الاعلام العباسية والعساكر المحمدية معلنين بالتسبيح والتقديس والتمجيد لله عز وجل الفعال لما يريد (قال الراوى) فعند ذلك أرسل الامير عبد الوهاب من يكشف له الخبر وإذا هم بعسكر الملك الصابر وعسكر المسلمين وفى أوائلهم الامير سعد ابن عم الاميرة ذات الهمة وقد قطع الارض فى تلك الليلة طالب الفرج من الله تعالى بعسكر الاسلام والايمان (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى ذلك أن الامير أبو محمد البطال لما وصل مع الاميرة ذات الهمة إلى عسكر الروم ودخل مع الامير عبد الوهاب إلى خيمة الملك كوجار ورآه نائم على السرير ولم يقوم لهم ولا كلمهم فلم يخف عنه انها حيلة احتال بها عليهم فخرج من الخيمة يريد الدخول إلى المكان الذى فيه الحفيرة فانسلخ من ذلك بالحيلة وصار كأنه من أولاد الروم وكانه قد تربى معهم الى ان هزبت المسلمين أيضا طالبين قلعة الملك عبد الله شعشعونا وأطلعوا الامراء من الحفيرة وأحضرهم الملك كوجار إلى بين يديه وأراد قتل الامراء وتخاصوا الامراء كما ذكرنا اليكم وركبوا ظهور الخيل ووقفوا يقاتلوا فخرج الامير أبو محمد البطال من عسكر الروم وركب جواد سابق وسار إلى أن وصل إلى قلعة الملك الصابر فوجدوه مريضا وله عدة ليالى وأيام فى المرض فعند ذلك أعلمه بما تم وجرى على الأمير عبد الوهاب وأمه الأميرة ذات الهمة وجماعة المسلمين الموحدين فصعب ذلك عليه وكبر لديه وأمر باحضار الشاويش وأمره فنادى فى عسكره بالرحيل وهو مع ذلك يبكى فحضر من أصحابه خمسين ألف فارس وقد أخبرهم الأمير أبو محمد البطال بما جرى على الأمراء وأخبرهم أنهم قد ألجأوهم إلى الجبل ثم أنه نادى فى بنى كلاب وقال يا طالبين الأجر والثواب هذا يوم النجدة والنخوة والمروءة هذا يوم طلب الثواب من الله عز وجل رب البرية فلما سمعوا ذلك المقال من الأمير أبو محمد البطال شكروه وأثنوا عليه وذكروا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصلوا عليه (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أنهم تجهزوا وخرجوا أيضا فى خمسة وخمسين ألف فارس مثل الليوث العوابس وما زالوا سائرين طول ليلتهم إلى أن أصبح الله تعالى بالاصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وكان الأمير أبو محمد البطال قد سار بهم فى طريق يعرفهـــا تمضى بهم إلى الجبل الذى فيه الأمراء محصورين وكانوا قد شاهدوا فى ذلك النهار قوة وشدة عظيمة أشرفوا منها على الهلاك وأيقنوا بالتلف وسألوا الله أن يفرج عنهم ما قاسوا والله قريب مجيب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما رأوا الرايات الاسلامية والأعلام المحمدية تحققوا بالنصر والظفر وأن الله قد قرب فرجهم وحسن خلاصهم ونصرهم على عدوهم فنادوا بالتهليل والتكبير

والصلاة على البشير النذير وحملوا كلهم حملة رجل واحد على عسكر الروم فارموهم عن أماكنهم وتعتعوهم عن مواضعهم وردوهم على أحقابهم وفرج الله عن الأمراء ما كانوا فيه من الضيق وهنوا المسلمين بعضهم بعضا بالسلامة وكذلك الأمير أبو محمد البطال لما رأى الأمراء سالمين سجد شكرا لله تعالى وحمده وأثنى عليه وجعلوا يهنوا بعضهم بعضا وقص لهم الأمير أبو محمد كيف كان خروجه من عند الرزم بعدما خلصت الأمراء من المطمورة فقالت الأميرة ذات الهمة جزاك الله عنا كل خير فانك لم تزل تفرج عنا وعن المسلمين ما يقعوا فيه من الشدة والأهوال (قال الراوى) وأن الملك كوجار رجع إلى منزله وجمع أصحابه ومن كان معه وأحضر القاضى عقبة والحكيم ما ريتون وصاروا يتحدثون بأخبار الأمراء وما رأوا من أفعالهم وعظم قتالهم فقال الملك كوجار إذا كانوا المسلمين قد وقعوا فى أيدينا وأخذناهم قبضا باليـــد وقدمناهم لضرب الرقاب وخلصوا من وسط أيدينا وقد قاتلوا قتالا شديد فكيف يكون أمرهم وقد عظمت شكوتهم وأتت النيهم نجدتهم فقال له عقبة أيها الملك بلا شك أن المسيح لقد صار مسلم يساعد المسلمين وينصرهم على دينه لأنهم قد كانوا أربعين مسلم وخلصوا من مائة ألف من أبطال الرومية وعماد دين النصرانية فقال له الملك كوجار أسكت أيها القاضى عن هذا القول فما أحمقك وأقل عقلك فقال له أيها الملك إنما قلت ذلك حنقا وغيظا عليهم فلعل المسيح أن يسمع إلى قولى ويظفرنا بهم ثم أخذوا يتذكرون فى شطارة الأميرة ذات الهمة ووصف شجاعتها وإذا ببطريق كان قد سمع كلامهم فقال لقد رأيت من هذا الأسود أمرا ما رأيته قط من هذه العساكر ولا من جميع عساكر أهل الأرض فى الطول والعرض ولقد حضرت مع المصادفات عدد لا يحصى ولا يعرف فما رأيت أشد بأسا ولا أقوى من هذه الابطال ولقد رأيت هذا الاسود فى حملاته فما كان يطعن فارس إلا وهده ولا ضرب شجاعا إلا وقده وكذلك الأميرة ذات الهمة كانت ضربت درقه قد قلعتها نصفين وأرمت صاحبها قطعتين وأردته إلى الأرض صريعا يمج علقما ونجيبا (قال الراوى) فلما سمع الملك كوجار ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه وقال العجب من ذلك وحق المسيح لآخذن جميع عسكرهم ولابد لى أن أفتك بهم ولا طوفن بهم البلاد وهم محمولين على الجمال وأوقع بهم أشد النكال (قال الراوى) ياسادة يا كرام فبينماهم كذلك على هذا الكلام وإذا قد ورد عليهم جاسوس الملك كوجار وأخبروه أنه مقيم فى عسكر الموحدين وأنه قد حضر موت الأمير أبو محمد البطال ووقفت على قبره ودفنه لأنه كان فى الوقعة وقد حملت عليه الروم وأثخنوه بالجراح وبقى مطروحا على

وجه الأرض قتيلا وأن المسلمين غسلوه وكفنوه ودفنوه فلما سمع الملعون عقبة ذلك الكلام صلب بيده على وجهه وقال الآن قد أمنت على نفسى ثم قال للملك كوجار لقد دخل على قلبي من ذلك سرورا ولولا أنني سمعت بموته ما كان دخل على عيني منام فلما سمع عقبة كلامه قال فى نفسه والله أنك أخس الملوك هذا وأن الأمير أبو محمد البطال لما اجتمع مع الأمراء من بنى كلاب والامير عبد الوهاب قال له ابشر ياأخى بالثواب فلقد رأيت من أمرك العجاب وانى قد رايت من الراى التمام شيئاً اريد أن أفعله لعل الله تعالى أن يظفرنى بهذا الملك والملعون عقبة والحكيم ماريتون فقال له الامير عبد الوهاب وما ذلك الوهاب وما ذلك الامر الذى تريد أن تفعله أيها الأمير قال أبو محمد البطال قد رأيت وعلمت أن لابد لهذا الملك من جاسوس معنا فى العسكر وأريد أظهر انني مت واذا علم الملعون عقبة بذلك اطمأن قلبه وكذلك عسكر الملك كوجار ومن معه وقد رأيت من نفسى أن أموت وتحملونى الى القبر وتدفنونى وتمضوا عنى فاذا رأت الجواسيس ذلك العمل عيانا بيانا وقد تمت الحيلة على هذا الملعون ونأخذ إن شاء الله تعالى بالثار وأيضا نكشف ما نزل علينا من العار فلما أن سمع البطال المهاب الأمير عبد الوهاب من الأمير أبو محمد البطال ذلك الكلام والخطاب قال هذا هو الصواب والامر الذى فيه لايعاب ولقد رأيت لك رؤيا يتم لك به ماتريد أن تفعله فقال له الامير أبى محمد وما هو الأمر أيها الامير قال تخرج الى القتال والنزال وتطرح روحك بين القتلى وتلطخ ثوبك وبدنك بالدما ونظهر للناس انك مقتول ونخرج نطوف عليك ونحملك الى المضارب والخيام وتظهر البكاء واللطم والعويل عليك ونأخذ بعد ذلك خشبة نكفنها وندفنها وقد تمت الحيلة فقال الامير أبو محمد البطال وهذه الحيلة أيضا من تمام السعادة والاقبال (قال الراوى) فما لبث الامير أبو محمد البطال الا قليلا من النهار وقد فقدوه المسلمين فخرجوا جميع الرجال والابطال وطافوا بينهم فعند ذلك وجدوه بينهم وقد تغيرت حالاته وهو ملقى على وجه الارض وثيابه ملطخة بالدماء فعند ذلك حركوه الرجال فلم يجدوا فيه نفس فقال الأمير عبد الوهاب فى نفسه ماهذه حيلة منه وانما هذا قضاء الله قد نزل به لامر يريد أن يفعله بالمسلمين ثم نادى الأمير عبد الوهاب بوالدته الاميرة ذات الهمة وأعلمها بقصته فقالت له الاميرة ذات الهمة هذا أمر ياولدى قد جرت به عادته ولاهى بأول حيلة أحيال بها ولا أول صنعة فعلها (قال الراوى) يا ساده يا كرام فعند ذلك حملوه الى المضارب والخيام وارخوا عليه الشراع وحركوه فلم يتحرك وطلبوا له نفس فلم يجدوه فقال الامير عبد الوهاب الامه لاميرة ذات الهمة قد انقع نفسه وبقى

مثل الخشبة الملقاة وما هو ممن بقى له فى الدنيا حياة وانه بعيد ان يرجع الامير أبوا محمد البطال ولا بقى يركب معنا ظهور الخيل الجياد أو يقاتل الاعداء الاضداد فعند ذلك بكى الامير عبد الوهاب بكاءاً شديداً ماعليه من مزيد وصاح صياحاً عظيما (قال الروى) فعند مادخل عليه الامير ظالم ولد الامير عبد الوهاب فكلمه فلم يتكلم وحركه فلم يتحرك وسأله أن يكلمه فلم يجيبه فقال له الامير ظالم ياعماه مانريد منك هذا اللعب والمزاح لقد قطعت قلوبنا وقوست ظهورنا وأحرمتنا لذيذ الكلام فلم يكلمه الامير أبو محمد البطال فدخلت عليه الاميرة ذات الهمة وقد تحسرت عليه وبكت وجعلت تقول واسيداه وا أميراه وا أبو محمداه لقد قطعت قلوبنا فلاكان عقبة الملعون ولا كانت ساعته (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلم يجيبهم الامير أبو محمد البطال بجواب فقالت له الاميرة ناشدتكم الله العلى العظيم والنبى الكريم وبالقرآن العظيم الا ما أطلعتنا على أمورك واحوالك وكلمتنا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك تحرك الأمير أبو محمد البطال على حيلة وقد استوى جالسا نفرحوا به فرحا عظيما هذا وقد قال لهم الأمير أبو محمد البطال أنا مانعت ذلك لأعلمكم هل يخفى حالى وأمرى عن الروم الملاعين ولكن خذوا الآن أهبتكم واصنعوا ماقلت لكم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك أخذوا خشبة وكفنوها وشالوها على أعناق الرجال وجاؤا بها الى القبر ودفنوها وقد دخل على قلوب المسلمين من فقد الأمير أبو محمد البطال أمر عظيم وخطب جسيم ومشوا حفاة عراة ومرقوا أطمارهم وحثوا التراب على رؤوسهم كل هذا يجرى منهم والجاسوس واقف بينهم يشاهدهم (قل الراوى) فلما تحقق الجاسوس موت الامير أبو محمد البطال خرج مهرولا لملك الروم وأعلمه بموته كما ذكرنا وقال لهم مازلت واقف حتى دفنوه والمسلمين انقطعت ظهورهم فعندها قام الملعون عقبه قائما على قدميه إلى الجاسوس وقبل يديه وأسافل قدميه وقد قال له لك أيضا عندى ألف دينار وللسيد المسيح عشرة آلاف دينار يفرقها على من يريد (قال الراوى) هذا وان الملعون عقبة خر ساجداً بعد ماصلب بيده على وجهه ودخل على قلبه الفرح بموت الامير أبو محمد البطال وقال قد مات أبو محمد قد آمنت على نفسى من كل آفة وأمنت على دين النصرانية وما بقى بعده يقوم للإسلام قائمة ولا بقوا يفتحوا قلعة من قلاع البحيرة أبدا ثم طاش عقله فرحا وبات تلك الليلة وقلبه منشرحا وهو يقول وحق المسيح والدين الصحيح لأخربن مساجدهم ولأحرقن الجوامع ولأذبحن الصبيان على صدور النسوان ولأيتمن الاولاد من الرجال وآخذ بثار الملك

الخرطموس وآخذ ابنته منهم واجعل ذات الهمة أيضا خادمة للكنيسة وابنها يرعى الخنازير وأترك المسلمين قليلاين العدد إلى أبد الأبد ما قام قائم وقعد (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا مايقوله الملعون عقبة والملك كوجار والحكيم ماريتون يضحكون عليه ثم ان الملك كوجار أعطاه عشرة آلاف دينار فتسلمهم الملعون عقبة وحملهم إلى خيمته قال وكان معه غلام اسمه سموطا أكفر أهل زمانه يشرب الخمر ويكثر من الفجور ويكفر بالله الواحد الغفور (قال الراوى) يا سادة هذا وان الملك كوجار اختبر الملعون عقبة فما وجد له دين فاستخدم ذلك الغلام معه وكان للملعون عقبة خيمة كبيرة وفيها آلة السلاح وصناديق كثيرة فيها قماش وغير ذلك هذا وقد أخذ المال وسلمه إلى غلامه سموطا وهو فرحان به فقال له يا مولاى هل يقدر البطل الذى تصفه أنت بأكثر ما أقدر أنا عليه ولولا اشتغال قلبي بالملك كوجار لما سلم منى هذا الكلب ابن العواهر وبعد هذا فقد كلفتنى إلى خفظ هذا القماش الذى عندى فى الخيمة فقال له الملعون عقبة ياولدى هذا رجل يصعد الى السماء بغير سلم ويتحيل للمرأة فى صورة زوجها وهى لا تشك فيه ويجامعها وهى لا تنكره ولا يذكر فى موضع الا ويحضر ولا تراه أيضا فى مكان الا ويوقع بأهله من المكر والخديعة والحيل ما يعجز عنه الثقلان ولا يخطر على قلب انسان ولا يفطن به أحد الا وقد غاص فى التراب فقال له الغلام سموطا وحق المسيح لو عاش وظفرت به لاسلخن جلده كجلد الكلاب وأتركه أحدوثة لمن حضر وغاب فلما سمع الملعون عقبة من غلامه ذلك الكلام ضحك الى أن استلقا على قفاه وقال له يا ولدى لقد كفانا المسيح موت اللص المحتال أبو محمد البطال فلا رحم السيد المسيح منه مغرز ابرة ولا جمعنا معه فى الدنيا ولا جمعنا معه فى الآخرة ولقد سكن الآن روعى وملأ النوم عينى وان لى مدة خمس سنوات لم ألتذ بالكرى ولا عرفت طعم المنام ولقد دخل على قلبي المسرة يدفع عنى هذه المرة والمضرة (قال الراوى) وذلك أن خيمة عقبة الملعون كانت بعيدة عن خيمة الملك كوجار لأنه كان قصد بذلك أن يخلوا بنفسه مع مماليك الروم ويكثر الفساد معهم فعند ذلك طمع الملعون عقبة بموت الأمير أبو محمد البطال فقال لغلامه أخرج خيمتى الى خارج المرج وذلك المرج كان كثير الأشجار والأزهار غزير المياه والأثمار هذا وقد جلس الملعون عقبة هناك منفردا بنفسه وقد سكن روعه وطاش عقله من الفرح (قال الراوى) فبينما الملعون هنالك جالس فى خيمته واذا هو بشاب من أولاد الملوك كأنه البدر الطالع وبين يديه رومى آخر وفى يده شمعة فعندها تقدم ذلك الشخص الى الملعون عقبة وسلم عليه وقبل الأرض بين يديه وقال له ياقاضى اعلم اننى رجل مذنب ومفرط فى

دين السيد المسيح فلما رأيت أنك نذرت عشرة آلاف دينار من مالك تريد أن تتصدق بهم، فرغبت أنا الآخر فى الصدقة موافقة لك وما أملك من الدنيا يامولاى غير هذا الألف دينار فخذها وتصدق بها على من شئت من العباد واجعل ثوابها لك (قال الراوى) فعند ذلك اندهش الملعون عقبة من ذلك وفرح الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد لانه نظر الى وجه مليح كانه القمر المنير بشعر طويل أجعد وطرف كحيل أحور وخد أسيل فقال الملعون عقبة لعنه الله وحق المسيح هذا أحسن من بنات الروم والملوك وأريد أن أخلوا به فى هذه الليلة قبل أن أموت (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم ان الملعون عقبة تسلم الألف دينار من الفتى وقال له أنت من الخواص أو الملوك فقال انا من خواص الملك وان الخزانة كلها بحكمى ولو كان بالنهار لكنت جئت لك بأكثر من هذا فقال الملعون عقبة وأين هى خيمتك فقال إلى جانب خيمتك أيها الشيخ فان كنت ترى فى نفسك أنك تزورنى ساعة من الليل جئت اليك عاجلا (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يصدق الملعون عقبة بذلك الخطاب فقال له خذ غلامى معك عرفه بهذه الخيمة وإذا كان بعد ساعة من الليل جئت اليك وقدمت عليك (قال الراوى) وكان ذلك الكلام من الملعون عقبة حزم ورأى ولكن لايعرف أحد أن الملعون عقبة قد خلا مع الخادم الخاص فعند ذلك رجع الخادم الى خيمته ومعه غلام الملعون عقبة فعرفه بالخيمة وعاد الغلام راجعا إلى خيمة مولاه. فلما ان رآه الملعون عقبة عاد مسرعا فقال له ويلك ياغلام عرفت الخيمة قال نعم يامولاى الموضع قريب فقم بنا اليه وكان غلام الملعون عقبة قود من هامان على فرعون فعند ذلك خرج الملعون عقبة من الخيمة وقد أخفى نفسه ولم يأخذ معه ضوء خيفة أن يراه أحد هذا وقد سار الى ان وصل الى خيمة الخادم ولما دخل اليه تلقاه الخادم وأكرمه غاية الاكرام وجعل الملعون عقبة يسامر الخادم ويحادثه ويضاحكه وقد أخذ معه فى الحديث الذى يقرب الانسان إلى البسط والخلو فقال له ذلك الفتى ما تقول ياشيخ فى هذه الساعة فى نبيذ طيب فقال له الملعون عقبة لعنه الله يا بنى إيش أقول فى العافية فعجل ياولدى به فان السيد المسيح يرضى عنك بهذه الفعال فعند ذلك أمر الخادم لغلامه أن يحضر له نبيذا كثيرا كثيرا ونقلا غزيرا وآلة حسنة فأحضر له الخادم الجميع بين يديه ثم جعل الخادم يشرب ويسقى الملعون عقبة والملعون عقبة لعنه الله تعالى يشرب ويتكرع ويطرب والى الخادم يتقرب هذا وان غلام الملعون عقبة سموطا قد دارت فيه الخمرت وعملت فى رأسه السكرة وكثر منه هذيانه هذا والملعون عقبة لعنه الله تعالى وخزاه وجعل النار متقلبه ومثواه سكر ثم جعل يقول هذه الليلة غفل الدهر عنها فاغتنمها وخذ نصيبك وحظك متهاهذا

وأن الملعون عقبة التفت الى غلامه سموطا وقال له بحق عليك الا ما انطلقت الى أخى الحكيم ماريتون وتسلم عليه من قبلى وتدعوه الينا حتى يطيب قلبه معنا فان هذه الليلة من من أحسن الليالى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك سار هذا الغلام وهو فرحان مسرور فأتى بالملعون ما ريتون الى عندهم وقد جلس الآخر يشرب معهم فقال له القاضى عقبةهل مز عليك من عليك من عمرك أطيب من هذا المجلس الذى نحن فيه فقال له الملعون ماريتون ياقاضى عقبة كم لك على من منة وكرامة فالمسيح يجازيك بأحسن الجزاء ويعطيك من عنده اوفى عطاء (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وان الملعون عقبة قد أقبل على ذلك الخادم وجعل يعانقه ويبوسه ويقول له المسيح ويحفظ على هذا الوجه المليح فقال له الخادم يا قاضى ما يرانا المسيح ويحرمنا من دين النصرانية ثم قال له ذلك الخادم وما تشتهى يا قاضى فقال له أطلب اختلى انا وانت لانك فى الدنيا كنت لنا منادم فلا تحرمنا من اقل الثواب فقال له الخادم يامولاى وما يكون علينا فى ذلك اثم ولا عتب فيما اشرت به فقال له الملعون عقبة يا ولدى المسيح يجعل لك منه علو ومقدار فى تلك الدار وان واصلتنى فان وصالك لى مما يقربك لاعلى الدرجات فقال له الخادم افعل ما تحب وماتختار فعند ذلك طار عقله وكذلك الحكيم ماريتون فقال فى نفسه هذه ليلة غفل الدهر عنها ثم انه التفت إلى الحكيم ماريتون وقال له يا أخى تكون لى عندك هذه اليد البيضاء وتشكرنى عليها طول الزمان ولكن أول مايتقدم اليه أنا حتى أمهد لك الطريق فقال الحكيم ماريتون الامر اليك أيها الاخ العزيز الشفيق (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك أخذ الخادم بيد الملعون عقبة لعنه الله تعالى ودخل به إلى خيمة أخرى وأعطاه قدحا من الشراب الرائق وحياه أيضا بتفاحة طريه لها روائح زكية فأخذها الملعون عقبة لعنه الله وكشر عن أنيابه وقبلها ووضعها على رأسه وضمه إلى صدره وشكره على ذلك شكرا جزيلا وقد شرب ذلك القدح فقال له الخادم أيها الشيخ النجيح وهدية السيد المسيح سمعتك الآن تذكر عيار المسلمين المسمى بالأمير أبو محمد البطال وتعد حيله فاذا رأيته بين يديك تعرفه معرفة تمام فقال له الملعون عقبة يا ولدى وكيف الذى أجرى فى ذلك الوقت ذكر أبو محمد البطال على لسانك وأن ذلك الشيطان قد وصل إلى دار الوبال والذل والخبال وما بقى يرجع يمشى قط بين الرجال فقال له الخادم بلى وحق الاله العظيم ونبيه الكريم أنه لحاضر يسمع كلامك ويفهم نظامك (قال الراوى) فلما سمع الملعون عقبة ذلك المقال انتبه من منامه وصحى من سكرته وطار السكر من رأسه

وفتح عينه الصحيحة وقد تسلق بيضه إلى حلقة والتفت اليه فرأى ذلك الخادم المصبيح قد كشف بيده عن وجهه المليح وقد انكشف للملعون عقبة ذلك التزويق وإذا به الأمير أبو محمد البطال صاحب الأقوال والأفعال وهو على الصورة الأولى على التحقيق فقال له الأمير أبو محمد البطال كيف حال سيدنا القاضى عقبة فقال له الملعون عقبة لا أخلانى الله من هذه الطلعة الميشومة وما أبركها على من ليلة (قال الراوى) فلما سمع الملعون عقبة كلام الأمير أبو محمد البطال وعرف صوته مات فى جلده الموتة الكبيرة ثم جعل ينظر اليه طويلا ثم قال له الملعون عقبة أنت ما مت فقال له بل مت وما تعلم يا قاضى عقبة أن الله تعالى يبعث من القبور فقال له الملعون عقبة ويلك يا شيطان وهذا اليوم يوم البعث والنشور فقال له الأمير أبو محمد البطال يا قاضى عقبة أنا مثل حمار العزيز أماته الله تعالى مائة عام ثم بعثه فقال له الملعون عقبة ويلك ياشيطان لاعشت ولا بقيت ولا ستر عليك السيد المسيح ياشيطان ليتها كانت القاضية وليتك مت مثل حمار العزيز مت مائة عام ولكن أنت لم تمت ثلاثة أيام فلا قرب الله ديارك ولا أنصحك بسلام ثم أن الملعون عقبة أراد أن يصيح فعاجله الأمير أبو محمد البطال وقد هزه ثلاث مرات فدار البنج الذى سقاه اياه فى ذلك القدح فى رأسه فاعتقل لسانه ودخل البنج معه وداخت رأسه ثم أنه استوى فى نومه (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن الأمير أبو محمد البطال شده كتاف وقوى منه السواعد والأطراف ثم أنه بعث بعد ذلك إلى الحكيم ماريتون وأحضره الآخر إلى عنده فقال الحكيم ماريتمون وحق المسيح لقد استوفى القاضى عقبة حقه من ذلك الخادم وبقت أيضاً حاجتى أنا ثم ان الملعون ماريتون قام قائما على قدميه وهو فرحان فقال له غلامه سموطا يا حكيم الزمان وأنا الآخر أيضا من الفقراء المحتاجين فما يتصدق على ذلك الخادم بشىء وينال ثوابى فقال له الملعون ماريتون سوف أقول له عنك ولا بد ما أرغبه فى ذلك (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك ناوله ذلك الغلام قدحا فيه الهم والغم والبلاء فشربه إلى آخره وخلاه مكانه ومشوا قاصدين إلى الموضع الذى فيه الخادم والقاضى عقبة (قال الراوى) فلما دخل الخيمة التفت الحكيم ماريتون الى القاضى عقبة وإذا هو يبصبص بعين واحدة فأخذه الضحك عليه وقد قال فى نفسه من كثرة ماحط ذلك الشيخ على ذلك الغلام مابقى يقدر يتكلم بكلام فأشار اليه الملعون عقبة بيده يقول له سوف ترى العجب مما يحل بك (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك خرج لهم الأمير أبو محمد البطال فى صورته الاولى التى خلقه الله فيها فلما رآه الملعون

ماريتون قال للقاضى عقبة ويلك يا ابن ألف نحس أما هنا صديقك ومحبك الامير أبو محمد البطال الذى زعمت انه قد مات ثم جعل الملعون ماريتون يمسح عينيه بكمه وقد صح عنده انه الامير أبو محمد البطال والف على ماريتون هو وغلامه فأداروه كتاف وعملوا فى فمه أكره وجعل الامير أبو محمد البطال يلطم الملعون ماريتون لطما شديداً متداركا فعند ذلك انطلق لسان الملعون عقبة فى ساعة الحال وقال له ياشيخ تمتع بهذا الخادم فهناك به السيد المسيح وطيب عيشك المليح فقال له الحكيم ماريتون كأنك يا قاضى عقبة سعيت إلى هذه المنفعة (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن الأمير أبو محمد البطال أوثقهم كتاف وعمل الاكر فى أفامهم ثم خرج إلى الغلام سموطا وهو مرمى على وجهه فقال له الأمير أبو محمد البطال ها قد استجاب الله دعوتك وقد جمعنا الله فى مكان واحد وجعلت أنك تسلخ الأمير أبو محمد البطال سلخ الكلاب وتطعم لحمه للكلاب والذئاب ولكن أريد فى هذه الليلة أوريك ما يصنع الله بعبـــاده الذين جحدوا بربوبيته وخرجوا عن دين نبيه صلى الله عليه وسلم وأجعل رأسك بين الرؤس وأذيقك النكال الشديد والعذاب الأليم (قال الراوى) ثم أن الأمير أبو محمد البطال عمد اليه وكان قد شرب وخالطه الشراب وكان قد سقاه قدحا فيه من ذلك الدواء الممزوج ما أذهل به عقله وأزال به لبه فذبحه من الوريد إلى الوريد وقطع رأسه وخلاها فى ناحية ورمى جثته فى ناحية وخرج مسرعا إلى خيمة الملعون عقبه لعنه الله فأخذ العشرة آلاف دينار التى كان دفعها له الملك كوجار يتصدق بها وأخذ الألف دينار الذى دفعها هو للملعون عقبة لعنه الله تعالى وخرج الأمير أبو محمد البطال وهو يقول هذه بضاعتنا ردت الينا (قال الراوى) ثم أن الأمير أبو محمد البطال أحضر العشرة آلاف دينار قدام القاضى عقبة والحكيم ماريتون لعنهم الله فعندها تعجبوا منه غاية العجب وقد قال الملعون عقبة للحكيم ماريتون ياويلك ما السيد المسيح إلا مسلم حصل لنا عشرة آلاف دينار وعاد أخذها منا دفعها للمسلمين ثم جعل يتحسر ويبكى بكاء شديدا ودخل على قلبه من فقد المال أضعاف ما دخل على قلبه من السرور وفتح لهم عينه الصحيحة وصار ينظر اليهم (قال الراوى) إلى هذا الكلام العجيب والأمر المطرب الغريب هـــذا وأن الأمير أبو محمد البطال أخذ الملعون عقبة والحكيم ماريتون ثم أنه جعلهما فى صندوقين وشالهما على فرس وأخذهما وسار ولم يزل سائر بهما حتى وصل بهما إلى حرس المسلمين وكان الحرس فى هذه الليلة الأمير ظالم ولد الأمير عبد الوهاب فلما رأى الأمير أبو محمد البطال فرح به فرحا شديد ما عليه من مزيد وقد نزل اليه مسرعا ثم أنه اعتنقه وإلى صدره ضمه وقبله

ما بين عينيه وسأله عن طريقه فاخبره بما رآه من الملك كوجار وكثرة عساكره وبطارقته فعند ذلك تعجب من ذلك الأمر وأخبره أيضا بظفره بالملعون عقبة والحكيم ماريتون الآخر (قال الراوى) ثم ان الأمير أبو محمد البطال أخرج الملعون عقبة من الصندوق فلما رآه الأمير ظالم ولد الأمير عبد الوهاب ضحك الى أن استلقى على قفاه وقال له يا ملعون كم تغدر وتخون ويوقعك الله وتنصب للمجاهدين فى سبيل الله حبالا يوقعك الله تعالى فى أشراكها كل ذلك ببركة هذا الأمير أبو محمد البطال سيف المجاهدين ونقمة الله على الكافرين ثم أن الامير ظالم جذبه اليه وصار يصفعه على رأسه وتارة على وجهه ثم أن الأمير أبو محمد أخذ عقبة والحكيم ماريتون بعدما أوصى الأمير ظالم باليقظة وأعلمه بأن الروم لاينامون عنه وعن طلب الملعون ماريتون لايصبرون (قال الراوى) ثم سار الامير أبو محمد البطال إلى أن قدم على الامير المجاهد الأمير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة سيدة بنى كلاب فوجد عسكر الاسلام مستيقظين وبرحمة الله تعالى فرحين وبما وعد الله ورسوله صابرين (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة لما رأوا الأمير ابو محمد البطال فرحوا به فرحا شديدا ثم نظروا إلى الملعون عقبة والحكيم ماريتون فزاد فرحهم هذا وقد قال له الأمير عبد الوهاب أهلا وسهلا بشيخ الضلالة ومعدن الكفر والجهالة لقد فرحنا بقدومك أيها الملعون وما بقى من أمراء سادات بنى كلاب أحد الا وقد صفعه على أجنابه وأكتافه (قال الراوى) فعند ذلك التفت الأمير عبد الوهاب الى الملعون الحكيم ماريتون وقال له ياحكيم لم لاتسلم على الأمراء وقد صرت عندهم ضيف فقال الحكيم ماريتون ياسيدى أنا رجل غريب فى هذه البلاد وما أعرف فيها أحد لا أبيض ولا أسود فعندها جعلوا الامراء يصفعوه فى رأسه والملعون عقبة لعنه الله واقف يضحك عليه ويقول له هذا ما أعطاك خادم الملك كوجار ولقد كان لك فى عطائه الفرحة الكبرى وقد تلذذت فى هذه الليلة بمخالطته فتنزه طيب السيد المسيح عيشك فان هذه الليلة ليلة عظيمة فقال له الحكيم ماريتون أدعو لك تذوق مثل هذه اللذة فقال له الملعون عقبة أما أنا فقد أخذت نصيبى (قال الراوى) فعندها ضحكوا جميع الأمراء من قولهم وبما يلاغوا بعضهم بعض (قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب سأل الامير أبو محمد البطال عن جميع أحواله وبما جرى له فى طريقه وهو أيضاً يخبره بقصته وكيف كانت غيبته وكيف كانت طريقه وكيف صفة ما أخذ هؤلاء الكلاب وقد أخبره أيضاً بالقصة التى جرت عليه من أولها إلى آخرها وكيف تمت هذه الحيلة على هؤلاء (قال) فلما سمع الأمير عبد الوهاب من الأمير أبو محمد البطال ذلك ضحك

ضحكا عالياً حتى استلقى على قفاه وصار يتعجب من دقائق حيله ثم انه قدم بين يديه تلك العشرة آلاف دينار الأخر فقال له الأمير عبد الوهاب يا أبو محمد تقول ان الحيلة تمت لك على هؤلاء فكيف تمت حيلتك على أخذ هذا المال فأعلمه الأمير أبو محمد البطال ان المال خصه الله به لأن الملعون كوجار دفعه له قربان فأخذه الملعون عقبة يتصدق به لما سمع بموت الامير أبو محمد البطال صاحب الأقوال والأفعال ثم قال له الامير عبد الوهاب اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد سهل لى هذا المال أستعين به على الجهاد وبلوغ المراد فى هذه الديار والبلاد فان الله سبحانه وتعالى يبارك لنا فيما أعطانا وينصرنا على أعدائنا (قال الراوى) ثم ان الأمير أبو محمد البطال قص عليهم قصته وكيف انه وصل إلى الملعون عقبة فى زى خادم الملك كوجار وكيف جاء اليه الملعون عقبة يريد أن يفسق فيه وكان كلما حدث الأمراء بحديث الملعون عقبة يضحكون عليه وفى رأس الملعون عقبة باللطم ينزلون (قال الراوى) وما بقى أحد من الامراء الا ونزل على الملعون عقبة بالصفع حتى تورم قفاه وكادت روحه أن تذهب والحكيم ماريتون لعنه الله يضحك عليه وهو يقول له هناك السيد المسيح ينظر هذا الوجه المليح وأيضاً الصفع الصحيح (قال الراوى) فهذا ماجرى هاهنا الأمير أبو محمد البطال مع الملعون عقبة نسل الأندال (وأما ما كان) من أمر الملك كوجار فانه لما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أنفذ الملك كوجار خلف القاضى عقبة والحكيم ماريتون يستدعيهما للحضور إلى مجلسه لمشورة معهما فيما يريده من أمر القتال وأحوال العسكر فى النزال فمضوا الغلمان إلى خيمة الحكيم ماريتون وطلبوه فلم يجدوه والملعون عقبه الآخر قد فقدوه ووجدوا غلامه مذبوح مقطوع الرأس ملقا فصعب ذلك الأمر عليهم وكبر لديهم ومضوا إلى عند الملك وقد أعلموه وأطلعوه على قصتهم وما جرى عليهم من أمرهم فعند ذلك صعب ذلك عليه وكبر لديه واغتم لذلك غما شديد ماعليه من مزيد ثم انه قال ليت شعرى كيف تمت هذه الحيلة على هذين الرجلين وهما أحيل أهل زمانهما وكيف كان سبب أخذهما (قال الراوى) ثم ان الملك كوجار أحضر الجاسوس الذى أخبر أيضا بموت الأمير أبو محمد البطال وقد قص عليه القصة والحال فحلف له ذلك الرجل السيد المسيح والإنجيل الصحيح أنه شاهد الأمير أبو محمد البطال وهو مرفوع على أعناق الرجال مضخم بالدماء مزمل مثل القتلاء (قال الراوى) فعندها تعجب أيضاً الملك كوجار لما سمع من الجاسوس ذلك الكلام وقد تقسم منه فكرة واشتغل لذلك الكلام سره وخاطره وقال وحق المسيح ماهؤلاء الرجال من الإنس وما هؤلاء إلا من الجن ولقد رأيت امر

ما رأيت قط مثله ولا سمعت به فليت شعرى تم على هذين الشخصين حيلة وقد قيل لى ان الذى كان لصهم وعيارهم قد مات (قال الراوى) ثم ان الملعون كوجار أمر عسكره بالحملة على المسلمين فركبوا عن بكرة أبيهم واجتمعت الجموع ولمعت الجواشن والدروع وخرج جيش الكفار الماحق على أهل جيش الله الابرار الصادق وكرت الأبطال واشتد القتال وعظمت أيضاً البلايا والاهوال ودقت الكؤسات ونعرت البوقات وقد صاحت العسكر أن من عظم المصيبات وكثرة الحسرات واشتدت البليات وجرت الغمرات وأنت القلوب أيضاً بالزفرات واشتهرت الصوارم وقطعت العلاصم وقد تعدت السهام من الجماجم وتعدت الرماح من الظهور والحيازم وما لهم من الله من عاصم وثار الغبار ثم هاجت المسلمين الأبرار وزعقت الأسنة بدماء الكفار وامتلأ الجو بالغبار فما كنت ترى الا رأس طائر وفرس غائر ودم فائر وفارس على ما ناله من قدر الله وقضائه صابر (قال الراوى) وكيف يكون حال أربعون ألف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد أحاط بها ماية الف من المشركين وقد زاد فى العدد عليهم ستين ألف فارس هذا والمسلمين على ربهم يتوكلون وان المشركين بربهم يكفرون ومازالوا فى كر وفر وطعن وضرب إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل عليهم بظلماه ورجعت كل طائفة إلى مكانها ولولا هجوم الليل على العسكرين لكان قد نال المسلمين شدة عظيمة هذا وقد باتوا الكفار على حذر من المسلمين والمسلمين على وجل من الكافرين وقد اطلع على المسلمين الحى الذى لا يموت (قال الراوى) هذا وقد خرج فى ذلك اليوم الأمير عبد الوهاب وأولاده الأمير ظالم وأخيه الأمير قشعم وقد نظرت الامير ذات الهمة الى ذلك الأمر فاشتد غضبها خوفا من الله تعالى وباتت تلك الليلة قائمة على قدميها ونادت إلى ربها ومولاها وهو الواحد الأحد الفرد الصمد وقالت اللهم يامن فلق الحبة وبرا النسمة وتردى بالعظمة وياعالم السر والنجوى يارب الأرباب يامعتق الرقاب يامنشىء السحاب وياهازم الأحزاب ويامن خلق آدم من تراب أنت قلت وقولك الحق ادعونى أستجب لكم انصر عصابة الاسلام وعسكر نبيك محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وأن هذا الملعون كوجار قد طغى وبغى وتجبر وبنبيك قد كفر وبالباطل قد أمر فظفرنا بناصيته وأكسر حدته وأخذل قوته يا أرحم الراحمين (قال الراوى) هذا وان الأمير عبد الوهاب افتقد أصحابه فوجدهم أكثرهم جراحا ومما نالهم مرضا فقال كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم الى والدته الأميرة ذات الهمة وقال لها ياأماه قد رأيت رأى لا بأس به وفيه أيضا مصلحة لنا وللمسلمين فقالت له يابنى وماهو فقال انى طفت على العسكر فرأيت

أكثرهم جرحا وهذه أرض وخمة وعدونا قد قويت شوكته وأصحابنا قد قصروا عن القتال وقد رأيت من الرأى أن نرحل الى ورائنا الى عند الملك الصابر ونجتمع به ونأخذ رأيه وقد بلغنى انه قد عوفى من مرضه فاذا استرحنا فى قلعته يفعل الله مايشاء بعدذلك لأنها قلعة حصينة وهواها طيب ولكن الله تعالى يكفينا شرهذا الملعون ويكون هلاكه على يدغيرنا أو يرده الله على عقبيه خاسرا وتأخذ هذا الملعون عقبة معنا الى قلعة الملك الصابر ونكتفى شره وندعه هناك ونوصيه عليه لان أصحابنا قد ضعفوا (قال الراوى) وان الاميرة ذات الهمة قالت لولدها الامير عبد الوهاب يابنى أما الرجوع إلى ورائنا فلا تسمع الملوك الأكاسره وجميع الرومانية اننا ذلينا ورجعنا هاربين الى ورائنا ونحن فى أربعين ألف رجلا ونحن كنا أربعين نفس لما تمت علينا الحيلة ونجانا الله تعالى منهم وفى غد ان شاء الله تعالى يظفر بهم المسلمين والله معكم أينما كنتم (قال الراوى) وكان قد فقد من المسلمين مائة فارس فبكى الأمير عبد الوهاب لما سمع ماقالته الاميرة ذات الهمة وتوكل على الله وقال فى نفسه اذا كانت هذه امرأة وهذا قولها ثم أن الاميرة ذات الهمة قالت له ياولدى فى غد ان شاء الله تعالى أصطلى نار الحرب بنفسى وآخذ تار المسلمين من هذا الجبار اللعين فاذا ظفرت به فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب فترى منى مايسرك ويشفى قلبك وغليلك ان شاء الله تعالى والله ينصر دينه ويحامى عن ملة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) ياسادة ياكرام ومازال القتال بين العسكرين والعين تقع على العين حتى انهزم الظلام وحام طائر الحمام وأصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ومازالت جيوش المسلمين راكبين وعلى سيوفهم ورماحهم متكئين ولامر الله صابرين ولحملات الكفار منتظرين وقد اطلع عليهم الحى القيوم رب العالمين (قال الراوى) هذا وقد أمر الملك كوجار أصحابه بالركوب فركبوا على الخيل وتأهبوا وترتبوا وللدروع الثابورية تدرعوا ولميدان الحرب تسابقوا وطلعوا وللقتال اجتمعوا ولرب العالمين أغضبوا ومارجعوا ثم ركب الملك كوجار على حصان أحمر عالى مضمر وقد أمر بالركوب وترجل فى ركابه عشرة آلاف من بنى الاصفر وأقبل الى ميدان الحرب يتبختر ولله قد عصى وكفر وتجبر (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم تقدمت المسلمين الكرام وتأخرت الفجار اللئام وقد نادى الامير عبد الوهاب بصوته الجهر ألايابنى الاعمام تقدموا وللحرب تأهبوا وعلى ربكم توكلوا وقفوا فى ميدان الحرب تغنموا ولاتخسروا ولاتندموا على قتال الكفار الكلاب ولا تسأموا فان ظفركم الله بعدوكم وعدوه نلتم أجر الجهاد وأيضا شفيتم من أعداء الله

وأعدائكم الاكبادفان اللهقد أقرن أجركم بأجر نبيه محمدا ﷺ ومن حصلت له شهادة فقدفاز عند الله ونال ثوابه وحشر الى رضوانه فى جنات عدن (قال الراوى) ولم يزال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن أظلم الظلام وأتى عليهم الليل بالادلهام فعند ذلك أقبل الملعون كوجار على جماعته وقال لهم ارجعوا بعد ماقتل من عسكره عشرة آلاف وقال طول عمرى مارأيت أصبر من هذه الطائفة على القتال والنزال فقال له بعض أصحابه اعلم أيها الملك انه قد وصل الىّ اليوم خبر ولدك أنه أتانا فى عشرين ألف بطريق من أصحابنا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فبينما هم فى الحديث واذا هم بشيخ كبير قد أقبل عليه وانطرح بين يديه فتأمله الملك كوجار واذا به الملعون عقبة لعنه الله فعند ذلك فرح به الملك كوجار لما رآه غاية الفرح وقال له يا أبونا وأين الحكيم ماريتون فقال له ياولدى ما قدرت على خلاصه وأما المسلمين فما بقى لهم قوة وأكثرهم مجرحين (قال الراوى) وأما خلاص الملعون عقبة فانه كان له حديث عجيب وذلك انه كان له صديق مجوسى وهو فى دين النصرانية وانه تخرق من ذلك ومدح دين المجوسية ودخل معه فيه وتكلم فى أهل عباد النار وصادقه فلما أسر هذا الملعون عقبة تحيل الرجل المجوسى حتى عرف موضعه وخلصه وكلما رأى أحد هرول فى مسيره حتى دخل عسكر الملك كوجار (وأما الأمير) أبو محمد البطال لما فرغ تلك الليلة من المشورة مع الأميرة ذات الهمة دخل يتفقد الملعون عقبة فلم يجده فقامت عليه القيامة وأعلم الأمراء بذلك وقال مابقى لنا مقام ههنا وقد وصلنى خبر بان الملك كوجار ميرون قد أتى فى عشرين ألف بطريق (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان الملعون عقبة يتوقع على الأمير أبو محمد الأخبار ويقول لابد لى منه وكان الخادم جوهر يسمع كلام الملعون عقبة فى عسكر الروم فرجع الخادم الى مولاه وأخبره فقال الأمير أبو محمد البطال مابى الا شماتة الملعون عقبة والاذيح الملك عندى هين لكن أخاف أن ينظرنى فيفعل بى ما شاء فقالت له الاميرة ذات الهمة فما يكون العمل فقال لها يا أميرة نرحل لأن أكثرنا مجرحين وهذه النجدة أيضا جاءتهم والملعون عقبة خلفى (قال الراوى) فعند ذلك شاورت الأميرة ذات الهمة أبطال بنى كلاب فقالوا لها ياأميرة الرأى الذى قاله الأمير أبو محمد البطال هو الرأى الصواب فقال لهم الأمير أبو محمد البطال ان هزبتم طمع العدو فيكم ولكن أسير بكم فى هذه العقبة التى فى هذا الجبل وأخرج بكم عند الصباح وأنتم عند قلعة الملك عبد الله شعشعونا ونستريح هناك ونسير الى قلعة الملك الصابر وما بقى لاحد علينا وصول ولا سبيل ويقف واحد منا بخمسة آلاف فارس على رأس العقبة ويرحل الجريح منا والضعيف فان تعلق أحد

خلفنا من الروم تلقاه القوم الذى يقفون فى الساقة فقالت له الأميرة ذات الهمة لله
يا ولدى يا بو محمد (قال الراوى) ثم انهم حملوا من غير ضجة فقال الأمير أبو الهزاهز
للاميرة ذات الهمة ويلكى ياستاه أنا أقف فى رأس العقبة ودع يحمل كل نصرانى فى الدنيا
فقال له الأمير أبو محمد البطال ما لها الا أنت وما فينا أحداً خالى من الجراح غيرك.
فضحك الامير أبو الهزاهز من كلامه وقد أخذ معه ألف فارس من السودان كانهم الجمال
هذا وقد رحلت العساكر ولم يبق الا السودان وقد وقع الصائح للملك كوجار برحيل
المسلمين فرحل خلفهم وطلع الجبل على غرة من أمرهم فعند ذلك نادت عليهم السودان كانهم
فروخ الجان ورموا عليهم الصخور والأحجار الكبار منها والصغار هذا والأمير أبو
الهزاهز قد رمى من يده فى رأس الملك كوجار حجرا كبير على حين غرة منه ففلق دماغه
نصفين فكان الرجل الاسود يوثب على الرجل الرومى فيضربه بالحجر فى صدره يقلبه
فيضربه الآخر فيقتله (قال الراوى) فما كانت الا ساعة واحدة حتى ولوا الكفار الادبار
ورجعت أيضا المسلمين الابرار فما صدقوا بالنجاة وقد صاح الأمير أبو الهزاهز فى قومه
وطار من شدة الفرح فؤاده كيف انه ضرب الملعون كوجار تلك الضربة وهزم عسكره
وحده هو وسودانه قال فعند ذلك فرحت الأميرة ذات الهمة بذلك العمل غاية الفرح
العظيم وسرت السرور الزائد الذى ما عليه من مزيد وصاروا يرمون عليهم الأحجار ونالوا
بكسرهم منالا عظيما ما ناله أحد وصار بهم فى الجبل وهم فى ظلام الليل فعند ذلك أدرك عسكر
المسلمين هذا وقد وصلت عسكر المسلمين ووصلت الأخبار الى الأميرة ذات الهمة بما
فعل الأمير أبو الهزاهز وكسره للعساكر فعند ذلك شكرته الشكر الزائد ثم أن الأميرة ذات
الهمة دعت له بالنصر والظفر فقال لها أيتها الاميرة العظيمة انتى أولى بالدعاء منى فشكرته
الاميرة ذات الهمة على ذلك (قال الراوى) ثم أن المسلمين ساروا بقية ليلتهم على
مثل ذلك العمل الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح
فعندها وصلوا الى قلعة الملك الصابر فلما نظر الى عسكرهم نزل اليهم وهناهم
بالسلامة وتلقاهم كجرى العادة أحسن ملتقا وأنزل لهم الاقامة وأكرمهم غاية
الكرامة (قال الراوى) فهذا ما جرى لهؤلاء الاقوام (وأما ما كان) من أمر الملك
كوجار فانه لما فتح الامير ابو الهزاهز رأسه رجع مرعوبا فالتقاه ولده ميرون وداوى
رأسه وشده ثم جلس على سرير ملكه وأحضر بطارقته وكبراء عشيرته وكان الملعون
عقبة حاضرا فسألهم عن رحيل المسلمين فقالوا مالنا وحق المسيح علم برحيلهم ايش كان
سببه وما بقى لنا يقاتلنا الا الجن وقد فتحوا رأس كل من فى العسكر فقال له الملعون

عقبة أيها الملك لا تسمع كلام هؤلاء الرجال فما التقاهم إلا عبيد الامير عبد الوهاب السودان وهم أعظم من الشياطين والجان وهذه الحيلة من حيل البطال وخداعه فقال الملك كوجار وحق المسيح يا أبونا المسلمين الساعة فى الجبل وقد أكمنوا لنا مكيدة ويعملوها فقال الملعون عقبة هيهات هيهات أيها الملك ان كانوا يقفون الا فى قلعة الملك الصابر فقال له الملك كوجار وكيف ذلك ياشيخ فعند ذلك شرع الملعون عقبة يحدثه بحديث الملك عبد الله شعشعونا وكيف أنه سلم الحصن للمسلمين وما جرى له وكيف دخل فى دين الإسلام وكيف ترك دين آبائه وأجداده وكذلك الملك الصابر مضى أبو محمد البطال اليه واحتال عليه وزخرف له من هذيانه وأسلم معه خمسين ألف أو يزيدون والملك كوجار يتعجب من حديثه وقال وحق دينى ما سمعت بهذا الخبر إلا فى هذه الساعة منك فان هذا من أعظم الامور أن الرجل يخلى دينه ودين آبائه وأجداده الاولين ويتبع دين الإسلام وحق المسيح لئن ظفرت بهذين الخارجين المطرودين عن باب السيد المسيح لاذيقنهم العذاب ولا جعلنهم عبرة لمن اعتبر ثم أن الملك كوجار قال له يا أبونا وما الذى تشير به على أن أعمل ففى قلبى من هذه الجارية زنانير نيران لاتطفى وأيضا من الحصن الذى لها وهو الحصن الرفيع والدولاب المنيع ودولاب السيدة مريم لا يصلح لامرأة ولا أدرى أرحل أنا أو المسلمين ما دام أنهم معنا فان بفواتهم تفوت الملك المصلحة وتقوى القوم فعند ذلك قام ميرون ابن الملك كوجار وكان هذا الملعون ميرون قد سمع بصفات الملكة زنانير فما بقى يريد الرحيل إلا عندها ليراها أوانه يلقاها فى الحرب لعله أن يظفر بها فى موقف القتال والضرب فقال له أيها الملك أنا الرأى عندى أن نرحل فى غد إلى الملكة زنانير ونحاصرها ونقاتلها ونضيق عليها فان هى سلمت حصنها الينا فلا كلام وتسلم مناوتأمن مناعلى نفسهاوتكون محسوبةعليناومنا والينا وان لم تسلم الينا الحصن فهى أخبر بما يجرى مناعليهاونملكها بالسيف قهرا ونأخذ ماقدعدمناه من الاموال التى ادخرها أبوها من آلات الحرب وغيرها من زمان الاوائل ويصير هذا الحصن لنا فهو أطيب من حصننا لانه أنزه المواضع والريض مليح الاركان يصلح للجولان فعندها قبل الملعون عقبة منه مشورته لانه كان الآخر يطلب المسير اليها وكان قصده بذلك سلامته وخلاصه من يد الامير أبو محمد البطال (قال الراوى) ياسادة ياكرام فبينما هم سائرين وإذا بالجواسيس قد وصلت إلى الملكة زنانير وأخبروها بوصول الملك كوجار اليها وقدومه عليها كيف أنه أتاها قاصد الى نحوها بذلك العسكر الكثير فقالت الملكة زنانير لا شك فى أنهم قد كسروا المسلمين وان كان ذلك الامر

صحيح فهو يكون قتلهم الملك كوجار وقلع آثارهم من هذه الارض والديار (قال الراوى) وكان عندها عشرة بطارقة من أصحابها وهم من وجوه قومها وكبرائها وكانت تأخذ رأيهم ومشورتهم وكان كلا منهم يعد بجماعة من البطارقه وفيهم اثنين أحدهما أرمنى واسمه أبو الفتح وكان قتال الضباع كانه الجمل الهايج وكان تحت يده خمسة آلاف من جيشه وقومه وبنى عمه والثانى كرجى ولكنه كان ذميم الخلقة غير أنه كان سريع الانعطاف وهو للأرواح خطاف وكانت الملكة زنانير تحبه وتتعجب من قتاله وطعنه ونزاله ولما أنهم حضروا بين يديها أخبرتهم بما قد قاله الجاسوس وكيف حدث أيضا الملك كوجار نفسه بأخذ الحصن منها فلما أن سمعوا من الملكة زنانير ذلك الكلام قالوا لها أيتها الملكة متى جاءنا التقيناه بأرواحنا وكل واحد منا يلقى هذا الملك ومع ذلك نحن أقوى منهم شوكة وأشد وأشجع وما نقصر عن اربعين ألف مقاتل ولو كانوا فى مائة ألف مقاتل ولا لهم الينا تسليق ولعل المسيح يجعلهم طعاما لسيوفنا وأموالهم من نصيبنا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما ان سمعت الملكة زنانير كلامهم فرحت به وخلعت عليهم وقوت قلوبهم ثم أن الملكة زنانير أخرجت من عندها الاسلحة والزرد والخود والجواشن والدروع وغير ذلك شيئاً كثيراً وهو شيء لم يخرج من عهد أبيها ثم قالوا لها أيتها الملكة الرأى عندنا ان تفرق على الناس العدد والزرد وسارعى إلى لقائهم قبل وصولهم الينا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك امرت الملكة زنانير عساكرها وهم خمسة واربعين ألف فساروا وهم راكبين على الخيول السوابق والملكة زنانير سائرة بينهما مثل القمر المنير وعلى وجهها خمار ديبقى مثل الهوى فسارت كأنها البدر إذا انجلا وهى تموج فى سرجها والحصان يأكل الأرض من تحتها وبين يديها سبعة آلاف راجل كأنهم النخيل الطوال بالعدد الكاملة ولم يبق قس ولا مطران ولا بترك ولاشماس الا ومعه الانجيل وكان أقرب الناس اليها الحكيم اقليدس وإلى جانبه لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال وعليه لامة حرب كاملة وهو راكب على حصان مضمر وكلما نظر اليها وهى تمايل فى سرجها مثل القضيب إذا لعبت به الأرياح ليس لها مثال فى الدنيا وهى ترشق بسهام ألحاظها من عيون الغزال ولؤلؤ كلما رآها يقول سبحان خالقها من ماء مهين (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا وقد أشرفوا على القوم بخيول كالسلاهب وقد سمع الملك كوجار أن الملكة زنانير فى طريقه فتعجب من جسارتها على كل حال وكونها تريد اللقا على البعد من حصنها فقال له ولده ميرون ان هذه سعادة عظيمة لنا بخروج الملكة زنانير من حصنها وظهورهم من بلدهم لنا (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما ان وصل الملك كوجار بعسكره كان الليل

قد أقبل فنزلوا وضربوا خيامهم وباتوا على ذلك العمل الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك ركبت الروم على الخيول لأجل القتال والنزال والطعن والكفاح ولعبت الأبطال مع الأبطال بالأرواح وجرى الدم وساح وقد اختلط الجبان بالبطل الجحجاح وقد تواقعت الأهوال وقطعت الرؤس والأوصال وهمهم كل شجاع وصال ولم يقع فى ذلك اليوم فداء بذهب ولا بمال وصارت الرؤس مثل الأكر بين يدى الأبطال وسالت الأدميه مثل السيل إذا سال وعاد النهار مثل الليل وجرى لكل طائفة منهم البلاء والويل لاسيما أصحاب الملك كوجار فانهم قتلت فيهم البطارقة الذين للملكة زنانير وقاتلوهم قتال ماسمع بمثله أحد فى الرجال وصدقوه صدق من قد ترك الدنيا وبغض الحياة وركن الى الوفاة (قال الراوى) ياسادة هذا وان الملكة زنانير جعلت تحرض أصحابها على القتال والحرب والنزال وتوعدهم بالعطايا والأموال وقد التقت عليها الجيوش وهى بزردية ضيقة العدد ومحكمة النظام وجوادها مجفجف ما يبان منه غير حماليق البصر وصارت كأنها الأسد الجائع وهى تطوى الميدان وقد رفعت الخمار عن وجهها وهى عادتها إذا عرق جسدها فكل من نظرها تذهل عقله ويرجف قلبه من هيبتها وجمالها وهى تطحن الرجال وتميل مثل غصن البان (قال الراوى) ياسادة ياكرام فبينما هى تجول وتصول إذ عثر الجواد بها فطارت من فوقه لكثرة ماعليها من الحديد وقد صارت فى وسط الاعداء هذا والملعون ميرون قد نظر اليها ومعه الف بطريق أجلاد أنجاب فانكب عليها أخذها أسيرة بلا طعن ولا ضراب وكان ذلك بتقدير الملك المنان الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن هذا وان العساكر قد رجعت عن بعضها البعض فما بقى أيضا يسع لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال تلك الارض ذات الطول والعرض وكاد ان يقفل روحه من شدة ما جرى عليها ثم قال للحكيم اقليدس أنا أريد منك عشرة فوارس أنجاد شداد لعلى ان أعمل على خلاص الملكة زنانير فقال له الحكيم أقليدس حباً وكرامة فعند ذلك حضرت تلك العشر فوارس فى ساعة الحال فقال لهم أريد منكم من بعض ثياب الملك كوجار فقالوا له سمعا وطاعة ثم انهم غابوا هؤلاء الرجال ساعة زمانية وأتوا اليه ومعهم ثياب تكفى جماعة فعند ذلك لبس لؤلؤ زيهم لان زيهم كان غريب (قال الراوى) فبقى لؤلؤ كأنه واحدا منهم فقال الحكيم إقليدس أريد منك الف فارس يكونوا قريبا من عسكر الملك كوجار فقال له سمعاً وطاعة ثم ان لؤلؤ سار بالليل واختلط بالقوم وكان الملك كوجار فى تلك الساعة قد جلس على سرير مملكته وبين يديه شمعة تقد وجميع العساكر قيام بين يديه وولده ميرون قد أتى الملكة

زنانير وهو يعضدها ويخدمها وهى باكية العين حزينة القلب مطرقة إلى الارض فأمر الملك كوجار بحملها إلى سرادقه وكان الملعون عقبة حاضرا فى ذلك الوقت وقد فرح بأسرها لان قلبه ملآن منها وفيه حرارات زائدات وما عذبه الامير أبو محمد البطال بمثل ماعذبته هى لما وقع فى يدها فقال الملعون عقبة احتفظ بها أيها الملك فان لؤلؤ غلام أبو محمد البطال مايتخلى عنها فعند ذلك ضحك الملعون ميرون وقال هذا الشيخ أرعن وخائف وأنا فى هذه الليلة أرفع السلم الى عندى لاتقدر عليها الجن فضلا عن الإنس (قال الراوى) ثم ان الملعون ميرون أخذ الملكة زنانير وطلع بها إلى طارمته ثم انه زاد فى إكرامها وقدم لها الطعام الفاخر فأبت الملكة زنانير ان تأكل كل ذلك غيظا لما قدجرى عليها من أسرها وقد زاد بها. ابن الملك كوجار حبا وقد شغف بها شغفا عظيما وهو أيضا يقول فى نفسه ترفق بها عسى أن تطاوعنى على ماأريد (قال الراوى) هذا وقدجعل عقبة يوصى ميرون بحفظها والاحتراز عليها من لؤلؤ غلام الامير أبو محمد البطال فقال ميرون فى نفسه وهذا الشيخ قد بلانا المسيح به فهذا ما جرى لميرون والملكة زنانير (وأما ماكان) من لؤلؤ وأصحابه فانهم لبسوا زى عسكر الملكة زنانير والملك كوجار هذا وقد سار بهم لؤلؤ الى أن دخلوا عسكر الملك كوجار وقد سمع ورأى ما جرى بين ابن الملك كوجار وبين الملعون عقبة من الكلام جميعه فلما أتى الملعون ميرون الى خيمته فدخلها ورجعت البطارقة عنه هنالك ذهب لؤلؤ الى مكان استتر فيه من اللعين عقبة الى أن دخل الليل عليه ثم أن لؤلؤ سار من مكانه حتى دخل الى الخيمة وأخفى نفسه فيها لعله يسمع كلاما وكان الحرس قريبا منه فى ذلك المكان فعندها سمع الملعون ميرون وهو يراود الملكة زنانير عن نفسها وهى تأبى وتجاوبه باغلظ ما يكون من الجواب وكلما لين لها الكلام اغلظت عليه أيضا فى الخطاب فلما رأى لؤلؤ الى ذلك غضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد ولم يقدر يقربها فقام ابن الملك الى ناحية أخرى بعد ما قاسا منها الجهد الجهيد ومن شدة ماجرى عليه غلب عليه النوم فنام (قال الراوى) فلما رأى لؤلؤ الى ميرون قد نام انتهز الفرصة وتخطا رقاب الحرس وهان عليه هلاك نفسه فلما نظرت الملكة زنانير الى لؤلؤ عرفته فاشار اليها بيده انى قد أتيت طالبا لخلاصك فساعدينى على ذلك (قال الراوى) فلما أن سمعت الملكة زنانير من لؤلؤ ذلك الكلام فرحت الفرح الشديد وقد تهلل وجهها ونهضت قائمة وأتت اليه فتخطى بها رقاب الجرس النيام وسار بها فى الليل وقد سلكوا بعض الطرق الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فنظر لؤلؤ غلام البطال واذا بصومعة راهب فقصدها لؤلؤ واذا به شيخ كبير فنزل اليه وفتح الباب وترحب بهم

وأمرهم بالدخول الى عنده واحضر لهم مأكولا ومشروبا فاكلوا وشربوا (قال الراوى) ولما فرغوا من أكلهم وشربهم سألهم الراهب عن حالهم فاخبروه ببعض القصة وأنكرت الملكة زنانير اسمها لخوفها هذا وقد جعل الراهب يلح اليها بالنظر فاعجبه حسنها وجمالها ووسوس له الشيطان وقد قال فى نفسه اذا ناموا أقتل أنا هذا الرجل وآخذ هذه الجارية لنفسى (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وان لؤلؤ حسب هذا الحساب الذى حسبه هذا الراهب فقال لؤلؤ أنا لا أنام هذه الليلة حتى أننى أبصر كيف يكون حالنا وأمرنا فلما ان كان تلك الليلة جعل لؤلؤ روحه نائم ووقعت الملكة زنانير ساعة ثم نامت (قال الراوى) فلما علم الراهب انهم نائمين حسب انهم قد غرقوا فى النوم فصبر عليهم ساعة وهجم عليهم فلما قرب منهم قام لؤلؤ مثل الأسد وصاح به ياأخس الرهبان الى أين إلى أين وتقدم اليه ومسكه من مراق بطنه ورفعه وقد جلد به الأرض وقد مضت روحه إلى النار وبأس القرار (قال الراوى) فلما جرى ذلك الأمر نادى لؤلؤ بالملكة زنانير وقال لها أيتها الملكة قومى انظرى فعندها وثبت الملكة زنانير أسرع من البرق وقد نظرت الى الراهب وهو ملقى كأنه النخلة السحوق فسألته الملكة زنانير عن ذلك فحكى لها جميع ماتم وماجرى فشكرت لؤلؤ على ذلك ثم أنهم فتحوا باب الدير وخرجوا وهم يتحدثون بحديث ذلك الملعون وقالت له لابد له أن ينفر علينا الملك ميرون فقال والصواب عندى أننا نقصد حصنك أيتها الملكة فقالت وحق المسيح لقد كان قلبى غير مستريح منذ دخلت المسلمين الى هذه الديار ولاسيما ماجرى مع ملوك البحيرة والآن فى قلبى منهم النار التى لاتطفى واللهيب الذى لايخفى والصواب عندى أننى أصحبك الى بلاد الاسلام وحق المسيح هذا هو الصواب وأفارق مالى وملكى فى هواك ونحظى أيضا بجمال الملكة زنانير وهذا ماهو فى هوى نفسى كثير (قال الراوى) فهذا ماجرى للملكة زنانير ولؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال (وأماما كان) من الملك ميرون فانه لماأصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح خرج من خيمته فقال له الملعون عقبة لعنه الله أيها الملك ما فعلت بالملكة زنانير فى هذه الليلة فقال له الملعون ميرون وحق المسيح مانعتنى عن نفسي وماقدرت عليها فقال له الملعون عقبة أيها الملك كنت أخذتها غصبا (قال الراوى) وقام الملعون عقبة لعنه الله بعد ذلك الكلام قائما على الأقدام وأخذ بيد الملعون ميرون وتقدم به إلى الخيمة التى كانت فيها الملكة زنانير ليدخل اليها ويتحدث معها وينظر الى حالها فلما دخلا الى الخيمة فلم يجدوا لها أثر ولاوقعوا لها على خبر فلما نظر الملعون عقبة وميرون إلى ذلك بقى ميرون متحير متفكر فى أمره فلطم على وجهه حتى خرج الدم من

منخريه فقال الملعون عقبة ياملك النصرانية أنا ماقلت لك احترز عليها وأنا أعلم أن ما خاصها الا لؤلؤ غلام الامير أبو محمد البطال ولكن ان تركته يخاص ويروح بها ماأنا القاضى عقبة ابن مصعب ثم انه شد عليه وخرج هو وغلامه فقال له الملعون ميرون وأنا معكم (قال الراوى) وكان هذا الغلام الذى للملعون عقبة اسمه مرتوما فلما نظرهم الملعون ميرون وقد عزموا على الرحيل قاو لهم وأنا معكم فلم يخالفوه ثم انهم أخذوه معهم وساروا ولم يزالوا سائرين مدة ثلاثة أيام حتى أشرفوا فى اليوم الرابع على ساحل البحر وإذا بحراقة سائرة فأوما اليها الملعون عقبة لعنه الله وناداهم فقربوا اليهم وأخذوهم معهم ولم يعرفهم ميرون بنفسه مخافة أن يكونوا أعـــداء له أو لابيه الملك كوجار فيأخذوه أسيرا (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين فى تلك الحراقة وقد أخذ عقبة غلامه وابن الملك كوجار وقعدوا يتحدثوا فقال بعض البحرية للآخر يا أخى كنا سمعنا بأن الملكة زنانير ابنة الملك صلبوتا عشقت لرجل مسلم وأخذها وخرج معها إلى بلاد الاسلام فقال واحد منهم ياقوم كيف تجاها من هذا الموضع (قال الراوى) هذا كله يجرى وعقبة يسمع هو وميرون الكلام الذى يجرى بينهم هذا والمركب سائره بهم تقطع السير من شدة الريح والريس ما سك الصارى وهو يقول يا قوم أعتدلوا وأرجعوا الى قدام فقال له بعض البحرية وما الخبرياريس فقال له انى نظرت إلى ريح أسود وقد أقبل علينا من صدر البحيرة على قوة النو ومن وراء ذلك الريح ريح أسود عظيم وانى خائف منها والنو قد تغير على كثرة الماء وقد بدأ يضطرب منه المركب التى لنا وما رأيت فى البحر أشد من هذا الريح الذى طول عمرى ما رأيت أشد منـــه وهو يدل على غبار عظيم فالمسيح يسلمنا منه (قال الراوى) فلما سمع عقبة من الريس ذلك الكلام طار قلبه وتحير فى أمره وقال فى نفسه ما هو كثيران غرقنا هاهنا ولكن أنا رجل كثير الفضول وإلا أيش كان لى أنا هذا فى الأمر حتى خرجت من موضع كنت فيه آمن على نفسى ولا كان شىء يلزمنى ولا ها هنا من يطلبنى وما برحت حتى أرميت نفسى فى المهالك وأن المسيح لا يرضى عنى بذلك (قال الراوى) ثم أن عقبة التفت إلى غلامه مرتوما وقال له يا غلام إذا قضى علينا المسيح بقضاء وتم علينا أمر من الأمور وسلمت أنت فبلغ عنى السلام لأهل ماء العمودية وقل لهم مضى الشيخ النجيح ولا تقول لأحد من المسلمين على هلاكى حتى لايشتموا بى المسلمين فوحق حنا ومريم والصليب ما أسفى على هلاكى ولا أسفى إلا على أن مابقا للمسلمين من يشغل قلوبهم فقال له غلامه ياسيدى حاشاك من الغرق وأنا أكون فداك من جميع الشرور فقال له عقبة وحق المسيح ان نفسى تحدثنى بألشر وما

هذا الأمر إلا أمر عجيب وما ذكرته لك فوحق المسيح انى خائف منه (قال الراوى) فما استتم عقبة كلامه حتى خرجت عليهم ريح باردة قوية وقد انقلب البحر أسفله الى أعلاه وكثر زبده وعلا موجه فبينما هم كذلك واذا هم بموجه مثل الجبل العظيم التقت على تلك الحراقة فاقلبتها وقد قطعتها وافترقت من سائر الجنبات وحل بأهل المركب الشتات هذا كله يجرى عليهم وعقبه قاعد فى مكانه لم يبرح منه فعندها قصد اليه بعض البحرية وجذبه بيده من لحيته وقال له يا شيخ النحس كل واحد يلزم موضعه ومكانه فوحق الإنجيل لولا أنك شيخ كبير لارميناك الى البحر فما أقل عقلك ولكن أنت معذور وما تعودت بركوب البحر (قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا هم بمركب صغير قد أقبلت من صدر البحر فالتقطت الغرقا كلهم من على وجه الماء فهو كان سبب سلامتهم وقعدوا فى ذلك المركب الصغير وانقلب الريح بريح طيب ذلك اليوم والثانى واذا بريح قد خرج عليهم فطير القلع والمقاديف وقد سقط الريس من على رأس التابوت فقال عقبة هذا هو الهلاك الأكبر بعينه وما بقى لنا من يأخذنا من ها هنا فيالها من سفرة ما أعظمها وأيشمها (قال الراوى) هذا والارياح زادت واشتد الريح وأسود الأفق ولم ينظر الواحد منهم صاحبه وأيقنوا بالغرق وكادت تزهق نفسهم وقد ردهم الريح العاصف الى ورائهم وزاد بهم البلاء ولم يبق لهم قلع يلقوا به الهوى وهاج البحر بهم وماج وتأججت نيرانه وتطاير شراره وزاد أرعاده وأبراقه (قال الراوى) ثم أن الريح قد هدى وعاد البحر استوى وساروا الى أن قاربوا باب البحر واذا أيضا بالهوى قد عاد أقوى وأصلب مما كان وقد عاد أسود واذا هم بالمركب قد اشتال وانحط هكذا مدة سبعة أيام فلما أن كان بعد السبعة أيام صبت عليهم أرياح باردة وكان هذا آخر حسابهم فلم بقوا يقدروا يخرجوا أيديهم مما أخذهم من الرعد والبرق والبرد (قال الراوى) وقد جعل المركب تسير مع حدة الهواء والماء ولا يردرأسه كانه الفرس الجارى اذا ملك عنانه أو جرى فى ميدانه ولم يزال على ما هو عليه الى أن قالوا أهل المركب ياويلكم أستغيثوا بالسيد المسيح فعند ذلك قام الملعون عقبة لعنه الله قائما على قدميه فى وسط المركب وأخرج رأسه وأشار الى من فى المركب وقال ما كنتم بالذين تهلكون وأنا معكم ثم أن الملعون عقبة أومأ بيده الى البحر وقال أيها البحر أسكن بحق من أكل لحم الجمل وأحسن القول والعمل ولم يأخذه فى ذلك كسل وبحق ورق الشجر وهفيف الريح عند السحر وبحق معجزات مريم فلقد حيرتنى وفى بلاك أوقعتنى إلى يوم المحشر وقيام الساعة ولقد خسرت فيك البضاعة وأوحلتنى فى هذه

الساحة فبحق عامود القدرة وبحق الرهبان أقسمت عليك أيها البحر أسكن فأنا هدية المسيح التقديس تقديسا (قال الراوى) فعندها سكن البحر لما يريده الله تعالى من بعد اضطرابه وهدأ جريانه وانقطع الريح وسار المركب على الإستواء وزال ذلك البرد الذى حل بهم من ذلك الريح البارد فلما نظروا أهل المركب ذلك من عقبة الملعون أقبلوا عليه وصاروا يترامون على أقدامه يمسحوا بها وجوههم ويقولون له ياحجة المسيح فى عباده وأخبر من فى بلاده فما كنت الا بركة منزلنا وما جاء بك المسيح علينا إلا رحمة لنا ثم سار المركب ساعة من النهار وقد دخل فى قلب عقبة رعب عظيم وخطر فى قلبه شيئاً مايجسر إبليس أن يتظاهر به قال فى نفسه ما أنا إلا على الحق لأن عقبة لعنه الله لما نظر إلى البحر قدهدأ من جريانه واضطرابه قال فى نفسه وما دين المسيح الادين صحيح وإلاما كنا سلمنا من هذه البليات ولو ان مسلم يتوسل ويدعو لما استجاب المسيح منه وأما المسيح عيسى بن مريم على الحق (قال الراوى) وأن الملعون المفتون الخنزير الذى عظمه ولحمه لم يكن فيه شعرة توحد الملك الجليل وهو عقبة بن مصعب السمى لما تكلم بهذا الكلام أمر الله تعالى ملائكة البحر أن تأمر الماء أن يطلب وتصفق أمواجه ويعلوا زبده وفى ذلك الوقت أحاطت المركب بالبلاء وبكل من فيه فقالوا لعقبة لعنه الله ياشيخ ماللبحر قد تغير بعد ماكان قد هدى ووقف عنا البلاء وها هو قد عاد الى ما كان عليه فما أنت الا خبيث فى دعاك فليتنا ما كنا نظرناك ولا رأيناك فما أنت إلا شيخ الضلال ورأس الفتن وماأنت الا كما قال الشاعر

حل بنا الويل والبلاء ☆ وأقبل الشؤم والقضاء

(قال الراوى) ولم تزل المركب سائره والمقادير تجرى حتى نطحت الجبل بهم وكان هذا الجبل فى البحر فلم يتمالك كل من فى المركب أن يضبطوا راس المركب لحدته وعظم خفته فدق الجبل وانقطع القول والعمل ولم يبق لأهل المركب من ذلك حيل وقد تفصل المركب قطعا وتبضع بضعا وطلبت كل قطعة منه مكان فعندها غرق ميرون ابن الملك كوجار وسلم عقبة لعنه الله لأنه خبير بكسر المراكب لأنه كان معه عادة لما قد قاسى فى طول عمره من الشدائد فعندها تعلق بلوح من ألواح المركب ثم انطرح على وجهه لعلمه أن شدة الريح لابد أن يكسر المركب فتعلق عقبة بذلك اللوح من ألواح المركب وقد عانق اللوح بكلتا يديه والتزمه كالتزام الصغير لثدى أمه وحدفه من البحر فى غار فى الجبل فعند ذلك غمض الملعون عقبة عينيه وجمع مثل الكلب أذنيه وبقى الماء يدفعه تارة ويحطه أخرى وهو فى ظلمات البحر فبقى على شهيق ونهيق وزفير وهو لم يعلم ما يريده الله

به من قضائه وقدره وقد أيس الملعون من روحه وهو سائر تحت الجبل نهاره وليله فى الظلام ولا يعلم أين هو سائر إلى أن أخرجه الماء فى اليوم الثانى إلى فضاء من الأرض وإذا بالماء قد سكن والهوى قد فتر ففتح الملعون عقبة عينـــه الصحيحة وقد استنشق الهوى وخلا روحه من على اللوح وكان ذلك سبب سلامته ثم تمَّ سائر وهو غريق والماء يضربه كما يشاء الله من سلامته إلى أن قذفه إلى ساحل البحر فلما صار على وجه الأرض وإذا هو بناس على الساحل فلما نظروه مسكوا بيده وجابوه إلى ملكهم فلما رآه عقبة قبل له الأرض وسجد فقال لهم الملك من هذا الذى معكم فقالوا له أيها الملك هذا غريق وقد وجدناه فقال لهم لا يكون من تحت الجبل الأحمر والميل الأصفر فقالوا له قومه نعم (قال الراوى) وكان هذا الجبـــل على ساحل البحر وهو جبل عظيم مسيرته خمس فراسخ فى البحر وكان يقال له الجبل الأحمر لأنه كان كالعقيق الأحمر فلما سمع الملك ذلك الكلام من بطارقته بقى ينظر اليهم طويلا وقال لهم ياقوم لقد كانوا آباؤنا يقولوا ان هذا الجبل ما رأينا أحد انجا من تحته ولا يعلم أحد منا ماوراء هذا الجبل ولولا أن المسيح له بهذا الشيخ عناية عظيمة لما كان مسلم من هذا الجبل ولا شك إلا أنه من بعض القديسين قد أرسله الينا السيد المسيح فلما نظره عقبة قال له أعلم ياسيد الملوك أن حديثى عجيب وأمرى مطرب غريب ثم أن عقبة جعل يحدث الملك وكان يسمى شمس الفلك بجميع ما جرى عليه وجعل يحدثه بقصته من أولها إلى آخرها فعند ذلك قال له الملك وحق المسيح يا شيخ ما حديثك إلا أحسن من حديث ذلك الراهب الذى أتى الينا من أيام ومعه أبنته ولقد حدثنى بكل عجيبة ما سمع أحد بمثلها (قال الراوى) فلما سمع عقبة بذكر الراهب الذى كان عنده وبنته الراهبة التى كانت معه فقال فى نفسه وحق المسيح أن كان يصدق حذر القاضى عقبة ولا يخيب زجره ما هو إلا لؤلؤ والملكة زنانير هذا وأن عقبة قال للملك ياسيدى صف فى الآن صفة القس والراهبة فقال له الملك ياشيخ أما الرجل فهو طويل من الرجال مليح الصورة والشكل طويل الشعر مقرون الحواجب أسود العينين دقيق المحاسن يتعجب منه كل من ينظر اليه ويراه كأنه القمر المنير أو البدر المستنير وأما الجارية التى معه فما سمعت ولا رأيت أحسن منها ولقد سألته أن يزوجنى بها فقالت لى الجارية وحق المسيح والسيدة مريم ما يمكننى لأننى وهبت نفسى لدير قامه وإنى أيها الشيخ رأيتها كأنها الفضة المسبوكة قد صبها المسيح فى قالب الجمال وأخرجها إلى الخلق ففاقت جميع النساء بهاء وكمال وانى إذا ذكرتها أبقى متحير فى أمرى وان كنت نائم أحلم بها انها قدامى وإنى نادم غاية الندم كيف لم أضبط القس عندى يعنى

القس الراهب فعسى ان كان طال بها المدى أحسنت إلى وحنت على (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك الكلام قال له ياسيد ملوك النصرانية لقد تمت حيلته عليك وقد تخلص من يديك فهذا الراهب الذى ذكرته فتنة النصرانية وسراق الملوك وقاتل من غنى وصعلوك وانه رجل محتال وانه يعرف باللصوصية وهو ألعن أهل زمانه من الملة المحمدية هذا أيها الملك هو حسرة الملك هرقل والملك منويل ملك أرض القسطنطونية وهو الذى أخذ حلة الملك ارمانوس وأخذ التاج من على رأس الملك أصطفانوس وقتل الملك الفالوغس وأخذ بنته أصطفانوس وهو قاتل الرهبان والقسوس هذا لؤلؤ غلام البطال العيار المحتال والجارية التى نظرتها معه فهى الملكة زنانير ابنة الملك صلبوتا صاحب بحيرة الفلك وقد احتال عليها وأخذها وهرب بها وقد انقلبت البحيرة عليها بمن فيها وقد تفرقت المراكب فى سائر طرقات البحر وبقايا الملوك قد ركبوا البحر يفتشوا عليها بمن فيها فكيف وقع فى يدك ثم خليته ينفلت ثم قال عقبة آه ثم أواه لو وقع فى يدى ما كنت أبقيته وكنت نتفت لحيته وسلخت جلدة رأسه وضربته بالسياط حتى كنت أنزل لحمه عن عظمه وكنت آخذت هذه الصيدة منه لأنها قد أطاعته ولكن ماوجدت من يعرف طلبها غير الذى قد اصطفته لنفسها الا انه لما دخل عليها قلت لها انا مرادى فيكى قالت ولمثلى يقال هذا المقال وأنا لاأرضى لنفسى بالرجال ولا أشتغل إلا بربات الحجال ولكن ان وقعت بها وبدلك الشيطان لاتركن فى أرجلهم القيود الثقال ولأسحبنهم بالسلاسل والأغلال واقطع من ذلك الكلب القذال وأيضا انتف دقنه مع السبال (قال الراوى) هذا وان الملك شمس الفلك أمر الغلمان أن يأتون لعقبة بثوب يلبسه فأتوه بثوب أطاس مقصب بالذهب وعلى طرازه مكتوب حنا ومريم والصليب ثم أنه أجلسه إلى جانبه وابتدأ عقبة يحدثه بعجائبه والملك قد أصغى اليه وأقبل بكليته عليه ثم قال له يا أبونا أريدك أن تقيم عندى وتكون صاحب حلى وعقدى فقال له عقبة هذا الامر اليك أيها الملك وها أنا لك وبين يديك (قال الراوى) وأما عقبة فانه صار الآمر الناهى فى تلك المدينة لايقطع الملك شمس الفلك أمر إلا يأمره ورأيه ومشورته وتدبيره المعكوس المنحوس (قال الراوى) فهذا ما جرى ها هنا من الكلام (وأما ماكان) من أولاد عقبة فانهم قد قال بعضهم لبعض ياقوم وحق المسيح لقد انقطعت أخبار أبونا عنا وما يصح منا ان نخلى أبونا يمضى هدر فقالوا نبعث أحدنا يقفو أثره ويطلع على خبره ولا يأتى الينا الا بالكلام الصحيح فقال لهم حصيصه يا أخوتى أنا آتيكم بخبر أبيكم (قال الراوى) ثم ان حصيصه قال لاخوته ياأخوتى يسير

كل واحد منكم على طريق فقالوا له ما لنا مثل طريق السويديه وتخرج منهم إلى أرض الناووس ونقصد إلى طريق بالووشمساط إلى بلاد الكرد ونطلب بلد السلسلة ونخرج منها إلى انكورية وننزل من وراء قونية ونطلب قرية الارمن العليا وندخل إلى طريق حصن برسوما ونطلب الكهوف الشطبه ونأتى إلى بعض النواويس ونتم منها الى ان نشر على البحر فان رأيت مركبا فاركب فيها وادخل إما القسطنطونية واسأل عنه فان أعطيت خبره فهو المنى والسؤال والا أكون قد أخذت الخبر من البلد من دار الملك منويل ولا آتى اليكم إلا بخبر صحيح البيان ولا تسمع من أحد فليس الخبر كالعيان ثم انه تزيا بزى الرهبان وجعل على رأسه برنس أسود وشد فى وسطه زنار وجعل على أكتافه ما سوحة سوداء وخرج وسار حتى وقع فى بلاد الروم فاصار الى أى موضع أتى اليه تسألوه فيقول لهم أنا ابن الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح فيرفعون قدره ويكرموه ويبجلوه ولم يزل يدور من مكان الى مكان ويسأل عن أبوه فلم يسمع له خبر حتى وصل الى أرض القسطنطونية ثم انه دخل عليه الوزير ابن الثلجى وقبل الأرض بين يديه وسلم عليه وعرفه بنفسه بأنه حصيصه ولد الشيخ النجيح فقال الوزير وحق الصليب والإنجيل ماسمعنا له خبر فقال له ولا سمعتم لأبى محمد البطال خبر فقال له بلى

سمعنا ان أبو محمد البطال دخل إلى بلاد الملك صلبوتا

صاحب بحيرة الفلك وتم له كل نوبة عجيبة وان كان أبوك

فى ذلك المكان بخبره يظهر أينما كان فقال له

حصيصه يامولانا أنت حققت الخبر بأن

أبو محمد البطال هناك قال نعم

تم الجزء الثامن والعشرون ويليه الجزء التاسع والعشرون

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المتمانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء التاسع والعشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فأقام حصيصه ابن عقبة أيام قلائل وخرج طالب بحيرة الفلك ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى جبل عالى فصعد فوق رأس ذلك الجبل وإذا هو بالبحر من تحته يتلاطم بالأمواج فقعد ساعة زمانية ينظر فبينما هو كذلك إذ لاحت منه التفاتة فرأى الى دير هناك فقال فى نفسه امضى إلى ذلك الدير وانظر إيش فيه فان كان فيه أحد أبيت هذه الليلة عنده وان كان خالى فابات أيضا فى جانبه الى الصباح فانظر ما يكون من أمرى (قال الراوى) ثم أن حصيصه أقبل الى ذلك الدير وإذا فيه رجل شيخ كبير فلما نظر حصيصه إلى ذلك الشيخ سلم عليه فرد عليه السلام ثم سأله عن حاله بعد ماقدم لهمن عنده زاد وأطعمة فاكل حصيصة وكان قد مسه الجوع ثم قعدوخلع ماعليهمن الثياب وانطرح فلما أخذ له غفوة وقد استراح فقال له ذلك الشيخ ياغلام من أين جئت فقال من بلاد الاسلام طالب الى جناب ملك القسطنطينية فلما وصلت اليه قضاحاجتى من عنده وخرجت أزور وأدور هذه البيع والكنايس والديوره المباركة وأتبرك بها وبمن كان فيها ثم أن الملعون خرج من عنده وسار طول ليلته ونهاره حتى أقبل على دير هناك فدخل اليه فلم يجد هناك أحد فبات فيه تلك الليلة الى أن أصبح الله بالصباح خرج من الدير وجعل يسير طول نهاره إلى أن أقبل عليه الليل واذا هناك كهف فدخل اليه ونام الى الصباح فلما أن أصبح الله تعالى بالصباح نظر إلى الكهف فنظر فيه عدة قبور فقام ينظر اليها واذا مكتوب عليهاهذهقبور الرهبان الذين خرجوا من ديار الاقامةهاربين على وجوههم لا يلوون

إلى راحة بل طالبين السياحة وقد ناموا تحت حيط البيعة فسقط عليهم الجدار فماتوا شهداء وعاشوا سعداء (قال الراوى) فلما نظر حصيصة الى ذلك قال الهرب الهرب وكان يريد أن يترهب فقال ياسيدى يامسيح نذرا على لك عندى وفى عنق اذا رجعت لا أغسل بالماء جسدى أبدا ولولا الحاجة الى شربه ما قربته أبدا ثم أن حصيصة خرج من ذلك المكان وقد أصبح عليه الصباح ثم جعل يسير ولم يزل سائر الى أن أتى عليه الليل بالاعتكار فوصل الى غار فدخل فيه وبات الى الصباح فلما أصبح طاف فى ذلك الغار وإذا فى وسطه صنم من النحاس وعنده شيخ كبير جالس وهو تارة يسجد للصنم وتارة يدعوا بين يديه فلما رآه حصيصة قال ياشيخ من تكون فقال له ياولدى أنا عبد منقطع هاهنا من مدة عشرين عام أعبد هذا الصنم وقد رأيت على عباءته البركة العظيمة فلهذا ما أفارقه وقدنهانى عن عبادته خلق كثير وأنا أحتال عليهم وأغتالهم وأرميهم فى تلك الحفيرة التى تراها بين يديك فقال له حصيصة المسيح يقويك ياأبونا على ماأنت عليه ثم انه سار على وجهه ولم يزال سائر طول نهاره ولياته فوجد كهف فدخل فيه وبات تلك الليلة ولما كان وقت الصباح قام ودخل إلى صدر الكهف وإذا هناك صخرة كبيرة وفضاء عظيم ولم يزل سائر حتى وصل إلى باب مضيق فدخل فيه وإذا به قد خرج من ذلك المضيق إلى بيعة عامرة وقلاية عالية وأماكن متسعة وتلك القلاية مبنية بالحجارة مبلطة بالرخام والاسفيداج من فوق حائط البيعة مكتوب عليها باللازورد أسطر بالذهب واذا هناك مباخر وقناديل بلور وثياب حرير برانس وستور معلقة وأسرة مصفوفة وكراسى من ذهب عليها الأناجيل ودنان مصفقة وعلى رؤوسها كيزان وهى مملوأة بالخمر وصناديق بالنذور وملآنة من الذهب والفضة وثياب بعضها على بعض وقبور ونواويس وفيه أيضا توابيت وإذا هو يلوح على بعض النواويس عليه مكتوب هذه قبور السادة وهم مكرة الصالح وعين الخالص ويوحنا الصادق ولوقا الناجح وبطرس الفالح وجرجس الروحانى واصطفانوس الروحانى فلا رحم المسيح من رآهم ولايتبارك بصناديقهم ولايتفقدهم بشىء من خالص ماله ونواله (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكانت هذه البيعة يأتى اليها النذور من سائر بلاد الدوم فتجمع فى تلك الصناديق من العام الى العام فتأتى ضعفاء الروم فيأخذوها وكان لايقدر أحدا يأتى الا اذا دارت السنة واذا جاءوها قبل أن تدور السنة فلا يقدر أحد عليها فلما نظر حصيصة الى ذلك قال وحق المسيح ما معى شيئاً أتركه ولكن لابد لى أن آخذ منه شيأ وكان حصيصة عمد الى قنديل من الذهب الأحمر فأخذه وخرج ليطلب الباب اذا هو بالباب مسدود وقائلا يقول له دع من يدك ما أخذته وإلا هلكت

فتركه حصيصة ولم يأخذه وقال السلامة خير من العطب فوجد الباب مفتوحا فقال ان هذه البيعة كانت مسجد للمسلمين وكان قد صلى فيها ناس كثيرة من المسلمين اذ أنذروا نذرا يحملوه اليها ويقيموا بقوانينها وقوانين أعيادها فعند ذلك تغلبت عليها الروم وقد استخلصوه منهم وحازوه اليهم وغيروه كنيسة ودفنوا فيه أصحابهم وملوكهم وقد صاروا يتبركون بها وصارت عندهم معجزة لذلك الإوان هذا وان حصيصة لما خرج من ذلك المكان وسار يومه أجمع الى أن أشرفت على دير هنالك أقبل عليه واذا هو بباب مغلوق فلم يزال يعالجه حتى دخل اليه وإذا أيضا هنالك رجل جالس فسلم عليه فرد عليه السلام بكلام الروم فقال له يا هذا من أين دخلت على والباب مغلوق فقال له حصيصة أنا ولد من لايغلق فى وجهه باب ولا يكون دونه حجاب لأنه الشيخ المهاب وهو فى عقله مهاب فقال له يابنى وحق المسيح مانعرف من هو بهذه الصفة الا الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح القاضى عقبة فقال له حصيصة ياهذا وانا ولد من به تكلمت وبه الى السيد المسيح توسلت وتقربت وهو حجة المسيح على عباده ورحمته فى بلاده وأنا من بعض أولاده فأنا ثمرة فؤاده وأنا سواء عينه الذى يبصر بها ويده التى يبطش بها وأذنه الذى يسمع بها فقال له ذلك القس الكبير وأنا رشاده وهداه (قال الراوى) وكان هذا القس غلاما لعقبة وكان اشتراه من مدينة شمس الفلك وحصن الدولاب وأنفذه الى هذه الدير وجعله فيه ليأخذ له أخبار من يمر عليه من المسلمين وقد أعطاه صفة الأمير أبو محمد البطال أوخبره بما جرى له معه وجميع ما يتزيا فيه وقال له اذا مر بك أحد من المسلمين فأنفذ الى وطالعنى بقصته وأمره (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما اجتمع حصيصة بغلام عقبة فى ذلك الدير وجرى بينهما هذا الكلام والمشاجرة والخصام فوسوس له الشيطان وقال يوشك أن يكون هذا من غلمان أبو محمد البطال أو أبو محمد البطال بنفسه وقد حذرنى سيدى من مكره ومن حيله وربما أنه جاءنى فى هذه الحيلة ليتمم على العبارة أيضا والنصيبة ولولا أنه أعلمنى بأحواله وما هو إلا أبو محمد البطال المكار المحتال (قال الراوى) وكان اسم هذا الغلام سربيل هذا وأنه لما تحدث معه حصيصة بذلك الكلام قعد عنده وأخرج له زاد يأكله وكان قد جاع فأكل حصيصة بحسب الكفاية وقام انضجع ونام من ألم التعب والنصب الذى كان قد جرى عليه وثب له سربيل قائما على قدميه وثبة الشيطان وأوثقه كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وقيده وضربه ضربا شديدا ما عليه من مزيد وما زال يرفسه إلى أن غشى عليه ثم أنه ألقاه فى سرداب هناك ولم يزال سربيل إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح فوقف على شاطىء البحر بعد ما خرج من باب

الحريم يرتقب مركبا يأخذ منه الأخبار ولم يزال طول النهار إلى أن أتى عليه وقت الغروب فلم يأتيه أحد فبات تلك الليلة وحصيصه فى القيد والضرب والعذاب (قال الراوى) يا سادة فلما أن كان بعد العشاء الأخيرة تقدم سربيل إلى حصيصه وقال له ويلك تريد تحتال على وتريد أن توصل كيدك إلى والسيد المسيح قد ظفرنى بك لاقطعنك قطعا ولا بضعنك بضعا وفى غداة غد يكون الحساب بيننا (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا وأن سربيل لم يمض عليه آخر النهار وإذا هو بمركب صيادين قد أرسى على ساحل البحر فنزل اليه سربيل ونادى أدخل إلى المدينة وأدخل على الشيخ النجيح وتقول له غلامك سربيل هو قاعد فى الدير والباب مغلوق عليه فلم يشعر إلا ورجل عيار قد فتح عليه الباب فقال ودخل عليه من غير أن يستأذنه وأن خادمك قد نفر قلبه منه ولم يزال يؤانسه ويحادثه حتى أكل زاده وقد أنضجع فى منامه فعندها كتفته وأوثقته كتاف وأرميته إلى السرداب وهو منتظر منك الجواب فأدركه بأمرك وعاجله بما يكون من فهمك قبل ما تأتيه يد عالية عليه فتخلصه منه فيحل منه أمر تكرهه فالعجل العجل فلا تتوانا عنى ساعة واحدة فان الفرصة قدحلت فلا تتوانا عنى والسلام (قال الراوى) كانت المدينة منه قريبة هذا وأن الرجل الملاح لم يزال سائر باقى ليلته ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أتى إلى المدينة ولم يكن بأعجل مما أتى الى عند عقبة فدخل اليه وسجد بين يديه وأطلعه على ما كان من حديث سربيل وكلامه وما فعله فى حق والده حصيصه (قال الراوى) فما كان بأسرع مما ادعا بحراقة لطيفة وعشرة من أولاد البطارقة وأمرهم بالركوب فيها والمسير الى الدير الذى فيه غلامه سربيل ويتسلمون منه ذلك الغلام ويشدوه ويوثقوه كتاف ويضربوه ضربا وجيعا ولا يصلون به البيعة الا أن ينتقمون منه بالضرب والعذاب هذا وقد اعتقد عقبة فى نفسه الخبيثة أنه غلام الأمير أبو محمد البطال أو مولاه وقال هذه نعمة نعم بها السيد المسيح على ويكون قد ظفرنى بأعداى فأبلغ منهم مناى وآخذ بيدى تارى فرد الله كيده فى نحره (قال الراوى) فعند ذلك خرجوا أولاد البطارقة وركبوا فى تلك الحراقة وهم أشد كفرا ونفاقا من عقبة ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الدير وطلعوا من الحراقه وأتوا الى عند سربيل فعندها وجدوه فى أنتظارهم فسلموا عليه وقالوا له أن الشيخ النجيح قد أرسلنا اليك نتسلم عدو دينه ودين آبائه وأجداده هذا الكلب المحتال والعيار المغتال (قال الراوى) فعندها قام إلى البطارقة وهم معه فاحتملوا حصيصه وطلعوا به من هذا المكان وهو أيضا فى غاية من الذل والهوان فاوثقوا كتافه وقووا

شداده وأطرافه وأوجعوه ضربا وأخرج واحداً منهم سكينا كانت معه فصار يضربه بها شمالا ويمين إلى أن تركه مشرحا وهو ملقى على وجهه طريحا وصاروا تارة يسحبوه على وجهه وتارة يضربوه بالسياط وتارة ينتفوا سباله واشتفوا منه بالعذاب الأليم وعذبوه وجاروا عليه وما رحموه وجرحوه جراحات غير قاتلة وبها قد اثخنوه وقاسا منهم أنواع العذاب (قال الراوى) هذا وقد احتملوه إلى عند الحراقه وأتوا به اليها وقد سكت حسه وصار كأنه قد سكن رمسه فأرموه فيها وعادوا وما زالوا يعاقبوه حتى كسروا يديه وشرحوا لحم كتفيه وكسروا ألواح صدره وكسروا عظام رجليه وتركوه ملقا وهو يستغيث بلا يغاث وهو يسألهم بالمسيح والشيخ النجيح فيقولون له أن المسيح قد أرسلنا إلى تعذيبك ورماك فى يد هديته ولعلك تكون من غير أهل ملته (قال الراوى) هذا وقد عذبه عذاب الهداهد وحمصيصه قد أيقن بالهلاك وما زالت البطارقة معه على تلك الحالة وهم سائرين معه حتى وصلوا به الساحل وطلعوا إلى البر ومضى واحد منهم وعرف عقبة فعند ذلك انفذ اليه معهم من حمله ودخل به عليه فعندها عرفه فقال هذا ولدى وحق المسيح والدين الصحيح فيالها من مصيبة ما أيشمها ولوعة ما أشدها وأعظمها ثم أن عقبة أخذ رأس ولده فى حجره وصار يناديه فلا يكلمه ويسأله عن حاله فلم به يعلمه فلما رآه على تلك الحالة لطم بيده على وجهه ورأسه فعند ذلك عاتب نفسه وناح وبكى وعدد على ولده ثم نادى وقال يامسيح لما قد أوقعت ولدى فى هذه المصيبة ولكن أنا الذى أوقعت ولدى فى هذه النكبة ولاظلم لغلامى ولاذنب أبداً لأننى بذلك أوحيته ثم انه التفت إلى ولده وقال له ياولدى كيف تم عليك هذا الأمر فلم يكلمه فشق ذلك عليه وكبر لديه وصعب عليه وكادت روحه أن تزهق وتذهب حنقا وغشى عليه حرقا ثم انه أمر الغلمان ان يغسلوا ماعليه من الدماء فغسلوه ثم انه ادعى بشراب فقطره فى حلقه وجرعه وقد أيس من حياته (قال الراوى) ياسادة ياكرام وقد بلغ الخبر إلى الملك شمس الفلك بماجرى على ولد عقبة فصعب ذلك الأمر عليه وكبر لديه وضاق صدره فأرسل اليه الأطباء فقطبوا جراحاته وداووه وبعد أيام فتح عينيه وتكلم وحدث أباه بما جرى عليه أيضا فى طريقه من الشدائد والأهوال ودخوله إلى أرض القسطنطونية ومافعل معه الوزير ابن الثلجى وبما أكرمه به فعند ذلك فرح عقبة بعافية ولده ودخل الحمام وأخلع الملك شمس الفلك عليه خلعة ثنية وقال له يا ولدى لك الأجر والسيد المسيح يضاعف لك الثواب بما أعطاك وهناك بما نلته من زيارة عباد المسيح فان ذلك الشيخ الذى يسجد للصنم النحاس من أصحابى ومن خيار من يقتدى به ولو كنت حدثته بحديثك أطلعك عليه وهو فى كل

وقت أيضا يزورنى والى صحبته يدعونى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ماجرى لمقبة وولده حصيصة (وأما ما كان) من لؤلؤ غلام أبى محمد البطال والملكة زنانير فانهما لما أحسن الله خلاصهما من ذلك الدير وقتل لؤلؤ ذلك الراهب الذى أراد قتله ساروا فى البرارى والقفار والسهول والأدغال وكانت اذا تعبت أركبها على كتفه واذا نامت سهر عليها وما زالوا كذلك على هذه الحالة من دير إلى كهف ومن صومعة إلى شميف حتى وصلوا إلى جزيرة فيها أديرة وصوامع وكهوف وأشجار وأثمار تأخذ بالأبصار وبعد ذلك قال لها لؤلؤ أيتها الملكة النفيسة والسيدة العظيمة الرئيسة من هنا نستدل على موضعنا ان شاء الله تعالى (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا وان لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال والملكة زنانير طلعوا الى تلك الجزيرة وسكنوا إلى دير خراب وأقاموا فيه ثلاثة أيام فلما ان كان عليهما فى اليوم الرابع من الأيام واذا هم بمركب سائرة فى البحر فلوحوا اليه بالاشارة فقالوا أهل المركب لاشك انه غريق فنحمله معنا من أجل السيد المسيح فلما دخلوا الى البر فوجدوا لؤلؤ والملكة زنانير معه فرفعوهم معهم أيضا فى ذلك المركب وقد سألوا لؤلؤ عن حاله فجعل يحدثهم بأحاديث عجيبة وأقاويل مطربة غريبة وهم يتعجبون والمركب تسير بهم فى البحر والارياح هادئة كما يشاء الله تعالى فساروا ذلك اليوم اجمع وتلك الليلة على مثل العمل والرواح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك لاحت لهم جزيرة فى وسط البحر فقربوا المركب اليها وصعدوا من ذلك المركب يتفرجون فى تلك الجزيرة فطلع لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال معهم وكذلك الملكة زنانير معهم وهو لايفارقها لحظة واحدة فلما مشوا فى تلك الجزيرة رأوا فيهم حجر ينبع الماء من وسطه فوقفوا أيضا على جانبه وهم يتعجبون منه كل العجب وصار لؤلؤ غلام الامير أبو محمد البطال ينظر الى ذلك الحجر ويتعجب منه (قال الراوى) يا ساده يا كرام فبينما لؤلؤ على تلك الحالة واذا براهب عليهم قد أقبل وفى يده قنديل من البلور وفى وسطه حجر وكرر النظر اليه مبهوت فوقف عند ذلك الرجل الراهب وسلم على لؤلؤ بالرومى المغلق فرد عليه السلام فلما تحدث لؤلؤ معه قال له يا أخى الى أين تمضى بذاك القنديل فقال له ذلك الراهب يا أخى الى مقبرة الزيت فقال له لؤلؤ وهل للزيت مقبرة فقال له نعم ونحن هاهنا لانشعل قناديلنا الا من دهن الحوت وما لنا شىء من الادهان الا دهن السمك فقال لؤلؤ يا أخى ومن اين تعلمون بهذه الدابة لو أنك تقدرون على ذلك فقال له يا أخى اعلم أن فى هذا المكان من الحيتان شىء كثير وكيف رأيتم لاتذهل عقلك من عظم خلقتهم وان لنا من السنة الى السنة حوت واحد يظهر لنا فى

أول السنة وفى آخرها فاذا ظهر وطلعت عليه الشمس حمى جسده ويذوب شحمه فيقطر من محاجره عينيه ومنخريه ومن دهن بدنه فعند ذلك نمضى نحن إليه ونقف على رأس المقبرة فتجىء الينا ريح الصبا فيسوق الريح ذلك الدهن إلى المقبرة فاذا امتلأت المقبرة تحرك الحوت فيمتلىء ذلك المكان منه وذلك شىء قل اؤلؤ فعندها ذلك مضيت معه إلى تلك المقبرة فرأيتها ورأيت ذلك الراهب وقد أخذوا الزيت منها وأخذت جميع الرهبان منها يحتاجون اليه فأخذتنى لذلك البهتة والدهشة فعندها مضى ذلك المركب الذى كنا فيها عنا وتركنا وسار فقالت له الملكة زنانير يالؤلؤ اؤمضى ذلك المركب عنا وخلانا وتركنا فمن أين لنا طريق نسير فيها أو نستدل عليها فقال اؤ اؤ ياملكة نتوكل على الله ثم قال كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم انهم أقاموا هنالك أياما ينتظرون الفرج من الله تعالى ويبتهلون اليه فى الخلاص والسلامة (قال الراوى) فهذا ماكان من حديث اؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال والملكة زنانير (وأما ماكان) من حديث الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ومن كان معهم من الأصحاب فانهم لما مضوا إلى قلعة الملك الصابر أقاموا فيها حتى استراحوا وبرئت المرضا من أمراضهم والجرحا من جرحاتهم وصاروا ينفذون الى البحر ويطلبوا من يعود من المراكب ليسألوهم عن أخبار البحر فمرت بهم مركب فى بعض الأيام فسألوه عن أخبار البحر فعند ذلك أخبروهم ان البحر قد انقطعت السيار منه لأن فى جزيرة العود ملك يسمى شمس الفلك وعنده وزير غير صالح وقد أشار عليه ان كل مركب حضر يأخذه ويأخذ كل من فيه من السفارة فلأجل ذلك امتنعت التجار من السفر فى البحر وما بقى مركب يلوح فى تلك البحر خوفا من أخذ أموالهم وما معهم وان هذا الوزير الذى عند هذا الملك يزعم ان له أعداء يطوفون فى البر والبحر عليه وقد احترز بذلك فلا يدع أحداً يطلع إلى تلك الجزيرة إلا يأخذ ماله ويقتاله (قال الروى) فقال لهم الأمير عبد الوهاب وأنتم كيف انفلتم من ذلك المكان فقالوا له يا أمير صانعنا بنصف أموالنا التى معنا حتى فتحوا لنا باب البحر وخرجنا وكان هذا الملك شمس الفلك قد ملك باب ذلك البحر جميعه فلما ولى الملعون عقبة وزارته وصار متولى أموره وأحواله جعل على ذلك الباب مركبا ورجالا بسلاسل حديد بالنوبة يحفظونه ليلا ونهاراً فلم يقدر أحدا يمر عليه الا أخذه ثم انه جعل يستبيح ماله وروحه وان الملك شمس الفلك أعجبه ذلك وصار عنده فى أعلا منزلة (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما ان سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك الكلام قال وحق محمد ﷺ ان كان هذا الوزير الا عقبة وانه قد صار عند الملك شمس الفلك بمكان عظيم واستولى على عقله وقد أعجبه ذلك

التدبير منه ولقد فعل هذا الفعال من خوفه منا فنطلع على أموره وأحواله فيفسد عليه ماصنع ثم انه التفت إلى الامير عبد الوهاب وقال له أنا أريد أن أركب فى مركب وأمضى إلى جزيرة الحوت حتى يظفر أينا يقهر صاحبه واحتال عليه ان شاء الله تعالى وآخذه فى قبضتى فقال له الأمير عبد الوهاب لا تفعل أيها الأمير هذه الفعال فان هذه الطريق طريق بعيدة خطرة ذات أهوال وأخطار وركوب بحار ونخشى أن يجرى عليك أمر من الأمور فتهلك فتكون حسرة فى قلوبنا الى أن تقوم الساعة ونكون قد أمنا من عدونا فيطرقنا الزمان فيك ونخاف أيضا من الملعون كوجار ان يدهمنا بعسكره ولا تكون أنت معنا فكيف تكون أحوالنا من بعدك وأحوال المسلمين من بعدك وان قعادك معنا تدبر أحوالنا وأمورنا وتستعين بالله سبحانه وتعالى على أعدائنا والله سبحانه وتعالى لطيف بخلقه فعال لما يريد من أمره (قال الراوى) فلما ان سمع الأمير أبو محمد البطال كلام الأمير عبد الوهاب قال له يا أخى اعلم من كان به مرضين فليداوى الخطر فيهما وأما انا فلا أخالفك فى أمرك وكون حيث كنت مساعدا للمسلمين أنا وأنت والله سبحانه وتعالى ينصر عصابة المسلمين فلا تقنط ولا تخف انا أسير إلى جزيرة العود ولا أبرح منها إلى أن أشاهد ملكها وأدبر لعقبة أمرا من الأمور وأوريه هل يقهرنى أم أنا أقهره وأفتقد أخبار غلامى لؤلؤ فقد انقطعت أخباره عنى وانقطع بذلك ظهرى وأنا قد اشتقت إلى رؤياه وما يجرى له مع الملكة زنانير وأنا خائف ان يقع مع الكفرة أو فى يد ذلك الملعون فيبطش به فيروح هدرا وعقبة لا يأخذه عنا هدوء ولا قرار ولقد بلينا به بجيش علينا ويقتص آثارنا وكلما يقطع فى أيدينا فنريح الأرض من رؤيته ونقطع عن الخلق ضلالته وغوايته لكانت المسلمين يرتاحوا منه ويبلغوا أغراضهم من أعداء الله وأعداء دينه (قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب قال اما ماذكرت من أمر لؤلؤ فانه أكثر حيلة وأشد بأساً من ذلك فلا تخاف منه ولا تضجر عليه ودعنا نتربص لعدونا فان عمد الينا وقصد الينا لقيناه وان هلك مع غيرنا فقد كفانا الله شره ورد كيده فى نحره وما عودنا الله الا بالخير والنصر المبين هذا وان الاميرة ذات الهمة قالت له يا أمير أبو محمد إنما الشطارة عند وقع المكيدة واليقظة عند الهجمة والصبر عند الشدة والتدبير قبل حلول الرزية وقهر الأعداء بالمؤانسة وأنت سيف هذا الدين وعماد الأمة المحمدية والملة الإسلامية وأنت نور الناظر وشغل الخاطر والسيف القاطع والشهاب اللامع فكيف يكون حال من يفارق حبيبه ويعدم نفسه ويبعد عنه نوره وأنيسه فلا أخلانا الله منك ولا عدمنا مشورتك وانك إذا غبت عن أعيننا لاتبرد قلوبنا إلا

برؤيتك فكيف يطيب على قلوبنا ان ندعك تمضى الى بلاد عدوك وحدك وان ظفر بك حكم فيك بأمره ووصل اليك بكيده وشره.ولا نقدر نصل اليك فنجتهد فى خلاصك من يده وهذه آخر فرصة يفترسك فيها وأن كان غلامك لؤلؤ قد انقطع خبره فلك أيضا فى العسكر غلمان كثيرة فلا أعدمنا الله النظر اليك (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير أبو محمد البطال من الأميرة ذات الهمة ذاك الخطاب والكلام قام لها قائما على قدميه وخدمها وشكرها وقال لها أيتها الأميرة روحى فداكى وفداء ولدكى الأمير عبد الوهاب وأننى بالشكر أولى منى لانكى فارسة الاسلام وناصرة دين سيدنا محمد خير الانام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام هذا وأن الأمير أبو محمد البطال أرسل غلامه إلى عسكر الملك كوجار يكشف له خبره ويبصر له أحواله (قال الراوى) فعندها وجد كوجار على أشد حال يكون لأجل فقد ولده وما بقى أحدا فى العسكر يزحف لقتال ولا يطلب نزال وأنه مما حل على قلبه نزل عن سرير مملكته وليس ثوب أسود وفرش لهرماد أسود وجلس عليه ولا يقدر أحدا من عسكره يخاطبه بجواب (قال الراوى) هذا وقد لزموا الأمراء عند الملك الصابر لأن قلعته طيبة الهوى لكثرة ما فيها من الخيرات هذا وقد صحت الأميرة ذات الهمة وقويت واستقبلت أصحابها واشتاقت نفسها الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وكذلك المسلمين أشتاقوا إلى لقاء عدوهم (قال الراوى) فهذا ما جرى من أمر المسلمين (وأما ما كان) من أمر الملك كوجار فانه داخله من فقد ولده امرا عظيما وخطبا جسيما وحزن عليه لما طلبه فلم يجده فقال ولم يجد الملكة زنانير وقد تفقد عقبة الآخر فلم يجده فقال فى نفسه وحق المسيح والدين الصحيح ويوحنا ومريم والإنجيل المكرم والعيد الأكبر والنور المكرم المعظم ما جرى هذا الأمر قط على ملك من الملوك قبلنا أكون أنا فى مائة ألف فارس وما تم علىّ هذا إلا من لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال هو الذى سرق ولدى وسرق الملكة زنانير ولا بد لى من أظهار خبرهما (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك أحضر وزيره بين يديه فى الوقت والساعة وقال له ما تشير به على أيها الوزير فقال له أيد المسيح ملك النصرانية انفد الآن من عندك جواسيس الى عسكر المسلمين وجواسيس إلى قلعة الملك الصابر واكشف أيضا قلعة الملكة زنانير فان كان لؤلؤ غلام البطال سرق ولدك وسرق الملكة زنانير فانه يمضى إلى قلعة الملكة زنانير فتنزل عليها أيضا بعد ذلك تقاتلها وتلتقط منها أبطالها وربما تأخذها فى ميدان الحرب وتنادى ولدك بها وأن كان محمد أبو البطال طرقنا إلى عسكرنا وهو الذى عمل الحيلة عليهم وأخذهم ننزل على قلعة

الملك الصابر ونشد القتال عليهم ونهلكهم فى البر والبحر وأيضا نلتقط المسلمين ونأخذهم أشد اخذ ونخلص ولد منهم ولا تجزع ولا تخاف فان المسيح يساعدك ومريم تحفظك وتحفظ ولدك (قال الراوى) ثم أن الملك كوجار ارسل من عنده الجواسيس ودفع اليهم الأموال وأرسلهم إلى قلعة الملكة زنانير وقلعة الملك الصابر ليكشفوا له الاخبار ثم أن الملك كوجار سأل عن الشيخ النجيح القاضى عقبة فلم يلق له خبر ولا وجد له حس أيضا فى العسكر فصلب بيده على وجهه وقال انا ما سمعت قط أن يدخل لص إلى عسكر يسرق الملوك والحكماء والوزراء فى ليلة واحدة ثم بكى بكاء عظيما وقال ليت شعرى ما فعل الدهر بولدى وثمرة فؤادى فوا أسفاه عليه فعندها تفرقت الجواسيس فى أقطار الديار والبلاد وساروا من عند الملك كوجار فغابوا عنه أياما وليالى وعادوا اليه وماوقعوا له على خبر وما وجدوا له أثر فعندها انفذ الملك كوجار الى بلاده ورستاقه وأمر أن يعمل له خمسمائة مركب حربية فعملت المراكب معدة فى القتال للبحر وقد لبثوا الرجال الحديد والزرد النضيد واعدوا المراكب وأرموا عليها اللبود الطلاقانية وحطوا على ظهورها الأعلام الحرير والعمد الحديد المعده لقتال البحر وفى المراكب الزاد الكثير ورفعوا معهم الخيل وكلما يحتاجون اليه من آلة الحرب وغير ذلك وفيهم رجال معدة للقتال عليها الدروع والخود والحرير الأطلس ومعهم الأتراس وسائر الآلات وهم رجال طوال غلاظ شداد من بقايا قوم عاد جبابرة من أولاد العمالقة لايبالون بالموت ويخشون من الفوت (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما اقبلوا على الملك كوجار فى هذا الزى والمنظر الذى وصفناه فرح بهم وقام أيضا اليهم ومعه عشرين ألف فارس وراجل وهم ايضا فى أحسن زى وأكمل هيبة بجملين راكبين على الخيول السوابق العتاق وبأيديهم القنطاريات الرومية الماحقة الرقاق والسيوف الرقاق وهم مثل النخيل الطوال الرجل منهم إذا كان قاعد على وجه الأرض يكون مثل منا اذا كان واقف ثم تقدم الملعون كوجار الى عريف البحر وقال له وأنت الذى تكون متولى هذا الأمر بنفسك تكون المشير والمدبر لأمورها وأحوالها ثم انه ادعى أيضا بالنواتية وأمرهم بامتثال أمره فى البر والبحر ودفع لهم من النفقات كفايتهم وأفرغ عليهم من العدة والكسوة وغيرها شيء كثير ثم أنه علق على المراكب السلاح وجعل فيها النواظير حتى انهم ينظروا كل من يأتى اليهم من السفار والأعداء وغيرهم ويعرف إختلاف الأهوية وما يضر منها وما يقع وما يكون الصلاح فيه أيضا للسير وما يتغير من أوقاته وأمرهم انهم لا يسيروا فى البحر إلا فى الأوقات الهادئة الطيبة الرائقة وانهم يكونوا على

أهبة و يقظة وحذر وأمرهم انهم اذا رأوا مراكب أكثر منهم يجتمعوا جملة واحدة ولا يتفرقوا ولا يهجموا على عدو حتى يختبرونه (قال الراوى) فعند ذلك اجتمعت المراكب واستأذنوا الناس أيضا الملك كوجار فى المسير بعد مارفعوا الشراع على المراكب وقدم أيضا الملك كوجار رجل بطريق على سائر المقاتلين وكان جبار من الجبابرة ثم ساروا فى البحر وكان أسطوله كبير عظيم له جلجلة وهيبة وسطوة ثم انهم ساروا وطاب لهم المسير على مثل هذا مدة عشرين يوما فاذا جن عليهم الليل يرسوا بالمراكب فاذا أصبح الله تعالى بالصباح يسيروا بسيروا وتخرج المراكب كأنها البر أو الطير الطائر فى الهوى الى أن بقى بينهم وبين جزيرة العود يوم واحد فعند ذلك تغير عليهم البحر وظهر الهواء واضطربت بهم الأمواج وظهر من البحر عجائب وأهوال وعلا من الماء العجاج وظهر الارتجاج وتصافقت الأمواج وصاح وضرب الاسطول بعضه ببعض وارتفع وقد داخل أهل المركب الخوف والفزع وداخلهم الويل والحزن وأخذتهم الرعدة وأحاطت بهم البلية والشدة وقد عملت فيهم الخمـــدة واضطرب بهم البحر وقد داخلهم القلق والاضجار وتصايحوا من جميع الأقطار وقد أمر الله تعالى ملوك البحــار أن تقلب عليهم الأنهار وأمر ملوك الأرياح أن ترسل عليهم خوافق الأرياح وعاد النهار ليلا وبقى أسفل البحر أعلاه وقذف البحر مافى أعلاه وقذف البحر مافى باطنه وارماه وحل بهم الويل وانقطع أملهم من كثرة السيل ونادى بهم الرجل الملاح ياويلكم اصبروا وامسكوا عنى فقد تارت علينا الأرياح واختلفت كالضرب بالصفاح وقد حل قبض الأرواح وان أنتم اضطربتم سقاكم البحر كاسات الحمام وقذفكم من هذه المراكب الى محل الانتقام فويل لكم وسخط عليكم وغضب المسيح عليكم فقد أهلكتمونى بصراخكم وأشغلتمونى عن أحوالكم والى متى هذا الوسواس فانكم أشر الناس وكلمـــا زاد الأمر زاد البحر هياج وتلاطمت الأمواج فعند ذلك زادوا فى الصراخ وعلا منهم الصياح وزاد العذاب الواصب وقد رموا أنفسهم بالشهاب الصائب وغضب الله عليهم رب المشارق والمغارب لانهم أعداء دينه ودين نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم ريح أسود فانذهل كل من كان فى المراكب وضجر وقلعت مافى رؤوس الجبال وتغير وازداد البحر هيجان وزفر وزمجر وضرب أهل المركب ودمر وبقى كل من فيها فى هم وغم وفكر وقلعت أغصان الشجر فعند ذلك تداعوا أهل المراكب بالويل والعويل واصطدم بعضهم ببعض فما سلم منهم لاقليل ولا كثير وانحطت المراكب الى الفرار ودارت طلعت الى أعلا البحار وتواترت عليهم الارياح الأشجار العوال وقد نزل عليهم البلاء من

رؤوس تلك الجبال وجاءهم العذاب من الله ذو الجلال ورماهم الله تعالى بعذاب عظيم لا تطيقه الجبال ولا الرماح، قد دارت عليهم الدوائر وذهبت عنهم الدخائر وعميت الابصار والبصائر والبطائر ولم يبقى منهم لا جليد ولا صابر ورشقهم الدهر بسهام الغدر وضاع الامل والصبر فما بقى منهم من له جلد وحل بهم الويل والكمد وكان يومهم يوم منحوس وجاءتهم العكوس وما بقى منهم الا من هو فى البلاء والنحوس فكم هلك فى ذلك اليوم من النفوس ولم ينفعهم فى ذلك اليوم لا سيف ولا دبوس ووقع البطريق المقدم عليهم فى النحوس وأصبح جسمه فى البلاء مغموس وبطل دق الطبل والناقوس وصاحوا حنا ومريم والصليب (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولم يتموا كلامهم حتى فرقت الارياح مراكبهم فقطعتها ولطمتها الامواج فكسرتها وفصلت الواحها ومساميرها وصار كل من كان فيها فى قاع البحر وهلكت البحرية والبطارقة فما كانت الاساعة والرجال يلعبون على الماء يميناً وشمالا وقد تقطعت بهم المنية أوصالا وسحبوا من البلاد أوصالا وأذيالا وماكانت الا ساعة حتى هلكوا الكل عن بكرة أبيهم وصارت الأخشاب على وجه الماء ولم يبق لهم منجد ولا مجير لأنهم أشركوا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد القدير وهذا صنع الخبير (قال الراوى) يا سادة يا كرام لقد بلغنى ممن أثق به أنه لم يسلم من هذه المراكب سوى سبعة أنفس طلعوا على ألواح من ألواح المراكب (قال الراوى) وكانوا أهل هذه الجزيرة وقوف على شاطىء البحر ينظرون إلى تلك المراكب وقد أقبلت وبعد ذلك تكسرت فلما انكسرت نظروا اليها وصاروا يلتقطون كل من يطف عليهم من الغرقى وكان الموج يلعب بهم يميناً وشمالا (قال الراوى) هذا وانه قد طلع منهم رجلا غريقا الى جزيرة العود فلما رأوه قالوا اهذا من أصحاب الملك كوجار ولم يزالوا يلتقطون الغرقى واحد بعد واحد حتى انهم التقطوا خلقا كثيرا فى ذلك اليوم والليلة فلما ان كان من الغداة عندما أصبح الله تعالى بالصباح وإذا قد أقبلت هؤلاء السبعة أنفار الذين سلموا وطلعوا على الألواح وهى تلعب بهم الأمواج والارياح فوثبوا اليهم وأطلعوهم من الماء فلما وصلوا الى البر وطلعت عليهم الشمس حتى هلكوا ولم يسمع أحدا منهم كلام ولا وقعوا لهم على نظام (قال الراوى) وكان عقبة واقفا على هذا الخبر وهو فى جملة من حضر فقال وحق المسيح لقد سلمنا من الغرق كما غرقوا هؤلاء وإنما المسيح نظر الى وسلمنى من الشدائد ثم انه سار الى عند الملك شمس الفلك وقال لهم المسيح يرضى عنى ويرضى عنك أيها الملك (قال الراوى) فهذا ما كان من العسكر الذى غرق فى البحر وأما الملك كوجار وبقية عسكره الذى كان فى البحر فان الملك لما أرسل المراكب أقام ينتظران يصل اليه أحدا بخبر المسلمين والملكة زنانير

وما جرى لولده فلما وصل اليه الجاسوس أخبره انه لم يطلع لولده على خبر ولم وقعوا له على أثر فصعب ذلك عليه وكبر لديه وشخر ونخر وكفر وتجبر وأحضر البطارقة بين يديه واستشارهم فيما يصنع فقالوا له الرأى عندنا ان تقصد المسلمين وتهلكهم وتلتقط فرسانهم فاذا حصلوا فى أيدينا وأهلكناهم عدنا إلى قلعة المملكة زنانير وحاصرناها وفتحناها إما بالامان وإما بالحسام (قال الراوى) ولم يزالوا على هذه الحالة حتى أتاهم الجاسوس الثانى وأخبرهم عن خبر عسكر المسلمين انهم قد خرجوا فى طلبهم وهم قاصدين قتالهم فعندها توجه الملك كوجار الى قتال المسلمين ومعه مائة ألف فارس ولم يزال سائر يقطع الأرض فى الطول والعرض حتى وصل الى قلعة الملك الصابر وبقى بينه وبينها مسافة يوم واحد فرأى عجاج عظيم طاير وغبار عساكر قد قام من صدر البرية سائر حتى طبق الافق فوقف عسكر الملك كوجار وقد انكشف ذلك الغبار عن رايات محمدية وعساكر إسلامية فتأملوا الرايات وإذا مكتوب عليها بقلم الرضى لا إله إلا الله محمد رسول الله نصر من الله وفتح قريب وأسنة الرماح تبرق والبيض على رؤسهم تشرق والخيل فى الميدان تسبق والرجال من فوق الصافنات ترشق وهى سائرة مثل الأسود الضارية والزعقات منهم متوالية والأبطال فى منازلهم حامية وقد صالت الأقران وهاجت الفرسان ودقت الكؤوسات وضربت البوقات واشتدت الوقعات وعظمت المصيبات وكثرت الحسرات وصاحت الرجال بالرجال ودمدمت السودان ونفخت البوقات والأعلام وطلعت الشعجان إلى الميدان لأجل القتال وتقدمت الأبطال وتأخر الجبان ولمعت السيوف والطوارق وبرقت الجواشن والبيارق واصدمت الأقران بالسيوف المواحق ونادى الخصم بخصمه وقد تقدمت عساكر المسلمين إلى الكافرين بقلوب مسرعة وصدور منشرحة وهم بالمرهفات الماضية معتقلين بالرماح الخطية العالية راكبين على خيول كالسعالى مسمية للقتال عوالى فمنهم أحمر ديال ومنهم أصفر معدود للنزال ومنهم أشقر يسبق ريح الشمال وقد استتروا بالدرق وظهر منهم على أعداء الله الغيظ والحنق وما منهم الا من هو للقتال أسبق والى لقاء الله أشوق بأيديهم الرماح الخطية وعلى رؤوسهم البيض العادية وعليهم الدروع الداوودية وعلى خيولهم السروج العربية والامير عبد الوهاب قد احتاطت به العساكر الإسلامية وإلى جانبه الاميرة ذات الهمة العامرية ومن حولها العساكر المنصورة ومعها الملك الصابر مقدم العساكر كأنه البدر فى ليلة تمامه ومن حوله أصحابه وعساكره ودساكره والبطارقة الذين كان أعدم من أصحابه وهم الجماعة الذين أسلموا على يديه مع الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) فلما نظر اليهم الملك كوجار وأصحابه أى الى ذلك العسكر الجرار

والفرسان الذين كأنهم البحر الزخار وهم قاصدين الى ملاقاة عدوهم صابرين على رضا ربهم والأمير عبد الوهاب سائر فى أوائلهم كأنه البحر الزاخر أو الأسد الكاسر وهو ينادى بأعلا صوته يامعاشر النصرانية والمنغمسين فى جرن ماء المعمودية قد أتتكم حملة القرآن وصوام شهر رمضان هذا وقد نادى الملك كوجار فى أصحابه هذا عدوكم قد أقبل عليكم وأشرف بجنده لديكم فانظروا ماذا تريدون واصغوا لأنفسكم مايكون لكم منه الخلاص فان هذا اليوم قد حصل فانهضوا الآن الى ملاقاة عدوكم واحموا بأنفسكم وصونوا حريمكم واعلموا ان البدرة لمن بدر وان الخصم مايرجح عليه خصمه إلا إذا حضر (قال الراوى) فبينما هم فى مثل ذلك الكلام وجيش الإسلام عليهم قد أقبل وتواتروا عليهم وهجموا على عسكر الملك كوجار هجمة واحدة وقد حف بهم النصر والرشد وأعلنوا بالهاليل والتكبير والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير ووقف كل بطل منهم كأنه الصنديد (قال الراوى) فلما سمعوا الملك كوجار وإلى ما أشار به من نظامه خدموا الكل بين يديه وقبلوا الأرض تعظيما إليه وقالوا أيها الملك الجليل والسيد النبيل وما يكون من عدونا والمسيح قد رضى غلبنا ولنا عساكر قد ملأت الأرض والرجل منا يعد فى الحرب بألفين فابشر أيها الملك بما يسرك فإننا ندفع عنك ما يضرك فما كانت إلا ساعة حتى وقعت العين على العين واختلطوا المسلمين بالكفار وتقدموا السادة الأبرار فعند ذلك تضاربوا بالسيوف القواطع وتطاعنوا بالرماح النوافذ وقطعت الأكف والأصابع وامتلأ الميدان من العرق والمدامع وقطعت الأصابع والأضالع وبان الشاطر من الجازع والقوى القلب من الجبان الفازع وطلع الغبار وأظلم النهار وقدح من حوافر الخيل الشرار واندهل الجبان وحار وتحكم فى رقاب الأعداء الصارم البتار وهرب الجبان وبقى ذاهل محتار ولم بقى يجد له من أيدى المسلمين مخلص ولا فرار وشخصت الأبصار ووقع الذليل فى الانبهار وجرى الدم وفار والتفت اللئام بالأخيار وحملت اللئام الفجار على أمة محمد المختار الطاهرين الأبرار ففاضت دماهم مثل النجيع وأحسنوا فى الله الصنيع ووقفوا فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وقوف الصابرين عند ملاقاة الكافرين كما قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين هذا وقد حمل الملك كوجار على ميمنة عساكر المسلمين وكان فيها أبو مقلاع الأسود فطلبه الملك كوجار فانهزم من بين يديه خائف أن يصل كيده إليه فهو كذلك إذ لقيه الأمير عبد الوهاب فقال له إلى أين يا أبو مقلاع فقال له يا أمير الحذر الحذر لقد كنت فى الميمنة وأنا مثل الأسد العرين فلم أشعر إلا وفارس قد صوب

وأتى إلى بكليته وأراد أن يطعنى فسبقته ساعة وراوغته ولولا أن من الله على بقزموع الأسود فأشغله عنى حتى نجوت والا كان أدركنى فدونك وإياه أيها الأمير (قال الراوى) فعند ذلك تبع الأمير عبد الوهاب مكان قزموع الأسود وأطلق عنان جواده فبينما هو فى حملته والخيل ترعد والنار توقد والصبر قد نفذ فلم يشعر إلا بقزموع الأسود وهو مختبل فنادى أيها الأمير أدركنى وبنجدتك خلصنى فقد دهمنى من الأمر ما أشغلنى يامولاى فبينما أنا واقف فى القلب وإذا أنا بأسد غضنفر وبطل قسور قدقصد الى وصوب قنطاريته الى وأراد تعجيل حتفى ورغم أنفى فلولا أن من الله على بأبو ترمال والا كنت مطروح على رؤوس التلال فرده عنى يا مولاى (قال الراوى) فعندها طلب الأمير عبد الوهاب ذلك الصوب المذكور الذى أشار اليه أبو ترمال وقد هجم على فارس فى ميدان الحرب وضايقه وقد تجالدا بالسيوف حتى تكسرت وبالرماح حتى تقصفت فقال له الأمير عبد الوهاب تنحى يا أبو ترمال ودونك والراحة (قال الراوى) فعندها تنحى عنه أبو ترمال وتولى قتاله الأمير عبد الوهاب فوجده الملك كوجار وقد فرق أبطال المسلمين من يمين وشمال فلما رأى الأمير عبد الوهاب الى الملك كوجار وهو يصنع ذلك الحال فتقدم اليه وعول بكليته عليه وساق فى ميدان الحرب جواده حتى أنه وصل اليه (قال الراوى) فلما رآه على تلك الحالة تقدم الى قتاله وطعنه ونزاله فقال له تقدم ياعدو الله الى قتال الأبطال وموقف الشجعان فلا بد ما أجعلك كأمس كان فبان كأنه ما كان (قال الراوى) فعندها تقدم كل واحد منهم الى لقاء صاحبه ولزم فى الميدان صدق مضاربه فتحاربا حرباً شديداً وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت فأرموا ما بقى منهم الى وجه الأرض وعادوا الى السيوف حتى تثلمت ولم يبق فى أيديهم الا المقابض وثار الغبار وطال النهار وضجت الكفار وركن عدو الله الى الفرار وكل من الفريقين قد شخصت منهم الأبصار وقد تعجبوا من الأمير عبد الوهاب كيف أنه صبر مع ذلك الرجل الجبار وال ماشاهدوه منه فى مقام الأخطار (قال الراوى) فلما تكسرت السيوف وود كل واحدمنهم أن يسوق صاحبه الى الحتوف فرد الملك كوجار يده الى عاموده وكان عامود من حديد فجال فى ميدان الحرب وموقف القتال والطعن والضرب ولحق الأمير عبد الوهاب والملعون قد صوبه الى نحوه وهو قاصده كأنه حجر منجنيق أو صاعقة نزلت من السماء الى المضيق فأحرق عنان فرسه وانحرف عن موقفه فأخطأه العمود ونزل الى الأرض حفر فيها حفيرة عظيمة فعندها هلل وكبر الأمير عبد الوهاب وكبرت المسلمين معه وكان قد نذكر الكلمة المعروفة عند وقوع الأهوال وهى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فسيكفيكهم الله وهو

السميع العليم (قال الراوى) ثم رجع الامير عبد الوهاب اليه وأقبل بكليته عليه هذا والملك كوجار قد وقف وقوف الرجال ونكل بالأبطال وفتك فيهم بالسمر العوال والمرهفات الحداد الثقال وهو يصيح فى موقف القتال والنزال وهو يقول أنا الأسد الجحجاح أنا المعروف يوم الكفاح أنا الملك كوجار أنا البلاء النازل على الأبرار فلما رآه الامير عبد الوهاب وقد زاد سره لما أن رآه فعند ذلك قصد صاحب العلم الذى له وقد قتله وعلى وجه الأرض والرمال جندله هذا وقد نظر كوجار إلى فعال الأمير عبد الوهاب فنادى فى عسكره ياويلكم مافيكم من يخرج الى هذا الفارس يردعنا شره ويكسر عدته فانا قد اصطليت نار الحرب بنفسى وقد بددت الرجال بسيفى وترسى فأين البطارقة الشدادوأين السيوف الحداد وأين العصبة الذين هم من بقايا قوم عاد ثم أن ذلك الملعون قد حمل على الأمير عبد الوهاب فجالا طويلا واعتركا مليا وثار بينهما الغبار وكثرجيش الفجار وأظلم ضوء النهار وسار كالليل من كثرة الاعتكار وسار قسطل الغبار مثل النار والتفت الحرب على ساقها وأيقنت الأرواح بفراقها من شده مذاقها وتعاركا وتباعدا وتصادما وافترقا وتضايقا واصطدما بالرماح وقد تقاتلا يالبيض الصفاح واختلست من كل فريق منهما الأرواح وكل منهم عل صاحبه قد عدد وناح وتقاتلا قتال يذهل الأبصار وتحير منه الأفكار وتتعجب منه النظار وكان الملك كوجار كل مافتح بابا من أبواب الحرب سده عليه الأمير عبد الوهاب وكان كل واحد منهما اذا حمل على صاحبه يذهل الآخر ويقهره فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وكل فريق منهم يقوو صاحبنا أقوى وأشجع وهو يقاتل خصمه ويمنع (قال الراوى) ولم يزل الأمير عبد الوهاب على ملاقاة خصمه فى ذلك النهار حتى ضجرت الخيل من تحتهم ثم ان الملك كوجار قال للأمير عبد الوهاب ياأمير العرب هل لك أن نرجع الى الراحة فقد كلت الخيل من تحتنا وقد ضجر ذلك العسكر من كثرة وقوفنا فان كنت تصبر إلى غد فنحن نخرج الى مقام الحرب ويكون قد تجددت الراحة للخيل ولنا فقال له الأمير عبد الوهاب اخسأ ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية أما أنا فلله الحمد والمنة مايأخذنى من القتال عيا ولا تعب ولاضجر ولانصب وكيف أجد ذلك وأنا فى أمان الله رب العالمين وقد أمرنا ربنا بقتال الكفرة الملاعين وأعداء دينه ودين نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد حمل كل واحد منهما على صاحبه فجالا طويلا واعتركا مليا وثار عليهما الغبا وصار ضوء النهار كالظلام وجالوا وهم راكبين على ظهور الخيل وجرت الدماء فى الميدان مثل جرى السيل (قال

الراوى) ولم يزالوا كذلك فى كر وفر ودم يراق وأسير يساق وكل واحد منهما قدحصل فى كرب السباق ثم أن الأمير عبد الوهاب قال للملك كوجار أيها الملك مايخلصك منى الا أن آخذ رأسك وأخمد أنفاسك وأبطل هراسك أو تقرأ بالشهادتين وتقول قولا عدلا مخلصا وهى قول أشهد لااله الاالله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وان الله يبعث من فى القبور (قال الراوى) فلما سمع الملك كوجار ذلك الكلام والخطاب صعب عليه وكبر لديه وبخر ونخر وطغى وكفر وتجبر وقال ياأمير العرب أتظن أنك محسوب عندى من الأبطال أو ممن نخشاك فى يوم النزال فلابد لى أن أقطعن منك القذال وأيتمن منك الأطفال ولابد أن أرملن منك النسوان وأجعلك أنت وعسكرك شهرة بين العربان وشنعة عند أهل الرتب أتظن أننى كمن لاقيت من الأقران أو من مارسته فى موقض الشجان أنا الملك كوجار أنا الموت الأحمر أنا الأسد الغضنفر أنا الهمام القسور أنا الذى تقر لى الأبطال فى المواقف أنا الذى تخشى سطوتى الألوف المؤالف أنا الذى ضرباتى مثل الأرياح العواصف أنا مبيد الأبطال والشجعان أنا الليث الهمام أنا مجرع الأبطال فى الوغا كؤس الحمام اثبت ان كنت من أهل الطعان أو لك قوة وجنان (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب من الملك كوجار ذلك الكلام والهذيان فقال اخسأ ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية أتظن أن لك عندنا مقدار أو أنت معدود من الأقران ما أنت الا كلب هدار وكافر من حملة الكفار فتبالك ولما صنعت بنفسك فلابد ما أسكنك دار البور وتروح الى جهنم وبئس القرار ان ربى عزيز جبار أوماعلمت أننى أنا الأسد القمقام وفارس الاسلام وناصر دين سيدنا محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأتم السلام وساقى الكفار كؤس الحمام فدونك منى والصدام وأسرع الى حومة الوغا والزحام (قال الراوى) هذا وان كل واحد منهما حمل على صاحبه فبينما هم كذلك واذا بفارس قد ظهر وحمل وهاج وماج فلما رأى كوجار الى ذلك الحال صعب عليه وكبر لديه وشخر ونخر وزاد فى كفره وتحير واندهش مما حل به وقد انبهر لما عاين من ذلك الفارس الغضنفر (قال الراوى) هذا والأمير عبد الوهاب قد حار مما عاين من ذلك الفارس الرئبال ثم أن الملك كوجار هم بالحملة على ذلك الفارس الرئبال وترك الأمير عبد لوهاب فلما حمل عليه تثنى ذلك الفارس اليه وحمل بكليته عليه وطعنه برمحه فانكسر ولم يعمل فيه عمل ورد يده الى قائم سيفه وتجالدا حتى انكسر السيف ولم يعمل فيه شيأ من العمل فرماه من يده وضايقه فى الميدان وهمز بحصانه حتى صار معه فى طابق الجولان ومد يده اليه ومسكه من جلابيب درعه

وجذبه جذبة شديدة اقتلعه بها من بحر سرجه وشاله على يده حتى بان بياض أبطيه وجلديه الأرض فشك أضلاعه فى بعضها البعض ووثب عليه كما يثب الاسد على فريسته وقعد على صدره وقد أخرج خنجر من وسطه لحز به رأسه وأبطل حواسه وأخمد أنفاسه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (قال الراوى) ثم وثب الأمير عبد الوهاب الى جواده فركبه وصاح على عسكر الملك كوجار فأيقنوا بالذل والشنار وركنوا الى الهرب والفرار ونادت المسلمين الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وحبانا بالنصر والظفر وقد خاب من جحد وكفر وفاز من بالله تعالى انتصر أركبوا يامعشر المسلمين فقد قتل عدوكم وعدو الدين فقد جاء نصر والفتح المبين وحمل كل فريق على صاحبه وثار الغبار وقد فاضت الدما مثل البحار ودارت رحا الآجال وتقطعت منهم الآمال وولوا الكفار على أدبارهم وهلكوا فى أسحارهم وصاح وصاح عليهم صائح الحمام وتأخرت عن ذلك الوقت السادة الكرام فعند ذلك أصبحو فى اشراك البلاء وقد وقعو تحت المذلة والندم وقد خضعوا وندموا حيث لاينفعم الندم فهلكوا عن آخرهم اذزل بهم القدم وكان عليهم يوم محوس وخاب ماقد حذروه البطارقة والقسوس وقطعت منهم الرؤس ولم يرجع منهم ديار ولا نافخ نار فعندها ولواا الادبار وركنو الى الهرب والفرار (قال الراوى) ياسادة ياكرام وما زالت المسلمين خلفهم حتى ملكوا أولادهم وأيتموا أطفالهم وأهلكوا أبطالهم واقيالهم وقد غنموا المسلمين خيولهم وفساطيطهم وما خلص منهم الا من أراد الله بخلاصه فأصبحوا فى دار البلا قاطنين وتحت الاسر والذل حاصلين وبعد الأمر والنهى حامدين ذلك تقدير العزيز العليم (قال الراوى) ثم أن المسلمين رجعوا الى قلعة الملك الصابر وقد فتح الله لهم وعلى أيديهم وأقبل بالنصر أعينهم ونالوا من عدوهم مايتمنوا حالا حسنا وأهلكومن كان يعبد من دون الله وثنا وحازوا الغنيمة صغيرها وكبيرها جليلها وحقيرها وكانت الأميرة ذات الهمة هى التى قد قتلت الملك كوجار ونادت فى المسلمين كل من أخذ شيأ فهو له هذا وان الامير أبو محمد البطال ما كان له شغل الا خزانة الملك كوجار ختم عليها وخفظها فنقلوا منها مالا يعلمه الا الله تعالى فلما من الله على المسلمين بهذا الفتح العظيم والنصر الجسيم وعادوا الى قلعة الملك الصابر واستراحوا وغنوا المسلمين غنيمة عظيمة ما عتمولا قط مثلها (قال الراوى) يا سادة ياكرام فهذا ماجرى لهؤلاء الاقوام (وأما ماكان) من لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال والملكة زنانير فانهم أقاموا فى الجزقرة كما قد ذكرنا وقد طال بهم الامر فبينما هم فى بعك الايام فقال لؤلؤ للملكة زنانير قومى بنا ندخل الى هذه المدينة

فخرجوا اطالبين ساحل البحر لعلهم يجدون لهم فرجا أو مخرجا فبينما هم على ماهم عليه واذا هم بمركب فى تلك البحر سائرة وكانوا أهله خرجوا من جزير شمس الفلك فلوحوا بأيديهم لأصحاب المركب فلما نظروهم أهل المركب قربوا المركب الى البر ورفعوهم الى عندهم فلما حصلوا فى المركب سألوهم عن حالهم وماسبب انقطاعهم فى تلك الجزيرة فقال لهم لؤلؤ اعلموا ننا كنا فى بعض المركب وغرقنا وسلمنا نحن وقد أنفدنا السيد المسيح الى هذه الجزيرة فعند ذلك قالوا لهم ابشروا بالسلامة فبينما هم كذلك يعنى لؤلؤ والملكة زنانير قعود فى وسط المركب واذا بأهل المركب نزلوا الى الطبقة السفلى فقالوا يا راهب أن معنا شيخ كبير وهو قس عظيم وهو من جملة أربار الدولة وهو معنا طالبا الى أرض القسطنطونية ومعه ولد له مريض ى (قال الراوى) هذا وان لؤلؤ أقبل على القوم وجعل يستوصف منهم صفة ذلك القس فأعطوه صفته فقال لؤلؤ فى نفسه هذا عقبة وحق محمد صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وكان سبب نزول عقبة فى ذلك المركب وهوان ولده حصيصة ثقل عليه مرضه فى تلك الجزيرة التى لشمس الفلك لأنه كان مرض من العقوبة التى عوقبها فى الدير ولم توافقه تلك الاهوية المختلفة وكان عقبة قدحل به المرض وساءت به الأحوال وقد انقطع الملك عن الدخول عليهم وقد تركهم وزالت عنهم تلك النعمة فلما علم عقبة من الملك انه مل عنه فسأل الملك أن يبعثه فى بعض المراكب الى أرض القسطنطونيه فعند ذلك أمر لهم الملك بالمركب الذى فيه لؤلؤ والملكة زنانير فعند ذلك أمر الملك أن يرفعوا عقبة إلى المركب وجهزه وأعطاه عشرة آلاف دينار ومثلها ثياب وقد أمر الملك أن يرفع جميع مايحتاج اليه فلما حصل عقبة فى المركب نزل فى الطبقة السفلى فلما استقر به المكان اختفى وماكان يدع أحدا ينزل اليه الا من كان يخدمه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما علم لؤلؤ والملكة زنانير أن عقبة معهم فى المركب أخذوا لأنفسهم الحذر لئلا يعرفهم ولم يزالوا سائرين إلى ان وصلوا إلى بعض الجزائر ثم انهم ربطوا المركب وطلع عقبة وولده وساروا بريح طيب مدة عرة أيام الى أن وصلوا الى خليج القسطنطونية وإذاقد تغير عليهم الريح وقد قلق البحر وماج وتصافقت به الأمواج وكثربهم الانزعاج وقد علا منه ظلمة كأنه الليل الداج فلما عاينوا أهل المركب الى ذلك الحال العظيم والامر الجسيم فعند ذلك نادوا الأمان الأمان ونادت الملكة زنانير ياسيدى يامسيح الأمان الأمان أتوسل اليك بالقربان والقس والمطران وبدير نجران ليسكن البحر من الفوران وأما عقبة فانه قال وحق المسيح ماهو كثيران تغرق المركب ونحن مرضى ثم ان الريح اشتد عليهم وقد تكدر وقد رجع أسفله الى فوقه ولم يزال كذلك طول ليلته الى

ثانى الأيام ولم يسكن إلا بأمر الله تعالى فعند ذلك نزل عليه مطر بطول الليل إلى السحر فعند ذلك سكن الريح وذهب عنهم ما كانوا يجدوه من الهلاك وانزعاج البحر فعند ذلك ردت الريح المركب إلى خلفه مدة عشرة أيام ثم انهم عادوا إلى المكان الاول الذى كانوا فيه فعندها قال لهم الربان بعدما سلمنا من الغرق مانحن الا بخير ثم انهم عادوا ورفعوا القلوع وقد أصلحوا ما كان تغير عليهم من النو ثم انهم سدوا فى اللجة عشرين يوما الى أن وصلوا الى أرض القسطنطونية فبلغ الخبر الى الملك منويل بأن مركب قد وصلت وفيها الشيخ النجيح (قال الراوى) ففرح الملك منويل لما سمع بذلك الملعون فأمر الوزير وخاله اصطفانوس وعمه الفرغولص وابن عمه ان يخرجوا إلى لقاء الشيخ النجيح فعند ذلك طلعوا الى لقاه هذا وقد طلع كل من فى المركب وأول من صعد الى البركان لؤلؤ والملكة زنانير وقد دخلوا من جملة من دخل وستر عليهم الملك الستار فلما حصلوا فى البلد أقبل لؤلؤ والملكة زنانير الى الكنيسة الكبرى التى فى البلد فدخلوها وانطرحوا فيها وهما فى صفات الرهبان وقد أخذوا لهم غفوة من التعب (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم انهم قد أقاموا فى تلك البيعة وكان مع الملكة زنانير مايقوم بهما من نعمتها ومما كانوا أخذوه من طريقهم من دير الراهب وكان إذا سأل لؤلؤ أحدا عن الملكة زنانير يقول له هذه زوجتى الى ان أتاهم فى بعض الأيام البترك وسأل لؤلؤ عنها فقال له أيها الأب الكبير والسيد النبيل أنا رجل من بلد الملك صلبوتا وهذه زوجتى خرجنا الى التقرب إلى السيد المسيح ونزور البيع والادبرة والروحانيين الذين فيها ونمضى إلى البترك الكبير الذى فى كنيسة قمامه ونتبرك بدير نجران وكنيسته (قال الراوى) فلما سمع الراهب ذلك الكلام رق له قلبه ومال اليه ونظر الى الملكة زنانير فقال مارأيت فى النصرانية أحسن من هذه المرأة وانى لابد لى أن أفوز بها وأحظا بنظرها ثم انه عزل لهم بيتا فى الكنيسة وحمل لهم مايقوم بكفايتهم وصار كل يوم يحضر الى عندهم ويتحدث معهم فوجد لؤلؤ عالما ماهرا بقراءة الإنجيل وتفسيره وصار يحدثه بأخبار الأوائل وأحاديثهم وما جرى على الملك الصابر والأمير أبو محمد البطال وحديث الملك شعشعونا عبد الله والملك الدهمار فكان الراهب يتعجب عجبا عظيما (قال الراوى) وكان عقبة يدخل فى كل يوم إلى الكنيسة ويتقرب فيها ويشاهد أحوالها وكان لؤلؤ يشاهده ويحقق رؤيته ورؤية ولده حصيصة وكان عقبة لما كان فى المركب جرى عليه شدة عظيمة وأرسل الله عليهم الهوى حتى سلموا من الغرق وقال فى نفسه لاشك ان المسيح قد غفل عنا ولولا ذلك لما يرمينا فى هذه الهلكة ونحن مرضى ويتفق علينا المرض والغرق فنروح ثم

أقاموا فى البحر مدة عشرين يوما لا يصلون الى البر ولا يرونه وطلعوا إلى الجزيرة ولاحت لهم فى البحر فتنزهوا فيها وأقام ذلك اليوم كله زنانير ولؤلؤ قعود فى المركب يشاهدوه وقد عرفوه وتحققوه فلما حصلوا فى البيعة كما وصفنا صار عقبة يدخل كل يوم إلى تلك البيعة ويتقرب فيها ويمر بالبيت الذى فيه لؤلؤ وزنانير وبقى على ذلك مدة وقد بقى مراده أن يخرج من البلد بزنانير فلم يجد الى ذلك من سبيل (قال الراوى) فبينما لؤلؤ فى بعض الأيام جالس وإذا هو بمارس الحاجب وأخوه دارس وقد دخلوا من باب البيعة فعندها قام لؤلؤ إلى مارس وسلم عليه وطلب منه شيئا فالتفت مارس إلى لؤلؤ عرفه وان مارس طاف فى البيعة وعاد الى داره وأنفذ فى الوقت والساعة خلف لؤلؤ فلما دخل عليه قبل يديه فأجلسه مارس لجانبه وأول ماسأل عن حال سيده أبو محمد البطال فأخبره بعافيته وأخبره بما تم له فى بحيرة الفلك من العجائب والغرائب وأخذ للقلاع والحصون ومارس شاخص اليه ثم قال يالؤلؤ بالله عليك كيف خلفت الامير عبد الوهاب والأميره ذات الهمة فقال له يامولاى ماهم الاسالمين بحمد الله بالخير والمنة ثم انه حدثه بحديث زنانير وماتم له من أجلها وأخبره أنها معه فى القسطنطينية فقال له مارس فأين هى الساعة فقال له يامولاى فى البيعة ونحن مقيمين بها (قال الراوى) فلما سمع مارس أن زنانير فى البيعة بعث غلامه اليها وأحضرها إلى عنده فلما نظر اليها قال له والله يالؤلؤ ماضيعت المحبة ولقد كنت أشتهى أنظر اليها من كثرة ماكانوا الناس يصفوها من بطارقة الروم وغيرهم وكانوا يوصفوها لى ويوصفوا لى أبوها وماكان فيه من الحشمة والوقار والمملكة فقال يامولاى ان حصلت معى فى بلاد الاسلام فكان مالحقنى شقاه ولا أصابنى شدة فقال له مارس أنا ان شاء الله أنسيت فى ذلك (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من حديث الأمير عبد الوهاب وعسكره فانهم أقاموا عند الملك الصابر ماشاء الله ثم عولوا على الرجوع الى بلاد الاسلام فقال لهم الملك الصابر وأنا أريد أكون معكم فقال الأمير الأمر اليك فى ذلك فعند ذلك أصلح المراكب التى فى البحيرة وأوسقها بالمال والرجال ولم يترك فى قلعته شيئا فعند ذلك نزلوا المسلمين فى المراكب وأقلعوا طالبين بلاد الاسلام ووصلوا الى بعض الجزائر فعندها صعدوا اليها وأخذوا منها مايحتاجون اليه وعادوا لمراكبهم فأقلعو بريح طيبة وقد سكن لهم البحر كماشاء الله وطال بهم المسير لانهم كانوا بعدوا فى بحيرة الفلك (قال الراوى) ياسادة ياكرام وقد ذكر الطبرى وغيره والمسعودى أن مابعد بحيرة الفلك الميزان وان الملك الصابر تغير عليه الهوى فمات الى رحمة الله تعالى وحزنوا عليه الأمراء حزنا عظيم ودفنوه فى بعض الجزائر وطلبوا الرجوع الى بلادهم فمنعهم الأمير عبدالوهاب فلم يقبلوا منه عند ذلك سلمت الأميرة اليهم الأموال وقدمت عليهم عبد الرحمن ثم أقامت

ذلك اليوم وودعتهم وساروا طالبين قلاعهم فلما وصلوا اليها فرحوا الناس برجوعهم فعندها أخبروهم بموت الملك الصاير فعند ذلك بلغ ولده عبد الرحمن فاغتموا عليه الناس وكذلك ولده حزن عليه وجلس فى العزاء ثم انه حكم فيهم بالعدل والرعية وسار فيهم سير أبوه ونظروا الناس منه مالم ينظروه من غيره وكانت الأميرة تكاتبه كل قليل ويكاتبها فهذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من الأميرة فانها سارت بعساكرها فى البر لان المراكب خمسين مركب موسوقة بالأموال والرجال بها وسارت هى فى البر وجعلت تقطع الطريق أربعين يوما حتى وصلت الى أول بلاد الثغور فلما وصلوا بشروا بعضهم بعض بالسلامة فلما وصلوا اليها يعنى ملطية وهب عليهم نسيم أرضها ورأوا القلاع التى يعهدوها والأرض التى يألفوها (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك تقدمت الأميرة بين أيديهم وجعلت تنشد وتقول

بلغنا الأمانى بنيل المرام ٭ وجئنا البلاد ثلاثا وعام
وخضنا البحار وحزنا الفخار ٭ وجئنا السبايا بدور التمام
فتحنا الحصون نعم والقلاع ٭ وجبنا المناع ونحن الكرام
أخذنا المراكب وما قد حوت ٭ من المال والسبي ملء الأكام
وطفت البلاد وعلو التلال ٭ وكل الوهاد من الفين عام
وشيعون مع شمشعونا فتكـ ٭ ـت به وأسرت ألفين غلام
وصابور أسـلم مع ابنـه ٭ نعم وانتقل لدار السلام
وأهلكت عزبيل وكوجارهم ٭ وغضب المسيح فهو ابن اللئام

(قال الراوى) فلما فرغت الأميرة من شعرها أخذ الناس البكاء من كل جانب من فرحهم بها ويلتقوا أهلهم والأولاد وكانوا أهل القلاع بانت لهم الاميرة فقالوا لبعضهم فبعضهم هذا عسكر قد أقبل فخذوا حذركم منه ولم يزل الغبار طالع الى الاعنان الى أن قرب العسكر وقد لاحت لهم الرايات وعليها مكتوب لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظروا الى السودان فقالوا أهل القلاع هذا والله عسكر الاميرة فلا أوحشنا الله منها فعند ذلك فتحوا القلاع وخرجوا الناس الى لقائها وكان ذلك اليوم يوم عظيم ولم يشاهدوا الناس مثله عيد ولا غيره ولا مجيء الخليفة وقد زينوا ملطية لقدومها وأخرجوا أطباق الذهب وفيها المباخر بالند والعود والعنبر ونثروا عليهم الدراهم والدنانير (قال الراوى) فنزلت العساكر واستقروا وأمنوا وكان لحقهم من التعب مالم يلحقهم قط فى سفرة ولا فى غزاه وقد فرحوا أهلهم بسلامتهم وما أحسن الديار بالقطان وما أوحشها اذا خلت من

السكان فعندها سألت الاميرة عن أصحابها الذين كانوا فى المراكب فلم يعطوها خبر فقالوا والله ما عاد مر بنا أحد لاقريب ولا بعيد عندذلك بعثت الاميرة إلى سبك غلام البطال الذى فى دير النذور تقول له لك علم بالمراكب التى كانت لنا فى البحر (قال الراوى) فمضى الرسول إلى ما أمرته الأميرة فجد فى سيره إلى أن وصل سبك وأعلمه بذلك فقال له اعلم أنه وصل من خبرهم بأنهم أخذتهم مارية ابنة القيطفور فعندها عاد الرسول إلى الأميرة وأعلمها بما قال سبك غلام البطال (قال الراوى) وكان السبب فى غيبة المراكب سبب غريب عجيب وسنذكره إن شاء الله على الترتيب وذلك أنه كان فى طريقه على ساحل البحر قلعة تسمى قلعة الأغر وكان فيها رجل من جبابرة الروم وكان له بنت تسمى مارية وكانت من الجبابرة وكانت مارية هى التى تدبر أمر القلعة تقعد فى منظره لها فى أعلا القلعة تكشف بها بحر البحيرة فاذا عبر مركب تنظره فلما كان يوم من الأيام وإذا هى بمراكب المسلمين ظهرت لها فى البحر فقالت لمن حولها إنى نظرت إلى مراكب مقبلة من كبد البحر وهم أصطول ولا شك أنهم رجال كثير واعلها تكون الحمل بتاع منويل ملك القسطنطينية وإنى عولت على أخذها فقالوا لها الأمر إليك فى ذلك فعند ذلك أمرت رجالها أن يطلعوا فى المراكب وكان عندها خمسمائة مركب حربية فعندها سارت الملكة مارية إلى لقاء الخمسين مركب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما قاربتهم عرفتهم أنهم مسلمين فقالت لأصحابها ويلكم دونكم وإياهم فما قولكم فى خمسمائة مركب اجتمعت على خمسين مركب بما فيها من الرجال وما كانت إلا ساعة حتى أخذوهم عن بكرة أبوهم قبضاً بالكف وأخذوا ما كان فى المراكب وأنوابه إلى القلعة التى لها فرفعت المال إلى خزائنها هذا وقد عملت القيود فى أرجل المسلمين وطرحتهم فى المطامير وعزمت تبعث المسلمين إلى مدينة اسلامبول لهذا السبب الموجب لأخذ المراكب وأن الأميرة لما سمعت بأخذ المراكب ادعت بأبو محمد البطال وشرحت له ما سمعت من المقال وقالت يا أبو محمد قد أخذت مارية صاحبة قلعة الأغر المسلمين أسارى وقد قال لى الرسول عن قول سبك عن من حدثه أنهم بعثوا الأسارى مدينة اسلامبول قال فلما سمع الأمير أبو محمد كلام الأميرة قال وما تريدى فى هذا الأمر فقالت له يا سيد الأمراء ما كنت بالذى أعمل عملا دون مشورتك فقال لها أما مشورتى فمالنا الا أننا نسير الى بلاد الروم وننزل على قلعة الأغر ونحاصرها ونأخذ مارية وما فى قلعتها وننهب أموالها ونقتل رجالها ولا نبقى صغير فى قلعتها ولا كبير لأجل مافعلته وأنت تعلمى أن هذه القلعة من أقليم اليونان ومتى كان أقليم لاهل اليونان مضى قوام وكان لهم فلاحة وعلىّ ياسيدة الأمراء أن أسلم اليك مارية بنت القيطفور (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة كلام أبو محمد شكرته على ذلك واستدعت بأمير العسكر ثم قالت له نادى

فى الناس بأخذ الأهبة واصلاح أمرهم حتى نسير الى قلعة الأغر فعندهاتداعوا بأخذ الأهبة فلم تكن الا أيام قلائل حتى فرغوا الناس من جميع ما يحتاجوا اليه فعند ذلك أمرت الأميرة ابنها وأمرته أن يقدم السودان فى مقدمة العسكر ففعل ما أمرته وركب فى أربعين ألف اسود وركبت بنو عامر وبنو كلاب وعلم عمرو بن عبيد الله بذلك ثم أنهم ساروا وقطعوا الأرض فى الطول والعرض أربعون يوم الى أن وصلوا قريباً من قلعة البحيرة وكانت مارية فى منظرتها وهى مشرفة على البحر والبر ولما نظرت الى العساكر أقبلت أمرت بغلق باب القلعة ففعلوا ذلك فلم تزل العساكر دايرين حول قلعتها (قال الراوى) ونظرت الى تلك العساكر من حول القلعة فقالت لبطارقتها أرى هذا العسكر على أوائله سودان مثل الليل الدامس وهذه أشياء ما عهدنا بها فى بلادنا (يا سادة) وكان لها وزير يسمى عبد القداس فقالت له ما الذى ترى فى أمر هذا العسكر فقال لها هؤلاء العسكر الذين تسمعى بهم فى بلاد الثغور مع أمير المسلمين الذى يقال له عبد الوهاب ولا شك فى ذلك وما أنى اليوم الا لحربنا لأننا قد أخذنا مراكبهم وقد أخذنا مراكبهم وقد أتوا لطلبهم فخذوا لأنفسكم الاهبة فلما سمعت الملكة مارية ذلك أمرت البطارقة أن يزينوا القلعة بالعددوصرت بإخراج المنجنيقات والفرادات والطلاقات بما استداركما ذكرناوبقت القلعة كأنها عروس قد زينوها وهى تشرق من لمعان الدروع والكارغنديات والسيوف والقنطاريات والخود الساطعة والجواشن اللامعة وقد اصطفت أولاد البطارقة على الابراج وكثر منهم الانزعاج وتصايحوا على المسلمين وقالوا يا أصحاب صاحب المعراج نراكم جئتم الينا فما لكم فى قلعتنا مطمع لانها مشحونة بالابطال ثم انهم عطعطوا على المسلمين ورموهم بالاحجار وحذفوهم بقوارير النفط والنار فتأخروا المسلمين الى ورائهم من كثرة الاحجار وأخذهم الابتهار من كثرة الكفار وكانت هذه القلعة لاحقة بالعوائق وما لاحد عليها طريق وهى مبنية بالحجر الاسود وتكحيل الاحجار بالرصاص المذاب وهى كأنها الحديد وما على وجه الارض أحصن منها ولا أكفر من أهلها وعادتهم أن يأخذوا السفن التى تعبر عليهم واذا أرادوا فلا يعبر عليهم عابر الا أخذوه وقد اجتمع فى هذه القلعة من سائر أموال الدنيا مما أخذ من التجار والملوك ومن السفار فى البحار (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما كان فى هذه الأيام ونزلت الأميرة ذات الهمة وفعلت مافعلت احتاطوا المسلمين بالقلعة بعيد منها ونزلوا حواليها ودام الحصار على القوم وبقيوا على ذلك أربعين يوم فلما ضاقت بهم الأرض وأشرفوا الروم على الهلاك لقلة الزاد وشدة الحصار واستغاثوا من داخل القلعة وهموا بفتح الابواب فلم تمكنهم

مارية من ذلك ثم فتحت الاحباب التى لها فى القلعة وأخرجت القمح والشعير وأوسعت عليهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان أبو محمد البطال كل ليلة يدور من حول القلعة والأميرة لعلهم يجدوا فيها حيلة أو قضية فلم يجدوا فبينما هم كذلك فى ظلام الليل واذا هم بعشرة بطارقة سائرين فتبعوهم الى أن أبعدوا ودارت الاميرة ذات الهمة وأبوا محمد البطال عليهم فقبضوهم وأخذوهم أسارى وأتوابهم الى العسكر الذى للمسلمين وأدخلتهم الاميرة الى خيمتها فعند ذلك قعدت بهم وقالت لهم اخبرونى من أين جئتم فقالوا أيتها الاميرة نحن الساعة خرجنا من القلعة وقد بعثتنا مارية الى حصن النور الذى لاختها فقالت الأميرة ذات الهمة من أين جئتم فقالوا لها من مطرح نعرفه وندخل منه ونخرج ولا يعرفه أحدا سوانا لاننا جواسيس مارية فقالت الأميرة ذات الهمة وحق من رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض على ماء جمد لئن لم توقفونى الساعة على المكان لاقتلنكم عن بكرة أبيكم فقالوا لها أيتها الاميرة قوموا معنا حتى نوقفكم على الموضع (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك نهضت الاميرة وأبوا محمد معهم الى أن أتوا الى ذلك المكان فلما عرفوا صحة قولهم عادوا الى عسكرهم وقيدوهم بالقيود الثقال وجعلوهم فى خيمة ووكلوابهم عشرة من السودان فلما أمسى المساء عليهم صبروا عليهم الى أن تنصف الليل فعند ذلك نهضت الاميرة وتقلدت بحسامها وأخذت أبو محمد معها وأتوا الى ذلك المكان فوجدوه سرداب مبلط بالحجر والكلس فدخلوا وما كانوا أعلموا أحدا بما هم فيه ثم انهم ساروا فى ذلك السرداب فوجدوه ضيق حرج فبقيوا يزحفون على بطونهم الى أن أفضى بهم السرداب الى فضاء واسع فتأملوا واذاهم بإنسان قاعد يحفظ باب السرذاب وعلى باب ذلك المكان طابق من حديد اذا صعد الإنسان منه وطبقه ما أحدا يقدر يزيله من مكانه الا اذا كان من داخله (قاالراوى) يا سادة يا كرام ولما أن نظر الامير أبو محمد والأميرة الى ذلك رجعوا إلى وراءهم وخرجوا لايفطن بهم أحد ولما ان رجعوا كان آخر الليل وفى ليلتها أعلمت ولدها وقالت حاصرهم وقاتلهم فى غد واشغلهم بالقتال فأجاب إلى ذلك وعند الصباح ركبت المسلمين على الجرد القداح وقدموا للأصوار بالمناجنيق والأحجار فوقع القتال والحرب والنزال والإسلام بعيد عن الأصوار خوف من الأحجار والأمير يقول ياقوم كل محصور مقهور ولم يزالوا كذلك الى أن أمسى المساء وخندست الظلماء عند ذلك أخذت الأميرة معها من رجال الاسلام خمسين فارس وخرجت بهم الى ظاهر العسكر وهم معتدون والاميرة فى أوائلهم كأنها الأسد العرين إلى أن أشرفوا على المكان ثم انهم ترجلوا عن خيولهم وقد تشددوا واستعدوا وولجوا فى ذلك السرداب وفى

أوائلهم البطال الى أن وصلوا إلى الرجل الذى جالس على باب السرداب وانفرد من الجماعة وهمزه صار على الأرض وبادره بالخنجر فى لبته أخرجه من نقرته وأشار إلى الرجال وسراة الأبطال صعدوا الى القلعة ولم يعلم بهم أحد وأرسل البطال خلف الرجال وهم يأتون أفواجا أفواجا ولما ان تكاملوا ألف بطل فكانوا يضرب بهم المثل ولما ان تكاملوا اصاحت الأميرة بصوتها الجهر الله أكبر فتح الله ونصر فجاوبوها أصحابها بأصوات مثل الرعود القاصفات فثارت أهل القلعة من مراقدها وانقلعت القلوب من معادنها وقام القاعد واستيقظ الراقد فما كانت إلا ساعة حتى طرقت أهل القلعة النوائب وأحاطت بهم المصائب والروم تحيروا فى أمورهم وقال بعضهم هؤلاء من السماء نزلوا أو من الأرض طلعوا وأما أبو محمد ما كان له شغل الا أنه أتى إلى باب القلعة فوجدوا عنده بطريق قاعد فقال له من أنت فقال أنا بواب الباب واذا بالسودان خلف البطال كانهم الجن فقال ياويلكم دونكم وهذا القرنان فتواثبوا اليه وهووا عليه فأظهر لهم المفاتيح فأخذوهم منه وقتلوه وفتحوا الباب وصاحوا الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر الغزاة الغزاة يا أحباب الله عند ذلك سمعوا المجاهدين فأقبلوا الى نحوهم مسرعين من عشرة وعشرين وفى دون ساعة امتلأت القلعة من الموحدين وحملو على أعداء الله الملاعين وعملت الصفاح فى الأشباح واختلست الارواح وزعق الغراب الصياح فهذا قتيل وهذا أسير وآخر فى دمه جديل واذا بمارية وصل اليها الخبر بأن القلعة قد ملكت وأهلها قد هلكت فثارت من مكانها كانها اللبوة الشمطاء أو الحيلة الرقطاء وطلبت القتال والنزال فرأت الاميرة تجول وتصول فصاحت على بطارقتها دونكم وهؤلاء الاندال وهذه العاهرة التى نكلت بالرجال ولما ان رأت الروم مارية اشتدت عزائمهم وجاؤا من كل مكان وجانب وحل بالروم النوائب ودارت الدوائر وتفطرت المرائر ودارت البطارقة بالاميرة من كل جانب يرومون قتلها فوجدوا ما أملوه بعيد والوصول اليها صعب شديد وصارت ان ضربت حلت وان صدمت هدمت وصاحوا المسلمين بالملك القدير جابر الكسير ومغنى البائس الفقير وهو نعم المولى ونعم النصير ولم تكن الا ساعة حتى طلبوا أهل القلعة الخروج وهدرت سباعها ورأت المجاهدين قدامها وضاقت عليهم الاسباب وعملت السيوف فى الرقاب وهلكت الشيوخ والشباب فبينما الاميرة تجول وتصول وتهلك الرجال الفحول واذا قد لقيها البطال وهو يقول الامان الامان يا سيده الفرسان فقالت ما وراءك وما الذى اعتراك فقال يا أميره لولا عبد المجيد الكلابى والا كان ذلك النهار ذهابى فالحقيه والا ما تلحقيه فقالت فى أى صوب فقال

لها قبالك فطلبت الاميرة التى أشار اليها واذا بعبد المجيد منهزم وهو يلتفت الى ورائه فقالت له الاميرة ما بالك فلما رآها اطمأن خاطره وهدأت سرائره وقال ورائى الموت الاحمر والاسد الغضنفر لانى كنت فى قتال الكفار واذا ببطريق راكب على جواد أحمر فى يده سيف أبتر معتقل برمح أسمر فصدمنى فوجدته فارس كرار وبطل مغوار لولا ان من الله على بميمون الاسود والا كان أهلكنى فقالت الاميرة فى أى الجهات ذلك الملعون فقال لها على حالك فسارت من مكانها قليل واذا بميمون الاسود مقبل وهو يكد جواده وهو من الخوف قد انخلع فؤاده فلما رأته الاميرة قالت له ما وراءك قال القضا الذى لا يرد والبلا الذى لا يعد واذا خلفه بطريق كأنه فنيق يخرق الحديد بيديه بتمز على جواد أدهم وفى يده قنطارية من السلاح وان هذا البطريق هو الذى نكل بالابطال وقهر الاقيال فصاحت عليه الاميرة صيحة أذهلت عقله وقالت له دونك ياعدو الله والنزال عند ذلك حمل الملعون عليها وصوب قنطاريته اليها وهم بطعنها فقرعت رأسه بسيفها فأبرته كما يبرى البارى القلم فأصابها واخترط حسامه غمده ووقف معها فى ميدانها فتضاربا بالسيوف حتى أوردا مورد التلاف ولم يزالا على ذلك حتى لم يبق فى أيديهما الا المقابض وعادوا الى الخناجر فى الاضلاع والمحاجر عند ذلك دنت منه الاميرة وضايقته حتى احتك الركاب بالركاب وأخرجت رجلها من ركابها ورفصته ألقته على التراب وداسته بحوافر جوادها كسرت أضلاعه وأمرت بعض السودان قطع رأسه ولما أن أهلكته صارت تهلك النفوس وتقتل كل بطل عبوس واذا بميمون الجاس قد أقبل وهو ينفخ فقالت له ما وراك فقال الحق ولدك فانه فى مقام الخطر مع فارس غضنفر فلما سمعت بذكر ولدها تفتت كبدها وذهبت من عندة كأنها اللبوه قد فقدت شبلها وصارت تقطع الرؤس واذا بالامير يحاول بطريق ويحاوله وقد رأى منه الامير انه فارس فلما رأت الاميرة الى شمائل البطريق الذى مع ولدها عرفت أنها مارية وكانت الاميرة قد غيرت جوادها بجواد من الخيل الشاردة ورأت ولدها وهو مع خصمه لا يقدر يقهره فحملت الاميره على ماريه وطعنتها بالرمح الذى فى يدها فانكسر فى صدرها من كثرة الزرد ولم يعمل معها شىء ثم انها تأخرت الى بين الصفين وقد تعجبت منها العريقين والعسكرين وقالت أصحاب مارية ما هذا الا فارس ممارس وليث مخالس ورجعت الاميرة ثانى مرة وهمت على الاثنين وقرعت رأس ولدها بالسنان وان مارية لما رأت الى ذلك فهالها فعالها فأدعت بجوادها وكان جواد أدهم كانه ليل أظلم واحدث فى يدها ثلاثة مزاريق فصارت كأنها شعلة نار وتقدمت الى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب ولما أن عاينتها الاميرة قد قصدت اليها

وحملت عليها أخذت حذرها منها وازداد شكرها وتولى نصرتها ربها وقرأت قوله تعالى أن ينصركم الله فلا غالب لكم وأن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وتقدمت الأميرة اليها فاستلت ماريه مزاريق من تلك المزاريق وهزته إلى أن قدح النـــار من أطرافه واعتدلت وأرسلته تخرج كأنه صاعقة (قال الراوى) فزاغت منه الأميرة وألقت روحها إلى الأرض فذهب عنها المزارق خائب بعد ما كان صائب ورجعت إلى سرجها أسرع من ريح الشمال وكانت ماريه قد جازتها فصاحت عليها الأميرة صيحة عظيمة أدهشتها فنفرت مارية العنان ورجعت لها بالسنان فصاحت عليها صيحة ثانية وقالت لها يا كافرة يا جاحدة وبلغ من قدرك أن تقاومين الأخيار فى مقام الأخطار وحادت عن طعنتها وضربتها بالحسام صفح وكانت ضربة مشبعة على صدغها فمالت من على الجواد فمدت يدها اليهــا ومكنتها من أطواقها أخذتها قبل أن تصل إلى الأرض كأنها الثواب الخالق فاتوهمت مما علها من اللباس فنزل اليها بعض السودان وشدها كتاف وقوى منها السواعد والأطراف وأما الأمير لما رأى من والدته تلك الفعال حمد الله وأثنى عليه ورجعوا إلى أصحابهم وهم فى القتال المنافقين وما أمسى المساء حتى ملكوا القلعة وغنموا ما فيها من المال والنوال ثم قالت الأميرة أطلبوا الروم الذين أنهزموا فطلبوهم وأسروا من أسروا وقتلوا من دنا أجله وبعــد ذلك أمرت أن يقدموا ماريه بين يديها فى أسرع وقت قدموها إلى بين يديها ذليله حقيره فطلبت منها الرجال الذين كانوا فى المراكب مع المال فقالت يا أميرة أرسلتهم إلى القسطنطينية (قال الراوى) فلما سمعت كلامها صعب عليها وكبر لديها وأحضرت أبو محمد البطال وقالت له أكتب كتاب الى منويل وخوفه وهدده بالقتل اذا لم يأتى بالاسارى فقال سمعا وطاعة فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) من الفقيرة الى الحقيرة الذليله الى المجاهدة فى سبيل الله أمير العرب من السادة الأنجاب وقوم بنى عامر وبنى كلاب والأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال يعلموك أيها الملك الذى ليس له من دون الله عاصم يا ويلك تركت عبادة من خلقك وأنشأك وبستره الجميل أعطاك وأن طلبت منه أعطاك ورغبت فى عبادة الأوثان ودين الصلبان وسمعت كلام القساقسة والرهبان وما يقولون من الزور والبهتان فلا شك أنك قليل الدين فاسد اليقين وبعد فانا قد نزلنا بالعساكر الصابره والعصابة الفاخرة وأمة محمد الطالبين ثواب الآخرة على قلعة الكلبه ماريه الفاجرة ونصرنا عليها رب الدنيا والآخرة وحزمنا ما فيها من الأموال والدخائر الغوال وأخذنا ما كان أخذلنا من الأموال والنوال وأخذنا معه

ما أدخروه الملحدين على طول السنين جزاء بما عملوا الظالمين وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين وأن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم فهو خير للصابرين وقد أخذنا ماريه ذليله حقيره ووقعت بين يدى الأميرة أسيرة وقابلها الله بما جنت وزادها بما صنعت وأكتسبت وقد بلغنا أنها سيرت اليك أبطال المسلمين وأنك قيدتهم وأستخدمتهم وأريتهم الهوان وأقسم بالله العظيم وبنبيه الطاهر المطهر الكريم لئن ذهب منهم انسان أو واحـــد لادهمنك أنا ونفسى ولا أفك قيودهم الا أنا بيدى وأذيقك الويل والنكال وأقطع منك الفعال فان كنت تختار مقامهم فأنا عندك عن قريب ثم أن الأمير أبو محمد البطال قرأ الكتاب وختمه وطواه والى أسود من السودان أعطاه له وكتبت ماريه كتاب آخر من عندها وأعطته الى بطريق من الاسراء وساروا بالكتب من عند الاميرة ونزلوا فى مركب الى القسطنطينية وبعد عشرين يوم وصلوا اليها ودخلوا الى البلد ودفعوا الكتب الى منويل بعد الاذن فقرأت على جميع الخواص والبترك وسمع ما فى كتاب ذات الهمة شق عليه وكبر لديه وقال لهم الملك منويل ماذا تقولون فقالوا له يا ملك الزمان لا تبلينا بهم وقد جئناهم لئلا يملكوا بلادنا وينهبوا أموالنا فقال لهم صدقتم فيما قلتم ثم أنه أطلق الاسراء وأكرمهم وخلع عليهم وأرسل للأمراء منهم هدايا وتحف وأرسل يعتذر للأميرة فلما وصلت الرجال للأمراء فرحوا وقال أبو محمد البطال ياليت شعرى ما صنع غلامى لؤلؤ مع زنانير وكيف كان حالهما لما خلصها لؤلؤ من ميرون بن كوجار ولكن لله الامر من قبل من بعد (وأما ماريه) لما رأت منويل قد أرسل الى الاميرة الهدايا والتحف وهو يتذلل لها فى السؤال فذلت نفسها وهان عليهـــا ملكها وكانت ماريه ذات يوم من الايام دخلت عليها الاميرة وسلمت عليها وجلست عندها وتحدثت معها وآنستها فقالت ماريه والله يا أميرة ما رأيت أشد منك بأس ولا أقوى منك مراس ولا أشفق منك على أسراك لقد خاب من عاداك وقد سعد من والاك وقد أردت أن أكون فى هذه الساعة فى جملة من أطاعك وأسلم على يديك وأترك دينى وأتبع هواك فقالت يابنية اذا أسلمتى تكنتى من حزب الرحمن وتنجى من النيران وتفوزى بالجنان ويكون لكى مالنا وعليكى ما علينا وأن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيآت وقد قال فى كتابه العزيز قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ولقد أحسن من قال هذه الابيات

من اتخذ الاسلام دينا نجا غدا * من النار والكفار فيها تخلدا

ومن يتبع دين الضلالة والشقا ٭ فذلك فى نار الجحيم مؤبدا
ومن يتبع دين النبى محمدا ٭ فذخرا له يوم القيامة محمدا

(قال الراوى) فلما سمعت مارية ذلك الكلام هدى الله قلبها وشرح للإسلام صدرها فنطقت وقالت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن كل دين غير دين الإسلام فهو باطل وأن عيسى بن مريم عبد من عباد الله ففرحت الاميرة بأسلامها ودقت البشائر بالطبول وأعادت اليها قلعتها وأموالهم وهى مكرمه مبجله وجمعت أصحابها وأعرضت عليهم الاسلام فمن آمن آمنته ومن ومن أبى قتلته وقالت الاميرة يامارية قد بقيتى مالكة لنفسك ووجب حقك علينا لانكى خرجتى من زمرة الكفار وبقيتى من جملة طائفة النبى المختار فقالت مارية يا أميرة افعلى معى ما أنتى أهله ففرحت الأميرة وزوجتها لرجل من بنى كلاب يقال له عبد الرحمن الكلابى ونزلت عنده ألف من السودان وزوجت السودان من بنات البطارقة وارتحلت الاميره من عندها بعد ان قعدت فى القلعة شهر كامل وعلمتها الصلاة وسارت الاميرة والامير عبد الوهاب فى المقدمة وإلى جانبه البطال وهم طالبين دير النذور الى أن وصلوا إليه فتلقاهم الأمير ضيغم وسبك غلام البطال وسلموا على بعضهم البعض ولما أن استراحوا جمعوا الاموال التى كانوا تركوها فى الدير قبل دخولهم إلى بحيرة الفلك واشتروا منها ألفه جمل برسم حمل الغنائم والاموال وحملوا الحمول على الجمال والدواب وتوجهوا إلى الثغور وهم فرحين مسرورين بما فتح الله على يديهم والأميرة تنشد وتقول هذه الأبيات :

رجعنا سالمين إلى البلاد ٭ ونلنا ما نريد من الاعادى
وأخلصنا اليقين لرب صدق ٭ فبلغنا من الامر المراد
وظفرنا بما رمنا وعدنا ٭ نطيع الله فى أمر الجهاد
وأسلمت الملوك على يدينا ٭ وعادوا مذعنين الى الرشاد
ومارية هداها الله حقا ٭ إلى دين النبى خير العباد
وطهرها من الآثام فضلا ٭ من الله المهيمن ذو الجواد
تعالى الله لا شىء سواه ٭ ولا أحد سوى رب العباد
إله قادر رب قدير ٭ رؤوف سيد رب جواد
حليم لا يؤاخذ بالخطايا ٭ غفور الذنب فى يوم المعاد
وحى قادر رب سميع ٭ بصير النمل فى الليل السواد
علىٌ متكلم باقى كبير ٭ مريد عالم بأسرار العباد

سأسكن فى الجنان بأمر ربى ✲ وأطلب راحتى يوم التناد
بذلت النفس فى مرضاة ربى ✲ لعل الله يبلغنى مرادى
وان الله يسكنى جنانا ✲ مع السادات من حازوا الرشاد
محمد الشفيع لكل عاص ✲ رسول الخالق الفرد الجواد
عليه صلاة ربى كل وقت ✲ وجمع الصحب والآل الجياد

(قال الروای) وجدت الاميرة فى سيرها إلى أن وصلت إلى ملطية فخرج إليها عمرو وسادات بنى سليم ورأوا ما معهم من الاموال فتعجبوا مما حصل معهم من الاموال والغنائم فلاموا عمرو عن التخلف عن الجهاد وأقر بالاميرة قرارها وشاعت أخبارها وكان البطال مشتاق إلى سماع أخبار لؤلؤ وزنانير فهذا كان من أمر هؤلاء.

(وأما ما كان) من حديث لؤلؤ والملكة زنانير فانه لما أتى بها إلى الكنيسه فكانت إذا سكتت يسليها ويحادثها وإذا نامت يسهر عليها فلما كان ليله من بعض الليالى وهى نائمة استيقظت من منامها وجلست على حيلها وهى وجله فقال لها لؤلؤ ما ورائكى ياسيدتى وسمعها تقول صدق الله العظيم وصدقت وآمنت بما قال رسول الله صلى عليه وسلم وقد رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وفى يدها درة بيضاء تضىء كأنها كوكب درى فلما سمع منها لؤلؤ ذلك فرح فرحا شديدا وقال لها أعز الله الملكة الكريمة وأعادها إلى ملكها سليمة ما ورائكى اعلمينى بأخبارك فقالت له يالؤلؤ بينما أنا بين المنام واليقظة وإذا برجل قد دخل على وقال لى أتى زنانير بنت الملك صلبوتا فقلت نعم يا سيدى فقال ارجعى إلى الله عن قريب ووحدى القريب المجيب الذى خلق فأبدع وكل شىء له خضع الذى خلق عيسى وموسى وابراهيم وهو الله الرب العظيم حتى تكونى من نساء المجاهدين وتحشرين مع أمة خاتم النبيين فقلت له يا رسول رب العالمين إنى أخاف من المسيح عيسى بن مريم فقال لى أن المسيح عبد الله وأنه صدق برسالتى وآمن بى قبل ظهورى فقلت له يارسول الله أريد برهان واضح فأومأ بيده المباركة إلى وقال لى خذى هذه الدرة فهى آية كبرى واسلمى وتزوجى بلؤلؤ فانه قاسا عليكى أمور عظيمة وأحوال جسيمة فأخذت منه هذه الدرة وآمنت على يديه وانتبهت وأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ففرح لؤلؤ بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد (قال الراوى) فهذا كان من أمر لؤلؤ وزنانير وسلامة وهو لا يقدر على الخروج من أهله من عتبة لأنه لما تعافى ولده صار يتردد على [illegible]
[illegible]

فى البحيرة ولؤلؤ فى البيعة المقدم ذكرها وهو مختفى ولايظهر الا اذا علم ان عقبة ماهو فى البيعة ويحرص ان يخرج من البلد فما يقدر على ذلك وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماهذا التأخير الا لأمر من الأمور وكل يوم يمر عليه مثل سنة فهو كذلك وقد خرج لؤلؤ يوم من بعض الأيام من البيعة الى الحوائج وإذا به رأى عقبة داخل البيعة فعرفه معرفة تامة (قال الراوى) ثم ان عقبة أراد ينفى الظن عنه ويطمن لؤلؤ فدخل البيعة عند القس الأكبر وجعل يحادثه ويقصد بذلك ان يطمن قلبه ويظهر انه ماعرفه حتى يقبضه قبضا بالكف ثم انه عاد الى لؤلؤ فى بر الكنيسة وأخرج له نفقه من كمه وقال له يا حبيبى اجعلنى فى حل بما أتهمتك ولقد وقع لى فى خلدى وظنى انك عبد لى قد ربيته لنفسى واصطفيته لخدمتى فخاننى وتركنى مريض وأخذ مالى من عندى وهرب ولئن أوقعه المسيح فى يدى لاشفيت منه فؤادى وآخذ منه بثارى وأنى عارى واما أنت ياولدى حيث ما فت من بلد اليونانيين كتب المسيح سلامتك وقضا حاجتك وبلغك أمنيتك لاتخاف ولاتفزع (قال الراوى) ثم ان عقبة عاد الى الكنيسة ثانى يوم وجلس ودارت من حوله الرهبان وقعد معهم يحادثهم فى الأديان ويقص ماجرى له فى بحيرة الفلك مع البطال وعبد الوهاب الى أن تعالى الوقت ثم خرج من البيعة وقصد الى داره وجعل ينظر فى باله ويقول هو لؤلؤ لا كلام ولا يمكن ان ينفرد بنفسه ولابد أن البطال معه ولئن كان معه أكون قد ظفرت بالمراد وأشفيت منهم غليلى ولكن أمضى الى الملك وأعلمه بالقصة وأخذ من عنده رجال وأقبض عليهم وأصلب البطال على باب الذهب ويكون ذلك من العجب وأقول أنتم تقولون ان نبيكم قال تصلبونى فأنا قد صلبتكم وأما لؤلؤ فانه خرج من الكنيسة فحس قلب لؤلؤ بالشر به فما كان له شغل الا أنه أخرج زنانير الى دار الحاجب مارس وقال ان عقبة مايغفل عنا تدونك ماتفعل بنا فأمر مارس غلمانه ان يمضون البيعة ويأتوا بزنانير الى منزله فقال انزلوا فى ذلك السرداب وأنا أمضى الى الملك وأبصر مايعمل ذلك الملعون قال لؤلؤ يامولاى ان عقبة خبيث والساعة يمضى الى الملك ويأخذ من عنده رجال ويمضى الى البيعة فانقلنا فى مكان غير هذا فأنفذ مارس الى أخيه دارس وأخبره بما جرى فقال دارس انقلهم الى دارى فانما أكتم لامرهم وأخفى لأمرهم (قال الراوى) فهذا كان من لؤلؤ وزنانير وأما ما كان) من القاضى عقبة فانه قام من وقته وساعته وهو فرحان ويظن فى نفسه أنه بلغ من لؤلؤ المراد وقصد الى الملك وأخبره أنه قد أتى بخبر صحيح فقام له الملك قائما على الأقدام عند دخوله عليه وقال له ما حاجتك أيها الشيخ النجيح فقال أيها الملك ان الذى كنت أخبرتك خشاد وأرجوا أن أتشاد فقد بلغنى المسيح اياه وأوقع فى يدى لؤلؤ وزنانير

والبطال ونلت منهم الآمال لانى مضيت الى البيعة أتقرب فيها فوجدت لؤلؤ وقد كتم أمره وغير زيه ونشر على أكتافه شعره وقد خرج من البيعة يقضى بعض الحوائج ولما رأيته كاشفته واستخبرته على حاله فأخبرنى انه من خواصك ورجع قال أنا من اليونان وهو نازل فى الكنيسة وأريد عشرين بطريق يمسكوه وقدامك يحضروه وإلى بين يديك يوصلوه وتشفى قلبى منه ومن زنانير فقال الملك أنا أخبرت انهم فى بحيرة الفلك وان مارية صاحبة قلعة العلق وصل كتابها الينا تذكر ان العرب نزلوا عليها وملكوا قلعتها وفيها ذات الهمة وولدها والسودان الذين يتبعوها (قال الراوى) فلما ان سمع عقبة ذلك تغير لونه واصفر كونه وانتقض وضوءه وقال ياملك اذا قبضنا على لؤلؤ وسيده البطال نملك به سائر الأطلال ونحتوى على ملك المسلمين ونفتخر على الأولين والآخرين ولا يبقى لك عدو الى يوم الدين فقال ياشيخ اعلم ان هؤلاء ماهم من خلقة المسيح وإنما هم فى صفة الطيور الطائرة والنجوم الزاهرة ولكن خذ من البطارقة ما تختار وأوقع بهم الدمار فأخذ عشرين بطريق غلاظ شداد كانهم من بقايا قوم عاد وأمرهم ان يمتثلوا أمره فمضى الى البيعة فى طلب لؤلؤ والبطال ولما أن وصل اليها طافها فوق وأسفل ولم يدع مكان حتى فتشه فلم يجد أحدا فأجهد نفسه فلم يجد أثر فقال ما المسيح الا مسلم حتى انه يحامى لهم وينصرهم وندم حيث لاينفعه الندم الذى انفلت لؤلؤ من يده وكيف تحدث بامره عند الملك حتى يملكه والايكذبه فهذا ما كان من عقبة (وأما ما كان) من الحاجب مارس فانه أراد ان يمضى الى دار الملك ينظر مايكون من أمر عقبة فهو ماشى فى الطريق وقد قرب من البيعة واذا بعقبة ومعه عشرين بطريق وهم خارجين منها يريدون الملك وقدامهم عقبة مهرولا فقال ياأبونا مالى أراك على هذه الحالة كان ذلك حاجة تريد قضاها فقال عقبة أى والله وأى حاجة وأنت تعلم بحاجتى احتفظ بها عندك وسلم أعداء الملك اليه فان فعلت ذلك فقد نصحت الملك وقمت بواجب حقه وان اخترتم على الملك الذى أنت عنده فى تلك المنزلة والرتبة فسوف يكون ذلك حال آخر فقال مارس ومن لى أنا بذلك وحق المسيح والدين الصحيح وحنا ومريم والإنجيل المكرم ماهم عندى (قال الراوى) فقال له حاشاك من هذا اليمين سوف ترى كيف يظهر كذبك فقال مارس يالعين وشيطان رجيم وحق من فلق الحبة وبرأ النعمة وتردى بالعظمة وتفرد بالواحدانية وقهر العباد بالموت وحق الذى هدانى للدين القويم وشرفنى بأنى من المسلمين انهم عندى وكان كلامه له بينه وبينه ولئن تكلمت فيهم ما كان لك عدو غيرى وأقابلك على فعلك وأتكلم عند الملك وسوف ترى العجب ولا عجب من أمر الله تعالى ثم إن مارس رجع الى داره وأخبر أخته أرمانوسه بما جرى له فقالت يا أخى

انقلهم الى عندى فما لاحد عليهم طريق والملك ما يصدق فى مخلوق عند ذلك نقلهم عندها فانزلتهم فى مكان حريز وجلس مارس فى داره وكذلك أخيه دارس وأما عقبة فانه رجع الى الملك وأعلمه بالقصة وانه طاف البيعة وقال يا ملك اعلم أن أعداءك معك فى بلدك وأنت غافل عن نفسك والنار تلهب من تحت ثيابك فأفق على روحك من قبل أن تنزل بك النوازل وتتزلزل بك الزلازل (قال الروى) فقال منويل وقد زاغت فى أم رأسه عيناه كيف العمل يا أبانا وايش الذى تقول فقال المسيح يوريك معى العجب فقوم وشد ازرك وأنا أخرجهم من تحت تخوم الأرض وأملكك جارية ما على وجه الأرض أحسن منها ولا ابهى ولا أجمل فهى تكفيك باقى عمرك لأن طلبوها ملوك بحيرة الفلك فما رضيت بهم وأسرتها ذات الهمة وخصلها لؤلؤ وما جابها الى تلك الارض إلا حتى يخرجك من ملكك فقال الملك ما تصنع أيها الاب الكبير الذى اليه فى أمورنا نشير فقال يا ملك اذا كانوا عين قومك الذين يأكلون خيرك ويرفلون فى نعمتك يخامرون عليك ويختاروا أعداك عليك كيف يكون حالك اذا أخذت الحيات والعقاء تجعله فى ثيابك فمن يفعل ذلك الامر غيرك (قال الراوى) فقال الملك اطلعنى على جلية الحال وصحة هذه الاقوال فلو كان ولدى لافعلن فيه رأيك واسمع فيه مقالك فقال عقبة أيها الملك زنانير ولؤلؤ وسيدة البطال عند حاجبك مارس لانه خرج من دينه ويقينه وتبع البطال فى زخاريف المقال والخرافات وأبواب النار نجيات حتى انفسد دينه فانهض حتى املكك جارية ما نظر احدا من الاولين والآخرين شكلها فقال الملك وحق المسيح لقد شوقتنى اليها ولئن أوقعتها فى يدى يكون لك عندى اليد البيضاء والكلمة العليا (قال الراوى) عند ذلك أمر الملك الى مائه بطريق يكونوا معه تحت طاعته ويسمعون كلامه ويمضوا الى دار مارس ويلبسون لامة حربهم ومعهم سلاحاتهم ويهجمون الدار ويوقعوا بهم النكال وسوء الاحوال فخرج بهم عقبة شيخ الضلال ومعدن الكفر والمحال وكل منهم لبس درعه ولامة حربه وأخذ سيفه والا عمدة الحديد والطورق واللتوت والخناجر وما زالوا سائرين مع عقبه حتى وصلوا الى دار مارس فكسروا الابواب وهجموا الدار وطافوها يمينا وشمال وفوق وأسفل وبيوت جيرانهم فلم يجدوا شيأ مطلقا عند ذلك قال الحاجب مارس يا ويلكم تسمعون من هذا الملعون ما يقول فى حق الناس من القبيح لانه ما يتقرب من الملك الا بمكره ودهاه وكذبه وقيادته فقد أبعده الملك كوجار ونفاه شمس الفلك وسيف الدولاب مما عاين منه من المكر وهو يقوى على الأعداء ثم نهض مارس الى عقبة ومسكه من شوشب لحيته وضربه ضربا وجيعا على رأسه وناصيته حتى أنزل الماء الاصفر فى عينه الصحيحة وخطف عامود من

حديد وضربه فى رأسه فتح رأسه شبرا وصاح على من عنده من الغلمان وهو فى أوائلهم أوقع بهم فعل ووقعوا فيهم بالدبابيس واللتوت وجرى بينهم وقعة عظيمة سالت فيها الدماء وخرج الملعون هاربا على وجهه البطارقة خلف وقدام حتى وصل الى ملك الروم وأخبره بالقصة وإذا بمارس دخل على الملك وقد قطع ثيابه وكسر سيفه ونتف شعره وضرب بيده على صدره وأطلع لسانه وقال أيها الملك أيدك المسيح وساعدك ونجتك مريم من الشدائد وأجرتك على جميل العوائد اذا كنت أنا وأخى فى خدمتك وقد أفنينا أعمارنا وهجرنا ديارنا وفارقنا أهلنا وكل الملوك بلغك انهم يطلبونا فى خدمتهم ويرغبوننا ونحن مانختار أحد اسواك من الدنيا ولا ظهر لك علينا خنا ولا جرى لنا سابقة بما يذكر عنا ونحن نقول نحن ترجمانك وخواص حجابك فكيف هذا يخرق فى حرمتنا ويدخل هذا فى ديارنا ويكشف على حريمنا وينهب أموالنا فما الذى تسمع الملوك الاكاسرة أو القياصرة بما جرى لنا وان كان الملك كرهنا ومل من عشرتنا فليطلق سبيلنا ونأخذ طريقنا ولا نقيم فى بلد أحد من ملوك النصرانية ولا أهل ماء اللدودية لأن الناس ما يخدمون الملوك والأكابر الا يحصل لهم الحشمة والوقار والعز والافتخار فاذا هتكت حرمتهم كيف مقامهم عندكم فقال الملك وما جرى عليك من الأمور فانك مكرم عندنا زائد الكرامة والتبجيل ولو كان عندك ما ذكروه ما صدقنا فيك وما أحد يمد يده بسوء اليك ولا وصل اليك بأذية (قال الراوى) ثم أنه طلب عقبة إلى بين يديه وشدد فى الانكار عليه وقال ويلك يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية كم تكثر كذبك على مارس وتقول فى حقه مقال لايليق بمقامه وهو راغب فى خدمتنا ناصح لدولتنا ومن حين أتيت الينا وأنت ترمى الفتن بين خدامنا وأصحابنا أفضح المسيح من أوصلك الينا ولارعى طريقك فما أقل عقلك وما أسقع ذقنك لأنك من الجاهلين فلعنك المسيح ولا أبقاك وما أكثر شقاك فما أنت إلا شيطان مريد وجبار عنيد ثم أمر مارس أن يأخذه اليه ويعمل معه مراده وينتقم منه كيف يشاء ثم قال الملك للبطارقة من أمرك أن تفعلوا هذه الفعال وإنما أنا قد قلت لكم أن رأيتم أحدا فى دار مارس كما قيل وإلا ارجعوا من حيث أتيتم وكل من أخذ شيئاً يرده مكانه ومن صنع مكروها يعتذر اليه فلو كان فى دولتنا عشرة مثلهما لم يطرقنا طارق سوء أبدا وان مارس أخذ عقبة من قدام الملك وأتى إلى داره لعقبة ويلك يا كافر يامفتون كيف رأيت عملى من عملك فما أصنع معك ولولا خوفى من الله تعالى وأنت كلب حقير وما فى قتلك فجر ولا فائدة لما تركتك تعيش وحق المنضجع بيثرب والذى رفع السماء وعلم آدم الأسماء وتردى بالوحدانية والبقاء أن لؤلؤ وزنانير

وأن كانوا ما هم عندى أعرف مكانهم ولكن لايرانى ربى أن آخذ نزيل عندى وأسلمه إلى مثلك كافر كيف يكون ذلك وقد تحرموا بزادى وحرمتى وأمتسكوا بذمتى وهم أخوانى فى دينى وملتى ولكن أنا أفعل معك بخلاف ما فى باطنك وظنك وخذها عندك يد بيضاء ولكن أعامل وجه ربى (قال الراوى) ثم أن الحاجب خلع عليه خلعة وأوهبه نفسه وقال أخرج من دارى وخرج عقبة ووصل إلى الملك فرأى عليه الخلعة والكيس النفقة فقال يا أبانا ما فعل معك مارس قال ياملك أعطانى خلعة ونفقة أصلح بها شأنى فقال له الملك أما تستحى من المسيح أصحابنا يفعلون معك الجميل ويعطوك أثوابهم ومالهم وأنت تفعل فى حقهم القبيح وتوقع بيننا وبينهم العداوة فما الذى حملك على ذلك فقال يا ملك التوفيق عزيز وأيضا الطبع لم يتغير والمسيح يفعل ما يختار فقال الملك الزم دارك ولا تعود تقربنا من مكانك (قال الراوى) نخرج عقبة من بين يديه وقصد إلى داره والغيظ كادان يخنقه وقال فى نفسه ما الذى تفعل ياعقبة تمت عليك هذه الأمور الصعبة ووقعت فى هذه الورطة وإذا لم أعمل عمل وأدبر تدبير وإلا أكون عند الملك كذاب وتنحط منزلتى عنده ثم بعدذلك أنقدحت فكرته أن يقعد على باب الذهب وقال فى نفسه أقعد ولو سنة كاملة وأبصر من يخرج من الباب فما يقدر لؤلؤ فى ذلك البلد على المقام ثم أن عقبة جعل يداوم على القعاد على باب الذهب وعاشر البوابين وأوعدهم بالأموال والنوال (قال الراوى) فهذا كان منه ما فعل وما دبر (وأما ما كان) من لؤلؤ وزنانير فانهم أقاموا عند ارمانوسه أخت مارس مدة شهر كامل وهم مختفين فى أكرام وأنعام فهم يوم من بعض الأيام جلوس وهما يتحادثان وإذا بمارس دخل عليهم وسلم وجلس يحدثهم فقال اؤلؤ ما الذى دبرت فى أمرنا فقال مارس ما الذى أقعدك إلى الآن وقد أنقطع عنك الطلب ولا بقى عقبة يقدر يفتح فاه بما فعلت معه فقم وأخرج وأنت باختيارك فقال لؤلؤ والله أن قلبى منقبض وأخاف أن يكون عقبة قد نصب لنا مكيدة فقال مارس أن هذا شهر كامل ما ذكرك بلسان فقوم أن أردت فقال لؤلؤ يامولاى الرأى أن تكشف لى الطريق فقال مارس لا تخاف الذى ستر عليك أولا يستر عليك ثانيا ثم أن لؤلؤ لبس الملكة زنانير ثوب رفيع من الصوف الأسود وجعل لها ماشوحه ولحية سوداء وقلنسوة وفعل بروحه الآخر كذلك ودفع لها فى يدها عكاز وفعل الآخر مثله وخرجوا من دار أرمانوس أخت مارس وهما فى الخفيه والقلب يحس بالنكبة وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى باب الذهب ومارس خلفهم يقتص الأثر وكان عقبة قاعد على باب الذهب على مصطبة ولؤلؤ ما زال يمشى خلف زنانير حتى سبقته وخرجت

من الباب وكانت ترجمة عظيمة وأراد لؤلؤ أن يخرج من خلفها فرآه عقبة من بين الجماعة فوثب قائما على الأقدام وصاح على البوابين دونكم ولؤلؤ غلام البطال فتجارت البوابين مسكوه ووصلوا إلى زنانير وجذبوها وشحططوها وضربوا لؤلؤ ضربا وجيعا وكان مارس من خلفهم وقد رآهم وقد مسكوهم فلم ينطق بحرف واحد فرجع إلى داره ولم يطلع أحدا على أخباره خوفا لا ينسب ذلك اليـــه ووقع الصائح فى البلدان الشيخ النجيح وقع بغلام البطال ومعه زنانير بنت صلبوتا فسمع الملك بخبرهم فقال من أين قبضوا قالوا من باب الذهب وقد عبروا عليه وقد غيروا زيهم فأمر الملك من حضر من حوله من البطارقة وقالوا عجلوا بحضوره فخرجت البطارقة فوجدوا عقبة قاصد الى ناحية الملك وهو قدام البطارقة ومن حوله وقدامه ووراءه جمع عظيم وهو يقول شكرا للمسيح الذى ظفرنى بعدوى وعند الملك رفع قدرى الذى ظفرت بلؤلؤ غلام البطال الذى أشد من سيده على النصرانية وأهل الملة المسيحية والبطارقة يضربوه من كل جانب ومكان وترادفت عليه النوائب والأحزان وما وصلوا به إلى قصر الملك منويل حتى أهلكوه ولما ان دخل عليه وهو على تلك الحالة عند ذلك قال بارك فيك المسيح ياشيخ. فما أشد حيلتك وما أكثر احترازك فلا أخلانا المسيح من رأيك ولامن طلعتك وقوى عزمك ونظر منويل إلى لؤلؤ وهو مثل الخرقة المبلولة فقال ما الذى نفعل بهذا يا أبونا فقال ياملك اضرب رقبته ونستريح من شره فقال الملك أين أبونا البترك فتبادرت اليه الغلمان ولما ان حضر البترك قام له قائما وقبل يده وأوقف لؤلؤ وزنانير بين يديه وقال ماتصنع مع هؤلاء يا أبونا قال البترك اعلم انه قد جرت عادة الملوك إذا قبضوا على أسير لايفرطوا فيه ولا يهينوه لاسيما وهذا سيده يخشى من سطوته وشدته ونخشى ان تدركنا أمراء العرب والأبطال فاذا كان عندنا هذا أو غيره أسير فربما يأخذون أحدا من أصحابنا فيكون الذى عنده له فداء وربما يكون هلاكه سبب لمجيء عسكر الإسلام اليك كما فعلوا بالملكة ماريه وما عندى من الرأى إلا أن نترك هذا فى السجن ونتلطف بزنانير لأنها بنت ملك كبير ونجعلها من بعض حضاياك ولو كانت راغبة فى المسلمين ماجاءت الى بلادنا وكانت مضت اليهم فاستصوب الملك رأيه ومقاله وامر بلؤلؤ أن يمضوا به إلى السجن ويطعم ويسقى ويداووه إلى أن يبرأ فاذا برىء قيدوه واحتفظوا به ووكلوا به عشرة من البطارقة فمضوا به الى مطموره ضيقة مظلمة فطرحوه فيها وهو فى غاية الأذى وأقام على تلك الحالة وفى كل يوم يأتيه عقبة ويضربه ويؤذيه أشر الأذى ويقول له هات من ينفعك ان كان أستاذك يقدر

تخلصك فقد غلب عملى على عملك ولؤلؤ يستعين بالله على بلاه وصابر على أذاه وكلما أذاه يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد أقام فى المطمورة تحت الأرض لاينظر لاشمس ولا قمر مدة أربعين يوم (قال الراوى) ياسادة ياكرام (وأما ماكان) من زنانير فان منويل رأى مافيها من الحسن والجمال والقدر والاعتدال والبهاء والكمال والعفة والمعرفة والدهقنة ووجه كأنه القمر فى ليلة تمامه فهام بهاقلبه واشتغل خاطره ولبه وقال فى باله ان هذه تكفينى مابقى من عمرى وقد فرح بوصولها اليه فرحا شديدا ما عليه من مزيد وصار يداعبها ويلاطفها وأخذها إلى محضيته وكان يميل اليها ويعتقد فيها الخير والسياسة والأدب فدخل بها اليها فرأت من زنانير من الفعل والأدب والعفة مالا عين رأت ولا أذن سمعت فرق قلبها عليها وقالت لها أنتى أختى وأنتى عندى أعز من روحى التى بين جنبى (ياسادة) ثم ان منويل طلب ان يبوسها فرفعت زنانير رأسها اليه وقالت ياملك أيدك المسيح وحفظك ورعاك أنت ملك النصرانية ومن غمس فى جرن ماء المعمودية ما أخذتنى فى مجال الحرب ولا الطعن ولا الضرب وانما أخذتنى من بلدك وقد أتينا بأمان المسافرين والتجار المترددين وما نحن من أهل دين المسلمين حتى انك تأخذنا غصبا واغتيالا فارعى فينا مثل ماترعى فى حريمك ولا تأمن الدهر يفقدك حبيبك فاذا غدرت فلا بد للدهر ان يغدر بك قريب ويرى حريمك فى أيدى الرجال الأجانب فان أحسنت لاسراك أحسن المسيح مثواك (قال الراوى) فرأى عندها من العقل والأدب والسياسة مالا رآه من غيرها فتركها عند المحضية وأمرها أن تجرى عليها الاكرام والانعام وتداديها فى الكلام ولما ان خرج منويل طلب مارس وأخيه دارس وكانوا عولوا من يحتالوا على خلاص لؤلؤ ولما ان وصلوا اليه وصاروا بين يديه أمرهم أن يرسلوا ارمانوسة إلى زنانير تلاطفها بالمقال فقالا سمعا وطاعة (قال الراوى) فهذا كان من أمرهما (وأما ماكان) من الامراء لما ان عادوا إلى ملطية خرج الامير عمرو بن عبيد الله إلى لقائهم وهناهم بالسلامة واستقر بهم القرار وأنست بهم الديار فقال الأمير أبو محمد للأميرة ذات الهمة أنا أريد أن أمضى إلى القسطنطينية لأجل غلامى لؤلؤ لأنى ما أعرف ما كان منه وما جرى مع الملكة زنانير وقد سمعت أنهم ركبوا فى البحر وأشرفوا على الغرق ثم انه ودع الأميرة وطلب بلد الروم ولما ان وصلها دخل من باب الذهب فى زى الرهبان وقصد إلى دار مارس واجتمع به وهناه بالسلامة وسأله عن لؤلؤ فقال انه فى قيد الحياة وإنما هو أسير وكذلك زنانير عند ملك الروم فقال البطال يا أخى أريد منك أن توصل خبرى اليها وتعلمها أنى فى البلد فأجاب إلى ذلك وقصد إلى

نحو أخته أرمانوسة وقال لها اعلمى ان أخينا أبو محمد البطال حضر عندى من أجل غلامه لؤلؤ وقصدنا ان توصلى خبره الى زنانير فقالت سمعا وطاعة ثم انها مضت إلى عند حضينة الملك فلما رأتها وثبت اليها وقبلتها و نظرت الى زنانير وقد أنست اليها و بعد ساعة طلبت شربة من الماء فنهضت حضينة الملك تأتى بالماء فقالت أرمانوسة لزنانير اعلمى أن أبو محمد البطال قد حصل فى البلد لأجل خلاص غلامه لؤلؤ ففرحت زنانير فرحا شديدا ما عليه من مزيد ثم قالت فى نفسها ان خلص لؤلؤ بقيت أنا ههنا ثم قالت زنانير أنا الساعة أدخل على الملك وأسأله أن أمضى إلى الكنيسة واجتمع به هناك ولما أن سمعت أرمانوسة مقالها قالت نعم الرأى وبعد ساعة خرجت أرمانوسة وأعلمت البطال بذلك الأمر (وأما ما كان من زنانير فانها مضت إلى الملك منويل وقبلت الأرض بين يديه وأعلمته أنها ضيقة الصدر وأريد أن أدخل إلى الكنيسة أتعبد فيها ففرح منويل وظن أن ذلك حق فالتفت إلى الخادم الخاص وهو غلام صغير وقال خذ ستك وكون معها فى دخولها وعند خروجها فقال سمعا وطاعة وانها صارت فى كل يوم تمضى إلى البيعة فلما أن كان فى بعض الأيام مضى أبو محمد فى زى العوام فوجد الناس يهرعون ويتسابقون فسأل عن ذلك فقيل ان زنانير حضية الملك قد أتت إلى الكنيسة تتعبد فيها عند ذلك دخل مع الناس إلى أن وصل إلى الهيكل فوقعت عين زنانير فى عين البطال فعرفته وأدنته منها وقالت له ما أجفاك على الاصدقاء كيف يكون غلامك أسير فى الذل والتعتير والهوان وأنت لا تسعى فى خلاصه وحق الرب ما ظننت أن فيك ذلك الجفاء وقلة الوفاء وكان كلامها بالعربى حتى لا يفهم ما يقولون فقال أنا ما جئت إلى فى خلاصه فقالت أنا أعمل على خلاصه وأنت تمضى بنا إلى بلاد الاسلام فقال لها قولى لى ماذا تصنعى حتى أننى أعرف الخطأ من الصواب فقالت أننى أعود إلى الملك وأطيب قلبه واجالس معه على الطعام وألاعبه وأمازحه وأكون كل يوم أمضى إلى البيعة وأعمل على خلاص لؤلؤ ونمضى إلى بلاد الإسلام ففرح بذلك واستبشر وصارت زنانير كل يوم تتردد إلى الكنيسة وأن منويل سألها عن حالها فقالت يا ملك أنى سألت المسيح يعطف قلبى عليك ويميله اليك فقال لها لا بقيتى تقطعى التردد إلى البيعه فأنا لست أمنعك عن الزيارة (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من معلمها الذى رباها وهو الحكيم أقليدس فانه نال من فقدها منال عظيم وحال جسيم حتى صار لا ينام الليل ولما ضاقت به الحيل اجتمع بكبراء الملك صلبوتا وقال لهم يارحمة المسيح اعلموا أن مالنا صبر على فقد زنانير فلا بد لى أن أمضى واكشف خبرها ثم أنه بعد أيام وصل اليه الخبر أن لؤلؤ وزنانير نزلوا فى بعض المراكب

إلى القسطنطينيه فقال فى نفسه ما لى إلا أن أمضى وا كشف الخبر وأدبر على خلاصهم وأوصى بحفظ الحصن وكان الذى أوصاه بطريق يقال له مقلاعوس وخرج من الجزيرة ونزل فى مركب إلى أن وصلا الى القسطنطينية واجتمعا بالبطال وتعارفا وأخبره البطال بحديث زنانير ووصل خبر الحكيم الى منويل فأحضره الى بين يديه وقال يا أبونا لقد شرفت مدينتنا بقدومك الينا وسمعت زنانير بحضور الحكيم عند الملك فأرسلت تقول أريد أتبرك بذلك الشيخ العالم ولما وصل اليها عرفته وكلمته وسألته عن الجزيرة قال بخير وكل أهلها مشتاقين الى رؤياك ثم أنه أعلمها بحديث البطال وأنه اجتمع به فى الكنيسة (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أنهم أقاموا يدبرون فى خروجهم من البلد شهرا كاملا ثم أن زنانير اجتمعت بالبطال فى الكنيسة وقالت أريد أن تمضى معى إلى القصر فقد دبرت حيلة تخلص بها لؤلؤ فقال سمعا وطاعه ثم نهض معها بزى الفقراء وأوقفته عند الستر الخاص فنظر اليه الملك فسأل فقالت هذا راهب من الكنيسة ضعيف الحال صعلوك أريد أن أهبه شيئاً فلما أن سمع منها ذلك أمر الخادم أن يدفع له ألف دينار فأخذها ودعا للملك وخرج كانه طالب الباب وكان خبير بالقصر ومنافذه فدخل من الدهليز إلى بعض الخزائن وخرج منها إلى بعض الأبواب وإذا هناك جماعة ولما أن رأوا البطال قالوا هذا الراهب الذى دخل مع الملكة زنانير وأعطاه الملك ألف دينار ثم قالوا قف ساعة ياراهب وقال بعضهم نرسل هذا الراهب يستأذن فى قتل هذا المسلم ويعود الينا بعلامة من الملك ثم أن الجماعة زوقوا لابو محمد خاتم الملك أخذه وطلب إلى الملك فغاب قدر ساعة وعاد يقول أن الملك يقول لكم سلموه إلى هذا البطريق وأشار إلى أقليدس ثم أنه أخرج لهم خاتم الملك وقال هذا علامة الملك فلما أن رأوا الخاتم باسوه وسلموا لؤلؤ إليه فأخذه وخرج إلى باب المينا فما لحقوا أن يقفوا على الساحل حتى لحقتهم زنانير وكانت سرقت خاتم الملك وأرسلته إلى مارس وأعلمته بالقصة فطلع فى جملة من غلمانه وأرسل الخادم بالخاتم زوقه للحكيم أقليدس وتمت الحيله ولحقتهم زنانير ونزلوا فى مركب وأقلع بهم البطال لانه خبير بالبحر وقصد بهم إلى أفرنجة وفادا البلد وأبعد عنها وسار وبعد عشرة أيام وصل إلى قلعة زنانير فاستبشروا بها وفرحوا فرحا شديد وزينوا الجزيرة لاجل وصولها ولما استقر بهم القرار قال البطال يا ملكة الحمد لله الذى جمعكما على الاسلام فقال لؤلؤ يطيل لنا عمر هذا الحكيم لأنه جمال الدين وناصح للمسلمين فقال أبو محمد البطال يالؤلؤ تقول ذلك المقال فى حق أهل الضلال فقال لؤلؤ معاذ الله لا تقول هذا المقال فانه أخينا فى الله ولما أن سمع أقليدس قال أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله ففرحت

زنانير وقالت وكذلك أنا أقول أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ففرحت وفرح البطال بذلك وقال الحمد لله على ذلك وأقامت زنانير تعرض الإسلام على قلعتها فمن أسلم أنعمت عليه ومن أبى عملت على قتله ولما أن كان بعد ذلك بأيام رفعت مالها ونوالها فى مراكب وعبت أشغالها وإذا بمركب أقبل فى صدر البحر فخرج الحكيم أقليدس يكشف الخبر ولما أن قرب اليهم سألهم من اين والى أين فقالوا نحن من عند الملك شمس الفلك وقد أتينا نهنى الملكة بخلاصها ورجوعها إلى حصنها وأن الملك يسألها الصلة به والزواج ولما علم الحكيم بذلك رجع إلى زنانير وأخبرها أن الملك يخطبك والرأى أن نسير كما نحن ونقول للرسول أن الملكة رضيت بذلك فارجع إلى الملك شمس الفلك وأعلمه بذلك فاذا صرنا قريبا منه أرسلنا اليه أن الملكة لاتدخل إلا فى الليل فاذا أتى الليل تحايلنا عليه لعله يأتى الينا فنأخذه ونسير على حالنا فقالت زنانير أنت نعم المشير (قال الراوى) ثم أنها صارت بمراكبها إلى أن وصلت إلى جزيرة شمس الفلك وكانوا الرسل وصلوا اليه وأخبروه بالحال ففرح وأخرج خواص دولته فنزلوا ورأت زنانير إلى ذلك علمت أن الحيلة تمت عليه فقالت للحكيم كيف الحال يا أبى العمل قال تأمرين أصحابه بالرجوع إلى جزيرتهم وتقول الملك أريدك أن تطلع إلى المركب حتى أطلعك على ما معى فانى لا أشتهى أن يطلع عليه غيرك ولا يكون معك أحد لأنى أريد أعرض عليك ذخائرى وأموالى التى هما من عهد أبائى وأجدادى لأنى ما تركت خلفى شيئاً أبدا الا وأتيت به اليك وانى أريد أن أنقله إلى قلعته فاذا فعل ذلك وطلع إلى المركب وصار عندك ولم يكن أحد عندكم لخادثيه ولاعبيه وأمرى الريس أن يرد رأس المركب الى صواب مراكبنا فاذا صار مركبكم عندنا وصرنا فى مركب واحد فى وسط اللجه نأخذ الملك شمس الفلك إلا بلاد الإسلام معنا أسير (قال الراوى) وأن الملكة زنانير نزلت فى مركب منفرده ومعها بعض البحرية وأن الملك شمس الفلك قرب من مركب الملكة زنانير وأن الحيلة تمت عليه وجرى ما ذكرناه وفعلت ما أمرها الحكيم أقليدس وسارت المركب طالبه بلاد الإسلام هذا والملك غارق فى محبتها باهت إلى حسنها وجمالها وإلى ضياء وجهها ولم تزل المركب الى أن قربت من مراكبها وأهل الجزيرة ينظرون الى ذلك ومركب الملك قد التصقت بمركبها الكبير عندها أمرتهم أن يرفعوه الى المركب الكبير بعد أن أوثقته كتاف لأنها أقوى منه وأجد ثم أمرت برفع القلوع والملك شمس الفلك قد حصل فى قبضة الاسر والناس من أصحاب الملكة زنانير قد فرحوا بذلك النصر والظفر ولم يزالوا سائرين بالمركب إلى أن أبعدوا

عن الجزيرة أرادوا أن يتبعوهم بمراكبهم فقال بعضهم لبعض لعل الملك يا قوم أراد هذا والليله يبان الحديث ثم أنهم تموا على ما هم عليه وجعلوا ينظرون ماذا يكون من الملك إلى الصباح (قال) ولما أصبح الله بالصباح لم يزالوا على الانتظار الى أن تضاحا النهار فلم ينظروا للمراكب آثار وأما مراكب الملكة زنانير ساروا وهم طالبين بلاد الإسلام (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما أهل الجزيرة شمس الفلك فلما أيسوا من ملكهم أعتمدوا على ولده وكان اسمه توما فأقعدوه فى مكانه فهذا ما جرى لهؤلاء قال (وأما ما كان) من الاميرة ذات الهمة فانه أخذها القلق على الأمير أبو محمد البطال وقالت للأمير عبد الوهاب يابنى أعلم أن الأمير ابو محمد البطال قد غاب عنا خبره وأخاف من أن يكون تم له أمرا من الأمور فقال الأمير عبد الوهاب والله يا أماه انى كذلك وما يسعنى فراق ابو محمد البطال ولا فقده فياليت شعرى ما الذى غيبه هذه المدة ولا بد من ارسال جواسيس تبحث لنا عن خبره فان هذه نوبة عظيمة ولقد انقطع خبره عنا فى كرة واحدة ثم انهم ارسلوا بعض الجواسيس الى سائر الأقطار لتأتى بخبره اينما كان فهذا ما كان منهم (واما ما كان) من الملك منويل فانه لما فقد لؤلؤ والملكة زنانير التفت الى عقبة وقال له ايها الشيخ النجيح أرأيت كيف هرب لؤلؤ وزنانير بعد ما ظفرت بهما فقال له عقبة يا سيد بنى الاصفر لولا أنك تسمع منى وقتلت لؤلؤ لما كان تم عليك هذه الأحوال ولكن أنا فى كل مره أشير عليك برأى وأنت لا تأخذه بالقبول فقال له يا أبونا ما كان رأيك الا جيد ولو كنت قتلت لؤلؤ خلصت منه ولكن اذا أراد المسيح أمر ابلغه عند ذلك قال له عقبة أشتهى من السيد المسيح ان يظفرنى بأبو محمد البطال وغلامه لؤلؤ مرة أخرى وأنا أريك كيف أعمل معهم ثم أن الملك لم يعط صبرا عن الملكة زنانير لأنه كان فى قلبه منها نار لا تطفىء فهذا ما كان من الملك منـــويل (قال الراوى) وأما ما كان من الجواسيس الذين أنفذهم الامير عبدالوهاب فانهم رجعوا يخبروا انهم ماسمعوا للبطال خبر فأيست الأميرة ذات الهمة وولدها عبدالوهاب من البطال (قال) فلما كان فى بعض الأيام واذا هم بقوم تجار من الروم وقد عبروا عليهم فقالوا لهم من أين أتيتم فقالوا من بلاد المهرجان فقالوا لهم هل معكم خبر من صاحب لنا اسمه أبو محمد البطال فقالوا له وهل الأخبار الا معنا ثم انهم أخبروه بماوقع لههووغلامه لؤلؤ والملكة زنانير والحكيم اقليدس والحيل التى دبروها على الملك شمس الفلك وكيف أخذوه من الجزائر معهم والكلام الذى تقدم شاهده وحكيناه فقالت الأميرة ذات الهمة لله درك يا أبو محمد (قال الراوى)

فهذا جرى ههنا (وأما ما كان) من أبو محمد والملكة زنانير فانهم لما أخذوا الملك شمس الفلك لم يزالوا سائرين فى البحر شهرين كاملين الى أن وصلوا الى قلعة مارية ابنة الغيطفور وكانت قد اسلمت كما ذكرنا وكان فى القلعة قوم من قبلها يحفظونها فلما نظروا الى تلك المراكب التى للمسلمين أخرجوا لهم الزاد والعلوفات واذا بالمراكب قد دخلت الى المينا وأقاموا فيها بقدر ما أكرموهم ثم انهم ساروا طالبين السويدة وقد سخر الله لهم الارياح الى أن وصلوا اليها وتقدموا الى صاحب السويدية وسلموا عليه وقالوا له نريد منك أن تقيم لنا خيل توصلنا إلى ملطية فقال سمعا وطاعة وأحضر لهم من الخيل ما احتاجوا اليه ثم انهم ركبوا وساروا وخلوا المراكب على حالها بعد ما وصوا بها صاحب السويدية ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى ملطية فلم تعلم الأميرة إلا والخادم الذى لها قد دخل عليها وقال لها يا مرلاتى لى البشارة فقال الأمير عبد الوهاب والأميرة وما بشارتك فقال لهما ان الأمير أبو محمد البطال قد وصل ومعه لؤلؤ والملكة زنانير عندها أمرت الأميرة ذات الهمة الفرسان أن يلتقوا بهم من أبعد مكان فلم تكن غير ساعة والامير أبو محمد دخل عليها فلما نظرته قامت اليه قائمة وسلمت عليه سلاما شافيا وقالت له كيف حالك أيها الامير والله لقد أوحشتنا ثم انها أقبلت عليه تسأله عن ماجرى له ومن عقبة فأخبرها بما تم له وكيف خلص الملكة زنانير ولؤلؤ من القسطنطينية واسلام الحكيم ففرحت الأميرة بذلك ثم دخلوا الكل بين يديها وجلسوا فى مجلسا والحكيم اقليدس بصحبتهم فترحبت بهم وعانقتهم وأقبلوا المسلمين يهنوا لؤلؤ بالسلامة والظفر والغنيمة وأما البطال فانه ماتسعه الدنيا من فرحته بخلاص لؤلؤ والملكة زنانير من ذلك الخطب العسير ثم انهم أقاموا على ذلك أيام وكان الأمير عمرو بن عبيد الله يجلس عند الأمير أبو محمد ويسمع منه ماقاساه من الاهوال فى تلك المدة الطويلة وهو يحكى له على ما جرى وهو يتعجب من تلك الاحكام وبعدها قالت الاميرة للؤلؤ ايش عندك من زنانير فربما أتى فى الغيب مالم يكن فى الحساب فقال لها لؤلؤ والله ما أستحسن ان أقابل الملكة زنانير فى ذلك فقالت له الأميرة ها أنا أشرع لك فى ذلك ثم ان الاميرة خلت بالملكة زنانير وقالت لها اعلمى يا ملكة ان لؤلؤ قاسا من أجلك الشدائد والاهوال وأريد أزوجك له فى الحال وأحضر لكى القاضى والشهود وأعقد عليكى فماذا تقولين فقالت زنانير يا أميرة افعلى ما بدا لك فلست أخالف أقوالك فعند ذلك أرسلت الاميرة احضرت القاضى والشهود وعقدوا العقد للؤلؤ على زنانير وتمت الامور والاصباب وعملت الاميرة الولائم والافراح مده أيام ودخل بها لؤلؤ ونثروا الدراهم والدنانير ولما دخل بها لؤلؤ فما زال عندها من المساء الى الصباح ومن

الصباح الى المساء مدة ثلاثة أيام وبعدها خرج من عندها فهنوه جميع الاصحاب وشكر للاميرة (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء من الخير الجزيل (وأما ما كان) من القاضى عقبة الذليل فانا ذكرنا انه عند منويل ولما أن طالت عليه الايام ولم يبلغ مرام ودع الملك وقال أنا مرادى أمضى الى ملطية لئلا تطول غيبتى فربما ينكرون على فقال له الملك سير فى دعة المسيح فرجع الملعون الى داره واجتمع بولده حصيصة وقال له ياولدى وحق المسيح ما اشتهى ان انظر الى مسلم ولكننى ما أقدر اغيب عنهم خوف من الانكار وجهز ماله وخرج من البلد وسار الى أن وصل الى ملطية فكان وصوله اليها فى اليوم الذى زوجوا فيه زنانير على لؤلؤ فلما أن سمع بذلك الخبر كاد فؤاده أن ينفطر وقال ياليت شعرى متى وصلوا الى ههنا وحق دينى ما أترك لؤلؤ يتهنى بها ولا يوم واحد ودخل على عمرو فقام له قائما على الاقدام واستوحش منه وقال أين كانت هذه الغيبة يا قاضى قال ياولدى كنت فى بيت المقدس الشريف ازور الانبياء والصالحين واعبد رب العالمين فانطلا كلامه على عمرو ثم أن عقبة دخل على صديق له نصرانى وحدثه بحديث زنانير فقال له ياقاضى فنى عمرك وانحنى ظـــهرك ووقعت اضراسك وقطعت أصابعك فى معادتك الى هؤلاء القوم ولا تبلغ منهم غرض ولا تشفى منهم مرض فاترك عنك الحسد وأرميهم عن قلبك وريح نفسك فقال عقبة انى وددت إنى لا أحضر فى تلك الديار فى تلك الايام التى تزف زنانير على ذلك المملوك لؤلؤ وقد حرت فى أمرى وضاع جلدى وصبرى كيف أعطل عليه فرحه ولا أدعه يفرح بها ثم انه خرج من عند صديقه والحسد كاد أن يهلكه ودخل الى عمرو بن عبيد الله وقال أيها الأمير كيف تجرى ذلك الامور ولا تعلم بها حتى انك تطالع بذلك أمير المؤمنين لانك أمير الثغور واليك ترجع كل الامور فقال عمرو ايش جرى ياقاضى قال قد قدم البطال من بلاد الروم ومعه الملكة زنانير بنت الملك صلبوتا وقد املكوها على لؤلؤ وهى من الحسن على جانب عظيم وبالله أقسم ما تصلح جوارى الخليفة التى فى قصره أن يقدموا لها النعال فلو أوصلتها إلى عند الرشيد ليكون لك اليد البيضاء عنده فاكتب اليه كتاب وعرفه بتلك الأسباب فقال عمرو أكتب يا قاضى فكتب فصل بسم الله الرحمن الرحيم أعلم يا أمير المؤمنين أن امراء قد وصلوا من بحيرة الفلك ومعهم جارية مارأت العيون ولا تحدث المتحدثون بمثلها ولا شكلها فى الحسن والجمال والبهاء والكمال وقد طالعت بذلك أمير المؤمنين فان أراد الجارية يبعث يطلبها قبل أن يفرط فيها الفرط وتخرج من يدك وعلق الكتاب على جناح طائر فما أمسى المساء الا وهو فى بغداد فأتى به البراج اليه وقراه عرف رموزه ومعناه فلما علم

ما فيه ضرب به الارض وقال ما كتب هذا الكتاب إلا من يريد لنا الأسواء أليس قد قاسوا عليها شدائد وأهوال وأمور وأحوال فكيف ينبغى لنا أن نأخذها منهم وقد قاسوا عليها شدائد وأنا أقسم ان واجهنى عمرو فى أمرها مرة ثانية ضربت رقبته وكتب له كتابا ان يكف لسانه عن تلك الألفاظ واحفظ حرمتك ولا تكثر كلامك وزيل الحسد من قلبك لهؤلاء القوم الذين يحفظون ثغور الاسلام ولو اتكلنا عليك وعلى بنى سليم أخذتنا الروم من بغداد وباعونا فى البلاد وعلق الكتاب فى جناح حمام فما بات إلا فى ملطية ولما ان وصل الكتاب الى عمرو فلم يقدر يعلم به أحد (وأما الأمير أبو محمد) فانه اجتمع بالأميرة وقال قد عولت ان أشرع فى وليمة الزفاف فقالت افعل ما تريد فأمر أن تذبح الذبائح من الغنم والبقر والمعز فذبحوا ألف من الغنم ومثلها من البقر وكذلك فعلت الأميرة والأمير عبد الوهاب وعملت السماطات الهائلات وحضرت الأمراء والسادات من بنى عامر وكلاب وحضرت أيضا سادات بنى سليم وكان عمرو قد أنقذ البقر وصارت الناس تتقرب اليهم بكل مايقدرون عليه وعم الخير على الغنى والفقير وفعل الأمير عبد الوهاب ما أمكنه ثم ان البطال أخذ بيد لؤلؤ وقصد به الى الأمراء فتواثبوا اليه وأجلسوه بينهم وأعطاه كل واحد من الخلع والأموال وشقق الحرير ماقدر عليه وغير ذلك مما يكسوه من بلاد الروم من أطلس ومدخر وفضة وذهب حتى صار عنده شيء كثير فقال لؤلؤ لسيده يا مولاى انى أرى الدنيا أقبلت على بما فيها من المال والنوال وزنانير ما أراها فقال ياولدى الساعة تحضر ثم التفت الى الأميرة وقال لها أين الملكة زنانير قالت تحضر (قال الراوى) فلم تكن إلا ساعة ظهرت المواشط والنسوان وزنانير بينهم وقد أخرجوها للجلاء وهى كأنها البدر المنير فى الفلك المستدير وهى تتعاجب فى مشيتها وخطرتها وقد لبست من الحلى والحلل مايعجز عن حمله جمل وقلن له يا لؤلؤ تسلم زوجتك وادعوا لسيدك أبو محمد البطال ثم ان المواشط جلوها على الجماعة عشرين خلعة وفى كل خلعة يقوم لها ويأخذ الخلعة (ياسادة) ثم خرجت فى الخلعة الحادية والعشرين فى قباوشربوش وفى وسطها منطقة جوهر مرصعة من ذهب أحمر فأقبل لؤلؤ على الناس وقال لهم قوموا فقد بلغت الأرواح فما بقى غير البوس والعناق وشيل الساق ولمس السقاق فقالت الأميرة كأنه أخذته الصفرا فى رأسه من قلة النوم وكثرة السهر فقوموا بنا فخرجت النساء والرجال ولم يبق الا لؤلؤ والبطال فقال له يا ولدى أبصر كيف تكون واحذر وواضب العناق وإذا انحدرت انحدر الى العراق ومن العراق الى الشام وغرب وشرق وجس وملس وهمس وجمس وطبطب وحطب فقال يامولاى لاتخاف على انافى هذه الفصول فأنا أفعل أكثر مما تقول وأزيد عن ذلك محصول

وقدبلغت المسؤول ونلت المأمول وافعل أبلغ من ذلك واسلك أعظم المسالك ولو أصبح لؤلؤ هالك فتبسم البطال وخرج من عنده وخلاه ولما خلا للؤلؤ المكان التفت الى زنانير وقال يا سيدتى مابقى الا العمل فلا تخافى فقالت انا لك وبين يديك افعل بى ماتريده فما أحد يمنعك لأنك صبرت صبر الكرام وقد ظفرت بنيل المرام وقد أعطاك ماتتمناه العلام فقال والله ماظننت ان يكون هذا الأدب فقالت إذا كان صاحبك شفيعك فلا تبالى بمن عصاك ولا من يطيعك وإذا كان حبيبك قرب فلا تبالى بمن رضى ولا من غضب (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع مقالها علم انه عندها فى منزلة علية فقام وخلع أثوابه وزاد نشاطه ولها به وأخذ السافين وصار بين الفخذين وعمد إلى الباب وأقعد النشاب وحرر وقرب وقام القلوع وزاد به الولوع وحل الممنوع فأسيب الدروع وأخرب الأطلال والربوع ولاحسب رجوع وزاد فى العمل ولاأورى تعب ولا ملل (ياسادة) فقالت والله ما كنت أظن أن فيك هذا كله لما كنت أنظر فيك من الزهد والعبادة والآن أنا بين يديك أعمل ما تريد فقال ياسيدتى والآخر عبادة وكل عبادة لها أوقات وأقام معها ثلاثة أيام بلياليها وهم فى أتم سرور وغبطة وحبور (قال الراوى) يا سادة ياكرام بينما الناس وهم فى الثغور آمنين فرحين إذا بالبرج دخل بكتاب إلى الأمير عبد الوهاب فقال خير ان شاء الله تعالى اللهم أعطنا خيره وأكفينا شره وفك ختمه وقرأه وإذا فيه أن الرشيد بالله تعالى توفى إلى رحمة الله تعالى فرجع من الميدان وهو ضيق الصدر متهم الفكر حيران وقد وقع البكاء والانتحاب لما أن علموا الأعراب وقال الأمير عبد الوهاب يالها من مصيبة ما أعظمها هيهات إن كان يخلف الزمان بمثل أمير المؤمنين الذى كان يأخذ بيد المظلومين وينتقم من الظالمين وكان الرشيد ما عنده من خلق الله تعالى أحب اليه من ولده الأمين الذى من زبيدة فلما أن كان ليلة من الليالى قالت زبيدة يا مولاى أعلم أن الموت لابد منه وأن كان رزقك هؤلاء الأولاد وكلهم سادات ولهم جماعات وأخاف أن تقع الفتنة بينهم بسبب الخلافة فقال الرشيد أن أمرنا بالخلافة لواحد منهم يكون فيها كسر القلوب للباقين ولكن قومى بنا فى هدو هذه الليلة حتى نشرف عليهم وأنظر إلى فعالهم وإلى خصالهم وننظر من يصلح للخلافة فقالت سمعا وطاعة ثم أنهما نهضا إلى ماأرادا فأول ما أتيا إلى حجرة المؤتمن رضى الله عنه فرآه وعلى جسده مدرعة من صوف وهو قائم يصلى بخشوع وخضوع وجريان دموع وقد ترك الدنيا من وراء ظهره وأقبل على الآخرة بوجهه فقال لها ما تقولين يا بنت العم قالت أرى غلام عابد زاهد وقد ترك الدنيا وما عليها فقال لها هذا الفتى أفنى شبابه فى

عبادة ربه فلا يصلح للخلافة ثم أنهما انصرفا وأتيا الى حجرة المأمون بالله فوجدوا الشمع تقاد بين يديه وعنده جماعة من العلماء والفقهاء وأهل النجوم وأرباب العلوم وهم يلقون عليه المسائل وهو يخبرهم بأفصح جواب فقال الرشيد ما تقولين فى ولد المأمون قالت وما عسى أن أقول فى غلام فصيح اللسان ثابت الجنان فقال الرشيد هذا ما يصلح للخلافة ثم أنهما مضيا الى مقصورة المعتصم فوجدوه جالس على كرسى من الحديد الصينى وبين يديه الزرد والعدد وآلة الحرب وكل حسام مهند وعنده الصقالة والجلايين وأهل صناعة السلاح وقد أخذ سيف بيده وهزه وهو يقول للصناع هذا عيبه كذا وكذا ويحتاج الى كذا وكذا فقال الرشيد ما تقولين فى ولدى المعتصم قالت زبيدة وما عسى أن اقول انى أرى أسد شديد وشجاع صنديد فقال هذا ولد العامرية ما يصلح للخلافة ثم مضيا الى الأمين واذا بين يديه جوار نهد أبكار كانهن الأقمار عليهن الثياب الرفاع القصار من غير سراويل وهو يدخل يده من كم واحدة ومن ذيل الآخرى فقال الرشيد ألا ترين الى ولدك مثل هذا يصلح للخلافة فقالت أن هو الا بضعة منك قال الكل بضعة منى ولكن مثل هذا ما يصلح أن يكون امام ولا يتولى أحكام ولكن من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ ثم عاد الى مجلسه والغيظ كاد أن يخنقه فلم تزل زبيدة به وهى تلاطفه وتلح عليه بالسؤال والمقال من قبل ولدها حتى لأن قلبه عليه وزال حقده ثم أخذ ورقة وكتب له كتاب يقول فيه بفضل بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا ولدى يحفظك الله احفظ العلم وخذ لك نصيب من الفهم واسلك الى الصلاح سبيلا وخذ لك من انواره أكليلا لعل ينشرح بوعظه صدرك ويزداد بالاجتهاد عمك اعلم وفقك الله وعلمك الخير وصرف عنك كل شر وضير ارجع الى الله يا ولدى من قريب وانتهى عن ما انت عليه مريب واذا لم تنتهى بالمواعظ والا نفضتك من يدى كنفض التراب من القبور وطرحتك اطراح ما يمحى من الصدور (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم انه طوى الرقعة واعطاها لمسرور وقال له اعطيه اياها وقال الرشيد لزبيدة قومى بنا ننظر ماذا تعمل فيه المواعظ فمشيا ووقفا من خلف الستر ومسرورنا وله الرقعة فأخذها وعركها وفضها وقرأها وشقها نصفين ورماها قطعتين وجعل ينشد ويقول

وما العيش الا مع الغانيات ٭ صباح الوجوه ذوات الخدور
وشرب المدام بماء الغمام ٭ كذا الاصطباح بجنب البدور
ونابت على وريح زكى ٭ وفرش وطىء وطيب عطور

فهذا النعيم وهذا النديم ٭ بحظ مقيم وطول السرور
ومن بعد هذا وهذا جميع ٭ نفوت القصور ونهو القبور

(قال الراوى) ياسادة فرجع وهو على غاية من الكدر وعول أن يرسله الى خراسان ولم تزل زبيدة بالرشيد وهى تلاطفه حتى انه جمع دولة الهاشميين وقال لهم ياقوم إذا أراد الله أمرا بلغه ومادامت الدنيا لاحد من قبلى ولا من بعدى وان ولى عهدى من بعدى محمد الأمين ابن زبيدة فامتثلوا الحاضرين أمره ووصيته وعدنا الى سياق الحديث وترتيب الخبر (قال الراوى) لما أتت الكتب مع النجاب وسلمه للامير عبد الوهاب ناوله لولده ابراهيم وفكه وقرأه ورجع من الميدان وهو ضيق الصدر واجتمع بالأمير عمر بن عبيد الله وأعلمه بذلك وعلموا الناس فوقع البكاء والانتحاب لموت الرشيد خليفة الاسلام وورد على قلب الأمير عبد الوهاب مالم يرد على قلب بشر وقال يالها من مصيبة ما أعظمها فهو كذلك واذا بالأمير أبو محمد البطال دخل وسلم وقال قد صح عندك موت الرشيد قال نعم وأنه بعد مجيئنا من بحيرة الفلك اشتد بالامام المرض وقد عقد المبايعة لولده الأمين ثم من بعده لولده المأمون وكان قدمات الرشيد سنة ثلاثة وتسعين ومائة وكانت أيام خلافته ثلاثة وعشرين سنة وكان استوزر يحيى ابن خالد والفضل ابن الربيع وجعفر البرمكى وتولى الأمين ليلة الخميس ليلة النصف من جمادى الآخر سنة ثلاثة وتسعين ومائة وسارت الأخبار الى سائر الأقطار بذلك الأمر ورجع الفضل ابن الربيع إلى بغداد وقلده الوزراة وضيف الأمين الفقراء سبعة أيام والعلماء مثلها ودخلوا عليه الشعراء يهنوه بالخلافة فكان من جملتهم من رثا الرشيد بهذه الأبيات وهو أويس شاعر زمانه وفصيح أقرانه

ياعين جودى بالدموع دواما ٭ فلقد عدمتى خليفة واماما
جودى على من كان فيه مودة ٭ بين الأنام وسائر الأعواما
لم تصح مذمات الامام ولا بدت ٭ للشمس نورا بعده أعواما
فسقا الغمام ضريحه غدقا كما ٭ كانت يداه على الأنام غماما
لله قبرا ضم منه مكارما ٭ وروى سحاب ثرائه اكراما
عجبا لقبر قد يوارى لحده ٭ شمسا وبحرا فائضا وهماما
لو كان يفدى لافتداه تطوعا ٭ أيضا ولاقوا بعد ذاك حماما
لو كان يمنع سيدا لجلاله ٭ ما أنفدت فيه المنون سهاما
لو كانت الصدقات تحى ميتا ٭ أعطاه صرف الدهر منه ذماما
لهفى على الكهف الذى ما أمطرت ٭ الا وأصبح وبلها أنعاما

لهفى على القبر الذى تحت الثرى ☆ ما كان أمهله فدا ومراما
أودى فاخلف ذكره احسانه ☆ بين الأنام بنجله اذ قاما
نجل الزمان حيا الورى بحياته ☆ واستيقظوا أيامه أحلاما
من للأرامل واليتامى بعده ☆ ويفقد من هجر الأنام وصاما

إلى أن قال

وإذا ولى المولى الأمين خلافة ☆ أحيا بطول حياته الاسلام

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ووصلت الكتب من العراق بخلافة الأمين إلى الثغور يأمرهم بالانحدار حتى يبايعوا الأمين على الخلافة عند ذلك أخذ أهبته عبدالوهاب والامير عمرو بن عبيد الله والاميرة ذات الهمة وخلفوا الاميرظالم على ملطية وقالوا للبطال انحدر معنا الى العراق فقال ياقوم أن الرشيد كان يرى لنا كل خير وما أقول ان بقى لنا قرار فى هذه الديار فقالت الاميرة ان القوم محتاجين الينا فان كانوا معنا كما كان غيرهم والا تركنا لهم بلادهم ونمضى الى بلاد الآباء والاجداد ونقيم عند بير معاوية وماء النظيم ولم تزل الاميرة تلاطف البطال حتى أجاب وقد علمت الاميرة أن كلامه حقا ولفظه صدقا ورحلوا سادات بنى عامر وكلاب وعمرو وسادات بنى سليم ومقدمين السودان الانجاب واتصلت الاخبار الى بلاد الروم وعلم بذلك منويل فورد على قلبه السرور والفرح (قال الراوى) وبينما هو فى فرحته واذا بكتاب ورد عليه من عقبة يعلمه بموت الرشيد وانك تجمع العساكر والاجناد وتخرب البلاد وتهلك العباد وتكثر الفساد حتى تقع الهيبة عند الخليفة الجديد والا يطمع فيك واقطع الحمل الذى كنت تحمله لابيه ولا تقصر عن ذلك لان الدولة صارت دولتين والولاية والرياسة والخلافة طوع يدى فالعجل العجل ولما علم منويل بذلك قال ان هذا الشيخ ناصح لنا قوى ثم نظر نحو آخر الكتاب رأى ان الامير يرى فى عقبة أكثر من غيره من الخلفاء المتقدمين وأنا سائر إلى بغداد أرمى الفتن بين الخليفة وبين عبد الوهاب وذات الهمة وفى هذه النوبة أملك البلاد وأرض الحجاز ولما أن سير عقبة الكتاب انحدر إلى بغداد فكان وصوله اليها عند وصول الامير عبد الوهاب فى يوم واحد وكانوا قد تجمعوا الولاه من سائر الاقطار حتى انهم يجددوا المناشير من الامام الجديد وكانوا الناس يعزونه فى أبيه ويهنوه بالخلافة ودخل عليه الامير عبد الوهاب ومن خلفه الرجال والاصحاب والاميرة وأبو محمد البطال وانهم لما وقعت أعينهم عليه وهو على دست الخلافة تذكروا أيام الرشيد بالله فزاد بكاهم وانتحابهم وكان البطال أمامهم وقال السلام على الامام ابن الإمام الذى أنار غياهب الظلام وجعل يقول

لاقبلنا فى ذا العزاء فداء ٭ أحسن الدهر بعده أم أساء
حسرات تعامل الصدر حزنا ٭ وحتوفا تفلق لها الاحشاء
ودموع تجرين من أمق العين ٭ دموعا مبدولة بالدماء
كيف نسلو من فارق الجود والمجد ٭ وفاق كل البهاء والعلياء
يا لها من مصيبة عمت الخلق ٭ جميعا وحطت العظماء
وإذا مابدا الأمين بديلا ٭ عاد فينا هذا العزاء هناء

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فهم كذلك وعلى مثل ذلك إذ سمعوا صياح عالى وصراخ نامى وجلبة عظيمة فالتفتت الناس واذا بالقاضى عقبه وقد طول شعره وصبغ أثوابه البيض بالسواد وكذلك عمامته ولبس على بدنه ثياب الحداد ومن حوله جماعة من الكتاب والولاه ولما قرب من محمد الأمين وعرفه وثب له قائما ولم يفعل ذلك فى حق غيره من أهل الأرض وأما القاضى عقبة فانه صاح يالها من مصيبة هدمت سناء المجد وانفجع لها الغنى والصعلوك واظلم محراب الدين وغابت شمس السعادة عن العالمين ودامت للإسلام أسفا وقطعت الاكباد لهفا ثم انه أبكى العيون وأثار الشجون وجعل ينشد ويقول

من زلزل الجبل المنيع المرتقى ٭ وقد توطا منكبى وكونى
من أسكت المنطوق بعد فصاحه ٭ ببراعة وشجاعة ومعانى
مابال وجه الدين أصبح عابسا ٭ من بعد عز دائم اللمعان
انى أرى الإسلام بعد امامه ٭ يدنو بطرف مولع حيران
يا عزنا وامامنا كم زفرة ٭ تدع الزفير وتستحث جنانى
لو استطيع جعلت قبرك ناظرى ٭ وجعلت تربك كحل فى أجفانى
من للخلافة والعلوم ونشرها ٭ بين العوالم فى أعز مكان
من للفتاوى والسلالات التى ٭ مازالت تكشفها بحسن بيان
من للشريعة اذا تطاول ملحدا ٭ لعبادها بالزور والبهتان
من للعلوم المشكلات وشرحها ٭ والقول والتاويل والبرهان
من للتهجد فى الظلام وطوله ٭ فى ليلة وتلاوة القرآن
من فى نهار الصيف يجهد نفسه ٭ صوما ويطلب طاعة الرحمن
مولاى لو نظرت عيونك عقبة ٭ يبكى عليك بلوعة الاحزان

(قال الراوى) يا ساده ياكرام فابكا العيون بما أتى والشجون أسفا وسالت

الدموع على الخدود دما وكحلت الاجفان عمى فوثب الأمير قائما وقال يا قاضى لقد عرفت كلامك واسمع جوابك ولا لك الا مايسرك وسوف أفعل ياقاضى بما سمعت من الخطاب فقال قل يا مولانا فقاموا الناس لقيام الامام وسكتوا حتى سمعوا الخطاب فقال الامام اسمعوا يامعاشر الناس أجمعين اعلموا أنى أوافى القاضى ماكان يرى الرشيد وأعظم فليفهم منكم من يفهم ويعلم من يعلم وهو مدبر دولتى ومشير خلافتى وصاحب رأيى ومشورتى ومن عاداه فقد كره أيام ولايتى وأقسم إن عاداه كبير أوصغير لاقطعن أنفه والوح قحفه وأجعل يومه كامسه وكان أخوه المأمون واقف بحجبه وهو واقف قدامه فقال يا أمير المؤمنين اعلم أن خير القول أصدقه وأحسن الأشياء من تحققه إن سلك القاضى طريق الخير ويلزم طريق قضاه ويترك من الأمور مالا يعنيه فيكون مكرم عند كل واحد وعلى رأيه المعتمد وان هو سلك طريق الفتن ومشى مع الناس بسوء الظن فهذا لايصبر عليه أحد من الرجال الكرام ولا يرى أحد أن روحه تنام فكما هو عندك مكرم يجب أن يكون عند غيرك معظم وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وأنت تعلم إنى رضيت بما عقد ابيك من المبايعة على انك تحكم بما أمر الله وإن كنت لاتفعل ذلك واتبعت الهوى فانعزل عن الخلافه حتى يتلوها من هو يعلها ولما أن سمع الأمين كلام أخيه المأمون ضربه بسوط كان فى يده على وجهه وصاح على أرباب الدولة فقبضوا على المأمون ونوى على قتله فوثب الأمير عبد الوهاب وباس الأرض قدامه وقال يامولانا لاتفعل ولا تقطع ما بينك وبين أخيك فيشمت بك حاسديك ولو نظر الرشيد فعلك بأخيك لما سره ذلك (يا سادة) وأما ما ذكرت من أمر القاضى فنحن لاجل محبتك له نسيرله عبيد وخدم ولا نخرج من طاعته ولا حكمه (قال الراوى) وكان ذلك المقال برأى أبو محمد البطال لأنه قال لعبد الوهاب تلافا قلب الأمين والا قتل أخيه المأمون ونقتل نحن فى هذه الفتنة وان خلصنا من هنا ورجعنا الى ملطية مانرجع نأتى اليه (قال الراوى) وان عبد الوهاب لما قال ما قال هدى فؤاده وخمدت ناره وسكن غضبه وقال هذا الذى أريد منكم ولا ترجعوا ترموه بشىء مما كنتم تقولوه ودعوا عنكم الهوى وانظروا فى عبادة الملك الأعلى ثم خلع على الأمراء وصرفهم من عنده بسلام وأن الامين قد أوقف ألفين مملوك تحجبه وقد خلع عليهم من خزائن الرشيد وان عقبة لما سمع من عبد الوهاب ذلك المقال علم انه من البطال خديعة يطلب الانصراف فوثب عقبة ودخل بيت الحرم وجلس عند زبيدة من خلف

الستارة وقال لها انتى تعلمى انى كنت أنتظر هذه الايام حتى يكون لى قولا وفعلا ونقعد هنا وحق الفرد الذى ليس له قبل ولا بعد فأنا ما أريد للإسلام الا خيرا وما أنا ممن يستحل دم عصفور وأنا ناصح لكم من أجل هذا الاسود عبد الوهاب وأبو محمد البطال وربما زينوا للمأمون ان يطلب الخلافة لنفسه وأنتى تعلمى أن المأمون ابن أمه ولأجل هذا يميل اليهم ويميلون اليه ومن ذلك ماهو لكم صديق ولا محب ولا شفيق وأنا أقسم إن خرج من بغداد سوف يخرج منه ما أقول لكم فقالت له ياقاضى وما يكون العمل والذى تشير به علينا يعمل فقال ياسيدتى تدعى ولدك يدعو عبد الوهاب والبطال وسادات القوم إلى بين يديه ويقبض عليهم وقد أمن شرهم ومكرهم (قال الراوى) ياسادة ياكرام ومن وقتها أرسلت خلف ولدها وأمرته بما قال لها عقبة وقالت ياولدى ما أشار إلا الصواب وفى ثانى الايام أرسل اليهم فأجابوا بالسمع والطاعة الا أبو محمد البطال فانه تباعد وقال لعبد الوهاب لاتدخل بينهم فانى أخاف عليك من هذه النوبة وأنا أعلم أن عقبة مايسكت عن مكيدة يفعلها وربما دبر على هلاككم فى هذه النوبة الصعبة فلما سمعوا كلام البطال قالوا ادعنا نهلك ولا تكونوا مخالفين لامير المؤمنين فقال البطال افعلوا بأنفسكم ماتريدون ودبروا ماتشتهون فقالوا لابد لنا من ذلك ثم انهم تجمعوا ودخلوا إلى قصر الخلافة فلما وصلوا الى الباب الثانى أخذوا الغلمان سلاحهم وتوكل بكل واحد منهم ثلاثة وخمسة وكان ذلك بوصيه عقبة ولما مثلوا بين يدى الأمين أمر الأمير عمرو بن عبيد الله أن يقبض عليهم فامتثل الامر وقبض على الأمير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة ومالك بن طوق وهارون العلوى وبردا بن الأزهر ومالك بن بشر وسعيد بن الفرج ومدركة وعبدالله ومثل هؤلاء السادات وهم مائة سيد من سادات العرب والأمير عبد الوهاب يقول فى نفسه الإمام يمتحنا ان كنا طائعين أو مخالفين فدعنا نمكنه من أنفسنا ولما ان قبضوهم وضعوا فى أرجلهم القيود وأمر الفضل بن الربيع أن يتوكل عليهم ويمضى بهم الى داره وأمر عمرو بن عبيد الله أن يأتى بالبطال ومن بقى من أمراء الاعراب والسودان ولا يأتى الا بهم ولو كانوا تحت تخوم الأرض فركب من وقته ومعه سادات بنى سليم وعشرة آلاف من أجناد العراق ومضوا خلف البطال ومن بقى من بنى عامر وكلاب (وأما ما كان) من البطال لما أن مضى عبد الوهاب ومن معه الى الامام أقبل البطال على القوم وقال اسمعوا منى لاتقيمون بعدهم يقبض عليكم ارحلوا فى هذه الساعة الى ملطية فأنا أعلم ان الأمراء يقبض عليهم لأنى أشرت عليهم فما قبلوا منى ويد الخلافة لاتطاولها يد فارحلوا وأنا خلفكم فاذا صرتم فى ملطية سوف يشير عليكم ظالم بما تعملون وأما أنا وغلامى

أعود الى البلد فهو معهم فى الكلام واذا بغبار قد علا حتى سد الفلا فقال البطال هذا عسكر قد أتاكم وما المطلوب الا أنا فاذا سألوكم عنى فقولوا مامعنا منه خبر وإنما نحن سمعنا ان أمراءنا قبضوا عليهم فرحلنا طالبين ملطية وتركناه هو وغلمانه يفعلون مايشاؤون وإذا هم قد وصل اليهم وقال ياقوم أين أبو محمد البطال قال مولانا قبض ومن معه من الأصحاب وطلب منا أبو محمد البطال وأنا مالى قدرة أن أخالف الامام وسوف أكون الواسطة فى صلحهم فقالوا مامعنا منه خبر ولكن نحن سمعنا ذلك فرحلنا الى أهالينا فقال عمرو ان كان هذا مقالكم فليأتى معى المقدمين والأعيان يعلمون الامام ان البطال ماهو عندكم حتى يعلم الامام إنى صادق فى المقال فقالوا المقدمين نحن مانرجع عن طريقنا ولا نعود ايش عمل معنا من الطيبات وهل نحن عادمين عقولنا نرجع لمن يجعلنا فى الحبوس ويشتفى منا برأيه المعكوس فقال عمرو إذا لم ترضوا باختياركم رجعتم بغير اختياركم عند ذلك رفعوا أصواتهم بالصياح مانعود أبدا فعندها أشار عمرو على من معه فحملوا عليهم فتلقوهم الاعراب والسودان الانجاب فيالها من ساعة بان الشجاع من الجبان واختلف الضرب والطعان واشتعل نار الحرب وزاد البلاء والكرب وفقدت الأهل والاصحاب وجزت الرقاب وشاب الشباب وتقنطرت من على الخيل الرقاب وهلك فى ذلك اليوم من دنا أجله من العبيد والأحرار ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل إلى أن أمسى المساء ونصرت بنى عامر على بنى سليم وأرموهم بالمذلة والضيم وفنيت عساكر العراق ورجع عمرو مكسور وحار فى كل الأمور وندم حيث لاينفعه الندم وغنمت بنى عامر الاسلاب والخيل وساروا من وقتهم طالبين ملطية وساروا سير الجد فزعا من الطلب لأن العساكر قدامهم فى البلاد كثيرة والجيوش غزيرة (قال الراوى) وكان السبب فى لم العساكر أن الأمين فتح الخزائن وأرسل إلى سائر العرب من بعد منها ومن اقترب والأعاجم والترك والديلم وأما أبو محمد لما انهزم عمرو وعساكر بنى سليم سار ومعه غلمانه خلفه وهو يضحك على ما جرى عليهم حتى وصل إلى بغداد ولم يعرفه أحد لأن دخولهم فى الليل وكان الأمين سلم أخوه المأمون إلى الحسن الى ابن طاهر (قال الراوى) يا سادة ياكرام وكان الحسن ابن طاهر من كبراء الدولة وساداتها وكان له خمسمائة مملوك مشترى ماله كامل العدد والخيل والسلاح وله خدام وغلمان ومحبين وأصحاب وكان الرشيد فى حال حياته يوليه العراق إذا كان فى سفر أو غزاة وإذا كان حاضر ما يبرح من مجلسه وله فى القصر دار مليحة مثل دار الرشيد وان الأمين سم

اليه المأمون وقال له ما أعرف حفظه إلا منك أجعله فى دارك لأن البطال لابد له أن يأتى الينا لأنه هرب ولا نأمن من مكره وشره (قال الراوى) وكان الحسن بن طاهر يرى فى المأمون مالا يرى فى الأمين والأصل فى ذلك أن المأمون كان إذا رأى رجل شريف من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتسب إلى بنى هاشم يرفع قدره ويعلى مجلسه ويجلس دونه ويعطيه كلما يطلب من أمانيه ويقول للحسن ابن طاهر انى أرى فى أولاد على ابن أبى طالب مالا أراه فى أبى الرشيد وإن كان لى دولة لارفعن قدرهم وكان الحسن بن طاهر يحب المأمون من ذلك الوجه وكان الأمين لما ولى الخلافة قتل جماعة من الأشراف يحذر منهم ويخاف من شرهم وكان ذلك برأى الفضل بن الربيع وكان البطال عارف بالحسن بن طاهر وتسلمه إلى المأمون وعنده فيه محبة وكان البطال ينادمه فى أكثر الأوقات ويحدثه بفضل الاشراف وآل بيت محمد صلى الله عليه وسلم ولما أن دخل بغداد دنا من قصر الخلافة فسمع أن المأمون عنده فطاب قلبه بذلك إلا أنه متفكر كيف يتوصل اليه وإذا بغلمان الحسن بن طاهر قد خرجوا من الدار فى بعض الحوائج ولما أن رجعوا اختلط بهم ودخل إلى القصر وتوصل إلى دار ابن طاهر وكان قد أنزل المأمون فى سرادب وهو متفكر فيما يعمل فى حقه وإذا بأبو محمد دخل ودنا منه وكشف عن وجهه ففرح به وقام إلى لقائه وسلم عليه وقال أنت فى ذلك الوقت جئت فى فكرى فى خاطرى ولى الأمور جرت وأشياء حدثت لابد لى منها وأريد فيها رأيك (يا سادة) ثم أن الحسن بن طاهر صرف غلمانه الكبار والصغار وأغلق باب الدار وقال يا أبا محمد أنت تعرف أن المأمون له علينا حق واجب وما يلزمنا من إعانته ويعز علينا ما جرى على الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب من يد ذلك الظالم الغاشم الفضل بن الربيع وعقبة قد صح عندى كفره وما يخفى على أمره وهذا لايتم ولا ينتظم وقد صار عقبة الآمر الناهى وقد عزمنا أن أهرب أنا والمأمون وأبذل مالى وما أملكه فى محبته وأقصد بلاد العجم والنهروان وأدخل بلاد خراسان ولى من المال ألف ألف دينار أنفقها على الرجال وأحمى عنه جهدى وطاقتى وأعمل كلما أقدر عليه من عزيمتى وهمتى فقال أبو محمد البطال نعم ما عزمت وإن تم المأمون ها هنا يعمل عقبة على قتله لا محالة ثم قال قال وأنا الضامن لك فيما تنفقه جميعه من المال يعود اليك أضعافه ولكن قصدى أنا الآخر تشير على فيما أعمل فى خلاص عبد الوهاب فقال الحسن ابن طاهر مالك اليه سبيل وما فى الأمر إلا أننى اذا هربت بالمأمون ما يقدر يفرط فى أحد منهم لأنه يعلم

أن المأمون يرى فيهم ويشد معهم ومع ذلك أنتم لكم مثل ظالم فانه يخرب البلاد ويخسف العباد ويمنع الحجاج فاخرج من عندى من الليل فقد أخرجت غلمانى وانتظرنى خارج بغداد ونادى على الرحيل بالمأمون فقال أبو محمد البطال ما أقدر على الإنصراف ولكن أنا أمضى عند جوهر ومسرور فقال له إن الذى تذكرهم مالهم من الأمر شيء وأن أمر المأسورين بيد الفضل بن الربيع فلا تتعرض لهلاكك وهلاكهما فقال أبو محمد البطال ما أريد منهما الا يخفون أمرى الى أن ادبر روحى (قال الراوى) وأن ابو محمد البطال مضى إلى دار جوهر ودخل عليه وسلم فقال كيف أتيت الى ههنا قال لا تسأل عن حالى بما جرى لى من الأمين وما بنا الا شماتة الأعادى فقال جوهر على ماذا عولت أن تفعل وعبد الوهاب فى مطمورة فى دار الفضل بن الربيع وهى دار جعفر البرمكى قديما وقد توكل بها عقبة وخمسين غلام من الارمن وكل من يتعرض لهم هلك نفسه فقال أبو محمد البطال سوف ترى العجب ان شاء الله تعالى (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الحسن بن طاهر فانه أخرج المأمون مع أساسه وقماشه ليلا وقد جمع أهله وماله ورجاله وأصحابه وما أصبح الصباح الا وقد قلع من الأرض وأعطى العرب الأموال وكانوا أصحابه يقضى لهم المصالح على أيام الرشيد فسلكوا به البرارى والقفار وقصدوا إلى النهروان من دون البلاد لأن فيها أهله وقومه وأصحابه ووقع الصوت من الغد بهروب الحسن ابن طاهر بالمأمون فعظم على الأمين وكبر لديه وقامت عليه القيامة وشق ثيابه وضرب رقاب البوابين والحرب ولا أحدا يقدر يقف بين يديه وانقلبت عيونه وظهر جنونه ودخل على أمه زبيدة وأعاد عليها القصة فادعت فى عاجل الحال بالقاضى عقبة وكان عند الفضل بن الربيع وأعادت عليه سورة الحال فقال عقبة لاخوف عليكم وما عسى أن يقدروا يفعلون وأنا أدبر على هلاكهم سريع ولكن أنا حسبت لكم ذلك الحساب ولا بد أن يحدث أمر من الأمور فلا تهملوا أمره فربما تقوى شوكته وترجعون تطلعون اخماد النار فلا تقدرون عليها ولا تقبلون اليها ولما ان سمعوا ذلك من عقبة علموا أنه حقا وصدقا فاجتمع الفضل وعقبة عند الأمين فقال عقبة ماترى من الرأى قال الأمين مافى الامر الا تسير العساكر إلى بلاد العجم فى سائر الأقاليم من العرب وغيرها حتى يأخذوه أسير ويأتوا به ذليل حقير وأما الحسن ابن طاهر سوف أجعله عبرة لمن اعتبر وأشهره فى سائر البلاد بين العباد فقال الفضل وان ظفرت بأخيك ماذا تصنع فيه يامولانا قال الأمين أقسم قسما

صادقا ان قتلته الاقبل ان أقتل الحسن بن طاهر ثم انه شرع فى تجهيز العساكر والكتائب والمواكب حتى جمع ثلاثين ألف فارس وقدم عليهم الفضل بن الربيع والأميردان ابن جحفل بن البارع وكان من عرب شائس وما كان وصل أرض العراق قط إلا فى ذلك الايام لأنه قدم لأجل المال والنوال فسار فى مقدمة العساكر وهو يقطع البلاد والأمصار (قال الراوى) ثم ان اللعين عقبة أقبل على الامين وقال يا أمير المؤمنين اعلم أن ترك الحزم من العجز والتقصير فى الأمور ومن سوء التدبير وهذا القصر تجعل لك على كل باب من أبوابه ألف غلام من الترك غلاق الالسن يحرسونه بالنوبة ليل ونهار فان البطال مايقعد على صاحبه وصديقه عبد الوهاب وأنت تعرف فعاله وقد شاهدت أعماله وما أخوفنى أن يكون معنا فى القصر ففتش القصر كله وأول ماتفتش دارامك زبيدة ولا تأمن على نفسك منه (قال الراوى) فلما ان سمع الامين كلام عقبة فزع على روحه وعول ان يفتش القصر بأسره وان جوهر لما سمع ذلك الكلام اصفر وجهه ورجع على عقبة فقال البطال ما بالك فقال خذ لنفسك النجاة وإلا هلكت وأنا معك فقد جرى من الامر ماهو كذا وكذا فقال البطال هذا شىء ما كان لنا فى حساب فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اعطينى ملبوس الشتاء وهو ازار وخف وسرموجة ونقاب وشعرية ودعنى أخرج فى زى الجوار فأتى له جوهر بما طلب فلبس وخرج من باب القصر وكان أبو محمد إذا لبس لبس النساء يليق فيه وكان عقبة قام من عند الامين وقعد على باب القصر ومعه الغلمان وقد غلق الباب فلم يجد البطال سبيل إلى الخروج فرجع وراءه ولم يدرى أى مكان يمضى وقال ان مضيت إلى دار جعفر يكون سببا لهلاكى وان طلبت الخروج ما أقدر عليه وبقى فى حيرة من أمره فنظر عقبة الى البطال وهو يحتار فى أمره وهو ملفوف فى الايزار فأقبل على غلمان الدار وقال أقسم ان كان هذا الا رجلا لان مشية المرأة تقدم الشمال على اليمين وهذا يقدم اليمين على الشمال وان فاتنى حذرى هذا أبو محمد البطال فقال بعض الغلمان يامولانا نخشى أن تكون جارية من جوار القصر فصاح عقبة صيحة شديدة ياويلكم خذوه فان هذا الخبيث المحتال أبو محمد البطال ولو انها زبيدة ما أهمنى ذلك وان أيام الرشيد ماكان يتم فيها ما أريد وأنا اليوم كل الرعية بيدى ولا يعمل الامام إلا ما أريد ولكن أصبروا حتى نعلم أين يمضى وعند من يدخل (قال الرواى) فلما سمع أبو محمد البطال ذلك لم يقصد دار جوهر خوفا عليه مما سمع من قول عقبة عند ذلك صاحوا عليه الغلمان ولحقوا البطال وقد ضاقت عليه المذاهب وعزت

عليه المطالب ولم يجد سبيل إلى الهرب وزاد عليه الامر فقبضوه قبضا بالكف وكشفوا وجهه فعرفه عقبة وعرفوه الخدام فقام الصائح بالقبض على البطال ومسك عقبة لحيته ويهزها ويقول أنا ما أحدا يمكر مكرى ولا يعمل عملى وان عقبة صعب فى الامر وبلغ الخبر إلى الامين فأعجبه ذلك الامر وقال ما فى الدنيا مثل ذلك الرجل الناصح وكان أبى يرى فيه الخير لان كرامات الاولياء والصالحين والا من أين له أن يعرف أن البطال معنا فى القصر والحمد لله الذى سلمنا منه وما كان يخلص عبد الوهاب

ويجرى علينا منه خير أبداً ويقوى جناح أخى المأمون

﴿ تم الجزء التاسع والعشرون ويليه الجزء الثلاثون ﴾